البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العدد الأول – المجلد ٣٧

رمضان ١٤١٢هـ – مارس ١٩٩٢م

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » قد دخلت بهذا العدد فى عامها **السابع و الثلاثين**، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمه البعث الاسلامى، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـأهـا :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الاسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الأول ـ المجلد السابع و الثلاثون

رمضان ١٤١٢هـ ـ مارس ١٩٩٢م

المـــراسلات :

البعث الاسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٣ لكناؤ ـ الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ!

نحمد الله سبحانه وتعالى على استكمال مجلتك ستة وثلاثين ربيعا من عمرها الحافل بالدروس والعبر، ذات الآمال والأعمال، والطموحات والعزمات، وبالمواقف الحرجة حينا والمواقف المشرفة حينا آخر، وهي ثابتة صامدة على موقفها الجريئ الصريح الذي وقفته يوم أسسها صديقنا الشريف الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى - ومعه هذا العاجز - في حومة الصراع بين الحق والباطل.

وقد كان من حكمة الله سبحانه أنه وفقنا الى تحقيق أمنية غالية طالما راودت القلوب، وهي أن ندخل في المجلة تحسينات مطبعية حديثة، وكان ذلك الشغل الشاغل لنا منذ سنتين إذ قيض الله سبحانه وتعالى لهذا العمل العظيم رجلاً كبيراً من أصحاب الخير والاحسان، ممن لا يحب الظهور والثناء، بل يرضى بأن يبقى اسمه في طي الخفاء والكتمان، وأهدى إلينا ماكينة كمبيوتر حديثة للطباعة، افتتحها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام، بيده المباركة، ودعا بالخير والبركة لمن تكرم بالعطاء، وللعاملين فيها بالتوفيق، ولكل عمل يتم بها القبول وابتغاء وجه الله تعالى.

قد بدأنا بها العمل حيث يطلع القارئ الكريم على عدة صفحات من الطباعة الحديثة في هذا العدد، وستطبع المجلة وصحيفة "الرائد" بمشيئة الله تعالى ابتداءً من أعدادها القادمة على هذه الماكينة، رجاء أن يتقبل الله ذلك ويسهل العمل.

﴿وَاللهُ لَا يُضِيعُ أَجرَ المُحسِنِينَ﴾

"سعيد الأعظمي"

الأمة الوسط و شهر رمضان العظيم

يأتي شهر رمضان العظيم و المسلمون يشهدون صراعاً عنيفاً بين انهيار النظرات الوضعية و الفلسفات المادية و إثباتها ، وهم يعدون العدة لتمثيل دورهم في هذا الصراع ، ذلك بأن يتسلموا زمام القيادة الانسانية بأيديهم ، و يؤكدوا للقيادات الفاشلة و الزعامات المزعومة أنها سائرة على غير هدى و تائهة في ضلال مبين ، و التجربة شاهد عيان أنها أخفقت في الرهان و إعطاء الحياة و الانسان شيئاً مما يسمى بهدوء القلب و راحة الضمير ، و ما يدعى بالأمن والسلام ، و اذا قمنا بتحليل أسباب الفشل والاخفاق في ضوء الواقع و التاريخ تبين لنا أنها لم تواجه هذا المصير المؤلم لمجرد أنها كانت مادية فحسب بل لأنها لم تدرك سر القصد و الاتزان في وضع الأشياء موضع الاعتبار و تطبيق الأحكام الحضارية عليها ، فكان من نصيبها الافراط حيناً و التفريط حيناً آخر في الأخذ و العطاء ، وفي تربية الجسم على حساب الروح ، و تنمية النفس و مطالبها بتجفيف منابع العاطفة و الايمان .

لم يكن دور الصيام في شهر رمضان و ما فيه من الانابات و أعمال الخير و البر و العدل و الايثار ، دائراً حول تجلية الروح و تزكية النفس فحسب ، بل و دوره في المراقبة الدقيقة لكي تسير الحياة على مسارها الطبيعي و لا تحيد عن جادة القصد و الاتزان للحظة واحدة ، ذو أهمية

كبيرة جداً . فطالما يتغافل المرء عن وظيفته و يتناسى أحياناً أنه يحمل مسئولية خطيرة في بناء الحياة الاجتماعية على أسس سليمة من الوسطية التي عرفت بها الأمة الاسلامية . فيأتي رمضان على فترة من الزمن و يعود بالحياة الى ساحة العمل المتزن و ينفخ في المجتمع روحاً من الجدية والطاعة في قصد و اعتدال . كأنه يعالج ما تسرب إليه من أدواء و يصف له من الوجبات و العلاج ما يتكفل بالصحة و البرء من كل سقم . و هنالك تقبل النفس على الله تعالى زكية جلية . و تتزود بزاد دسم من التقوى التي تجنب صاحبها من الوقوع في كل ما ينافي روح التقوى . وينحرف به عن جادة الاعتدال . و لا شك فان التدبر القليل في معنى التقوى . " التي تعتبر النتيجة الأولية للصيام . يكشف لنا آفاقاً بعيدة من المفاهيم العالية للحياة الاسلامية التي تبنيها الأمة الوسط لنشر السعادة و الأمن " و الحب و الرخاء في العالم البشرى بكامله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾.

هذه الأيام المعدودة من شهر رمضان تستعرض أعمال و مجهودات الأمة الوسط طوال أيام السنة الماضية . وتلعب دوراً مهماً جداً في تنظيم الحياة على أساس من القصد و الاتزان . و في الرقابة الدقيقة على كل ما يكون قد طرأ على بعض جوانب الحياة من إهمال أو وقع بعضها فريسة التجاوزات غير الشرعية التي تنال من ميزة الحياة الاسلامية شيئاً غير قليل . فان صيام الشهر و قيامه بدافع من الايمان و الاحتساب يتوليان إصلاح كل فساد تسرب الى حياة المرء المسلم على غفلة منه . و تسبب انحرافات و زلات و أدى به الى المعاصي في بعض الأحيان . و قد عبر عن ذلك لسان النبوة البليغ بقوله ﷺ الذي رواه الشيخان . عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً و احتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه . و من قام رمضان إيماناً و احتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه » .

إن الذنب يشمل كل إثم و معصية عمداً كانت أو خطأ ..وإن

لخروج عن نطاق الوسطية و التعدي عن حدود الاعتدال ، و كذلك الغفلة والاهمال و كل ما يحيد بالحياة عن الخط المستقيم ، ذنب يقترفه الانسان المسلم عن غفلة أو نسيان أو يصدر منه عن عدم المبالاة و أحياناً بضغط من العوامل الخارجية و الظروف الطارئة ، و يستمر المرء على ذلك دون شعور بما يحيط به من أحوال فاذا بشهر رمضان يستهل له برحمات وبركات وفيرة ، و يتمثل أمامه واجبه الديني و الاجتماعي ، و ميزان الشهر الميمون الذي يوزن عليه الأعمال فيفرز منها ما يتجاوز حدود الاعتدال و القصد و يسبب المتاعب و يودى الى الشقاء و يعرقل سير المجتمع الأفضل ، ولذلك اذا جاء رمضان ، نادى مناد من السماء : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر .

و في ما رواه البيهقى عن سلمان الفارسى رضي الله عنه خطبة النبي ﷺ الذي ألقاه في آخر يوم من شعبان ، فضائل عديدة و دلائل كثيرة على ان رمضان يعلم الأمة الاسلامية دروساً من الدين والأخلاق و يبعث فيها روحاً من الثقة والايمان و الاستقرار ، و الايثار ، و يبشرها بمثوبة من عند الله جزيلة ، و تقرب الى الله تعالى بالطاعة والعبادة و بخصال الخير و البر و الاحسان و الولاء لمن هو في حاجة الى ذلك ، و من هنا يتمتع الصائم بالتوازن في جميع شئون الحياة و يكون عاملاً قوياً في بناء مستقبل لامع للحياة و المجتمع ، و في نشر الخير و الأمن في جميع قطاعات الحياة و على جميع المستويات .

و لنقرأ الآن خطبة النبي ﷺ و نتدبر في معانيها :

« عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال : يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، و قيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو

شهر الصبر ، و الصبر ثوابه الجنة ، و شهر المواساة ، و شهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطّر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه ، و عتق رقبته من النار ، و كان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شئ ، قلنا يا رسول الله ! ليس كلنا نجد ما يفطّر به الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائماً على مذقة لبن ، أو ثمرة أو شربة من ماء ، و من أشبع صائماً ، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفّف عن مملوكه فيه ، غفر الله له و أعتقه من النار » .

إنها شهادة الصيام على الناس ، في تحلية حياتهم بالسلوكيات الرفيعة ، و البلوغ بهم الى أعلى منازل العبودية و التقوى ، وحيث يتفانى صاحبها في إيجاد جو من الخلق العظيم الذي حمله الرسول ﷺ ، وصبغ أصحابه بصبغة الله الثابتة ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَه عَابِدُوْنَ ﴾

إن الاسلام يوجه أتباعه الى إخلاص العبادة و العمل لله سبحانه و تعالى ، و بقدر ذلك يضاعف الحسنة من عشر أمثالها إلى سبع مأة ضعف و هنالك تكون الحياة نموذجاً مثالياً للناس جميعاً ، يكتسبون منها القدوة ، ويسيرون على دربها لتحقيق الأمن و السعادة والرخاء و الحرية ، و كل حياة تكون لها هذا الشأن كم تكون عادلة معتدلة ذات قصد و اتزان ، و لكن العمل في رمضان يرتفع قيمته بحيث لا تأتي في عداد الحصر والتصور ، ذاك أن الله تعالى يخصه لنفسه و يتولى جزاءه بما لم تره عين و لا سمعته أذن ، و لا خطر على قلب بشر ، فكم ذا يكون تأثيره عميقاً و سريعاً في بناء الأمة الوسط العظيمة من أمة رمضان الصائمة القائمة لله تعالى ، و كيف تقوم هذه الأمة الوسط بدورها البناء في إعادة الثقة بمنهج الاسلام للحياة ، الى النفوس ، و تعظيم شعائر الله و إعلاء كلمته ، و بث الأمن و العدل و الرخاء و الاجتماعية الصادقة في المجتمعات الانسانية بأجمعها .

جاء في الحديث الصحيح القدسي عن رسول الله ﷺ قال : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مأة ضعف ، قال الله تعالى : « إلا الصوم فانه لي و أنا أجزي ، يدع شهوته وطعامه من أجلي » .

يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه « حجة الله البالغة » وهو يتحدث عن أسرار الصوم : « و الصوم حسنة عظيمة يقوي الملكية و يضعف البهيمية و لا شئ مثله في صيقلة وجه الروح و قهر الطبيعة و لذلك قال الله تعالى : « الصوم لي و أنا أجزي به » و يكفر الخطايا بقدر ما اضمحل من سورة البهيمية و يحصل به تشبه عظيم بالملائكة فيحبونه فيكون متعلق الحب أثر ضعف البهيمية ، وهو قوله ﷺ : « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » و إذا جعل رسما مشهورا نفع عن غوائل الرسوم ، و إذا التزمته أمة من الأمم سلسلت شياطينها وفتحت أبواب جنانها وغلقت أبواب النيران عنها ، و الانسان إذا سعي في قهر النفس و إزالة رذائلها كانت لعمله صورة تقديسية في المثال ، ومن أزكياء العارفين من يتوجه إلى هذه الصورة فيمد من الغيب في علم فيصل إلى الذات من قبل التنزيه و التقديس و هو معنى قوله ﷺ : « الصوم لي و أناأجزي به » .

هكذا كان لشهر رمضـــان العظيم دوره المميز في توطيد دعائم الحياة الاسلامية و تثبيت أركانها ، و كانت الأمة الوسط ذات صلة عميقة بما أودع الله تعالى في هذا الشهر من عوامل تكوينها و توجيهها الى معان كريمة من الجامعية و العدل و التوازن ، ذلك العنصر العظيم الذي إذا فقدته الأمة لم تقم لها قائمة ، و لا كان لها وزن على الصعيد العالمي .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ ﴾

ســـــــعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

مطالبة القرآن ، الانقياد التام و الاستسلام الكامل

(الحلقة الثانية الأخيرة)

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي

و قد بلغ بنا نحن المسلمين الحال إلى أن العقائد إذا كانت صحيحة و سليمة كانت العبادات ناقصة سقيمة ، و إذا سلمت العقائد و صلحت العبادات كلتاهما ، كانت في المعاملات خنادق كبيرة ، ليست ثلمة واحدة و لا خلل بل خنادق و فجوات و خلجان هائلة .

قلت خلال محاضرة لي في الشارقة ، أنتم أعرف بهذا الخليج الذي تعيشون على ساحله بالنسبة إلى الآخرين، ولكنكم لا تعرفون إلا نوعا واحداً من الخلجان وهو هذا الخليج الذي يفصل جزيرة العرب عن إيران و بينهما ماء ، لكن هناك خليجاً آخر أكثر خطراً و أطول مدى ، و أشد عمقاً من خليجكم و هو الخليج الذي وقع بين الاسلام و المسلمين ، و أن هناك خلجاناً و فجوات بين الاسلام و المسلمين في العقائد و العبادات ، فكم من المسلمين الذين ينطقون بالشهادتين ، و لكن لا علاقة لهم بالصلوات ، و منهم من إذا صلحت عقائدهم و عبادتهم ، ولكن يخرجون المعاملات ، والأخلاق والمثل عن حياتهم، يكذبون، ويخونون ، ينقصون المكيال و الميزان ، يغشون و يحلفون بالزور لترويج متاجرهم و سوقهم ، ويغتصبون حقوق الآخرين، فلا يأخذهم الحياء، ولا الغيرة ؟ لأنهم لا يعدونها من الدين.

وكم منهم من لا يرعى حقوق الوالدين ، و يدوس حقوق الأهل والعيال ، ولا علاقة لهم بالجيران ، فلا صدق في قولهم و لا حلاوة في لسانهم ، يشكوهم من يسكن حولهم من الجيران ، أو على الأقل لا يشكرهم لأجل صنيعهم .

و كم منهم من لا يفرق في السياسة و المعاملات بين عدو الله و خليله ، و لا يميز بين الخير و الشر ، و لا بين الصالح و الفاسد ، و لا بين المتدين

و المقيد ، و قد قال الله عز وجل : « و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » (١) أى لا تميلوا إليهم ، و قد استخدم القرآن لفظ الركون و هو أدنى الميل ، فضلا عن الموالاة و المناصرة ، فلا تركنوا و لا تميلوا إلى الذين جعلوا الظلم شعارهم ، و تخطوا حدودهم و جاوزوا خط الاعتدال ، و داسوا كرامة الحقوق ، و جعلوا الدنيا أكبر همهم ، و مبلغ علمهم ، و تجردت قلوبهم من خشية الله ، وهم أصبحوا عبيد المال والثروة ، عبيد الدرهم و الدينار عبيد القطيفة و الخيصة ، عبيد الجاه و المنصب ، و لا يهمهم إلا شأنهم ، إن كلمة « ظلموا » تشمل هذه الأمور كلها ، ولعل هذه الآية تكون جديدة فى حق بعض المسلمين ، إنها لم تنهنا عن المبايعة على أيديهم والخضوع أمامهم ، بل نهتنا عن الركون والميل القليل إلى هؤلاء الذين جعلوا الظلم سمتهم و شعارهم .

فكم من المسلمين من يعتبر هذه الأمور جزءاً من الدين ، إنهم يقولون : إن هذه الأمور من الحياة ، و لا علاقة لها بالدين ، فهات ما عندك من نصائح دينية ، ولو تكرمت ببيان ما هو الأجر والثواب فى قراءة هذه الأوراد أو تلك ، و هذه الأدعية ، لكنت جديراً بها ، و أطعناك فيها ؛ أما مظاهر الحياة والسلوك فنحن أحرار فيها ، نفعل فيها ما نشاء ، لا نفكر بما يلحق الضرر بنا أو بديننا إذا قمنا بموالاته ، و لا نكترث بما يأتى به التقصير فى سبيل الدين أو يحدث نقص فيه إذا قمنا بمعاداته ، فاننا نزعم أنه لا علاقة لهذه الأمور بالدين .

إخوانى ! نحن عباد الله فى الامور كلها ، فينبغى لنا أن نكون ممتثلين للأوامر الالهية و متمسكين بها كلياً ، و كذلك يجب أن نكون مهتمين بإخواننا المسلمين ، و أن ندعو لعلو الاسلام و غلبته فى العالم و ننصره بفكرنا و جهدنا ، فلا يجدو بنا أن نكون من العباد الزاهدين و من المتدينين المتشرعين من غير الاهتمام بأمر الاسلام و المسلمين ، فلا يهمنا أمر المسلمين أين يذهبون ، و أين يروحون ،

(١) سورة هود ، الآية : ١١٣ .

و كيف يمتحن الاسلام ، و ما هى القضايا آلتى يعانى منها المسلمون ، و ما هى الدول التى أضيب فيها الاسلام بالانحطاط ؟ وقد جاء فى الحديث : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى » .

و لقد وسع الله الرزق و أنعم على هذه البلاد ، بارك الله فيها فلا أغتبط فيها ، و لكن يجب عليكم أن يهمكم أمر المؤسسات فى بلدانكم التى تنحدرون منها ، و أمر الأمة الاسلامية التى تتوجع لأجله ، إنكم تقدرون على أن تحسوا تلك الحرارة التى اشتعلت فى هذه البلاد — بما فيها باكستان والهند — و أنتم أبناؤها و أفلاذ أكبادها ، و لو رحل إليها عبد من عباد الله الذى رزق فهماً سليما ، و إدراكاً صحيحاً ليحس تلك الحرارة فى ذلك الجو الذى قام فيها الدعاة إلى الله كالشيخ معين الدين الجشتى ، والشيخ قطب الدين بختيار الكاكى ، والشيخ عبد الباقى بأنفاسهم الطيبة ، و يشعر بندى دموعهم الطاهرة فى تلك الأرض و إن كانت فى داخلها ، و إن شجرة الاسلام التى نراها قائمة على قدم و ساق ، تورق و تثمر رغم المراحل الصعبة و العقبات التى اجتازتها ، ترجع إلى هؤلاء الدعاة المصلحين ، ونحمد الله عز وجل على بقائها و ازدهارها ، لا بد أن توجهوا اهتمامكم إلى قضايا بلادكم الاسلامية و مؤسساتها الاسلامية ، و أن تفكروا فى مسألة الجيل الناهض و بقائه على إسلامه ، و إذا دبرتم خطة لصيانة اولادكم و هيأتم لهم الجو اللائق فنهنئكم ونرحب بكم ، ولكن لا ينبغى لأحد أن ينسى مولده ووطنه وأقاربه وذويه .

نشكر الله عز وجل و هو الرزاق ذو القوة المتين يرزقكم هنا و يرزقهم هناك ، وهو قادر على أن يرزقهم أكثر منكم ، وقد هيأ لكثير من سكان تلك البلاد أضعافاً مضاعفة ، فلا ألفت أنظاركم إلى منظمة أو مؤسسة معينة للدعم ، و لكن يجب عليكم أن توجهوا اهتمامكم إلى تلك الملة الاسلامية التى تعيش فى أوطانكم وإلى إيمان النشء الجديد ، وأن تهتموا بما يحيط بها من تحديات ، ويخطط

لها من برامج يشاهدونها على الشاشة ، فان مسلسلات راماتن استمرت شهوراً ، و قد أخبرني شاهد عيان أنه رأى في مدرسة أن المصاحف بقيت مفتوحة و هي موضوعة على كراسيها ، و الطلبة غائبون ، و عند ما سئل أساتذتهم أين ذهب الطلبة ؟ قالوا : اليوم يوم الأحد و هو موعد الرواية المسلسلة لراماتن ، هذه قصة ولاية « بيهار » التي أنجبت العلامة محب الله البهاري (١) الذي كان رأس العلماء، وأستاذ العلماء، وإمام العلماء، وكم أنجبت هذه الولاية من العلماء الربانيين.

لا بد أن يكون اهتمامكم ببلادكم اهتماماً فكرياً ، لا أقول أن يكون هذا الاهتمام اهتماماً اقتصادياً فحسب ، بل يكون عقلياً ، و تكون قلوبكم متألمة على الأحوال والظروف ، هل يبقى النشء الجديد على الاسلام أم لا ؟ إن هذه الأرض قد أنجبت مجددين للدين لم تنتفع بهم الهند فحسب ، بل نفع الله بهم العالم ، أستطيع أن أقول في ضوء التاريخ : إن الامام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، المشهور بمجدد الألف الثاني بلغ نفعه إلى تركيا ، و لم يزل تلاميذ تلاميذه موجودين فيها ، سافر الشيخ خالد الرومي إلى دهلي —وقد قيد قصته— فيقول : إني سألت القافلة التي جاءت من الهند حينما كنت في مكة المكرمة أيام الحج ، عن الشيخ الكبير غلام علي النقشبندي ، فأبدوا عدم معرفتهم فقضيت العجب منهم على أنهم لا يعرفون مثل هذا العالم الرباني الجليل، فسافر إلى دهلي ، وأقام عنده مدة من الزمن ، و قرض قصائد مدحية له في العربية و الفارسية ، و رجع من الهند بعد إكمال مقصده و بغيته ، فاستقبلته بلاد العراق على بكرة أبيها ، و تقاطر العلماء عليه كتقاطر الفراش و الهوام على النور للحصول على تلك السعادة التي أتى بها من الديار الهندية ، و الاستنارة بذلك النور الذي اكتسبه فيها ، و ساقه إلى بلاده ، هذه هي بلادكم فلا تغضوا البصر عنها .

(١) مؤلف كتاب «مسلم الثبوت» في أصول الفقه ، «وسلم العلوم» في المنطق ، و قد عكف علماء الهند على تدريسهما و شرحهما ، و اعتنى علماء الأزهر بكتاب « مسلم الثبوت » تدريساً واستفادة.

إخوانی ! إن من أولى الأولیات أن تکون ثقتکم قویة بأن هذا الدین کامل عقیدة فاستمسکوا بها ، لأن الانحراف عنها کالارتداد عن الدین و واظبوا علی تلك الفرائض المعینة لأنها لا تکون الشقاوة أکثر من أن تقیموا هناك من غیر أداء الصلوات و للمواظبة علیها ، و یتحتم علیکم کذلك أن یکون مجتمعکم إسلامیاً حتی لا یکون من المعقول أن تقیموا فی هذه الأرض المقدسة ، ویجری التلفزیون فی بیوتکم کل وقت یراه أولادکم فی أوقات الصلوات، یقول الله تعالی : « و من الناس من یشتری لهو الحدیث لیضل عن سبیل الله » (۱) یبدو أن القرآن ترك هذه الأسماء: الفیدیو ، والتلفزیون لأنه فی لسان عربی مبین لا یمکن الاتیان بکلمة انجلیزیة، لکن من الاعجاز القرآنی العجیب أن الکتاب الذی نزل قبل أربعة عشر قرناً أشار إلی ما ینطبق علی الجهاز المستعمل الیوم ، و لو قلت : إنه یعنی الفیدیو ، و التلفزیون لما أخطأت ، لأنه قال فیه « من یشتری لهو الحدیث » فان المتذوقین للغة العربیة و بلاغتها فی کل بلد یتذوقون بـ « لهو الحدیث » إن الذوق الأدبی یسوق إلی آفاقها و أبعادها ، فانه یصعب علی أن أترجم هذه الکلمة إلی اللغة الأردیة بالضبط ، رغم کونی من أبنائها و أصحابها ، ما هی وظیفة الفیدیو ، والتلفزیون ، وما هو شغلهما؟ إذا کان أحد یعجبه اللعب یشتریه ، فهل لا تدخل فیه هذه الأجهزة ، الفیدیو ، و التلفزیون ، التی قیل لها « لهو الحدیث » ، و لو ادعیت أن القرن الأول و الثانی إلی السابع و الثامن ، حتی لو قلت إن ذهن أکبر عالم فی العصر الماضی لم ینتقل إلیه لما أخطأت .

و هذا من الاعجاز القرآنی ، ما هو « لهو الحدیث » ؟ هذه المسلسلات المرئیة و التصاویر الناطقة ، و الأصوات المسجلة کلها من « لهو الحدیث » هل کان فی استطاعة أحد أن یتصور قبل أربعة عشر قرناً مثل هذا الجهاز حینما لم یعلم به أحد فضلا عن اختراعه وإبداعه ، ولکن کتاب الله قد قال: إن هناك رجالا

(۱) سورة لقمان ، الآیة : ٦ .

يشترون « لهو الحديث » و هو اللهو الذى لا يحصل للانسان و لا يملكه إلا بالشراء و بذل النقود .

إخوانى ! قوا أنفسكم و أهليكم منها ، و صونوا بيوتكم على الأقل ، يجب أن تكونوا مسلمين كاملين فى الاسلام عقيدة و سلوكا و إذا ما بلغتم الكمال هنا ، فمن أين يأتى إليكم الكمال ؟ و أقول بصراحة بعد طلب العفو منكم أنكم إذا رجعتم إلى الهند فى إجازة أو إلى أوطانكم شهد غير المسلمين على أن الذين جاءوا هم قادمون من بيئة صالحة مباركة ، لأن سيماهم فى وجوههم من النور ، و حلاوتهم فى نطقهم من الايمان ، والاحترام والحرمة فى عيونهم من الحياء و الحشمة لأنهم جاؤا من الجزيرة العربية ، لا أن يعرفكم هؤلاء و يعيرونكم من غيركم أنكم جئتم بالعفش الثمين الزائد ، و الكماليات و التحف فيتبعوكم لاختطافها منكم ، لأنها ذات قيمة تجذب الانظار ، فاذا كان لابد أن يعرفكم هؤلاء بسيما وجوهكم وآثار سجودكم ، و نور جباهكم ، و حلاوة نطقكم ، و نصحكم و أناتكم لا من ملابسكم وشنطكم ، و لا بد أن تتغير أجواء بيوتكم و يتأثر بكم أهلكم و عيالكم حتى تجرى فيها تلك السنن النبوية التى لم تكن باقية فيها و أن تتلى فيها الآيات القرآنية التى لم تكن البيوت متعودة عليها حتى يقول هؤلاء : إن أولئك جاؤا من مكة ، ومن المدينة ، ومن الأرض المقدسة فلا تشتغلوا بالراديو ، والتلفزيون ، لكى لا يقول هؤلاء : إن رجالا جاؤا من مكة والمدينة ومن عادتهم مشاهدة التلفزيون ، فافتحوا أمامهم الفيديو ، و التلفزيون ، فانه لا يليق بكم و لا بشأن هذه الأماكن المقدسة ، بل هو انتهاك لحرمتها ، و حط من شأنها ، و نيل من كرامتها ، فانه أحرى بكم أن تزيلوا هذه المنكرات الشائعة حتى يستحيوا منكم ، فلا يشتغلوا بهذه الأمور .

و حيثما رحلتم ، فكما أن النور يبدد الظلمات وتتقشع السحب الكثيفة به ، تظهر صوركم كالأضواء النيرة فى بحر الظلمات ، فلا بد أن تتغير حياتكم قبل الرحيل من هذه الأماكن المقدسة .

فهل عرفتم كم من الناس دخل فى الاسلام بعد صلح الحديبية فى أربع سنوات ما بين فتح مكة وحجة الوداع، يقول الامام الزهرى: إنه لم يسلم فى مكة المكرمة فى ثلاث عشرة سنة وفى المدينة المنورة فى عشر سنوات مثلما أسلم فى فترة صلح الحديبية ، فيبين سبب هذا الاسلام أن الباب فتح عليهم بعد صلح الحديبية لجاء رجال من قريش من مكة إلى أقاربهم فى المدينة المنورة فشاهد أهلهم لياليهم فتحيروا و قالوا إنهم فى عالم غير ذلك العالم ، إنهم يستيقظون مبكرين و معهم صبيانهم لا يعرفون اللغو فضلا عن الكذب ، لا ينطقون إلا بذكر الله و رسوله ، إنهم يطعمون أضيافهم إيثاراً و ينومون أطفالهم جائعين ، فتسارعوا إلى الاسلام لأنهم شاهدوا صورة الاسلام النيرة بأم أعينهم .

إخوانى ! يجب أن ينتشر بكم الاسلام فى أوطانكم وإذا قمتم لهم بالمراسلات الخطابية و بالعلاقات الأخرى أو قابلتموهم بالذهاب إليهم ، لكان وقعكم عليهم طيباً ويظنوا أنكم جئتم من تلك البلاد ببركات ورحمات، ورافقتكم نفحاتها الطيبة المباركة .

لا أريد أن أطيل عليكم فينبغى أن ترتسم هذه الآية الكريمة على ألواح قلوبكم : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم » إن القرآن الكريم أتى بلفظ « خطوات » جمعاً ، ما يشير إلى كثرتها ، فتشمل الأمور الاعتقادية ، و التعبدية ، و الأخلاقية ، و الثقافية ، و السياسية ، و لو كان مجتمعنا خالياً عن هذه الأمور لما وقع الفساد و الفوضى الذى يقع فى كثير من المجتمعات ، لأنه لم يبق فرق بين الصالح وغير الصالح ، وبين التدين و غير التدين ، و بين أن ينهج المنهج الشرعى و ينهج المنهج غير الشرعى .

وفقكم الله لما فيه خيركم و يتقبل منكم ، و ينعم عليكم بأفضاله و بركاته ، و يرزقكم أن تذهبوا بهذه الأفضال و البركات إلى بلادكم التى ثبت حقها عليكم و سيدوم هذا الحق و إن استوطنتم مكاناً آخر ، و بلداً بعيداً .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

مكانة الأخلاق و المجتمع و القانون فى كيان إسلامى

بقلم : الدكتور أنيس أحمد

البروفيسور و رئيس قسم العلوم المنزلة الاسلامية و التراث ،
الجامعة الاسلامية العالمية — مليشيا

تعريب : الأستاذ آفتاب عالم الندوى

إن القانون و الأخلاق فى بيئة غير إسلامية بمثابة دوائر تكاد تمثل صنوفاً و درجات مستقلة ، و إن عملا يمكن أن يكون خليعاً ، و لكن لا يجب أن يدعو ذلك إلى معرفته شرعياً ، و الخطيئة و الجريمة فى مثل هذه البيئات تشكلان هويات مستقلة ممتازة ، و القانون الجنائى — حسبما تمت صياغته بأيدى الاستعمار البريطانى ، و حسبما تمت ممارسته فى باكستان قبل أن تفرض فيها الحدود الاسلامية — لا يعتبر الزنا جريمة شرعية إلا إذا خلا عن موافقة الزوج ، و بذلك فالزنا يمكن أن يكون عملا مستهتراً خليعاً على أوسع تقدير ولكن لا يمكن أن يعتبر محظوراً غير قانونى فى ذلك الكيان القانونى .

و يلاحظ مثل ذلك أن اختيار شخص للوالدين الآخرين فى بيت أى مواطن عريق و رفع المساعدة المالية عنهما لا يعتبر منافياً للأخلاق و الفضيلة فى كثير من المجتمعات الغربية أو المتغربة ، إن الأخلاق و القانون الذين أفاضهما القرآن و بسطتهما السنة لا يضعان المثل و القيم الخلقية فى مقصورات صامدة منيعة « غير أخلاقى » و « غير مشروع » فإنما الأخلاق أساس يقوم عليه بناء المجتمع ، إن القانون لمن أعظم و أهم الوسائل التى تتكفل بصيانة أساسه الخلق ، و انطلاقاً من هذا الكيان الخطير الهام نجد أن حديثاً نبوياً يخبرنا عن شخص يشتكى من ابنه الذى كان قد رفض المساعدة المالية لوالده ، و كان والده لا يتمتع بأى وسيلة من

وسائل كسب المعاش ، فصرح النبي ﷺ بأن الوالد له الحق المشروع لأن ينتفع من مكاسب ابنه و أن يستعملها و يتصرف فيها .

إن هذا الحكم النبوى يحمل نتائج هامة بعيدة المدى ، فانطلاقاً من هذه الناحية ينبغي أن نبدى قلقنا و نركز اهتمامنا على البحث فيما هو شائن غير لائق بالعلاقات الانسانية و العلائق البشرية فى البيئة الاسلامية ، و ماذا يمكن أن يكون من النتائج القانونية لمثل هذا الاهدار الشنيع للكرامة و الفضيلة ، فالقانون فى بيئة إسلامية فى آخر الأمر جلاء الفضيلة و الأخلاق .

موضوعات القانون و أهدافه : الأخلاق تلعب دوراً ريادياً فى ترقية القانون الاسلامی و تنميته ، و الغايات التى تتوخاها الشريعة أساسياً هى القيم و المثل الخلقية التى تحدد سلوك المجتمع الاسلامی و تمهد السبيل لتطور القانون و المجتمع ، هذه القيم الأساسية ضمان بالبقاء و الحفاظ على الحياة و الدين و العقل و المال و النسل .

و على غرار ذلك فلسفة العقاب فى الاسلام ، فان من أهم و أقوى دوافعها أن عملا خليعاً مستهتراً لا ينبغى أن يمضى غير مكبوح ، و قد استعمل القرآن لمثل هذا العمل مصطلح « الفحشاء » فى عامة الأحوال ، من هنا لجميع ما هو خليع و فاحش وكل ما هو شر و خطيئة يحتاج إلى أن يوضع له الحد و يكبح جماحه بالوسائل المختلفة من التفهيم و الحث و القانون .

و جميع ما هو معروف و حسن خلقياً يجب أن يدعى إليه و يروج و يشاع ، و جميع ما يتنافى مع المعروف فهو منكر و عمل شنيع فيجب أن ينفى من المجتمع و يزال ، و لأجل ذلك يحتل المعروف مكانة حجر الزاوية للتعامل و السلوك الفردى و العائلى و الاجتماعى ، إن النظام الاجتماعى الذى يبتنى على المعروف ليتكفل بتوفير الحقوق الشخصية و الاجتماعية لكل من يعيش فيه ، و انتهاك هذه

القاعدة و معارضتها أيضاً جناية قانونية سواء كانت فى الواقع معروفة لدى الناس أو غير معروفة .

يشكل كل من الأخلاق و القانون و المجتمع وحدة مترابطة متكاملة تماسك أجزاؤها و تتصل حلقاتها، فان فصل واحد منها لا بد أن يؤدى ذلك إلى تشتت الوحدة و فقدان الاتزان، أو ما تعبر عنه الشريعة الاسلامية بنقص العدل و القسط و الاتزان، فكل منها يدفع الآخر إلى الأمام و يعاضده و يتكاتف معه فى تطور نظام اجتماعى إسلامى .

و انطلاقاً من ذلك تتطلب منا بعض الاجراءات القانونية التى يمارسها الاسلام وهى تبدو فى بادىء النظر عنيفة قاسية أن تتفهمها و نسبر أغوارها و أسرارها بصدد معرفة النظام الاجتماعى الذى يستهدف الاسلام إنشاءه و تأسيسه . و يمكننا أن نقول هنا قبل أن نخوض فى البسط و التفصيل أن الاسلام يضغط — تحقيقاً لهذا النظام الاجتماعى — على إيجاد أسرة متماسكة مترابطة ناجحة، يعلوها جو من الهدوء و الحب و الحنان ، و تغشاها سحابة من الرأفة و الاخوة و الوئام ، من هنا فان جميع العوامل و النزعات و الميول التى تقلل من قيمة هذا الترابط و التماسك و الحيوية و تقدح فيها يثبطها الاسلام و يعرقل مسيرها و يضع لها الحد قانونياً ، و من الناحية الايجابية يشجع الاسلام كل فرد من أفراد المجتمع و يحثهم و يدفعهم بقوة و انتعاش نحو جميع ظواهر السلوك و الشئون و العمليات الانسانية التى تساعد على إنشاء أسرة مثالية .

و بالنسبة لحرية الفرد و أهميته فى عداد المجتمع يحدد الاسلام دوره فى أسرته و مجتمعه الذى يعيش فيه ، و لأجل ذلك يقترح الاسلام إجراءات قانونية صارمة ضد الأفراد و الجماعات التى تنتهك قداسية الأسرة على المستوى الفكرى

أو الاقتصادی أو الخلق أو الشخصی أو الجماعی، و العقوبات الاسلامية التی تبحث فی الحدود و القسط و القضاء و الدرقة و الحرية يجب أن تكون قاسية لا تعرف الهوادة، لأنها تستهدف صيانة المثل الاسلامية الأساسية، ولا يخفى أن العقوبات تتضاعف و تزداد عنفاً و قسوة بالنسبة إلى خطورة انتهاك أی قاعدة اجتماعية، و القانون فی عامة الأحوال لا يدخل عنوة فی سرية أحد، فما دام أی عمل خاطئ شخصياً، ولا يخشى منه أن يشكل خطراً يهدد بالمصالح الاجتماعية فلا داعی لدى الاسلام إلى إجراءة قانونية، على أن وسائل الحث و الاقناع و التفهيم قد تسبق إجراءة قانونية، و تتقدم عليها فی كثير من المناسبات.

الكذب على المستوى الفردی كبيرة من الكبائر، و لكنه إذا اتخذ صورة القضاء و تجاوز إلى حده، فان القانون لا يتغاضى عنه بل يستجيب لذلك و يؤكد بأنه إما أن الدعوى تبتنی على الصحة و الواقعية أو يأخذ المتهم درساً من ذلك و يلقى العواقب الاجتماعية و القانونية لجنايته التی باشرها من غير شعور بالمسئولية.

إن هذه النماذج لكفيلة بأن توضح كالشمس فی رابعة النهار أن قسوة أی معيار و قانون تنسجم مع طبيعة الاهدار و الانتهاك بصورة مباشرة.

و بعبارة أخرى بدلا من اتخاذ طريقة سلبية و دفاعية تنقصها الموضوعية و الواقعية و بدلا من استخدام محك القانون العام المعروف للتوصل إلى الاتزان و الانسجام و الكياسة التی تتمتع بها العقوبات الشرعية الاسلامية، إننا نحتاج إلى أن نختار طريقة علمية لتفهم الطريقة الاسلامية فی علاج السلوك البغيض، فان القانون العام المعروف الذی لا يؤدی بالضرورة إلى الكرامة و الفضيلة ربما يعتبر مثل هذا الانتهاك مقبولا غير بغيض نسبياً.

هذه النكتة الأخيرة تتجلى أكثر عندما نسرح أطرافنا فی نظارة القانون العام

المتغيرة نحو عدد من الجنايات مثل الزنا و اللواطة، فما كان يعد حتى الأمس عملا بغيضاً فاحشاً عاد اليوم مستحسناً مقبولا ، و نال الشرعية و التبرير فى عدة من الدول الغربية المنطلقة «المتنورة» فالأخلاق الغربية و القانون العام لم يقتصرا على تكييفهما مع التدهور الخلقى السريع الانتشار و الخلاعة الفاشية، و إنما بلغ بهما الوقاحة إلى تحديد معنى الفضيلة و الأخلاق و تعريفهما من جديد ، فكثير من الكنائس المسيحية أغمضت عيونها و تغاضت عن المزاولة الخليعة للواطة، و ذلك عن طريق التقديس و التحبيذ بالزواجات اللوطية من القسيسين و البابوات فى كنائسهم و أديرتهم ، مما أدى إلى انسجام القانون و توافقه تماماً مع الأفكار الاجتماعية ، فالطريقة المتناسبة التى تتمثل فى فلسفة القانون لدى الغرب لا يمكن أن تستخدم كمحك و معيار لمعرفة ما تتمتع به الشريعة الاسلامية من القيمة و الخطورة و دقة الصناعة و حسن الاتزان و روعة الانسجام ، و شتان ما بينهما .

قانون الحدود الشرعية و التميز الجنسى :

قد اعتبر قانون الحدود لسنة ١٩٧٩ و قانون الشهادة لسنة ١٩٨٤م معاكساً و متعارضاً مع الميول و الرغبات الأساسية للمرأة فى باكستان ، حسب تصريح المنتقدين على قانون الحدود ، كان الوضع قبل أن يتم تشريع هذا القانون أن المرأة إن تورطت فى «الزنا بالرضى» فقد كان هذا العمل خليعاً و منافياً للأخلاق لدى بعض الأصوليين الرجعيين المتزمتين ، و لكن ما دام زوج هذه المرأة المتزوجة المقترفة للزنا بالرضى راضياً بذلك غير معترض عليه لم يكن عمل المرأة داعياً إلى اعتباره خلاعة قانونية .

فبما أن قانون الحدود يحرم المرأة هذا «الحق الانسانى» فهو إذن مميز ضد المرأة ، و لنتوجه مباشرة إلى دعاة هذه الفكرة، و لنترك الكلام لهم يبينون لنا حقيقة هذا الأمر .

تقول إحدى الداعيات المعاصرات لنظرية المساواة بين الجنسين وهي تسلط الضوء على هذه القضية ، تقول :

قبل هذا القانون (أى فرض الحدود سنة ١٩٧٩) كان القانون المطبق السائد فى باكستان هو قانون العقوبات الباكستانى لسنة ١٨٩٨ ، ولم يكن الفسوق و الزنا وفق هذا القانون من الجنايات ، و ذلك أن المباشرة الجنسية بالرضى التام بين رجل و امرأة يكون كلاهما وحيداً لم تكن تعد جناية ولم تكن عرضة للعقوبات.

كان الزنا أساسياً جناية ضد الزوج ، و كان قانون العقوبات ينص على أن الزنا إنما يكون جناية قانونية إذا تمت مباشرته بدون أن يتغاضى عن ذلك زوج المرأة المتورطة فى الزنا ، فاذا سمح الزوج لأى رجل بأن يمارس المباشرة الجنسية مع زوجته وهى راضية فلم يكن الزنا عرضة للعقوبة ، و إضافة إلى ذلك لا يمكن أن تحفظ أى شكوى للزنا فى الملف إلا بزوج ضد رجل آخر ، وينص جزء ١٩٩ لقانون الاجراءة الجنائية على أنه لا تتمتع أى محكمة بامكانية النظر فى دعوى الجناية إلا إذا تم رفع الشكوى من قبل زوج المرأة أو نيابة عنه (١) .

و تستمر قائلة فتلسط الضوء على التبرير الاقتصادى لمنح المرأة «بحق» الزنا أو الخلاعة و الفجور ، حيث تقول :

النساء — حتى اليوم فى باكستان سنة ١٩٨٥ — يعتمدن فى معظم الأحوال بقدر كبير اقتصادياً و اجتماعياً على أقربائهن و أنسبائهن ، على آبائهن و إخوانهن قبل الزواج و على أزواجهن بعد الزواج ، هذا الوضع للخضوع و الاعتماد و الاستعباد ربما يحول النساء مسلوبة القوى فى أيدى أوليائهن الرجال ، فكثير من الأحداث و الوقائع تشير إلى أن النساء تحولن من ولى رجل إلى آخر بالزواج أو بدون الزواج

(١) رشيده باتل « أسلحة القوانين فى باكستان » (كراتشى : مطبعة فيضه) ١٩٨٦ ص ٤١ .

وعشن فى الزنا أو الخلاعة و الفجور، ولم يكن ذلك بدافع من رغبتهن الشخصية فى مثل هذه الحياة للخلاعة و الفسوق، بل السبب فى ذلك إنما يرجع إلى الأوضاع و الملابسات القاسرة التى دفعتهن إلى ممارسة هذه الحياة الخليعة، فاعتبار النساء قابلة للعقوبة لأجل الزنا أو الخلاعة فى مثل هذه الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية قد تسبب فى قسوة شديدة عليهن ، إن مشرعى قانون العقوبات لسنة ١٨٦٠ قد استثنوا النساء بغاية من الفطنة و الذكاء من كونهن قابلات للعقوبات باقترافهن للزنا و الفجور نظراً إلى أنهن يعجزن عن حفظ أنفسهن عملياً و قانونياً ، فالمناعة و الصيانة التى يوفرها قانون العقوبات قد تتعارض و تتنافى مع قرار الزنا (١).

استغلالا و تذرعاً بأن قانون العقوبات لسنة ١٨٦٠ الذى تم تشريعه فى باكستان بيد الاستعمار البريطانى يسمح بحق الممارسة لحياة الخلاعة و الفجور و يعتبر مثل هذه الحياة البذيئة قانونية بل و دينية و أخلاقية أيضاً ، تذرعاً بذلك يعترض المحامون « لمساواة المرأة » بعبارة أخرى على قانون الحدود ، و يحتجون على ذلك بأنه يجعل النساء قابلة للعقوبة على الزنا و الخلاعة (٢) و يؤدى إلى ضراوة شديدة و قسوة بالغة عليهن (٣) .

و حماية و صيانة لقانون عقوبات ١٨٦٠ الذى تم تشريعه بأيدى المستعمرين البريطانيين فى باكستان يؤكد دعاة « المساواة » بأن قانون الحدود يسلب النساء حقهن الانسانى » للتمتع بالفجور و الخلاعة المنطلقة ، و يعتقدون — إضافة إلى ذلك — أن قانون العقوبات سيحرم النساء أيضاً من التكسب و الارتزاق بالاتجار بأبدانهن ، فهو بذلك يشكل لهن عقبة اقتصادية كبيرة . « يتبع »

(١) نفس المصدر ص ٤١ ، ٤٢ . (٢) نفس المصدر ص ٤١ ، ٤٢ .
(٣) نفس المصدر .

الاستشراق و مواجهته
فى مجال العقيدة الاسلامية
(الحلقة الثانية)

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر و قطر

و لاشك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية ، التى تقدم المدد للتنصير و الاستعمار ، و العمالة الثقافية ، و يغذى عملية الصراع الفكرى ، و يشكل المناخ الملائم ، لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الاسلامى ، و إخضاع شعوبه .

فالاستشراق هو المنجم ، والمصنع الفكرى ، الذى يمد المنصرين و المستعمرين ، و أدوات الغزو الفكرى ، بالمواد التى يسوقونها فى العالم الاسلامى ، لتحطيم عقيدته ، و تخريب عالم أفكاره ، و القضاء على شخصيته الحضارية التاريخية (١) .

لقد تطورت الوسائل ، و تعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة ، و يكفى أن نشير إلى مراكز البحوث و الدراسات ، سواء أكانت مستقلة أم أقساماً للدراسات الشرقية ، فى الجامعات العلمية ، وما يوضع تحت تصرفها من الامكانات المادية ، أو المبتكرات العلمية ، و الاختصاصات الدراسية ، تمثل الصور الأحدث فى تطور الاستشراق ، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع و الرصد ، لما يجرى فى العالم يومياً (٢)

---

(١) المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٩ .

فى القارة الأمريكية وحدها ، حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث و الدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الاسلامى ، و وظيفة هذه المراكز ، تتبع و رصد كل ما يجرى فى العالم ، و من ثم دراسته و تحليله ، مقارناً مع أصوله التراثية التاريخية ، و منابعه العقدية ، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار ، لتبنى على أساسه الخطط ، و توضع الاستراتيجيات الثقافية ، والسياسية ، و تجدد وسائل التنفيذ (١) .

و إن الباحث فى مؤسسات الاستشراق ، و وسائلها المختلفة ، يجد أنها استطاعت ، أن تؤثر فى العقلية الاسلامية ، فهذه دائرة المعارف الاسلامية تعد أكبر مصدر للعلومات ، و الحقائق الاسلامية ، و أثمن ذخيرة لها ، و تعتبرها بعض البلاد الاسلامية اليوم ، أساساً للعلومات الاسلامية ، و تقوم بترجمتها إلى إلى لغاتها بنصها و روحها (٢) .

و لقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية ، فى فرض شكليتها و آليتها على التحقيق ، والتقويم ، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربى الاسلامى ، و يمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث ، قد سارت على هذا المنهج فى التاريخ ، و الأدب و غيره . . . . و لم تتجاوزه إلا فى القليل النادر ، و انتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها ، و متبنية لوجهة نظرها ، و مدافعة عن المواقع الثقافية التى احتلتها ، حتى الجامعات ، و المؤسسات العلمية ، لا يزال

(١) المصدر السابق ، عدد ٢٧ ، ص ٩ .

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوى ، الاسلام و المستشرقون ، مجلة المنهل : عدد ٤٧١ ، ص ٢٦ .

الخضوع و الاحتكام للقوالب الفكرية ، التى اكتسبها بعض المثقفين العرب ، من الجامعات الأوروبية (١) .

و بجانب كل هذا فان الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الفكرى الاسلامى ، ومحاولة تشكيل العقل المسلم ، وفق النسق الغربى الأوروبى ، و انجاب تلامذة من أبناء العالم الاسلامى ، لممارسة هذا الدور و التقدم باتجاه الجامعات و المعاهد ، و مراكز الدراسات ، و الاعلام ، و التربية ، فى العالم الاسلامى ، لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج ، والمرجع ، والمصدر ، و الكتاب (٢) .

و مما يلحظه الباحث بوضوح : أن عمليات الاستشراق و التغريب ، لم تستسلم ، و لم تلق السلاح . . لكن لما أعياها السعى ، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها ، و طروحاتها ، و عدم إمكانية القبول لها فى العالم الاسلامى ، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة و العلة ، فى بنية العقل المسلم أصلا ، لتأتى على البنيان الاسلامى من القواعد ، و ترسب فى النفوس أن السبب فى التخلف ، و العجز ، و التخاذل الثقافى ، و عدم القدرة على الابداع ، و قبول الفكر الغربى ، هو فى بنية هذا العقل ، و تكونه ، و ميراثه الثقافى .

فهو عقل مولع بالجزئية ، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء ، و هو عاطفى يحب الاثارة و الانفعال ، و يعجز عن الفعل ، و هو محكوم أيضاً بموروث ثقافى ، لا يستطيع الفكاك منه ، فهو لا يفكر بطلاقة ، و حرية ، لأنه محكوم بوحى مسبق ، و هو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجى ، و يعجز عن التفكير الاستقرائى ، و هو معجب بالمنهج البيانى ، و عاجز عن المنهج البرهانى ، و هو

(١) الأستاذ عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة العدد رقم ٢٧ ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

يخلط بين الواقع المعاش ، و المثال الخيالى ، و صاحبه يحب الثأر ، و يغرق فى الملذات ، و أن الاسلام الذى يكون هذا العقل هو دين أمر ونهى ، و زجر وكبت للحرية ، وإلغاء للاجتهاد ، الأمر الذى أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية ، و القدرة على الابداع (١) .

و لابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ، و وجوده نفسه مشروط بعجز العالم الاسلامى عن معرفة ذاته ، فالاستشراق فى حـد ذاته كان دليل وصاية فكرية ، و يوم أن يعى العالم الاسلامى ذاته ، و ينهض من عجزه ، و يلقى على كاهله أثقال التخلف الفكرى و الحضارى ، يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة و خاصة الاستشراق المشتغل بالاسلام ، و يومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه، لا فى أوروبا ، ولا فى العالم الاسلامى ، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا ـ أيا كان هذا ـ أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا (٢) .

و إذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية ، فان علينا من ناحية أخرى ، أن نتحرر من عقدة التخلف ، التى تسيطر علينا ، فى جميع مناحى حياتنا ، و التى تسد علينا منافذ الأمل ، فى الخروج من أزمتنا ، فقد تحررنا من الاستعمار العسكرى ، و لكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار ، ولهذا فان نظارتنا لكل ما يأتى من الغرب ، هى نظارة التقدير ، و الاكبار ، حتى و إن كان هذا الذى يرد إلينا ، متمثلا فى أزياء غريبة من أذواقنا ، و تقاليدنا (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق ، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

و حتى نكون فى مستوى الحوار الفكرى ، و التبادل المعرفى ، و نوقف فعلا الغزو الفكرى و الاختراق الاستشراقى ، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية . . أن نكون قادرين على الانتاج الفعلى ، لمواد ثقافية ، و تأتى استجابة لها ، و تغرى الناس بها ، و بذلك وحده نكون فى مستوى الحوار ، و التبادل المعرفى ، فالمواجهة لا تكون بادانة الآخرين ، و النظر إلى الخارج دائماً ، و إنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولا لملء الفراغ ، بعمل بنائى مستمر ، و تحصين الذات (١) .

و قد لا يكون المرء مجانباً للصواب ، إذا قال : إننا إذا لم نتصد للتيار الاستشراقى بكل قوة فسوف نتعرف للانسلاخ و الذوبان ، لا محالة ، والمعركة بين الاستشراق و الاسلام معركة فكرية هائلة ، جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين ، و تبعدهم عن إسلامهم .

و إن الانسان الذى يتابع النشاط الاستشراقى ، قد يلحظ بوضوح ، أن هذا النشاط يمثل قمة التحدى للفكر الاسلامى ، وقد يكون معروفاً لدى الباحثين : « أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة ــ التى كانت تمثل تحدياً للاسلام ، والفكر الاسلامى الأصيل ، فى عصور الاسلام الزاهرة ــ كانت حافزاً للمسلمين ، فى تلك الأيام الخوالى ، للوقوف أمامها بقوة و صلابة » (٢) .

و قد رأى الامام الغزالى ، فى عصره ، أن التيارات الفلسفية ، يتردد صداها فى الأرجاء ، و أنها تصول ، و تجول فى تحد سافر ، للفكر الاسلامى ،

---

(١) عمر عبيد حسنة ، مقدمة كتاب الأمة ، العدد رقم ٢٧ ، ص ٢٩ .

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، ص ١٢٤ .

و المسلمين ، فلم يقف الغزالى موقف المتفرج ، و لم يسب ، و يشتم ، يصرخ ، و يولول ، و لم يرغب أن يترك الأمر ، و يقول لا شأن لى به ، و لكنه عزم على خوض المعركة ، فأعد العدة ، و اتخذ لها الأدوات من العلم و المعرفة بما عند هؤلاء .

و قد رأى أن يتقن الفلسفة ، و يتفرع لقضاياها ، و يتعرف على مقاصد الفلاسفة ، و استطاع فى دقة و إتقان أن يخرج كتابه : « مقاصد الفلاسفة » و كان ما قام به هو الخطوة الأولى فى منهج المواجهة للفكر الفلسفى ، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك ، بالكشف عما فى « مقاصد الفلسفة » من تناقض للفكر ، و مخالفة للنطق و العقل ، و تعثر فى المقاصد ، فكان كتاب « تهافت الفلاسفة » يمثل قمة المواجهة .

و استطاع بهذا المنهج النقدى أن يواجه المعركة ، و يخوض غمارها ، فى قوة ، و دقة ، و يقول الغزالى معبراً ؛ لك المنهج : « ثم إنى ابتدأت — بعد الفراغ من علم الكلام — بعلم الفلسفة ، و علمت يقيناً : أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ، و يجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غوره وغائله ، و إذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ، ولم أر أحداً من علماء الاسلام ، صرف عنايته وهمته إلى ذلك » (١) .

و إذا كان الغزالى ، قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفى ، فى عصره ، فان الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد و مؤسسات ، فمكتبات العالم

---

(١) الامام الغزالى، المنقذ من الضلال ، ص ٩٢ ، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود ، ط. دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٥م .

مليئة بانتاج المستشرقين ، و بشتى اللغات الانسانية ، و هناك عشرات المجلات ، و مئات المؤسسات التى ترعى الاستشراق ، و تعمل لخدمة المستشرقين ، و هناك أيضاً آلاف العلماء ، و الباحثين ، من المستشرقين ، الذين يتفرغون لبحوثهم و دراساتهم ، و هناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية ، التى تعقب حسب الحاجة فى العواصم العالمية .

و لقد كان لحركات الفكر الاستشراقى منذ القرن الثامن عشر ، قوة دفع ، و رواج و استقطاب ، أثارت اهتمام رجال الفكر الاسلامى ، بما كتبه المستشرقون عن الاسلام ، فى الكتب ، و المجلات ، و الموسوعات ، و عن مصدريه الأساسيين : القرآن الكريم ، و السنة النبوية ، و عن النبي الذى بعثه الله بهذا الدين الحنيف (١) و مواجهة التحديات الاستشراقية ، ضرورة لابد منها ، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا ، التى جاء بها الاسلام ، وكنا نريد الحفاظ على ذاتيتنا ، و شخصيتنا و مواجهة الاستشراق فى مجال العقيدة الاسلامية ، يحتاج — كغيره — إلى بذل جهود صادقة ، و مخلصة ، لرد هذه الطعون المفتراة ، حتى لا يأتى زمن نجد أنفسنا فيه ، بألسنة غير ألسنتنا ، نردد ما يقوله المستشرقون ، دون وعى أو دون أن نحس أننا مسلمون ، لنا عقائدنا و شخصيتنا .

« يتبع »

---

(١) الدكتور التهامى نقرة ، القرآن و المستشرقون ، ص ٢١ ، من كتاب « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية و الاسلامية — الجزء الأول » ط . مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٥م .

بين حسن الظن و الغرور

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس التحرير مجلة « البحوث الاسلامية » — الرياض

لكى يقترب الأمر التعبدى الذى تدعو إليه تعاليم الاسلام إلى أحاسيس بعض النفوس، التى لا تقتنع إلا بما هو محسوس فى معهودها، فان الانسان مأمور بربط ما هو معقول بما هو محسوس ، حسبما يدور فى حياته اليومية ، ، و بما تدركه حواسه المؤثرة فى انفعالاته، حتى يكون الأمر أكثر التصاقاً بالقلب، وأقرب أداء للنفس ، لأن النفوس تختلف فى التأثر بقدر ما تختلف فى الطباع ، و الداعى إلى الله، كأى صاحب عمل من أعمال الدنيا: تجارياً أو حرفياً ، تربوياً أو إدارياً ، يتلمس رغبات النفوس ، و يبحث عما يشدها إلى عمله لكى يكون ناجحاً ، إلا أن الداعية له هدف آخر ، و يطمع فى نتيجة، جزاؤها من الله جل وعلا . . و هذه هى أسمى المكاسب و أوفر المرابح ، و فى القرآن الكريم جاءت أمثلة كثيرة يراد منها تنبيه النفوس، و إيقاظ موطن الفضيلة فيها، من ذلك قوله تعالى: « ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » (إبراهيم ٢٢ — ٢٥) و ضرب رسول الله ﷺ مثلا عن فرح الله بتوبة عبده بمن ضاعت له راحلة عليها متاعه و شرابه، وهو فى أرض فلاة، فلما يئس منها نام تحت شجرة.

فاستيقظ و قد بلغ منه الجهد و الجوع و العطش مبلغه، و أيقن بالهلاك، و إذا به يراها واقفة بجانبه، لم ينقص مما عليها شئ، فقال من شدة الفرح: «اللهم أنت عبدی و أنا ربك» غلط من شدة ما انتاب نفسه من الفرح بوجودها مع متاعه.

و من أمثلة المنهج التشريعى فى الاسلام، أدرك الصفوة الأولى من أمة الاسلام، ما يجب أن تتربى عليه النفوس، وما يجب أن يسلكه الدعاة فى مخاطبة الوجدانيات، وما يؤثر فى أوتارها الدقيقة ليتحقق الايجاب من الدعوة، فهذا علی بن أبی طالب رضی الله عنه، يقرب الأمر للنفوس توجيهاً، و للدعاة تبصيراً حين قال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله و رسوله.

و من هنا فاننا نلمس فی حياتنا الخاصة، و فی تعاملنا مع الآخرين، مظهرين من مظاهر النفس البشرية هما: حسن الظن بالناس، وحمل أعمالهم و تصرفاتهم على النية الصادقة، و سلامة الطوية، أو إرجاع أعمالهم و تصرفاتهم إلى الغرور و التعاظم.

و لكل من الحالين خط يسير فيه، إلى جانب الخط الآخر، ليصل إلى الغاية التی قصد إليها، و النظرية الهندسية تقول: الخطان المتوازيان لا يلتقيان، ذلك أن لكل منها غاية و نقطة يصل إليها، قد تختلف مع الآخر هدفاً و مساراً..
كما أن فی مفاهيم بعض الناس معنيين متضادين عنهما، فيحملون حسن الظن بالطيبة أو السذاجة، و ما تحت هاتين الكلمتين من مترادفات، و يوجهون الغرور إلى التكبر و التعالی، أو حسن الثقة المفرط..

و لكل من هذين المفهومين مسار مضاد للآخر.. لكن المفهوم الشرعی عندما يرتبط بالتعامل الدنيوی، يوجه حسن الظن إلى تربية الاسلام للنفوس: بالصدق فی التعامل، و اجتناب الكذب و الغش و الخداع حيث يقول ﷺ: «من غشنا فليس منا»، و يقول: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا

تناجشوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره و لا يكذبه ولا يخذله .. التقوى ههنا — قالها ثلاثاً » الخ، رواه مسلم فى صحيحه، ولذا فان التحليل لكل منهما يبرز ما يتجه إليه الاحساس الوجدانى، و ما يقود النفس فى تعاملها و علاقتها مع الآخرين، و الوسيلة التى تتخذ فى كل منهما .

و الحديث عن هذا المظهر الاجتماعى و التعاملى، و ما يجنيه على النفس البشرية إيجاباً أو سلباً، يستلزم استعراض هاتين الخصلتين، و أثرهما على النفس البشرية من الناحية الشرعية، و توضيح كل خصلة . . و الفرق بينها و بين أختها، وعما إذا كان بينها مواطن التقاء أو افتراق، قد يتراءى أمام المتابع من فهم علماء الاسلام رحمهم الله للنصوص، و استنتاج ما تدل عليه، و ذلك بتشخيص الداء و وصف الدواء كما يقول الأطباء .

فحسن الظن إن حمل على العمل الحسن، و الحث عليه، و دفعت النفس إليه عملا و اعتقاداً وفق المنطوق الشرعى لمصدرى التوجيه فى الاسلام : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ : بنية خالصة، فهذا هو الأمر المطلوب، لأن رسول الله ﷺ يأمر بأن يحسن العبد ظنه بالله، لأن من أحسن الظن بربه التزم أمره، و اجتنب نهيه، و حسن الظن بالله، يقتضى توجيه انفعالات النفس و أحاسيسها لله عز وجل، لأن العبد يجب أن يكون بين الخوف و الرجاء و بين الخشية و الانابة، و لكل خصلة منهج عملى . .

فاذا كان الأمر التشريعى فى الاسلام يدعو إلى التزام البشر أموراً تعبدية عديدة منها : ما يكون أداؤه .

— بالبدن كالحج و الصلاة و الصوم، مع إدراك ما يرتبط بهذا العمل البدنى

فی تلك العبادات من أمور تنعكس علی المجتمع و النفس ، و ما تحققه من نتائج بعیدة المرمی ، و عظیمة الأثر .

— أو یكون بالعقیدة الوجدانیة كالایمان بالله و بملائكته و بكتبه و برسله ، و بالیوم الآخر و بالقدر خیره و شره ، حیث یترتب علی كل واحد من هذه الأمور الستة نبذ ما یخالفها ، من أی مدخل ، وما قد یؤثر فی حقیقتها و سلامة معتقدها من أی شخص .

— و منها ما یبین أثره بالعمل الیدوی كالبذل و الاحسان بالزكوات و الصدقات ، و مساعدة المحتاجین من الیتامی و الأرامل و الضعفاء و المساكین ، و إزالة المنكر الذی ظهرت آثاره فی المجتمع حیث یقول ﷺ : « من رأی منكم منكراً فلیغیره بیده ، فان لم یستطع فبلسانه ، فان لم یستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الایمان » .

— أو یكون بالذكر اللسانی كالدعاء و التسبیح و التحمید و ذكر الله جل وعلا ، و وعظ الناس و تعریفهم بأمور دینهم و بذل العلم ، و تعلیم الجاهل ، و عدم ذكر الناس إلا بما هو محبب إلی نفوسهم .

— أو یبین أثره ، و تظهر نتائجه بأی صورة من العملیة توجیهاً و إحساناً ، أو الوجدانیة إحساناً و تعاطفاً . فالمؤمن إذا عرف ما تنطوی علیه تعالیم دینه ، و حرص علیها التزاماً ، فانها تحفزه إلی العمل ، و تسیطر علی قلبه بالاخلاص فبالعلم یترقب النتیجة التی وعد الله كل من عمل أمراً حسناً . . و هذا هو حسن الظن بالله ، لأن وعد الله حق ، إذ لو كان الوعد من فرد من البشر علی اختلاف مراتبهم و هیئاتهم ، باتباع أمر و یعد علیه بالجزاء : كالتاجر عندما یحدد ربحاً مالیاً ، لمن یشتری منه البضاعة الفلانیة ، و المدرس عندما یبشر الطالب بالنجاح إذا التزم بارشاداته و توجیهاته ، و هكذا كل عمل دنیوی إذا كان الوعد من صاحب العلاقة

كالرئيس و المدير و غيرهما من القيادات الادارية . . فان النفس الموعودة تتعلق بالنتيجة ، و تحسن الظن بالواعد ، وهو بشر مثلها ، يخطئ مثلها و يصيب ، و يكذب و يصدق ، كما أنه بقدراته المحدودة ، و إمكاناته المقيدة ، يقدر على شئ ، و يعجز عن أشياء . . فما بالك إذا كان الواعد هو الله سبحانه القادر على كل شئ ، و جاء ذلك الوعد جزاء فى القرآن الكريم الذى هو كلامه جل و علا ، أو على لسان رسوله ﷺ ، فلا شك أن النفس تكون أكثر تعلقاً ، و أمكن فى حسن الظن ببلوغ النتيجة ، لأن من عرف يجب أن يلتزم ، و من التزم رجا من الله أن يبلغه المأمن ، فحسن الظن هو الرجاء .

و من كان رجاؤه هادياً له إلى الطاعة ، و زاجراً عن المعصية ، فهو رجاء صحيح ، و من كان رجاؤه بطالة و تفريطاً ، و بطالة رجاء و أمنيات فذلك هو المغرور .

و قد ضرب ابن قيم الجوزية رحمه الله فى كتابه : الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى نموذجاً من حياة الناس ، يمكن باستظهاره تمييز حسن الظن عن الغرور ، ليظهر بذلك الفارق المحسوس ، و يغرب من المعتقد الوجدانى ، فقال : لو أن رجلا كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من غلتها ما ينفعه ، فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها ، و حسن ظنه بأنه يأتى من مغلها من حرث و بذر وسقى ، و تعاهد الأرض ، لعده الناس من أسفه السفهاء ، و كذلك لو حسن ظنه و قوى رجاؤه ، بأن يجيئه ولد من غير نكاح ، أو من نكاح بغير جماع ، أو بأن يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم ، و حرص تام عليه . . و أمثال ذلك .

فكذلك من حسن ظنه و قوى رجاؤه فى الفوز بالدرجات العلا ، و النعيم المقيم ، من غير تقرب إلى الله تعالى ، بامتثال أوامره ، و اجتناب نواهيه .

و قد قال الله سبحانه : « إلا الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا فى

سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله » (البقرة ٢١٨) فتأمل كيف جعل الله سبحانه رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات .

أما المغترون فقالوا : إن المفرطين المضيعين لحقوق الله ، المعطلين لأوامره الباغين على عباده ، المتجرئين على محارمه ، أولئك يرجون رحمة الله . . ثم خلص رحمه الله ، بما أورده من تمثيل إلى الوصول إلى سر المسألة فی معرفة حقيقة حسن الظن والرجاء ، لاقترانهما بالمفهوم و العمل ، فقال : إنما يكون ذلك مع الاتيان بالأسباب التی اقتضتها حكمة الله فی شرعه و قدره ، و ثوابه و كرامته ، فيأتی العبد بها ، و يحسن ظنه بربه ، و يرجوه أن لا يكله إليها ، و أن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ، ويصرف ما يعارضها ، ويبطل أثرها (انظر كتابه هذا ص ٤٠) .

و لكی نعرف دورنا فی إدراك حقيقة حسن الظن ، فان أمامنا عملية إيضاح بارزة ، و برهاناً عملياً ، و ذلك بالتأمل فی أحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، و فی استظهار طريقة العارفين بالله ، و بحقائق شرعه سبحانه ، و المراقبين لله فی السر و العلن من هذه الأمة ، فی مختلف العصور و الأمكنة ، و ما تطفح به سيرهم ، حيث يدرك من ذلك كله ، أنهم رحمهم الله فی غاية العمل ، مع غاية الخوف ، و لو قارنا منهجهم بما نحن عليه ، فاننا نجد الفرق متجلياً فی أننا جمعنا بين التقصير فی العمل ، والأمن من النتيجة ، فكأننا قد أخذنا وعداً بطول العمر حتى نسوف و نعلل عن تقصيرنا ، و كأننا قد أخذنا وعداً بالأمن ، و توثيقاً بحسن العاقبة ، حتى نبرر لأنفسنا بحسن الظن ، الذی يأتی على هذه الصورة ضرباً من الغرور .

و فی سيرهم و قصصهم نماذج تبين عن مكنون نفوسهم ، رحمهم الله جميعاً ، وتبرز خوفهم وشدة بكائهم ، ، مع شدتهم فی العمل ، وحرصهم على الامتثال ،

لأن كلا منهم عند ما يقرأ نصاً تشريعياً يتخيل نفسه هو المعين بالمخاطبة، ويتوقع نفسه المعينة بالجزاء والعقاب، خوفاً من الله و رهبة من عقابه . . أما المغرورن فى كل زمان و مكان، فيتراءى لهم أن المخاطب غيرهم، و أن فى العمر فسحة للتسويف و التأجيل، و غاب عنهم قصر العمر، و خفاء الأجل.

يروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يشتد خوفه من اثنتين طول الأمل، و اتباع الهوى، قال: فأما طول الأمل فينسى الآخرة، و أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا و إن الدنيا قد دلت مدبرة، و الآخرة مقبلة، و لكل واحد منهما بنون: فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل و لا حساب، و غداً حساب و لا عمل.

و قد أوجد البخارى رحمه الله فى صحيحه باباً سماه: باب الخوف من أن يحبط عمل المؤمن و هو لا يشعر، و الغرور قد اقترن فى كتاب الله بأعمال المنافقين، و بمكائد الشيطان و وعوده الكاذبة، و ما مواعيد عدو الله إلا من تسكين النفوس، لتأمن عقاب الله، وتتساهل فى أداء ما افترض الله على عباده، و تركه لمن نهى الله عنه، قال تعالى: « يعدهم و يمنيهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً » (سورة النساء : ٢٠).

فالخوف يقترن بالايمان، الذى يدفع للمبادرة بالعمل، و صدق الاتباع، و الأمن يقترن بالنفاق الذى يدفع للتراخى و التكاسل، و عدم الاتباع بالتمنى والتسويف، وقد قال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل و ميكائيل.

عاقبة الظلم :

قال التنوخى حدثنى أبو الحسن على بن الحسن، الشاهد المعروف بالجراحى،

من حفظه قال حدثنى أبو الحسن بن أبى الطاهر ، محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال :

قبض على أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، فى أيام وزارته للقاهر بالله ، و على أبى فحبسنا فى حجرة ضيقة ، وأجلسنا على التراب ، و شدد علينا ، وكان يخرجنا فى كل يوم ، فيطالب أبى بمال المصادرة ، وأضرب أنا بحضرة أبى ، و لا يضرب هو ، فلاقينا من ذلك أمراً شديداً صعباً .

فلما كان بعد أيام ، قال لى أبى : إن هؤلآء الموكلين بنا قد صارت لهم بنا حرمة ، فتوصل إلى مكاتبة أبى بكر الصيرفى ، وكان صديقاً لأبى ، حتى ينفذ إلينا بثلاثة آلاف درهم ، لكى نفرقها بين الموكلين بنا . . ففعلت ، فأنفذ إلينا بالمال من يومه .

فقلت للموكلين بسجننا ، فى عشى ذلك اليوم ، قد وجبت لكم علينا حقوق ، باحسانكم معاملتنا وعشرتنا ، فخذوا هذه الدراهم ، فانتفعوا بها . . لكنهم امتنعوا عن أخذها .

فقلت: ما سبب إقتناعكم ،وهى لكم منا مكافأة على صنيعكم؟ فوروا عن ذلك .

فقلت : إما أن تقبلوا ، و إما أن تعرفونا السبب ، الذى لأجله امتنعتم عن أخذهـا ؟ .

فقالوا : نشفق عليكم ، و نستحى من ذلك ،

فقال لهم أبى : اذكروه على كل حال ؟ قالوا : قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ، و لا نستحسن أخذ شيئ منكما مع هذا ، فقلقت و دخلت على أبى بغير تلك الصورة ، فقال : ما لك ؟ فأخبرته بالخبر ، وقلت لأبى ما أصنع بالدراهم ؟ فقال : ردها على أبى بكر . . فرددتها عليه .

و كان أبى يصوم تلك الأيام كلها ، فلما غابت الشمس تطهر وصلى المغرب ،

فصليت معه و لم يفطر ، ثم أقبل على الصلاة و الدعاء ، إلى أن صلى العشاء الآخرة ، ثم دعانى . . فقال : اجلس يا بنى إلى جانبى ، حاثياً على ركبتيك ، ففعلت ، و جلس هو كذلك ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، ماداً يديه بالدعاء .

فقال : يا رب ، محمد بن القاسم ظلمنى ، و حبسنى على ما ترى ، و أنا بين يديك ، وقد استعديت إليك و أنت أحكم الحاكمين ، فاحكم بيننا . . لا يزيد على ذلك . . و يكررها مراراً ، ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ، و لم يزل يكررها بصياح و نداء و استغاثة ، إلى أن ظننت أنه قد مضى ربع الليل .

فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق ، فذهب على أمرى ، و لم أشك فى أنه القتل ، و فتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأملت و إذا فيهم سابور الخفى ، خادم القاهر . .

فقال : أين أبو طاهر ؟ فقام إليه أبى ، فقال ها أنذا . . فقال : أين ابنك ؟ .

فقال : هو ذا ، فقال : انصرفا إلى منزلكما ، فخرجنا ، فاذا هو قد قبض على محمد بن القاسم من تلك الليلة ، وحدره إلى دار القاهر . . و عاش محمد بن القاسم فى الاعتقال ثلاثة أيام و مات ، (الفرج بعد الشدة ١ : ٢٧٧—٢٧٩) .

فالظلم ظلمات يوم القيامة ، و عاقبة معجلة فى الدنيا فى إجابة دعوة المظلوم كما جاء فى الحديث القدسى : « و عزتى و جلالى لأنصرنك و لو بعد حين » . . لأن الله جلت قدرته قد حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين عباده محرماً ، ويقول ﷺ : « اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها و بين الله حجاب » ، نسأل الله السلامة من أن نظلم أحداً ، و النصر إن ظلمنا .

حكم البيع إلى أجل و بيع التورق و العينـــة و القرض بالفـــائدة

بقلم : سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده و آله و صحبه ،
أما بعد :

فقد سئلت عن حكم بيع السلعة التى تساوى مائة ريال نقداً بمبلغ مائة و خمسين ريالا إلى أجل :

و الجواب عن ذلك : إن هذ المعاملة لا بأس بها ، لأن بيع النقد غير بيع التأجيل ، ولم يزل المسلمون يستعملون مثل هذه المعاملة وهو كالاجماع منهم على جوازها ، و قد شذ بعض أهل العلم ، فمنع الزيادة لأجل الأجل و ظن ذلك من الربا و هو قول لا وجه له و ليس من الربا فى شىء ، لأن التاجر حين باع السلعة إلى أجل إنما وافق على التأجيل من أجل انتفاعه بالزيادة و المشترى إنما رضى بالزيادة من أجل المهلة و عجزه عن تسليم الثمن نقداً ، فكلاهما منتفع بهذه المعاملة ، و قد ثبت عن النبي ﷺ ما يدل على جواز ذلك ، و ذلك أنه ﷺ أمر عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن يجهز جيشاً ، فكان يشترى البعير بالبعيرين إلى أجل ، ثم هذه المعاملة تدخل فى عموم قول الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) الآية ، و هذه المعاملة من المداينات الجائزة الداخلة فى الآية المذكورة و هى من جنس معاملة بيع السلم ، فان البائع فى السلم يبيع من ذمته حبوباً أو غيرها مما يصح السلم فيه بثمن حاضر أقل من الثمن

الذى يباع به المسلم فيه وقت السلم لكون المسلم فيه مؤجلا و الثمن معجلا، فهو عكس المسألة المسئول عنها ، و هو جائز بالاجماع و هو مثل البيع إلى أجل فى المعنى، و الحاجة إليه ماسة كالحاجة إلى السلم و الزيادة فى السلم مثل الزيادة فى البيع إلى أجل، سببها فيهما تأخير تسليم المبيع فى مسألة السلم وتأخير تسليم الثمن فى مسألة البيع إلى أجل، لكن إذا كان مقصود المشترى لكيس السكر و نحوه بيعه و الانتفاع بثمنه و ليس مقصوده الانتفاع بالسلعة نفسها فهذه المعاملة تسمى مسألة (التورق) و يسميها بعض العامة (الوعدة) و اختلف العلماء فى جوازها على قولين ، أحدهما أنها ممنوعة أو مكروهة، لأن المقصود منها شراء دراهم، و إنما السلعة المبيعة واسطة غير مقصودة .

والقول الثانى للعلماء جواز هذه المعاملة ، لمسيس الحاجة إليها، لأنه ليس كل أحد اشتدت حاجته إلى النقد يجد من يقرضه بدون رباً ، و لدخولها فى عموم قوله سبحانه : (و أحل الله البيع) و قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) و لان الأصل فى الشرع حل جميع المعاملات إلا ما قام الدليل على منعه، و لا نعلم حجة شرعية تمنع هذه المعاملة، و أما تعليل من منعها أو كرهها بكون المقصود منها هو النقد ، فليس ذلك موجباً لتحريمها و لا لكراهتها، لأن مقصود التجار غالباً فى المعاملات هو تحصيل نقود أكثر بنقود أقل، والسلع المبيعة هى الواسطة فى ذلك ، و إنما يمنع مثل هذا العقد إذا كان البيع و الشراء من شخص واحد كمسألة العينة .

فان ذلك يتخذ حيلة على الربا، وصورة ذلك أن يشترى شخص سلعة من آخر بثمن فى الذمة، ثم يبيعها عليه بثمن أقل ينقده إياه، فهذا ممنوع شرعاً لما فيه من الحيلة على الربا و تسمى هذه المسألة العينة وقد ورد فيها من حديث عائشة و ابن عمر رضى الله عنهما ما يدل على منعها، أما مسألة التورق التى يسميها بعض الناس الوعدة ، فهى معاملة أخرى ليست من جنس مسألة العينة لأن المشترى فيها اشترى

السلعة من شخص إلى أجل و باعها من آخر نقداً من أجل حاجته للنقد، و ليس في ذلك حيلة على الربا، لأن المشترى غير البائع ولكن كثيراً من الناس فى هذه المعاملة لا يعملون بما يقتضيه الشرع فى هذه المعاملة، فبعضهم يبيع ما لا يملك ثم يشترى السلعة بعد ذلك و يسلمها للمشترى، وبعضهم إذا اشتراها يبيعها وهى فى محل البائع قبل أن يقبضها القبض الشرعى، و كلا الأمرين غير جائز، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لحكيم بن حزام: (لا تبع ما ليس عندك) وقال عليه الصلاة والسلام: (من اشترى طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه) و قال ابن عمر رضى الله عنهما: (كنا نشترى الطعام جزافاً فيبعث إلينا رسول الله ﷺ من ينهانا أن نبيعه حتى ننقله إلى رحالنا) وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أيضاً أنه نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم.

و من هذه الأحاديث و ما جاء فى معناها يتضح لطالب الحق أنه لا يجوز للسلم أن يبيع سلعة ليست فى ملكه ثم يذهب فيشتريها، بل الواجب تاخير بيعها حتى يشتريها و يحوزها إلى ملكه، و يتضح أيضاً أن ما يفعله كثير من الناس من بيع السلع و هى فى محل البائع قبل نقلها إلى ملك المشترى أو إلى السوق أمر لا يجوز، لما فيه من مخالفة سنة الرسول ﷺ، و لما فيه من التلاعب بالمعاملات وعدم التقيد فيها بالشرع المطهر، وفى ذلك من الفساد و الشرور والعواقب الوخيمة ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، نسأل الله لنا و لجميع المسلمين التوفيق للتمسك بشرعه و الحذر مما يخالفه.

أما الزيادة التى تكون بها المعاملة من المعاملات الربوية، فهى التى تبذل لدائن بعد حلول الأجل ليميل المدين و ينظره، فهذه الزيادة هى التى كان يفعلها أهل الجاهلية و يقولون للمدين قولهم المشهور: «إما أن تقضى و إما أن تربى» فمنع الاسلام ذلك و أنزل الله فيه قوله سبحانه «و إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» و أجمع العلماء على تحريم هذه الزيادة و على تحريم كل معاملة يتوسل بها إلى تحليل هذه الزيادة، مثل أن يقول الدائن للمدين: اشتر منى سلعة من سكر أو غيره إلى أجل ثم بعها

بالنقد و أوفني حقي الأول ، فان هذه المعاملة حيلة ظاهرة على استحلال الزيادة الربوية التي يتعاطاها أهل الجاهلية ، لكن بطريق آخر غير طريقهم .

فالواجب تركها والحذر منها وإنظار المدين المعسر حتى يسهل الله له القضاء ، كما أن الواجب على المدين المعسر أن يتقى الله و يعمل الأسباب الممكنة المباحة ، لتحصيل ما يقضى به الدين و يبرىء به ذمته من حق الدائنين .

و إذا تساهل فى ذلك و لم يجتهد فى أسباب قضاء ما عليه من الحقوق ، فهو ظالم لأهل الحق غير مؤد للامانة ، فهو فى حكم الغنى الممطل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (مطل الغنى ظلم) ، وقال عليه الصلاة والسلام (لى الواجد يحل عرضه و عقوبته) و الله المستعان .

و من المعاملات الربوية أيضاً ما يفعله بعض البنوك و بعض التجار من الزيادة فى القرض ، إما مطلقاً و إما فى كل سنة شيئاً معلوماً ، فالأول : مثل أن يقرضه ألفاً على أن يرد إليه ألفاً و مائة أو يسكنه داره أو دكانه أو يعيره سيارته أو دابته مدة معلومة أو ما أشبه ذلك من الزيادات .

وأما الثانى : فهو أن يجعل له كل سنة أو كل شهر ربحاً معلوماً فى مقابل استعماله المال الذى دفعه إليه المقرض، سواء دفعه باسم القرض أم باسم الأمانة ، فانه متى قبضه باسم الأمانة للتصرف فيه كان قرضاً مضموناً و لا يجوز أن يدفع إلى صاحبه شيئاً من الربح إلا أن يتفق هو و البنك أو التاجر على استعماله ذلك المال ، على وجه المضاربة بجزء مشاع معلوم من الربح لأحدهما و الباقى للآخر ، و هذا العقد يسمى أيضاً القراض وهو جائز بالاجماع ، لأنهما قد اشتركا فى الربح و الخسران ، والمال الأساسى فى هذا العقد فى حكم الأمانة فى يد العامل ، إذا تلف من غير تعد و لا تفريط لم يضمنه ، و ليس له عن عمله إلا الجزء المشاع المعلوم من الربح ، المتفق عليه فى العقد .

و بهذا تتضح المعاملة الشرعية و المعاملة الربوية ، و الله ولى التوفيق ، وصلى الله و سلم على نبينا محمد و آله و صحبه .

حكم أوقات الصلوات و الصيام
فى المناطق التى لا تعتدل فيها الأيام

—(١)—

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة ندوة العلماء - لكناؤ
تعريب : الأخ محمد شاه جمال الندوى

إن هذه الدنيا (أو الأزمنة) التى نعيشها يمكن أن نقسمها بحسب ظهور آثار الشمس - الايجابية والسلبية - وعدم ظهورها على الكرة الأرضية إلى قسمين : « معتدلة الأيام » و « غير معتدلة الأيام » .

معتدلة الأيام :

نستطيع أن نعبر بمعتدلة الأيام عن تلك المناطق - والأزمنة - التى يأتى فيها جميع أوقات الصلوات بعلاماتها المقررة — من جهة الشرع — فى كافة أيام السنة، يعنى تظهر الأمارات المبينة لأوقات الصلوات و الصيام طول السنة ، فان أكثر بلدان آسيا ، و أفريقية و أوروبا الجنوبية من تلك المناطق التى نستطيع أن نعبر عنها بـ « معتدلة الأيام » (التى تقع تحت ثمان وأربعين درجة من خط عرض البلد الشمالى، وقريباً من ذلك ما يوافق هذا الشكل فى خط عرض البلد الجنوبى أيضاً و لكن بالترتيب المعكوس) .

غير معتدلة الأيام :

تلك المناطق - والأزمنة - التى لا يعترى عليها جميع أوقات الصلوات فى بعض أيام السنة ، أعنى لا تظهر جميع تلك العلامات التى يتوقف على وجودها تحديد الاوقات للصلوات و الصيام ، فان شمالى أوروبا و انجلترا من تلك المناطق التى

تشرق فيها الشمس بعد غروبها بقليل من الزمن فى بعض أيام السنة (نعم ! هناك فى الدنيا بعض المناطق لا تغرب فيها الشمس عدة أشهر ، و بالعكس فى بعض المناطق لا تطلع عدة أشهر) أعنى تظهر تباشير الصبح فى الأفق الشرقى ، قبل أن يكتمل غياب الشفق فى الأفق الغربى ، أو بتعبير آخر ، لا يزال ينتشر الضياء فى الآفاق طول الليل ، و لا تعم ظلمة الليل الحالكة ، و فى هذا الوضع الطبيعى ، لا يأتى وقت صلاة العشاء ، يعنى لا تظهر تلك العلامة التى يتعين بها وقت العشاء) حتى تطلع الشمس ، فلا يكاد يدرك ابتداء وقت الصبح الصادق و كذا انتهاء وقت السحور .

حكم المناطق — و الأيام — الغير المعتدلة :

بحث العلماء و الفقهاء المحققون الأقدمون عن تلك المسألة الهامة (١) ، و خاضوا فى أحشائها و قد تكلموا فى كثير من أطرافها الممكنة لمثل هذه المناطق و الأيام ، فرأى بعضهم بسقوط الفريضة (على أساس أن « الوقت » هو السبب فاذا لم يوجد السبب لا يوجد المسبب) ولكن الفقهاء المحققين ذهبوا إلى أن الصلاة - التى فقد وقتها - تجب على أهالى هذه المناطق فى تلك الأيام أيضاً ، بناء على أن الأوقات إنما هى علامات و ليست أسباباً — السبب هو حكم الله تعالى القائم — و على هذا أفتى جمع من العلماء المحتاطين ، كما ذكره العلامة المحقق ابن الهمام الحنفى رحمه الله :

(١) وقد تناول هذا البحث على رأس القرن الماضى الهجرى فقيه حنفى هارون بن بهاء الدين القازانى المرجانى المتوفى سنة ١٣٠٦هـ وكتب حول تلك المسألة رسالة مستقلة ، سماها « ناظورة الحق » و أورد فيها مباحث علمية قيمة ، ما حظيت إلى الآن بدراسة نسختها المطبوعة غير أن نسخة لها خطية وجدت فى مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ، فاستفدت منها .

قال: « ومن لم يوجد عندهم وقت العشاء . . . . فقد أفتى الامام البرهانى الكبير بوجوبها ، ولا يرتاب متأمل فى ثبوت الفرق بين عدم محل الفرض وبين سببه الجعلى الذى جعل علامة على الوجوب الخفى الثابت فى نفس الأمر ، و جواز تعدد المعرفات للشىء ، فانتفاء الوقت انتفاء المعرف ، و انتفاء الدليل على شىء لا يستلزم انتفاءه لجواز دليل آخر » (١) .

و لكن فى صورة وجوب الصلاة و الصيام يظهر بالبطع سؤال ، و هو أنه متى تصلى العشاء فى مثل هذه المناطق خلال الأيام غير المعتدلة ، ومتى ينقضى وقت المغرب ؟ و متى ينتهى وقت السحور و يطلع الفجر ؟ .

صورتان ممكنتان فى المناطق غير المعتدلة :

و قبل الجواب على هذا السؤال لا بد من أن نذكر أن فى هذه المناطق صورتين ممكنتين (وتتفاوت أحكامهما) ١— تلك الأيام التى يظهر فيها جميع أوقات الصلوات بظهور المؤشرات عليها ، ٢— تلك الأيام التى لا تعترى فيها أوقات بعض الصلوات أو كلها ، و ذلك لعدم ظهور المؤشرات عليها .

الصورة الأولى وحكمها :

فالصورة الأولى ، أعنى ذلك الزمان و المكان الذى يأتى فيه جميع أوقات الصلاة وفقاً للمعايير الشرعية ، فيجب فيها أداء الصلاة على أوقاتها الأصلية اعتناءاً بالمؤشرات عليها ، سواء تخلل بين أوقات صلاتين — أو أكثر — وقت طويل أو قليل أو قصير جداً ، و لكن أوقات جميع الصلوات إذا وجدت يجب أداؤها فيها — مهما كان النهار أو الليل طويلا أو قصيراً — لقول الله تعالى :

(١) راجع للتفصيل « فتح القدير » لابن الهمام المجلد الأول ص ١٥٦ دار المطبعة الكبرى الأميرية بمصر ١٣١٥هـ ، و « الطحطاوى » شرح « الدر » ص : ٢٦٧—٢٦٩ ج ١ ، و « رد المحتار » المجلد الأول ص : ٢٤٢—٢٤٤ .

« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » (١) .

ألا ترى وردت الآية الكريمة بكل عمومها و إطلاقها ، و لم يقيد الله سبحانه و تعالى حكم وقت الصلاة بقيد من طوله أو قصره ، فان هذا الاطلاق يقتضى أنه كلما ثبت وقت صلاة يجب أن تؤدى فيه — إن لم يكن هناك عذر شرعى — طال الوقت أو قصر ، وقد أجمعت عليه الأمة الاسلامية شرقاً وغرباً ، وذكر هذا الحكم على وجه العموم فى تلك الفتاوى والرسائل الخاصة التى عنى فيها أساسياً ببيان أحكام الصلوات والصيام فى هذه المناطق فى الأيام غير المعتدلة (٢).

و هذا الحكم منصوص إجماعى ، لا نحتاج إلى الاستزادة فى بحثه . و يثبت بهذا الاجماع أنه كلما وجد الوقت و لو يكفى لصلاة الفرض فقط (بعد الطهارة و الوضوء) فأداء فريضة ذلك الوقت فى هـــذا القدر من الوقت واجب ، ولا يجوز تأخيرها — بدون عذر شرعى — إلى أن يذهب وقتها (٣) لأن حكمها بعد انقضاء الوقت يتغير ، وتصير قضاءاً (و لو صليت بنية الأداء) و إن تأخير

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٣ .

(٢) أنظر للتفصيل الرسالة القيمة « الصبح الصادق فى بريطانية » (لمؤلفه مولانا محمد يعقوب الكاوى المقيم بانجلترا) ص ١٥ — ١٦ .

و قد ذكر العلامة المحقق ابن الهمام إجماع العلماء عليه فى فتح القدير، قال : « ولا صحة لصلاة قبل الوقت» ج ١ ص ١٥٥ ، والامام النووى فى شرح صحيح مسلم قال : « لأن ذلك (الصلاة قبل الوقت) ليس بجائز باجماع المسلمين » ج ١ ص ٤١٧ المكتبة الرشيدية بدلهى .

(٣) إذا لم يحصل للمصلى من الوقت إلا القدر اليسير الذى يستطيع فيه أن يؤدى واجبه فحسب ، فلا يؤاخذ على ترك السنن المؤكدة مثل التراويح ⁂

الصلاة إلى أن يذهب وقتها بدون العذر الشرعي معصية كبيرة ، كما هو معروف، ولذا يجب أداؤها حينما يأتي وقتها ، و يؤكد ذلك قول العلامة الطحطاوی الذی كتبه فی سياق خاص :

« . . . . و بقيته وقت العشاء و إن قصر جداً » (١) .

و ربما يمكن فی بعض الأحيان أن يصيب المصلی شیء من المشقة فعلا ، و خاصة فی تلك الأيام التی تكون لياليها قصيرة جداً ، حتی لا يأتی فيها وقت العشاء إلا فی حين انتصاف الليل ، و بمثل تلك المشقة لا يجوز لأحد أن يقدم أو يؤخر الصلاة المفروضة، لأنها إن صليت قبل وقتها تصبح نافلة وتبقی الفريضة علی الذمة ولذا يجب أداؤها حينما يأتی وقتها ، و إذا صليت بعد انقضاء وقتها تكون فی حكم القضاء (و لو نوی الأداء) .

و الجدير بالذكر فی هذه المناسبة أن نبين أصلا شرعياً ، و هو أن المصالح و الأعذار التی نطقتها الشريعة ، و أحلتها محل السبب و العلة ، و أصدرت بوجودها حكمها للرخصة ، فان هذه الرخصة لا تحصل إلا بوجود تلك المصالح و الأعذار التی منحتها الشريعة درجة العلة ، أو بعبارة أخری إذا وجدت العلة (المنصوصة المرتبطة بحكم شرعی) و إلا فلا !.

مثلا هناك علتان ، السفر و المرض ، فان الشريعة الاسلامية اعتبرتهما كعلتين حقيقيتين للرخصة ، فيجوز للمسافر والمريض أن يفطرا فی رمضان ، ويعدا

※ (إن شاء الله تعالی) لأن عدداً من الفقهاء الكبار إذا ذهبوا إلی إسقاط الفريضة عن الذمة (فی صورة عدم تحقق الوقت لها) فاسقاط السنن أهون منها بكثير، لأن حكمها دون حكم الفريضة، و يمكن تلافيها بأداء الركعات بنية النافلة فی حين من الأحيان (غير الأوقات المكروهة) .

(١) الطحطاوی علی الدر المجلد الأول ص ٢٦٧ .

الأيام للقضاء ، حتى يفيق المريض من مرضه ، و يعود المسافر من سفره ، و نظراً إلى هذا الحكم — الرخصة لعلة السفر و المرض — لا يجوز لأحد أن يفطر فى رمضان (إن لم توجد إحدى هاتين العلتين المعتبرتين للرخصة) بوجود غيرهما من الأسباب و الأعذار و لو كانت أكثر منهما مشقة (و مهما تكاثرت الأعذار الخطيرة و الأسباب الحرجة) كمثل فلاح يحرث الأرض طول اليوم ، ـ و فى فصل الحر الشديد ـ و يعانى مصائب شديدة ، مهما كانت أقسى و أعنف من نكبات السفر و شدائد المرض ، كالحر وشدة الجوع و العطش ، و العناء المنهك ، وبالرغم من أن الشريعة لا تسمح له بذلك — فى عامة الأحوال — بأن يفطر فى شهر رمضان ، و ذلك لأن هذه المصائب و الأسباب ما منحتها الشريعة درجة « العلة » ، وهذا الأصل يوجد فى أكثر الكتب المرموقة فى أصول الفقه ، و لكن أوضح بياناً ، و أوثق و أمتن عبارة — فى نظرى القاصر — ما ذكر فى « حجة الله البالغة » للعلامة المحدث الكبير الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى و « علم أصول الفقه » للشيخ عبد الوهاب خلاف (١) .

---

(١) راجع للتفصيل « حجة الله البالغة » ج ١ : ص ١٣٠ (المكتبة الرشيدية بدلهى) و « علم أصول الفقه » ص ٦٢ إلى ٢٨ ، دار القلم « كويت » الطبعة العشرون سنة ١٤٠٦هـ ، وقد ذكر هذا الأصل فى « علم أصول الفقه » بكل وضوح و تفصيل ، و هاكم ننقل هنا عدة سطور « قرر الأصوليون أن الأحكام الشرعية تدور وجوداً وعدماً مع عللها لا مع حكمها . . . . . فمن كان فى رمضان على سفر يباح له الفطر لوجود علة إباحته وهى السفر ، و إن كان فى سفره لا يجد مشقة . . . . و من كان فى رمضان غير مريض و لا مسافر لا يباح له الفطر ، و إن كان عاملا فى محجر أو منجم ، ويجد من الصوم أقسى مشقة » علم أصول الفقه ، ص ٦٦ .

و الواقع أن هذه الأصول المستمدة من الكتاب و السنة حكيمة بالغة ، و من أكبر و أهم الوسائل للحفاظ على الشريعة الاسلامية ، و إلا يطلب كل إنسان الرخص فى الفرائض و الواجبات ، اتكالا على الحيل التافهة ، و الأعذار الضعيفة و يلعب بالأحكام الشرعية .

و جملة القول أنه متى ما تمكن أحد من إدراك شيء من الوقت يقدر فيه على أداء الفريضة ، فيجب فيه أداؤها ، ولو أصابه فيه بعض العسر و الأضرار ، و لا يخلو أمر من الأوامر الشرعية عن شيء من المشقة و إلا لم يوجد فيه فائدة التكليف إلا أن يكون نائماً أو لم يتمكن من أدائها فى وقتها ، فانه لا يأثم بنص الحديث النبوى الشريف الصحيح ، « لا تفريط فى النوم إنما التفريط فى اليقظة » هذا الحكم للصورة الأولى (۱) .

أما الصورة الثانية لحكمها :

أما الصورة الثانية أى تلك المناطق التى لاتوجد فيها أوقات جميع الصلوات أو بعضها (الصلوات) فى بعض أيام السنة ، أو بتعبير أصح لا يوجد هناك تلك العلامات و الأمارات التى بها يستعان فى تعيين أوقات الصلوات فكيف يؤدى فيها فريضة الصلوات ؟ و ما حكم الشريعة الغراء فيها ؟ ذاك هو السؤال الذى قصدنا فى هذا البحث جوابه .

مباحث العلماء من الزمان القديم :

كما ذكرنا فى بداية البحث أنه لم يزل الفقهاء يبحثون من سالف الزمان فى هذه المسألة المعقدة ، و جاءت منهم خلافات كثيرة ، و لكن العلماء الغيارى والفقهاء المحققين اتفقوا على أن فى هذه المناطق أيضاً تجب جميع الصلوات، جاءت

(۱) أبو داود ص ٦۳ ، ج ۱ (طبع بالمطبع المجيدى ، كانبور ، الهند) .

أوقاتها فيها أم لم تجئ — أى ظهرت، علامات أوقاتها أم لم تظهر — و لأنها من أهم و آكد الفرائض على العبد المسلم ، و قد جعلها الاسلام الفارق بين الكفر والايمان ، ولكن فى الصورة المذكورة يتبادر إلى الأذهان سئوال ، أنه لما لم يجئ وقت الصلوة المعروف المحدد من عند الشريعة ، فتى تصلى حتى تكون أداء.

الاستدلال بالحديث النبوى الشريف :

نجد الجواب عن هذا السؤال فى الحديث الطويل الذى ذكر فيه خروج الدجال — حول أشراط الساعة — ذكر فيه :

« . . . . قلنا يا رسول الله و ما لبثه فى الأرض ، قال : أربعون يوماً ، يوم كسنة ، و يوم كشهر ، و يوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذى كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال - ﷺ - أقدروا له قدره . . . . . . » (١) .

و روى هذا الحديث ما عدا البخارى جميع كتب الحديث الموثوق بها و قد أخذ العلماء من هذا الحديث النبوى الشريف حكم أوقات الصلوات فى تلك المناطق ، و الأيام غير المعتدلة ، التى نبحث عن حكمها أنه يتم تعيين أوقات الصلوات و غيرها بالتقدير .

(للبحث صلة)

(١) الجامع الصحيح لمسلم ، المجلد الثانى ص ٤٠١ (طبع الهند ، المكتبة الرشيدية بدهلى) قال الشارح لمسلم ، الامام النووى فى شرح الحديث :

و معنى « اقدروا له قدره » أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه و بين الظهر كل يوم — أى قبل هذا اليوم الطويل — فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها و بين العصر فصلوا العصر ، و إذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها و بين المغرب فصلوا المغرب و كذا العشاء . . . . . إلخ .

السلطــة القضائيـــة فى الاســـلام

الدكتور فؤاد عبد المنعم

نعرض للأسس و المبادئ العامة للسلطة القضائية فى الاسلام ، و تفصيل الـكلام عن السلطة القضائية فى التنظيم القضائى ونظام المرافعات والاجراءات (١) .

تولى الرسول للقضاء و توليته لغيره :

سبق أن ذكرنا أن الرسول ﷺ كان يقوم بمهمة القضاء عملا بقوله تعالى : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجـدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (سورة النساء : الآية ٦٥) .

و قوله عز و جل : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله » (سورة النساء : الآية : ١٠٥) .

و كان قضاء الرسول فى تقديره للوقائع و تقويم ما يطرح أمامه من الأدلة بالاجتهاد لا وحياً يوحى إليـــه (٢) فقد روى البخارى و مسلم أن الرسول قال

---

(١) نسأل الله تبارك و تعالى أن ييسر لنا إخراج مصنفات فيها فقد قمنا بتدريسها لعدة سنوات فى كلية الشريعة ـ قسم القضاء ـ جامعة أم القرى .

(٢) « فهو يأتى عملا بشرياً لا ترد عليه العصمة، ويتسم بالتوقيت لـكنه ﷺ حين ينزل « الحكم » على تلك الوقائع فيقضى فى السرقة بالقطع و فى الزنا بالرجم أو الجلد أو التغريب، فان الحكم هنا تشريع يتخذ صفـــة « العموم » بصرف النظر عن « خصوص السبب و يعد سنـة واجبة ✽

لرجلين اختصما إليه فى مواريث وليست بينهما بينة : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصمون إلى ، و لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضى نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » (١) ،

و لما أخذت الدعوة فى الانتشار أذن الرسول ﷺ لبعض أصحابه بتولى القضاء فى الجهات النائية ، و يذكر فى مقدمة من كلفهم الرسول ﷺ بمهمة القضاء عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب (٢) .

و كان القضاء فى عهد الرسول إحدى و ظائف الوالى ، فلما فتح الله على المسلمين مكة استعمل الرسول ﷺ عليها عتاب بن أسيد القرشى و بقى عليها والياً

﴿﴾ الاتباع و مصدراً للشرع » المستشار الدكتور على جريشة ، المشروعية الاسلامية العليا ص ١٣٢ ، و الدكتور نصر فريد محمد واصل : السلطة القضائية و نظام القضاء فى الاسلام ، ط ١٩٧٧م ص ٤٤ ، و قد اعتبر البعض أن تصرف الرسول بصفته قاضياً لا يعد تشريعاً ، ويتسم بالتأقيت ، انظر الشيخ محمود شلتوت : الاسلام عقيدة و شريعة ص ٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، و أستاذنا الشيخ محمد مصطفى شلبى : تعليل الأحكام ص ١١٨ ، والدكتور عبد الحميد متولى : مبادىء نظام الحكم فى الاسلام ص ٧٤-٧٧ .

(١) فتح البارى ٥ : ٢١٢ ، ومسلم رقم ١٧١٣ فى الأقضية ، باب الحكم بالظاهر و اللحن بالحجة ، و الموطأ ٢/٧١٩ فى الأقضية ، باب الترغيب فى القضاء بالحق ، و أبو داود رقم ٣٥٨٣ ، ٣٥٨٤ فى الأقضية ، باب فى قضاء القاضى إذا أخطأ ، والترمذى رقم ١٣٣٩ فى الأحكام ، باب ما جاء فى التشديد على من يقضى له والنسائى ٨/٢٣٣ فى القضاة ، باب الحكم بالظاهر .

(٢) قال : « بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً ، فقلت : يارسول الله ، ﴿﴾

و قاضياً إلى أن مات (١) .

و قد ولى الرسول ﷺ غيره القضاء فى جزئية من الخصومات خاصة ، فقد كلف حذيفة اليمانى للقضاء فى حظار (٢) أى جدار بين شخصين . .

الخليفة :

و كان الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ يقومون بالفصل فى الأقضية بأنفسهم ، و قد يعهدون إلى غيرهم بمهمة القضاء ، و يعد عمر بن الخطاب رضى

ﷺ ترسلنى و أنا حدث السن ، و لا علم لى بالقضاء ؟ فقال : « إن الله سيهدى قلبك ، و يثبت لسانك ، فاذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر ، كما سمعت من الأول فانه أحرى أن يتبين لك القضاء ، قال : فما زلت قاضياً ، أو ما شككت فى قضاء بعد » أبوداود رقم ٣٥٨٢ فى الأقضية ، باب كيف القضاء ، و الترمذى رقم ١٣٣١ فى الأحكام ، باب ما جاء فى القاضى لا يقضى بين الخصمين حتى يسمع كلامهما ، و قال الترمذى : هذا حديث حسن ، و نظام الحكومة النبوية للكتانى ج ١ ص ٢٥٦-٢٦٠ .

(١) الخزاعى التلمسانى : « الدلالات السمعية وشرحه المسمى التراتيب الادارية » للكتانى ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) ذكر ابن عبد البر ، عن جارية بن ظفر رضى الله عنه ، إن داراً كانت بين أخوين فخظرا حظاراً (أى أقاما جداراً) ثم هلكا ، و ترك كل واحد منهما عقباً ، فادعى كل واحد منهما أن الحظار له دون صاحبه ، فاختصم عقباهما إلى النبى ﷺ ، فأرسل حذيفة اليمانى يقضى بينهما ، فقضى بالحظار لمن وجد قد القمط تليه ، ثم رجع فأخبر النبى ﷺ فقال ﷺ

الله عنه ، أول من خصص البعض بولاية القضاء (١) .

دار القضـاء :

يعد عثمان بن عفان رضى الله عنه أول من اتخذ داراً للقضاء « المحكمة » أى مكاناً معيناً للقضاء بحيث لا يعتبر حكم القاضى إلا إذا صدر فى هذا المكان ، ففكرة « المحكمة » عرفها الفقه الاسلامى منذ العصور الأولى (٢) .

※ أصبت أو أحسنت .

(١) مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الكتاب اللبنانى ، بيروت، ١٩٨٢ ص ٢٩٠ « كان القضاء من وظائف الخلافة ومندرجاً فى عمومها ، وكان الخلفاء فى صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم و لا يجعلون القضاء إلى من سواهم ، وأول من دفعه إلى غيره وفوضه فيه عمر رضى الله عنه فولى أبا الدرداء منه المدينة ، وولى شريحاً بالبصرة ، وولى أبا موسى الأشعرى بالكوفة .. وإنما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم و إن كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة و كثرة مشاغلها » .

(٢) الشيخ عبد الحي الكتانى ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ج ١ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، والدكتور محمد سلام مدكور : القضاء فى الاسلام ، دار النهضة العربية ، مصر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ ص ٢٦ ، و الدكتور نصر فريد محمد واصل : المرجع السابق ص ٢٢٢ يقول « و قد تكلم فقهاء الاسلام عن مكان الحكم بأوسع مما تكلم رجال القانون الوضعى من جعله فى وسط الدائرة واختيار المكان البارز الرحب . . . كما أنهم جوزوا تعدد القضاة فى مكان واحد بل أوجبوه تبعاً للمصلحة . . و قد اهتم الفقهاء كثيراً بالمجلس القضائى وهيبته و نظامه ووضعه بحيث الغرض منه . . ※

قاضی القضاة :

أنشأ الخلفاء العباسيون وظيفة « قاضی القضاة » و هو يقيم و يفصل فی الخصومات فی عاصمة الدولة الاسلاميـــة و يقوم بتوليـة قضاة ينوبون عنه فی الأقاليم ، و أول من تقلد منصب قاضی القضاة هو الفقيه الحنفی « أبو يوسف » (أحد صحاب الامام أبی حنيفة و كبير تلاميذه) (١) .

وظيفة القاضی فی الاسلام :

كانت وظيفتـه فی صدر الاسلام بعد تخصيصه بولاية القضاء قاصرة علی الفصل فی الخصومات و المنازعات ثم أضيفت إليه اختصاصات أخری كالنظر فی المحجور عليهم بسبب الجنون أو السفه ، و النظر فی أمر اليتامی و المفلسين و فی وصايا المسلمين و أوقافهم ، وتزويج الأيامی عند فقد الأولياء كما أضيفت إلی مهمته سلطة النظر فی جرائم الحدود « كالزنا والسرقة » و قد كانت هذه السلطة الأخيرة من اختصاصات الوالی تارة ، و من اختصاصات الشرطة تارة أخری (٢) .

※ فأجازوا أن يضم المجلس القضائی أعواناً للقضاء من الكتبة و التراجمـة وأهل الخبرة والحجاب ومحضری الخصوم وأهل التزكية وغير ذلك . . . » .

(١) الكتانی : نظام الحكومة النبوية ج ١ ص ٢٦٣ ، و الدكتور محمد سلام مدكور : القضاء فی الاسلام ص ٣١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ قال « كان النظر فی الجرائم و إقامة الحدود فی الدولة العباسية والأموية بالأندلس والعبيديين بمصر و المغرب راجعاً إلی صاحب الشرطة ، وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين : منها وظيفة التهمة علی الجرائم ، و إقامة حدودها و مباشرة القطع و القصاص حيث يتعين ، ونصب لذلك فی هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون ※

حرية القاضى و استقلاله :

كان للقاضى كامل الحرية فى قضائه ، و أن يقضى بما يؤدى إليه اجتهاده ولو كان على خلاف مذهبه ،كأن يأخذ برأى أبى حنيفة مع أنه شافعى المذهب (١) .

و لم يكن لقاض سلطان على قاض آخر حتى جاء العصر العباسى و أنشأ منصب قاضى القضاة الذى كان له الاشراف على أعمال القضاة ونقض أحكامهم (٢) كما كان يقوم بتعيينهم كما قدمنا ، وكان القاضى يستشير أحياناً رجال الفقه قبل أن يقضى بحكمه فيما يعرض عليه من القضايا .

ولم يكن للقضاة فى الحكومة الاسلامية قانون يحدد حقوقهم والتزاماتهم وتأديبهم و عزلهم ،و يرى الشيخ عبد الوهاب خلاف « ليس فى الاسلام ما يمنع وضع نظام للسلطة القضائية يحدد اختصاصها و يكفل تنفيذ أحكامها و يضمن لرجالها حريتهم فى إقامة العدل بين الناس (٣) .

---

* مراجعة الأحكام الشرعية، ويسمى تارة باسم الوالى وتارة باسم الشرطة ، و بقى قسم التعازير و إقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعاً ، فجمع ذلك للقاضى مع ما تقدم و صار ذلك من توابع وظيفته و ولايته .

(١) الأحكام السلطانيه للماوردى ص ٦٤ .

(٢) نظام الحكومة النبوية للكتانى ج ١ ص ٢٦٢ ، و الدكتور محمد سلام مدكور : نفس المرجع ص ٤٧ .

(٣) السياسة الشرعية ص ٥٠ .

الروافد الأساسية لتكوين المكتبات

دكتور/ السيد محمد لقمان الأعظمي الندوى
رئيس قسم الدراسات الاسلامية
كلية إعداد المعلمين ، حائل المملكة العربية السعودية

أولى الاسلام عنايته بالنواحى العلمية منذ بزوغ فجره ، فكانت الآيات الأولى التى نزلت على نبي الهدى ﷺ « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

أما الأحاديث النبوية فهى حافلة بفضل العلم و العلماء و الرحلة فى سبيل العلم ، و من أبرزها حديث أبي الدرداء المشهور « و من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة » .

و روى الترمذى بسند حسن صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ ، قال : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » .

و كانت هذه الآيات و الأحاديث سبباً فى انطلاق الصحابة لشد الرحال فى طلب العلم ، و مما يروى فى رحلة الصحابة ما حدث به عطاء بن رباح قال : « خرج أبو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث عن رسول الله ﷺ ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة ، فلما قدم إلى منزل سلمة بن مخلد الأنصارى — و هو أمير مصر — فأخبره فعجل عليه ، فخرج إليه فعانقه ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث فى ستر المؤمن « من ستر مؤمناً فى الدنيا على خزيه ستره الله يوم القيامة » .

كذلك قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : فابتعت بعيراً فشددت إليه رحلى شهراً حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله بن أنيس ، فبعثت إليه أن جابراً بالباب ، فخرج ، فعانقنى ، قلت :

حديث بلغنى لم أسمعه ، خشيت أن أموت أو تموت ، قال : سمعت رسول الله ﷺ : « يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما » .

و روى الزهرى عن سعيد بن المسيب ، قال : « إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد » .

و أخبار العلماء و السلف الصالح و رحلاتهم فى سبيل العلم كثيرة يضيق المقام بذكرها ، و يكفى أن نشير إلى أن لهذه الرحلات أثراً واضحاً فى نشر العلم و تكوين نواة المكتبات .

وقد قارن بعض العلماء بين فضل العلم وفضل الجهاد ، وخصص ابن عبد البر باباً فى تفضيل العلماء على الشهداء ، أورد فيه حديثاً عن عثمان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء » .

كما أورد ابن القيم فى ذلك رواية عن عمر رضى الله عنه : « لو لا ثلاث فى الدنيا لما أحببت البقاء فيها : لولا أن أحمل أو أجهز جيشاً فى سبيل الله ، و لولا مكابدة هذا الليل ، و لو لا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر ، لما أحببت البقاء فيها ، فالأول جهاد و الثانى قيام الليل و الثالث مذاكرة العلم ، فاجتمعت فى الصحابة لكمالهم و تفرقت فيمن بعدهم .

مكانة الحديث و دوره فى إثراء المكتبة الاسلامية :

نشأت العلوم الدينية فى ظلال الحديث النبوى ، و قد أخذ رواته يضيفون إليه ما أثر عن الصحابة ، لا فى الحديث فحسب ، بل أيضاً ما أثر عنهم و عن الرسول الكريم فى تفسير الذكر الحكيم ، وبذلك حمل الحديث كل المادة المتصلة بالتشريع و الفقه و التفسير ، و قد أخذ يدون تدويناً عاماً منذ أوائل القرن الثانى للهجرة على نحو ما هو معروف بدور الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، و ما هو معروف عن الشهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ .

و أول و أهم كتاب فى هذا ، كتاب « الموطأ » لمالك بن أنس ، إمام أهل المدينة ، و قد استغرق فى تأليفه أربعين سنة .

وفى أواخر القرن الثانى ظهرت كتب جديدة ، فى تصنيف الحديث ، تقوم على تمييز الحديث من الفقه ، مما جعل أصحابها يوزعون الحديث فى مصنفاتهم على أساس رواته من الصحابة ، و هى الطريقة المعروفة باسم « المسانيد » إذ يسند الصحابى لكل صحابى ما روى عنه من الأحاديث، وأشهر المصنفات فى هذا الاتجاه « مسند أحمد بن حنبل » المتوفى سنة ٢٤١هـ ، واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاء الامام البخارى (١٩٤هـ) فاختط لنفسه منهج تجريد الحديث الصحيح ، فجمع كتابه « الجامع الصحيح » ، و اقتفى منهج البخارى تلميذه الامام مسلم بن الحجاج القشيرى فى كتابه « صحيح مسلم » .

وكان هذا القرن أحفل العصور بجهابذة العلماء و المحدثين ، وعظيم المصنفات فى الحديث ، و بعد الصحيحين تأتى كتب الستة الأربعة، وهى : سنن أبى داؤد (٢٧٥) و سنن الترمذى (٢٧٩) وسنن النسائى (٣٠٣) و سنن ابن ماجة (٢٧٧) وكتب السنن الأربعة هذه مع الصحيحين، هى التى يطلق عليها العلماء (الكتب الستة).

و أخذ المحدثون منذ هذا العصر يعرضون رواة الحديث على نقد شديد حتى يحيطوه بسياج متين من الصحة و الثقة ، فنرى سعة و تخصصاً فى مباحث الجرح و التعديل ، استقصاء لأحوال الرواة ، ويعتبر كتاب « طبقات ابن سعد » المتوفى ٢٣٠هـ من المصنفات الجامعة فى هذا العلم ، و كان قد مهد له فى ذلك أستاذه محمد بن عمر الواقدى قاضى المأمون المتوفى ٢٠٧هـ .

وقد جنح بعض العلماء إلى إفراد مصنفات خاصة بلون خاص، من الرجال كالثقات و الضعفاء و المجاهيل و المدلسين ، و قام الآخرون بمسح دقيق لتراجم جميع رواة الحديث ، فظهرت الموسوعات و المعاجم « التاريخ الكبير » للبخارى ، «الجرح والتعديل» لابن أبى حاتم ، « الكمال فى أسماء الرجال » لعبد الغنى المقدسى « ميزان الاعتدال » للذهبي ، « تهذيب التهذيب » لابن حجر .

و هكذا أثرى علم الحديث ، المكتبة الاسلامية ، و يعتبر هذا عملا رائعاً لم تصل إليه الأمم المتحضرة حتى هذا العصر .

و إذا تركنا التصنيف فى الحديث إلى التصنيف فى تفسير القرآن الكريم و علومه ، فاذا لهذين العلمين دور رائد فى تكوين المكتبة الاسلامية .

وقد ازدهرت الدراسات فى الفقه فى العصر العباسى ازدهاراً عظيماً ، وظهرت الموسوعات الفقهية ، و أضفت على المكتبة الاسلامية جمالا .

و من يمعن النظر فيما سجلت كتب طبقات اللغويين و النحويين ، يجدها تطورت من التأليف مثل كتاب الفرس ، وكتاب الابل إلى تأليف المصنفات المطولة مثل « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، « الكامل » للمبرد ، « الحيوان » للجاحظ .

و من الجدير بالذكر أن « ابن قتيبة » فى كتابه المذكور ، استطاع أن يعالج كثيراً من القضايا التى وقفت عقبة فى طريق الحياة الاجتماعية ، ففى كتابه القيم « عيون الأخبار » مزج بين الثقافات الاسلامية العربية و الفارسية و اليونانية و الهندية ، مزجاً أسقط فيه الصراع العنيف بين الشعوب .

هكذا خلف علماؤنا الأسلاف آلاف الآلاف ، من الذخائر و النفائس التى كانت و لا تزال المكتبة الاسلامية تزخر و تزدهر و تتدفق ، كالعيون أمام المتعطشين و الطلاب .

حركة الترجمة و دورها فى تطوير المكتبة :

كان من أهم الأسباب التى دفعت إلى ازدهار المكتبة العربية ، الاتصال الخصب المستمر بين الثقافة العربية و بين ثقافات الأمم الأخرى ، و ما طوى فيها من معارف وعلوم ، و كان هذا الاتصال يأخذ طريقه منذ عصر بنى أمية ، ثم كان للعصر العباسى الأول اليد الطولى ، فى ترجمة المصنفات اليونانية من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية ، و كان كثير من مصنفات اليونانيين قد ترجمت إلى الفارسية ، فأدلى الفرس بدلوهم لا بنقل ثقافتهم فحسب بل فى نقل بعض الآثار اليونانية أيضاً على نحو ما هو معروف ، من نقل « ابن المقفع » لمنطق أرسطو ، و قد نقل « كليلة و دمنة » الهندى الأصل إلى العربية .

وللبرامكة فضل عظيم فى إذكاء الترجمة حينئذ، فقد شجعوا ـ بكل ما استطاعوا ـ على نقل الذخائر النفيسة إلى العربية من الرومية و اليونانية و الفارسية و الهندية، و تبلغ هذه الموجة الحادة للترجمة أبعد غاياتها فى عهد المأمون، إذ حول «خزانة الحكمة» إلى ما نسميه معهداً علمياً كبيراً، وقد ألحق بها مرصده المشهور، وشملت الترجمة كل ما اتصل بالعلوم و الصناعات و ما اتصل بالملل و النحل، و كلها إضافات قيمة إلى المكتبة الاسلامية، و أصبحت من أهم المؤسسات الثقافية التى يفخر بها الاسلام.

و المكتبة العربية فى العصر العباسى أصبحت مرآة انعكست فيها حضارة الاسلام و حياة المسلمين، وازدهار العلم و تطور العلوم، و لذلك نراهم يصنفون الكتاب بأجمل الكلمات «أنه هو الجليس الذى لا ينافق و لا يمل و لا يعاتبك إذا جفوته، و لا يفشى سرك»، و قال أحدهم:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب   تلهو به إن ملك الأحباب
لا مفشياً سراً إذا استودعته   و تفاد منه حكمة و صواب

و كلنا يذكر قول المتنبي المشهور:

أعز مكان فى الدنيا سرج سابح   و خير جليس فى الأنام كتاب

و قال الجاحظ مادحاً الكتب مظهراً محاسنها: «نعم الذخيرة و العقدة هو، و نعم الجليس والعدة، و نعم العشرة و النزهة، و نعم المشتغل والحرفة، و نعم الأنيس لساعة الوحدة، و نعم المعرفة ببلاد الغربة».

«الكتاب وعاء ملئ علماً، وظارف حشى ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجداً».

و لا أعرف كاتباً وصف الكتاب بأبلغ من وصف الجاحظ، و هو فى هذا يصور ما بلغت الحضارة الاسلامية من تقدير العلم والمعرفة، وما أحوج شباب اليوم أن يستردوا أمجاد آبائهم و أسلافهم، بالانطلاق نحو العلم، و الارتواء من مناهله، و إقتناء المصادر و المراجع، و تكوين مكتبة فى كل بيت و مدرسة.

الجانب التاريخى لروايات جرجى زيدان

بقلم : الأستاذ منظور أحمد خان
محاضر فى قسم اللغة العربية
المعهد المركزى للغة الانجليزية و اللغات الأجنبية
حيدر آباد — ٧ . . ٥٠ (جنوب الهند)

ألف جرجى زيدان اثنتين و عشرين رواية تاريخية ، سبع عشرة منها تتناول التاريخ الاسلامى حتى نهاية الدولة العباسية على أيدى هولاكو سنة ١٢٥٨ من الميلاد ، و الخمس الآخر تعالج تاريخ مصر الحديث ، و سنركز اهتمامنا على القسم الأول و نحاول أن نبحث عن الغرض الذى عكف زيدان من أجله على تأليف تاريخ الاسلام و الأمة المسلمة من جديد ، مع دعواه أنه كان يهدف إلى تعميمه بين عامة الناس (١) و لتسهيل البحث نقسم هذه السبع عشرة إلى أربعة أقسام، فيتناول القسم الأول فتوحات إسلامية فى الجزيرة العربية ومصر والأندلس و ما يجاورها من البلاد ، و يقع ضمن هذا القسم أربع روايات و هى « فتاة غسان » و « أرمانوسة المصرية » و « فتح الأندلس » و « شارل وعبد الرحمن » و يشتمل القسم الثانى على روايتين تتناولان وصف مصر و قرطبة فى عهدى أحمد بن طولون أمير مصر و عبد الرحمن الناصر أول الخلفاء الأمويين بالأندلس، و تحملان اسمى هذين الرجلين العظيمين ، أما القسم الثالث فيحتوى على رواية واحدة سميت بـ « شجرة الدر » و تصف لنا تأمير هذه المرأة على عرش مصر

(١) الهلال ، الجزء السادس عشر ، ٢٥/ مايو ١٨٩٩م ، نقلا عن أحمد إبراهيم الهوارى ، الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث ، ص ١٥٧ .

و عزلها ، كما تصف نهاية الدولة العباسية على يد التتر ، يشتمل القسم الرابع على العشر الباقية التى تعالج الحروب الداخلية للمسلمين ، و انتقال السلطة من يد إلى يد أخرى ، منذ الفتنة الكبرى فى عهد عثمان بن عفان حتى نهاية الدولة الأيوبية بمصر .

و من المعلوم أن جرجى زيدان مسيحى مولود بالشام و مهاجر إلى مصر سنة ۱۸۸۳م ، و قد أثبت زين العابدين معتمداً على مذكراته أن عائلته دخيلة على الديار اللبنانية (۱) ، بما استوطنتها ككثيرة من العائلات النصرانية زمن الحروب الصليبية و بعدها ، و لا فارق عندنا هل كان الرجل دخيلا أم كان له أصل فى أنساب العرب ، لأن دينه هو الحد الفاصل بينه و بين التاريخ الاسلامى الذى يتدفق بمآثر المسلمين و مفاخرهم دون غيرهم ، فاذا ننظر فى روايات زيدان ذات الفتوحات من وجهة النظر هذه نرى كأنه يتحسر على زوال الحكم النصرانى فى كل من سوريا ومصر و الأندلس ، بحيث يأخذ يؤول هزيمة النصارى فى البلدان المذكورة و يقلل بسالة المسلمين و تفانيهم فى سبيل نشر كلمة الله و ينكر عناية ربهم و رحمته عليهم ، فى كل ما قاموا من الفتح داخل الجزيرة العربية أو خارجها ، ثم ولو سمحه التاريخ لكان اهتمامه بالمسيحيين و المسيحية أكبر من اهتمامه بالمسلمين و الاسلام ، فانه فى « فتاة غسان » مثلا يفتح الحديث بالغساسنة النصارى فيأخذ القارىء إلى قصر الامبراطور هرقل حيث نلتقى بأبى سفيان و هو يشرح للامبراطور أمر سيدنا محمد ﷺ ، و من ثم تتواصل الأحداث و يندفع المؤلف فى أمر العائلة الغسانية الحاكمة بالشام من جديد ، حتى يجبر بطله النصرانى على الذهاب إلى مكة حيث يخبرنا عن غزوة بدر على لسان أحد الصحابة و يرينا فتح مكة من عينى البطل ، ثم و مع أن جزء الرواية الثانى يتناول الفتوحات

---

(۱) محمد سرور نايف زين العابدين ، دراسات فى السيرة النبوية ، ص ۱۸۱-۱۸۲ .

بالشام و بالعراق بطريقة شبه مباشرة ، و لكنه لا يخلو هو أيضاً من ذكر الأديار و الرهبنة و مغادرة العائلة الحاكمة الشرق الأوسط العربى إلى عاصمة بيزنطيين بالقسطنطينية مسجلا نهاية الحكم الصليبي فى المنطقة إلى الأبد (١) .

على هذا النحو فلا اعتبار لاعترافاته الضمنية فى الروايات ذات الفتوحات و غيرها الوصفية و الخلافية بتسامح الاسلام الدينى نحو أبناء الأديان الأخرى و بكون معتقيه أبطال الأمن و السلام أينما توجهوا (٢) ، ثم ببسالة المسلمين الفريدة و تفانيهم فى سبيل الحق ، و بعد دراسة روايات زيدان و التفكير فيها ملياً ، وفى المراجع التى اعتمد عليها المؤلف، قد وصلنا إلى أن القسم الأول منها مجرد محاولة من مؤلفها لتشويه التاريخ الاسلامى ، بمـــا فيه الدين الحنيف ونبيه المصطفى عليه الصلاة و السلام ، بينما القسم الثانى و الثالث عبارة عن تلاعب زيدان بتاريخنا المجيد حيناً و عن تسميمه له بدسائسه آخر ، و هنا نريد أن نشير إلى زين العابدين مرة أخرى وهو يحاول إثبات الصلات بين جرجى زيدان وبين المستشرقين و المبشرين (٣) ، مع أنه نفسه يعترف بصلاته مع هؤلاء المـاكرين الحاقدين على الاسلام و نبيه المصطفى ﷺ (٤) ، ثم إنه لا حاجة هناك للباحث أن يبحث عن ميول المرء و أهوائه ، ما دامت هويته الدينية واضحـــة جلية ،

---

(١) أنظر « فتاة غسان » الجزء الأول و الجزء الثانى .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٣ ، ٣١٠ * جرجى زيدان ، أرمانوسة المصرية ، ص ٩٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦ * جرجى زيدان ، فتح الأندلس ، ص ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٧ ، ١٨٥ .

(٣) زين العابدين ، ص ١٨١ .

(٤) جرجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، ج ٤ ، مقدمة الطبعة الأولى .

و لا سيما فى مجال علمى لا يربطه به قلبا و عقيدة ، و ليس من المعقول أن يوجد على وجه الأرض رجل لا يهمه أغراضه و مصالحه الفردية ، فاذا كان الأمر كذلك — و الحق أنه كذلك من غير ريب — فلا صعوبة هناك فى قياس زيدان على أمثاله النصارى المستشرقين فى تفكيره و موقفه نحو الاسلام و الدراسات الاسلامية ، و يتبين لنا موقفه الانحيازى العدوانى فى كل رواية من رواياته ، و سنقف موقفاً مطولا عند إثاراته ضد الاسلام و مفاهيمه و نبيه عليه الصلاة و السلام فيما بعد ، و الآن نريد أن نؤكد موقفه السلبى نحو أبطال الاسلام و شجعانه غير النبى الأمى العربى ﷺ .

و على سبيل المثال نأخذ السلطان صلاح الدين الأيوبى ، عالجه زيدان فى إحدى رواياته المسماة باسم صلاح الدين نفسه ، و من المعلوم لدى طلبة التاريخ وحتى لدى العامة الذين لهم أقل إلمام بالتاريخ ، أن السلطان كان بطل العالم الاسلامى كله فى زمن الحملات الصليبية ، و أنه بذل الغالى و الرخيص فى دفع العدو من الديار الاسلامية ، ثم إنه كان ورعاً تقياً يكاد يشبه تقواه تقوى الخلفاء الراشدين ، و قد أثرت شخصيته العظيمة المتسامحة فى أعدائه الغربيين فصورها غير واحد منهم فى مؤلفاته كما فعل الروائى الانجليزى الفذ السيد وولترسكوت (١٧٧١—١٨٣٢م) فى رواية له « الطلسم » (١) ، كذلك نوه صاحب المقال لدائرة المعارف البريطانية جهود صلاح الدين التى بذلها فى رفع كلمة الاسلام و دفع العدو من بابه ، كما صور شخصيته بذكر محامده و محاسنه تصويراً بارعاً ، فانه يحدثنا عن مطمحه فى الحياة على النحو التالى : « كان كل عمل لصلاح الدين مستوحياً من إخلاصه الشديد غير المتردد لفكرة الجهاد ، وكان من الجزء الأساسى

(1) Sir Walter Scott. Talisman

لسياسته تشجيع نشأة مؤسسات المسلمين الدينية ونشرها ، و أنه قرب إليه العلماء و الوعاظ و أنشأ لهم الكليات و المساجد و كلفهم على تأليف الأعمال المثقفة عن الجهاد نفسه » ، ويقول عن تسامحه الدينى : « ولكن أكبر منجزات صلاح الدين و أشأم ضرباته للحركة الصليبية برمتها ، جاءت فى الثانى من نوفمبر سنة ١١٨٧م ، عندما استسلمت يروشلم التى هى مقدسة لكلا المسلمين و النصارى سواء بسواء لجند السلطان بعد ٨٨ عاماً بيد الافرنج ، وامتاز فتح المسلمين من جديد بعقيدتهم الصالحة المثقفة و بسلوك صلاح الدين وسلوك قواته اللطيف الدمث بالتباين التام مع فتح المدينة من النصارى عندما جرى الدم جرياً خلال قتل مواطنيها الهمجى » .

و يشيد بموهبته الحربية بقوله : « و الحملة الصليبية (الثالثة التى كانت من نوع انتقامى من قبل العالم النصرانى الغربى) كانت نفسها مدبرة ومنهكة ، وبالرغم من كونها دفعية لم تنل عبقرية ريتشارد الأول الملقب بقلب الأسد شيئاً ، و هناك يقع أكبر منجزات — بل كثيراً مما غير معترف بها — صلاح الدين » ، و يختم مقاله بذكر تقاته و ورعه وقوله : « و توفى فى الرابع من مارس سنة ١١٩٣م ، و لما كان أقرباؤه يتزاحمون لأجزاء المملكة ، اكتشف أصدقاؤه أن أقوى الحكام و أسخاهم فى العالم الاسلامى لم يترك مالا كافياً لدفع قبره » (١) .

فهذه المفاخر هى التى ذاع صيت صلاح الدين من أجلها فى مشارق الأرض و مغاربها ، وبها يعرف ذاك البطل العظيم بين أصدقائه و أعدائه على حد سواء ، و لكننا إذا فتشنا عن شخصيته العظيمة الباهرة فى رواية زيدان المذكورة أعلاه ، فلا نرى فيها أثراً منها ، إلا أنه وافد على مصر مع عمه أسد الدين فى حملة عسكرية ، ويأخذ يتدخل فى شؤون البلاد بعد الانتهاء من العملية اللازمة ليسيطر

Encyclopedia Birtanica, See, (Saladin) (1)

على الحكومة ، و من ناحية أخرى يماطل نور الدين صاحب الشام الذى أنفذه إلى الديار المصرية لنجدة خليفتها العاضد ويعتذره من الرجوع إلى دمشق ، ويأتى ذكر خروج صلاح الدين إلى فلسطين لفتح بيت المقدس عفواً ، عندما يؤكد السلطان سيدة الملك أخت الخلفية الراحل باستنقاذ حبيبها عماد الدين من السجن حين وصوله تلك البقعة المقدسة (١) .

و الآن سنحاول أن نبين أن زيدان لا يختلف عن إخوانه النصارى المستشرقين وغيرهم، فى عداوة الاسلام هدفاً ومنهجاً ، من خلال مؤلفاته الروائية وغيرها التاريخية ، ولاسيما مؤلفه « تاريخ التمدن الاسلامى » ، وجدير بالذكر هنا أن كتاب زيدان الآنف الذكر كان امتداداً لمؤامراته التى دبرها ضد الاسلام فى الروايات ، و أنه يعترف نفسه بهذا الأمر قائلا : إنه كان يهدف إلى إعداد أذهان القراء من خلال الروايات إلى مطالعة التاريخ الخالص الذى قدمه بشكل « تاريخ التمدن الاسلامى » (٢) ، فالأرجح إذا تناولنا هذا الكتاب مع الروايات ليتحقق لنا اعتداء المؤلف للاسلام على نحو واضح جلى ، أما هدف المستشرقين و أمثالهم من خلال بحوثهم و دراساتهم فى الاسلام و علومه المختلفة ، فهو صيانة أذهان السواد الأعظم من نصارى الغرب بإثارة التعصب الدينى من تأثير الاسلام الايجابى الذى أنتجته الحروب الصليبية من ناحية ، و تشكيك المسلمين غير الملمين بالاسلام إلماماً تاماً فيه ، و فى مبادئه من ناحية أخرى ، و لنيل بغيتهم هذه أنهم يقررون فى بادىء الأمر أن القرآن كأحد من الكتب الدينية التى صنفها « نبي » أو نائبه

(١) جرجى زيدان ، صلاح الدين الأيوبى ، ص ١٠ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٤ ، ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ، ج ١ ، المقدمة ، ص ٨ .

أو وصيه ، فانهم دائماً يبالغون في البحث عن المراجع المزعومة التي إستند إليها «مؤلف» القرآن يعنى سيدنا محمد ﷺ ولا تفيدهم بحوثهم إلا الحيرة والبهتة (١) و بانكارهم كون القرآن منزلا من الله أنهم ينكرون نبوة سيدنا محمد ﷺ أيضاً ، فيطنبون في الكلام عن صلاته مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى بلاجدوى.

و ننقل هنا بعض ما كتبت دائرة المعارف « الاسلامية » عن سيدنا محمد ﷺ ليتضح لنا منهج زيدان بوضوح وجلاء بالغين ، ففي أول الأمر ينكر صاحب المقال إمكانية تعــلم النبي ﷺ على أيدى الأحبار و الرهبان في « أسفاره » التجارية ، كذلك ينكر مقدرته على القراءة و الكتابة ، و لكنه في نفس الوقت لا يعترف بنبوته ﷺ و إنما ينسب إليه الاستناد إلى الكتب السماوية عن طريق شيوعها في الجزيرة العربية ولا سيما في مكة و يثرب ، ثم عن طريق بعض العبيد الأعاجم ، و من بالغ التهكم و السخرية قول صاحب المقال أن القرآن لم يعن بتفنيد تهمة أخذه من هؤلاء العبيد في سورة النحل ، ثم لتبيان الفرق بين مضامين القرآن و الكتاب المقدس الموجود لدى النصارى ، يحتفظ المؤلف أن مراجع القرآن هي اللواتي لا يعترف بها النصارى مثل الأعمال المدراشية و الأبوكريفارية و المانوية و الباسلية ، و يقول عن إيواء الأنصار سيدنا محمداً ﷺ بأنهم قاموا بنصرته لمجرد كونهم في حاجة إلى زعيم سياسي أكثر منه إلى واعظ موحاً إليه ، ينظم علاقاتهم السياسية من جديد ، و التي كانت قد تزعزعت في الحروب القبلية المتأججة في حرب « بعاث » .

وبعد أن أنكر المؤلف الوحي والنبوة ، فانه يبدو حائراً في أمره أن كيف يؤول ما نال خاتم النبيين ﷺ من العلاء و الرفعة في العالم كله ثم النصر و الغلبة

(١) سيد أبو الأعلى مودودى ، سيرت سرور عالم ، ج ١ ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٧ .

على أعدائه داخل الجزيرة العربية وخارجها بعون الله تعالى وفضله ، ومن أقواله: « إن المشكلة الكبيرة التي يواجهها مؤلف سيرة محمد ﷺ في كل صفحة لها، هي أن السر الحقيقي لحياته و القوة العجيبة لشخصيته وقوة تأثيرها في الأشخاص حوله غير مدونة في المؤلفات البدائية ، و هو محال تدوينه بدون شك » ، ثم « وكان العامل القوى الحقيقي يكمن في إيمانه غير المتزعزع من البداية حتى النهاية بأنه مبعوث من الله وباليقين الذى قدمه نفسه كمنفذ مشيئة الله، فجعل أقواله وأوامره سلطة أصبحت إجبارية في النهاية » ، ثم « و من المستحيل للمؤرخ غير المتحيز أن ينكر أنه أثار الحافز الديني لمواطنيه و أعطى تعبيراً لمجموعة من التصورات الدينية و الأخلاقية التي لم تقنع أبناء بلاده فحسب ، بل سدت حوائج الناس للأراضي المفتوحة من قبل المسلمين ، و التي كانت تحتضن ثقافات قديمة و وفت بها أن تكون كالأساس للنشاط الفكرى القوى البعيد المدى » (١) .

كذلك يتحير جرجي زيدان باستدلالاته و إستنتاجاته النادرة القائمة على نزواته الشيطانية الفاسدة دون الأسس العلمية ، و من استدلالاته قوله عن سيد المرسلين ﷺ : « و كان على صغر سنه يجالس الحجاج القادمين لزيارة الكعبة ، و فيهم العلماء و الشيوخ و يحادثهم بما يقربه إلى قلوبهم و عواطفهم » ، و منها أيضاً « و كان أبو طالب إذا خرج إلى تجارة أو سفر اصطحب محمداً ، فينزل بالأديرة و يجالس الرهبان و العلماء » (٢) ، و جدير بالملاحظة هنا أن زيدان ينسب إلى النبي الأمي ﷺ معاشرة الحجاج من العلماء و الشيوخ لغرض التثقف و التعلم ، الشيء الذى فات لأقرانه المستشرقين ذكره ، ثم إنه لا يستحي زيدان

---

(1) Encyclopedia of Islam, See, (Mohammad)

(٢) فتاة غسان ، ص ٧٢ ، ٧٦ .

و أمثاله من ذكره أسفار النبي ﷺ المزعومة و تلمذه على الشيوخ و الرهبان ، بما أن عدد هذه الأسفار لا يتعدى سفرين اثنين قط (١) ، و أما طبيعتهما فهى أيضا لا تؤيد دعواهم بما أن السفر الأول وقع والنبي ﷺ لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة ، بينما وقع الثانى و هو ابن خمس وعشرين سنة ، و مؤتمن على أموال خديجة بنت خويلد فى مصاحبة مولاها ميسرة، ثم إن هذين لم يقم بهما النبي ﷺ فى إنعزال من أصحاب عير قريش ، و لم يغب عنهم لحظة واحدة ليقبل على حبر أو راهب ، ولهذا لم يرمه قريش بشىء من هذا القبيل ، لأنهم كانوا على بينة من الأمر أنه سيكذبهم الجمهور إذا جاؤا بافتراء كهذا ، ثم ولو كان النبي ﷺ قد تعلم على يد راهب أو رهبان لكان سؤال عامة الناس لقريش أن محمداً ﷺ قضى شبابه كله بين أيديهم حتى بلغ الأربعين ، و لكنه لم يأت بشىء من الانذار و التبشير حتى ذاك الحين ، فلماذا كتم علمه عن الناس لهذه المدة الطويلة ، ولماذا لم يلفظ حتى كلمة واحدة قبل نبوته تدل على تثقفه فى الأسفار .

و أما الذى رمى به قريش النبي تلقنه من بعض الموالى من أهل الكتاب الملمين بالقراءة و الكتابة و المقيمين بمكة ، و هم عداس العبد المعتق لحويطب بن عبد العزى، ويسار العبد المعتق لعلاء بن الحضرمى ، وجبر العبد المعتق لعامر بن الربيعة ، و يرد على فريتهم من أربعة وجوه ، فالأول أن رؤساء قريش الذين كانوا يضطهدون المسلمين و يعذبونهم ألواناً من العذاب ، لم يكن صعبا عليهم أن يغيروا على منازل معلمى النبي ﷺ المزعومين أو على منزل النبي ﷺ نفسه حيث كانت الكتب السماوية تترجم و تتلى عليه ، و يبرهنوا على الناس ليبعدوا عنهم

(١) راجع ابن هشام ، السيرة النبوية، ج ١ ، ص ١٦٥ ، ١٧١ ★ المسعودى، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج ٢ ، ص٢٧ ★ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

« أخطار » النبوة و يستأصلوها إلى الأبد ، و الوجه الثانی أن الموالی المذكورين ، هناك شتان ما بين مداركهم الذهنية والقرآن الذی كان النبی ﷺ يقدمه للناس ، والذی كان يتحدى معانديه و هو لا يزال يتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله ، ثم و لو كان هؤلاء يملكون مؤهلات من نوع تأليف القرآن فلما لم يشعلوا سرجهم هم ، بدلا من إشعال سراج النبی ﷺ ، و ذاك بغاية الحذر و الكتمان لكی لا يصل إليهم حتى جزء من السمعة و الصيت الذی لاقاه النبی ﷺ بتقديم القرآن ، و ثالثاً لم يكن فی وسع هؤلاء الموالی أن يغضبوا حماتهم بامداد سيدنا محمد ﷺ بمواد النبوة التی كان يهاجم بها دينهم ويدين بها عاداتهم وتقاليدهم دون مراعاة لنتائج الهجوم و الادانة ، ثم و لو كان الحال كما إفتراه قريش ، لم يكن هؤلاء الموالی آمنوا بالنبی ﷺ بمنتهى الصدق و الاخلاص الذی لم يجلب لهم إلا السخط و الغضب من المجتمع كافة بما فيه حماتهم رؤساء قريش ، ثم و كان فی وسع حماتهم أن ينكلوهم و يعذبوهم أشد العذاب حتى يعترفوا « بذنبهم » على رؤوس الأشهاد ، و رابعاً و أخيراً و لو قام هؤلاء بما كانت قريش تتقول به ، فلماذا لم ينالوا تلك المنزلة الممتازة بين أصحاب النبی ﷺ التی قد نالها غيرهم مثل أبی بكر وعمر و أبی عبيدة رضی الله عنهم ؟ و هل من المعقول أن تروج تجارة « النبوة » بمجهودات عداس و يسار وجبر و يصبح غيرهم خواص النبی ﷺ ؟ ثم لو كانت مواد « النبوة » تعد ليلا بمساعدة هؤلاء ، فكيف يخفى هذا الاعداد على أعين أسرة النبی ﷺ و أقربائه مثل زيد بن حارثة و علی بن أبی طالب و أبی بكر الصديق رضی الله عنهم ، وهم يتفانون فی نشر دعوته تفانياً قلما يقدم تاريخ البشر مثيلا له (١) .

« يتبع »

(١) سيد أبو الأعلى مودودی ، ص ٤٧٨ ، ٤٨١ .

الدورة العاشرة لمجلس الأحوال الشخصية الاسلامية

لعموم الهند تدعو إلى مكافحة البدع و التقاليد غير الاسلامية

بقلم : السيد رئيس أحمد الندوى
زميل معهد الدراسات الاسلامية و العربية بدهلى الجديدة

فى وقت تمر فيه الأمة الاسلامية فى الهند بمرحلة دقيقة من تاريخها وتواجه فيه من التحديات و الأخطار التى تستهدف هويتها الدينية و الثقافية المتميزة ، بل ترمى إلى القضاء على وجودها كفئة من البشر لها حق العيش بكرامة على تراب وطنها ، و فى وقت أثبتت فيه معظم القيادات السياسية لمسلمى الهند خواءها العقلى و عقمها الفكرى ، حتى وصل الافلاس الفكرى لبعض هذه القيادات إلى حد التواطؤ مع العلمانيين و الفاشيين الهندوس ضد المصالح الحقيقية للاسلام والمسلمين فى الهند . . فى مثل هذه الظروف المأساوية والأحوال المثبطة لكل الهمم انعقدت الدورة العاشرة لمجلس الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند (All India - Muslim Personal Law Bord) يومى ٢٣ - ٢٤ نوفمبر ١٩٩١ فى دهلى الجديدة كبصيص أمل وكطوق نجاة وسط الأمواج والأنواء و المخاوف التى تحيط بمستقبل المسلمين و مصيرهم فى الهند .

وقد يرى البعض هذا الكلام تهويلا للأوضاع المتردية التى يعانيها المسلمون فى الهند و تفخيماً لمنظمة إسلامية لقيامها بدور كان ينبغى أن يمارس على الصعيد القانونى و خلال المجالس التشريعية لا غير ، و لكن الواقع هو أن « مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية » هذا ، هو بمثابة خط الدفاع الأخير الذى يقاوم مسلمو الهند من خلاله منذ حوالى عقدين من الزمان ، الهجمات الشرسة والمخططات

التآمرية ضدهم ، و هو يمثل تحديهم و إصرارهم و عنادهم للمحافظة على هويتهم الاسلامية ، كما أن هذا المجلس يقدم إطاراً عملياً للتضامن ـ و ربما الوحدة فى مرحلة لاحقة ـ بين مختلف الاتجاهات و المذاهب الاسلامية فى الهند .

و يجدر بنا ـ قبل التطرق إلى القرارات الصادرة عن المجلس فى دورته الحالية و بيان خططه للمستقبل ـ أن نستعرض الظروف التى حتمت إنشاء مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية و الأنشطة و الانجازات التى قام بها هذا المجلس خلال السنوات العشرين الماضية .

لقد حكم المسلمون منطقة شبه القارة الهندية (الهند وباكستان و بنغلاديش) قرابة ٧٠٠ عام ، قبل مجئ المستعمر البريطانى ، و لم تكن حكوماتهم « إسلامية » بمعنى الكلمة تلتزم بتطبيق قوانين الشريعة الاسلامية ، بل كان همها الأكبر توسيع رقعتها إلى أقصى حد ممكن و بسط نفوذها على أكبر عدد من فئات البشر ، و لم يحاول هؤلاء الحكام المسلمون تطبيق قوانين أحوال شخصية موحدة على رعاياهم من غير المسلمين بل حاولوا كسب ودهم بمنحهم حرية ممارسة الشعائر الدينية و العمل بقوانين أحوالهم الشخصية ، بل تغاضوا إلى حد كبير عن تأدية غير المسلمين لبعض الشعائر الوحشية و الممارسات التى تتقزز منها النفس البشرية (كشعيرة « ساتى » لدى الهندوس و التى تم فيها إحراق الأرملة مع جثمان زوجها) .

و لكن بالرغم من عدم التزام الأسر الحاكمة الاسلامية المتعاقبة بتعاليم الاسلام فى إدارتها للبلاد و فى توجهاتها السياسية و العسكرية بوجه عام ، إلا أن المحاكم الشرعية الاسلامية ظلت قائمة ، تمارس دورها القضائى و الاجتماعى حتى سقوط حكم المغول المسلمين فى الهند بأيدى الاستعمار البريطانى فى أوائل القرن التاسع عشر ، وقام المستعمرون الانجليز بالغاء القانون الجنائى الاسلامى سنة ١٨٦٦ ، كما ألغوا التشريعات الاسلامية الخاصة بالشهادة و البيوع و التجارة فى فترات لاحقة ، وبدأ العمل فى الهند البريطانية بالقوانين البريطانية مع أخذ قوانين الأحوال

الشخصية للطائفتين المسلمة والهندوسية بعين الاعتبار ، لدى الفصل فى القضايا الخاصة بها فى المحاكم .

و كان قد جرى تشكيل أربع لجان ملكية بريطانية فى فترات متعاقبة لبحث توحيد قوانين الأحوال الشخصية على مستوى الهند البريطانية كلها ، و لكن كافة هذه اللجان أوصت فى تقاريرها ـ الواحدة بعد الأخرى ـ بعدم المساس بقوانين الأحوال الشخصية لأية طائفة لارتباطها الوثيق بصميم معتقداتها الدينية ، و هكذا عدلت الحكومة البريطانية الاستعمارية عن خططها ، لادخال أية تعديلات فى قوانين الأحوال الشخصية ، و خولت للحاكم حق الفصل فى النزاعات و القضايا بين الأفراد و العائلات ، طبقاً لقوانين الأحوال الشخصية الخاصة بكل طائفة .

و تنبه العلماء المسلمون فى الهند إلى ضرورة التأكيد على هذا الوضع ، عن طريق قانون حكومى بعد صدور قرار من محكمة بومباى فى العهد البريطانى ، يقضى بحرمان امرأة مسلمة من حقها فى إرث العائلة ، بناء على تقليد أو عرف هندوسى كان يجرى العمل به داخل العائلة المذكورة حتى بعد اعتناقها الاسلام ، ولقد كافح العلماء المسلمون لاستصدار قانون حكومى إلى أن أصدرت الحكومة البريطانية الاستعمارية قانون تطبيق الشريعة (Shariat Application Act) سنة ١٩٣٧ ، و يقضى هذا القانون بوجوب البت فى قضايا الأحوال الشخصية طبقاً لأحكام الشريعة الاسلامية لو كان الطرفان مسلمين ، كما اعتبر كافة التقاليد و الأعراف الاجتماعية لاغية ، لو كانت تناقض أحوال الشخصية الاسلامية .

و بعد استقلال الهند سنة ١٩٤٧ ، صدر دستور جديد للبلاد سنة ١٩٥٠ ، أعطى لجميع الطوائف والمجموعات الدينية ضمانات بحريتها فى ممارسة الشعائر الدينية و حقها فى الحياة ، وفق تقاليدها و أعرافها و معتقداتها (من خلال المادتين ٢٥ و ٢٩ من الدستور) إلا أن المادة ٤٤ منه ، توصى الحكومة بالعمل لاصدار

قوانين أحوال شخصية مؤحدة تطبق على جميع سكان البلاد ، بغض النظر عن انتمائهم الدينى .

و قد تنبه زعماء سياسيون مسلمون من الرعيل الأول و هم أعضاء فى الجمعية التأسيسية ، من أمثال الشيخ حسرت موهانى من لكناؤ ، والمحامى محمد إسماعيل من مدراس بجنوب الهند ، لمخاطر المادة ٤٤ من الدستور الهندى على الهوية الاسلامية فى الهند ، و قدموا عدة مشاريع قرارات لادخال تعديل على المادة المشار إليها ، يضمن للسلمين حقهم فى العمل بقوانين أحوالهم الشخصية ، وجرى تطمين أعضاء الجمعية التأسيسية المسلمين بأن الحكومة تنوى إعداد صيغة موحدة لقوانين الأحوال الشخصية ، بدون المساس بقوانين الأحوال الشخصية الخاصة بمختلف الطوائف الدينية ، وقال الدكتور أمبيدكار رئيس لجنة صياغة الدستور بالحرف الواحد : « إن حكومة هندية مجنونة هى التى يمكن أن تلغى قوانين الأحوال الشخصية للسلمين ، و هل هى ترغب فى دفع المسلمين إلى التمرد ؟ » .

و بالرغم من هذه التأكيدات و التطمينات ظلت المادة ٤٤ من الدستور الهندى ، الداعية إلى تسنين قوانين أحوال شخصية موحدة لجميع الفئات ، بغض النظر عن انتمائها الدينى ، سيفاً مسلطاً على رقاب المسلمين فى الهند يستغلها أعداؤهم للانقضاض على هوية المسلمين وابتلاع ما تبقى من معالمها ، ويعتبر العلماء المسلمون فى الهند المادة ٤٤ من الدستور الهندى البذرة السيئة التى أنبتت الشجرة الخبيثة للحركة المناوئة للأحوال الشخصية الاسلامية فى الهند .

و فى سنة ١٩٥٦ وافق البرلمان الهندى على إدخال تعديلات على قوانين الأحوال الشخصية الهندوسية ، و أعلن (باتسكار) وزير القانون الهندى آنذاك أمام البرلمان بأن « الاصلاحات الحالية فى قوانين الأحوال الشخصية الهندوسية سيتم تطبيقها على جميع سكان البلاد » ، و اعتبر تصريح الوزير الهندى المذكور

بمثابة إعلان عن سياسة جديدة للحكومة الهندية بشأن الأحوال الشخصية للمسلمين، و دفع الموقف المتخاذل للنخبة المتغربة من المسلمين الهنود ـ المنادى بادخال « الاصلاحات » فى قوانين الأحوال الشخصية ـ الحكومة الهندية إلى التمادى فى اتخاذ مواقف مناهضة للسلمين فى الهند ، و مضى هؤلاء المسلمون المتغربون قدماً فى شن حملاتهم المغرضة على جدوى إبقاء قوانين الأحوال الشخصية بصبغتها الاسلامية ، و ذلك باستخدام و سائل الاعلام الحكومية ، و عن طريق عقد الندوات و إلقاء المحاضرات بدعم من الحكومة والفئات المعادية للسلمين فى الهند ، و تقرر فى إحدى هذه الندوات بدهلى أنه يفضل عدم البحث فى إصدار قوانين أحوال شخصية موحدة لأن الجماهير المسلمة لن تقبلها مطلقاً ، لذا ينبغى إصدار تشريعات حول شتى القضايا تخالف لدى تطبيقها أحوال الشخصية الاسلامية ، و هكذا واصلت الحكومة الهندية إصدار التشريعات المناقضة لأحوال الشخصية الاسلامية بطريق غير مباشر ، و منها قرار الحكومة بحظر تعدد الزوجات على موظفى الدولة ، و حق الزوجة فى نصف إرث الزوج لو تزوجا تحت « قانون الزواج الخاص » الذى صيغ أساساً بهدف إيجاد منفذ للانفلات من قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية .

و عرض مشروع القانون الخاص بـ « المتبنى » على البرلمان الهندى فى ٢٣ مايو ١٩٧٢ بهدف تعديل قانون الوراثة الهندوسى، باقرار حق المتبنى فى الوراثة كالابن تماماً ، و أكد غوكهلاى وزير القانون الهندى آنذاك على أنه سيتم تطبيق هذا القانون على كافة الفئات فى الهند، كخطوة أولى نحو إصدار أحوال شخصية موحدة .

و دق هذا البيان الحكومى ناقوس الخطر أمام المسلمين فى الهند ، و تنبه العلماء فى حينه إلى ما كانت تحدق بمستقبل المسلمين فى الهند من مخاطر . . و لم يهدروا الوقت فى المداولات و الاحتجاجات والأخذ و الرد، بل تنادوا إلى عقد اجتماع لعلماء الشريعة الاسلامية و الخبراء القانونيين من المسلمين فى بومبائى يومى

٢٧-٢٨ ديسمبر ١٩٧٢ لبحث المضاعفات و الأخطار الناتجة عن قانون « المتبنى » على قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية ، و تم خلال هذا الاجتماع التحضيرى الاتفاق على تأسيس « مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند » لمتابعة القضية و المحافظة على الهوية الاسلامية فى الهند .

وعقد المجلس دورته الأولى بمدينة حيدر آباد سنة ١٩٧٣ حيث انتخب الشيخ محمد طيب مدير جامعة ديوبند الاسلامية رئيساً للمجلس و الشيخ منة الله رحمانى أمير « الامارة الشرعية لولايتى بيهار و أوريسة أميناً عاماً له .

و يرأس المجلس فى الوقت الحالى سماحة العلامة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ويتولى منصب الأمين العام الشيخ نظام الدين ، و يتكون المجلس من لجنة تنفيذية تتضمن ٤١ عضواً ، من بينهم علماء مسلمون ينتمون إلى مختلف المذاهب الفقهية الاسلامية ، وخبراء فى القانون الوضعى ، و هناك لجنة عامة تأسيسية تضم ممثلين عن كافة الفئات والشرائح الاجتماعية من علماء و خبراء و زعماء سياسيين ، و اللجنة التأسيسية العامة هى التى تقوم بانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية و رئيسها و المسئولين الآخرين ، و قد فاز رئيس و أمين عام المجلس الحاليين بمنصبيهما بالتزكية خلال الدورة العاشرة الحالية للمجلس .

و يعتبر إنشاء مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند، نقطة تحول بارزة فى تاريخ المسلمين الهنود فى الفترة التى أعقبت استقلال الهند ، و يرى الباحثون أن المواقف الصلبة التى اتخذها المجلس إزاء محاولات الحكومة الهندية للعبث بقوانين الأحوال الشخصية الاسلامية، قد أجبرت الحكومة والدوائر العلمانية فى الهند ، على اتخاذ موقف الدفاع بعد أن كانت هذه الجهات قد استعدت للانقضاض على ما يمت للاسلام والمسلمين من صلة فى الهند ، وخاصة قوانين أحوالهم الشخصية .

وقد وقف المجلس بصمود فى وجه حكومة اندرا غاندى، لدى محاولتها فرض التعقيم الاجبارى على المسلمين ، تحت ستار « تنظيم الأسرة » سنة ١٩٧٥ ، و لم

يال المجلس بحالة الطوارىء المفروضة على البلاد آنذاك ، كما جاهد المجلس خلال سنتى ١٩٨٥ - ١٩٨٦ لأجل إلغاء قرار للمحكمة العليا ، بشأن إلزام الزوج المسلم بمنح نفقة الاعاشة لمطلقته طوال الحياة ، لكونه مناقضاً لأحكام الطلاق و النفقة فى الشريعة الاسلامية ، و رضخت الحكومة الهندية أمام الضغط الاسلامى فقامت باستصدار قانون من البرلمان ، يلغى قرار المحكمة و يمنح المطلقة المسلمة حقها ، وفقاً لأحكام الشريعة الاسلامية .

و من إنجازات المجلس وقفته الصامدة فى وجه مؤامرات الفاشيين الهندوس للاستيلاء على المسجد البابرى و تحويله إلى معبد وثنى ، و قد أصدر المجلس بياناً فى ديسمبر ١٩٩٠ بعدم جواز هدم المسجد أو نقله من مكانه ، و هو ما تطالب به الفئات الهندوسية المتعصبة ، وأعلن المجلس عن رفضه الكامل لمصادرة الحكومة لأية أراض أو ممتلكات تخص الأوقاف الاسلامية فى الهند .

و كان المجلس قد أصدر فى نهاية سنة ١٩٩٠ بياناً دعا فيه المسلمين الهنود إلى اتخاذ كافة السبل ، و الوسائل لردع هجمات الهندوس على المسلمين « بسالة و حكمة » و ذلك لدى محاولة الشوفينيين الهندوس الاستيلاء على المسجد البابرى بالقوة فى نوفمبر ١٩٩٠ ، و ما أعقبه من اندلاع أعمال العنف ضد المسلمين على نطاق واسع فى مختلف أنحاء البلاد .

و قد عقد مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية اجتماعات دورته العاشرة فى قاعة الأنصارى بالجامعة الملية الاسلامية بدهلى الجديدة يومى ٢٢-٢٣ نوفمبر ، وحضر الجلسة الافتتاحية أكثر من ٥٠٠ مندوب يمثلون مختلف الهيئات و المنظمات الاسلامية ، كما شارك الجلسة زعماء سياسيون مسلمون وبعض أعضاء البرلمان الهندى من المسلمين وغير المسلمين ، و أكد سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن على الندوى رئيس المجلس فى خطابه ، أمام الجلسة الافتتاحية على ضرورة التمسك بأحكام الشريعة الاسلامية بحذافيرها ، و حذر الحكومة الهندية و الدوائر العلمانية من مغبة التدخل

فی قضایا الأحوال الشخصیة للسلمین فی الهند، أو إدخال أیة تعدیلات فیها تناقض أحکام الشریعة الاسلامیة، بحجة العمل للوحدة الوطنیة، وقال: إن فرض قوانین أحوال شخصیة موحدة لن یخلق الوحدة الوطنیة، حسب زعم العلمانیین و النخبة المتغربة من المسلمین و الهندوس، بل ستؤدی هذه المحاولات الزائفة إلی توسیع هوة الخلاف و الفرقة و التشتت فی البلاد، کما ستؤدی إلی تزاید مشاعر القلق و الحرمان والاضطهاد لدی أبناء الطائفة الاسلامیة فی الهند، الأمر الذی سیعود بأضرار فادحة علی وحدة واستقلال البلاد، والتضامن بین مختلف شعوبها، کما حدث لأوروبا خلال الحربین العالمیتین حیث تقاتلت الدول الأوروبیة، رغم أنها کانت تدین بالمسیحیة، وکانت تطبق قوانین أحوال شخصیة مماثلة، وأضاف الشیخ أبوالحسن الندوی قائلا: إن إصرار مسلمی الهند علی التمسك بقوانین أحوالهم الشخصیة یعود إلی إیمانهم، بأنها وحی منزل وجزء من صمیم عقیدتهم الدینیة، التی لا تقبل إدخال أی تعدیل فیها من قبل البشر، وأشاد الشیخ الندوی بما توفره الشریعة الاسلامیة من حقوق و ضمانات للمرأة المسلمة فی کافة مراحل حیاتها، بالمقارنة مع الأوضاع المزریة التی تواجهها المرأة الهندوسیة، ودعا الشیخ أبو الحسن الندوی إلی ضرورة امتثال المسلمین لأحکام الشریعة الاسلامیة فی کافة جوانب حیاتهم، و إلی نبذ البدع والتقالید غیر الاسلامیة من مجتمعاتهم.

و من القضایا التی تناولها أعضاء المجلس خلال هذه الدورة قضیة التعلیم، و التوعیة الدینیة للمرأة المسلمة، إلی جانب مکافحة البدع و ضرورة بدء العمل لاقتلاع جذور الفساد الخلق والتقالید غیر الاسلامیة من المجتمع المسلم فی الهند، وتم تشکیل «لجنة إصلاح المجتمع» تضم الشیخ محمد سراج الحسن «أمیر الجماعة الاسلامیة بالهند» و الشیخ أسعد المدنی «رئیس جمعیة علماء الهند» و الشیخ عبد الکریم باریخ و الشیخ مختار أحمد الندوی، و الشیخ ولی رحمانی، و الشیخ مجاهد الاسلام القاسمی، و ستتولی هذه اللجنة إعداد خطط و برامج و تحدید مسئولیات «لجان إصلاح المجتمع» علی المستویات الدنیا، کما أن هناك اقتراحاً

باقامة محاكم شرعية إسلامية محلية فى مختلف المناطق للبت فى النزاعات العائلية بين المسلمين، بدل لجوئهم إلى المحاكم المدنية الهندية ، التى كثيراً ما تصدر قرارات تناقض أحكام الشريعة الاسلامية ، و أعاد المجلس تأكيد موقفه بعدم السماح بالاستيلاء على الأراضى و الممتلكات الخاصة بالأوقاف الاسلامية فى الهند، بما فيها « المسجد البابرى » فى بلدة أيودهيا بشمال الهند .

و عقد المجلس جلسته الختامية العامة ليلة ٢٤ نوفمبر فى « حديقة أردو » المترامية الأطراف، والتى تقع بقربة من المسجد الجامع فى دهلى القديمة، وحضرها حوالى نصف مليون شخص ، حيث أعاد المتحدثون تأكيـدهم على ضرورة التشبث بالهوية الاسلامية ، والدفاع عنها، و نبذ كل الممارسات ، والتقاليد المناوئه لتعاليم الاسلام، و مطالبة الحكومة الهندية باحترام حقوق الانسان المسلم ، وضمان سيادة القانون فى البلاد .

وبالرغم من الدور الكبير الذى قام به مجلس الأحوال الشخصية الاسلامية، للمحافظـة على الهوية الاسلاميـة فى الهـند كما ذكرناه ، فانه لا يمكن اعتبار أعمال و إنجازات هذا المجلس طوال العقدين الماضيين ، منذ إنشائه و إلى الآن ، بأنهـا كانت على مستوى التحديات التى يواجهها المسلمون فى الهند، ويفتقر المجلس ـ على سبيل المثال ـ إلى أجهزة متخصصة للدراسة و النشر، لمعالجة المشكلات الاجتماعية و التربوية والتحديات الحضارية، ضد الهوية الاسلامية فى الهند .

و ينبغى للمجلس استغلال كفاءات و خبرات الشباب المسلم المثقف، لتنشيط و دعم جهوده ، كما ينبغى للمجلس أن يتخلص من الوجوه و الزعامات السياسية التقليدية، التى تجهض كل جهد إسلامى بناء، بجره إلى أوحال ومستنقعات السياسة الهندية ، فى محاولة منها للتودد و التزلف للأحزاب السياسية على حساب مصالح المسلمين فى الهند .

التفسير و المفسرون

الدكتور يونس النجرامى
تعريب : جعفر مسعود الحسنى الندوى

الشيخ محمد أويس النجرامى الندوى رئيس قسم التفسير سابقاً فى دار العلوم ندوة العلماء .

اسمه، نسبه و مولده : ولد الشيخ محمد أويس بن محمد أنيس بن محمد ادريس ابن الحافظ عبد العلى بلدة نجرام فى مديرية لكناؤ فى ٤/ من يناير فى عام ١٩١٤م .

تعليمه و تربيته : تلقى دراسته الأولى فى بيته ، و قرأ الكتب الابتدائية على الشيخ عبد الجليل الاصلاحى ، و الشيخ محمد سليم النجرامى ، و الشيخ محمد أنيس رحمهم الله ، و التحق فى ٧/ من يوليو سنة ١٩٢٧م بالثانوية الخامسة فى دار العلوم ندوة العلماء ، و نال شهادة الفضيلة من هناك ، و استفاد من الأساتذة المعروفين فى تلك الأيام :

أمثال الشيخ حفيظ الله ، و الشيخ حيدر حسن خان ، و الشيخ سيد على زينبى ، و الشيخ عبد الحليم الصديق ، و الشيخ عبد الودود الأعظمى ، و الأستاذ عبد السميع ، و أكمل دراسته فى دار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٣٢م ، ثم رحل إلى دار العلوم بديوبند للتلمذة على المحدث الجليل الشيخ حسين أحمد المدنى و الاستفادة منه لمدة قصيرة ، و شارك فى دروسه لصحيح البخارى ، و الترمذى و ابن كثير ، و الفوز الكبير ، و أجيز له .

خدماته التدريسية : اشتغل الشيخ النجرامى بالتدريس و الافادة فى دار العلوم ندوة العلماء بعد ما انتهى من الدراسة ، ثم سافر إلى مجمع دار المصنفين فى أعظم جراه كعضو له ، فى عام ١٩٢٩م ، و مكث هناك سبع سنوات .

قرأ خلال إقامته هناك تفسير عشرين جزءاً من القرآن الكريم، و الفوز الكبير، و كشف الدولة لابن رشد، و الميبذى، على العلامة السيد سليمان الندوى، و درس أيضاً مؤلفات الامام ابن تيمية و الامام ابن القيم، و الشيخ ولى الله الدهلوى تحت إشرافه، ثم عين رئيساً لقسم التفسير فى دار العلوم ندوة العلماء بعد عودته من أعظم جراه، و بقى على رئاسة قسم التفسير إلى أن وافته المنية.

رحلاته الخارجية: سعد بالحج و الزيارة ثلاث مرات، المرة الأولى فى عام ١٩٤٨م و المرة الثانية فى عام ١٩٥٣م، و المرة الثالثة فى عام ١٩٦٤م، و أجازه الشيخ حسين أحمد المدنى و استخلفه.

خدماته الدينية: كانت أسرة الشيخ النجرامى معروفة بأعمال الدعوة و التبليغ فى مناطق كثيرة من رائے بريلى، و سلطان فور، و باره بنكى و نواحيها من زمن قديم، فقام الشيخ بها أحسن قيام، وسعى إلى تعميم الدراسة الدينية بانشاء المدارس العربية الاسلامية فأثمرت مجهوداته، و أسس المدارس و المكاتب، و التحق عدد كبير من سكان هذه المناطق المتخلفة البعيدة عن العلم و الدين و المتوغلة فى البدع و الشرك بدار العلوم ندوة العلماء، للحصول على الدراسة العالية.

خدماته العلمية:

مؤلفاته العربية (التفسير القيم)

إذا ألقينا النظر على تاريخ الاسلام التاليفى عرفنا أن التعقيدات العقلية، و النظريات الدينية الخاطئة التى كانت ظهرت نتيجة للتوغل فى الفلسفة و المغالاة فى علم الكلام، و أن البدع و العقائد الوثنية و الأفكار الشركية التى كانت نشأت لاتساع الفجوة بين العهدين، كانت تقتضى أن ينهض أشخاص باحياء السنة و بشرح العقائد الاسلامية و المسائل الدينية شرحاً دقيقاً، و بدعوة الناس إلى التوحيد

النقی الخالص، فنهض شیخ الاسلام ابن تیمیة و تلمیذہ النابغ الامام ابن القیم فی القرن الثامن ، و قاما بخدمات جلیلة بمؤلفاتهما العلمیة فی هذا الصدد .

ذکر الامام ابن القیم تفاسیر آیات قرآنیة فی مواضع شتی من کتبه رداً علی هذه الأفکار الشائعة ، لکنه لم یؤلف کتاباً یختص بالتفسیر ، فلذلك کانت الحاجة ماسة إلی دراسة مؤلفاته بدقة ، و جمع أقواله التفسیریة فی صورة کتاب .

فتصدی الشیخ محمد أویس النجرامی الندوی لهذا الأمر الجلیل ، و عکف علی دراسة کتبه سنین طوالا ، و قام بجمع أقوال الامام ابن القیم التفسیریة المبعثرة فی کتبه المختلفة طبقاً لترتیب السور القرآنیة .

نشرت هذه المجموعة لتفاسیر الامام ابن القیم للمرة الأولی من مصر فی عام ۱۹٤۹ ، وهی تحتوی علی ٦۳۱ صفحة ، ثم صدرت طبعات شتی ، لکن الطبعة الجدیدة الرائعة لها هی التی نشرها إحیاء التراث العلمی فی بیروت حالیاً رآها کاتب هذه السطور فی ینایر سنة ۱۹۷٤م أثناء رحلته إلی المملکة العربیة السعودیة لکنه من سوء حظه لم یطلع علی سن طبعها .

علی کل حال نال الکتاب قبولا ، و نوه بجهود مؤلفه ، ولقی إعجاباً و تقدیراً من الأوساط العلمیة فی الدول العربیة .

و عند ما کنت طالباً فی الجامعة الاسلامیة بالمدینة المنورة فی عام ٦۲—۱۹٦۱م ، و عرفنی أساتذتها کابن لمؤلف « التفسیر القیم » عاملوا معی معاملة جمیلة ممیزة و أبدوا افتتانهم به و حبهم إیاہ .

صدر أخیراً کتاب من مصر « باسم منهج ابن القیم فی التفسیر » ألفه محمد أحمد السنبیـاطی علی طراز تفسیر الامام ابن القیم و فی ضوء کتاب « التفسیر القیم » و أشاد بجهود العالم الهندی العلمیة مراراً ، و قال : إن من یدرس هذا الکتاب یعرف کفاح مؤلفه الشاق .

و أضاف يقول: إن مجموعة التفسير القيم قد أعدها ذهن خصب لعالم هندى، و أنفقت على طبعها ثروة الأرض المقدسة، و أصدرتها أرض مصر بعد ما اجتازت مراحل الطباعة .

الخير الكثير فى شرح الفوز الكبير : كان الشاه ولى الله الدهلوى قد ألف رسالة حول أصول التفسير باللغة الفارسية ، و كان لا يوجد لها نظير من حيث احتوائها على المواد العلمية و جامعيتها ، و قام الشيخ محمد منير الدمشقى الأزهرى بنقلها إلى العربية، و قام الشيخ إعزاز على الديوبندى بترجمة بحث له، يتعلق بحروف المقطعات ، و نشرت هذه الرسالة باسم الفوز الكبير نشرات عديدة ، و ضمتها المناهج الدراسية لمدارس مختلفة، فكانت الحاجة إلى تاليف شرح لهذه الرسالة ليعم بها النفع، و تتسع دائرة الاستفاد منها للعلماء و الطلبة، فقام الشيخ محمد أويس النجرامى الندوى بهذه الخدمة العظيمة و رتب شرحاً للفوز الكبر و أطلق عليه اسم الخير الكثير فى شرح الفوز الكبير ، وهو يحتوى على ٦٤ صفحة فى ورق حجم كبير ، و استفاد فى تاليف هذا الشرح من الامام ابن تيمية، و الامام ابن القيم، و الشيخ الشهرستانى ، و الحافظ جلال الدين السيوطى ، و الشيخ حميد الدين الفراهى ، و الامام راغب الأصفهانى، و الموافقات للشاطبى و كتاب الأصنام لأبى منذر هشام ابن الكلبى، والحافظ بن حجر العسقلانى و فيض البارى للعلامة أنور شاه الكشميرى، و الامام أبو حامد الغزالى، و الامام فخر الدين الرازى، و الامام جصاص الرازى، و النواب صديق حسن خان و البرهان للامام الزركشى و التفسير الأحمدى لملاجيون ، و الاشارة إلى الايجاز لعز الدين بن عبد السلام ، و اليواقيت و الجواهر للشيخ عبد الوهاب الشعرانى بالاضافة إلى مؤلفات الشيخ ولى الله الدهلوى، و هذا الشرح لم يطبع بعد ، و توجد نسخته المخطوطة لدى كاتب هذه السطور .

فقه القرآن : ألف الشيخ النجرامى رسالة فى ضوء الآيات التى تتصل بالأحكام الفقهية، و رتب الآيات فيها بالنظر إلى الترتيبات الفقهية، فبدأ من كتاب الطهارة،

و يليه كتاب العبادات الخ ، تشتمل هذه الرسالة على ٤٨ صفحة، و توجد شروح و حواش بقلم المؤلف فى مواضع كثيرة ، و نسخة هذه الرسالة المخطوطة موجودة أيضاً لدى كاتب هذه السطور .

الشيخ امتياز على خان عرشى : هو كاتب شهير، و مؤلف معروف، و محقق بارع ، كان مدير مكتبة رضا فى رامفور ، ينظر إليه فى الأوساط العلمية بتقدير و احترام لتحقيقه و جهده .

تفسير سفيان الثورى : كانت توجد نسخــة مخطوطة بالية غير منقحة و غير مرتبطة لهذا التفسير ، فبذل الشيخ امتياز على خان عرشى جهوداً كبيرة فى تحقيق هذه المخطوطة ، و قام بتصحيحها و ترتيبها ، و التعليق عليها بدقة ، وهى تحتوى على ٤٨٣ صفحة ، وفقاً لترتيب السور القرآنية .

و قامت مطبعة رامفور بطبعها فى عام ١٩٦٥ ، قال المستشرق الشهير السيد مونت غومرى وات، عند ما رآها : أن الانجليز يبهتون برؤية هذه المأثرة العلمية، و الكفاح الشاق المرير .

الشيخ سعيد أحمد البالن فورى الكجراتى : ألف شرحاً للفوز الكبير فى أصول التفسير للشيخ ولى الله الدهلوى، و سماه « العون الكبير فى حل الفوز الكبير » وهو يحتوى على ٣٦٠ صفحة ، و طبع فى بلدة ديوبند .

الشيخ إقبال أحمد الأعظمى : هو من سكان ضواحى مدينة أعظم جراه ، درس فى دار العلوم بديوبند، و اشتغل بالتدريس فى دار العلوم ندوة العلماء لأيام عديدة، ثم توجه إلى المدينة المنورة لتلق الدراسة العالية فى الجامعة الاسلامية، وهو الآن يعمل فى حقل الدعوة و التبليغ من قبل الحكومة السعودية فى أوربا .

تفسيرات شيخ الاسلام ابن تيمية : جمع الشيخ إقبال أحمد الأعظمى فى هذا الكتاب أقوال الامام ابن تيمية التفسيرية المنثورة فى كتبه المختلفة، وهو يحتوى على ٤٦٧ صفحة، و قامت مطبعة ماليگاؤن بنشره فى ٣١/ من شهر ديسمبر فى عام ١٩٧١م .

المهرجان الاسـلامی العالمی فی الکویت

للافراج عن الأسری و المحتجزین الکویتیین فی سجون النظام العراقی

قلم التحریر

فی الفترة ما بین ١٤/١٦/ من شهر رجب ١٤١٢ھ (١٩/٢١/ ینایر ١٩٩٢م انعقد فی الکویت تحت إشراف وزارة الاعلام الکویتی المهرجان الاسلامی العالمی للافراج عن الأسری و المحتجزین فی سجون النظام العراقی ، حضره کاتب هـذه السطور سعید الأعظمی الندوی ، رئیس تحریر مجلة « البعث الاسلامی » الصادرة من ندوة العلماء لکهنؤ (الهند) کممثل لندوة العلماء و رئیسها العام سماحة العلامة الشیخ أبی الحسن علی الحسنی الندوی ، و قـدم فیه کلمة سماحـة الشیخ الندوی ، الذی لم یتمکن من الحضور فی المهرجان نظراً إلی ظروفه الصحیة ، و قد قوبلت کلمته بالاعجاب و القبول ، و وضعها الناس موضع اعتبار و تقدیر ، (ننشرها فی الصفحات القادمة لهذا العدد) .

حضر فی المهرجان وفود عدیدة من الهند ، من بینها وفد جمعیة العلماء الملیة برئاسة فضیلة الشیخ وحید الزمان الکیرانوی ، رئیس جمعیة علماء الهند الملیة ، و وفد جمعیة أهل الحدیث لعموم الهند ، برئاسة فضیلة الشیخ مختار أحمد الندوی أمیر جمعیة أهل الحدیث لعموم الهند ، و مثل الجامعة الاسلامیة بدیوبند فضیلة الأستاذ نور عالم الأمینی الندوی ، رئیس تحریر صحیفـة « الداعی » الصادرة من دار العلوم دیوبند (الهند) ، و عدد من رؤساء تحریر الصحف الهندیة .

و بالمناسبة أری لزاماً علی أن أوجه شکری و تقدیری لسعادة الأستاذ الدکتور السیـد ضرار عبـد الرزاق رزوقی حفظه الله ، سفیر دولة الکویت فی الهند ، و سعادة الأستاذ السید متعب بن عثمان الرمیح المستشار و رئیس القنصلیة بسفارة

دولة الكويت فى الهند ، على ما آكرما به من توجيه الدعوة إلى وفد ندوة العلماء للحضور فى المهرجان و قاما بتسهيل جميع الاجراءات اللازمة للسفر فى وقت قليل جداً ، كما أن معالى وزير الاعلام الكويتى الدكتور بدر جاسم اليعقوب لجدير بكل تقدير وشكر وثناء على موقفه المشرف نحو ضيوف المهرجان و الاحتفاء بهم طوال أيام إقامتهم فى الكويت العزيزة ، و لقد أجرى اتصالا هاتفياً بسماحة العلامة الشيخ الندوى يطلب منه الحضور فى المهرجان ، وانتهى المهرجان باعلان الكويت الصادر فى جلسته الأخيرة ، عن قرارات اتخذها المؤتمر حول الافراج عن الأسرى و المحتجزين الكويتيين و غيرهم فى سجون النظام العراقى ، نقدم فيمايلى ملخصاً من هذا الاعلان :

« الحمد لله رب العالمين . . نستعينه و نستهديه . . ونستلهمه الرشد و السداد ونعوذ به من الفتن ما ظهر منها وما بطن . . و نسأله توفيقه وعونه فى الانتصار لمن كرمهم الله . . حيث يقول جل شأنه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر و البحر . . و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد بن عبد الله . . إمام الحق و العدل و الأمن و السلام . . الذى أوجب على أمته هجر الظلم وتحريمه بينهم ، إذ يقول عليه الصلاة و السلام فى الحديث القدسى :

يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً . . فلا تظالموا . . الحديث » ، و بعد :

انعقد بعون الله تعالى فى الكويت فى الفترة من ١٤ــ١٦ رجب / ١٤١٢هـ الموافق ١٩ ــ ٢١/ يناير / ١٩٩٢م المؤتمر الاسلامى العالمى للافراج عن الأسرى و المحتجزين فى سجون النظام العراقى . . حيث احتشد لهذا الملتقى الاسلامى الكبير علماء الأمة الاسلامية و قادة الرأى ورجال الدعوة و ممثلو المنظمات و الحركات و الجمعيات الاسلامية من أنحاء العالم و كذلك وفود من المنظمات و المؤسسات الانسانية و القانونية و الاعلامية و السياسية الدولية . . لتدارس مأساة الأسرى

الكويتيين و جميع المحتجزين فى سجون النظام العراقى . . و العمل على فك أسرهم و رفع المعاناة عنهم و ذويهم . . نصرة لحقوق الانسان و انصافاً للظلوم و دفعاً للظلم و الظالمين . . فكان تفاعل الجميع مع هذه الغايات الانسانية السامية تفاعلا جاداً ساده مناخ مفعم بروح المسئولية و الموضوعية . . فقرروا بالاجماع إصدار وثيقة تاريخية باسم إعلان الكويت شهادة منهم للحق الذى وقفوا عليه . . والتزاماً بالواجب الشرعى و الانسانى . . و اضطلاعاً بالمسؤولية تجاه ترشيد الأجيال فى حاضرها و مستقبلها .

لقد جعل الاسلام الاعتداء على الأنفس من غير حق جريمة نكراء لا ترقى إليها جريمة حيث يقول الله تعالى : « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً . . الآية » . . . « و جعل فضل إحياء النفس و إنقاذها مثل فضل أحياء الناس جميعاً . . . » و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . . أمام هذه الكوارث يعلن المحتشدون فى هذا اللقاء بكل حزم ووضوح ما يلى :

١ــ تجريمهم وإدانتهم واستنكارهم لاستمرار احتجاز النظام العراقى لأبناء الشعب الكويتى و غيرهم من أبناء الأمة العربية و الاسلامية .

٢ــ تحذير النظام العراقى مغبة الاستمرار فى احتجاز الأسرى و المحتجزين و المعتقلين فى سجونه من أبناء الكويت و غيرهم حتى لا يجلب ذلك المزيد من الكوارث و الدمار على الشعب العراقى و الأمة بأسرها .

٣ــ مطالبة جامعة الدول العربية بالسعى بكل الوسائل الممكنة عربياً و إسلامياً و دوليا للافراج عن الأسرى و المحتجزين لدى النظام العراقى فوراً .

٤ــ مطالبة منظمة المؤتمر الاسلامى باتخاذ الوسائل والتدابير على كافة المستويات الرسمية إسلامياً و دولياً لانهاء مأساة الأسرى و الشعب العراقى المعذب .

٥ــ مطالبة الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى باتخاذ التدابير الممكنة للافراج عن الأسرى الكويتيين و غيرهم .

٦ــ مطالبة سماحة الامام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجلس الاسلامى العالمى

للدعوة والاغاثة للعمل بكل الوسائل الممكنة لانهاء مأساة الأسرى الكويتيين وغيرهم و تخليصهم من الظلم الذى يلاقونه .

٧— مناشدة منظمة العفو الدولية بممارسة فعالياتها الدولية للحفاظ على حقوق الانسان الكويتى و غيرهم ممن يحتجزهم و يعذبهم النظام العراقى ظلماً وجوراً .

٨— مناشدة المؤسسات الدولية والانسانية فى جميع أنحاء العالم مباشرة مسؤولياتها الانسانية لانهاء هذه المأساة المؤلمة البشعة .

٩— مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة باتخاذ التدابير السريعة للافراج عن الأسرى الكويتيين و غيرهم التزاماً بقرارى مجلس الأمن (٦٨٦) و (٦٨٧) .

١٠— إدانة الجهات التى أعانت النظام العراقى فى جريمته وتواطأت معه لانتحاله الصفة الاسلامية ودعت للشاركة بمؤتمراته الاسلامية المزورة ، ويؤكد المؤتمر ضرورة توعية الأمة الاسلامية بمخاطر استمرار النظام العراقى و المتعاونين معه فى استغلال الشعارات الاسلامية .

هذا وإن المحتشدين فى هذا الملتقى الاسلامى العالمى حرصاً منهم على المتابعة الجادة لهذه الغاية النبيلة يقررون ما يلى :

١— تكوين لجنة متابعة لهذا المؤتمر تتابع توصياته و قراراته .

٢— مطالبة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى للعمل على إنفاذ قرارات مؤتمرات القمة الاسلامية بشأن تشكيل محكمة العدل الاسلامية المعنية بالحفاظ على حقوق الانسان .

٣— رفع برقيه تحية و شكر و تقدير لسمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح وولى عهده الشيخ سعد العبد الله على استضافتهم هذا المؤتمر و رعايتهم لهذا الملتقى الاسلامى العالمى فى بلدهم و على أرضهم المحررة المظفرة .

كما ونسجل فى هذه الوثيقة التاريخية إشادتنا و مباركتنا للخطوة الرائدة البناءة لسمو أمير دولة الكويت وحكومته الرشيده باعلانهم قرار استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية فى الكويت ، سائلين المولى تعالى لهم السداد و الرشاد و أن يعزهم بالاسلام و يعز الاسلام بهم . . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كلمة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي التي ألقيت في المهرجان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، و بعد :

أيها السادة الأفاضل ، نحمد الله تعالى أولا على أنه قدر لنا أن نجتمع فى هذا البلد العربى الاسلامى فى جو من الحرية ، و الأمن و السلام ، و على أنه أتاح له فرصة جديدة ليواصل دوره فى الوطن العربى بصفة خاصة والاسلامى بصفة عامة لبناء مستقبل زاهر و يواصل إسهاماته فى خدمة الدعوة الاسلامية ، و نشر كلمة الحق كبلد حر ذى سيادة ، و بصوت مسموع فى منابر العالم ، على خير ما كان يسهم به قبل الاعتداء .

نحمد الله تعالى على هذا الفضل العظيم ، فقد قدر عودة هذا البلد إلى دوره الفعال البناء ، و فى فترة لا تعتبر فى حكم التاريخ فترة طويلة ، ففى فترة قصيرة تعد بالشهور ، انسحبت قوات الاعتداء ، إنها لم تكن قوات الاحتلال فان قوات الاحتلال تغزو الأرض ، وتقيم نظاماً جديداً ، فيتغير الحكام ، و لكن القوات المعتدية التى اعتدت على الكويت كانت تريد أكثر من احتلال الأرض، أو الثروة ، إنها كانت تريد تغيير التاريخ ، و تريد إرجاع مسيرة التقدم و البناء التى كان هذا البلد يسهم فيها ، فقامت بأعمال النهب و السلب ، و الهدم ، و انتهاك الحرمات ، و خرق القوانين ، و مخالفة القيم ، و نواميس الأخلاق ، و العرف العالمى ، فضلا عن مخالفة القيم الاسلامية ، و إتلاف المؤسسات الاسلامية ، و نهب

الجمعيات الخيرية ، و الاساءة إلى المقدسات ، و إباحة المحرمات ، و قتل النفس بغير حق .

لقد أصبحت هذه الأحداث المؤلمة التى هزت العالم كله ، و نكست رؤوس المسلمين ، و جعلتهم موضع سخرية بين المواطنين من غير المسلمين ، و أزالت هيبتهم من النفوس ، أصبحت هذه الأحداث الآن جزءا من التاريخ ، فقد خرج البلد من تلك المحنة بفضل الله و منه ، و هو مغير القلوب ، ومصرف الأمور.

« مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شئ قدير » وقد هيأ الله تعالى الوسائل المادية لدحر قوى الطغيان ، و بفضل الله تعالى بدأت الكويت تستعيد ما خسرته فى عهد محنتها فى مدة يسيرة، ونرجو الله تعالى أن تعود جميع مؤسساتها التى كانت تعمل قبل العدوان إلى فعاليتها السابقة، بل تزيد هذه المحنة قوتها وصلابتها، و استعدادها ، فان المحن تحدث صلابة ، و مناعة ، و تسد الخلل فى الكيان ، و تخرج بعض الأمم من محنتها ، و الأفراد من أمراضهم أكثر صحة و أكثر قوة ، و همة و إرادة ، و يبدأ تاريخ جديد ، و إننا نقرأ فى التاريخ قصص انتصارات هائلة بعد انتكاسات فى حياة الأمم ، و فتوح جبارة بعد أمراض فى حياة القادة .

لقد أجبرت قوى الاحتلال أو العدوان على الانسحاب ، وعادت الحكومة الشرعية ، وبدأت الأمور تعود إلى نصابها ، و لكن آثار العدوان لا تزال باقية، منها مسألة الأسرى ، و الخسائر التى لحقت بالبلد ، ولا تكمل سيادة البلد وحريته و لا تتم سلامته إلا بعد أن يعود المواطنون الذين لا يزالون فى أيدى المعتدى، و أن يعيشوا فى بلدهم و بين أسرتهم بشرف و كرامة ، و نتضرع إلى الله أن يسهل هذه المهمة ، و يوفق النفوس التى تميل إلى الغى و الطغيان و نقض العهود

إلى طريق الحق و العدل ، و كما زال العدوان نرجو الله تعالى أن يحل هذه المشكلة أيضا ، و تعيش البلدان المجاورة فى جو من الثقة والسلامة وروح الاخوة و التزامل ، و تزول جميع آثار العدوان الداخلى والخارجى و تظهر قوة جديدة، متعاضدة متكاتفة ، و ما ذلك على الله بعزيز .

لقد كنت أود أن أشترك فى هذا الاجتماع المشرف وأسهم فى مداولاته ، و قد كنت فى هذه الساحة منذ نشوب هذه الفتنة ، و تقدمت لكشف آثارها ، و إيضاح أسبابها و منابعها فى كتاباتى و خطبى فى عدة مناسبات ، و صدرت لى عدة منشورات ، و جعلت ذلك موضوعى الرئيسى ، لأنى كنت أخشى عواقب وخيمة ، فان المسألة فى نظرى لم تكن مسألة احتلال الأراضى ، وإنما كانت مسألة احتلال القلوب و الأفكار ، و منهج الحياة ، فان المعتدى لم يكن معتدياً عسكرياً عادياً ، و إنما كان معتدياً فكرياً و نظرياً ، وله خلفية لأعمال الهدم و التخريب ، والقمع ، جسمياً وروحياً وفكرياً ، فكنت كما يقال على أحر من جمر ، و بذلت ما كان بوسعى من جهد لايضاح أخطار هذه الفتنة ، و إن رسالتى « أكبر خطر على العالم العربى » و « مستقبل الأمة الاسلامية » تدلان على ذلك الهم الذى كان يراودنى ، فكان بودى أن تتاح لى فرصة لزيارة ذلك البلد الذى أصيب بهذه الفتنة ثم أخرجه الله تعالى منها ، و أرى بنفسى أن جميع مؤسساتها تعود إلى حالتها الطبيعية ، ولكن ضعف صحتى وبعض مسئولياتى العاجلة لم تسمح لى بالقيام بهذه الزيارة . فأدعو الله تعالى النجاح لهذا الاجتماع ، و أن يكون للجتمعين لبحث القضية صوت مسموع فى المنابر العالمية ، و تأثير على النفوس ، و يوجد حل عاجل للقضية ، ونسأل الله التوفيق، والسداد فى جميع أعمالنا ، والتوكل والاعتماد على نصرته ، و العمل لما يحب و يرضى ، و هو نعم المولى و نعم النصير .

إلى نظام عالمى جديد

واضح رشيد الندوى

كان انفكاك الاتحاد السوفيتى، كدولة شيوعية موحدة تشتمل على عدد من الجمهوريات الآسيوية و الأوربية ، عنصر تفاؤل و استبشار كبير للدول الأوربية الغربية ، وللعالم الاسلامى معاً ، كان مبعث سرور للعالم الأوربى ، لأن الاتحاد السوفيتى كان معسكراً مناوئاً للمعسكر الغربى ، ونظاماً متوازياً فى السياسة والاقتصاد والعقيدة ، و قوة متكافئة لقوته ، و كان ملاذا للثائرين على سيادة الدول الأوربية الغربية ، و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، فكانت بعض الدول الصغيرة تتحدى سيادة الدول الكبرى على ثقة التعاون من الاتحاد السوفيتى ودعمه المادى أو وعده بنصرته ، كما فعلت كوبا فى الماضى و فيتنام و ليبيا و مصر ، و فى العهد الأخير العراق الذى وقف ضد العالم كله ، فى أمل تأييد الاتحاد السوفيتى ، و اضطر الولايات المتحدة التى كانت تستطيع أن تتغلب على العراق وحدها ، إلى حشد قوى متحالفة من ٢٨ بلداً ، و تعبئة الرأى العالمى و اقناع روسيا و الصين قبل الاجراء الذى اتخذته ضد العراق ، لأن الاتحاد السوفيتى كان يساند العراق ، و يدعم قوته الحربية ويقوى جهازه ويرشد زعماءه ، إضافة إلى ذلك كان الاتحاد السوفيتى وراء عدة حوادث وقعت فى العالم ، وعاملا كبيراً من عوامل الصراعات فى العالم ، و قد كان العالم قبل جورباتشوف يعيش منقسماً بين الكتلتين الشرقية والغربية ، و كان خطر الحرب النووية يهدد سلامة العالم بالسباق الذى كان يجرى بين المعسكرين فى انتاج الأسلحة النووية الفتاكة ، فلما سقط هذا النظام تنفس العالم الغربى الصعداء ، لأن عدوه الأكبر انهزم ، و استسلم ، فأصبح الغرب سيد

العالم ، لأن الدول الكبرى الثلاث أمريكا و بريطانيا و فرنسا ، متحالفة فيما بينها ومصالحها مشتركة ، و كان الاتحاد السوفيتى الند الوحيد لها ، الذى كان ينافسها ، و يتخذ طريقاً معارضاً فى جميع قضايا العالم ، و كان له نفوذ سياسى كبير فى المنظمة التى ترتبط بها مصالح الدول الغربية السياسية ، و كانت عدة دول فى آسيا وأفريقيا خاضعة كلياً لسيطرته فكان انفكاك هذا النظام العالمى الكبير مبعث سرور و غبطة ، يشوبها الشعور بالانتصار و الغلبة ، للعالم الغربى بصفة خاصة .

إنه كان مبعث سرور و ارتياح للعالم الاسلامى ، لأن انفكاك الاتحاد السوفيتى كان يشكل انفكاك النظام الشيوعى ، وسقوط الالحاد كقوة ، وبانفكاك هذا النظام خرجت الدول التى كانت تعيش تحت نير العبودية من الاسار ، فسقط الطغاة المستبدون فى الدول الاشتراكية و منها الدول العربية القومية الثورية الاشتراكية ، الذين كانوا يبطشون بالمسلمين سواء كانوا فى الجمهوريات الآسيوية بالاتحاد السوفيتى ، أوفى بلغاريا ، أويوغوسلاويا أو أثيوبيا أو اليمن ، أو ليبيا و الجزائر ، و سوريا و العراق ، و اهتزت عروشهم و استكانوا ، و بسقوط هذه النظم ظهرت جرائم الشيوعية فى مختلف الدول التى جربت هذا النظام و انكشف فشل هذا النظام فى تحقيق الأهداف التى قام من أجلها ، فقد تغنى الأدباء و الشعراء بالفلاح ، و العامل ، و المطرقة و المنجل و السنبلة و الحقل ، و الانسانية ، و الحرية ، و المساواة ، و جعلوا هذه التعبيرات رموزاً لأدبهم ، كما ركز عليها الزعماء و القادة ، و أحدثوا الثورة فى دول كثيرة باسمهم ، و ثاروا على العرف والقيم ، ومناهج الحياة ، و لم يترددوا فى سفك الدماء ، و لم يتحقق شئ من هذه الأهداف ، و على العكس من الحصادا الغذائى الضخم و الانتاج الصناعى الفخم ، تعرض الانسان فى ظل هذه النظم ، لحصاد الرؤوس ، فقد

كانت بداية الثورة البلشفية بملايين من نفوس الأبرياء ، الذين قتلوا و معظمهم من المسلمين لتطبيق الثورة الشيوعية ، و كانت نهايتها بأكثر من مليونى شهيد ، فى أفغانستان ، بالاضافة إلى معاناة الشعوب فى الدول الاشتراكية الأخرى ، و لعل قتلى حرب الخليج أيضاً يرجعون إلى وجود هذا النظام الغاشم .

كان سقوط هذا النظام من أجل هذه الأسباب الظاهرة مبعث سرور للعالم الاسلامى والعالم الغربى فى وقت واحد ، و لكن هذا السرور و الابتهاج لم يدم طويلا ، فقد بدأت تحركات جديدة لتطويق الحركة الاسلامية ، و ظهرت قوى جديدة لقمع صوت الاسلام ، و كبت الحريات ، و برزت محاولات جديدة للاستغلال ، و فرض السيطرة على الدول الضعيفة الحرة .

قبل أن تستأنف الدول التى تحررت من عبودية الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ، حياتها الجديدة ، و تتمتع بحريتها ، و سيادتها ، و تباشر أعمال بناء كياناتها من جديد ، ارتفع الصراخ و العويل فى العالم الغربى ، عن مخاوف انتشار الأسلحة النووية التى تملكها هذه الدول أو انتقال الخبرة التكنية المتواجدة فيها إلى دول إسلامية أخرى و زال النوم عن عيون هؤلاء الزعماء بأحلامهم الرهيبة عن إمكانية تكتل إسلامى جديد ، أو عودة الامبراطورية التركية ، وظل التتار يخوفونهم ، كأن التتار غزوا أوربا ، أو كأن القنابل التى تملكها هذه الدول بنسبة ضئيلة بالنسبة للدول الأوربية المسيحية التى تملك أكواما منها ، تدمر العالم كله ، فقام الزعماء الأوربيون يطوفون بالعالم ، و يخوفونه بخطر الغزو الاسلامى الجديد ، و أصبحت الحضارة الأوربية فى خطر ، و وجود كل ديانة فى العالم فى خطر ، فجاء أحدهم إلى الهند ، وعرض على زعماء الهند خريطة الجمهوريات الاسلامية التى خرجت من الاتحاد السوفيتى وابرز خطورة الصلات بينها وبين الدول الاسلامية

الأخرى ، وخوف الهندوس بأنهم محاطون بالخطر الاسلامى و دعاهم إلى الاعداد لهذا الخطر ، و قام وزير الخارجية الأمريكى بزيارات للدول العالمية الأخرى .

و من أجل هذا الخوف و هذه الخلفية حاربت الصحافة الأوربية القوى الاسلامية وشنت هجوما على ما دعته بالأصولية الاسلامية ، والحركات الأصولية على حد تعبيرها ، والغيت الانتخابات فى الجزائر ، وعاد الحكم العسكرى ، و بدأ عمل ضرب الحركات الاسلامية فى دول أخرى .

إنه لمن المفارقات العجيبة أن أوربا اجبرت باكستان على اجراء انتخابات عامة و حاربت الحكم العسكرى الذى كان يقوده الرئيس ضياء الحق ، وفى الجزائر إنها طالبت بالغاء الانتخابات و أعادت الحكم العسكرى ، إنها تحارب الاشتراكية فى بلد ، و تؤيد النظام الاشتراكى فى بلد آخر ، و تساند الحكام العسكريين الذين يحاربون الاسلاميين ، إنها تدعو إلى التقدم العلمى ، و التكنى ، و لكن إذا تحقق هذا التقدم العلمى والتكنى فى بلد إسلامى فان هذا التقدم يصبح رجعية و خطراً للانسانية ، فتدعو هذه الدولة إلى تدمير مصانعها ، و ابادة ذخائرها ، لتبقى عالة على الدولة الأوربية .

لقد تغيرت خريطة العالم منذ الحرب العالمية الكبرى ، و سقوط الاتحاد السوفيتى الذى ظهر كدولة كبرى بعد الحرب العالمية دليل كاف على هذا التغير ، و تقدمت عدة دول فى آسيا و أفريقيا ، و لها مكانة فى الأوساط السياسية فى العالم ، كما انخفضت أهمية عدد من الدول الكبرى ، و انحسر ظلها ، و هى الآن كبرى باسمها فقط كبريطانيا العظمى ، التى هى الآن صغرى بلدان العالم فى المساحة و عدد السكان و فى الاقتصاد و القوة الدفاعية ، إنها كبيرة فى السن فقط فى الدول الاستعمارية ، و لم تعد كبيرة فى القوة ، و فرنسا التى فقدت وزنها ، وقوتها

كثيراً ، وأمريكا نفسها التى لاتقدر على التغلب على نفوذ اليهود ، بل لا تستطيع أن تتصرف إلا تحت حكم اليهود ، فلماذا تحتكر هذه الدول قوة العالم كلها ، وتملك حق القبول أو الرفض لأى قرار عالمى .

إن هذه الأوضاع تدعو إلى إعادة النظر فى نظام العالم و فى عضوية مجلس الأمن ، وتفويض حق النقض أيضاً ، بطريق يؤخذ هذا الحق من الدول التى كانت كبيرة فى الماضى ، و هى كبيرة فى الذاكرة فقط ، و يمنح هذا الحق لدولة أخرى أو مجموعة دول أخرى .

تملك الدول الأوربية ثلاث حقوق للنقض فى مجلس الأمن للأمم المتحدة ، ذخائر حربية هائلة فلا تشكل خطراً للانسانية ، و تسعى إلى منح روسيا ، التى هى دولة صغيرة بسكانها و مساحتها و تعولها دول أخرى فى العالم حق النقض ، و تغض بصرها عن الدول الاسلامية الكبرى التى تشكل ثلث سكان العالم ، و قد كان من حق هذه الدول التى لها منظمة تدير شئونها السياسية ، و هى تتكون من ثلث دول العالم الحرة فى الأمم المتحدة أن يكون لها حق النقض فى مجلس الأمن ، و أن يكون لها مندوب دائم فيها ، فان لها وزنا و نفوذا ، أليس من حق هذه المنظمة أن تطالب بهذا الحق ؟ .

إن مشاكل العالم ترجع أصلا إلى حشد القوة فى العالم فى أيدى الدول الأوربية المسيحية التى تعمل حسب المصالح الأوربية القومية الطبقية و المسيحية المتعصبة ، أو تخدم مصالح اليهود ، و تجتمع عـــلى محاربة الأمم الأخرى المستضعفة ، و قد سقط الاتحاد السوفيتى و سقط النظام الشيوعى الغاشم الذى استعمر العالم و استصغر الشعوب ، فلابد أن تسقط النظم الاستبدادية الأخرى التى تستعبد الشعوب ، وتفرض سيادتها عليها وتظهر قوة جديدة .

كتب حديثة :

١ ــ كتاب المرض و الكفارات

وصل إلينا من مطبوعات الدار السلفية بمبائى (الهند) « كتاب المرض والكفارات » للحافظ بن أبى الدنيا ، المتوفى ٢٨١ھ ، وقام بتحقيق هذا الكتاب و تخريج رواياته و آثاره و التعليق عليه الأستاذ عبد الوكيل رياض أحمد الندوى ، باشراف من الأستاذ محمد أكرم مختار رئيس قسم البحث والتحقيق للدار السلفية.

الكتاب دليل للمسلم على ما ينبغى أن يفعله إذا ما ألم به مرض أو أدركته آفة ، ذلك أن يؤمن بالقدر خيره و شره ، و يعتمد على الله تبارك و تعالى و يطلب منه الفرج و الشفاء ، فهو الذى بيده الخير، و يجب عليه أن يعتقد أن المرض والمصيبة كفارة له ، لذنوبه ومعاصيه، و ليس ذلك إلا نعمة من الله تعالى ينبه بها عباده و يلفت أنظارهم إلى الانابة و الاستغفار ، و الدعاء .

يبلغ عدد الأحاديث و الآثار التى يحتوى عليها الكتاب إلى ٢٦٢ ، و قد بذل المحقق الشاب مجهوداً بالغاً فى تحقيق المخطوطة و إخراجها فى ثوب قشيب جميل ، و هو أسدى بذلك منة إلى جماعة العلماء و أوساط العلم و الدين، و يعتبر الكتاب ضمن أعمال الدار السلفية فى مجال إحياء التراث الاسلامى ، و هو من نوادر المخطوطات التى وجدت فى دار الكتب الظاهرية بدمشق .

إن المؤلف و المحقق و الناشر كلهم يستحقون الشكر و التقدير من جميع الأوساط العلمية والدينية ، تقبل الله جهودهم بالأجر الجزيل فى الدين و الدنيا ، و هو على كل شىء قدير ، و صلى الله على خير خلقه محمد و على آله و صحبه و بارك و سلم .

٢ ـ إيثار الآخرة

هذا كتاب صدر باللغة الأردوية من المجمع العلمى بمدينة مئو بولاية اترابراديش، الهند ـ منذ عهد قريب، و هو فى الواقع ترجمة «كتاب الزهد و الرقائق» للامام عبد الله بن المبارك، الذى قام بتحقيقه و تصحيحه و طباعته محدث الهند الكبير العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ـ حفظه الله تعالى ـ فى عام ١٣٧٦هـ.

إن هذا الكتاب له أهمية تربوية كبيرة والناس بحاجة ملحة إلى الاستفادة منه فى الحياة الفردية و الجماعية، و إلى اتخاذ مواقفهم الصحيحة من الدنيا وزهرتها ومن الآخرة ونعيمها، فى ضوء تعاليم الكتاب والسنة، فان الله سبحانه وتعالى يقول: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً، و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكوراً، كلا نمد هولآء وهولآء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً».

بالنظر إلى قيمة الكتاب العلمية و تعميم فوائده بين الناطقين بلغة أردو فى الهند و باكستان وغيرهما من بلدان العالم حيث يعرف المسلمون اللغة الأردوية، قام بترجمة الكتاب إلى اللغة الأردوية فضيلة الشيخ عبد الجبار الأعظمى، تلميذ العلامة المحدث الشيخ الأعظمى، و أستاذ الحديث فى مدرسة مرقاة العلوم التى أسسها العلامة الأعظمى و يشرف عليها، و قد سمى الكتاب باللغة الأردية باسم (إيثار الآخرة).

و الجدير بالذكر أن هذه الترجمة إنما تحتوى على جزء الكتاب الذى هو برواية المروزى، و عدد أحاديثه ١٦٢٧، و يرجى أن يقوم فضيلة المترجم حفظه الله بترجمة الجزء الذى هو براوية نعيم بن حماد فى فوصة قريبة باذن الله تعالى.

تقبل الله منه هذا المجهود العلمى المبارك، ونفع به عامة المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثاني ـــ المجلد السابع و الثلاثون

شوال ١٤١٢هـ ـــ أبريل ١٩٩٢م

المــــراسلات :

البعث الاسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص .ب ٩٣ لكناؤ ـ الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

الإفتتاحية :

أمة القيادة تحت مظلة الدين القيم

قد ترى أن الناس يتساءلون فيما بينهم عما إذا كانت هناك حاجة إلى دين جديد ، وهو الإسلام ، على الرغم من وجود تعاليم الكتب السماوية السابقة التي أنزلت على داؤد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وقد أثيرت تساؤلات حول هذا الموضوع في مناسبات شتى وبأساليب مختلفة ، ولكن علماء الإسلام وأئمة الدين ردوا عليها بتفصيل وإقناع مما لم يترك مجالاً للشك ولا للضلال ، بل الحق أن هذه المجهودات العلمية تشمل جوانب الموضوع كلها ، وتبرهن على أن الإسلام إنما هو الحاجة الأكيدة للنوع البشرى بوجه أكمل وأشمل ، وبطريق دائم ، يتكفل للانسان بالسعادة والسمو في كل زمان ومكان .

أما ما يقال من أن الأمة اليهودية والأمة المسيحية (النصرانية) كانت فيهما كفاية كاملة لأداء مسئولية القيادة العالمية ، والتوجيه الأممي ، وخاصة في العالم المتغير الحديث ، وفي مجالات العلوم والابداعات العلمية والتقنية ، فان هذا الكلام ليس إلا كمغالطة يريد بها أهلها اسدال الستار على مكانة الأمة الإسلامية وصرف الأنظار عن أهمية دورها الذي ناط بها الله سبحانه وتعالى مع إلغاء منصب القيادة عن الأمم السابقة . إن هذه الشرذمة التي تحاول إخراج هيبة الأمة الإسلامية من القلوب ، وإقرار الأمم الضالة والمغضوب عليهن ، على جادة الهداية والقيادة ليس لها هم غير أن تلهى الناس عن الحقائق والأسرار التي تولت استرداد منصب القيادة العالمية عن هاتيك الأمم ومنحه للأمة الإسلامية وحدها التي

أخرجت لكي تتسلم زمام القيادة العالمية ولا تتنازل عنها في أي فترة زمنية أو مساحة مكانية . ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

لم يغفل التاريخ أن يسجل تلك المناوءات والعداوات التي تطرقت إلى قلوب أهل هذه الأمم ، فعاشت حروباً ومناوشات لم تكن هينة ، وهل يخفي على المطلع الخبير ما قد جرى من حوادث الفتك والضرب بين اليهود والنصارى في الفترة التي سبقت مجيئ الإسلام ، فقد تحدث عن هذه الأحداث الدموية التي جرت بين اليهود و النصارى في القرن السابع الميلادي المؤرخ العربي الشهير المقريزي في كتابه « خطط الشام » وبذلك نستطيع أن ندرك مدى فاعلية الاتجاهات المعادية ذات الثورة العنيفة التي تبادلها اليهود والنصارى وعاشوها بوجه مستمر يقول:

« وفي أيام فوقاً ملك الروم ، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام ، وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا إلى مصر في طلبهم ، وقتلوا منهم أمة كبيرة ، وسبوا منهم سبياً لا يدخل تحت حصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ، وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل ، وقرية الناصرية صور ، وبلاد القدس فنالوا من النصارى كل منال ، وأعظموا النكاية فيهم ، وخربوا لهم كنيستين بالقدس ، وأحرقوا أماكنهم ، وأخذوا قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطرك القدس وكثيراً من أصحابه فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفاً و هدموا كنائس النصارى خارج صور فقوى النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم كثير » (كتاب الخطط للمقريزي، ج/٤- ص/٢٩٢ برواية « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » لسماحة العلامة الندوي).

هنالك عاشت الأمتان أو بالأصح الفرقتان خصومة شديدة جعلتهما

على طرفي النقيض ، وقد أشار إليها كتاب الله تعالى في قوله : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ ، وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب ﴾ ولعل النقطة المهمة التي أشار إليها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني في حديثه الذي كان يلقيه بمناسبة زيارة إمام المسجد الأقصى لندوة العلماء رداً على كلمته التي ألقاها في المناسبة ، قد تكون خافية على كثير من الناس ، وهي أن عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام هي عقيدة الألوهية وهم يزعمون أنه بمثابة إله ، بينما اليهود ينكرون ذلك ويتهمونه بما لا يليق بكرامة شخص عادي فضلاً عن أنه نبي مبعوث ، وبهذه العقلية التي اشربت هاتان الأمتان كيف يمكن الجمع بينهما ، خاصة إذا كانت الواحدة تتهم الأخرى في صلب دينها وصميم عقيدتها .

ولكن الشئ الذي يثير الدهشة والاستغراب هو أن هاتين الأمتين اللتين حملتا هذه العقلية المضادة التي أثارت بينهما العداوة والبغضاء ، والتي فرقت بينهما هذا التفريق الهائل ، حيث لم يكن يرجى في أي عهد من عهود التاريخ أن تجتمعا على كلمة واحدة وأن تتآلفا ضد أي عدو ، لقد اجتمعتا على شئ واحد واتحدتا ضده ، ألا وهو الإسلام والمسلمون ، إننا نرى هذا الواقع الملموس المشاهد من دون أي غموض أو سرية ولا سيما في عصرنا هذا الذي تتألب فيها القوى الباغية الطاغية ضد الاسلام ، وتتحد على هدم معالم الشريعة الإسلامية وتشويه سمعتها وشكلها الجميل ، وهي تحقد على المسلمين هويتهم الإسلامية خوفاً مما إذا عاد إليهم زمام القيادة العالمية ، ومنصب الوصاية على العالم .

إن مثل هذه المخاوف تتعاود إلى الأمتين اليهودية والنصرانية في العالم الحديث ، حيث تشهد المجتمعات الانسانية في كل مكان صحوة إسلامية

تبشر بعودة المسلمين إلى دينهم وإلى شريعتهم من جديد، وذلك يعني من
غير شك أن الإسلام يكون له جولة وصولة، وسيادة وقيادة في جميع
مجالات الحياة والعمل، وسوف يقلب التاريخ أوراق الحضارة الإسلامية
ويسجل صفحات جديدة مجيدة لهذه الحضارة الإسلامية والقيادة العالمية
هذا الواقع له أكثر من معنى، وفيه موشرات إلى أن اليهودية والنصرانية
قد أفرغتا كل ما كان لديهما من سهام، وهذا السهم الأخير هو التضامن
الذي وجد بينهما ضد الإسلام، وقد سبق أنهما لم تدخرا وسعاً في توجيه
سهام مسمومة نحو الإسلام والمسلمين، كل واحدة بأسلوبها الخاص،
وبسياستها المستقلة، ولكنها هي المرة الأولى التي تتجمعان وتتعانقان
فيها لاقتلاع جذور الأمة الإسلامية - كما زعمتا - وإقصائها عن جادة
القيادة والهداية، واقرارها في مكان التبعية والعبودية العقلية، ب
التنازل عن كل ما كانت تتميز به من شرف وسمو و وسطية ممتازة، وأن
هذه هي الأمة التي تستحق بكل جدارة وقضاء من الله تعالى أن تكون أمة
واحدة تذوب أمامها جميع الأمم والديانات والنظرات، مهما كانت تنتمي
إلى كتب سماوية سابقة، ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ﴾

إذن ليس من المعقول أبداً أن تحلم أمة بالقيادة العالمية وخدمة الإنسانية
وهي تتجرد عن روح الموضوعية وتدور مع المصالح المادية الرخيصة
فتتحارب تارة وتتآلف تارة أخرى من أجل ربح عاجل ونفع قليل
والحقيقة أن هاتين الأمتين منذ أن تخلتا عن تعاليم النبوة والكتب
السماوية التي انتمتا إليها، كتب لهما الشقاء والحرمان، وأقصيتا عن
منصب القيادة والتوجيه العالمي، وضربت عليهما الذلة والضلال، وشغلتا
باثارة الفتن وتفجير منابع الأحقاد والضغائن، وبالمتاجرة بالقيم
الخلقية من وراء ستار العلم والعقل والصناعة.

أمة القيادة تحت مظلة الدين القيم

اختار الله تعالى لمهمة القيادة العالمية أمة المسلمين الوسط التي هي نتيجة الدين القيم، الدين الابراهيمي الحنيف الذي أنزله مع رسوله خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وانزل سبحانه على عبده الكتاب الخالد الدائم الذي جعله دستوراً خالداً للحياة والكون والإنسان . يتكفل بالسعادة والنجاح للنوع البشرى كله على مدى الدهر ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قِيَماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيْداً مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ وجعل الله سبحانه وتعالى المثال العملي البين والأسوة الحسنة في حياة رسول ﷺ لكي تستنير الأمة من حياته الجوانب المظلمة للحياة والمجتمع . وتستعين باضوائه في مسيرة الحياة بجميع مفاهيمها ومطالبها واحتياجاتها وشئونها الصغيرة والكبيرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً . وَدَاعِياً أُلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيْراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيْراً ﴾.

ذلك هو الفضل الكبير من الله تعالى الذي كان له الدور المشرف في تربية هذه الأمة على مبدأ الدين القيم، المتزن الذي يشرف على صناعة الجيل الإسلامي بمعناه الكامل الشامل حتى يقوم بتمثيل القدوة المثالية التي تؤهل للقيادة العالمية . وقد أمر الله تعالى خاتم النبيين محمداً ﷺ بأن يعلن على المستوى العالمي وينادي في الناس أن ربه قد هداه إلى صراط مستقيم وأكرمه بالدين القيم وملة ابراهيم حنيفاً .ذاك أن الدين القيم يتولى هداية الإنسان وتصحيح مسيرته من السبل المنحرفة إلى سواء الصراط . ثم يوجه إليه مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويطالب منه بغاية من الجدية أن يلتزم بذيل التوحيد، ويفرعن كل ما فيه شائبة من الشرك أو ما يشبه الشرك ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط

مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين﴾.

والذي سار على هذا الدرب، درب الإيمان والعقيدة ودرب الخضوع والاستسلام لله وحده فانه يضع كل شئ مما يملكه من النفس والمال والأهل والأولاد والمستقبل، بيد الله تعالى، ويتجزد لأداء ضريبة العبودية والسلم بتقديم النصح والخير والتوجيه السليم إلى الناس جميعاً، فلا يلبث أن يجعل هتافه: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ و بتأثير هذا الهتاف الخالص يكون كل فرد من أفراد هذه الأمة مسئولاً مخلصاً عن إعداد العدة الكاملة لبناء الإنسان المسلم الواعي، الداعية إلى الخير، الناصح لعباد الله، المهتم بما يجري في هذا العالم من أحداث وأوضاع وإصلاح كل فساد وردم كل ثلم، وتطهير كل لوثة من الحياة والمجتمع.

هذا التركيز على الهدف السليم هو في الواقع أساس متين يقوم عليه صرح القيادة العالمية، وترتفع عليه منارة الهداية والنور التي تستضئ بها الحياة دروبها المظلمة، وبهذه الميزة منحت الأمة الإسلامية قيادة النوع البشرى، وحرمت الأمم الضالة هذه القيادة التي كانت تعتبرها حقها الطبيعي لأنها كانت مفقودة الميزة بعيدة عن درب القيادة، بيد أن الأمة الإسلامية إذا أغفلت ميزتها القيادية فسوف يأتي الله بقوم يتأهل لتحمل هذه المسئولية، ويتحلى بالميزة القيادية تحت مظلة الدين القيم، فان الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

وبهذه السطور المتواضعة نكتفي بالبحث في موضوع «أمة وسط ودين قيم» عسى أن يفتح على القارئ الكريم بعض نوافذ التفكير من جديد.

سعيد الأعظمي

الاسلامي

تقدير العزيز العليم

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[فيما يلي نص الخطبة التي ارتجلها سماحة الشيخ الندوي في قاعة مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية في ٢٠/أغسطس مشهد كبير من المثقفين و العلماء، و أعضاء الجمعيات و الجماعات الدينية و الاسلامية في المملكة المتحدة]

سادتي و إخواني ! يسعدني أن أتحدث باللغة العربية التي كانت ولا تزال هي الوسيلة الكريمة العالمية للتعبير و التعارف ، ولو لا هذه اللغة ، لغة الاسلام الرسمية دائماً و لغة القرآن ، لما كان لي أن أتحدث بها في بقعة أوربية و بلد أوربي و في رحاب جامعة كبيرة عتيقة كتبت لها السيادة والاختصاص في كثير من العلوم .

إني أوثر اللغة العربية و أقدمها ، و إذا اجتمعت عدة لغات كان للغة العربية فضل عليها ، أقول ذلك عن إيمان و عن ثقة .

إن وجود هذه الجامعة الاسلامية باختلاف أغراضها و أهدافها و جنسياتها و ثقافاتها في بقعة و منطقة قد حكمت نصف العالم تقريباً و كان لها التوجيه العالمي و السيطرة ، ليست السيطرة غير السياسية فحسب ، بل السيطرة الفكرية و التوجيه العلمي والثقافي ، إن وجود الجالية الاسلامية في هذه المنطقة الأوربية فرصة ، لا أقول صدفة ، أنا لا أومن بالمصادفات ، إنها تقدير العزيز العليم ، يقول الله

تقدير العزيز العليم

عز وجل : ﴿ وَ الشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ ﴾ {١} إن القوة الموجهة إذا كانت عزيزة قادرة فحسب لا تستطيع ان تحقق أغراضها إلا أن تتخذ خطـة حكيمة ، فوصف الله نفسه كذلك بالعلم .

إن وجودكم في هذه البلاد ليس صدفة . ليست الأغراض الاقتصادية و الدوافع المادية هي التي دفعتكم الى هذه البلاد ، لا أومن بأن وجودكم هنا صدفة ، إنما وجودكم في هذا الاجتماع في هذا العدد . ليس كماً فقط بل كيفاً كذلك ، ففيكم الأدباء و العلماء والمؤرخون ، إن وجودكم هنا تقدير العزيز العليم ، إنه منة و محنة :

إنه منة لأنها تعود فائدتها الى الاسلام ، و تعود عليكم بالخير الكثير ، و أكبر نعمة بعد النبوة أن يختار الله عز وجل طائفة لتمثيل الحياة الدينية ، إن الله قدر لكم ، و قيضكم لتمثيل الحياة الاسلامية في هذا المجتمع الأوربي .

إنها محنة لأن الأوضاع و الدوافع مختلفة و المصيبة الكبرى إذا كان الدافع اقتصادياً فحسب أو سياسياً فحسب فكثيراً ما يضيع القول الحق .

هذه البلاد ـ و معذرة الى سكانها ـ منكوبة ، لأن صلتها انقطعت عن التعاليم النبوية و تاريخ الأنبياء و سيرهم ، انقطعت صلتها عن أسباب فلاح الإنسان و سعادته ، كانت النفسية السياسية هي الغالبة

{١} سورة يس ، الآية ٣٨ .

عليها ، و النفسية التي تملكها الآن و تسيطر عليها هي نفسية اقتصادية استغلالية .

إن الدعوة ، و معرفة نفسية الانسان ، و مقاومة المغربات المادية و المغريات التي تنبع من القلب و أعماق النفس محنة كبيرة .

على كل حال هذه فرصة غالية جداً لتمثيل الاسلام و الحياة الدينية ، إن الإنسان مفطور على إجلال شئ لا يجده عنده ، فالفقير مفطور على إجلال الغني ، و المريض الضعيف مفطور على إجلال الصحيح القوي ، و الجاهل مفطور على إجلال العالم ، حتى اللئيم مفطور على إجلال الكريم ، و الجبان مفطور على إجلال الشجاع .

ماذا ينقص هذه البلاد ؟ التقدم ، الصناعة ، التكنولوجيا ، المراكز العلمية ؟ ـ ومعذرة إلى جامعة أوكسفورد التي يقوم فيها مركز للدراسات الاسلامية ـ لا ينقصها شئ من هذا ، إنما ينقص هذه البلادالإيمان بالله ، الإيمان الجازم ، الإيمان المالك لأزمّة الارادة والأهواء و الشهوات ، ينقص هذه البلاد الإيمان بالآخرة إيماناً حياً قوياً ، ينقصها الرحمة و الانعطاف للانسانية ، ورقة النفس ، والتجرد والانقطاع الى الله ، ينقصها الإيمان الراسخ الحيُّ القوي المحرِّك ، الإيمان الذي يملك على النفس إرادتها و رغباتها .

أحكى لكم قصة ، كان رجل في الجاهلية يدعى جبَّار بن سُلمى كان معروفاً بشدته و غلظته على المسلمين ، كان من أعدى أعداء الاسلام ، قاوم مرة في ساحة العرب أحداً من المسلمين اسمه حرام بن ملحان ، فطعن طعنة في جوفه نفذت من جانب إلى آخر ، طعنة قاضية ، فخر

صريعا ، و قال وهو يلفظ نفسه الأخير : فزت و رب الكعبة ، فتخيل جبار بن سُلمى : ما هذا ؟ هاجمته فقتلته وهو على وشك الموت وهو يعرف أن أولاده سيكونون أيتاماً ، و زوجته أرملة ، وهو يعرف أنه قد فقد الحياة ، ومرافق الدنيا ، و نعيمها و لذتها و المآكل والمشارب ، ولا يمكن أن يسمى هذا كذبا . فإن العرب لا يوجد فيهم الكذب ولا النفاق ، إن العرب لم يشاهدوا نفاقاً في مكة ، إنما جربوا النفاق في المدينة حيث اليهود ، تصور كل ذلك ، و هل يكذب في هذا الوقت وهو يلفظ نفسه الأخير ، وقال : أعرف معنى الفوز ، وهو كذلك يعرف معنى الفوز ، الفوز في الكرامة و الشرف و التذوق بنعم كثيرة من المآكل والمشارب ، و كل يعرف معنى الفوز ، فاستغرب ، لماذا قال : فزت و رب الكعبة ، أنا أراه خاسراً ، قد خسر كل شئ من الدنيا ونعيمهاوملذاتها ، لما أسلم جبار سأله أحد المسلين ، كيف أسلمت وكنت من أعدى أعـداء الاسلام ، ومعروفاً بغلظتك على المسلين ، قال : إن قصتي أني هاجمت رجلاً من المسلين فطعنته طعنة كانت القاضية ورأيته بشحط في دمه ، ولم يبك ولم يحزن ، بل قال : فزت ورب الكعبة ، قالها بكل ثقة و طمأنينة .

تحير جبار بن سُلمى ، هل للفوز مستويان ، هل التوى عليّ فهم هذه الكلمة ، الفوز عند المسلم هو لقاء الله عز وجل ، إنه يؤمن أنه سينتقل إلى نعيم الله عز وجل .

إن أكبر شئ يقلب الحقائق ، و يُحدث انقلاباً في شخص هو رؤية شئ و تجربة بشئ لا يجده في مجتمعه .

مسئوليتكم أن تعرضوا على أهل هذه البلاد شيئاً لم يجربوه ولم يعهدوه ، وهو الإيمان ، الإيمان بالله و الآخرة ، هو إيثار العاجل على الآجل ، هو التقيد بالقيود الخلقية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون ، و عدم عبادة الدنيا و ثرواتها و كراماتها ، هذا الشئ هو الذي ينقص هذه البلاد ، المكتبات هنا طافحة ، و فيها كل شئ من العلوم و الفنون و الصناعات ، تنقصها الحياة التي تقوم على أساس الإيمان بالآخرة و على الصدق ، هذه البلاد جربت كل شئ إلا تعاليم النبوة ، و الحياة الممثلة للكتب السماوية .

مما يروي عن الإمام الزهري رحمه الله تعالى أنه قال : إن العدد الذي أسلم في الفترة التي بين صلح الحديبية و فتح مكة وهي سنتان أكبر بكثير من العدد الذي أسلم في السنوات التي قبلها وهي ثلاث عشرة سنة في مكة و عشر سنوات في المدينة .

لماذا هذا الفرق الكبير ؟ كانت هناك حواجز ، قلما كان مشرك أو كافر يشاهد مسلماً في الحياة الفردية و الجماعية ، كانوا يقابلون المسلمين في ساحة الحرب ، فكل معلوماتهم كانت ترجع إلى ساحة الحرب و بعض الصدف ، و لكن لما رفعت هذه الحواجز ، و أمكن لكل قريشى أن يقابل أخاه أو ابنه أو أقاربه في المدينة ، فهذا يزور ابن عمه ، يرى أنه يجوّع أطفاله و امرأته ، و يجوع هو نفسه و يطعم ضيفه و يكرم زائره ، و أنه لا يغضب ، إنه راهب بالليل و فارس بالنهار يرقّ لكلّ إنسان ، كانت ألوف من الدلائل و البراهين لا تساوي ، قضاء ليلة واحدة مع مسلم .

فهذا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه، ذهب بضيوف النبي ﷺ إلى بيته، وسأل زوجته، هل من طعام؟ فقالت: لا إلا ما يكفي الأولاد، قال: علليهم و نوّميهم، فإذا قدمت الطعام، أطفئ السراج وكأنك تصلحينه، فأطعم ضيوفه و أظهر لهم كأنه يأكل معهم و بات جائعاً و بات أهله جائعين، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [1].

هذه حياة لم يجربها الغرب، هذا شئ جاذب، فيه قوة كيماوية، فيه قوة أكبر من الطاقات الكيماوية، إذا مثلتم هذه الحياة فإنه سيدخل عدد كبير من الغربيين في الاسلام.

الشئ الوحيد الذي تفتقر إليه هذه البلاد هو تمثيل حياة إيمانية أخروية مثالية مبدئية خالصة.

أيها الأساتذة العرب! وصل إلينا الإسلام عن طريقكم، أنتم الأساتذة و نحن التلاميذ، حاولوا أن تطبقوا هذه الحياة، إذا مثلتم هذه الحياة الدينية المثالية في متاجركم ومع زملائكم، في الوظائف وفي السوق، وفي الكليات، و الجامعات فإنه سيأتي بالعجب العجاب.

لما غزا السيد الامام أحمد الشهيد رحمه الله، زعيم أكبر حركة جهادية في شبه القارة الهندية [2]، لما غزا بشاور، و فتحها، بقي فيها هو وجيشه مدة أسابيع، فأمسك يوماً أحد المواطنين بيد بعض

---

(1) سورة الحشر- الآية/٩.

(2) ليرجع للتفصيل إلى رسالة « الامام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف » وكتاب « إذا هبت ريح الايمان » لصاحب هذه الكلمة سماحة العلامة أبي الحسن الندوي.

[التحرير]

المجاهدين ، وسأله : هل في عيونكم شئ ، هل تشكون من قصر النظر ، قال : لا ، عيوننا سليمة ، كلنا نحمل عيوناً سليمة نحن نبصر الشئ البعيد كما تبصرون أنتم ، و لكن ما الذي حملك على هذا السؤال ؟ ما الذي دفعك إليه ؟ قال : إني أراكم هاجرتم أوطانكم منذ سنوات ، وأنتم شبان ، ما رأيت أحداً منكم ينظر إلى امرأة ، لو كان بعض رجال الدين لاينظرون إلى النساء لما استغربت ، ولكني أرى كلكم تغضّون أبصاركم ، مع أنكم شبان ، و الجيش معروف بحريته ، فالجيش إذا فتح بلدا تصرف فيها تصرفا حُرّاً ، فقال ذلك المسلم المجاهد : هذا تطبيق لقوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ : وهذه تربية إمامنا .

إذا كانت حياتنا في هذه البلاد كمثل هؤلآء المجاهدين وهم كانوا قبل قرن و نصف قرن تقريباً .

إذا أنشئ في لندن أو في أي مدينة أوربية مجتمع إسلامي ، مسلم بكل ما في الكلمة من معنى ، مسلم في كل مظهر من مظاهر حياته ، تأكدوا وصدقوني أن هذه البلاد ستندفع إلى الإسلام اندفاعاً لن تستطيع الكنائس و الرهبان أن يقفوا في سبيله .

الشئ الوحيد الذي ينقص هذه البلاد هو وجود مجتمع إسلامي مثالي ، وهذا الذي ينقصه العالم الإسلامي كذلك ، ولو وجد هذا المجتمع في بلد اسلامي سافر إليه الناس ليشاهدوه ، واحتملوا في سبيله المخاطر والتكاليف .

وشكراً لكم على الاستماع الكريم وعلى هذا التقدير والتكريم ،، وصلى الله على خير خلقه و خاتم رسله محمد وآله وصحبه وسلم .

التعليم الحـــي

بقلم : د / محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة " البحوث الاسلامية " الرياض

أسلوب جديد في المنهج التربوي الحديث . رأيت نموذجاً منه في جمعية تحمل هذا الاسم في استراليا و باحدى ضواحي مدينة سدني . حيث حرص فيه المهتمون بهذا المشروع على ابتكار أسلوب علمي وتوجيهي لمخاطبة عقول الصغار . خاصة في التحذير من المخدرات . و توضيح آثارها الصحية و النفسية . و متابعة الأمور الأخرى الضارة بالجسم و العقل و المجتمع كالخمور والدخان . وغيرهما من السموم الأخرى التي تنهك الجسم . وتقضي على الحيوية و النشاط فيه . و تأثير تلك المواد على أنسجة الجسم . و خلايا الدماغ . و نفاذها الى الكبد و الأشياء المهمة في الجسم . و لعل التسمية بالحي جاءت من محاولة النفاذ الي بواطن العقول الصغيرة بالصورة المحسوسة و التمثيل لآثار الأضرار . بأحدث المبتكرات العلمية . و تقريب ذلك للأذهان بطريقة واقعية . و للارتقاء بعقول المخاطبين صغاراً و كباراً . الى أسلوب التعامل العلمي . واشراكهم في الحوار والنقاش . وإظهار الآثار السيئة سريعة أمامهم . و كيفية انتشارها في الجسم و إنهاكه . و ليس حديثي هنا دعاية لهذه المؤسسة . أو دعوة للتعامل معها . و لكنني أردت أولاً أن ألمح الى الجهود

المبذولة ، والرغبة في انتشال العقول ، مما هدّدالمجتمعات بمشكلات عويصه عندهم اذ أن المدنية و الترف ، حوّلا طبقات في المجتمع الغربي الى طرائق سيئة تتمثل أبشع صورها في الاساءة الى النفس ، و التعدي عليها و الانحدار الى أقل من المستوى الحيواني ، بتعطيل العقل ، واستعماله فيما يضر ، مما دفع العقلاء منهم الى البحث عن مخارج ، وتلمس الطرق التي تعين على الخروج من الأوحال التي تكاثرت في المستنقع الحضاري ، مما أورث عندهم مصائب وأمراضاً عديدة من جسمية الى نفسية ، فكان الانصراف الى الخمور و المخدرات ، لعل فيهما سلوة ونسياناً للواقع المرير ، إلا أن ذلك زادهم ألماً و مرارة في نفوسهم وضاعف المصائب و الكوارث في بيئتهم ، و أصبحوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، نلمس مثل ذلك في خبر نشرته إحدى الصحف يوم الجمعة ١٤٠٩/٧/١١هـ في صفحتها الأولى ، و جاء فيه بأن مرض الأيدز يهدد بموت ٢٠٠ألف في أميركا و أوربا في عام واحد ، فهو طاعون القرن العشرين كما سماه أحد الأطباء .

أما أخبار من يموت من المخدرات و الخمور ، فيفوق هذا الرقم سنوياً بعدة مرات ، لأنها سموم أدخلت الجسم فهدت كيانه ، و قضت على عوامل الخير فيه ، اذ نلمس هذا في الطريقة التبسيطية لتنوير الأذهان ، و تربية العقول في التعليم الحي ، و الذي نتمنى أن يكون من التربويين الاسلاميين ، و من الدعاة الى دين الله ، من يستغل مثل هذا المنهج ويتعرف على تلك الطريقة لتكون أداة تجديدية في عرض الاسلام ، وفعالة في سبيل الدعوة إلى دين الله ، ذلك الدين الذي ارتضاه جل و علا لخير أمة أخرجت للناس ، فهو دين يخاطب العقول، وشرائعه تتمشى مع مصلحة النفوس : صحة بدنية ، و قوة جسمانية ، و راحة نفسية ، ومتطلبات

اجتماعية ، ومقارنات محسوسة ، بالاضافة الى الأجر المدخر ، والسلامة من كل داء وبلاء ، فهو عالمي يصلح لكل مجتمع ، ويصلح كل أمة دب فيها الفساد ، ويخاطب العقول ، ويقضى على كل شر ومشكلة ، فهو في حاجة الى انتهاج كل جديد في سبيل الوصول للأذهان ، ومخاطبة العقول .

أسلوب العرض :

قضينا وقتاً في التعرف على هذه المؤسسة و أهدافها ، اذ هي مؤسسة توجيهية عقلية أنشئت منذ عشر سنوات لأول مرة ، و لها فروع في عديد من دول العالم ، أعضاؤها من العلماء و الأطباء ، وأساتذة الجامعات ، حيث يرون أن الانتماء اليها يدل على الارتقاء ، فهي تعتمد على الأجهزة الحديثة في العرض و التوجيه . . حيث تشرح وظائف الجسم ، و تأثير الطعام النافع فيه ، و نتائج الضار منه . . و دور كل عضو ، و عمله التلاحمى مع الجسم كله ، و إبانة ما يفيد في العمل الحقيقي لوظائف الجسم ، و ما يعطلها ، كل ذلك يمثل بطريقة لافتة للنظر سرعة أضرار المخدرات ، و سرعة امتصاص الجسم لها وللأضرار الناتجة عن الكحول الذي يبرز في المسكرات ، فاذا كان تأثير الطعام في الجسم ، و سريانه في أطرافه يستغرق ٢٤ ساعة فان الكحول و أثر المخدرات يصل للدماغ - و هو مركز الاحساس - في دقائق قليلة ، و بالتالي يوزع في الجسم خلال نصف ساعة فقط ، ثم يتجسم أمام المشاهد آثار التكرار من هذه الأمور ، و الاكثار من هذه السموم ، على خلايا المخ بما يتلفها ، و على الكبد بما يفتتها ، و نتائج الدخان على الجهاز التنفسي و الرئتين بما يقصر من عمرهما ويُضعفهما عن المقاومة . .

و هذه الأمور كلها مرتبطة باللمسات العصبية ، و مسيطرة على الجهاز العصبي ، اذ بالكحول يتأخر هذا الاحساس الذي يوصل في

الحالات الصحية السليمة الى المخ - وهو الجهاز المهيمن على الاحساس ، والتوزيع في الجسم كله - خلال نصف ثانية ٢٠ مرة . . فبالكحول وبالمخدرات يتلف هذا الاحساس في المخ رويداً رويداً ، حيث يتجسم عملياً بوسائل الايضاح الحديثة سرعة نمو هذا الوباء في الجسم وأثر ضرره ثم يقارن هذا الأسلوب التعليمي ربط ذلك ب :-

- ما جاءت به القوانين في كل دول العالم بالتشديد في منع قيادة السيارة للسكران لأن احساسه يتأخر . . و بالتالي تحدث الكوارث .
- أن شرب الخمر يعطل الأشياء المهمة في الدماغ ، و أن الكحول والمخدرات تفسد خلايا المخ و مواطن الاحساس فيه .
- تلف كثير في أعضاء الجسم المهمة بهذه السموم مثل : الكبد ، الرئيتين ، الأعصاب ، مواطن التركيز ، و القوة الجسمانية و العقلية ، أعصاب العيون ، التأثير على المواليد و الجناية عليهم بدون ذنب .

و غيرها من أمور لا يسع المشاهد صغيراً و كبيراً الا أن ترتعد فرائصه من تلك الآثار ، و الأضرار الفردية و الاجتماعية ، لكي ينمى عنده بغض هذه الأمور ، و الابتعاد عن تعاطيها ، أو الدعوة اليها ، مع بث القوة في نفوس الصغار تعليماً و توجيهاً ، بادراك مثل هذاالاحساس ، وأن يتخذ كل فرد القرار بنفسه دون تأثير من أحد . حتى وإن كان أصدقاؤه ، أو أحد أبويه ممن ابتلي بشيء من هذه الأمور لأن حاسة الادراك عنده يجب أن تكبر فيدرك الضار من النافع أو يعرف كل ما يعود عليه بالخير فيتبعه ، و ما يرجع عليه بالضرر فيبتعد عنه ، و لكي تقترب الوسيلة التوضيحية من عقول الصغار ، فقد عمل أمامهم حالتان :-

- الأولى :للأجهزة المهمة في الجسم في حالة جيدة و سليمة يلمسه الصغير و هي تؤدي وظائفها فيدرك عملها من الغذاء النافع المفيد .

- ثم هذه الاجهزة كالكبد و المخ و الرئتين و هي متضررة من هذه السموم ما أن يلمسها الطفل بيده حتى تتفتت و تتناثر . فيشرح له أن السر هو هذه السموم التي تقضى على الصحة و الحيوية . و تودى الى الموت . و هنا يحرك عنده عامل الاحساس . و قوة العقل في معرفة الأضرار و الابتعاد عن أسبابها .

- أما الثانية فهي تمثل رقبة الزرافة و رأسها تطل على الصغار لتخاطبهم بالنتيجة . و ضرورة الابتعاد عن هذه السموم : الخمور والمخدرات و الدخان . و أن الطفل لا بد أن يتخذ قراره بنفسه . وينمىّ في نفسه منذ صغره الابتعاد حتى ولو كان أحد أبويه ممن يدخن أو يبيع الدخان في بقالة . أو جزء من عمله و ترويجه .

انه منهج تعليمي حرص فيه أصحاب هذه الجمعية . النفاذ للمجتمعات . والدعوة لما يرون فيه نفعاً للصحة و تقويماً للشخصية . والتأثير في الآخرين بما هو محسوس و مشاهد . لكي تكبر تلك العقول و معها ما تشبعت به من إدراك راسخ لما يفيدها فتسير اليه . و معرفة بما يضرها فتبتعد عنه .

مخاطبة العقول :

إن مثل هذا الأسلوب . منبع ثر في مخاطبة العقول . و ترغيبها في الاسلام . ذلك أن الفطرة السليمة لا تتعارض مع التعليمات الشرعية . و أن بسط النتائج المحببة للانسان : صحياً و نفسياً واجتماعياً . و أمنياً في قالب توجيهي مقرون بنظرة الاسلام واهتمامه بالنفس البشرية و ما يسعدها . ثم مزجه بأحدث أسلوب علمي توصل اليه البشر . لما يبهر عقول العلماء . و يجذب نفوس المدركين لمكانة هذا الدين . و أهميته في الارتباط الوجداني لأن نظرتهم للديانات كلها و من بينها الاسلام

تعارضها مع العلم . قياساً على ما مر بهم في دياناتهم : يهودية أو نصرانية .

و اذا كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : خاطبوا الناس بما يعرفون . . أتريدون أن يكذب الله و رسوله . . فان أسلوب الدعوة اليوم يجب أن يخاطب كل عقل بما يدرك ، و يجب أن يسلك الداعون الى دين الله مراكب عديدة توصلهم الى الغاية المنشودة . . وهي التعريف بُدين الله ، و ترغيب الناس فيه . . حيث يتبدل ما في مفاهيم المخاطبين ما علق بها من تشويه لصورة الاسلام و جموده أمام المبتكرات الحديثة ، أو التوسع العلمي ، و المنهج الحضاري ، ضمن الأسلوب الجيد الذي ينتهجه الداعية .

ذلك أن الأوامر و النواهي في شريعة الاسلام توجه النفس البشرية للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، و الخصال الحميدة النافعة ، التي جبلت النفوس على محبتها و الحرص عليها مما ينشط عامل البحث ، و يَقوي هاجس استقصاء الحقيقة ، لدى الانسان ، و هذا مدخل يحسن بطبيب النفوس أن يتلمس و بالحريص على منافذ القلوب أن يدرك خفاياه .

و كل إنسان في هذه الدنيا لديه أحاسيس يمكن الولوج منها ، بحسب اهتماماته و وظيفته في الحياة ، و بحسب الأمور المسيطرة على هواجسه و انفعالاته . . و ما على الداعية الا أن يكون في عمله بمثابة الطبيب مع المريض : يتحسس ما يؤرقه ، و يتوخى الدواء النافع فيصف له من الجرعات ما يتلاءم مع حالته . ذلك أن كل احساس في الانسان يمكن اعتباره فطرة جبلت النفس البشرية عليها ، تقوده في أساسها الى ما ينفع و تباعده عما يضر .

و المرء إن سلك الخير انقاد اليه . و استجاب لشرع الله وابتعد
يه كان متجهاً للفطرة السليمة . و ان حاد عن ذلك . وخالف ذلك
بأوامره و نواهيه . و وجه من حوله من أبناء وبنات . و غيرهم
ـل مسئولية توجيهة الى هذه المخالفة كان عاصياً لهذه الفطرة .
عن دربها السليم . الذي يجب الاهتمام به .
مخاطبة العقول . و الدخول معها في حوار مقنع . يجب أن يسلك
لامس أوتارها حتى يتمثل الأمر أمامها محسوساً . وتظهر نتائجه
لأننا في عصر العلم . و النظريات التي لا يؤمن أصحابها الا بما
سوس و مشاهد . أو ظاهرة نتائجه بأرقام ملموسة . و هو ما يسمى
لماديات . .
و الحكمة العربية تقول : البسوا لكل حرب لبوسها . و في الأثر
بناءكم . فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم . و من هنا يأتي دور
المتخصصين،كل في مجاله ليصبح ناشراً لدين الاسلام . موضحاً
بالبناء العلمي . و تقوية الأفراد . و رعاية المجتمعات .
و مخاطبة العقول بما تدرك لايتم الا بالغوص في المعانى العميقة
ة . و السير وراء الحكمة التشريعية لكل ما جاء في دين الاسلام
المأمور . و ضرراً بالمنهي . و تقويماً للفرد والجماعة بالأمور
ية . عن علم و دراية انطلاقاً من مفهوم الآية الكريمة : ﴿مَا فَرَّطْنَا
ـابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .
و التعليم الحي . الذي يرى أصحابه أنه ابتكار تربوي جديد . لم
ى إطلاقه في المفهوم الاسلامي . لأن أوامر هذا الدين . وأسلوب
، للنفوس . جزء من مبدأ التبليغ بهذا الدين . الذي رسم مناهجه .
، معالم مدرسته و أسسها رسول الله ﷺ . في مثل هذا الأسلوب

الحي الذي يلامس أوتار القلوب ، عند ما جاء اليه شاب ، يتفجر حيوية ونشاطاً ، فقال بعد ما جلس في حلقة التعليم مع صحابة رسول الله ﷺ ، وفي مسجده . . يا رسول الله : ائذن لي في الزنا ؟ فكاد الصحابة أن يبطشوا به ، ولكنهم تأدبوا مع رسول الله ﷺ ، وفي نفوسهم ما فيها ، على هذه الجرأة ولكن الهادي البشير ﷺ قد أدرك ذلك منهم ، فتشاغل عن الشاب ، حتى هدأت نفسه ، ثم التفت اليه ، وقال : ماذا قلت ؟ فقال : قلت يا رسول الله ائذن لي بالزنا ؟ فقال ﷺ : أ ترضاه لأمك ؟ قال : لا ، قال : أ ترضاه لأختك ؟ قال : لا ، فما زال المصطفى يردد عليه السؤال في بقية محارمه . . و الشاب يقول : لا ، لكل حلة . . فقال له ﷺ : الناس كذلك ، أي أن ما لا ترضاه لنفسك من سمعة و فاحشة لا يرضاه الناس لمحارمهم .

و مخاطبة العقول بما تدركه ، و الدخول مع العلماء ، كل في مجال تخصصه ، وتوضيح مكانة الاسلام ، و نظرته البعيدة فيما يسعد البشرية ، وأسبقيته في البحث عما يفيد النفوس ، و تحذيره مما يضرها ، كل هذا من المداخل الحيّة تربوياً و تعليمياً ، و هذا ما يجب علينا أن نبسط أمام الآخرين ، لنسمو في دعوتنا الاسلامية الى النفاذ للعقول المختلفة ، بما هو مرغوب لديها ، و لكي نفهمهم أن الاسلام يحرص على الحفاظ على النفس البشرية و يهتم بها ، لأنها أغلى جوهرة يحرص عليها و يحميها من المخاطر ، و لذا ورد النص القرآني الكريم بالتحذير من التفريط فيها ، وقتلها و الاضرار بها ، و توعد رسول الله ﷺ بالنار من قتل نفسه . . لأن هذه النفس ملك لله ، و لها مهمة عظيمة في الحياة ، وضحتها الشرائع ، وأبانتها تعاليم الاسلام .

الدعوة و التعليم الحي :

و إبانة المخاطر التي تنجم من الفواحش ، كالأيدز و السلفس

والزهرى من ارتكاب الزنا ، و تفشى الأمراض العقلية و البدنية كالجنون ، و الانهيار العصبي ، و موت الضمير و نسيان الفضائل ، والاستمرار في سلسلة من الجرائم نتيجة تعاطى المخدرات . والتأثير على المخ و فقدان التركيز و تفتت الكبد و تمزق الشرايين ينتجه الاسراف في الخمور ، و أمراض الصدر و الحلق و سرطان المرى والرئتين ، و سرطان الفم و اللثة من آثار التدخين ، و تفشى الظلم والجور ، و انهاك الفقير في محاربة لله نتيجة الربا ، و منع البركة وكثرة القحط و الجرب ، بمنع الزكاة . . و غير هذا من أمور كثيرة أوضحها المصطفى ﷺ ، كل هذا و أكثر منه ، معادلات علمية ، وحقائق ثابتة تبرز بأسلوب تعليمي حي ، عند ما يتعمق فيه الدعاة ويبسطونه أمام الآخرين بنتائجه الثابتة ، و وقائعه الملموسة . . و هذا أهم ركيزة يجب أن ينطلق من الدعاة في رسم منهج حي للدعوة الاسلامية ، لا يتحدث من منبره إلا علية طبقات المجتمع الاسلامي حرصاً و علماً و فهماً . و قدوة صالحة في نفوسهم ، وعملاً بما يصلحون ، لأن الله يقول وقوله الحق : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا لاَ تَفعَلُوْنَ ﴾ .

<////\\\\>

الاستشراق و التبشير

{ الحلقة الأولى }

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر و قطر

أصبح موضوع الاستشراق و المستشرقين . من المواضيع . التي تشد انتباه علماء الاسلام . لما رأوا أن دراسات المستشرقين للاسلام . لا تخلو عن نوع من التدسيس و التحريف . بحسب ما يقومون به . من تحقيق علمي . أو اكتشاف تاريخي . ذلك أن العمل الاستشراقي . لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة . و لكن أصبح مزيجا من الحق و الباطل (١) . ومن هنا صار حقا على الباحث والدارس . أن يعني بتحديد مفهوم الاستشراق (٢) و الوقوف على معالمه البارزة . و آفاقه . و مظاهره . و أهدافه . ليتبين الطريق . و يتبصر الأمر . و يتعرف المعالم . و الحقائق . فيكون على بينة من أمر يمسه في حياته . و يهمه أن يكون على وعي له و منه .

والواضح أن كلمة "الاستشراق" مشتقة من مادة "شرق" . يقال شرقت الشمس شرقا و شروقا : إذا طلعت (٣) . و مما يسترعي الانتباه . أن كلمة الاستشراق . و التي نبحث عن مفهومها اللغوي .

---

(١) أنظر سعيد الأعظمي : الاسلام والمستشرقون . لماذا ؟ ص٧ من كتاب الاسلام و المستشرقون ط. عالم المعرفة ص٥ .١٤٠٥هج .

(٢) أنظر الدكتور أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ص ٢١ .

(٣) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج ١ ص٤٨٠ ط. القاهرة ١٩٦٠م .

لم ترد في المعاجم العربية المختلفة (١) ، و ليس معنى عدم ورودها في المعاجم اللغوية ، منع الباحث من الصول إلى المعنى الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف ، و علم الاشتقاق حيث يبدو أن معنى استشرق : أدخل نفسه في أهل الشرق و صار منهم (٢) .

و بعض المصادر اللغوية الحديثة تقول : استشرق : طلب علوم الشرق ، و لغاتهم " مولدة عصرية " يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة (٣) .

" و المستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته و آدابه " (٤) .

أما لدى علماء الغرب فيتساءل " أربرى" نفسه : ماهو الاستشراق؟ و ما كنه المستشرق ؟ و من الجلى أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذي لا يزال مجهولاً بين الجماهير ، يحسن أن يحاول الوصول الى اتفاق بينه و بين قارئية ، حتى يتعرفوا موقفهم صحيحاً ، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم ، أن الاستشراق ، و مثله في ذلك كثير من فروع العلم الأخرى ، قد تخطى حدوده ، الى ميادين تنتمي في حقيقتها الى علوم أخرى مستقلة عنه ، و ان كانت مجانسة

(١) ابن منظور لسان العرب جـ ١ ص ١٧٣ . الفيروزآبادي : القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٤٨ الأزهري . تهذيب اللغة جـ٨ ص ٣٢٦ . الجوهري الصحاح جـ ٢ ص١٥٠٠ و الشرنوبي أقرب الموارد جـ ١ ص٥٨٦ و غير ذلك .

(٢) الدكتور أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ص ٢٢ .

(٣) الشيخ أحمد رضا معجم متن اللغة جـ ٣ ص ٣١١ ط . بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٥٨ .

(٤) أنظر الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٢٢ .

له . حيث ان المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار ، و الحفريات ، والمورخ ، و عالم الصرف ، و الاشتقاق ، و عالم الأصوات ، والفيلسوف و عالم اللاهوت ، و الموسيقي ، و الفنان (١) .

أما قاموس آكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه : "من تبحر في لغات الشرق و آدابه " (٢) ، و يقول بارت : " الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة " (٣) ، و يعرف جويدي علم الاستشراق والمستشرق فيقول : " و الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب انما هو علم الشرق ، و من الممكن أن نقول إنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي ، و التمدن الشرقي ، ليس علم الشرق إلا باباً من أبواب تاريخ الروح الانساني ، و ليس صاحب علم الشرق الجديد ، بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة ، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب ، بل انما هو من جمع بين الانقطاع الى درس بعض أنحاء الشرق ، و بين الوقوف على القوي الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الانسانية .

هو من تعاطي درس الحضارات القديمة ، و من أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى ، مثلاً أو

---

(١) أنظر الدكتور أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق ، ص ٢٢ .

(٢) أربري : المستشرقون البريطانيون ، ص ٧ ، ٨ ، ترجمة محمد الدسوقي النويهي ، ط . وليان لندن .

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق ص ٢٣ .

في النهضة الحديثة . و علم الشرق هذا علم من علوم الروح ، يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ، و لغاتها ، و تاريخها و حضارتها ، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية ، و الطبيعية (١) .

ويذكر الدكتور أحمد سمايلوفتش بعد أن عرض آراء الغرب :أن الباحث يستطيع أن ينتهي الى نتائج ، ذات دلالات بالغة ، ليفيد منها الى تقرير الحقائق التالية :

أولاً :ـ إن دارس موضوع الاستشراق يجب عليــه قبل كل شيْ ، أن يحدد مفهومه ، و يحاول إيصال معناه محدداً الى قارئية .

ثانياً :ـ إن الاستشراق علم ذو حدود واسعة ، و أحياناً غير واضحة اذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى ، لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار ، والأصوات و الاشتقاق ، و الحفريات ، و اللاهوت ، و ما شاكل ذلك .

ثالثاً :ـ إن المفهوم العلمي لكلمتي الاستشراق والمستشرق ، قد مر بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٢م عندما كان يعني : أحد أعضاء الكنيسة الشرقية الى عصرنا هذا ، حيث أصبح يعني التبحر في احدى لغات الشرق ، و آدابها فكان هذا التبحر شرطاً أساسياً في عالم الاستشراق .

رابعاً :ـ إن كلمة الاستشراق ذات دلالتين : أولاهما :إنه علم يختص بفقه اللغة و متعلقاتها على وجه الخصوص ، و ثانيتهما : إنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي ، على وجه العموم ، فعلى هذا

(١) جويدي علم الشرق و تاريخ العمران ص ١١ـ ١٤ .

الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق ، من لغة و آداب ، و تاريخ و آثار ، و فن و فلسفة ، و أديان و غيرها من علوم و فنون . ..

خامساً :- إن الاستشراق علمياً يرجع الى العصر الوسيط ، بل إلى العصور القديمة .

سادساً :- إن الاستشراق ، كفككرة علمية ، قد نال حظاً عظيماً في أثناء القرن الثامن عشر ، حيث كان الشرق يأخذ مكانه في أبحاثه و مؤلفاته الى جانب الغرب في أفق شمولي ، مما يدل على أن دراسة العرب ، و ما يتعلق بهم ، كان و لا يزال أمرا بالغ الأهمية ، لعلم الاستشراق و دراساته .

سابعاً :- إن الاستشراق يطلق على الجمع ، و الانقطاع الى دراسة الأنحاء المختارة من الشرق ، و الوقوف على قواه الروحية ، وآدابه العظيمة التي أسهمت إسهاماً فعالاً في تكوين ثقافة العالم بأسره (١) .

و الدكتور محمود حمدي زقزوق يرى : أن كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل غربي ، يشتغل بدراسة الشرق كله ، أقصاه ، و وسطه ، وأدناه ، في لغاته ، وآدابه ، و حضارته ، و أديانه ، والذي يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق ، الذي يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته ، و آدابه ، وتاريخه و عقائده ، و تشريعاته ، و حضارته بوجه عام ، و هذا المعنى هو الذي ينصرف اليه في عالمنا العربي الاسلامي ، عند ما

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق ص ٢٦ بتصرف .

يطلق لفظ استشراق أو مستشرق (١) .

و هناك آراء أخرى غير آراء هؤلآء العلماء الأجلاء لكننا اكتفينا بما ذكرناه من آراء ، لما فيها من السعة و الشمول ، و لعلنا بعد هذا نخلص الى النتائج التالية :

أولاً: أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة كل ما يتعلق به من لغات و آداب و معتقدات و علوم و فنون و ما شاكلها .

ثانياً: أن المعنى الأصلي لكلمة استشرق " صار شرقياً " و أن صيغة المستشرق علمياً تطلق على ذلك الذي يشتغل بالعقليات الشرقية عامة و السامية خاصة .

ثالثاً:أن المستشرق عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية على الاطلاق و يجب أن يكون عالماً متخصصاً غربياً أصلاً أو انتماء .

رابعاً:أن المعنى الذي ينصرف اليه الذهن عندما يطلق لفظ مستشرق هو الذي يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي .

وبناء على ما ذكره العلماء المتخصصون والدارسون للاستشراق يمكن القول : إن الاستشراق أصبح اسماً واسعاً ، يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة (٢) و يكاد يكون الاستشراق علماً قائماً بنفسه له أصوله و فروعه و له مقدماته

---

(١) الدكتور محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص/ ١٨ طبع كتاب الأمة ، قطر ، ١٤٠٤هـ .

(٢) ابراهيم عبد المجيد اللبان ، المستشرقون و الاسلام ، ص ٥٤ ط. الأزهر ، ١٩٧٠م .

و نتائجه يكاد يكون رجاله على رغم شتاتهم شعباً خاصاً و له أفقه الخاص به، وحياته المقصورة عليه (١).

لكن يمكن القول: أن الاستشراق في دراسته للاسلام ليس علماً بأي مقياس علمي و إنما هو عبارة عن " أيديولوجية " خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام، بصرف النصر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام و افتراءات (٢).

و الاستشراق مهنة و حرفة كالطب و الهندسة و المحاماة و هو أقرب الشبه الى مهنة التبشير (٣).

<u>وإذا أجرى الباحث موازنة بين أداء علماء الغرب و علماء العربية في الاستشراق فانه سوف يصل إلى التقديرات التالية:</u>

أولاً: يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علماً مستقلاً له ذاتيته وكأنه يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

ثانياً: قرر العلماء أن المستشرق لا بد له من معرفة كاملة باحدى اللغات الشرقية و آدابها (٤).

ويبدو للباحث بعد الدراسة و الاستقصاء أن للاستشراق أسباباً كثيرة ودوافع متعددة نفسية وتاريخية واقتصادية وأيدلوجية ودينية و أخيرا علمية و بجانب هذا هناك أسباب ثانوية شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ و المال، و اتخذوا

---

(١) محمد العوماني: المستشرقون. مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧م القاهرة.
(٢) الدكتور محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ص/ ١٢ كتاب الأمة.
(٣) حسين الهروي نحن و المستشرقون. مجلة المعرفة ص٤٠ يوليو ١٩٣٣م.
(٤) الدكتور احمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق. ص/ ٣٢ بتصرف.

الاستشراق وسيلة لاشباع رغباتهم الخاصة في السفر و الترحال أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم (١) .

و ليس من الضروري بحث تلك الدوافع و التعرف على كل هذه الأسباب لأن السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوربيين الى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، و جاءت حركة الاصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون : بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لاعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الاصلاح ، و من هنا اتجهوا الى الدراسات العبرانية ، و هذه أدت الى الدراسات العربية و الاسلامية لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى و خاصة ما كان منها متعلقاً بالجانب اللغوي ، و بمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أدياناً و لغات وثقافات غير الاسلام و غير العربية (٢) .

و من جهة أخرى رغب المسيحيون ، في التبشير بدينهم ، بين المسلمين ، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الاسلامي و التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار ، فمكن لهم ، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق ، و بذلك سهل الاستعمار للمبشرين

---

(١) المصدر السابق ، نفسه ص / ٣٢ .
(٢) الدكتور محمد البهي المبشرون و المستشرقون ، ص/ ٢٧٤ من حولية كلية الدعوة ، العدد الثاني ١٤٠٦هـ ، مصر .

مهمتهم ، و بسط عليهم حمايته ، و زودهم بالمال و السلطان و هذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار (١) .

و لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ، ولا في أي وقت كان ذلك ، و لكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في ابان عظمتها و مجدها و تثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن و الكتب العربية الى لغاتهم ، و تتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ، ومن أوائل هؤلآء الرهبان الراهب الفرنسي " جريرت " الذي انتخب باباً لكنيسة روما عام ٩٩٩م . بعد تعلمه في معاهد الأندلس ، وعودته الى بلاده ، و بطرس المحترم ١٠٩٢- ١١٥٦م و جيراردي كريمون ١١١٤-١١٨٧م وبعد أن عاد هؤلآء الرهبان الى بلادهم نشروا ثقافة العرب و مؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" العربية وأخذت الأديرة والمدارس الغربية ، تدرس مؤلفات الغرب المترجمة الى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب .وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون (٢) .

وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للاسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصراني الى هذا الدين ، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالاسلام و دراسته (٣) . «يتبع»

---

(١) المصدر السابق ، ص/ ٢٧٥ .

(٢) انظر الدكتور مصطفى السباعي : الاستشراق والمستشرقون ، ص/١٢-١٤ ، ط المكتب الاسلامي بيروت.

(٣) الدكتور محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص/١٩ .

دين الاسلام و مزاياه

بقلم : الدكتور توفيق محمد شاهين
تعريب : الأستاذ أفتاب عالم الندوي

لقد أرسل الله سبحانه و تقدس رسالة الدين الى البشرية عن طريق رسله الطيبين الطاهرين . ليرشدوا الناس الى الصراط المستقيم بهدف نجاحهم في هذه الدنيا و الفوز بالرضا و النعيم في الدار الآخرة . و ذلك ما يحدد العلاقات و الواجبات والحقوق لله الخالق سبحانه وتعالى وللانسان نفسه والبشرية جمعاء .

ان العقائد الأساسية للدين لم تتغير من نبي لآخر . منذ ما أسعد الله الناس بوحي الرسالات الى آدم و نوح عليهما السلام . وجميع الرسل الذين أتوا بعدهما . الى أن توقفت سلسلة الوحي نهائياً بما أوحى الله الى نبيه خاتم الأنبياء ﷺ .

والعقائد الأساسية في دعوات جميع الأنبياء تتمثل فيما يلي: الايمان بأن لا اله الا الله وحده لا شريك له . والايمان بالملائكة والكتب المقدسة . والايمان بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله الى البشرية . والايمان بيوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون . ذكر الله تعالى كل ذلك في القرآن الكريم حيث يقول . ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . .﴾ البقرة، الآية: ٢٨٥ ويقول في موضع آخر : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه . كبر على المشركين ما تدعوهم اليه . . وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ولو لا

كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم . ﴿الشورى . الآية : ١٣- ١٤﴾.

و ذلك ما يؤمن به المسلمون و جميع أتباع الاسلام .

و الاسلام رسالة سماوية أخيرة . و ان الكتاب و السنة يساعدان على إبراز محاسن الاسلام و مزاياه الكثيرة . و ان القرآن الكريم أنصف مع التوراة و الانجيل و صدق على جميع الكتب المقدسة التي أنزلت قبله . وأرشدهما الى الحفظ و الاسلام . كما ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم قائلاً :﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور . يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا و الربانيون و الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله . . . . و قفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة . و آتيناه الانجيل فيه هدى و نور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى و موعظة للمتقين . . . . وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاًلما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه . فاحكم بينهم بما أنزل الله . و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجاً و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة . و لكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات . الى الله مرجعكم جميعاً . فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ ﴿المائدة . الآية : ٤٤- ٤٨﴾ .

الحاجة الى الاسلام:

لا يمكن أحداً في حدوده البدنية أن يعرف السبب لوجوده أو السبب لما خلق لأجله . أو يعرف الخير من الشر إلا بمساعدة توجيه من الله سبحانه و تعالى . و إن الله تعالى أنعم على البشرية جمعاء من آدم الى يوم القيامة بما بعث اليها رسله و أنبياءه لهدايتها وتوجيهها الى الصراط المستقيم . فكل انسان مسئول عن أعماله ونشاطاته و هو يسلك طريق الخير و الهدى في ضوء رسالة الله ودعوات الأنبياء عليهم السلام وتوجيهاتهم الواعية الرشيدة .

و كلما يتقدم الزمان و تمضي المدة الطويلة على دعوة نبي يتعرض الناس لنسيان العقائد الأساسية و التعاليم المبدئية لتلك الدعوة

والتباعد عنها ، و ربما يعرّضون معظم أجزاء تلك التعاليم للتحريف والانتحال حتى تتحول أساسياً عن رسالة الله الأصيلة الحقيقية . ففي مثل هذه الأوضاع العصيبة ينعم الله على عباده فيبعث اليهم نبيا آخر برسالة أخرى لهدايتهم و إرشادهم وتزويدهم بمعاني الصدق و الوفاء والخير والنصح السامية .

و خاتمة هذه الرسالات و الدعوات هي الاسلام الذي أنزله الله على نبيه الكريم بعد عيسى عليه السلام بفترة طال زمانها . واشتدت فيها الحاجة إلى مثل هذا الدين ، حيث يقول القرآن الكريم : ﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل و اسحاق و يعقوب و الأسباط وعيسى و أيوب و يونس وهارون و سليمان و آتينا داؤد زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل و رسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً ، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنـــاس على الله حجة بعد الرسل . و كان الله عزيزاً حكيماً ﴾ {النساء .الآية : ١٦٣-١٦٥} .

الاسلام يأمرنا بالايمان بالله تعالى و بجميع أنبيائه و رسله و عدم التمييز بينهم . كما يقول الله في القرآن الكريم : ﴿ إن الذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرقوا بين الله و رسله . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً و أعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، والذين آمنوا بالله ورسله و لم يفرقوا بين أحـــد منهم . أولئك سوف يؤتيهم أجورهم . وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ {النساء . الآيـة : ١٥٠-١٥٢ } .

و أما بالنسبة الى ختم الرسل و سد أبواب الرسالات فيقول الله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين . و كان الله بكل شئ عليماً ﴾ { الأحزاب ، الآية : ٤٠}.

بعض خصائص الاسلام و مزاياه

كل دين له خصائصه ومزاياه التي تميزه عن جميع الديانات الأخرى.

والاسلام بكونه خاتمة الرسالات السماوية يتحلى بالمزايا التالية :

١ـ الاسلام يدعو إلى التضامن الديني :

الاسلام يأمر بالايمان بالله الواحد القهار الأحد الصمد . كما يقول القرآن الكريم : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [سورة الاخلاص] ويقول : ﴿ هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور . له الأسماء الحسنى . يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحشر ، الآية : ٢٢ـ٢٤] .

لقد علمنا الاسلام أن جميع الرسالات السابقة لله عز وجل كانت كاملة وافية لجميع التعاليم و الأوامر اللازمة ؛ و من هنا فقد يؤمن بها جميع المسلمين دونما تفريق بينها . كما يقول الله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون ﴾ [البقرة . الآية : ١٣٦] .

٢ـ الاسلام دين الوحدة السياسية :

الاسلام يحرض أتباعه على الوحدة السياسية لاقرار الأمن والسلام وتحقيق الهدوء والسعادة لأنفسهم والبشرية كلها والكون بأسره ، وكان العرب في الجاهلية متشتتين في أسر وقبائل تسودهم الفوضى والانتشار ولا ينظم شملهم نظام اجتماعي وسياسي . ولكنهم بعد ما اعتنقوا الاسلام تضامنوا واتحدوا . كما نرى أن القبيلتين الاوس والخزرج ضربتا خصوماتهما العنصرية عرض الحائط في زمن النبي ﷺ وتآختا فيما بينهما يعلوهما الحب والعطف والمواساة . وكذلك اجتمع المسلمون على رصيف واحد بعد ما توفي رسول الله ﷺ تحت إشراف الخلفاء المسلمين وقد تمسكوا بعروة الاخوة واستقروا على طابع الحب والتضامن الممتاز بعد ما انتشر الاسلام إلى المناطق النائية وامتدت

رتمته بصورة مدهشة . إن هذا التضامن الاسلامي جلب للمسلمين أنفسهم وللبشرية جمعاء الهدوء والطمأنينة والرفاهية والسعادة . حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [المائدة . الآية : ٢] ويقول : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ [آل عمران . الآية : ١٠٣] ويقول : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله . إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله . هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم . لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم . ولكن الله ألف بينهم . إنه عزيز حكيم ﴾ [الأنفال. الآية : ٦١ـ٦٣] ويقول الله تعالى أيضاً في القرآن الكريم والفرقان الحميد : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء . الآية : ٩٢] .

٣ـ الاسلام دين الوحدة الاجتماعية :

المسلمون في الاسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل لأمة على أخرى ولا لقبيلة على أخرى ولا لشخص على شخص آخر ولا لأبيض على أسود ولا لغني على فقير إلا بالأعمال الصالحة والتقوى التي توجه الانسان الى الخير وتمنعه عن الشر . والاسلام يمنع كذلك عن الاعتزاز بالسلالات والقرابات العنصرية والآباء . لأن جميع البشر من أصل واحد . وأفضلهم أسبقهم إلى الخير وأقدمهم في البر والاحسان . حيث يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن . ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان . ومن لم يتب فأولآئك هم الظالمون . . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليمٌ خبيرٌ ﴾

[الحجرات ، الآية : ١١ـ١٣] فالتشتت والتفرق لا يؤدي إلا إلى الضعف والهزيمة والشقاء والخسران نهائياً . وإن غير المسلمين يتمتعون في بلد معين بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المسلمون ، وينبغي أن يسمح لغير المسلمين بتطبيق قوانينهم الدينية في نطاق أحوالهم الشخصية لأن النبي ﷺ أمرنا بالاحترام لعقائدهم الدينية . كما أن عمر بن الخطاب أمر بأنه ينبغي أن يقدم العون والمساعدة لكل غير مسلم وأسرته حسب ما يحتاج إلى ذلك ما دام يعيش في بلد إسلامي .

٤ـ الاسلام دين العقل والفكر :

الاسلام يعزز العلم والمعرفة ، ويحترم ويؤقر العقل والفكر ، ويفرض على كل مسلم ومسلمة طلب العلم وبذل الجهد لتحصيل العلم والمعرفة بحيث يمكن التوصل بنفسه إلى معرفة الله الواحد القهار ، إنه يدين أولآئك الذين ينكرون رسالات الأنبياء ودعواتهم ويريدون أن يتبعوا آباءهم صماً وعمياناً . والرجال المثقفون المتزودون بالعلم والمعرفة هم الناجحون لدى الأنبياء ، وينبغي لكل مسلم أن يتعلم من العلم ما ينفع البشرية لاما يبيدها ويقضى عليها ، كما أشار إلى ذلك القرآن في الآيات التالية: ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة ، الآية : ٢٦٩] ويقول : ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولَو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ، وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه . . ﴾ [الزخرف ، الآية : ٢١ـ٢٦] .

و بذلك أحرز المسلمون في سالف الدهر قصبات السبق والتقدم في

مجال العلم والاكتشاف عندما طبقوا تعاليم الاسلام ونفذوا وصايا الكتاب والسنة . وكان لانتاجاتهم ومساهماتهم العلمية دور كبير في تحقيق الانتصارات العلمية الباهرة والتقدمات التقنية الهائلة التي يتمتع بها العالم المعاصر .

٥ـ الاسلام دين الأصالة والوضوح :

كل شئ في الاسلام ظاهر الحدود واضح القسمات لأنه يبث رسالته إلى العقل والقلب والروح ، لا سرية في الاسلام ولا غموض ولا تعقيد ، وليس في الاسلام وسيط بين الانسان وربه الخالق . ولا رجال مقدسون أو معصومون عن الخطأ إلا الأنبياء والرسل . وليس في الاسلام رجال مقدسون للدين وإنما هم العلماء الذين يشبهون عامة الرجال إلا أنهم متخصصون وبارعون في العقائد الاسلامية والقوانين الشرعية .

كل إنسان مسئول تماماً وبصورة مباشرة عن جميع أعماله وأفعاله . ولا يتقاسمه أحد هذه المسئولية مادام صحيح العقل وسبقه الإنذار . وهو مطالب بعبادة الله الغالب الجبار بدون وسيط ما . كما يقول القرآن الكريم : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه . ومن ضل فإنما يضل عليها . ولا تزر وازرة وزر أخرى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً . وإذا أردنا أن نهلك القرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول . فدمرناها تدميراً ﴾ [الاسراء . الآية : ١٣ـ١٦] ويقول : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [الزلزلة . الآية : ٧ـ٨] ويقول أيضاً في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي . وليؤمنوا بي . لعلهم يرشدون ﴾ [البقرة . الآية : ١٨٦] .

من هنا ينبغي أن نستعرض الاسلام وندرس مبادئه وتعاليمه من مصادره الأصيلة : الكتاب والسنة ولا نستضيء الا بضوئهما الساطع ولا نستقي إلا من ينابيعهما الصافية . بحيث نتمكن من سلوك طريقه القويم ، ونتفادي من الانهيار في مأزق الشر وسحيق الاثم والذنب . ويتسنى لنا الاقتراب إلى طريق الرشد والهداية والفلاح بالعلم والعمل والمعرفة والتطبيق .

٦ـ الاسلام دين الحرية والمساواة :

الحرية هي سيطرة الميول والنزعات الصالحة على الفاسدة المنحرفة منها . وهي عبارة عن تمالك الرجل على نفسه وتحرير عقله من التية والشرود في متاهات الخرافة والضلال ، وهي حفاظ حرية الآخرين وحفاظ نفسه من الانهيار في سحيق الاثم والدل والعبودية « إلا لخالقنا عز وجل » وهي احترام نفسه والخضوع أمام الصدق والوفاء بدون تهديد أو إكراه . كما يقول القرآن الكريم : ﴿لا إكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي . .﴾[البقرة ، الآية : ٢٥٦] ويقول : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً . ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فان تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[آل عمران ، الآية :٦٤] .

كل الناس سواء في الانسانية كأسنان المشط . ويتمتعون بحقوق وواجبات متساوية . والرجل والمرأة سواء ، حيث يقول القرآن الكريم : ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى . بعضكم من بعض﴾[آل عمران . الآية :١٩٥] ويقول : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها . وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً . واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً﴾[النساء ، الآية :١] .

٧ـ الاسلام دين البشرية جمعاء :

إن التعاليم الاسلامية صالحة ومنسجمة للبشرية في كل زمان ومكان

بسبب جامعيته وشموله وليونته وكونه آخر الكتب السماوية المنزلة من الله . وهو زاخر بكل ما تحتاج إليه البشرية في الدار الآخرة وفي هذه الدنيا العاجلة في مجالات العقيدة والسياسة والاجتماع . وبذلك أصبح الاسلام خاتم الديانات كلها وأصبح رسوله خاتم الأنبياء والرسل والقرآن خاتم الكتب المقدسة السماوية . والقرآن يخبرنا أن كل نبي من الأنبياء أرسل في قومه فحسب . ولكن النبي الكريم ﷺ أرسل إلى البشرية جمعاء إلى يوم القيامة . كما يتضح ذلك في الآيات التالية من القرآن الكريم : ﴿ وإذ نادى موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون ﴾ [الشعراء . الآية : ١٠ـ١١] ويقول : ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ [الشعراء . الآية : ٦٩ـ٧٠] ويقول : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [الشعراء . الآية : ١٠٥ـ١١٠] ويقول : ﴿ كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [الشعراء، الآية : ١٢٣ـ١٢٧] ويقول : ﴿ كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [الشعراء . الآية : ١٤١ـ١٤٥] ويقول : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [الشعراء. الآية: ١٦١ـ١٦٣].

و يشير القرآن الكريم إلى دعوة النبي ﷺ وعموميتها وشمولها . حيث يقول الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني لكم رسول الله إليكم

جميعاً ، الذي له ملك السماوات والأرض لا اله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الاعراف ، الآية : ١٥٨] و يقول في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، قل إنما يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ، فهل أنتم مسلمون ﴾ [الأنبياء ، الآية : ١٠٧ـ١٠٨].

واتضح بذلك أن الاسلام دين شامل للبشرية جمعاء وصالح لها إلى أن تقوم الساعة.

٨ـ الاسلام دين ودولة :

ليس الاسلام مجرد عقيدة دينية أو نظام خلقي ، بل انه دين كامل شامل ودولة ثابتة متماسكة ، وبناءاً على أن الاسلام دين كافة الناس وخاتم الأديان فقد أشمله الله تعالى على مبادئ وقوانين لمختلف مظاهر الحياة والسلوك الانساني ، وإن البشرية لن تتقدم إلا باستخدام الطرق والمناهج التي أوضحها النبي أفضل البشر وأعقلهم بالتحقيق ﷺ ، وهو نظام عادل شامل للانسان نفسه وعلاقته مع الله ومع مجتمعه الذي يعيش فيه ، وهو يتضمن العلاقات القائمة بين دولة إسلامية وغيرها من الدول بالاضافة إلى القوانين والنظم والمبادئ العامة التي هي متناسبة ومعقولة ومقبولة ، وبذلك لا تحتاج الأمة الاسلامية إلى محاكاة الآخرين واتباع نظمهم شأن الأمم غير الاسلامية الأخرى .

٩ـ الاسلام يرسم الحقوق الانسانية :

لقد رسمت الحقوق الانسانية في الاسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهو يتضمن كذلك الحقوق للحيوانات ، وكانت تلك القوانين والحقوق كلها كاملة وشاملة ، وكانت قد أثيرت بالضمير الانساني وخشية الله وذلك قبل أن يتم إنشاء نظام لتحرير الانسان وإقرار حقوقه ، وكان تم ايضاح هذه الحقوق وتفصيلها بقوة و وضوح ، وهي أوحيت إلى النبي الأمي كنعمة وفضل على

البشرية جمعاء، وكانت هذه الحقوق عالمية ولم تكن محددة للمسلمين فحسب أو طبقة خاصة منهم.

لقد أبدي الاسلام عطفه ورأفته حتى على الحيوانات، حيث يؤكد الاسلام بعدم ذبح الحيوانات بسكين مفلول، وبعدم ذبحها بحيث تنظر الحيوانات الأخرى هذا المشهد وتنتظر دورتها، ويأمر الاسلام بأنه لا ينبغي أن تساق الحيوانات والطيور إلى المذبح بصورة قاسية أو مسرعة جدا، ولا ينبغي أن تصرع أو تلقي وتعذب أو تحبس في قفص بدون غذاء لازم.

والحقوق الانسانية في الاسلام فرضت لجميع الناس بغض النظر عن مكانتهم وديانتهم، والاسلام يحترم عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ويسمح لهم بممارسة عقائدهم وشعائرهم ويعير اهتمامه الخاص للجار حتى وإن كان غير مسلم يمنحهم الحقوق للتعليم والعلاج الطبي، والتجهيز والزواج والتوليد والعدل والسلوك الصالح. كما يقول الله تعالى: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [الاسراء: ٧٠] ويقول: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [البقرة :٢٥٦] ويقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان، ومن لم يتب فأولآئك هم الظالمون ﴾ [الحجرات : ١١] ويقول: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس:٩٩].

فلا شك أن كل حركة للاصلاح الاجتماعي تحتاج إلى عقل الاسلام، وإن الاسلام خاتم الأديان كلها وجامع خيراتها وحسناتها وكفى بذلك فضلا.

نظرة على عيد الفطر المبارك

بقلم : دكتور ظفر الاسلام خان

- **العيد** " لغة من قول العرب : عـاد . يعـود . عوداً . بمعنى رجع و استدار . و أتى المرة بعد الأخرى من مرض أو هم أو فرح على السواء . و لكن درج الاصطلاح على أن " العيد" يعني : عود مناسبة في كل عام بفرح متجدد . و جمعه "أعياد " . و " عيَّد" المسلمون أي شهدوا عيدهم . و تزعم دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الجديدة) أن كلمة " العيد" العربية مستعارة من اللغة الآرامية . و قال الأزهري : " العيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن " أما ابن الأعرابي فيري أنه : " سمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدَّد" . فالعيد كل يوم فيه جمع . و هو موسم يدور مع السنة . تحتفل به طائفة من الناس تجمعهم عقيدة أو حياة معيشية مشتركة .

و قيل إن اشتقاق لفظة " العيد" من " العادة " لأنهم اعتادوا عليه و لأن الله سبحانه قد عوّد عباده عوائد الاحسان . ففي أيام العيدين يستضيف الله عباده . و لا يباح لأحد من المسلمين أن

وم في يوم العيد حتى لايعرضوا عن ضيافة الله ، و كذلك لاجتماع
لمين مصلين مهللين مكبرين يحيى بعضهم بعضاً و يزور بعضهم
ضاً . و قيل سمي " عيداً " تفاؤلا بعودته مرة أخرى ، و قد سميت
قافلة " من الجمال أو من السفن أو من المسافرين تيمنا و تفاؤلا
ولها أي برجوعها من السفر الى وطنها مرة أخرى ، و قيل سمي
يد " عيداً لشرفه و هو اسم مكان مشهور بين عرب الجاهلية
ت تنسب اليه " الابل العيدية " كما قيل إن " العبقرية " تنسب الى
ادي عبقر " .

و قد وردت كلمة " العيد" مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية
١ من سورة المائدة ، التي تقول : ﴿ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ
مَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَّوَّلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِّنك ﴾ .

و الأعياد قديمة قدم الانسان ... و قد عرفها الناس منذ أن
نوا الجماعية و التقاليد و عرفوا معنى الذكريات ، و قد كان
ماء المصريين عيد يعرف بـ " يوم الزينة " ذكره القرآن الكريم في
ض قصة موسى عليه السلام مع السحرة حين جمعهم فرعون مصر
اك لمنازلة موسى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا
سَىٰ . فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ . فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ
نُ وَ لاَ أَنتَ مَكَاناً سُوًى . قَالَ : مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَن يُحْشَرَ
سُ ضُحًى ﴾ سورة طه ، الآية ٥٧ـ٥٩ .

و كانت الأعياد عند الأمم إما للترفية عن النفوس بعد الجهد
شقة ، و إما للتذكير بحادث وطني تعظّمه القلوب و تجلّه النفوس ،

و قد يرجع العيد الى سبب معاشي كاختيار يوم معين في موسم معين كعيد الحصاد و وفاء النيل . و من الأعياد الرائجة في مختلف البلاد : أعياد الميلاد أو " الكريسماس " احتفالاً بميلاد سيدنا المسيح عليه السلام . و شم النسيم في مصر . و عيد الأم و عيد العمال في مختلف البلاد . و أعياد الحصاد في مختلف المجتمعات الزراعية . وذكرى مولد هذا الزعيم أو ذلك .

و كانت الأعياد عند الأمم الماضية و ما زالت عند الأمم الغربية لهواً و لعباً و شرباً و طرباً و مجوناً و فسقاً . بل إن بعض الأديان الوثنية القديمة كانت و ما زالت تتخذها سبلاً الى الاباحة و الفوضى الأخلاقية الماجنة كعيد " باخوس " عند اليونان ثم عند الرومان و الذي كان يفرض فيه على الرجال و النساء أن يطلقوا لغرائزهم العنان إرضاءاً لآلهتهم . ولو تعفف أحدهم عن المشاركة في هذه الموبقات حكم عليه " الكهنة " أن يدفن حياً في مغارات بعيدة و سراديب مجهولة ! و هم يحتفلون في الغرب اليوم بما يسمى بأعياد " الكريسماس " أو الميلاد . فيرتكبون منكرات كثيرة تبلغ ذروتها ليلة الأول من شهر يناير .

و من دواعي الأسف أن تتسرب هذه العادات الغربية بسلوكياتها بل و بمسمياتها الى بعض المجتمعات الاسلامية المتغربة حينما يحتفل المسلمون ممن فقدوا هويتهم الاسلامية بالكريسماس تماماً كما يحتفل الغربيون ... فالأسواق متخمة بأشجار عيد الميلاد وهدايا " العم نويل " و الملاهي متوهجة بالانوار و الورود و الزهور .

والشباب المسلم يتبارى في اعداد السهرات و توزيع الدعوات لحضور هذه المناسبة التي لا تمت اليه و هو لا يمت اليها بصلة . سوى أنه سقط في بؤرة التبعية نتيجة غياب وعيه الاسلامي خلف غيوم كثيرة أدخلت عليه و فرضت مع المد العلماني الغربي قبل رحيل المستعمر ليكون أتباعه ممثليه في ديار الاسلام.

ولعل كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم » لشيخ الاسلام ابن تيمية من أفضل ما جلى الحقيقة وأبانها و ميز بين الحق و الضلال حيث ذكر أن متابعة الكفار في أعيادهم لا تجوز من طريقين :

الأول : أن في ذلك موافقة لهم فيما ليس من ديننا .

الثاني: دلالة الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار على النهى عن ذلك.

وليس الامام ابن تيمية هو المنفرد بالانكار بل ليس هو الأول ، فسلف هذه الأمة في القرون المفضلة قد أنكروا هذه البدع ثم جاء من بعدهم من حمل اللواء و صدع بالحق . كالامام الشاطبي و الطرطوسي و من المعاصرين : القاسمي و على محفوظ . وغير هؤلآء كثيرون .

أما الأعياد الاسلامية فتقع في دائرة المسئولية العبادية الحياتية . فالعيد في المفهوم الاسلامي عبارة عن وقفة متأنية بعد عمل مجهد . و هو راحة محببة بعد عبادة خالصة فيأتي عيد الفطر بعد صيام رمضان و يأتي عيد الأضحى عقب أداء مناسك الحج . وهو جائزة طيبة لمن استجاب لله و لرسوله . و هو فرحة هنيئة لما قام به المؤمن من عمل . و هو بهجة و بشرى للجزاء تجعل صاحبها يتذوق

حلاوة الاستقامة على طريق الأيمان .

و من عظمة الاسلام و تفرده أنه دين مسؤول لم يترك الأمور فوضى بلا ضوابط تحدّ من انفعالات و اندفاعات النفوس البشرية وإنما أطرها بأطر المسئولية لكي يظل المسلم في حالة وعى دائم بحقيقة وجوده و بحقيقة رسالته القائمة على خلافته في الأرض .

والاسلام ليس دين رهبانية زاهدة في طيبات الحياة الدنيا ومتعها الحلال ولا هو دين مادية جامدة ، بل هو دين حياة معتدلة يراعى نوازع النفس البشرية ، فهو يجمع بين المتعة الحلال ونقاء الروح .

و كانت للعرب كغيرهم من الشعوب أعياد كثيرة تحتفل بها قبائل و مناطق مختلفة . فلما جاء الاسلام حصر هذه الأعياد في عيدين يتصلان بركنين من أركان الاسلام الخمسة ، فعيد الفطر تتويج لصوم شهر رمضان ، كما أن عيد الأضحى تتويج للحج الذي فرضه الله تعالى على كل من يستطيع أداء هذه الفريضة . و يقول الرسول الكريم ﷺ ، فيما رواه أبو داؤد عن أنس ، اشارة الى بعض الأعياد الجاهلية التي ألغاها الاسلام : « إن الله قد أبدلكم خيراً منهما : يوم الأضحى و يوم الفطر » .

لقد صرف محمد ﷺ شجاعة العرب من المنافسات القبلية و التقاتل و أخذ التأر و الأحقاد القديمة الى الجهاد في سبيل الله ، و شغلهم عن الجاهلية بالاسلام ، وصرف تبذيرهم و سماحتهم الى الانفاق في سبيل الله ، و أعطى النفس حقها من الترويح و النشاط ، فيروى البخاري و مسلم في صحيحيهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت : دخل أبوبكر و عندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار "يوم بعاث". قالت: و ليستا بمغنيتين. فقال أبوبكر : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ و ذلك يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر، ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » ... و في رواية أنه قال: « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد ».

و من الغريب أن بعض الناس يزعمون أن الاسلام يحرمهم من البهجة و يحرم عليهم الفرحة و يحجب عنهم ما في الحياة من جمال ومتعة و زينة. لقد نسي هؤلاء قول الله سبحانه : ﴿يَا بَنِيْ آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَ اشْرَبُوْا وَلاَ تُسْرِفُوْا . إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ الَّتِيْ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ. قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سورة الاعراف. الآية ٢١-٣٢. ... فالاسلام لا يمنع البهجة و الفرحة بل يضع لها الضوابط لممارستها في إطار الاعتدال و المسئولية. ...

و ابتدع المسلمون في القرون التالية أعياداً مختلفة يحتفل بها مختلف الطوائف و المناطق مثل عيد الغدير للشيعة ، و عيد المولد النبوي الذي بدئ لأول مرة في العصر الفاطمي بمصر ، و الذي اعترفت به الحكومة الهندية في السنة الماضية كعيد من أعياد البلاد الرسمية ، ومنها كذلك ذكرى الاسراء و المعراج و عيد رأس السنة الهجرية في أول محرم من كل سنة هجرية ، و هو عيد رسمي في بعض البلاد العربية مثل جمهورية مصر العربية منذ سنة ١٣٢٦/١٩٠٨.

و يسمى عيد الأضحى أيضاً بالعيد الكبير ، أو " بويوك بيرم "

بالتركية ، و هو أهم عيد في الأسلام و يقع في العاشر من ذي الحجة تتويجاً لنهاية مراسم الحج.

أما عيد الفطر ، الذي يسمى كذلك بالعيد الصغير أو " كوچك بيرم" بالتركية ، فهو ثاني أهم عيد لدى المسلمين ، و بما أن عيد الفطر يأتي بعد مشاق شهر الصوم ، فيجري الاحتفال به ببهجة أكبر ، و هو بالتالي قد أصبح العيد الأكبر نظراً الى اهتمام المسلمين به .

ويقع عيد الفطر في صباح أول يوم بعد رؤية الهلال في نهاية شهر رمضان ، و أهم جزء فيه صلاة العيد التي تؤديها جماعة المسلمين معاً .

المسلمون يستحمون صباح هذا اليوم و يتحلون بأبهى ثيابهم الجديدة- البيضاء عموماً- و يؤدون الصلاة عموماً بمصلى أو بميدان خارج المدينة يسمى " عيد گاه " حيث تقام صلاة العيد ، و قد جرت العادة الآن لأدائها في الجوامع العادية و المسلمون يتعانقون بعد انتهاء الصلاة و يتبادلون تحية العيد قائلين لبعضهم البعض : " عيد مبارك " أو " عيد سعيد " وجرت العادة بين مسلمي الهند أنهم يتناولون شيئاً من الحلوى وخصوصاً من " سِوَيَّانْ " و هي عبارة عن شعيرية في غاية الدقة تعد بكثير من السكر و الحليب ، و من عادات العيدين الشائعة هذه الأيام إرسال بطاقات " المعايدة " الى الأحباب و الأقرباء و الأصدقاء بواسطة البريد و ذلك قبل حلول العيد بعدة أيام.

و صلاة العيدين قاسم مشترك بين عيدى الفطر و الأضحى ، وهي صلاة من ركعتين تشترك فيها الجماعة المسلمة كلها ، وهي صلاة بدون أذان و لا إقامة ، و تمتاز بست تكبيرات زائدة عن الصلوات العادية ، ثلاثة منها عند

بدء الركعة الأولى وثلاثة قبل الركوع الثاني، وتستمر الأفراح لعدة أيام، يتزاور فيها الناس ويهنئ بعضهم البعض الآخر ويتبادلون الهدايا، و من العادات المصرية زيارة "القرافة" أي التوجه صباح يوم العيد الى قبور الأقرباء والأعزة وقضاء ساعات بها وخصوصاً خلال عيد الفطر.

و يندب للعيدين الغسل كما يندب التطيب و التزين و أن يلبس المرء أحسن ثيابه. و يندب لمستمع خطبة العيد أن يكبر عند تكبير الخطيب، كما يندب إحياء ليلتي العيدين بطاعة الله. و الى هذا يشير الحديث: « ومن أحيا ليلتي العيد محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »، وتستحسن بعض المذاهب الاسلامية أن تؤدي صلاة العيدين خارج المدينة ما عدا الشافعية الذين قالوا: إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه إلا لعذر كضيق المكان. و لهذا بنى جوهر الصقلى مؤسس مدينة القاهرة ومشيد الجامع الأزهر مصلى لأجل صلاة العيد خارج أسوار المدينة.

و من الأحكام الفقهية الخاصة بعيد الفطر "صدقة الفطر" وهي واجبة - و ليست فرضاً - على كل مسلم قادر وهي تدفع للفقراء مباشرة قبل صلاة العيد. و هي تتحول الى صدقة عادية لو دفعت بعد الصلاة. و قد سنّها الرسول عليه السلام في السنة الثانية للهجرة التي فرض فيها صوم شهر رمضان. و في رواية صحيحة أن الرسول عليه السلام خطب قبل يوم الفطر بيوم أو يومين فقال: « أدُّوا صاعاً من برّ أو قمح أو صاعاً من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد صغير أو كبير ». ويجوز اخراج قيمتها نقوداً. و اليها تشير الآية: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِيْنِ. وَ الْعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا، وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوْبُهُمْ، وَفِيْ الرِّقَابِ، وَ الْغَارِمِيْنَ، وَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ، وَ ابْنَ

السَّبِيْل: فَرِيْضَةً مِّنَ اللهِ، وَ اللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ﴾ سورة التوبة، الآية ٦٠.

وصلاة العيدين صلاة واجبة على الأصح عند الأحناف وهي سنة غير مؤكدة عند الشافعية و المالكية . أما الحنابلة فاعتبروها فرض كفاية . ووقتها من ابتداء طلوع الشمس في مستهل شهر شوال بالنسبة الى عيد الفطر، وفي العاشر من ذي الحجة بالنسبة لعيد الأضحى ، والجماعة شرط لصحتها كصلاة الجمعة ، وسُنَّ للامام أن يخطب بعد صلاة العيد خطبتين (بخلاف صلاة الجمعة التي تسبق فيها الخطبتان الصلاة). ويعلم الامام الناس فيهما أحكام زكاة الفطر في عيد الفطر ، و أحكام الأضحية في عيد الأضحى.

وابتكر المسلمون تقاليد اجتماعية في مختلف مناطق العالم تعبيرا عن تعظيم الحدث و احتفالاً به إلا أنهم يتفقون جميعاً في الطقوس الدينية لهذين العيدين ، و قد نشأت هذه التقاليد عن مصدرين : الأول أنها تمثل تأكيداً للمعاني التي انطوت عليها الأحكام الفقهية التي سبقت الاشارة اليها كالتكافل الاجتماعي الذي تمثله صدقة الفطر أو توزيع لحوم الأضاحى على الفقراء في عيد الأضحى ، و توسع القادرين في الصدقات بحيث تشمل كسوة المحتاجين من صغار و نساء و شيوخ هو تأكيد لمبدأ التكافل الاجتماعي ، لدرجة أن عيد الفطر أصبح يعرف أيام العصر الفاطمي بمصر باسم "عيد الكسوة".

والمصدر الثاني لنشأة تقاليد الأعياد هو تطوير لبعض التقاليد المحلية المرتبطة بإحياء أمثال هذه المناسبات الفرحة و التي تتمثل في العناية بالجديد من الثياب و التفنن في تقديم ألوان معينة من الأطعمة

والعناية بكل ما يدخل المسرة على الصغار . فمن مراسم إحياء العيدين إبان العصر الفاطمي " الرابع الهجري " كما ذكر المقريزي في خططه أن : « الخليفة كان يلبس الثياب البياض عند الخروج الى صلاة عيد الفطر ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى خارج أسوار المدينة . بينما يكون لباسه الأحمر الموشح في عيد الأضحى . و عند عودته من الصلاة كان الخليفة - على حد قول المقريزي - يجلس في الشباك وقد نصب منه الى نسقية في وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخُشْكنان والسند والبرماورد (و هي من أنواع الحلوى) مثل الجبل الشاهق و فيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل . فيدخل ذلك الجمع اليه و يفطر منه من يفطر و ينقل منه من ينقل و يباح و لا يحجر عليه و لا مانع دونه » .

ويقول المقريزي في موضع آخر : « وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تعم الجماعة » . كما كان الوزير يأمر بتفريق كسوة العيد و الهبات . أما في عيد الأضحى فكان الخليفة يركب الى المذبح بعد أداء الصلاة مباشرة يصحبه الوزير و قاضي القضاة و كبار رجال الدولة (و كذلك في أيام العيد الثلاثة) و يذبح بيده عدداً من النوق و البقر و الجاموس و الكباش . و كان لحم أول ضحية يُقدَّد و ترسل منه شرائح الى والي المدينة المنورة .

و نجد في رحلة ابن بطوطة صوراً من الاحتفال بالعيد في عدد من دول العالم الاسلامي خلال القرن السابع الهجري . و من ذلك وصفه للعيد إبان حكم الدولة التغلقية بالهند فيقول : « و اذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوك و الخواص و أرباب الدولة و الأعزة و الكتّاب و الحجّاب و النقباء

والقوّاد والعبيد وأهل الأخبار . الخلع التي تعمهم جميعاً ، فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيلاً لا يركبها أحد ، انما هي مختصة بركوب السلطان .. ويركب المؤذنون أيضاً على الفيلة وهم يكبرون ... فان كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزه ... ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأروع الزينة ... ومن عوائدهم في يوم العيد أن كل من بيده فدية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة فيلقيها في طست ذهب هناك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن يشاء».

ويقول ابن بطوطة في وصفه يوم العيد بأرض مالي بغرب أفريقيا: «حضرت بمالي عيدَيْ الأضحى والفطر فخرج الناس الى المصلى [لا الى المسجد الجامع] وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الى أن يركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان ، والسودان لا يلبسون الطيلسان الا في العيد».

ويصف رحالة فرنس (جيراردى ترفال) العيد في أسطنبول إبان خلافة السلطان عبد المجيد (أوائل القرن ١٩م) بقوله : « ... دوّت طلقات المدافع من جميع القلاع وجميع السفن لدى طلوع الشمس فطغت على أصوات المؤذن ..وقد أقيم الاحتفال بالعيد هذه المرة في "ات ميدان" وازدحم المكان بما يفوق على المليون ... واتجه المركب الى الميدان واستمر الاستعراض " العسكري " ساعة على الأقل وكانت موسيقي السلطان تعزف مارشات عسكرية ، وكان أطرف ما في المركب استعراض الحرس الخصوصي للسلطان ... وبعد ذلك ظهر السلطان

وكان يرتدى ملابس غاية في البساطة و مع ذلك فقد كان جواده مغطى بالوشى المذهب و الماس لدرجة بهرت جميع الأنظار ... ولما وصل المركب الى الميدان ترجل السلطان فاستقبله الأئمة و العلماء الذين كانوا في انتظاره في المدخل " أي باب المسجد " » ... و في موضع آخر يقول الرحالة الفرنسي : « و كانت الأطعمة و الحلوى في كل بيت و كان في استطاعة أى فرد أن يتقدم الى أي بيت و يشاركه في الطعام الذي كان معداً دائماً . كان الفقراء و الأغنياء و جميع المسلمين الذين لهم بيوت خاصة يكرمون وفادة من يأتون اليهم قدر طاقتهم دون التفات إلى حالتهم أو إلى دينهم ...» .

و هذه هي الروح التي تسود أعياد المسلمين في كل أنحاء العالم....

المراجع:

١ـ ابن منظور ،*لسان العرب*، مادة "عيد" .

٢ـ أحمد عطية الله ،*القاموس الاسلامي* (القاهرة ١٩٧٩م) جـ/٥ مادة "عيد" .

٣ـ *أردو إنسائيكلوپيديا* (لاهور ١٩٦٨م) ص/١٠١٥ .

٤ـ "الأعياد بين التعظيم و التقليد" لقسم التحقيقات ، مجلة *الدعوة* ، الرياض ، عدد ١١٧٢ ، ٢٤ جمادي الأولى ١٤٠٩هـ /٢/ يناير ١٩٨٩م ، ص/١٤ـ١٩ .

5- C. H. Buck, *Faith, fairs and festivals of india,* (repr. Delhi 1977) pp 200-1 ;

6- Cyril Glasse, *The Concise Encyclopaedia of Islam,* (London 1989) pp. 178-9 .

7- *The Encyclopaedia of Islam,* first edition, article 'Id, 'Id al-Fitr;

8- *The Encyclopaedia of Islam*, second edition, article 'Id, 'Id al-Fitr;

حكم أوقات الصلوات و الصيام في المناطق غير المعتدلة

[الحلقة الثانية]

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة بدارالعلوم ندوة العلماء لكناؤ
تعريب : الأخ محمد شاه جمال الندوي

عدة طرق للتقدير :

لقد ثبت مما سبق من الدلائل ، أن العمدة لتعيين المواقيت للصلوات - في المناطق غير معتدلة الأيام - على التقدير ، فيحسن بها أن نذكر ثلاث صور معروفة للتقدير ، بشئ من التفصيل .

١ـ التقدير بأقرب الأيام المعتدلة :

و هو أن تحدد أوقات الصلوات في هذه المناطق بالتقدير ، حسب ما كانت في أقرب أيامها المعتدلة و هذا الشكل من التقدير يثبت - أيضاً - مما قاله الامام النووي في شرح الحديث الذي فيه ذكر « التقدير » (و قد مر تفصيله) معناه : لما كانت الأيام هناك

معتدلة { يعني لما كانت موشرات وقت كل صلاة تظهر} و كانت الصلوات تؤدي حينذاك في أوقاتها المحددة ، حسب وقت البلد المعياري ، ففي تلك الأوقات المحددة نفسها ـ حسب الساعة ـ تؤدى جميع الصلوات في الأيام غير المعتدلة أيضاً (١) ، { يعني في الزمن الذي لا يأتي فيه وقت الصلاة الصحيح المحدد }.

و لا يخفي أن الأوقات كثيراً ما تتفاوت بتفاوت الأيام ، نمن الأجدر أن يتخذ وقت آخر الأيام المعتدلة معياراً ، لأوقات الصلوات في الأيام غير المعتدلة { أي وقت ذلك اليوم الذي لم تظهر بعده تلك العلامات التي تعين بها أوقات الصلوات }.

و هذا هو المقتضى الظاهر ـ أو المفهوم المتبادر ـ لحديث الدجال ، لأن معناه الذي يتبادر اليه الفهم ، أن اليوم الأخير الذي يبتدئ بعده اليوم الطويل ، جديرٌ بأن يتخذ معياراً { و خاصة للأيـام البدائية { لأنــه لو لم يتخذ ذلك اليوم معياراً ، فلا وجه

---

(١) و قد سهل التقدير ـ في عصرنا هذا ـ لتعيين الأوقات بالساعة ، مثلاً كانت صلاة العشاء تؤدى فيما بين الساعة التاسعة و الساعة الثانية ليلاً في الأيام المعتدلة ، ففي الأيام غير المعتدلة أيضاً تؤدى فيما بين تينك الساعتين ، و لكن المعيار الأصلي أن تقاس على أوقات الصلوات للأيام المعتدلة الأصلية أوقات الصلوات للأيام غيرالمعتدلة حسب الأجزاء ، معناه إذا كان يغيب الشفق في الأيام المعتدلة ـ مثلاً ـ بعد انقضاء سُدس الليل ، و كان يطلع الفجرالصادق حين يبقي السدس منه ، ففي الأيام غير المعتدلة أيضاً يقدر مجيئ وقت العشاء بعد انقضاء سدس الليل ، و وقت الفجر على بقاء السدس منه ، و تؤدى الصلاتان حسب ذلك .

لترجيح يوم سواه (١) .

مثلاً في المناطق (٢) التي تقع على أربع و خمسين درجة من خط عرض البلد الشمالي ـ مثل انجلترا ـ فان اليوم الثالث عشر من شهر مايو ، هو آخر الأيام الذي يأتي فيه وقت العشاء {بظهور العلامة المعينة له { أعني في هذا اليوم يغيب الشفق في الساعة الحادية عشرة و سبع و أربعين دقيقة ليلاً ، و بعد ذلك اليوم لا يغيب الشفق الى مدة طويلة قبل طلوع الفجر بتلك المناطق التي تقع على الخط المذكور { بل يطلع الفجر الصادق في جهــة الشرق ، قبل غيبوبة الشفق { ففي هذه الأيام غير المعتدلة ـ أيضاً ـ يقدر ظهور وقت العشاء بتلك المناطق ـ وفق الأصل المذكور ـ بالساعة الحادية عشرة و سبع و أربعين دقيقة .

ولما كان الفجر الصادق في نفس التاريخ ـ بتلك المناطق ـ تطلع بالساعة الحادية عشرة و ست و خمسين دقيقة ، فالأجدرأن

---

(١) و هذا الحديث يقتضى أيضاً ، أن يتخذ وقت ذلك الموضع معياراً له ، لا غيره { يعني لا تتخذ معياراً أوقات المواضع الأخرى { هذا ما يستفاد من كلام العلامة ابن عابدين الشامي ، الذي أفاده في سياق خاص : « ظاهر حديث الدجال يفيد التقدير في خصوص ذلك البلد » راجع للتفصيـــل " رد المحتار " للشامي رحمه الله ، ج/ ١ ـ ص/٢٤٢ { طبع المكتبة النعمانية ، ديوبند ، الهند { .

(٢) و لتحديد الأوقات و التواريخ لشتى بقاع انجلترا ، و لتحديد الدرجات والخطوط { الشمالية { أيضاً اعتمدنا على " الرسالة " لفضيلة الشيخ محمد يعقوب الكاوي ، و قد مر ذكره .

يقدر دخول وقت الفجر في الساعة الحادية عشرة و ست وخمسين دقيقة ، { و ذلك في الأيام غير المعتدلة ـ أيضاً ـ أي في الأيام التي لا يغيب الشفق في لياليها حتى الفجر الصادق { .

٢ـ *التقدير بأقرب البلاد المعتدلة اليها :*

و هو أن تعين أوقات الصلوات في هذه المناطق ـ والأيام غير المعتدلة ـ قياساً على أوقات المناطق المعتدلة التي هي أقرب منها وقوعاً ، مثلاً هناك منطقة ، تعد من أقرب المناطق درجةً من ذلك الخط { ٥٤ من خط عرض البلد الشمالي { و يصل فيها وقت العشاء ـ بعلامته المقررة ، أي بعد غروب الشفق ـ بعد ساعتين من غروب الشمس ـ مثلاً ـ فيصلون العشاء ـ في المناطق غير المعتدلة أيضاً ـ بعد ساعتين من غروب الشمس ، و على هذا القياس ، إذا كان الصبح يطلع في أقرب المناطق بعد ثلاث ساعات من غروب الشمس ، تصلى الفجر هنا ـ أي في المناطق غير المعتدلة أيضاً ـ بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس .

و لكن ـ كما ذكرنا آنفاً ـ أن الذي يقتضيه حديث الدجال ، هو أن يكون تعيين أوقات الصلوات بالتقدير في تلك المناطق ـ التي لا تعتدل فيها الأيام ـ بحيث أن يتخذ وقت يوم من أيامها الأخيرة المعتدلـة معياراً ، لأن رسول الله ﷺ لـمـا قال للصحابة { رضي الله عنهم { :

« اقدروا له قدره (١) » { أي اقدروا الأوقات للصلوات في

---

(١) صحيح مسلم ج/٢ـ ص/٤٠٠ ، (المكتبة الرشيدية ، دلهي) .

اليوم الطويل ثم صلوا فيها } فلعل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، لم يفهموا منه الا ما قلناه . { أي اقدروا لها بآخر الأيام المعتدلة هناك } . و هو أن يقدر أهل الحجاز (١) ، مثلاً وقت آخر الأيام المعتدلة في الحجاز { وعلى هذا القياس } وبعيد جداً . ـ بل لا يمكن أصلاً ـ أن يتبادر ذهن الصحابة الى أن يقدروا أوقاتهم لصلواتهم بأوقات الصلوات في المناطق البعيدة عن الحجاز ـ كالهند و باكستان و غيرهما ـ لأنه لم يكن في عهد النبي ﷺ أي علامة و إشارة ، يستدل بها على هذا .

و نظراً الى هذه الحقيقة ، لا يسع المجال لأن يتخذ وقت بلد معياراً لبلدٍ بعيدٍ آخر ، إلا أن هذا القول { التقدير بأقرب البلاد } ينتمي الى الفقهاء الشافعية (٢) فلا بأس في اختيار هذا

---

(١) و يمكن أن يكون الدليل على ما قلنا ما ذكر في شرح الحديث الذي روى في كتب الأحاديث الصحاح ، ـ صحيح البخاري وغيره ـ عن أبي ذر قال : « كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذر ، أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله و رسوله أعلم ، قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش ـ وفي رواية ـ فتستأذن في السجود فيؤذن لها في السجود » و ذلك في تفسير آية سورة يسين : ﴿ وَ الشَّمسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ و في شرح هذا الحديث الشريف ، قال العلامة الكبير و المفسر الجليل الآلوسي صاحب "روح المعاني" يجوز أن يقال : « سجودها بعد غروبها عن أفق المدينة » روح المعاني ج/٢٣ـ ص/١٤ { دار إحياء التراث الاسلامي بيروت } .

(٢) وقد اعترف الفقيه الشهير العلامة الطحطاوي ، بأنه لا يوجد هذان >>

القول إذا كان فيه يسر و سهولة ﴾ ولا غرو في أن يتبادر الذهن ـ من هذا الحديث ـ الى أقرب المقامات ، لتقدير الأوقات ﴾.

٣ـ *الصورة الثالثة :*

و هناك صورة أخرى ﴾ نسميها القسم الثالث من التقدير ﴾ هي أن ينظر الى وقت العشاء ـ في أقرب المناطق ـ ماذا يكون من ليلهم فبقدر هذه النسبة يقدر هنا ﴾ في المناطق غير المعتدلة ﴾ فان كان السدس جعلنا لهؤلآء ـ لساكني المنطقة غير المعتدلة ـ سدسه وقت المغرب و بقيته وقت العشاء وان قصر جدا ، وكذا يقدرون في الصوم ليلهم بأقرب بلد يليهم ثم يمسكون الى الغروب ـ على ما قاله ـ المراكشي و ابن العماد ، ﴾ و ذلك ان كانت الشمس تغيب في هذه المناطق في الأيام غير المعتدلة ، و لو لبرهة من الزمن ، و ان كانت لا تغرب فيها أصلاً ، فيفرض غروبها هنا ، حينما تغرب في أقرب المناطق المعتدلة و بعد الغروب المفروض يمكن التقدير ـ حسبما سبق ذكره ـ لوقت العشاء و لأوقات الصلوات الأخر ﴾ (١) .

>> القسمان ـ الثاني و الثالث ـ من التقدير « التقدير بأقرب البلاد » في كلام الفقهاء الحنفية . بل ذكره حسب تصريح بعض الفقهاء الشافعية ، راجــع هامش "الطحطاوي" على "الدر" ج/١ـ ص/٢٦٧ و قد ذكرنا أن القسمين ـ الثاني و الثالث ـ من التقدير مقتبساً منه .

(١) نجد هذه التوجيهات للتقدير بتعيين الأوقات لهذه المناطق و الأيام في عدة كتب ذات أهمية ـ بالاجمال و التفصيل ـ تتعلق بالمسئلة ، مثلاً >>

كـ صورة أخـرى :

و يمكن أن يكون هناك صورة أخرى أيضاً ـ فيما أظن ـ وهي أن يعتبر وقت المغرب { و العشاء { ـ بعد غروب الشمس ـ مادام ضوء الشفق يلوح في جهة الغروب { لأن الشفق ، انما يكون في جهة الغروب { و يعتبر وقت الفجر ، حينما يشرق الضوء أي ينتقل ظهوره الى جهة الشروق ، { لأن ضوء الصبح الصادق ، انما يكون في هذه الجهة { .

و ان لم أقف على هذه الصورة من التقدير { أي الصورة الرابعة { في كلام أي فقيه من الفقهاء ، و لكن لما أنها كانت أشبه العلامات ، و المعيارات الطبيعية الأصلية ، لجديرة بأن ينظر إليها نظر اعتبار ـ أو اختيار ـ بل هي جديرة لأن تختار للترجيح ، { وخاصة فيما يتعلق بتعيين ابتداء وقت الصوم ، وآخر وقت السحور { .

و لكن لا يتصور هذا الشكل ـ و لا يمكن انطباقه ـ إلا في المناطق التي تغرب فيها الشمس ، و تتميز جهتا الشفق و الصبح تميزاً بيناً ، و لو لوقتٍ قصيرٍ .

لكن في الأخذ بهذا الشكل ، لا تنحل مشكلة تعيين انتهاء

>> راجـــع " الطحطاوي شرح الدر" ج/١ـ ص/٢٦٧، و "رد المحتار" ج/١ـ ص/٢٤٢ـ٢٤٤ ، و أيضاً "إمداد الفتاوى" للفقية الأعظم الهندي والعالم الجليل أشرف علي التهانوي { المبوب { ج/١ـ ص/١١٢ ، (طبع كراتشي ، باكستان) .

وقت صلاة المغرب ، و ابتداء وقت صلاة العشاء ، بل لا تزال تلك المسئلة معقدةً ، { إذا لم تغرب الشمس ، أو تغرب لوقت قصير { و يمكن حلها ، بأنه إن تمكن المصلى من تقدير وقت العشاء ، طبقا لأحد الأشكال الثلاثة المذكورة من قبل فيصليها حسب شكل من الأشكال ، و إن لم يتمكن من التقدير ، وفقاً لأي شكل من الأشكال المذكورة ، فلا بد من أن يصلى العشاء في نفس الوقت ، فكأن هذا الزمان يصير وقتا للصلوات الثلاث ـ المغرب والعشاء ، و لصلاة الفجــر أيضاً ـ فيمكن أن يخصص نصفه الأول للمغرب والعشاء ، والثاني للفجر ، والصلوات كلها تكون أداءً لا قضاءً (١) يمكن أن نسميها بصورة خامسة فرعية ـ للتقدير {وهي ما مضى ذكرها من أن يتخذ النصف الأول من الليل لوقت المغرب والعشاء . والنصف الثاني منه لوقت الفجر {.

كلمة الفصل :

و خلاصة البحث ، أن في هذه المناطق التي لا تعتدل بها الأيام ، ولا يكاد يأتي فيها الوقت المحدد لصلاة العشاء أو غيرها، بعلاماته المقررة ، فعلى من يسكنونها ، أن يصلوا هناك الصلوات كلها ، و يقدروا أوقاتها ، و يختاروا لذلك أي صورة من الصور المذكورة تتيسر لهم ، و وجدوها أنسب و أوفق مع الظروف

---

(١) و يؤيده ما ذكر بهذا الصدد في كتاب الفقه المعروف "رد المحتار شرح الدر المختار" { ولا ينوي القضاء { ج/١ـ ص/٢٤٢ "والطحطاوي " في شرح " الدر ج/١ـ ص/٢٦٧ .

والأحوال ، و طبيعة الشريعة الاسلامية (١) ، و بأي صورة من الصور المذكورة يقدرون أوقات الصلوات ، و يصلون فيها ، تسقط الفريضة عن الذمة ، إن شاء الله تعالى .

التقدير بالطرق غير اللائمة :

قال بعض العلماء استدلالاً بالتقادير التي قررها بعض الفقهاء الكبار لأوقات الصلوات للهند { مثل العلامة الكبير حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله } بأن تلك التقادير التي وضعت للهند ، صالحة لأن تكون معياراً للمناطق و الأيام غير المعتدلة أيضاً ، و لكن هل يصح قولهم هذا ؟ فالظاهر البين أنه لا يصح أبداً ، بل هو مصداق "للقياس مع الفارق" ، و صار كأنه يقيس أحد مواسم الحر على مواسم الشتاء ، أو بالعكس .

و الدليل على أنه لا يصح ، أن الفقيه التهانوي الكبير تغمده الله ـ برحمته الخاصة ـ كتب هذه التقادير ، بصدد بيان التقدير للشفق ، و الصبح الصادق في الهند ، { بل في شماليها فقط } فقال : « يجوز التسحر الى أن تبقي ساعة و نصف في طلوع الشمس » ، لأن الفقهاء تورعوا في قولهم ـ لتقدير وقت

(١) و لكن لابد للعلماء في هذه المناطق من أن يتفقوا علىٰ صورة معينة للعمل بها ، ثم يختار ـ تلك الصورة ـ جميع من يسكن هناك ، و يجتنبوا عن الوقوع في الخلاف ، الذي ربما يتسبب لتمزيق الشمل ، و تشويه المجتمع الاسلامي و شماتة الأعداء .

السحور ـ أن يقسم جميع الوقت فيما بين غروب (١) الشمس ، وطلوع الفجر ، الى سبعة أجزاء ، و للصائم أن يتسحر (٢) في سدسه الآخر من الليل { قبل طلوع الفجر } ، و بذلك نستطيع أن نطبق تقدير العلامة التهانوي رحمه الله مع الفقهاء الآخرين ،

---

(١) إمداد الفتاوى { المبوب } ج/١ـ ص/٧٥ { طبع كراتشي ، باكستان } و أيضاً نقل العلامة التهانوي رحمه الله عن علماء الهيئة : « أن من الأصل المقرر لدى علماء الهيئة ، أن الوقت الذي فيما بين طلوع الصبح الصادق إلى طلوع الشمس ، يساوي الوقت فيما بين غروب الشمس و غروب الشفق { أي في ذلك اليوم } ، و لأجل ذلك ، متى يعرف الأول يعرف الثاني أيضاً ، قياساً على الأول ، فانه يكون مساوياً له دائماً » إمداد الفتاوى ج/١ـ ص/١١٦ ، و أيضاً ورد مثل هذا القول على صفحة /١٠١ـ ج/١ ، في نفس المصدر .

(٢) نفس المرجع السابق ج٢ـ ص/٥ ، و أيضاً ذكر العلامة التهانوي رحمه الله في "بوادر النوادر" ج/٢ـ ص/٤٢٩ « أن الفسحة فيما بين الصبح الصادق و طلوع الشمس ، تكون على الأقل ساعة و عشرين دقيقةً ، و على الأكثر ساعة و سبعاً و ثلاثين دقيقةً » ، و بمثل هذا التقدير قدر بعض علماء الهند الآخرون أيضاً ، بل و أكبر دليل على خطأ القياس { قياس انجلترا على الهند } أن المسئلة التي خضنا في البحث عنها ، أن وقت الصبح الصادق في آخر يومها ـ المعتدل في انجلترا ـ يساوي قرابة نصف الليل { فوق أربع ساعات } مع أن في تقدير العلامة التهانوي رحمه الله { لشمالي الهند } يساوي هذا الوقت سدس الليل على الأكثر ، و تقديره بالساعة على الأقل ساعة و عشرون دقيقةً ، و على الأكثر ساعة واحدة و سبع و ثلاثون دقيقةً ، ففي هذه الصورة ، كيف يصح قياس أوقات انجلترا على أوقات الهند ؟

الذين نقل عنهم الشيخ التهانوي رحمه الله ذلك المقال، أن الساعة و النصف زمن يساوي سبع الليل.

و زد على ذلك ما قال الشيخ التهانوي في كتابه الأخير القيم "بوادر النوادر" : أن لا يزيد مقدار هذا الوقت ـ سبع الليل أو وقت صلاتى المغرب والفجر ـ على ساعة واحدة و سبع وثلاثين دقيقةً، مع أن في كثير من بلدان انجلترا التي تقع على درجة الستين من خط العرض الشمالي، في أول يناير، تمتد لياليها الى حدٍ يكون أحد أسباعه يساوي ساعتين كاملتين و اثنتين و أربعين دقيقةً. فقد ثبت مما ذكرنا أن مدة وقت صلاة الفجر في الهند، تختلف بكثير عن مدة وقت صلاة الفجر في بلدان انجلترا، وبوجود مثل هذا الفرق الهائل فيما بين المدتين، ـ بين الهند وانجلترا ـ كيف يصح تقدير تعيين أوقات الصلوات في انجلترا ـ استخداماً بالساعة ـ بالقياس على أوقات صلوات الهند ؟ لأن ذلك يستوجب أداء الصلاة بمكانٍ في أوقات الصلاة بمكانٍ متفاوت آخر، تفاوتاً فاحشاً، ويلزم من ذلك أداء الصلاة و الصوم، و أكل السحور و الأفطار، على غير ميعادها المقرر من جهة الشارع، و ذلك لا يجوز، بل لا يصح الصوم والصلوات حينئذ في أكثر الأحوال.

حكم الصيام في هذه المناطق في الأيام غير المعتدلة:

و لا يخفي على القارئ الكريم، أن البحث الذي قدمناه، إنما هو في أوقات الصلوات بالمناطق التي لا تعتدل بها الأيام، والآن نذكر شيئاً عن أوقات الصيام بتلك المناطق ـ في الأيام غير المعتدلة ـ لأن الحاجة الى تقدير أوقات الصيام هناك أيضاً لم تزل ملحةً، و خاصة في السنوات الماضية القريبة (٨٠ـ٨٤م) حيث كان شهر رمضان في هذه المناطق في الأيام غير

المعتدلة. فالسؤال هنا في أي وقت يبتدئ الصوم لمن يسكن بتلك المناطق- و الأيام غير المعتدلة؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال، يجدر بنا أن نلاحظ عدة نقاط تالية هامة:

١- هل يوجد في ليالي هذه المناطق- و الأيام- غير المعتدلة من الوقت، ما يستطيع فيه الصائم، أن يأكل شيئاً في الليل، أي بعد غروب الشمس، و قبل طلوع الصبح الصادق؟

٢- أو الليل هناك قصير جداً، حتى لا يمكن للصائم أن يأكل فيه شيئاً من الطعام، أي لا يستطيع أن يتسحر البتة؟

٢- أو لا يحضر فيها الليل { أي لا تغرب الشمس أصلاً { ؟

ففي الصورة الأولى- إذا وجد من الوقت ما يستطيع أن يأكل فيه ويتسحر- قال العلامة الطحطاوي رحمه الله- وهو ينقل قول إبن حجر رحمه الله-: « ما لم تكن مدة ليلهم تسع أكل ما يقيم الصائم (١) » و إلا تعين أكلهم فيه و ان قصر أي إن كان يجد من الوقت، ما يستطيع فيه أن يأكل ما يقيم حياته، فليأكل و ليصم، بل قال أيضاً: « و لو لم يسع إلا قدر المغرب أو أكل الصائم، قدم الأكل، و قضى المغرب فيما يظهر (٢) » أي ان كان يوجد من الوقت، ما قد يسع لأحد الأمرين { التسحر أو أداء صلاة المغرب { فليتسحر أولاً، ثم ليقض الصلاة بعد ذلك ولو مضى وقته الأصلي { كما سبق ذكره في قول ابن حجر { .

وفي هذه المناسبة ساق العلامة حكاية عالم، لاقي شخصاً، كان يسكن في منطقة، لا يوجد فيها وقت من الليل الا أن يأكل الصائم لقمات مرة واحدة، فقال: « أخبرني من هو من تلك البلد، أنه في أربعينية الصيف، يطلع

(١-٢) حاشية "الطحطاوي" على "الدر المختار" المجلد الأول ص/٢٦٧.

الفجر قبل مغيب الشفق الأحمر -و- أنهم في الصوم في مدة الليل يأكلون فيها إما مرة واحدة، أو مرتين بفاصل يسير قبل ظهور الفجر، و أخبرني عن بعض بلاد بعيدة عنهم، أنه لا ظلام فيها أصلاً، وعن بعض بلاد أخرى أنها دائما مظلمة لا نور فيها»(١).

إذا كان الليل بقدر الأكل و الشرب يصوم:

و على هذا يرى بعض العلماء، أن في هذه الصورة أيضاً، يجب أداء الصوم في نفس شهر رمضان، و لكن الرأى السديد المتزن في هذه المسئلة، إنما هو ما أفاد به العلامة التهانوي {أحسن الله مثواه} حيث يقول:

« المواضع التي يوجد ليلها ـ شرعياً ـ و يكون طول نهارها بقدر تحمل الصوم، {أي يستطيع الصائم أن يمسك طول اليوم} ـ و بالطبع يكون سكانها أكثر تحملاً منا ـ فليصوموا فيها، و يكون أداءً، و لكن المواضع التي يكون نهارها بحيث لا يتحمل فيها الصوم ـ عادة ـ لطوله، فعليهم أن يصوموا "بالتقدير" {و لو كان التسحر و الافطار في النهار الحقيقي} ويعدوا الأيام، ثم بعد مضى رمضان، ان وجدت أيام يستطيعون فيها التحمل للصوم، فليقضوها ـ على سبيل الورع ـ و ان لم يصادفهم مثل هذه الأيام، كفتهم صيامهم الماضية التي عين فيها النهار بالتقدير (٢)».

إذا لم يأت الليل أو لم يتمكن من التسحر:

و في الصوره الثانية {أي فيما لا يستطيع الصائم أن يأكل في الليل،

---

(١) حاشية "الطحطاوي" على "الدر المختار" المجلد الأول ص/٢٦٩.

(١) "بوادر النوادر" المجلد الثاني ص/٤٣٩ (مكتبة أشرف العلوم، ديوبند، الهند).

أو لا يأتي الليل فيه أصلاً ؛ فأحسن ما قال فيه العلامتان الزركشي و ابن العماد من الشوافع:

« يصوم و يقدر الأوقات بأوقات أقرب البلد المعتدل (١) » ؛ كما في بحث الصلاة ؛ و يكون الصوم أداءاً ، مع أن كلا العملين ـ أكل السحور و الافطار ـ انما يتمان في النهار الشرعي .

و قد مر تفصيل التقدير فيما سبق في بحث "الصلاة" ؛ و لا يخفي على من تفكر و تأمل فيما ذكر من قبل أن العمل بالتقدير ، لا يمكن الا بإحدى الأشكال الثلاثة البدائية . و في هذه المسئلة ، قال الفقيه الجليل العلامة التهانوي رحمه الله ـ في موضع آخر ـ ما ملخصه:

« المواضع . . . التي لا يأتي فيها الليل الشرعي أصلاً فليصم أهلها في رمضان ؛ أي بالتقدير ؛ لأنهم قد شهدوا الشهر ـ و بشهوده يتحقق الوجوب ـ و لكن لأجل أن السحور و الافطار كلاهما وجدا في النهار الشرعي ، فليقضوها في الأيام الأخرى المعتدلة ، لدفع الشبهة (٢) » .

و مما لا حاجة الى بيان أن قول العلامة التهانوي ؛ في البوادر ؛ يبنى على الحيطة و العزيمة ، و القول الأول و كذا ما ذكر بعده ؛ المذكوران في فتاواه ؛ يبنى على الرفق و اليسر ، و لذلك هو أليق و أوفق لأحوالنا نحن المسلمين الضعاف ، ؛ و من يعمل على العزيمة ، فسوف يستحق ثوابها الزائد ؛ .

---

(١) الطحطاوي ج/١ ـ ص/٢٦٧ .

(٢) «بوادر النوادر» ج/٢ ـ ص/٢٢٩ ، و هذا الكتاب يشتمل على تلخيص تحقيقات مصنفه الجليل لآخر عمره ، و لذلك يعتبر هذا القول من أرجح الأقوال عنده . و في "إمداد الفتاوى" ؛ المبوب ؛ ١/١١٢ ـ للشيخ التهانوي أيضاً ـ فتوى آخر ما ملخصه « لا يجب الصوم في هذه الأيام الطويلة أداءً ، بل يقضى في الأيام المعتدلة » .

إشارة مهمة :

يليق بنا أن نذكر في هذه المناسبة ، أن الفقهاء و خاصة فقهاء الأحناف ،وإن اختلفوا أن الصلاة ؛ في هذه المناطق في غير معتدلة الأيام ؛ واجبة أم لا ؟ و لكنهم اتفقوا في وجوب صيام رمضان بعد شهود الشهر ـ في هذه المناطق و الأيام أيضاً ـ ؛ مع أنهم يختلفون في كيفية أداء الصيام ، وقد مضى تفصيلها ؛ فيقول العلامة الشامي رحمه الله :

« لا يمكن القول بعدم الوجوب أصلاً كالعشاء ، و لا يمكن أن يكون صوم رمضان ساقطاً » و لكن العلامة الشامي رحمه الله ذكر ـ حول أداء الصوم ـ قولاً آخر علاوة على القولين السابقين ـ و هما التقدير و القضاء ـ بصورة الاحتمال ، و هو :

« أن يأكل خلال أربع و عشرين ساعة مرة واحدة ، بقدر ما يقوّم الحياة ، و يقضى بقايا أوقاته صائماً » و لكنه لم يرجع قولاً على آخر (١) هذا آخر ما أردنا ذكره ـ حول هذا المبحث القيم ـ و لله الحمد أولاً و آخراً وصلى الله وسلم على رسوله الأمين محمد و آله و صحبه أجمعين .

---

(١) رد المحتار ج/١ـ ص/٢٤٤ .

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

[الحلقة الثانية]

بقلم : الأستاذ منظور احمد خان
محاضر في قسم اللغة العربية
المعهد المركزي للغة الانجليزية و اللغات الأجنبية ـ حيدرآباد

وبعد تشكك زيدان في نبوة سيدنا محمد ﷺ أنه يتهمه بغزو قوافل قريش قبل وقعة بدر الكبرى و تفريق أسلابها و أموالها بين أصحابه (١) و كل ما ترويه لنا كتب المغازى في هذا الصدد هو أن النبي ﷺ أنفذ ثماني سريات قبل بدر ، رأس أربعاً منها نفسه ، و أمر في الأربع الأخرى الى أصحابه من المهاجرين ـ ثم ولم تلاق خمس سريات عير الكفار مطلقاً فرجع أصحابها من حيث أتوا ـ أما السريات الثلاث الأخر فالتقي الجمعان في الأولى التي كان يرأسها حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ و كان رئيس الكفار أبا جهل ، و كاد أن ينشب القتال بين الفريقين لو لم يتوسط بينهما حليفهما المشترك مجدي بن عمرو ـ أما السرية الثانية فلم يقع فيها القتال أيضاً الا الرمى و المناوشة ، و أما الثالثة التي هي ثامن السريات حسب الترتيب الزمني ، والتي كان يرأسها عبد الله بن جحش ويقال لها سرية نخلة ،

---

(١) فتاة غسان ، ص/٧٨ .

فقد وقع فيها القتال فعلاً ، حيث قتل واحد من الكفار و أسر اثنان منهم ، و حصل المسلمون على الغنائم التي وقفها النبي ﷺ حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر (١) ـ ثم و كانت هذه السرايا رد فعل لما قام به رؤساء قريش من تهديد المسلمين و منعهم القيام بالحج والعمرة ـ و قد وبخ أبو جهل سعد بن معاذ أحد أشراف المدينة أثناء الطواف بقوله : « ألا أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم و تعينونهم ؟ لو لا أنك مع أبي صفوان ما رجعت الى أهلك سالماً » و رده سعد قائلاً : « و الله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على المدينة » (٢) ـ ثم ولم يكن النبي ﷺ يهدف الى إغارة الأموال من خلال السرايا ، و انما كان يقصد تهديد قريش ، فهذا ما كان أوصى أصحاب السرايا به ، و لهذا إذا أصاب أصحاب سرية نخلة بعض أموال قريش فوقفها النبي ﷺ ولم يقسمها حتى وقعت غزوة بدر فخالطها بغنائم بدر و قسمها في أصحابه كصرة واحدة .

ثم يندفع زيدان في تقليل أهمية الاسلام و منجزات النبي المصطفى ﷺ معتمداً على ظنونه و وساوسه و يرى أن « بلاد العرب كانت قبل الاسلام في نهضة أدبية دينية تمهيداً لقبول الدعوة الاسلامية و القيام بنصرتها ، و مثل هذه النهضة تتقدم الدعوات الدينية على الغالب استعداداً لقبولها » ، و أن حملة الأحباش على الكعبة بقيادة أبرهة أنتجت قواد الصدر الأول للاسلام كخالد بن الوليد و خالد بن سعيد و أبي عبيدة الجراح و سعد بن أبي وقاص

---

(١) محمد الواقدي ، كتاب المغازي ، ج/١ـ ص/٩ـ١٩ .

(٢) سيد أبو الأعلى المودودي ، تفهيم القرآن ، ج/٢ـ ص/١٢٢ـ١٢٣ .

ويزيد بن أبي سفيان و حمزة بن عبد المطلب و علي بن أبي طالب أجمعين رضي الله عنهم . كما أنتجت الثورة الفرنسية قواد نابلين بونا برت (١) - ثم يرى أن اليهود و كان لهم اليد الطولى في نشر الاسلام بالمدينة المنورة فيقول : « و لعل السبب في انتشار الاسلام هناك كثرة من في المدينة من اليهود ، وهم أهل كتاب يعتقدون الوحى و يدركون معنى النبوة - و ليس فيهم من يخاف على تجارته اذا بطلت عبادة الأصنام ، بل هم يفضلون إبطالها لتسقط مكة و تنهض مدينتهم و خصوصاً اذا هاجر اليها صاحب الدعوة نفسه ، و صارت مركزاً للدين الجديد يحج اليها الناس بدلاً من حجتهم الى مكة - واليهود كما لا يخض أهل نظر في التجارة و أصحاب فراسة في أبواب الكسب ، ناهيك بما كان بين تينك المدينتين من المنافسة والمسابقة و التحاسد لتباعدهما من الأنساب ، أهل مكة من العدنانية وأهل المدينة من القحطانية عرب اليمن » (٢) .

و يريد زيدان من « نهضة دينية » وجود بعض الموحدين مثل قس بن ساعدة الأيادي و أمية بن أبي الصلت ، و ورقة بن نوفل وزهير بن أبي سلمى و غيرهم الذين يطلق عليهم اسم « الحنفاء » - وكان هؤلآء لا يزالون يستمسكون بالدين الحنيف الذي قد أسسه سيدنا ابراهيم عليه السلام بين العرب ، و كانوا يتبرؤون علناً مما كانت أغلبية العرب تشرك بالله ألواناً من الشرك (٣) - ومع براءة هذه العصبة الحنيفية لا يستطيع أحد أن يسميها « نهضة » لأن الذين

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ، ج/١- ص/٢٢-٥٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج/١- ص/٢٨-٢٩ .
(٣) سيرة سرور عالم ، ج/١- ص/٥٩٧ .

كانوا يدينون بها قلة قليلة ، بالمقارنة الى جمهور الناس الذين كانوا وثنيين مشركين (١) و كانت معتقدات هؤلآء الحنفاء ذاتية أكثر منها شعبية يتحدون بها عقائد القوم تحدياً فتؤثر في عدد كبير منهم تأثيراً إيجابياً أو سلبياً بتقريب البعض إليها وجعل البعض الآخر شاعراً بما يرتكبه من الخطأ الفادح (٢) .

و أما حملة الأحباش على الكعبة و إنتاجها القواد النابغين بين العرب المسلمين ، فالحق يقال أن قريشاً لم يتعرضوا لها قط ، وقد اعترفوا بعجزهم عن القتال حتى أمام أبرهة نفسه ، هذا لأن عدد جند أبرهة كان ستين ألفاً و لم يكن في وسع قريش أن يجمعوا جنداً يكافئ هذا الجند الضخم لأن عدد جنودهم حتى يوم الأحزاب لم يتعد عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفاً (٣) ـ وكان من عقيدة أهل مكة المتينة أن الكعبة بيت الله ، فهو الذي سيحميها من العدو ـ و يروي لنا المؤرخون في هذا الصدد قول عبد المطلب الشهير الذي قال لأبرهة رداً على توبيخه له « الابل لي و البيت له رب يحميه » (٤) ـ و قد حدث فعلاً ما تمنى أهل مكة عندما أرسل الله جنوده بصورة الطيور التي رمت جيش أبرهة بحجارة من سجيل فأصبح كعصف مأكول (٥) ـ ثم ولو كانت المعركة قد وقعت فعلاً فما كانت ساهمت في نبوغ القادة المذكورين شيئاً ، لأن بعضهم ما كانوا قد ولدوا بعد ، بينما

---

(١) زين العابدين ، ص / ١٩٩ .
(٢) شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص / ١٢ .
(٣) تفهيم القرآن ، ج/٦ـ ص/٤٦٤ـ٤٦٦ .
(٤) إبن هشام ، ج/١ـ ص/٤٤ .
(٥) القرآن الكريم ، سورة الفيل .

كان البعض الآخر دون سنّ التمييز (١).

و أما أخذ اليهود بناصر الاسلام فلا يخفى على أحد اعتداؤه للاسلام ونبيه المصطفى ﷺ من أول يوم نزل بدار الهجرة ـ و قد كان الرسول قبل الهجرة يلاقي المعارضة من المشركين فحسب ، و لكن بعد أن استوطن المدينة ظهرت المعارضة في الجبهتين الاثنتين ، الجبهة الداخلية بصورة اليهود و المنافقين و الأخرى الخارجية بصورة مشركي مكة ـ ثم وقد تجاوز اليهود المشركين في عداوة الاسلام و المسلمين باثارة المنافقين تارةً و بالقاء الشقاق بين المسلمين أنفسهم ولا سيما الأنصار الذين كانوا قد توقفوا من الحروب القبلية الفتاكة من عهد قريب ـ و يشتمل جزء كبير من القرآن على زجر اليهود و توبيخهم على انحرافهم من الحق و لبسه وكتمانه عن الناس ، ثم على إيضاح دسائسهم ومشاغباتهم ضد المسلمين . كما يشتمل على تحذير المسلمين و منعهم من اتخاذ اليهود خلاناً لهم ـ و ننقل هنا بعض ما ورد في القرآن الكريم عن أمر اليهود ـ قال الله عز وجل : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا ﴾(٢) و ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرٍ به . ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً . و إياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون ﴾(٣) و ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً . ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفي صدورهم أكبر . قد

(١) زين العابدين ، ص/١٩٩ .
(٢) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية : ٨٢ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٤١-٤٢ .

بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ـ ها أنتم أولآء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، و إذا لقوكم قالوا آمنا ، و إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليمٌ بذات الصدور ـ إن تمسسكم حسنة تسؤهم و إن تصبكم سيئة يفرحوا بها › (١) .

و اذا نظرنا في مسألة اليهود من وجه تاريخي فنراهم أول من هادنهم النبي ﷺ بعد وصوله الى المدينة ، و كان من أهم بنود تلك الهدنة : « أن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . . . و أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . . . و أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ﷺ . . . و أنه لا تجار لقريش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . . . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم » (٢) .

و كان اليهود قد قاموا بتوقيع هذا الميثاق من عندهم ، و لكن ما طال بهم الزمن حتى نقضوه نقضاً ـ و من البواعث التي أدتهم الى نقضه كون الرسول ﷺ يدعو الى الله الواحد الفرد الصمد بحيث خشوا على دينهم الجامد المعترف بالعنصرية الاسرائيلية والمستمسك بها من عهد غيربعيد جداً ـ و منها خشيتهم على تصرفاتهم غير المجازة في شؤون الأنصار من اتحادهم تحت راية الاسلام ، ومنها أيضاً خوفهم على تجارتهم الربوية بابطال القرآن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ـ١١٩ .

(٢) ابن هشام ، ج/٢ـ ص/١٠٧ـ١٠٨ .

الربا و تحريمه (١).

ولم يزل اليهود يتآمرون مع المشركين ضد عصبة صغيرة للمسلمين بالمدينة حتى نصرهم الله نصرة ظاهرة ببدر ، و لما وصل خبر انتصار المسلمين الى اليهود فتميزوا غيظاً حتى أظهر كعب بن الأشرف رئيس إحدى قبائلهم التي يقال لها « بنو نضير » عن حقده علناً ، و قال : « و الله لئن كان محمد أصاب هؤلآء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها » ـ ولم يكتف كعب بقوله هذا ، و انما ذهب الى مكة حيث رثى لقتلى قريش رثاءً يثير الكفار على الانتقام من سيد المرسلين ﷺ و أصحابه ـ ثم رجع الى المدينة و أخذ يؤاذي المسلمين بالتشبيب بنسائهم حتى يئس من أمره النبي ﷺ ، فأرسل محمد بن مسلمة الأنصاري فقتله غيلة ـ و عقب غزوة بدر سابقت قبيلة ابن قينقاع سائر القبائل اليهودية بالمدينة في التصريح عن نقض العهد بمد يدها الى أعراض المسلمين ـ و حدث أن امرأة مسلمة كانت تبتاع حوائجها في سوق القبيلة المذكورة فهتك صائغ من صائغيهم سترها على رؤوس الأشهاد ـ و على استنجاد المرأة وصراخها قام مسلم كان موجوداً في السوق فقتل الصائغ و نهض اليهود و قتلوا المسلم ـ و عندما سمع الرسول ﷺ عن خيانتهم هذه ، حضر نفسه لاستكشاف الأمر و لكنهم تحدوه قائلاً : « يا محمد إنك ترى أنا قومك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا و الله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » و عندئذ قرر النبي ﷺ أن يضيق عليهم فحاصرهم مع أصحابه محاصرة لم تطل خمسة عشر يوماً حتى أذعنوا له ، فأمرهم

---

(١) تفهيم القرآن ، ج/٥ـ ص/٢٧٥ـ٢٧٦ .

النبي ﷺ بالخروج من المدينة تاركين وراءهم كل ما كانوا يملكون من الأمتعة و الأسلحة (١).

و في السنة الرابعة للهجرة دبر بنو نضير خطة لقتل النبي ﷺ. ولو لا أن نبهه الله قبل الأوان لذهب فريسة مكيدتهم - و بعد أن تبينت له أغراضهم أنفذ اليهم رسالةً يخيرهم فيها بين الهجرة والقتل، و لكنهم لم ينتبهوا إلى إنذاره بتحريض من عبد الله بن أبي رئيس المنافقين، فحاصرهم النبي ﷺ حتى أجبروا على مهاجرة المدينة الى الأبد (٢) - و هذه الوقعة هي التي عبر عنها الله في كلامه المجيد على النحو التالي: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظننتم أن يخرجــوا و ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، و قذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ (٣)

و تواصل بقية اليهود جهودهم في هزم المسلمين وإبادتهم حتى تمكنوا من جمع الأحزاب المتكونة من معظم قبائل الجزيرة العربية المشركة سنة خمس من الهجرة، و لكن الله سلط عليهم نبيه ﷺ هذه المرة أيضاً (٤) - و مع أن هذه الهزيمة كانت ضربة قاطعة لليهود ومؤيديهم من المشركين و لكنهم لم يدعوا مكائدهم للايقاع بالنبي ﷺ وقتله - فهم الذين سحروه سنة سبع للهجرة عقب صلح الحديبية (٥)

---

(١) إبن هشام، ج/٢- ص/٥-١٠.

(٢) نفس المصدر، ج/٢- ص١٠٨-١٠٩.

(٣) الحشر، الآية: ٢.

(٤) إبن هشام، ج/ ٣- ص/١٢٧.

(٥) تفهيم القرآن، ج/٦- ص/٥٥٤.

ـ و هم الذين دسوا له دسيسة القتل في نفس السنة عندما قدمت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة بخيبر ، نتناول منها مضغة و لم يبتلعها حتى أحس بتسميمها ، و لكن رفيقه بشر بن البراء أكل منها لقمة و أساغها فمات من الأكلة (١) ـ و هم الذين دبروا له مكيدة القتل مرة أخرى في نهاية السنة السادسة أو بداية السنة السابعة للهجرة عندما دعوه و نخبة من أصحابه الى مأدبة رتبوها لهم ، وقد كانوا قرروا فيما بينهم أن يجردوا عليهم السيوف أثناء الأكل ، ولكن الله نبه نبيه ﷺ عن دسيستهم هذه المرة أيضاً بحيث لم يحضر هذه المأدبة (٢) ـ وقد جاء ذكر صنيعتهم هذه في القرآن الكريم على النحو التالي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكفَّ أيديهم عنكم ، و اتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٣) .

ثم يعني زيدان بتأويل الفتوحات الاسلامية ضد الفرس و الروم ويرى أن بواعث هذه الفتوحات كانت داخلية أكثر منها خارجية ـ أما الفرس فكانت دولتهم قد أصابها اضطراب شديد بعد موت كسرى برويز ، ثم تسرب هذا الاختلال في هيئتها الاجتماعية و الدينية وأنتج انقسامات مذهبية (٤) و فيما يتعلق باضطراب الفرس الداخلي فلم يكن له أثر كبير في تجنيد الجيش و تنظيمه ، و كان خلافهم مقصوراً على تنصيب الملوك ، بينما كانوا يجمعون على قتال المسلمين بصوت واحد ـ ولو كان لخلافهم السياسي أثر في صفوف

---

(١) إبن هشام ، ج/٢ـ ص/١٢٨ .   (٢) تفهيم القرآن ، ج/١ـ ص/٤٥٠ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية : ١١ .

(٤) تاريخ التمدن الاسلامي ، ج/١ـ ص/٢٣ .

الجند لحدثت فيه ثورات داخلية أو انتقاض مقاطعات . و كلما حدث كان على النقيض يعني ثورة المقاطعات المفتوحة بالمسلمين و إخفاء كتب الصلح والإعراض عنه .

و أما الفروق المذهبية فهي من اختراع زيدان ليس غير ، لأننا لانجد ذكر طبقة من طبقات الفرس طلبت حماية المسلمين ضد الطبقة المعارضة له أو ساندت المسلمين خروجاً على القصر الملكي ـ و إذا أخذنا الطبقة العامة التي يمثلها الفلاحون فنرى أنها كانت دائماً مع الغالب ، إذا غلب العرب على الفرس رفعوا الراية البيضاء لهم ، و إذا كان الأمر على عكس فعلوا نفس الفعلة ـ ثم إذا أخذنا الطبقة الممتازة ذات السيطرة و النفوذ في البلاط و خارج البلاط و التي يقال لها : « الدهاقين » فنرى أنها هي التي تولت مقاومة المسلمين ـ و بما أنها كانت تشكل ركناً مهماً من أركان الجيش الفارسي المقاوم فكان موقفها من المسلمين غير موقف الفلاحين المسالمين ، يعني موقف المحارب من المحارب ، إذا غلبه على أمره استأثره و سبى ذراريه ـ ثم ولم يكن طموحهم و غرائزهم تسمح لهم بأن يفوا بعهد عاهدوه مع المسلمين ، فبعد أن فتح المسلمون مقاطعات و مناطق من فارس أمروهم على أعمالهم الادارية و لكنهم ثاروا على أمير جيش المسلمين في تلك المناطق غير مرة باطماع الحكام الفرس لهم بالامارة ، وأكبر الشواهد لاتحاد كلمة الفرس و قوتهم العسكرية أنه أخذ المسلمون سبعة عقود متتالية من السنين لفتح فارس و إخضاعها أي من سنة ٦٣٧م الى سنة ٧١١م (١) .

كذلك يؤول زيدان فتوح المسلمين ضد الروم ببلاد مصر بأنها

---

(١) شكري فيصل ، ص ٩٦/ ، ١٠٢ـ١٠٤ ، ١٨٩٠ .

تمت بمساعدة المقوقس والي مصر من ناحية و بمساندة الأهلين المصريين من ناحية أخرى- و جدير بالذكر تناقض المؤلف في أمر المقوقس إذ يصرح أنه كان رومي الأصل و لكنه كان يحب الأقباط و يميل إلى أحزابهم- ثم لما جاءه كتاب النبي ﷺ يدعوه إلى الاسلام ، فسر بذلك التماساً التخلص من الحكم الرومي ، ولكنه في نفس الوقت أعرب عن عجزه من تسليم البلاد دون أمر صاحبها هرقل المقيم بالقسطنطينية . ثم يتهم زيدان المقوقس بكونه على موعد مع المسلمين قبل الفتح و بكون المراسلة قائمة بينه و بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كما يتهمه بالتظاهر بالاستعداد لقتال المسلمين (١) - و يرد على زيدان بأمر المقوقس أنه لو كان على موعد مع المسلمين أو كان يراسلهم ، لم يتردد عمر بن الخطاب في توجيه الجند إلى مصر حتى أمله عمرو بن العاص (٢)- ثم لو كان المقوقس يريد التخلص من الحكم الرومي لاستسلم هو وجنوده ببابليون دون أن يقع بينهم و بين المسلمين أي قتال (٣)- و أما الصلح الذي تم بينه وبين المسلمين بعد فتح الحصن ببابليون لم يقع . لَوْ لَمْ يستيقن بوقوعه أسيراً من أيدي المسلمين- و أكبر منه مما طلته عبادة بن الصامت حين عرض شروط الصلح عليه . ثم استئذانه القتال من جديد خارج الحصن- و نوافق العلامة المقريزي على أن افتراء انحياز المقوقس إلى المسلمين هو من اتهام الروم الذي وجهوه إليه نتيجة إحساس الحرمان الذي نشأ فيهم على أثر الهزيمة (٤)- و أما الأقباط فلا شك في كونهم أعواناً للمسلمين (٥) بما كانوا يريدون التخلص من نير الروم الذين كانوا يضطهدونهم ويعذبونهم باسم الدين . ومع ذلك لم يكن فتح مصر كلعبة الأطفال كما يزعمه جرجي زيدان . نظراً للمدة التي تناولها . يعني سنتين إلا شهراً واحداً (٦) .

"يتبع"

(١) أرمانوسة المصرية .ص/١٢-١٣-٧٤ .
(٢) المقريزي . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . ج/٢- ص/٦٢ .
(٣) الطبري . تاريخ الرسل والملوك .ج/٥- ص/٢٥٨٤ .
(٤) المقريزي . ج/٢- ص/٦٦-٦٩-٧١ .
(٥) المرجع السابق .ج/٢- ص٦٤ . (٦) شكري فيصل . ص/١١٩-١٢٩.

صور و أوضاع :

إلى استراتيجية جديدة

واضح رشيد الندوي

تقوم وسائل الاعلام الغربية بحملة إعلامية مكثفة ضد ما تسميه بالأصولية الاسلامية . ويساند هذه الحملة الدعائية زعماء وأعضاء البرلمان ، وكتاب ومفكرون ، بكتابات ، ولقاءات ، وعقد ندوات واعداد تقارير موجهة تذيعها أجهزة الإعلام السمعية والمرئية ، للتأثير على الذهن العام بأن التطرف الاسلامي الذي تحدثه الأصولية الاسلامية يطرق الباب ، ويهدد السلامة ، ويقوم هؤلاء المذعورون بالاسلام بتحريض العالم كله على التصدى والصمود في وجه هذا الخطر الجسيم الذي يحدق بالحضارة والحرية والعلم ، والعقائد والمذاهب الأخرى.

تصعد هذا النشاط بعد انفكاك الاتحاد السوفيتي ، وانسحاب الشيوعية من مواجهة الدول الأوربية المسيحية الرأسمالية .

والواقع أن هذه الحملة تقوم على أساس الذعر من الاسلام الذي يراود الدول الأوربية ، وقد كان هذا الذعر يساور الذهن الأوربي منذ قرون حتى خلال سيادة أوربا على العالم ، واستعماره لدول المسلمين ، واتخاذ جميع وسائل القمع والكبت ، وطمس معالم التاريخ الاسلامي ، ومحاولته لقطع صلة المسلمين بتاريخه ، ولكن تجدد هذا الذعر بسقوط النظام الشيوعي ، وانفكاك الاتحاد السوفيتي ، وبروز الجمهوريات الاسلامية ، واستئناف دورها السياسي وظهورها كقوة جديدة ، ومنذ ذلك الحادث تصعدت هذه الحملة ضد الاسلام والمسلمين ، ولهذا الذعر المتجدد اسباب عديدة .

كان الفكر الأوربي السائد قبل هذا الحادث التاريخي أن القوة

العسكرية والتقدم التكنولوجي، هو الضمان للبقاء في الحكم والسيادة على العالم، وأن الصناعة هي القوة التي يتحقق بها التفوق والغلبة، وأن الوسائل الحديثة العلمية للزراعة والبناء، هي التي تكتسب السيادة والرفاهية، وأن وسائل القهر والكبت وقمع الحرية وتكميم الأفواه، وغسل الدماغ تغير الأذهان، والنفوس، وتولد إنساناً جديداً، ويتغير بها اعتقاد الناس وإيمانهم.

حسبت أوربا أن الايمان واليقين، والعقيدة الذهنية هي كاللباس الذي يغيره الانسان، أو كالإنتاج الصناعي أو المحصول الزراعي، الذي يعتمد على الصانع والمزارع، فالمزارع يغير زراعته، والصانع يغير صناعته، وسواء عليه صنع بندقية أم صنع محراثا، كذلك سواء على المزارع زرع قمحا أم زرع أرزاً.

لقد وقع الأوربيون في مغالطة عندما حسبوا الانسان حيواناً يمكن تربيته أي تربية، ثم حسبوه كالمنتجات الصناعية والزراعية وخططوا له كما يخطط للصناعة، أو الزراعة، أو كما تربي الحيوانات في حديقة الحيوانات.

وفات هؤلاء المخططين الذين يدعون أنهم درسوا الانسان دراسة عميقة أن هناك قوة غيبية تلهم الانسان، وتخرج من ذهنه افكاراً، وتغرس في ذهنه افكاراً، وتحدث فيه ميولا، وانجذاباً، وتصرفاً. إنهم درسوا الانسان حقاً ولم يدرسوا ما هو خارج الانسان، وخارج الطبيعة من قوى عاملة، وقد قال أحد الحكماء، عرفت ربي بفسخ العزائم، ويتحدى القرآن الكريم هؤلاء الادعياء بقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِئُوا نُوْرَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ﴾.

إن خروج المسلم من حالة القمع والكبت المفروضة عليه في الاتحاد السوفيتي وفي دول الاستعمار الأوربي، التي بذلت كل ما كان بوسعها من كيد ودجل ومكر، وتضليل، يفصل المسلم عن تاريخه الاسلامي وحتى بعد أكثر من سبعين سنة، وانطلاقه إلى الاسلام، كأن هذا

الفراق كان حادث يوم أو يومين. كان مبعث ذعر لأوربا. فكان هذا الخروج من الحالة المفروضة. حالة الالحاد والكفر. حادثاً أكبر من سقوط امبراطورية. وكان هذا الحادث درساً للكائدين من اعداء الاسلام وعبرة لهم. ومن الغباء الشديد أن يفكر أحد مرة أخرى في قمع المسلمين. وقطع صلتهم بالاسلام. لأن هذه السياسة في الواقع تأتي بنتائج سلبية. وقد حدث ذلك فعلاً فان المسلمين في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاسلامية اليوم أكثر حماسة للاسلام وأكثر حرصا على العمل بالاسلام من المسلمين الذين عاشوا في الدول الاسلامية التقليدية بحرية.

كان من الحكمة للدول الأوربية التي تدعى باعتراف الواقع. ودراسة الاحداث دراسة واقعية. أن تغير من سياستها إزاء الاسلام والمسلمين. فكما غيرت الجمعيات التبشيرية سياستها وبدأت تجرى الحوار مع المسلمين و تسعى إلى التقارب معهم والتفهم معهم. كان يجب على الدول الأوربية ان تعترف بقوة الاسلام والمسلمين. وتهادنهم. وتتعايش معهم وتتعلم من حادث الاتحاد السوفيتي. ولكن الحقد الدفين والعداء الكاشح يغشى على العقول. والحقد مرض نفسي لا يزول إلا بموت الحاقد. ويتجرع الحاقد مرارة حقده طول حياته.

كان سقوط الاتحاد السوفيتي وخروج الدول الاسلامية الحديثة على خريطة العالم حادثاً اضطربت له أوربا كلها. وكان من الحكمة أن تخفى أوربا هذا الاضطراب القلبي. فقد عرفت أوربا بطبيعة الهدوء. والأناة والصبر والاحتمال. لكنها أعلنت اضطرابها وقلقها النفسي لأن الألم كان شديداً. فصاحت واويلاه. و وجهت النداء إلى جميع القوى العالمية أن تهب لمواجهة هذا الخطر العالمي الذي يهدد الحضارة الأوربية. والديانات العالمية.

كان في هذا الحادث دروس كثيرة فاتت عقول حكماء العالم بسبب الحقد الدفين. كان الدرس الأول فيها. أن الدين هو الشعور القلبي الذي لا يقهر ولا يسخر. مهما سخرت له القوة وسخرت له الوسائل. ومن

الحكمة أن لا يفكر أحد في قهر الشعور الديني. وكان من الدروس أن القوة الحربية مهما بلغت من صلاحية الهجوم والضرب ومهما حشدت وسائلها لا تحمى دولة من الزوال والانفكاك إذا لم تكن تتمتع بالتأييد الشعبي. وقد كانت بعض النفوس المريضة والعقول تدعى أن القوة الحربية هي الضمان الأكبر، والوقاية المضمونة لسلامة أي بلد، وانها تستطيع ان تكسر أي قوة شعبية فكان من الدروس أن العقيدة لا تمرض بالقوة. وأن العقول لا تسخر، ولا تغير بقوة السلاح، أو بوسائل القمع. وكان من الدروس ان التدابير البشرية وحدها لا تسعد الشعوب، وإن الانسان مهما تكبر عاجز. فقد كانت القوة الاشتراكية باسم الفداء وكان شعارها المنجل. وادعى بعض الزعماء للاشتراكية أنهم غلبوا على الطبيعة. ففشلت الشيوعية في مجال اختصاصها، لأن هناك قوة خارجية بيدها كل شئ. وصدق الله العظيم. ﴿افرايتم ماتحرثون، أانتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون، إنا لمغرمون، بل نحن محرومون، افرايتم الماء الذي تشربون أ أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون﴾ لقد كان بعض القادة يقولون إن الشئ الذي يحتاج إليه العالم الاسلامي هو التفوق في التكنولوجيا. لكن سقوط الاتحاد السوفيتي كذب هذا التصور فقد كان الاتحاد السوفيتي ثاني بلدان العالم الراقية في التكنولوجيا. ولكن علماء الاتحاد السوفيتي وهم الوف مولفة في حاجة إلى ما يسد رمقهم، وهم حيارى يبحثون عن عيشهم. فكان ذلك درساً من دروس هذا الحادث العظيم.

هذه بعض الدروس التي يجب أن تكون موضع الاعتبار لدى أعداء الاسلام، وأعداء الدين. وتستحق أن تبعث هذه الدروس على تغيير الفكر العالمي وايجاد عهد جديد. وإلا فان ما حدث في الاتحاد السوفيتي سيحدث في أوربا أيضاً. وستسقط قوة متكبرة أخرى. ويبحث الناس عن أسباب سقوطها. ففي مزبلة التاريخ أمم تكبرت ثم انكسرت.

•••••••

«ندوة علمية حول الامام الفراهي»

الأستاذ أبو نافع الفلاحي

باحث في قسم اللغة العربية جامعة دلهي (الهند)

نظمت جمعية أبناء مدرسة الاصلاح القدماء : ندوة علمية تاريخية عن شخصية و مآثر المفسر الهندي العظيم العلامة حميد الدين الفراهي المعروف بعبد الحميد الفراهي (١٢٨٠هـ -١٣٤٩هـ) بمدرسة الاصلاح سرائ مير اعظم جراه اترابراديش الهند في فترة ما بين ٨-١٠ تشرين الأول (اكتوبر) الماضي ، وكان هذا العالم العبقري ابن تيمية زمانه على حد تعبير العلامة السيد سليمان الندوي ، وكان ابن خال العالم والمؤرخ الاسلامي الشهير شبلي النعماني ، وكان أكبر منه بنحو ٦/ سنوات . فتعلم اللغتين العربية والفارسية والعلوم الدينية كعادة أهل زمانه على أيدى العلامة شبلي النعماني والشيخ فيض الحسن السهارنفوري و الشيخ عبد الحي الفرنغي محلي و غيرهم من العلماء . ولم يبلغ من عمره ٢٠/عاماً حتى تمهر في اللغة العربية والعلوم الدينية . أما الآداب الأجنبية فقد حذق فيها حذاقة كاملة خلال تعلمه في الجامعة الاسلامية بعليكراه . وبذلك جمع بين العلوم القديمة والحديثة .

ومنذ شرخ شبابه جعل الامام القرآن الكريم محور تدبره وتفكره واعتاد نفسه للغوص في معانيه وأساليبه وألفاظه و وقف نفسه لمطالعة القرآن الكريم حتى نضج فيه وأخرج لطبقة العلماء درراً لامعة بصورة تصانيفه القرآنية . والميزة التي جعلته فريدا بين المفسرين الكرام هي أنه قدم فلسفة لعلم الكلام القرآني على أسس متينة ثابتة من خلال كثرة مطالعة القرآن الكريم والسنن والأحاديث النبوية والعلوم الدينية والأجنبية . وان لم يكن له السبق في ايجاد فن نظم القرآن فانه هو الذي أكمله بشكل نهائي . وجاء

بمؤلفات قيمة مثل تفسير نظام القرآن ، و دلائل النظام وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل .

جدير بالذكر أن الفراهي كان مؤسساً فكرياً لمدرسة معروفة تسمى مدرسة الاصلاح الواقعة ببلدة سرائ مير اعظم جراه و جعلها مركزاً لفكره الخاص ومعهداً لتفسير القرآن الكريم وهذه المدرسة من أكبر مدارس الهند ، التي أنجبت جهابذة العلماء والدعاة والقادة الاسلاميين مثل العلامة أمين أحسن الاصلاحي والأستاذ أختر أحسن الاصلاحي والأستاذ صدر الدين الاصلاحي والأستاذ أبو الليث الاصلاحي الندوي . وكان رحمه الله من مؤسسي دار المصنفين بمدينة اعظم جراه التي تعد من أهم المؤسسات الاسلامية للبحث والنشر في الهند وكان الفراهي أول رئيس لهذه المؤسسة .

ولا براز فكره وترويج آرائه القيمة عقدت هذه الندوة التي شارك فيها أبرز علماء الهند وباكستان وعلى رأسهم سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي الذي افتتح جلستها البدائية بخطابه المؤثر ، أشاد فيه بمآثره التفسيرية وأظهر له قدراً واحتراماً كبيراً و وصفه بأنه امام المفسرين لهذا القرن واستعرض منهجه التفسيري و عد العديد من ميزاته التفسيرية منها تمهيد الطريق لفهم القرآن والربط فيما بين الآيات والبحث في أقسام القرآن . وذكر العلامة الندوي من بين مصنفاته كتاب « جمهرة البلاغة » بخاصة . وهذا الكتاب قد تعذر حصوله لأصحاب العلم لطبعه مرة واحدة منذ أكثر من نصف قرن . وقال إن هذا الكتاب يجب ان يعم بين علماء العرب أيضاً و أبدى أسفه الشديد على عدم تعارف شخصيته ومآثره في العالم العربي.

ومما يجدر بالذكر أيضاً أن العالم الكبير المفسر و ترجمان الفراهي الأستاذ أمين أحسن الاصلاحي صاحب تدبر القرآن (في تسع مجلدات بلغة الأردو) لم يتمكن من الحضور في هذه الندوة نظراً إلى ضعف صحته فأرسل مندوباً له للمشاركة

فيها . ومن الشخصيات العلمية التي شاركت هذه الندوة ، هم الشيخ نجم الدين الاصلاحي من بقايا تلامذة الفراهي والأستاذ صدر الدين الاصلاحي صاحب كثير من المؤلفات الدينية الهامة والأستاذ بدر الدين الاصلاحي مدير مكتبة الدائرة الحميدية والبروفسور /عبيد الله الفراهي حفيد الامام الفراهي ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ .

والمقالات التي عرضت في هذه الندوة أكثرها في اللغة الأردية ونذكر هنا عناوين بعض أهم المقالات : «علم التفسير والعلامة الفراهي » للسيد جلال الدين أنصر العمري نائب أمير الجماعة الاسلامية الهندية ومدير دائرة التحقيق والتصنيف بعليجراه . « الامام الفراهي من خلال خمس ميزاته التفسيرية » للأستاذ عناية الله السبحاني (جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه) « الدراسة المقارنة لتفسير سورة الاخلاص للفراهي » للأستاذ غياث الدين الندوي ، كلية الطب لكناؤ ، « نظرية نظم القرآن والفراهي » للأستاذ محمد عارف العمري ، دار المصنفين شبلي أكاديمي اعظم جراه . « أصول التفسير عند الفراهي » للحافظ أشهد رفيق الندوي (عليجراه)« منهج الفكر للفراهي في ضوء كتابيه « جمهرة البلاغة وأساليب القرآن » للأستاذ نعيم الدين الاصلاحي جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه ، « الروايات التفسيرية والعلامة الفراهي » للدكتور رضي الاسلام الندوي كلية الطب جامعة عليجراه الاسلامية « علم الحديث والعلامة الفراهي » للدكتور ألطاف أحمد الأعظمي جامعة همدرد دلهي الجديدة . « آراء الفراهي في التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور » للأستاذ نسيم أحمد الاصلاحي مدرسة الاصلاح سرائ مير اعظم جراه ، « حواشي الفراهي على رسائل ابن تيمية » للأستاذ ضياء الدين الاصلاحي رئيس دار المصنفين شبلي أكاديمي اعظم جراه ، « تأثير الامام الفراهي في كتاب سيرة النبي شبلي النعماني » للدكتور يسين مظهر صديقي الندوي أستاذ

الدراسات الاسلامية بجامعة عليجراه الاسلامية ، « الفكر الفراهي في ميزان شبلي » للدكتور مسعود الرحمن خان الندوي أستاذ في كلية الدراسات الآسيوية والغربية بجامعة عليجراه الاسلامية ، « فكرة الامام الفراهي حول الحكومة الالهية » للأستاذ نظام الدين الاصلاحي رئيس جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه ، « فكرة الفراهي حول الحاكمية والخلافة » للدكتور عبيد الله فهد الفلاحي جامعة عليجراه الاسلامية ، « مسلك الفراهي في الحديث » لسلطان أحمد الاصلاحي ، دائرة التحقيق والتصنيف الاسلامي بعليجراه ، « نظرية الامام الفراهي في الشعر والأدب » للدكتور عبد الباري شبنم السبحاني ، « أفكار الامام الفراهي النقدية في الأدب والبلاغة » للدكتور محمد راشد الندوي أستاذ قسم اللغة العربية بجامعة عليجراه الاسلامية ، « الامام الفراهي حياته ومآثره » لظفر الاسلام الاصلاحي أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة عليجراه الاسلامية ، « أساتذة الفراهي » للأستاذ شرف الدين الاصلاحي باكستان ، « المسلك الاقتصادي للفراهي » للدكتور عبد العظيم الاصلاحي أستاذ الاقتصاد بجامعة عليجراه الاسلامية ، « العلامة الفراهي في ضوء مكاتيب شبلي النعماني » للدكتور أبو سفيان الاصلاحي أستاذ اللغة العربية بجامعة عليجراه الاسلامية ، « الامام الفراهي ونظرته الثاقبة الحساسة » لمترجم القرآن في اللغة الهندية السيد محمد فاروق خان دلهي ، وقد بقى عديد من المقالات التي لم تعرض في الندوة ومن أهمها « الثروة الغير المطبوعة لتصانيف الفراهي » للدكتور أجمل أيوب الاصلاحي الندوي أستاذ في جامعة المدينة المنورة ، « الحكمة في القرآن » للسيد خالد مسعود طالب خاص للفكر الفراهي في باكستان .

وبالاضافة إلى هذه المقالات ، عرض عديد من المقالات في اللغة العربية وهي : « مكانة الفراهي بين المفسرين » للبروفسور معين الدين الأعظمي

رئيس قسم اللغة العربية في دائرة اللغات الأجنبية بحيدرآباد، « المقارنة بين شعر الفراهي والشعر العربي الجديد » للدكتور محمد أسلم الاصلاحي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاشمير، « الأستاذ الفراهي من خلال كتبه في القواعد » للدكتور شميم الحسن أمانة الله جامعة جواهر لال نهرو دلهي الجديدة، و « المفسر الملهم » لمحي الدين الغازي طالب جامعة الفلاح بلريا غنج اعظم جراه.

وتمتاز هذه الندوة بأنها عقدت في جو علمي حر كامل ونوقشت المقالات مناقشة تامة من قبل المشاركين في الندوة وكثير من أصحاب المقالات نقدوا آراء الفراهي بميزان النقد وأجريت الأسئلة والأجوبة حولها في مناخ علمي كامل، كما أن منظمي الندوة تركوا انطباعاً جميلاً على عقول المشاركين في الندوة بحسن إدارتهم.

هذا وبهذه المناسبة أقامت مكتبة الدائرة الحميدية التي تهتم بتآليف الفراهي معرضا لمؤلفاته، والتي تم طبعها من هذه المكتبة، هي كما يلي:

١- تفسير نظام القرآن ٢- مفردات القرآن ٣- الامعان في أقسام القرآن ٤- الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح (أثبت فيه أن اسماعيل عليه السلام هو الذبيح وليس اسحاق عليه السلام على رأي اليهود) ٥- جمهرة البلاغة (يرفض فيه علم البلاغة المنقول عن اليونان ويضع أساس علم بلاغة إسلامي جديد) ٦- أسباق النحو (في جزئين بالأردية) ٧- دلائل النظام (حول النظم أي تسلسل المعاني في سور القرآن الكريم) ٨- أساليب القرآن (حول أساليب البيان) ٩- أصول التأويل (التي ينبغي مراعاتها عند تفسير القرآن) ١٠- القائد إلى عيون العقائد (حول العقائد الاسلامية في ضوء القرآن) ١١- في ملكوت الله (حول النواميس الكونية في ضوء القرآن) ١٢- ديوان أبي أحمد الأنصاري (ديوانه للقصائد العربية) ١٣- ديوان حميد (مجموعة قصائده بالفارسية) ١٤- حجج القرآن (في الفلسفة القرآنية) وهذا الكتاب لم يطبع حتى الآن ١٥- كتاب الحكمة (حول الحكمة في القرآن وطرق استنباطها) وهو أيضاً غير مطبوع، وهناك رسائل قرآنية لم يكتملها الامام في حياته ولم تتحل بحلية الطبع حتى الآن.

الشيخ محمد الصيام إمام المسجد الأقصى

يزور ندوة العلماء

قام فضيلة الشيخ محمد الصيام إمام المسجد الأقصى سابقاً، بزيارة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في ندوة العلماء، وذلك في اليوم ١٢/من شهر شعبان ١٤١٢هـ (الموافق ١٧/فبراير ١٩٩٢م) استقبله في مطار لكناؤ فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي نيابة عن سماحة العلامة الندوي، ولفيف من أساتذة دار العلوم و وجهاء البلد.

عقدت حفلة ترحيب بالضيف الكريم في ساحة المجمع العلمي الاسلامي بعد صلاة العصر مباشرة قدم فيها فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي كلمة رحب بها فضيلته على مقدمه الميمون، وقدم تعريفاً موجزاً لندوة العلماء، والمجمع الاسلامي العلمي، ثم ألقى فضيلة الأستاذ سلمان الحسيني رئيس جمعية شباب الاسلام كلمة تحية وترحيب تناولت معاني كريمة من الاجلال والتقدير لتشريفه ندوة العلماء، ثم قدمت كلمة سماحة الشيخ الندوي التي كان قد ألقاها أمام السيد ياسر عرفات في مؤتمر مكة المكرمة بمقر رابطة العالم الاسلامي قبل سنتين (وسنشرها كحديث مستقل في العدد القادم باذن الله تعالى) وبعد ذلك رد عليها فضيلة الضيف المبجل بكلمة ضافية تلتهب حماسة وغيرة وصراحة، وقد رفض فيها أي هدنة أو مسالمة أو مساومة مع اليهود في قضية فلسطين وقد أبدى عزمه الأكيد لاستنقاذ المسجد الأقصى من براثن المغضوب عليهم،

- بمشيته الله تعالى- بأي طريق ممكن، سواءبالأسلحة أو الحجارة، أو الأظافر والأيدي، وقد كان لكلمته الحماسية تأثير عميق في المستمعين وصدى في جميع الأوساط العلمية والدينية.

وقد أشاد الدكتور الصيام بسماحة العلامة الشيخ الندوي وأبدي حبه العميق له وعلاقته الخالصة الصادقة بسماحته، وعبر عنه بالامام والقائد والمربي الكبير.

وصلي إمام المسجد الأقصى المبارك صلاة المغرب بالناس في جامع ندوة العلماء الواسع وأم حشداً كبيراً من المسلمين القادمين لرؤيته من أنحاء البلد، ثم عقدت حفلة كبيرة في المسجد، قام فيها سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي معتمد التعليم لدار العلوم ندوة العلماء بتعريف الضيف الجليل وألقى كلمة عبر فيها عن مشاعره الطيبة نحو المناسبة الكريمة وقال: إن أكبر جريمة في قضية فلسطين هي فصلها عن الدين، وجعلها قضية عربية خالصة بفصل المسلمين عنها، وقال: هذه النظرة الخاطئة الاجرامية هي التي حددت نطاق هذه القضية، وحولتها من قضية عالمية إلى قضية محلية.

وألقى فضيلة الدكتور محمد الصيام كلمة فياضة جاء فيها:

«إن الجريمة الأساسية في العصر الحديث التي أسهمت إسهاماً واضحاً في ضياع فلسطين هي تحجيم هذه القضية وفصلها عن ميدانها الحقيقي وحظيرتها الصحيحة وتحجيمها إلى عربية ثم المشاركة في جريمة أخرى هي تحجيمها إلى فلسطين القطرية المحلية لتخطيط مدروس رهيب مرعب يهدف من ورائه ويقصد أن تستعرض القوي الطاغية الظالمة الفلسطينيين دون أن يحس بهم حتى جيرانهم العرب، من هنا كانت المصيبة التي أصابت الفلسطينيين في أقدس مقدسات المسلمين، المسجد

الأقصى ثاني مساجد الله في الأرض بعد المسجد الحرام قال الراوي: قلت أي مسجد وضع أول يا رسول الله قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى، قلت كم بينهما قال أربعون سنة، وقال لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، فإذا لم يكن شد الرحال إلى واحد منها كان شد الرحال ناقصاً، إن البناء الحالي للمسجد الأقصى تم في عهد الدولة الأموية بين الثمانين والتسعين من الهجرة الشريفة، ثم هو قبلة المسلمين الأولى فقد وجهوا أو أمروا بالصلاة إليه ردحاً من الزمن، ثم أشفق الله على نبيه الكريم فقال: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ثم هو مسرى رسول الله ﷺ، إعلاما لكم يا معشر المسلمين بأن هذه الديار ديار الشام وفلسطين وما حولها ملك لكم انتزعها الله لكم لهذا الاسراء المبارك والمعراج الكريم من سلطة من كان يتسلط عليها من أصحاب الديانات السابقة، وسلمها لكم وجعلكم مسئولين عنها، فالقدس والمسجد الأقصى مسئوليتكم، لا فرق في ذلك بين عربي وعجمي وبين أسود وأبيض، وكان صلاح الدين أحرى الناس بأن ينتدبه الله لاستنقاذ وتحرير هذا المسجد المبارك بغض النظر عن كونه كرديا أو هنديا أو بربريا أو شيسانيا أو تركيا أو فارسيا، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وكان صلاح الدين أتقى الزمان ـ ولا ازكيه على الله ـ وأتقى القادة، صلاح الدين لم يبتسم فراجعه أركان حربه ما لك لا تبتسم يا أمير الجند، فقال كيف أبتسم أخشى وأستحيي أن يسألني الله كيف تبتسم والمسجد الأقصى أسير، وإن عمر بن الخطاب الذي تسلم مفاتيح المسجد الأقصى طلب من بلال أن يؤذن فيه وهو حبشي أسمر اللون فقال: لا لا لا، رفضت الأذان منذ ما التحق رسول الله بالرفيق الأعلى، ثم تنازل لرغبته وأذن، ومن هنا كانت الرابطة بين المسجد الأقصى والمسلمين

رابطة واسعة بعيدة عميقة شديدة قوية . ونخشى أننا إذا سكتنا عن ضياع المسجد الأقصى المبارك طمع العدو في بقية مساجدنا في كل مكان، هو يمتحننا كل يوم، وفي كل عشر سنوات يفتعل شيئاً بالمسجد الأقصى، مرة يوقد فيه النار ومرة أخرى يحفر تحته ، يريد أن يمتحن عواطف المسلمين تجاه المسجد الأقصى، ومن سوء حظ العرب والمسلمين أن قيض الله لهم حكاما علمانيين لا يهتمون بذات القدس وذات المسجد الأقصى المبارك ، ولكن ليس ذلك مبررا للمسلمين ليسكتوا ، فمسئوليتهم خطيرة ، نحن أمة مقومة لحكامها ، والمسلمون يجب أن يكونوا مراقبين لحكامهم ، قال أعرابي بدوي لعمر بن الخطاب لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا هذه ، هذا لمن ، لعمر الذي نزل القرآن بحدسه وتخمينه ورأيه وتأييده في عدد من المواضع . أخلص عمر نيته لله فأصبح لسانه الذي ينطق به ، فيقول عمر الحمد لله أنا مطمئن ، الحمد لله الذي جعل في أمة محمد ﷺ من يقوم عمر بن الخطاب بسيفه ، إذن نحن أمة مراقبة لحكامها ونحن شعب يراقب حكامه ويعدله . فاذا كان حكام فلسطين أضاعوا المسجد الأقصى ففلسطين مسئوليتكم ، يا معشر العرب والمسلمين : عيشوا على أمل أن تستنقذوه باذن الله ، وإن علماءنا قضى منهم نحبه من قضى ، وينتظرون منهم إن شاء الله طويلاً ، إنهم جعلوا قضية فلسطين نصب أعينهم ، فألف فيها من ألف ، وأرسل جنوده من أرسل ، وقرآنكم يذكر بالمسجد الأقصى ، والرسول ﷺ وطئت قدماه الشريفتان الطاهرتان بفلسطين، وعمر بن الخطاب تسلم مفاتيح فلسطين، وعلماؤكم يذكرونكم بفلسطين، شهداء الأمة على مدى خمسة عشر قرنا من المجاهدين مدفون منهم آلاف في فلسطين ، فلسطين مفصل العالم العربي الذي هو مفصل العالم الاسلامي ، فيها تنهض الغزوات التي تستهدف العالم الاسلامي ،

الصليبيون احتلوا معظم أجزاء العالم العربي والاسلامي . كانت منهم معركة نهائية في حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي . هؤلاء الأوربيون الذين يبنون قببا ومباني من جماجم المسلين ما هزمهم الله إلا في فلسطين على يد البطل قطز . فلا صلاح الدين بعربي ولا قطز بعربي . فالحكاية حكاية المسلمين والمسئولية مسئوليتهم.

قال الله سبحانه وتعالى : ‹ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله › نكتة كريمة واضحة . فقد درج آباؤكم من لدن آدم على تقديس المسجد الأقصى . فالمسجد الأقصى معروف . ليس لليهود نصيب في المسجد الأقصى وليست لهم فيه حصة . وإن عمر رضي الله عنه نبه الموجودين من النصارى على عدم إيواء المجرمين واللصوص واليهود . ذكر اليهود واللصوص بالنص . فاليهود جاؤوا مع المستعمرين . بلوى فلسطين بدأت بالاحتلال البريطاني تماما . كما بدأت مآسي الهند ومآسي المسلمين في كل مكان من بريطانيا . ولا يجري الشيطان إلا في ركاب الشياطين . كل القضايا والمذابح والأزمات إنما تفتعل من أجل فلسطين . من أجل المحافظة على الكيان الصهيوني، حرب الخليج كلها افتعلت . أغرى العراقيون بالاعتداء على جيرانهم . كان ذلك بحجة تحرير فلسطين . الطريق إلى فلسطين لا يمر بحيطان الكويت . لكن هناك شياطين كبار يؤزون هؤلاء وهؤلاء ليختلفوا . والامريكان والصليبيون يمتصون ويبتزون مياهنا وخيراتنا . فهاهم من يخرجهم من خلجاننا ومياهنا وخيراتنا ومنابع ثروتنا . والهدف الأخير هو حماية ما يسمى باسرائيل . إذن قضية فلسطين هي الأساس . فلو أخرج اليهود من القدس لما اختلقت للعالم الاسلامي هذه الأزمات الشديدة المرعبة التي دمرت ما بينهم من علاقات وقطعت ما بينهم من

أواصر، وزادت فرقتهم وشتاتهم وتناحرهم واستنزفت قواهم، عسكريها وإعلاميها واقتصاديها وما إلى ذلك، ويعيش المصلحون كسماحة أستاذنا في حيرة يصلحون ذات البين ويسدون الشق الذي مني به المسلمون، فالاعداء يؤزون هؤلاء وهؤلاء فتنة عمياء لم ينج منها أحد، الحليم فيها حيران، ومن الفلسطينيين من يريد أن يجارى النظام العالمي الجديد فيريد أن يرغم الشعب الفلسطيني على التعايش مع اليهود، وكيف يتعايشون والبلاد مسلوبة والخيرات منهوبة مع من سرق أرضهم وبلادهم وخيراتهم، وانطلاقا من ذلك برزت الانتفاضة التي تسمعون وتعرفون وتقرؤن، وهي انتفاضة في هذه الأيام ضعيفة قياسا بما يجب أن يكون من القوة لمحاربة العدو، ولكنها بداية الطريق، فرحلة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، ولعل الله يبعث من المجاهدين والقادة الربانيين من يأخذ على عاتقه ريادة المسلين وقيادتهم لاستنقاذ مقدساتهم في فلسطين، فحديث الرسول ﷺ أن الساعة لن تقوم حتى تقاتلوا اليهود، فنسأل الله أن يكون ذلك في زماننا، حتى لا نسأل ماذا فعلتم بأرضي، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فالقرآن مصون من التلاعب والتحريف وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، ولكنه لم ترك لكم مساجدكم وعقائدكم وأرواحكم ودماءكم وأعراضكم وبلادكم ومقدساتكم وخيراتكم التي تستطيعون أن تحموها، فماذا فعلتم لحمايتها.

نتائج مؤتمر السلام الذي تسمعون به، يكفي عنه مفاوضات أو محاورات بين اللصوص من اليهود، وهذا مرفوض عندنا معشر المسلمين، لا نفاوض اللص على ما سرق لنعطيه نصف الدار أو ثلثه أو أقل، يجب على اليهود أن يعودوا من حيث أتوا من روسيا وأفريقيا وأمريكا وآسيا ومن غيرها، لم يكونوا موجودين أصلا، وإنما منحوا من أجزاء فلسطين سنة ١٩٤٨م، مؤتمر السلام يعطيهم ثمانين في

المائة من فلسطين، ويريد أن يقربكيان شرعي معترف به عالميا وعربيا وفلسطينيا وبالتالي يعيشون بالأرض الفساد، ويسيطرون على مقدرات الناس يستنزفون أموالهم، إن الهند ما أقامت طيلة أربعين سنة علاقات دبلوماسية مع اليهود، فالصلات مع اليهود مآسي مؤتمر السلام، الصين قبل أسبوعين أو عشرة أيام أقامت علاقات دبلوماسية مع اليهود بسبب مؤتمر السلام، اليهود سينتشرون هنا وهناك كالسرطان والعياذ بالله، يمتصون ويبتزون الناس، والناس مرابون مهرة في المال وسرقته من جيوب الناس ما أعانت أوربا و أمريكا من طردهم إلى فلسطين حتى تتخلص من هذا الاخطبوط الصعب الذي يمتص جيوب وخيرات البلاد. وليته يقتصر على ذلك فحسب، ولكنه يفسد اخلاق الناس، لقد عاش الاوس والخزرج في المدينة المنورة في عنت شديد بسبب وجود اليهود بينهم، يغرون الناس ويؤزونهم ويشعلون الفتن وذلك ما يعاني منه أرضنا وأصدقاؤنا في هذه الديار، هذه نتائج مؤتمر السلام، بداية مؤتمر السلام أن القدس لن يعود للمسلمين، معنى مؤتمر السلام أن خمسة ملايين من الفلسطينيين يظلون لاجئين ومهجرين، بعضهم في مصر، وبعضهم في الأردن، وبعضهم في لبنان، وبعضهم في سوريا، وبعضهم في الخليج، وبعضهم في أمريكا وأوربا، إن اليهود يشتتون شعبا من أرضه ويلمون شعبا ويجمعون بدلا من أرضه، من هنا نحن المقاومة الاسلامية «الحماس» نرفض مؤتمر السلام كما ترفضونه أنتم، ونعارض منظمة التحرير الفلسطينية في مسيرتها ضمن هذه المسيرة الاسلامية الانهزامية التي لا تريد الجهاد حتى تحرير البلاد، ولا نزال نواصل مسيرتنا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وننتظر باذن الله صلاح الدين الجديد والقدس الجديد وعمر بن الخطاب الذي تسلم مفاتيح القدس ولئن فقدنا السيف والحجارة حاربنا بأظافرنا وألسنتا وأيدينا حتى يتنزل النصر والفتح القريب مصداقا لقول الرسول ﷺ لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم ما أصابهم ولا ما جابهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قالوا وأين هم يا رسول الله قال بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»

وبعد كلمة فضيلة الشيخ محمد الصيام تحدث سماحة الشيخ الندوي، فعبر عن العاطفة الدينية والحمية الاسلامية لمسلمي الهند، وقال: مما تمتاز به الهند أنها برهنت لدين الاسلام واعلاء كلمته على حمية دينية وعاطفة جياشة تندر نظائرها في أقطار العالم الاسلامي، إنه قدم حركة الخلافة كمثال لذلك، وقال لابد أن تستمر هذه الخصيصة الممتازة وتدوم رغم الأوضاع المعاكسة، فابداء الحمية والغيرة الدينية والاعتزاز بالاسلام وطوابعه لم يزل جزءا بارزا لتاريخ المسلمين بالهند، فلابد من المحافظة على ذلك والاستمرار بكل همة وثبات، وثقة واعتزاز.

وقال سماحة الشيخ الندوي وهو يشرح طبيعة اليهود إن التاريخ البشرى لشاهد على أن القيم الخلقية والانسانية والأخوية، إن شعرت بخطر يهدد سلامتها وبقاءها فمن اليهود الذين دبروا المؤامرات ونصبوا حبائل المكائد في كل دور من أدوار البشرية، برهن سماحة الشيخ الندوي على كون اليهود خطراً للانسانية بذكر عدة أمثلة تاريخية بما فيها كارل ماركس حامل لواء الشيوعية المشئومة - وقد لقيت حتف أنفها - ومؤسسها في العالم، وكان هو أيضاً من اليهود.

و ليست الأنظمة غير الطبيعية التي تسود روسيا وأمريكا وغيرهما في العالم إلا ولحمتها وسداها من عقلية اليهود وتخطيطهم المدروس، ولكن مأساة التاريخ أن اتحدت اليهودية والمسيحية لأول مرة لابادة الاسلام وتدمير الانسانية جمعاء رغم ما بينهما من عداوات وحزازات دينية قديمة، نبه سماحة الشيخ الندوي على أن هذا التضامن الخطير سيشكل خطراً يهدد بقاء وسلامة البشرية جمعاء، وأشار إلى أن إقامة الهند علاقاتها الدبلوماسية مع اليهود مؤخراً تحدث للهند أيضاً مشاكل وأزمات.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الاسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الثالث ـ المجلد السابع و الثلاثون

ذوالقعدة ١٤١٢هـ ـ مايو ١٩٩٢م

المراسلات :

البعث الاسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص .ب ٩٢ لكناؤ ـ الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

إصلاح المجتمع وتوعية المرأة !

المجتمع البشري باختلاف أنواعه وتعدد أحجامه لم يكن قط في غنى عن العناصر التي تتولى التزامه بالخط الذي يوديه إلى السعادة ، وإن كانت النظرات الانسانية تختلف في تفسير هذه السعادة ، ولكنها كانت تتفق في البحث عن الوسائل التي توفر الأمن والاستقرار للحيـــاة و المجتمع ، و تقضي علـــى جميع العوامل والمحاولات المضادة التي تهدد المجتمع بالانذياب وتقيمه على شفا حفرة من النار والدمار، كما كان الشأن في المجتمعات الجاهلية التي وجدت قبل الإسلام وتنازلت عن جميـع القيم الخلقية فعاشت أسوأ وضع إنساني عرفه التاريخ ، حتى إن كتاب الله تعالى لفت انتباه الناس إلى ذلك الوضع الأسيف الذي عاشه الانسان الجاهلي ، وأهدر فيه جميع الالتزامات الخلقية والكرامات الانسانية ، كأنه واقف على شفا حفرة من الهلاك المحتوم ، لقد صور الله تعالى ذلك الوضع المخيف بقوله : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

ولا شك في أن الإسلام مثل دوراً ريادياً عالمياً في العودة بالانسان إلى منصبه الطبيعي ، وإنقاذه من بؤرة ذلك الفساد الشامل الذي استولى على المجتمع بصورة فظيعة جداً ، إنه استعرض

الحياة البشرية يوم ذاك ، ونزل إلى أغوارها يفتش عن الأدواء التي اختمرت بالطبائع و دخلت فيها ، بحيث أصبح من الصعب أن تنفك عنها ، ومن هنالك جاءت تعاليم الإسلام الخالدة التي تناولت جميع جوانب الحياة البشرية دقيقة و جليلة فردية و جماعية ، وبينت ما فيها من أهمية ومالها من دور في أداء وظيفة الانسان على وجهها الصحيح في هذا الكون ، وفي ربط علاقته بالله تعالى وبالانسان نفسه ، حتى تتنزه الحياة عن جميع الملابسات غير الشرعية ، وعن جميع العوامل الموقتة التي تتلاعب بمصيرها ومستقبلها في الدنيا،وبعاقبتها في الآخرة .

إن الإسلام أنقذ جميع طاقات الانسان والكون من التردي والهبوط ووجهها إلى وجهتها الأصيلة ووضعها في محلها الخاص الذي خلق لها ، فأقبل الرسول الكريم ﷺ أول ما أقبل على هذه المهمة ، وعالج الانسان الغافل بتوجيهه إلى الهدف وبيان أهمية الدور المطلوب منه ، وتناوله بالتزكية الشاملة ، تزكية القلب واللسان والجوارح كلها لكي تتوثق صلته بخالقه تبارك وتعالى وبالمخلوق ، وبالكائنات كلها ، مما يساعده على النهوض بواجبه في الحياة الدنيا ، وتقديم أعمال صالحة للدار الآخرة ، وكل ذلك في ضوء تعاليم الإسلام وتوجيهاته العلوية الربانية التي تتفق وطبيعته وتنسجم مع الفطرة ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .

وكلما انحلت قبضة المسلم عن هذه التوجيهات الحيوية وانصرفت همته إلى هوامش الأمور، تربصت به دوائر الضلال المبين ، ولعبت به الأهواء والعوامل النفسية ، واتجهت الحياة وبالتالي المجتمع إلى الحضيض ، ولم يعد هناك ذلك الوازع الديني الذي

يقيه من الهبوط ، والفساد ، والعبث بالقيم والمثل العليا ، ومن الارتداد إلى أسفل سافلين ، وتتمثل في المجتمع البشرى نتيجة لذلك أنواع كثيرة من الطغيان والبغي والجرى وراء الشهوات ، وإيثار النفع العاجل على الآجل ، والتركيز على كسب الدنيا وحطامها الزائل ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى ﴾ .

مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم يفقد كثيراً من الخصائص والقيم الخلقية التي تفضل الإسلام بعطائها للناس ، ورفع به معنوية المسلم ومنحه به مركزه في الحياة والمجتمع ، فقد ظهرت عوامل الفساد على أوسع نطاق ، في كل مكان ، وقفزت إلى المجتمع الإسلامي ظواهر حضارية مادية خالصة أخذت بتلابيب كل فرد وشغلته عن منصبه ومركزه الطبيعي ، فلم يعد يهتم إلا بنفسه وبمصالحه الشخصية والعائلية المحدودة ، بالانصراف عن المصلحة الدينية والاجتماعية الكبرى ، وإهمال المتطلبات الاجتماعية العامة التي وجه إليها الإسلام ودعا أتباعه إلى التمسك بها وتنفيذها في الحياة الاجتماعية .

ركزت تعاليم الإسلام على بيان الأحكام الاجتماعية والعائلية بغاية من الدقة والأهمية ، ذاك أن الانسان في حياته الفردية والجماعية لفي أشد حاجة إلى التوجيه الصحيح والسلوك النبيل ، وإلى حسن الظن والتعامل به ، وتطهير القلب واللسان عن الأدواء الخلقية والنفسية ، والتبين في الأمور، اقرأوا الآيات التالية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا

تنابزوا بالألقاب ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ .

وهناك آيات كثيرة وأحكام تناولها الكتاب والسنة في هذا الموضوع بشئ كثير من الوضوح والتأكيد والاهتمام ، نستطيع أن نقدر بها مدى عناية الإسلام بتطهير الحياة الاجتماعية من جميع الأدواء الخلقية ، وبنائها على أساس من العدل والنزاهة والنصح والتعاون والتعاطف ، والحب والإيثار والثقة وحسن الظن ، وعلى هذه المواصفات قام المجتمع الإسلامي الأول ، ومثل على مسرح الحياة والمجتمع دوراً سجله التاريخ الانساني بمداد من النور .

حاجتنا إلى إصلاح المجتمع الحديث الذي نعيش فيه ، أكيدة شديدة ، وإن العامل الأقوى الذي يوثر في هذا الإصلاح هو أن يتظاهر كبار هذه الأمة بالأخلاق الإسلامية ويقدموا القدوة المثالية أمام الجماهير من كل طبقة ، حتى يقبلوا عليهم ويتأسوا بأسوتهم ، ويتبعوا خطاهم ، ولعل ذلك هو الطريق الأمثل لإصلاح المجتمع ، وذلك يعني أن نبدأ بالتغيير ، من أنفسنا ، ثم نعديه إلى غيرنا .

كما أن دور المرأة في إصلاح المجتمع وبنائه على أسس سليمة ، دور ريادي أصيل ، لذلك فان الإسلام ركز على توعية المرأة بمسئوليتها وإشعارها بالدور المهم الذي قدره الله لها في توجيه المجتمع وتنشئة أفراده من المحضن إلى منصة العلم والمعرفة ، وقد جمع الله تعالى بينهما في جميع الشئون الدعوية والحيوية ، واعتبر كلا منهما عضواً مواليا للآخر: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ و سوى بينهما في المسئولية العملية وفي علاقتهما بالله والناس فقال : ﴿ ومن يعمل من

الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً › ‹ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم ، من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض › .

وبينما كانت المجتمعات المادية السابقة أهملت المرأة وجعلتها بمنزلة البهائم والدواب ، إذا بالمجتمعات المادية الحديثة تمثل المرأة كسلعة تجارية رخيصة ، وتعتبرها لافتة لجميع الاغراءات النفسية والدعايات الخبيثة ، فتعرضها في المحافل المختلطة والنوادى الليلية تبيع عرضها وحياءها وماء وجهها بثمن نجس دراهم خبيثة .

ولكن طريق الإسلام في تحلية المرأة بالعلم والدين واعتبارها العضو العامل في بناء المجتمع ورفعه على أسس سليمة قوية من الإيمان والأخلاق والعلم والفضائل ، طريق وسط متزن ، إنه يعتبرها نصف المجتمع ، ويعاملها كما يعامل الرجل ، ويفوض إليها مسئولية التربية والتوجيه للأولاد وأفراد العائلة من داخل أسوار البيوت ومن وراء الحجاب ، لكي يتكون بفضل تربيتها الحكيمة - باذن من الله تعالى - ذلك الإشعاع التربوي الوهاج الذي يصل من وراء الأسوار والحجاب إلى المجتمع الانساني مباشرة ، ويوثر تأثيراً فعالا عميقاً على تزويده بالرجال العاملين والأبطال المغامرين ، والأفراد الصالحين من الذكور والإناث .

إنه واقع جربه التاريخ وعاشه في فتراته الإسلامية ، فقد احتضن في غضونه المشرقة نماذج رائعة لأولئك السيدات النابغات اللائي سجلن صفحات مجيدة ومفاخر عظيمة في تاريخ الانسان وأسهمن في تربية الأجيال وتخريج الرجال ، وبناء المجتمعات بدور عظيم مشكور .

وزع الإسلام مسئولية بناء المجتمع على أسس سليمة بين الرجل والمرأة على السواء ، هذا في مجال الكسب والمعاش وفيما يتعلق بخارج البيوت والعائلات ، وتلك في حدود التربية للأولاد وتنظيم الأسرة ورفعها على أساس الدين والأخلاق ، يقول الرسول ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » .

ومسئولية توعية المرأة وتربيتها على أساس العلم والأخلاق تعود إلى الرجال العاملين ، ولقد تضاعفت هذه المسئولية في عصرنا الحديث لتوافر الأوضاع المعاكسة في مجتمعات المسلمين و وجود ثغرات هائلة في جدرانها المتزعزعة ، ولأن المرأة أصبحت في جهل تام عن مسئوليتها الأصيلة وشغلت بأمور ليست من شأنها ولا وظيفتها .

ولعل لفتة خالصة من علمائنا ودعاتنا ومفكرينا نحو توعية المرأة بالتعليم والتربية وتزويدها بوسائل العمل والتأثير ، تفتح على بناتنا اليوم وأمهات الغد ، ومربيات الجيل الناهض ، وصانعات الأسر السعيدة وبانيات المجتمعات في المستقبل ، أبواباً واسعة لمزيد من الأمل والعمل ، وتؤهلهن لإزالة كل فساد من المجتمع الإسلامي ، وتوجيهه إلى الوجهة الطبعية التي تتكفل له بالسير على درب السعادة الدائم ، ومسارها المطلوب المعلوم ، وبذلك فان هنا العنصر النسوي سينهض بواجبه الطبيعي في مجال التربية والتوجيه وتنطلق المجهودات إلى بناء مجتمع أفضل وأسعد بمشيئة الله تعالى .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ،،

سعيد الأعظمي

التوجيه
الإسلامي
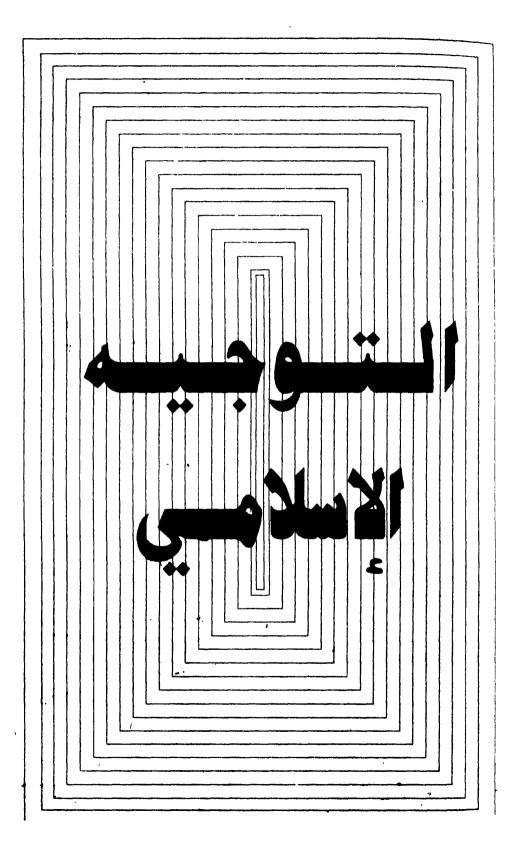
هاتي صلاح الدين ثانية فينا

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[كلمة كان ارتجلها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي نيابة عن أعضاء المجلس بمناسبة حضور السيد ياسر عرفات زعيم حركة فتح لتحرير فلسطين. يبدي فيها مشاعر المسلمين إزاء قضية فلسطين، وخاصة مسلمي الهند الذين يتابعون دائماً القضايا الإسلامي حيثما كانت وأينما كانت، ويستعدون لأي تضحية في ذلك السبيل. أكد فيها سماحة الشيخ الندوي على جعل القضية قضية إسلامية، واتباع المنهج الإسلامي لحلها. وبمناسبة زيارة فضيلة الشيخ محمد صيام إمام المسجد الأقصى المبارك سابقاً، وأحد زعماء الانتفاضة الإسلامية لندوة العلماء اعيدت هذه الكلمة المسجلة مدوية مجلجلة في حفل اقيم للترحيب به في ساحة ندوة العلماء بين المجمع الإسلامي العلمي والمكتبة العامة، واقامت هذا الحفل رابطة الأدب الإسلامي في ١٧/فبراير ١٩٩٢م]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فلي الشرف العظيم أن أتكلم باسم هذا المجلس الموقر في مثل هذا الموقف الدقيق الحساس باسم المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، وبأسم مآت الملايين في شبه القارة الهندية، وهذا إن دل على شئ، فانما يدل على عالمية القضية الفلسطينة وإنسانيتها وإسلاميتها، إنني في هذه الساعة المتأخرة من الليل لا أريد أن أطيل وأن أشق عليكم، إنما اقتصر على دعاءٍ في هذه الساعة المباركة الميمونة، وفي رحاب البيت، أقتصر على دعاء واحد، وأرجو الله أن يتقبل هذا الدعاء في هذه الساعة المباركة في ليلة الجمعة المباركة، وهو أن يقيض الله لفلسطين، بل للمسلمين جميعا، بل للاسلام صلاح الدين الأيوبي الثاني، وإذا كانت حكمة الله تبارك وتعالى اقتضت أن تختار من بين الأكراد، كرديا يتوارى نسبه بعد ثلاث أو أربع وسائط في ظلمات الجاهلية، وقد أسلم آباؤه قريباً، فلم يكن عريقاً في الاسلام، فكيف لا تقتضي حكمة الله ورحمته أن تختار عربياً ينحدر من أصول عربية

إسلامية عريقة في القدم ، كيف لا تقتضي حكمة الله أن تختار من بين العرب ومن بين المسلمين صلاح الدين الأيوبي الثاني ، انني أخاطب الأمة العربية بلسان خير الدين الزركلي الشاعر العربي ان الحل الوحيد لقضية فلسطين أن يبرز صلاح الدين على مسرح القضية الفلسطينية ، وعلى مسرح الجهاد الاسلامي مرة ثانية . يقول الزركلي :

هاتي صلاح الدين ثانية فينا
وجددي حطين أو شبه حطينا

هاتي صلاح الدين ـ أيتها الأمة العربية المسلمة ـ ثانية فينا ، وجددي حطين أو شبه حطينا .

ماذا كان سر انتصار صلاح الدين الأيوبي الانتصار الباهر الذي حير العالم وغيـــر مجرى التاريخ ؟ انما السر أنه كان مسلماً مؤمناً محمدياً لا يعرف غير لغة القرآن ، ولا يعرف غير لغة الايمان ، ولا يعرف غير لغة الحنان ، والمسلمون مازالوا ولا يزالون ، اكتبوا عني ايها الكتاب بقلم عريض ، وسجلوه ، ايها المستمعون الكرام ان المسلمين إلى هذا الوقت وان كانت المادية الرعناء والتربية العصرية قد فعلتا فعلتهما فهم لا يفهمون غير لغة القرآن ، إن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، مهما تعددت لغاتهم ، ومهما فاق ذكاؤهم ، ومهما فاقت ألمعيتهم وعبقريتهم إلى الآن لا يفهمون إلا لغة محمد عليه الصلاة والسلام الذي آمنوا به كالنبي الخالد ، وكرافع علم الجهاد المقدس ، إنهم لا يفهمون غير لغة القرآن مهما أقحمت عليهم اللغات ، ومهما فرضت عليهم الثقافات ، ومهما تنوعت في بلادهم الحضارات ، إنهم لا يفهمون ، ولن يفهموا ، وإلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها لا يفهمون إلا لغة القرآن ، خاطبوا المسلمين بلغة القرآن أيها الاخوان لا بلغة السياسة ، أثيروا فيهم الحنان ، والايمان ، بكلمة الجهاد ، بكلمة الحنين إلى الشهادة ، إنهم لا يزالون يحسنون فهم هذه اللغة ، إنما كان سر سيطرة صلاح الدين على القلوب والأرواح ، في أنه فهم هذا السر ، وفطن لهذه النكتة أن المسلمين لا يندفعون إلا بدافع الجهاد ، فجمع تحت رايته الايمانية أشتاتا من القيادات ، وضروبا وأنواعا من الشعوب الاسلامية ، يستغرب الأوربيون الغربيون ، كيف استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يوحد كلمة العالم الاسلامي الممزق المتشتت ، المنقسم على نفسه ، وكيف استطاع أن

يجمع هذا العالم المترامي الذي تعددت عناصره ، وتعددت ثقافاته وتعددت مذاهبه الفقهية . كيف استطاع أن يوحد العالم الاسلامي في هذه الفترة الحالكة العصيبة تحت راية محمد عليه الصلاة والسلام . ذلك فقط ، لأنه رفع راية محمد لم يرفع راية القومية العربية . اسمحوا لي أن أقول : أنا هندي الأصل ، أنا هندي الثقافة ، أنا رجل ولدت ونشأت في الهند ، ولكن أومن بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأومن بالقرآن . إن هنالك قلوباً تعد بالملايين ، تهفو وتصبو إليكم ، ويستهين في سبلكم بأجسامها وحياتها وسلامتها . إن مذبحة كبيرة وقعت في الهند في أحمدآباد في مدة قريبة ، وماذا كان السبب ؟ ذلك لأجل التجمع الاسلامي الكبير الذي حصل تاييداً لقضية فلسطين . إنما وقعت هذه المجزرة ، ووقع هذا الاضطراب الطائفي الهائل لأن المسلمين في أحمدآباد تجمعوا على بعد الدار وحيلولة البحار ، وعدم معرفتهم للغة العرب ، تجمعوا هذا التجمع الخالد التاريخي ليدافعوا عن قضية فلسطين ، وذلك برهان ساطع على أن هنالك قلوباً مخلصةً لا يعرف مدى اخلاصها إلا الله تبارك وتعالى ، قلوب مؤمنة صادقة ، لاتعرف لغة السياسة ، ولا تعرف اللباقة ، إنما تعرف الايمان ، إنما تعرف الحنان ، إنما تعرف لغة القرآن ، فأنتم تملكون ثروة لا تملكها امريكا ، ولا تملكها روسيا ، تلك ثروة الايمان ، تلك ثروة الايمان الدافق . . تلك قوة الايمان التي استطاعت أن تظهر العالم الاسلامي كله ، وتكون حضارة ، وتكون دولة من أكبر الدول والامبراطوريات ، وهي تستطيع والحمد لله في هذا الوقت ، أقول هذا في رحاب البيت العتيق ، إن هذه الثروة موجودة ، ولكنها تحتاج إلى اثارة ، تحتاج إلى تحريك ، تحريك صادق مؤمن .

وفيكم الأمل ، إنني أرجو الله أن يستخدمكم في سبيل هذه القضية ، وأن يجعل منكم صلاح الدين الأيوبي الآخر ، الآخر ، وليس الأخير ، والاسلام كمثل غيث لا يدري أوله خير أم آخره كما جاء في الحديث النبوي الشريف وإني أقول لك أيها الأخ الكريم أيها الزعيم ، أنا أتبرك بتراب نعل الفرس في ساحة الجهاد ، وافضله على العبير ، وعلى كثير من العطور ، إنني أقول لكم اذكروا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون ، فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ هذه ميزتكم ، اليهود فقدوا كل شئ ، وقطعوا كل خيط كان يربطهم بالله وبالصحف السماوية ، اصبحوا شعبا ماديا بحتاً ، لا يعنون إلا

بسيطرتهم على العالم ، ليست امامهم غاية نبيلة ولا غير نبيلة ، إنما هو شعب عنصري يؤمن بالعنصرية . . والله تبارك وتعالى لا ينظر إلى العنصرية ، إن الله لا ينظر إلى وجوهكم واجسادكم ، إنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فأنتم تملكون ولا تزالون تملكون هذه الثروة ، وترجون من الله ما لا يرجون ، استمدوا هذه القوة وأثيروا هذا الدفين الكامن ، هذا الكنز الخفي المطمور الذي لا يزال في صدور زملائكم ، إنكم ـ كمسلمين مجاهدين ـ ترجون من الله ما لا يرجو اليهود ، فلماذا تهنون ، والله يقول : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ •

هذه كلمة أخ لكم في الله ، أخ لكم في الدين ، لا يربطه بكم إلا الخيط الايماني الرباني النوراني ، الذي انبثق من هذا البلد ، ولا يزال لامعاً ، ولا يزال بازغاً ، ولا يزال منيراً للقلوب والنفوس ، يبدد الظلمات ، ظلمات الجاهلية ، ظلمات المادية والظلمات الأمريكية ، والظلمات السوفيتية ، إننا نحن المسلمين ـ والحمد لله ـ أغنى من كل أمة ، وأقوى من كل أمة ، وتاريخنا طاهر ، وتاريخنا نزيه ، لم تتلوث ايدينا بالدماء البريئة أبدا فكن على ثقة أيها الأخ الكريم ، أيها المناضل ، إن وراءك جيشاً عرمرماً من المسلمين ، من القلوب المؤمنة ، من الأرواح السعيدة ، من الذين يستهينون بحياتهم ، ويستهينون بكرامتهم في سبيل الله ، فهل جربتموه ؟ لا ، والله إلى الآن لم يسنح لكم ان تجربوهم ، لا تزال هذه الأرض بكراً ، ولا تزال هذه التجربة جديدة ، جرب أيها الأخ هذه الأمة التي ملأت العالم كله ، وهي وراءكم وأمامكم إن شاء الله ، تأخذون منها ما هو أغلى ، وأعلى ، وأثمن ، وأعز من كل سلاح تأخذه من أي قوة كبيرة .

هذه كلمتي ، وأنا قد أسهبت فيها واسترسلت أكثر مما قدرت ، وما زورت الكلام وما ادخرت ، ولكن هو الدافع الايماني ، العرق العربي الاسلامي الذي ينبض ، ويثور والذي يملك على مشاعري ، الذي يدفعني إلى أن أقول هذه الكلمة المرتجلة ، واتركها مدوية مجلجلة في رحاب العالم كله .

وتقبلوا مني أطيب التحيات ، واصدق التمنيات .

مكانة الأخلاق والمجتمع والقانون في كيان إسلامي

بقلم : الدكتور أنيس أحمد
البروفيسور ورئيس قسم العلوم المنزلة الإسلامية والتراث
الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا
تعريب : الأستاذ آفتاب عالم الندوي

قبل أن نخوض في تفاصيل أكثر من ذلك حول « الحق الانساني » المعروف بمزاولة الزنا يتحتم علينا أن نتثبت الدعوى القائلة بأن تشريع قانون العقوبات يحمل التفرقة والتمييز ضد النساء . فتشير دراسة علمية حديثة قام بها باحث غير إسلامي إلى أن فرض قانون الحدود إنما يحمل تفرقة جنسية معتدلة ضد الرجال (١) .

هذه الدراسة توفر - بجانب ذلك - معلومات احصائية موثوقة دقيقة تبتني على نموذج عشوائي لستة وعشرين وأربع مائة قضية اختيرت من مجموع ١٩٢٥ قضية . تم قضاؤها بمحكمة الشريعة الفدرالية . والمعلومات تكشف أن قانون الحدود ذهب كل مذهب في صيانه النساء ، وليس في إزعاجهن والاحتيال والتمييز ضدهن . كما أنها تعقد مقارنة بين المواقف التي اتخذتها محكمة « الدورة » و « المديرية » التي تقوم على أساس القانون العام وبين المواقف التي تبنتها محكمة الشريعة الفدرالية التي تلتزم بالقضاء وفق الشريعة .

تشير المعلومات المتوفرة التي اقتبست من الأقضية القانونية الباكستانية لمحكمة الشريعة الفدرالية أن محكمة « الدورة » و « المديرية » جرمت واتهمت كثيرا من النساء وفق القانون العام ، بينما ظهرت براءتهن عند ما تم استخدام القانون الشرعي الإسلامي بمحكمة الشريعة الفدرالية .

---

(١) تشارلس كندي « تنفيذ قانون الحدود في باكستان » الدراسات الإسلامية المجلد : ٢٦ العدد/ ٤ (١٠٨٧) ص/ ٣١٤ .

الجدول = ١

التجريم وفق الجنس، ١٩٨٠ م - ١٩٨٤ م

الجناية	محكمة المديرية			محكمة الشريعة الفدرالية		
	الذكر	الانثى	المجموع	الذكر	الانثى	المجموع
الزنا بالرضى ١٠ (٢)	١٤٥(٥٦)	١١٤	٢٦٩	٧١(٧٠)	٣٠	١٠١
الزنا بالجبر ١٠(٢)	١٦٣(٩٩)	٢	١٦٥	٥٩(١٠٠)	٠	٥٩
الاختطاف ١١	١٢٨(٩٧)	٤	١٣٢	٢٨(٩٣)	٢	٣٠
الاغراء ١٦	٦٧(٨٦)	١١	٧٨	١٣(١٠٠)	٠	١٣
محاولة الاغتصاب ١٨	٦٢(١٠٠)	٠	٦٢	٣٦(٩٥)	٢	٣٨
اللواط ١٢	٤١(١٠٠)	٠	٤١	١٧(١٠٠)	٠	١٧
المؤامرة للتورط في البغاء ١٤	٢٠(٩١)	٢	٢٢	٣(٦٠)	٢	٥
الاغراء بجناية الزنا ١٩	٧(٧٨)	٢	٩	٣(١٠٠)	٠	٣
الزنا القابل للحد ٥	٥(٥٦)	٤	٩	٠	٠	٠
زواج الغش والخداع ١٥	١(١٠٠)	٠	١	٠	٠	٠
	٦٣٩(٨٢)	١٢٩	٧٧٨	٢٣٠(٨٦)	٣٦	٢٦٦
	١٥٩(٩٥)	٩	١٦٨	١١٣(٩٨)	٢	١١٥
المجموع	٧٩٨(٨٤)	١٤٨	٩٤٦	٢٤٣(٩٠)	٣٨	٢٨١

المصدر : تشارلس كندي «تنفيذ الحدود في باكستان» الدراسلت الإسلامية المجلد: ٢٦ - العدد/ ٤ - ص/ ٣١٥.

الملاحظة : الأعداد بين الهلالين: ( ) تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.

هذه المعلومات تشير إلى أن ٩٠٪ من التجريم التي رفعت إلى محكمة

الشريعة الفدرالية تحت قانون الحدود إنما تتصل بالرجال، كما أنها بالاضافة إلى ذلك تبرز أن ١٠٠٪ من النساء ظهرت براءتهن في قضايا الاختطاف.

لقد استنتج «كندي» بغاية من الدقة والبراعة «أنه يمكن أن يحمل أحدنا مناقشات ونزاعات مشروعة مع تنفيذ قرار الحدود، لكن التحامل والانحياز الجنسي ضد النساء ليس واحد منها (١).

طبقا للدراسة الحديثة المعتمدة على نموذج لسبع وتسعين ومائتي قضية رفعت إلى محكمة الشريعة الفدرالية سنة ١٩٨٥م - ٨٩م طبقا لذلك لم يتم تجريم امرأة ما تحت ١٠[٢] الزنا بالجبر، بينما ثبتت خطيئة ست نساء فقط من مجموع ٤٢/قضية للزنا بالرضا ١٠[٢]. وبالعكس من ذلك تم تجريم ٤٧/امرأة و٨٢/رجلا من مجموع ١٢٩/قضية للزنا. وبذلك ينكشف تماما أن محكمة الشريعة الفدرالية إن كانت تجنح للنزعة الجنسية فانما هي لصالح النساء على حساب الرجال.

الجدول = ٢						
التجريم وفق الجنس، ١٩٨٥م - ١٩٨٨م						
	محكمة المديرية			محكمة الشريعة الفدرالية		
الجناية	الذكر	الانثى	المجموع	الذكر	الانثى	المجموع
الزنا القابل للحد	١	٢	٣	٠	٠	٠
الزنا	٨٢	٤٧	١٢٩	٣٧	٦	٤٣
الزنا بالجبر	٧١	٠	٧١	٢٥	٠	٢٥
الاختطاف	٥٦	١	٥٧	٤	٠	٤
الاغراء	٥٤	٥	٥٩	١٦	١	١٧
محاولة الزنا بالجبر	٢٩	٤	٣٣	١٣	١	١٤

(١) المصدر السابق، ص/٢١٦.

>>

الاغراء بجناية الزنا	٤	٢	٧	١	١	٢
المجموع	٢٩٧	٦٢	٣٥٩	٩٦	٩	١٠٥
النسبة المئوية	٨٢٪	١٧٪	١٠٠٪	٩١٪	٩٪	١٠٠٪

تشارلس كندي « تنفيذ قانون الحدود في باكستان » الدراسات الإسلامية المجلد:٢٦ العدد: ٤ - ص/٢١٥.
الملاحظة : الأعداد بين الهلالين تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.

إذا نظرنا بغاية من الدقة والبعد في معلومات ١٩٨٢م إلى ١٩٨٩م ولا سيما في المعلومات التي تتعلق بقضايا الزنا وجدنا أن ٢٤٢٢/قضية من مجموع ٢٥٢٧/قضية تمت معالجتها في محكمة الشريعة الفدرالية، وكانت ٥٨٢/قضية منها تتصل باقتراف النساء للزنا، لكن ٤١٢/امرأة منهن ظهرت براءتهن ولم يثبت التجريم إلا لاحدى وخمسين ومائة امرأة، ولم توجد قضية ما ترجم بوفقها المرأة أو يجرى عليها الحد (مائة جلدة).

إذا كان هناك شئ يشبه الدراسة التجريبية الموضوعية فانه يبرهن على فراغ وبطلان الدعوى القائلة بأن تنفيذ قانون الشريعة احتال على النساء أو مارس التمييز والانحياز ضدهن، كما ادعت بذلك أنيتاوس والآخرون(١).

وإليكم فيما يلي جدولا يبحث في تنظيم قضايا زنا النساء عاما بعد عام.

الجدول = ٣

قضايا الزنا المعالجة بمحكمة الشريعة الفدرالية ١٩٨٢ ديسمبر ١٩٨٩م

السنة	مجموع قضايا الزنا المقدمة	المعالجة	النساء المقترفات	النساء المتهمات	النساء البريئات	قضايا زنا النساء المتأجلة
١٩٨٢م	٢٨٧	٢٨٧	٥٠	١٢	٢٨	٠
١٩٨٣م	٢٩٤	٢٩٤	٦٥	١٥	٥٠	٠
١٩٨٤م	٤٦١	٤٦١	٧٩	٢٥	٥٤	٠
١٩٨٥م	٥١٨	٥١٨	٧٦	٢٣	٥٣	٠
١٩٨٦م	٥٥١	٥٥١	٩١	٢٤	٦٧	٠
١٩٨٧م	٥٠٣	٥٠٣	٥٨	١٤	٤٤	٠
١٩٨٨م	٣٥٨	٣٥٨	٧٥	١٩	٥٦	٠
١٩٨٩م	٤٥٥	٣٥١	٨٩	١٩	٥٠٠	٢٠
المجموع	٢٥٢٧	٢٤٢٢	٥٨٢	١٫٥١	٤١٢	٢٠

المصدر : تشارلس كندي « تنفيذ قانون الحدود في باكستان » الدراسات الإسلامية. المجلد/٢٦- العدد/٤- ص ٢١٥.
الملاحظة : الأعداد بين الهلالين تشير إلى النسبة المئوية المناسبة.

(١) أنيتا وس « التوكيد الإسلامي في باكستان قابلية التطبيق العملي للأسلمة في دولة متجددة» (لاهور: وانغوارد، ١٩٨٧م) ص/١٠٠-١٠١.

الدراسة التي قام بها تشارلس كندي تكشف أنه لم يقع أي حادث لاجراء عقوبة الحد أثناء السنوات الخمس الأولى لتنفيذ الحدود (٨٤م- ١٩٨٠م) حتى إلى سبتمبر ١٩٨٧م، حيث يقول:

رغم الظنون الفاشية والتقديرات السائدة في باكستان والغرب كليهما أن تنفيذ قانون الحدود (قطع اليد، الرجم) سيحظى بالاشادة والتجاوب في باكستان، لم يتم إلى سبتمبر ١٩٨٧م إجراء عقوبة ما للحد في الولاية. وبعد ما أبطلت المحكمة العليا قضية غلام علي وزاهدة إقبال التي اختير فيها عقوبة قطع اليد لهما لأجل السرقة من قبل محكمة الشريعة الفدرالية لم تستطع أي قضية لعقوبة الحد أن تجتاز عقبة الاحتكام إلى محكمة الشريعة الفدرالية، من أجل ذلك لم يتم اجراء عقوبة للحد تقريباً إلى سنة ١٩٩٠م (١).

المعلومات المتوافرة عن تنفيذ قانون الحدود تبرهن على أن اعتبار قانون الحدود الذي يبحث في الجنايات الجنسية متميزا ومنحازا ولا سيما ضد النساء تبرهن على أن ذلك لا يبتنى على الصحة بتاتا ولا يمت إلى الواقع بصلة ما.

سواء تمت تسوية الخلاف حول ذلك أو لم تتم، فقد أطلت علينا قضايا ومشكلات هي أهم وأخطر من قضية التحامل والانحياز ضد النساء، وإليكم فيما يلي بعض هذه المشاكل والقضايا:

الاتحلال والتفكك الاجتماعي: إن نظرة في القضايا المقدمة في محكمة الشريعة الفدرالية تكشف لنا أن أغلبية قضايا الزنا بالرضى والزنا بالجبر قد ظهرت في المناطق الريفية، وقد اعتبر المجتمع الريفي حسب العرف السائد أكثر محافظة على القديم وأكثر تمتعا بالحفظ والصيانة والاخوة والتضامن والوئام، غير أنه بناءا على تقاصر حجم الوحدة الريفية ونقصان قابلية التحرك والانتقال ووجود الانتساب المحلي والزواج اللحمي عادت الحياة الريفية تعتبر أكثر شخصية وانطواء على نفسها من الحياة في بلد صناعي.

مهما كان الأمر فقد يظهر أن معظم السكان الريفيين تعرضوا لمشكلة خلقية واجتماعية هامة بناء على النزوح المتصاعد للعاملين في داخل البلاد وخارجها

(١) تشارلس كندي، ص/ ٢١٨.

وعوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية أخرى.

وثانياً ـ ولعله أكثر خطورة ـ يرجع ذلك إلى أن باكستان منذ ما ظهرت كدولة إسلامية لم نعمل على بنائها وصياغتها دولة إسلامية بمعناها حتى إننا لم نهتم ببناء سلوك قومي لشعبنا ، مما أدى إلى انهيار شعبنا وانحطاطه ريفيا ومدنيا على حد سواء بل مني شعبنا عمليا بالانحراف إلى ثقافة تعارض الإسلام في طول الخط.

إن وضعا يعاني من التدهور الخلقي والاسفاف الديني والتفسخ الاجتماعي وفقدان الهوية الإسلامية لا يمكن فيه للتنفيذ الجزئي لبعض مظاهر الشريعة أن يؤدي دوره في إصلاح الوضع أو أن يجني أي فائدة لصالح النساء اللاتي طال شقاؤهن.

ولنفترض بهدف النقاش أن قانون الحدود قد نسخ ، فهل ذلك يصلح – كيفما كان – الوضع العصيب لمجتمعنا ؟ وهل ذلك يجعل شعبنا الهائل يشعر بمسؤولياته ؟ وهل ذلك يدفع نساءنا ويحثهن على تطوير فكرتهن وتهذيب عمليتهن ؟ الواقع أن القضية لا يمكن أن تحدد بقبول قوانين معينة أو رفضها ، وإنما تتطلب منا أن نستقبلها كمؤثر على الانحراف الخلقي والتدلي الديني في أعرافنا وتقاليدنا الاجتماعية والتعليمية والخلقية السائدة.

الطابقة الاجتماعية : مما يتحتم ذكره أن جميع القضايا التي رفعت إلى المحكمة تورطت فيها الطبقات الوسطى والطبقات الوسطى العليا من سكاننا ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أنهما تحملان الشعور القوى نحو الاخلاق والمجتمع ، مما ساعدهما على تطوير وتوطيد مناعة وحرمة هذه الآثام . وإنما يدل ذلك على أن الناس لعلهم يختارون في الثقافة المدنية وسائل تحفظهم من الاجراءات القانونية ، أو أن الطرق التي تم استخدامها لجمع المعلومات تحتاج إلى إعادة النظر في البيئات المدنية.

إن دراسة في أنماط القضايا المقدمة إلى محكمة الشريعة الفدرالية (١). تفيد

---

(١) على سبيل المثال : الطلب الجنائي الرقم : ٩/ك/١٩٨٥ ، ٥/ك/٨٧ ، ٢١/ك/٨٧ ، ٢١/ك/١٩٨٨ ، و١٥/پ/١٩٨٧م .

أن رمي شخص بتهمة الزنا لم يتم في عامة الأحوال إلا بالوالدين أو أحد كبار الاخوة أو زوج سابق عند ما ذهبت امرأة تتزوج أو تنكح مرة ثانية بدون موافقتهم على ذلك ، وعلى غرار ذلك تم الاتهام في أحداث الزنا بالجبر في عامة الأحوال من قبل امرأة ضد صديقها الرجل أو وقع ذلك من نفسها أو أحد أقربائها (١)

لا يمكن أن يحدد هذا النمط لسكان الأرياف فقط ، وإنما هو نمط عام يشمل مجتمعنا كله ، فالحاجة ماسة إلى دراسة موضوعية نزيهة شاملة لمناطقنا المدنية بأحسن ما وقع ذلك مع المناطق الريفية لندرك بصورة تامة تلك الدواعي التعليمية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تعمل وراء هذه الظاهرة .

مأزقنا : إن أعظم مشكلة يعاني منها المجتمع الإسلامي أنه يتطلع إلى الانتفاع بالوصايا الإسلامية بدون أن يخلع ربقته عن رواسب الاستعمار ، إن المقياس الذي نقترحه لضبط التطور أو جدارة أي مبدأ ينتمي أساسيا إلى الغرب ، وتم تشريع قوانين الحدود في نظام قانوني يتعارض بنفسه مع كثير من الوصايا والتعاليم الأساسية والصريحة للإسلام ، هذه الطريقة الملتوية المعوجة لا تستطيع بطبيعة الحال أن تقضي على الأثرة الاجتماعية والتحامل والانحياز ضد جنس ما .

تواجه نساؤنا في كل مرحلة من مراحل وجودهن الظلم والعدوان والاهمال بسبب الرواسب الاستعمارية والعادات الاجتماعية التي منحت عنوان « الثقافة الشرقية» بدون أن يوجد لذلك أساس في الإسلام ، فهل يعني ذلك أن تنفيذ قانون الحدود سيظل عرضة الاهمال والتأجيل مادام لا يوجد وضع مثالي ؟

نحن نؤمن بطريقة ايجابية هادفة بناءة ، فلكي نجعل قانون الحدود أكثر نفعا وإنتاجا يجب علينا أن نبرز بعض قوانين وحدود إسلامية خاصة حتى يتمهد السبيل لتنفيذ الشرائع الدينية والقوانين الإسلامية ، فالارتياب وعدم الاقتناع بقانون الحدود كان يمكن علاجها بسهولة إذا ما تم تنفيذ التعاليم الإسلامية الأخرى بصورة تامة مثل تنفيذ حد القذف ، فكثير من القضايا التي سجلت تحت الزنا بالرضى ١٠[٢] أو الزنا بالجبر ١٠[٣] أمكن لها أن تجرب تحت القذف (٢) .

(١) مثلا الطلب الجنائي الرقم : ٢١/ل/١٩٨٦، ٢٢/ل/٨٧، ٢٧/ل/٨٨، ٥٥/ل/٨٨، ١/١/١٩٨٥، ١٨/١/٨٥، ١٥/١/٨٦، ١٧/١/٨٦، ٥/١/٨٧، ١١/١/٨٧، ٢/١/٨٨، ٢٤/١/٨٨، ٤-٥/ب/١٩٨٥ .

(٢) مثلا الطلب الجنائي الرقم : ٧/ب/٨٦ .

فإذا وجد لذلك أساس صحيح جربت نفس القضية تحت الحدود . والفائدة الثانية أن التنفيذ التام لقانون حد القذف سيثبط بصورة تلقائية أولآئك الأزواج الذين يرمون أزواجهم السابقات بالزنا حسدا وعنادا أو نقمة .

وبالجملة مهما نازع أحد في الطريقة التي تم بها تنفيذ قانون الحدود لكن لا يمكن أحداً أن ينكر دوره فيما جعل يمكن لنا أن نعيد نظرنا وننظر بأكثر من الدقة والبعد في القضايا والمشكلات التي تتعرض بها أنظمتنا التعليمية والاجتماعية والقانونية السائدة . ويستطيع قانون إسلامي شامل أن يرشدنا في هذه المجالات الثلاثة الهامة إلى نظام قانوني أمثل ومجتمع ديني أفضل .

مما يتعسر فهمه وإدراكه أن دعاة « المساواة بين الجنسين » لماذا هم ملحون على « استعادة » « حق » النساء لمزاولة حياة الخلاعة والمجون . ولم يعترض قط أحد من هؤلاء المحامين المعروفين « للحق الانساني » على القسم ١٩٩ لقانون الاجراءة الجنائية الذي يحرم المحاكم من منح الشرعية لجناية جنسية إلا إذا رفعت الشكوى من قبل زوج المرأة أو نيابة عنه . ولم يعتبره مميزا ومنحازا . وبالاضافة إلى ذلك نشاهد أن المحكمة تتخذ الاجراءة القانونية ضد المرأة إذا رفع الزوج شكواه ضدها . لكن المرأة لا تتمتع في القسم ١٩٩ لقانون الاجراءة الجنائية « بحق » لرفع الشكوى ضد زوجها الزاني . فعلى الأقل بهذه الناحية ينبغي أن يستبشر دعاة حرية المرأة بأن قانون الحدود قد عالج المرأة بأحسن ما عالج الرجال وجعلهم أن يستحقوا بنفس العقوبة إذا ما تحقق تورطهم في الزنا والفجور .

العوامل الاجتماعية الأخرى: إن إلقاء نظرة على القضايا المقدمة إلى محكمة الشريعة الفدرالية للزنا بالرضى ١٠[٢] والزنا بالجبر ١٠[٣] يتوصل بنا إلى أن ١٨٪ من المتهمين كانوا أقل من ١٨/سنة . وكان ٢٨٪ منهم أقل من ٢٥/سنة . وبالنسبة للجنس كان ٨٢٪ منهم رجال لهم خلفية اجتماعية خاصة . فأغلبيتهم مثلا كانت متوظفة في أشغال شبه حاذقة أو عدم حاذقة أو منحطة . ومن الناحية الاجتماعية برزت أغلبية القضايا من المناطق الريفية . وتوظفت ٩٥٪ من النساء المتهمات في الشئون البيتية . على أن ٧٥٪ من مجموع المتهمين بالزنا بالجبر والزنا بالرضى سكنوا في المناطق الريفية .

وبعبارة أخرى إن أغلبية المتورطين في جناية الزنا كانت من الشباب الذين تنقصهم الثقافة أو يغشاهم الجهل ، وهم ينحدرون إلى بيئة ريفية . وذلك يدل على ما يواجه مجتمعنا من المشكلة الثقافية والاجتماعية وفراغ التنشئة والامبريالية الثقافية والتدهور الخلقي . ويجب الآن أن نتيقن أن نظامنا التعليمي ووسائل النشر والاذاعة قد فشلت في بث الرسالة التي برزت لأجلها باكستان إلى الوجود ، إن التقدم الحضاري المتصاعد والمجاراة والتباهي بالمادية الطاغية وعدم الاعتداد والثقة بمثل الحياة وقيمها العليا كل ذلك أدى إلى ظهور رجل توسعى وانتهازى ، همه وعنايته بأحلامه المادية ومتطلباته الدنيوية أكثر منها بطريقة دينية مثالية للحياة .

التطورات والتغييرات التحسينية مثل الاصلاحات الجزئية في نظام قانوني لن تساعد على حل القضية ، وإنما الحاجة ماسة إلى طريقة مثمرة شاملة لتحقيق مجتمع نموذجى أمثل ، فالعلو الانساني والكرامة البشرية واحترام المثل الأساسية واعتناق القيم العليا من المتطلبات الأساسية لبناء مجتمع مثالي أفضل ، والرقابة الخلقية التي تمت صياغتها في الفرد والمجتمع أكثر أهمية وأعظم خطورة في نسج خطوط الثقافة العائلية والاجتماعية على السواء ، ولا بد للاصلاح القانوني أن يرافق التهذيب الخلقي والاجتماعي ويتكاتف معهما حذو النعل بالنعل .

• • • • • • • • • • •

• • • • • • •

الاستشراق و التبشير

{ الحلقة الثانية }

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر و قطر

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق. و ان كان بعض الباحثين يشير الى أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع " فيينا " الكنسي في عام ١٢١٢م بانشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية (١) ولكن الاشارة هنا الى الاستشراق الكنسي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ فضلاً عن أن هناك باحثين أوربيين (٢).

و يذكر الباحثون : أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق فبعض الباحثين يذهب الى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع الى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي . بينما يرى " رودي رات " أن بدايات الدراسات الاسلامية و العربية في أوربا تعود الى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي (٣).

و أول استعمال لكلمة " مستشرق " ظهر في سنة ١٦٣٠م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية . و في سنة ١٦٩١م وجدنا " أنتوني وود " يصف " صموئيل كلارك " بأنه " استشراقي نابه " يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية و " بيرون " حينما يتحدث عن المستر " ثورنتون " يذكر معارفه الكثيرة الدالة على

---

(١) المصدر السابق، ص/ ١٨ـ ١٩ .

(٢) الدكتور/ محمود حمدي زقزوق . الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص/ ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص/ ٢٠ .

استشراق عميق(١).

ويذكر "رودنسون" أن كلمة مستشرق ظهرت في اللغة الانجليزية حوالى عام ١٧٧٩م كما دخلت كلمة "الاستشراق" على معجم الأكاديمية الفرنسية، في عام ١٨٣٨م (٢)، و تجسدت نكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعدمن العدد بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة في بلد واحد. كان أفق هؤلآء المستشرقين يشمل عديداً من المجالات بطريقة غير متوازية في عمقها، و من هنا بدأ تصنيفهم كمستشرقين، و شهدت فكرة الاستشراق تعمقاً كبيراً الا أنها تعرضت كذلك الاضرار، وكان الشرق يأخذ مكانه في مؤلفات القرن الثامن عشر الى جانب الغرب في أفق شمولي(٣).

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم مستشرق أو استشراق وانما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية و الاسلامية في أوربا، ومتى بدأ الاشتغال بالاسلام والحضارة الاسلامية، سواء بالقبول أو بالرفض، و هذا أمر موغل في القدم، أما المصطلح ذاته فلا يعني شيئاً أكثر من اقرار أمر واقع، و اطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة بصرف النظر عن عملية هذه الدراسات أو موضوعيتها(٤).

و على أي حال - كما يقول الدكتور زقزوق - (٥) فان الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الاسلامي و المسيحي، في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة الى اشتغال الأوربيين بتعاليم الاسلام وعاداته(٦).

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص/٢٢.

(٢) أنظر مكسيم رودنسون تراث الاسلام تصنيف شاخت وبوزورث ج/١ - ص/٧٨ ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨م.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص/٢٥.

(٤) الدكتور محمود حمدي زقزوق الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص/٢١.

(٥) مواليد محافظة الدقهلية عام ١٩٣٣م أتم دراسته في جامعة الأزهر وحصل على درجة دكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨م وقد اصدر عدة كتب ودراسات في الفلسفة.

(٦) أنظر الدكتور زقزوق: الاسلام و الاستشراق، ص/٧٣ ضمن كتاب: الاسلام والمستشرقون، جده ١٤٠٥هـ.

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصراني الغربي والقرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني الأيديولوجي فقد كان الإسلام كما يقول «ساذرون» يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا على المستويات كافة (١).

باعتباره مشكلة عملية استدعي الأمر اتخاذ اجراءات معينة كالصليبية والدعوة الى النصرانية و التبادل التجاري .. وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بالحاح العديد من الأسئلة في هذا الصدد وذلك يقتضي معرفة الحقائق التي لم يكن من السهل معرفتها (٢).

ويذكر الباحثون أنه من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كانت أوربا تعيش فترة يسمونها " العصور الوسطى " و يعدونها عصوراً مظلمة حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية يائسة في ظلال كنيسة متسلطة مستبدة . ولكن كان أبرز حدث في تاريخ هذه الفترة هي تلك النافذة التي فتحت في جنوب أوربا الغربي تطل منه على الحضارة الاسلامية. وذلك بوصول طلائع المسلمين الى الأندلس و اقامتهم صرح الحضارة الاسلامية فيها و التي امتدت الى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في حوالي سبعة قرون (٣) كانت فيها الأندلس مركزاً حضارياً في هذا الجزء من أوربا يشع عليها آثاره في زحف هادئ في معظم الأحيان ثم في صورة هجمات قوية كادت تخترق فرنسا الى قلب أوربا في أحيان أخرى (٤).

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوربا على الشرق ، وهي الحملات الصليبية على بلاد الاسلام . فقد جلب الصليبيون معهم الى أوربا كثيراً من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم في الحرب والبناء.

و لاشك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفاً عسكرياً فحسب ، بل كان حضارة تمتد و تبسط نفوذها و تنشر معالمها في كل بقعة تصل اليها فتغير من حياة الشعوب و أفكارهم و عقائدهم و أسلوب حياتهم.

وحاولت الكنيسة " روما " ايقاف هذا المد ففتحت محاكم التفتيش تنكل و تحرق و تقتل كل من رفع راية العصيان في وجهها أو حاول التخلص من سيطرتها ، ورغم كل

(١-٢) الدكتور زقزوق : الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص/ ٢١ .
(٣) العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية ص/ ١١٥-١١٩ .ط. دار المعارف .
(٤) عبد العزيز القاري المستشرقون في الميزان . ص/ ٢٧٢ ط. المدينة المنورة .

هذا فان الكنيسة عجزت عن ايقاف التيار فاضطرت الى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى فبدأت بالاهتمام بدراسة اللغات الشرقية، وفي مقدمتها اللغة العربية(١).

فكانت طلائع المستشرقين من القسس و الرهبان، فانكبوا على دراسة اللغة العربية، وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم، الطبقة المتعلمة في أوربا ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها.

وأنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويجادلون البروتستانت.

ورحل أول فريق من الرهبان الى المغرب للغاية نفسها، ورحل آخرون الى المشرق، وأمر الفاتيكان بادخال اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى، في مدارس الأديرة والكاتدرائيات، و عمل على إنشاء كراسي لهذه اللغات في الجامعات في أسبانيا وفرنسا و ايطاليا، و أصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية، مستعين بعدد من علماء اللاهوت و بعدد من المستشرقين، ممن أجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسها في تلك المدارس، ولتولي تلك الكراسي في الجامعات(٢).

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس في أوائل القرن الرابع عشر بانشاء كراسي للغات العربية و العبرية و الكلدانية في عدد من الجامعات الرئيسية في أوربا، وهي جامعة باريس وأكسفورد، و بولونيا وجامعة الفاتيكان نفسه، مع تنصيب استاذين لكل من هذه اللغات في كل كرسي و تكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكلدانية للرد على منتقدي الدين المسيحي(٣).

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين اذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، و من بين من تبني هذا الرأي الذي فرض نفسه بالتدريج "روجر بيون" و "رانمو ندلل" وقد صادق مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م على أفكار "بيكون ولل" بشأن تعلم اللغات الاسلامية و اللغة العربية على وجه الخصوص، و قد تم تنفيذ ذلك في جامعات باريس وأكسفورد وسلمنكا(٤).

و قد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية في نهاية العصر الوسيط تلك

---

(١) المصدر السابق ص/ ٢٧ـ ٢٧٥. (٢) أنظر المصدر السابق ص/ ٢٧٥ـ ٢٧٦.
(٣) نجيب العقيقي المستشرقون ج/ ١ـ ص/ ١٢٤ ط. دار المعارف.
(٤) الدكتور محمود حمدي زقزوق. الاسلام و الاستشراق ص/ ٧٥ ط. المعرفة، جدة.

الصلات السياسية و الدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت رقعتها حينذاك وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا و ايطاليا مع كل من تركيا و سوريا ومصر، أثر كبير في دفع حركة الدراسات الاستشراقية(١).

وفي القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الانسانية في عصر النهضة الأوربية الى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير (٢) و لذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير "الغزو الفكري" ويعود الى أسباب دينية فبعد عهد الاصلاح الديني شعر الأوربيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة الى اعادة النظر في شروح كتبهم فاتجهوا الى الدراسات العربية و الاسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل الى أيديهم من المؤلفات الاسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية و السياسية الى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أهدافهم(٣).

وقد كثر المستشرقون في أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسي للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغة اعرابية "ولا نقول: سامية" فان تعلم العربية كان سهلاً عليهم ثم إن اليهود في الأصل شرقيون فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية و على ادراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعداً لغير اليهود و كذلك كان اليهود الذين يسكنون في الغرب يعرفون الحاجات السياسية و العلمية التي كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمي اليها أكثر من غيرهم لجمعهم في الأصل بين الذهن الشرقي و المسكن الغريب(٤).

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي محاولة إضعاف الاسلام و التشكيك في قيمه باثبات فضل اليهودية على الاسلام(٥).

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية(٦).

---

(١) المرجع السابق ص/٧٥. (٢) المصدر السابق ص/٧٥.

(٣) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ص/٤٦٩ـ٤٧٠.

(٤) الدكتور عمر فروخ: الاستشراق في نطاق العلم و في نطاق السياسة ص/١٢٢ـ١٢٤.

(٥) الدكتور محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث، ص/٥٤٣ ملاحق ط. دار الفكر بيروت.

(٦) الدكتور محمود حمدي زقزوق، الاستشراق و الخلفية الفكرية، ص/٤٩.

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم. ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين، وبذلك.. كسبوا أمرتين:

= كسبوا أولاً: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

= وكسبوا ثانياً: تحقيق أهدافهم في النيل من الاسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى(١).

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للاسلام والمسلمين وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الاسلام والمسلمين فدخلوا في هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم كما وجدوا في الصهيونية باباً آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين(٢).

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودي في عدة شبهات:

أولاً: القول بأن المسلم معناه في الأصل الخائن.

ثانياً: الادعاء بأن النبي عليه الصلاة والسلام كانت تنتابه النوب العصبية، ودليل ذلك، ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحي مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف في تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

ثالثاً: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من القصص واقتبس بعض أساليب التعبير التي لم تكن معروفة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفخ في الصور، وفي آذانهم وقر، وهو ادعاء مسبوق ردده مشركو مكة الذين قالوا: "انما يعلمه بشر"، وقد بكتهم القرآن فقال: ﴿لِسَانُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(٣).

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٤).

رابعاً: الادعاء بأن محمداً ﷺ ما كان رسولاً ولا نبياً فزعم للعرب في تجسس الأخبار والاسراع بنقلها بطرق لم يوافق أحد من المتحضرين حتى اليوم الى كشف سرها.

خامساً: ان محمداً ﷺ كان صادق الفراسة، نفاذاً للرجال اذا لقي أحدهم انكشف له سره

(١-٢) المصدر السابق ص/٥٠ بتصرف.

(٣) سورة النحل، الآية/١٠٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية/٤٨.

سادساً: ماكان من بلاغ النبي ﷺ، ورسالته لم يكن وحياً يوحي وإنما هي أنباء وروايات يجندلها جواسيسه ورجاله أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.
سابعاً: تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها طمعاً في ثروتها، وهي أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد في الدنيا، وانه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه بل جعله لعامة المسلمين بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة».
ثامناً: الزعم أنه انشأ جمعية سرية واختار أبا بكر الصديق رضي الله عنه رئيساً لها، فجعل يروج لها و يتفاني في نشرها فكانوا يجتمعون في بيت الأرقم وأنهم كانوا يجتمعون سراً للصلاة وقد حاول المستشرق "مرجليوث" تشبيههم بالماسون وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزاً منها: السلام عليك.
تاسعاً: الزعم بأن النبي ﷺ نظر في تعاليم النصارى و اليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل، وانه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحداً
ولا ريب ان هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة أن التوحيد هو دين جميع رسل الله و أنبيائه، وأن النصرانية واليهودية حرفتا هذه العقيدة(١).
على هذا النحو حاول الاستشراق اليهودي تصوير الاسلام و رسالته و نبيه ﷺ، وهو ما أورده "مرجليوث" في كتابه: محمد وظهور الاسلام(٢).
وقد تابع "مرجليوث" على نفس الطريق في الاستشراق اليهودي "جولدسيهر" و يعد جولدسيهر من أكبر الناقمين على الاسلام و يعد كتابه "العقيدة والشريعة في الاسلام" مثلاً لهذا التشويه الذي حاول به تمزيق الحقائق الاسلامية، و الذي يمثل تزوير أفادحاً و تحريفاً خطير ألسعة الاسلام(٣).
و يضيف "جولدسيهر" الى مفهوم الاستشراق اليهودي عدة شبهات:
أولاً: القول ببشرية القرآن أي أنه ليس وحياً و أن القرآن لم يأخذ خطا واحدا في التعبير عن مدلول القضايا التي ساقها و أن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية.
ثانياً: ان الاسلام كان مزيجاً منتخباً من الفكر اليهودي والمسيحي.
ثالثاً: استقبال الرسول لبيت المقدس والصلاة كان استرضاء لليهود.
رابعاً: أن قصة ابراهيم في القرآن مفتعلة، و انها نزلت في المدينة ارضاء لليهود

(١) الأستاذ أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب ص/٢١١-٢١٢، ط. دار الاعتصام.
(٢-٣) المصدر السابق ص/٢١٢ - ٢١٤.

والواقع أن القرآن تحدث عن ابراهيم عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن المكي وأهمها سورة ابراهيم.

خامساً: الفقه الاسلامي مأخوذ من الفقه الروماني.

سادساً: ان الاسلام قام على السيف.

سابعاً: الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامناً: الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع.

تاسعاً: انكار عالمية الرسالة(١).

ولا ريب ان هذه الشبهات ليست جديدة، وقد كشف كتاب المسلمين فسادها وزيفها.

اذا كان الأمر ـ كما عرفنا ـ من بداية الحركة الاستشراقية، فاننا نرى أن الحركة الاستشراقية انتقلت الى مرحلة أخرى، توجهت فيها الى دراسة الاسلام، وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار الزاحف في ذلك الوقت(٢).

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصير العمر انصرفت همم المستشرقين وعلماء الغرب الى الغزو الفكري(٣) والتبشيري أو تحويل المسلمين عن الاسلام.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هي الحرب الحقيقية، والغزوة الشرسة التي لا تهدف إلا الى هدم المنشآت وتمزيق الجيوش، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا الى أن يرفعوا سلاحاً (٤).

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الاسلامية، واحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشري (٥) والاخاء الانساني، وما الى ذلك من مسميات، ويرى كثيرون أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين، هما: الاستعمار والتبشير، وأنه ما زال

---

(١) المصدر السابق ص/٢١٤.

(٢) د. عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامي، عدد/٢٢٢ ص/٢٤٢ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ (الهند).

(٣) د. حسن ضياء الدين: الاستشراق مجلة كلية الشريعة، ص/٢٦ العدد الخامس مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

(٤) الدكتور عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامي، ص/١٤٢ عدد/ ٢ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(٥) دكتور علي جريشه ومحمد شريف: أساليب الغزو ص/٢٠ ط. دار الاعتصام.

يعمل من أجل هذا الغرض الذي ولد من أجله وانه غير أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة(١).

أما الاستعمار فهو يرى أن المد الاسلامي السليم من شأنه أن يعطي المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره.

وأما التبشير فانه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره، وقد أضيف الى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التي تهدف من سيطرتها على الاستشراق، الحيلولة دون تجميع المسلمين والعرب في وحدة تقاوم الصهيونية(٢).

ولقد كان الارتباط الجذري بين التبشير والاستشراق أخذا وعطاءً قوياً، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة، وهي العقلية الشعبية.

واستخدم الاستشراق: الكتاب، والمقال في المجلات العلمية، وكرس التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة. أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والاناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجئ للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر والطباعة والصحافة(٣).

«يتبع»

---

(١) الأستاذ أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب، ص/٢٦٥ـ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص/٢٦٦.

(٣) الدكتور/ محمد البهي المبشرون والمستشرقون، ص/٢٦١.

«اهتمامات إسلامية»

دكتور محمد بن سعد الشويعر

جاء في الأثر الموجه للفرد والجماعة بأهمية الترابط الإسلامي: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» وحثت تعاليم الإسلام على الشعور بالاخوة، وتمكين المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي كما في الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».. وهذه المحبة مستمدة من محبة هذا الدين والاهتمام به، ومن محبة من جاء به لينقذ البشرية، وهو محمد ﷺ، آخر الأنبياء وأفضلهم.

وإذا كان المسلمون يشعرون بهذه الأهمية في العصور الأولى من تاريخ هذه الأمة، فان أعداء دين الإسلام الذين اندسوا بينهم: نفاقاً ورياء.. قد حاولوا بث الفرقة في الصف الإسلامي، وإفساد العقيدة حيث نشأت الطوائف والفرق، وحيث زين المغرضون لضعاف النفوس، وضعاف الإيمان، وقليلي الفهم لعمق ما تعنيه شعائر الإسلام من مدلول للوحدة، ونبذ للفرقة، وفي مقدمتها الركن الأول من أركان الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله..

وفي مقدمة من اندس ليفسد الإسلام من داخله: عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ منافقاً: يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، حتى إذا وجد الفرصة في عهد عثمان رضي الله عنه، ألب بعض المسلمين الجدد، فكانت أول فتنة في تاريخ الإسلام نتج عنها قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخروج أول فرقه، تتسمى باسم الإسلام، وتبث شبهات ضد الإسلام هي الفرقة السبأية، وانتشرت بعدها الفرق والخوارج، فكانت من السنة السيئة المحدثة في السجل التاريخي الإسلامي، كما أخبر ﷺ بقوله: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وفي الوقت الذي نتصفح الاعلام المهتم بأخبار العالم الإسلامي، والأقليات المسلمة، نجد جهوداً ومؤتمرات تتوالى في التعريف والتقصي عن أحوال المسلمين، وخاصة الأقليات في العالم. ولعل هذا من السنة الحسنة إن شاء الله، حيث يجب أن يتبع ذلك اهتمام بتوجيههم، وتعريفهم بأمور الإسلام، والحرص على أداء شعائره، وفهم ما تعنيه تلك الشعائر، من عمق في الدلالة، ورغبة في تقويم النفوس، حتى يكون للأقليات المسلمة في بلاد الله الواسعة، دور في التأثير، ونقل صورة الإسلام المشرفة، بأعمال بارزة في النظافة، وحسن السلوك، وأدب التعامل، أخلاقاً وأمانة، ومحافظة على الشعائر التي تدعو لاحترام أنظمة البلد المقيم فيه المسلم وغير هذا في أعمال هي من تربية الإسلام، وأوامره التي يجب أن يتعبد المرء بها خالقه جل وعلا..

لقد اكتشف معهد شئون الأقليات الإسلامية، الذي مضى على إنشائه عشر سنوات، أن الأقليات المسلمة تشكل ٥٠٪ من مجموع الأمة الإسلامية، وإذا كان للمسلمين اليوم ٤٥ دولة مستقلة، فان الأقليات المسلمة تتواجد، ويتزايد عددها باستمرار في ٤٩ دولة أخرى، هذا باستثناء المجموعات القليلة التي تعيش في بقية أنحاء العالم، إذ لا يكاد المرء يزور جزيرة مهما نأت، أو بلداً مما خفي على كثير من المسلمين مكانه، إلا وفيه تواجد إسلامي.

ولعل هذا من الدوافع لكثير من الهيئات، والأفراد المهتمين بالأمور الإسلامية، إلى تاليف بعض الكتب، وإجراء بعض الدراسات، ثم إقامة المؤتمرات لدراسة هذه الآثار، وإبراز ما يجب حيالها من اهتمامات، آخر ما وصل إلى علمي من أخبار عنها مؤتمر الأقليات المسلمة الذي عقد في نيويورك لمدة ثلاثة أيام بدء بيوم الثلاثاء ٢٤/ربيع الأول ١٤١٠هـ. وقد استعرض الحاضرون معظم الأقليات في القارات الخمس، وأحوالها، وهي تستقي أهميتها من أهمية الإسلام أولاً، ومكانة الأقليات في كل مكان ثانياً، وضرورة عمل شئ من أجلهم يربطهم باخوانهم ثالثاً.

ولا شك أن بساطة الإسلام، ومخاطبته العقل في كل شئ، حيث لا تتعارض تعاليمه مع مفهوم العقل السليم، ثم اهتمامه بالاخوة بين الناس، وتوفير التكافل بينهم، وتسامح شريعته، مما يلفت نظر المهتمين بدراسة هذا الدين، حيث ظهر بالمقارنة أن: ٧٠٪ المنتمين للمسيحية، والراغبين فيها مجددا أهم في سن المراهقة ما بين ١٤-١٦ سنة.

<• بينما الداخلين في الإسلام تتراوح أعمارهم ما بين ٢٩ - ٢٢ سنة.

والفرق بين الحالين، أن الأولى لاثبوت فيها لأنها تمثل المراهقة الفكرية، وعدم الاستقرار الوجداني، حيث بان ذلك من رأي باحث أجرى مقارنة على عينات من الداخلين في الإسلام في أميركا، والمتحولين إلى النصرانية في احدى دول شرق آسيا، وقد أرجع الأسباب إلى خمس نقاط من خصائص هذا الدين، ذكرها له المهتدون وهي:

<• بساطة الإسلام، ومخاطبته للعقل، ومسايرته للمنطق، وتركيزه على الاخوة بين الناس، واهتمامه بالحياة الدنيا، إلى جانب الآخرة، وعدم وجود رجال دين أو كهنوت فيه...

هذه الأسباب وغيرها دعت هؤلآء لاعتناق الإسلام، والانجذاب إليه، والقناعة به ديناً، يخاطب الوجدان، وتطمئن إليه الأفئدة.

كانت هذه الآراء تمثل بحثاً علمياً، لينال به صاحبه رسالة الدكتوراه من إحدى الجامعات الأمريكية، وقد سئل عن آرائه هذه لكي يحدد الفرق بين المهتدين حديثاً للإسلام وبين المهتدين في عصور الإسلام المزدهرة، حسبما بان له من الشريحة التي أجرى عليها دراسته، قال: الفرق كبير حيث إن المحدثين دخلوا الإسلام من خلال عملية تغيير ذاتية داخلية، من غير أي تأثير خارجي، بينما فعل الأوائل ذلك بتأثير من المؤسسات في ذلك العهد، كالحكم والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي وغيرها، ولعل هذا مما يعطي قناعة بأن هذه الدراسة تنبئ عن دور الإسلام في عصر التقدم العلمي، والانفتاحات التكنولوجية والمخبرية الدقيقة، إلى النفاذ لأذهان متذبذبة لاقناعها، وأفئدة خالية من الإيمان لتعبئتها، فبالرغم من أن الإسلام كان أصغر الأديان في نظر بعض الباحثين الغربيين، وأقلها أتباعاً، إلا أنه نفذ إلى الحضارة المادية الغربية، فاحتل مكاناً بارزاً في عقول الناظرين إليها كرمز للتفوق العلمي لفئة من البشر دون فئة أخرى، وأقنع المهتمين بالميدان العلمي لأهمية الاطمئنان الوجداني بالدين، وملء القلوب بعقيدة الإيمان، التي هي خير موجه للمسيرة، وأكبر طاقة تعين على القناعة الفكرية، والاطمئنان على النتائج العلمية، كجهد بشري يجب المحافظة عليه.

ولئن كانت الحضارة الحديثة قد واجهت تحديات من الأفكار المختلفة، التي تريد توجيهها إلى المسار الذي تريد، لمصالح ومقاصد يريدها المؤسسون لتلك الأنظمة: كالماركسية والرأسمالية وغيرهما، فان الإسلام الذي دخلت مقاصد شريعته المعترك مؤخراً، استطاع أبناؤه المدركون لعمق وحقيقة تلك المقاصد، أن يرسموا منهجاً في الابانة أثبت قدرة على تجلية أضرار المادية العلمانية، وأن اهتمام كثير من الأمم بها، لم يزدها إلا خواءً فكرياً، ومشكلات اجتماعية ونفسية وخلقية عديدة، تتفاقم مع الايام، وتزداد مع الانغماس في متاهات تلك الأفكار والمبادئ، حيث لم تستبن المعالم التي يمكن اعتبارها مدافئ للنفس، ومهدئة للوجدان الروحاني..

فكانت مواجهة الإسلام لتلك الأمور خير معين للحضارة الغربية، بالتماس طرق النجاة، كما قال بذلك المسلم الفرنسي جارودي، بعد أن فهم حقيقة الإسلام ودرسها بعد إسلامه، وقارنها بالأفكار والمقاصد للمبادئ التي تنقل فيها طوال حياته فقال: إن المنقذ للحضارة الغربية من هاوية الإنهيار، يجده المفكرون الغربيون لو اتجهوا إليه في الإسلام، وما تنطوي عليه شريعته الشاملة وأفقه الواسع.

إن المفكرين في ديار الإسلام تنساب بين ظهرانيهم ينابيع من القوة الإيمانية، والاحتواء الفكري والعلمي، والراحة النفسية والعقدية، ضمن مبادئ دينهم، يجب عليهم أن يدركوها ويعملوا على نشرها في العالم، لتعبئ فراغاً في الأفئدة، وتحقق نتائج يتطلع إليها العالم بأسره، ونكوصهم عنها واستشرافهم لما عند الآخرين، يمثل جهد التاجر الذي يبيع بضاعته بخسارة فادحة، مع جودة السوق، وحرص الناس في التسابق على نوعية البضاعة.

المجادلة الحسنة:

المناظرة مع الآخرين في أي موضوع مظهر من المظاهر العلمية، ودليل على الخلاف في وجهة النظر إلا أن في ذلك ما هو محمود يعطي نتائج، وغير محمود بما يتركه من آثار، ومنهج ديننا الحنيف الدعوة إلى الرفق واللين في المجادلة، وخاصة مع أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، لما يتركه الرفق من آثار، ولما يغلق من أبواب تنفتح نتيجة التعصب، وبغض الانهزام والغلبة.

ولعلماء المسلمين مناظرات كثيرة مع أهل الكتاب، منها ما حقق نتائج واستجاب

بموجبها من رق قلبه ، وأراد الله هدايته ، ومنها ما ترك آثاراً انعكاسية ، وحرك العداوات وكوامن النفوس ، وأكثر ما الف في الرد على النصارى ، وبين ما في دينهم من مداخل ، كان نتيجة لحوار فكري ، وصراع في النقاش والمحاورة ، وما أكثر ما نجد في زوايا المكتبة العربية والإسلامية ما طبع وما لم يطبع من ذلك ، وبالمثل نجد عند أولآئك نماذج وردوداً ، نتيجة لما يتفاعل في نفوسهم ، ولكنه يطرح من جانب ما يريدون إلصاقه بالإسلام من تراجع أمامهم ، ونموذج ذلك قصة الجندي المسلم الذي أسره الروم في عهد عمر بن الخطاب ، ورفض الاستجابة لرئيسهم ولو بتقبيل رأسه ليطلقه ، وتحمل التهديد من أجل دينه ، فان هذه القصة جاءت في مصادرهم ، بغير ما جاءت به المصادر الإسلامية.

كما جاء في كتاب تركستان تأليف ڤاسيلي ڤلاديمير ، ترجمه صلاح الدين عثمان نقلاً عن الجوزجاني أن كويوك قد ناصب الإسلام ، وأصدر قراراً بخصى جميع المسلمين وجبهم ، وعاقب الله كاتبه الذي كان يحمل القرار بأن هاجمه كلب شرس فمزقه شر ممزق فخاف ، كويوك ، لكن النصارى أغروه بأن يدعو إماماً معروفاً من المسلمين اسمه : نور الدين الخوارزمي للمناظرة . . ولما أفحمهم الخوارزمي بالحجة القاطعة في مناظرة ذكرها المؤلف . . أوقفوا هذه المناظرة ، وطلبوا من كويوك أن يأمر هذا الإمام باقامة شعائر الصلاة جماعة ، فدعا الخوارزمي أحدا لمسلمين ليصلي معه ، وشرعا في الصلاة ، لكن النصارى جهدوا بكافة الوسائل في إعاقة صلاتهما وافسادها ، فانهالوا عليهما ضرباً عند السجود ، ودقوا رأسيها بالأرض ، ولكنهما لم يقطعا صلاتها ، بل استمرا فيها ، وبعد أن سلما انصرفا بهدوء ، لكن الله جل وعلا انتقم من الفاعل ، كما حصل من قبل لحامل الكتاب الجائر بالنسبة للمسلمين ، إذ في نفس الليلة هلك كويوك جزاء ما جنت يداه في حق الإمام الخوارزمي وصاحبه ، وفي اليوم التالي اعتذر أولاد كويوك للإمام الخوارزمي على ما حصل ، وجهدوا في ترضيته والوعد بعدم إيذاء المسلمين.

إنها جنود خفية يسوقها الله جل وعلا لحماية جنوده في الحق ، وعباده المخلصين ، ووعد صادق منه جل وعلا بالنصر والتأييد ، كما قال سبحانه : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (غافر ، الآية : ٥١) ذلك أن النية الصالحة ، والصدق مع الله السر والعلن ، من أسباب التوفيق ، وإعانة الله وتأييده.

كلوا واشربوا ولا تسرفوا

دكتور توفيق محمد شاهين

الطعام من ضروريات الحياة ومتعها في نفس الوقت، والانسان يأكل ليعيش، وعدم الدقة في تنظيم الأكل والشراب، وعدم رعاية مقاديرها الكافية يؤدي إلى خطرين:

• خطر الهزال والسقم والضعف في الذهن، وكلال الفكر.

• وخطر السمنة والبدانة التي هي مشكلة العصر الحديث، والتقدم التقنى والتكنولوجي.

وكلا الخطرين شر وبيل يؤدي إلى أمراض فتاكة، مثل: السل والارهاق والتعب المزمن، وعدم القدرة على التركيز والدقة والسرعة في الفهم والتعلم، والنظرة التشاؤمية في الحياة، كما تؤدي السمنة إلى الذبحة الصدرية، والأمراض المزمنة، والنفسية المزقة، وعدم اللياقة البدنية، والتبرم من نظرات الآخرين، واشفاق الأهل والمحبين.

وكل هذا البلاء نابع من أمرين: الشراهة في الأكل والشراب بمقادير زائدة نسرف فيها، أو الحرمان أو البخل والتقتير.. وخير الأمور الوسط: فلا إفراط ولا تفريط وحرمان.

وفي العصر الذي نعيشه نرى في وسائل الاعلام الموت البطئ والسريع لأناس لا يجدون القوت، وآخرين يمرضون من التخمة والسمنة المفرطة، فيسعون سراعاً أو في بطء نحو حتفهم أو تنغيص حياتهم حتى الموت البطئ.

كما نشاهد في وسائل الاعلام التفنن الزائد في اعداد الطعام وتنوع أصنافه ووجباته، وحفظه وتعليبه وإعداده، بما يغرى الأكول، ويؤلم المحروم، ويزيد من حسرة المعوز والبائس.

كما تنوعت الأدوية الفاتحة للشهية ، أو المعدة للرجيم ، لعلاج ظاهرة السمنة ، وكثرت المعاهد المتخصصة في ذلك ، والمتخصصون بما يعالج هذه الظواهر ، وقد يفيد وقد لا يفيد .

وإذا شئنا أن نحيا حياة طيبة ، فيها الصحة والسعادة ، والرحمة والمودة ، والألفة والمحبة ، والهدوء والاطمئنان ، فعلينا باتباع النظم الإسلامية في الطعام والشراب ، والقواعد التي قعدها لذلك . فنسلك سبيل الرشد الانساني ، ونتجنب عوامل الانحراف والشطط ، وتسير رحلتنا في الحياة بأمن وأمان ، ولو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا شقي ، ولا جاهل ولا محروم ، ولنعي جيداً : أن المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء .

وللانسان في هذه الحياة : ألا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، (أي لا يصيبه حر الشمس) ولا يضره برد الدنيا ، وللغني التمتع بطيبات الحياة من غير سرف ولا مخيلة ولا سفه .

وهذا شأن الإسلام في كل شيء (لا ضرر ولا ضرار) : فجعل للفقير حقاً معلوماً في أموال الأغنياء ، والقادرين والخيرين ، وأباح الطيبات في شكل متوازن سوى معتدل :

لنستمع في حفوة إلى وحى السماء إلى رسولنا الكريم : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف ، الآية : ٣٢) .

وبذلك يحصل الانسان على حاجته الأساسية والضرورية ، ويتمتع بطيبات ما أحل الله له ، فتكمل له متعة ولياقته البدنية والذهنية ، وقدرته على العمل ، والحفاظ على الصحة ، وأداء رسالته في الحياة ، فلا يكون نهماً أكولا لا يشبع كأنه يأكل في سبعة أمعاء . . ولا يكون بائساً محروماً ، ولا يكون بخيلاً شحيحاً ، يجمع لغيره ، ويكنز لورثته ، ولا يدري ما هم صانعون بما ترك لهم ، ولم يقدم شيئاً يلقاه أمامه .

وعلى الانسان أن يتحرى الحلال الطيب لمأكله ومشربه ، وإنفاقه ، حتى يؤدي شكر النعمة للمنعم ، ويستمتع بما صنع لنفسه وغيره ، يقول الله تعالى : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ولا تطغوا فيه ، فيحل عليكم غضبي ، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (سورة طه ، الآية : ٨١) .

ويقول سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن

تغمضوا فيه . واعلموا: أن الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً . والله واسع عليم . يؤتي الحكمة من يشاء . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً . وما يذكر إلا أولو الألباب» (البقرة الآية: ٢٦٧-٢٦٩).

وما ملأ ابن آدم شر من بطنه . ولكن الأكل والشرب ضرورة . وهو آكل لا محالة ليعيش . فعلينا إذن بهدى نبينا : ثلث المعدة لطعامه . وثلثها لشرابه . وثلثها الأخير لتنفسه الهواء .. لمن شاء أن يحيا صحيحاً سوياً .

وللمشاركة في الطعام والاجتماع عليه فضل وبركة . وتآلف ومحبة . وتعارف وصفاء ومودة . يقول الرسول ﷺ : « طعام الواحد يكفي الاثنين . وطعام الاثنين يكفي الأربعة . وطعام الأربعة يكفي الثمانية » رواه مسلم عن جابر . وروى عن عمر بن الخطاب حديث الرسول الأكرم : « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » ولنحذر من إدخال الطعام على الطعام فانه مجلبة السقام .

وروى أن أصحاب النبي ﷺ . قالوا له يوماً : يا رسول الله . إنا نأكل ولا نشبع . قال : « لعلكم تفترقون » قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم . واذكروا اسم الله عليه . يبارك لكم فيه » سنن أبي داؤد عن وحشى بن حرب . عن أبيه عن جده .

والحمدلله . والدعاء بعد الدعاء . أبسط مظاهر شكر النعمة . فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما . عن النبي ﷺ أنه قال : « من أطعمه الله الطعام فليقل : أللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه . ومن سقاه الله لبنا . فليقل : أللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » [الترمذي وأبوداؤد].

إن التقتير في الطعام خطر كبير . والافراط في الطعام ضرر بليغ . . .ومرجع الأول البخل الذي لا دواء له . ومرجع الثاني : رد فعل لعوامل نفسية . أو ضعف إرادة . أو تخاذل عن كبح الشهية . واتباع النفس لهواها . وعدم استقبال النعمة في الطعام بالبسملة . والدعاء عند الشبع بحمد الله وشكره .

رزقنا الله العلم النافع . والقناعة الوافية . وكرم النفس والخلق والمال . والعمل الصالح والاقتداء بالتي هي أحسن .

« العلاقة بين الحضارة والديانة »

دكتور أختر سعيد الصديقي
أستاذ في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة كراتشي - باكستان

الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الحضارة تتوقف على القضايا الأربع الآتية:
الأولى: ما هو تصور الحضارة نحو الحياة؟ والمنزلة التي تضع الانسان فيها؟ وما قيمة الدنيا في نظرها؟ وما علاقة الانسان بهذه الدنيا؟ وإذا كان له أن ينتفع بهذه الحياة فعلى أي وجه؟

وهذا التصور للحياة على درجة كبيرة من الأهمية وله تأثير بالغ في كل أعمال الانسان وبتغيير هذا التصور تتبدل نوعية الحضارة رأساً على عقب.
الثانية: ما هي غاية الحياة؟ ما غاية الانسان في هذه الدنيا؟ لأي غرض كل هذا النضال والصراع وهذا الجهد والكدح والتعب؟ ما هو الشئ المنشود الذي يطمح إليه الانسان ببصره؟ ما الهدف الذي على الانسان أن لا يغفل عنه في لحظات حياته؟
وهذا السؤال عن غاية الحياة هو الذي يعين وجهة حياة الانسان العملية وسيرها وعلى ضوئها يسلك الانسان ما يسلك في حياته من طرق للعمل ووسائل للتوفيق والنجاح.
الثالثة: ما هي الأفكار والعقائد الأساسية التي تؤسس عليها سيرة الانسان وسلوكه في هذه الدنيا؟ وما القالب الذي تفرغ فيه عقلية الانسان؟ وما هي الآراء والمشاعر والأحاسيس التي تلقاها في روحه ورسخها في ذهنه؟ وما هي الحوافز والعوامل التي تحويها لحض الانسان على اختيار لون مخصوص في حياته العملية تابع لقواه الفكرية.

والروح الذي يحرك جوارح الانسان إنما يفيض من قلبه وذهنه. فالحقيقة أن قواها العملية لا تتحرك إلا منفعلة بالعقيدة أو الفكرة الأساسية المستولية على قلبه وذهنه، ولا تنشأ فيه العواطف والنزوات والأحاسيس والدواعي إلا وفقاً للقالب المفرغ فيه ذهنه ولا تعمل أعضاؤه وجوارحه إلا تبعاً لهذه العواطف والنزوات والأحاسيس والدواعي ونزولاً على حكمها.

الرابعة : وعلى أي أساس تقيم هذه الحضارة علاقة الانسان بالانسان في مختلف مواقعه في الحياة ؟ وعلى أي نحو (قد) تؤسس علاقاته بأسرته وجيرانه وأصدقائه وزملائه في العمل ومواطنيه وبمن هم أرفع منه في الدرجة أو أدنى وبالسائرين على نهج هذه الحضارة أو المخالفين لها (وغير الملتزمين بها) ؟ وماذا ضمنت له هذه الحضارة من حقوق وما ألقيت عليه من واجبات ؟ وما مقدار ما منحته من حرية وما مدى ما فرضت عليه من قيود.

وهذا كله متضمن بطبيعة الحال لكل ما يتعلق بالأخلاق والإجتماع والقانون والسياسة والعلاقات الدولية من المشاكل والقضايا . على أي أسلوب تنظم هذه الحضارة شئون الأسرة والمجتمع والحكومة.

نأتي بعد هذا في بيان تمايز الحضارات باعتبار أصل المنشأ - تنقسم الحضارات من حيث فكرتها الأساسية إلى قسمين رئيسيين:

١ - الحضارات المادية أو الحضارات الحسية.

٢ - الحضارات الدينية.

الحضارات المادية أو الدينوية هي التي تخلو من أي صلة أو علاقة بالدين فلا وجود فيها لإله أو لآلهة أو رسل أو كتب سماوية . وليس فيها تعليم يقيم سيرة الانسان على أساس من الروحانية والاخلاق وإنما هي أمور دنيوية محضة وهذه الحضارات تنشئ في أذهان الناس (تصور الحياة) تصوراً مادياً محضاً للحياة ، وهي بالتالي لا تقدم أمام الانسان في حركته وجهده وسعيه غاية إلا حصول التفوق لذاته أو لقومه . والناس هم الذين يسننون لهذه الحضارات قوانينها ونظمها ويمجدونها ويحاولون حصر الرقي في الطرق والوسائل المادية المكتسبة بالحواس والعقل ولا دخل في ذلك لوحي أو دين.

والحضارات المادية تضع بناءها على العلوم والعقائد التي تخرج إلى حيز الوجود باختراع ذهن الانسان أو بإدراك حواسه دون هداية وتوجيه من خالقه . لسنا نبحث الآن عن درجة هذه العلوم والعقائد ومعيار الحق ولكن من وجهة النظر العمراني فقط نستطيع القول أن في أساسها عيوباً غير محصورة ونقائص غير معدودة ومن الواضح أن البنيان لا يكون محكماً قوياً إذا قام على أساس ضعيف.

ونذكر فيما يلي أهم العيوب الأساسية في هذه الحضارات:

أ - هذه الحضارات لا تقوى على الحياة طويلاً لأنها ليس فيها الاستعداد للتوسع إلا

قليلا ونظام هذه الحضارة كالزئبق فانها بدلاً من أن تسير في خط مستقيم نراها تتأرجح وتتذبذب بين الصعود والهبوط وبين الارتقاء الانحطاط. ونتيجة ذلك أن تموت الحضارة ويزول أثرها — وذلك يرجع إلى أن منهاج الفكر الذي تؤسس عليه الحضارات مأخوذ من المفكرين والحكماء والخبراء والزعماء الذين يستولون بسبب من الأسباب المختلفة على عقلية مجتمع، ويعتمد الناس على خبرتهم ومهارتهم في مختلف شعب الحياة وليس من الضروري فيه أن نجد وحدة الفكر بينهم وذلك لأن عددهم فوق الحصر وكل منهم مختلف عن غيره في طريق فكره. لكل منهم طريق خاص للفكر وزاوية مختلفة للنظر. ويتركب من هذه العناصر مالا يحصى من الخلافات الشديدة التي تزلزل بنيانها، ومن الطبيعي أيضاً أن أي مجتمع لا يظل متأثراً في كل ادواره وعصوره بأفكار أولآئك الحكماء والمفكرين وتتغير أثرهم مع تغير الأدوار والعصور فهذا التغير التي يقع فيها مرة بعد مرة يتبدل به شكل الحضارة ونوعيتها رأساً على عقب.

الثاني : لاتكون هذه الحضارات على جانب من القداسة عند الناس لأنها تخلو عن أمور دينية ولا تكون كلها إلا نتيجة للاجتهاد الانساني. فهذا الاحساس بأن نظام الحضارة والمدنية كلها وتصوراتها الأساسية جميعها حاصلة من اختراع الذهن الانساني يوقع في قلوب الناس ارتياباً وتذبذباً ويعلم الناس أن العناصر الأساسية لحضارتهم فيها إمكان للخطأ والنقص وأنها في حاجة إلى الاصلاح والتعديل. ثم إن التجارب العملية هي الأخرى التي لا تزال تثبت فيها شيئاً فشيئاً كثيراً من مكامن الضعف والنقص والخطأ. فالناس لا يتكيفون في اتباع هذه الحضارة بكيفية الإيمان والاخلاص واليقين وبذلك تحدث في المجتمع كله حالة الارتياب والتذبذب وهكذا فأي طريق من طرق الفكر أو أي مبدأ من مبادئ القانون لا نجد في وجهه مجالاً لسيطرته عليها أوليقيم نظاماً للمدنية على أساس قوي بالمعنى الصحيح.

الثالث : الحضارات المادية أو الحسية خالية من عنصر الدين والروح والخلق فأصحابها بتجردهم عن هذه العناصر لا تمضى بهم القافلة غير مدة يسيرة حتى ينفتح عليهم باب المفاسد الخلقية من كل نوع. وأن القانون ليس من وظيفته أن ينشئ الباعث الخلقي في قلوب الناس أو يقيم لهم ميزاناً خلقياً بالمعنى الصحيح، وليس فيه من القوة ما يستطيع أن يحافظ به على أخلاق الناس في حياتهم الشخصية والاجتماعية. لأن دائرة عمله وتأثيره وسلطته ضيقة محدودة. وفي تلك الحالة بصفة خاصة إذا كان الناس هم الذين يضعون القانون لأنفسهم فهم بالطبع يتمتعون

بالحرية التامة في تغييره وتحريفه أو في تضييق دائرته أو توسيعها على أنفسهم، ويزداد شعورهم بأن القيود الخلقية القديمة تضيق عليهم وإذا أحس عامة الناس بهذه القيود كذلك فان مارسوا ضغطاً يرغم القانون على التخفيف من وطأته عليهم فلا تلبث الأخلاق إلا وتتخلى عن قيودها شيئاً فشيئاً، وحينذاك لا بد أن يسرى في كل المجتمع إنحلال خلقي عام على وجه خطير جداً. وإن الانحلال الخلقي إذا ظهرت آثاره المهلكة في مجتمع لا يمكن وقف تياره بوفرة المال ولا بسطوة الحكومة ولا بقوة الوسائل المادية ولا بتدابير العلم والعقل. إنه الدودة التي تنخر بنيان عمارة الحضارة والمدنية حتى يتصدع من القواعد، ولتفصيل المفاسد ومعايبها لا حاجة إلى كلام كثير وبحث طويل. أفلا نشاهد اليوم أن موجات الفساد الخلقي والفحش والعرى أصبحت أمراً مالوفاً سائداً في الحضارات الأوربية المادية التي تعتبر أرقى الحضارات في نظر العالم.

الرابع: الحضارات المادية بتجردها عن أمور دينية لا تعرض أمام الانسان لسعيه وجهده إلا غاية مادية بحيث يجتهد كل واحد للتفوق والترفع على الآخر في الدنيا. وهذه الغاية للتفوق والترفع تخلق في قلوبهم طلباً للغلبة والسطوة السياسة على سائر من في الأرض بحسب الثروة وكثرة المال بصرف النظر عما إذا كانت هذه الرغبة تتحقق بفتح البلاد والسيطرة على وسائلها أو بالاستيلاء على أسواقها وصناعاتها وهذه الرغبة تقودهم إلى مسابقة في مظاهر التقدم العمراني في العلوم والآداب والفنون أو لابتغاء العظمة والأبهة في آثار المدنية والحضارة.

وهذه الغاية في ظاهر الأمر ليست مكروهة ولكن بنظر عميق في باطن الأمر يثبت أنها تحدث المسابقة والمنافسة والصراع بين أفراد المجتمع ولأجلها يجتهد كل فرد أن يتغلب على سائر أبناء مجتمعه ويفوقهم في الثروة والحكومة والسيادة والقوة والبطش ومظاهر الترف والنعم والدعة والرفاهية، ويحكم القبض على مفاتيح الرزق ويحتكر أكبر قدر ممكن من وسائل معيشتهم وموارد ثروتهم حتى تكون الرغبات والملذات والمنافع خالصة له ولا تكون الآلام والمضار والخسائر إلا لغيره، ولا تظهر نهاية لمثل هذا الطمع ولا حد يقف الفرد عنده. هكذا يتفشى في المجتمع كله اضطراب دائم وقلق عام، لا سكون فيها ولا قرار وهذه الكيفية عندما تحدث بين أبناء مجتمع فكل بيت من بيوته، وكل سوق من أسواقه، تنقلب إلى ميدان للصراع والاحتكاك ويتلاشى الأمن والسلام، والبهجة والسرور، والسعادة النفسية

والطمأنينة القلبية مهما تكدس لديه من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

وفوق هذا وذاك نقول إن التقدم المادي إذا لم يكن معه نصيب من الروحانية لا يستطيع أن يطمئن الانسان أو يجلب لنفسه السعادة والقناعة . لأن الحصول على اللذات الحسية ليس إلا غاية حيوانية بحتة.

ولو قيل إننا نختار هذه الغاية للمجتمع كله وليس للأفراد. ونقررها كغاية اجتماعية . وفي سبيل تحقيقها على كل فرد أن يتناسى غايته الشخصية ويجتهد لرفعة قومه ورقى مجتمعه . فهذه نزعة القومية التي آمنت بها بعض المجتمعات البشرية ودافعوا عنها بكل إخلاص وحماسة حتى إن كثيرا من الشعوب والأمم قد طاطأت رأسها أمام صنم القومية.

وهذا التصور يجذب النظر والقلب في ظاهر أمره وما هو في الحقيقة إلا خداعاً للعقول وإغراء للنظر وهذه النزعة هي التي تحدث بين الأمم الشقاء وهي الصاعقة التي تحرق ما لديها من أسباب الأمن والسلام كلها وتمزق كيان المجتمع الانساني كله . فكل أمة تسعى إلى تحقيق غاية التفوق والإستعلاء لنفسها وتبذل أقصى ما عندها من الجهود والقوى لبلوغها وتحقيقها . فتكون نتيجة ذلك أن هذه الأمم يقوم بينها صراع عنيف في مجالات السياسة والاقتصاد وتنشب فيها حروب دامية للتنافس والتزاحم حتى ليتعذر على الأفراد أن ينالوا شيئاً من الأمن والسلام والسعادة النفسية والطمأنينة القلبية وسط المشاكل والقلق والاضطراب . وهذا هو عين ما عليه الوضع في البلاد الغربية اليوم . فاننا نشاهد اليوم في «أوربا» أن نزعة القومية هي التي وصلت بأرقى حضارة في العالم إلى شفا حضرة من الشقاء . وأن الخوف من ظهور عواقبها أمر تقشعر منه جلود أهل الأرض اليوم . (من أقصاها إلى أقصاها).

أما الحضارات الدينية فتعتمد أسسها على الافكار والعقائد الدينية وهي تنهض بالانسان على أسس روحية وخلقية وتعترف بوجود إله أو آلهة تُضفي عليها صفات مخصوصة ثم تؤمنها . فهذه الحضارات أيضاً لا تخلو عن عيوب مهمة ونقائص مهلكة فأول عيب يظهر فيها بأن تكون الأفكار والعقائد التي تعتمد عليها الحضارة غير صالحة للتصديق والاذعان من الوجهة العقلية بأن تكون مشتملة على الأوهام والظنون أو كانت الأوهام أكثر من الحقائق والثوابت . فان أثرها على ذهن الانسان أن يكون خاضعاً لسلطان الجهل والغباوة والحماقة . وبتقدم الانسان في مدارج الارتقاء العقلي يتحطم طلسم الأوهام والخرافات الباطلة وتتزلزل أسس الحضارة وتتداعى شيئاً فشيئاً وبعد ذلك ينفصم عرى النظام الذي أقيمت على أساسه سيرة الأفراد في

حياتهم الشخصية والاجتماعية والروحية والخلقية. ويمكننا أن نمثل لذلك بتلك المعتقدات التي قدمتها ديانات الشرك عن آلهتها وأربابها ورسلها فالصفات التي وصفوهم بها والأفعال التي نسبوها إليهم والأساطير التي اخترعوها عنهم يأبى العقل السليم أن يصدقها.

والمجتمع الذي تسود فيه هذه الحضارة التي أقيمت أسسها على مثل هذه الأوهام والخرافات الباطلة لا يكون صالحاً أن ينال في الدنيا نوعاً من التقدم والرقي والكمال. فهذه الظنون والأوهام الباطلة تؤثر على الأذهان تأثيراً سيئاً بحيث يشل أحسن ما فيهم من قوى العمل والجد والنشاط فلا هو يحقق نوعاً من الارتقاء في معنوياته. ولا من الشدة والصلابة في عزائمه ولا من السعة في نظره. ولا من السلامة في ذهنه. ولا من الجرأة في قلبه. وذلك ما يسبب لها آخر الأمر الذل والهوان والخضوع والنكبة والمسكنة والتابعية في الدنيا.

وإذا انفتحت لمجتمع مثل هذا (لأسباب أخرى) سبل التقدم والرقي في الدنيا فانه على قدر ما يحرز من التقدم والرقي في ميادين العلم والعقل. يزول عن قلوب أهلها الاعتقاد بآلهتهم وأربابهم وهداتهم. ومع أنه في بداية الأمر يبذل أقصى جهوده للدفاع عن عقائده. رعاية لمصلحة نظامه الاجتماعي إلا أن تمرد العقل والعلم. على هذه العقائد يكون من الشدة حتى لا يبقى لها أي استيلاء ولا سلطان على أذهان أكثر أفراد المجتمع ـ وإنما هي طائفة قليلة منهم هي التي تترك لتبقي مؤمنة بهذه العقائد صدقاً وإخلاصاً أو حرفة وصناعة. أما بقية الأفراد فانها يستولى على أذهانهم عقائد أخرى وتحيط بهم آخر الأمر الحضارة المادية.

والعيب الثاني الذي يظهر في الحضارات الدينية أن الفكرة التي تؤسس عليها الحضارة كلها تكون مشتملة على أمور روحانية فقط. ولا تكون روحانيتها جديرة أن تخرج إلى حيز الوجود نظاماً خلقياً من الدرجة الأولى. ولا تكون أخلاقها جديرة بأن تعد الانسان لإحراز الرقي والتقدم والسعادة والرفاهية في حياته الدنيا.

فهذه الحضارات التي لا تعد الفرد لإحراز الرقي والتقدم في حياته الدنيا. إنما يبقي أثرها محدوداً في الحياة الروحية والخلقية فقط. ولا يجاوزها بحال من الأحوال إلى الحياة المادية. فمثل هذه الحضارة لا يخلو من إحدى حالتين (على اعتبار نتائجها).

الأولى: أن تغلق هذه الحضارة سبيل الرقي والتقدم في الدنيا على أهلها ـ أو يسير الأفراد في سبيل الرقي والتقدم ولا يبقي تأثير الحضارة عليهم.

وعندما يزداد انهماك الأفراد في السعي والجهد للتقدم في الحياة الدنيا، لابد، أن تتحرر أخلاقهم وروحانيتهم أيضاً من سلطان العقائد الدينية التي تؤسس عليها والحضارة وأحسن مثال على هذا في الزمان القديم الحضارة البوذية في اليابان الحضارة المسيحية الرهبانية في أوربا، لما كان أهلها راسخين أقوياء في معتقداتهم الدينية كانوا على أسوأ ما يكون من أدوار الانحطاط والتخلف، ولما أحرزوا لأنفسهم الرقي والتقدم في حياتهم العملية والعقلية والمادية ما عادوا مؤمنين بمعتقداتهم إلا اسماً.

وهذا فرق عظيم في التاريخ بين معتقدات الإسلام ومعتقدات الديانات الأخرى في العالم، أما المسلمون فكانوا أقوياء في إيمانهم بمعتقداتهم لما كانوا أرقى أمم الأرض تقدماً وازدهاراً وقوة ومجداً، وما دب دبيب الضعف في إيمانهم إلا بعد أن تخلفوا في ميادين العلم والعقل وضعفوا في صراعهم للرفه الدينوي، وتحكمت فيهم واستولت عليهم أقوام أجنبية، وهم في هذا العصر على أسوا ما يكون من أدوار انحطاطهم، وهم مبتلون ابتلاء شديداً بمرض ضعف الإيمان، وقد كانوا على أحسن ما يكون من أدوار تقدمهم ورقيهم قبل ألف سنة وكانوا راسخين أقوياء بمعتقداتهم الدينية فهذا البحث الذي سقناه نستنتج منه هذه النتائج التالية.

النتيجة الأولى: لكل حضارة فكرة أساسية تؤسس عليها الحضارة.

النتيجة الثانية: الحضارات المادية أو الحسية أو الدينوية فقط لا تخلو من العيوب والعلل في أساسها بسبب عدم وجود العناصر الدينية، وهذه العيوب والعلل تنخر في بنيانها.

النتيجة الثالثة: الحضارات الدينية لا تخلو من العيوب والعلل بسبب وجود الأوهام والخرافات الباطلة أو بسبب تحديد المعتقدات في الحياة الروحية فقط وتبقى بقية شعب الحياة مفتوحة خالية من أي عقيدة أو فكرة أساسية.

فنستطيع أن نقول أن نجاح الحضارات الدينية رهين بشرطين:

١ـ ان تكون الفكرة التي تؤسس عليها الحضارة صالحة للتصديق والاذعان من الوجهة العقلية.

٢ـ ان تكون الفكرة جديرة بأن تعد الفرد والمجتمع لاحراز التقدم والسعادة في حياته المادية أيضاً مع حياته الروحية.

والخلاصة هي: أن الحضارة تتكون من العناصر الدينية والمعتقدات الصالحة السليمة وهنالك تجدر بأن تسمى حضارة انسانية عالية، وتشق طريق السعادة للحياة والكون والانسان.

الجانب التاريخي لروايات جرجي زيدان

[الحلقة الثالثة]

بقلم : الأستاذ منظور أحمد خان
معاضر في قسم اللغة العربية
المعهد المركزي للغة الانجليزية و اللغات الأجنبية - حيدرآباد

ثم نلتقي بجرجي زيدان في رواية له سمّاها «فتح الأندلس» ونلاحظ على المؤلف في بداية الأمر أنه أخطأ في تسمية الرواية خطأ فاحشاً بما أنها تبحث عن بواعث سقوط طليطلة الداخلية ، بدلاً من أن تربط هذا الفتح بحركة الفتح الإسلامي بأكملها ، ثم تبحث عن حوافز المسلمين التي قاموا من أجلها بفتح تلك البلاد- على هذا النحو ، ولكان أحسن لو سماها زيدان « نحو سقوط طليطلة » عوضاً عن « فتح الأندلس » وينسب المؤلف هذا الفتح إلى تهتك الملك رودريك وانغماسه في الملذات إلى أقصى حد ، ثم إلى المخاصمة بين الملك وبين أولاد الملك السابق ، ثم إلى اضطهاد الحكام اليهود ، ثم إلى لامبالاة الملك وعدم اكتراثه لخبر دخول المسلمين حدود الأندلس ، بحيث تدهورت علاقاته مع قائد جنده (١) ولا شك أن بعض ما ذكره زيدان من أسباب السقوط صحيح ، ولكنه بالغ في بيان بعضها مبالغة ظاهرة ، ومن مبالغته عدم عناية رودريك بنزول المسلمين أراضيه ، والحق أنه إذا بلغه خبر قدوم المسلمين وكان غائباً في غزاته ، عظم عليه الأمر ، فرجع فور وصول الخبر وأخذ عدته وحشد جيشاً كبيراً بلغ عدده مائة ألف ، ثم لو صح خروج اليهود على الملك وتحريضهم ولدى الملك السابق على الانضمام إلى المسلمين ، وقد استخف زيدان ببسالة المسلمين وشجاعتهم الفاقدة النظير ، بحيث قاتلوا عدوهم في دياره باثني عشر ألف جندي وعنده مائة ألف جندي(٢).

وبعد تقليل أهمية الإسلام وتشويه سمعة النبي ﷺ وأتباعه ، يندفع

---

(١) فتح الأندلس ، ص/٢٩-٥٠-٧٩-١٢٢-١٢٥ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج/٤-ص/١٢٢-١٢٣ .

زيدان في تحريف المفاهيم الإسلامية والطعن في كبار المسلمين من الصحابة والمشايخ والعلماء والفقهاء، مستنداً إلى خياله «الخصب» دون أي شاهد من الشواهد التاريخية، فانه يرى، أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر الشهير هو الذي أبطل الوأد من مجهوداته. ثم يرى أن المرأة الجاهلية كانت عظيمة الشأن بالمقارنة إلى التي تنشأ خلف « أغلال » الحجاب ، ويستمر زيدان يهاجم الحجاب باستدلالاته العجيبة مرة وباستشهاده الكاذب الخادع بالقرآن الكريم مرة أخرى. وقوله: فالحجاب الضيق على نحو ما هو شائع في العائلات الإسلامية بالشرق سببه سوء ظن الرجل واستبداده بأهل بيته واستئثارة بالملذات لنفسه. وليس هو من مقتضيات الإسلام كما يتبادر إلى الأذهان. ولو راجعت ما جاء في القرآن من هذا القبيل لرأيت تفسيره أقرب إلى ما يراد من رفع الحجاب» (١) ثم يأتي زيدان بنوادر استنتاجاته كأن التشبيب وقد جعله الخلفاء الراشدون ذنباً يستوجب القصاص لأجل المحافظة على آداب القوم وليس غير. وكذلك أن العلماء والفقهاء كانوا يهتمون بوضع العلوم الدينية ونشرها من أجل الخلفاء كما كان الشعب يبجلونهم لأجل تكريم الخلفاء لهم (٢).

ومما لا شك فيه أن صعصعة بن ناجية المذكور قام بإنقاذ ثلاث مائة وستين بنتاً من مخالب الموت بفدائهن لدى الآباء، ولكن لم يبطل الوأد بصنيعته هذه، نظراً إلى استكثار الجاهليين هذه الجريمة، ثم إلى عدم ظهور أية حركة إصلاحية تدين هذه الفعلة الشنعة علناً، ثم إلى عدم وجود الظروف الملائمة من ناحية الاقتصاد تضمن نهايتها من المجتمع العربي الجاهلي شيئاً فشيئاً، فالإسلام هو الذي حمل على التقاليد الجاهلية وأوهامها الباطلة بما فيها الوأد حملاً شاملاً. وقد صرح الله عز وجل عن قبح هذه الفعلة وبشاعتها على النحو التالي: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت (٣) ﴾ ثم إنه هو الذي عمل وراء محو الفكرة أن ولادة البنت عار أو مصيبة للوالدين، وأكد تربيتها على نحو أحسن، بحيث تتمكن من المساهمة الفعالة في المجتمع الإسلامي برعاية الأمور المنزلية وبتربية الأولاد. ونجد في كتب الأحاديث عدة من الأحاديث التي حث فيها النبي ﷺ المسلمين وحرضهم على إكرام مثوى بناتهم بأن لهم الجنة. ومن أحاديثه «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار

(١) تاريخ التمدن الإسلامي. ج/٥ - ص/٥٢ - ٥٤ - ٧٤.
(٢) نفس المصدر. ج/٥ - ص/٣٧ - ٦١.
(٣) القرآن الكريم. التكوير. الآية: ٨-٩.

» و «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهكذا . وضم أصابعه » و «أن النبي ﷺ قال لسراقة بن جعشم، ألا أدلك على أعظم الصدقة أو من أعظم الصدقة . قال بلى يا رسول الله، قال ابنتك المردودة إليك . ليس لها كاسب غيرك(١)» ثم ولم يكن الإسلام عقيدة محضة ينقصها الإقدام على الأمور ، وإنما هو نظام شامل يضمن الرخاء الاقتصادي ورفاهيته فوق إرشاد المجتمع نحو الصلاح والخير . وقد نال هدفه المنشود حقاً في مجال الاقتصاد بادخال نظام اقتصادي جديد مؤسس على الزكاة والعشر ، وتقسيم الميراث بين المرأة والرجل بنسبة واحد إلى اثنين ، وتحريم الربا وما إلى ذلك.

وأما الحجاب فقد تجاهل زيدان كونه من مقتضيات الإسلام بعينه . والذي يهدف إليه الإسلام من خلاله هو تهذيب المجتمع وتثقيفه بأكمله - ولا شك أن قوله ناتج من حقده على الإسلام ومبادئه لأنه لا يوجد غموض ولا إبهام في أحكام القرآن فيما يتعلق بالحجاب - فلا حقيقة في قوله أن القرآن يهدف إلى رفع الحجاب أكثر منه إلى ارتدائه ، بما أننا نجد كثيرة من الآيات التي يأمر بها الله النساء المؤمنات بالتحجب . ومنها ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً﴾(٢).

ومن عادة زيدان أن يقحم في أي فرع من فروع العلوم الإسلامية دون المعرفة بمبادئه ، بحيث تحدث منه أخطاء فادحة مضحكة - وقد بين الأستاذ الجليل شبلي النعماني جهله الفرق بين الرأي والاعتزال على النحو التالي: «أنظر إلى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالمعارف الإسلامية حتى إنه يقترن بين الاعتزال والرأي ، ويعدهما من جنس واحد - ولم يدر المسكين الارابط بينهما ، فان الاعتزال أحد المذاهب الكلامية والرأي والقياس أحد أصول الفقه . ومعظم أصحاب الرأي والقياس بل كلهم ... كانوا ناقمين على الاعتزال وكانوا يعدون المعتزلة من أهل الأهواء والضلالة»(٣).

ثم وكان الحجاب من عدة إصلاحات أدخلها الإسلام في المجتمع الإسلامي الجديد ليذهب الله عنهم دنس الجاهلية وأرجاسها ، ويعلمهم المعاشرة المحتشمة الرزينة المهذبة تهذيباً عالياً لا تساويه حضارة من حضارات بني آدم ، ونجد بعض هذه

---

(١) صحيح البخاري ومسلم وابن ماجة نقلاً عن تفهيم القرآن، ج/٦-ص/٢٦٦-٢٦٧.
(٢) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب ، الآية: ٥٩ .
(٣) الشيخ شبلي النعماني ، الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي ، ص/٨٠.

الاصلاحات في سورة النور حيث يخاطب الله عز وجل عباده المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ و ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. ذلك أزكى لهم. إن الله خبيرٌ بما يصنعون﴾ وكذلك ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن...﴾(١).

وفيما يتعلق بطعن زيدان في كبار المسلمين فانه ينسب إلى أبي سفيان صخر بن حرب القول الآتي عند وقعة اليرموك «يا مشيخة قريش ومهاجرى الفتح، لا يهمنا من هذه الحرب إلا الانحياز إلى الغالب، فاذا غلبت الروم كنا معهم، وإذا انتصر المسلمون فاننا معهم... فاذا بنبلة أصابت إحدى عينيه ففقأته» (٢) ثم يصف عبد الله يوقنا حاكم حلب من قبل هرقل سابقاً، ومعتنق الإسلام من عهد قريب، متظاهراً با لإسلام والساعي وراء اختطاف أرمانوسة بنت المقوقس والي مصر (٢)، وأكبر منه أنه يتهم السلطان صلاح الدين الأيوبي بمنع أبناء العاضد وسائر الرجال من أهله عن الزواج حتى لا يعقبوا نسلاً يطالب بعده بالخلافة (٤)، وكذلك يزور تحسن علاقات أبي جعفر المنصور والإمام أبي حنيفة النعمان كأنهما كانا مؤيدي بعضهما بعضاً في الفقه والسياسة، وقوله: «إنه (المنصور) نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أبو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه المنصور إلى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه» ثم يهاجم على الإمام هجوما شنيعا ويصفه ما يقربه من الشعوبيين وقوله: «وكان أبو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية، حتى إنه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به»(٥).

ونرد على زيدان أن قوله عن أبي سفيان من خالص تلفيقه. وقد دققنا النظر في المراجع التي ذكرها في بداية الرواية «فتاة غسان» حيث ورد ذكر أبي سفيان، ولكننا لم نجد شيئاً يدل على تردده في أمر إيمانه أو إسلامه، بل وجدناه على العكس كما وصفه ابن الأثير «وشهد اليرموك وكان هو القاص في جيش المسلمين يحرضهم ويحثهم على

---

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية: ٢٧-٣٠-٣١.
(٢) فتاة غسان، ص/٢٨٠. (٢) أرمانوسة المصرية، ص/٩٦.
(٤) صلاح الدين الأيوبي، ص/١٠٨.
(٥) تاريخ التمدن الإسلامي، ج/٢- ص/٧٢.

القتال » (١) . ومن عجب أن زيدان فاق المؤرخين المتشيعين كأبي الفرج الأصفهاني (٢) في غزو الأمويين وذمهم، بما أن الأصفهاني لو أطال في مؤلفه الشهير «الأغاني» في ادانة أبي سفيان والحط من شأنه، ولكنه لم يذكر شيئاً من قبيل ما ألحق به زيدان، وقال شارح المؤلف المذكور موضحا أمر أبي سفيان « الثابت في التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه. فلعل هذه الاخبار ونحوها كان يفتريه الشيعة على معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد بهم» (٣).

وكذلك قوله عبد الله يوقننا مجرد زور وبهتان، ونلتقي بالعلامة الواقدي في مؤلفه الشهير «من فتوح الشام» حيث يذكر أن عبد الله المذكور كان قد أسلم وحسن إسلامه، وعندما أحاطه جند أرمانوسة حث أصحابه على الثبات في الدفاع عن أنفسهم دون أن يقتلوا على أيدي العدو الأقباط، ثم هو الذي فسر لرسول أرمانوسة باعث إعتناقه الدين الحنيف داعياً الأقباط إلى إحدى الخصال الثلاث. ثم هو الذي كان له يد كبرى في فتح مريوط، وقد نوه جهوده هذه خالد بن الوليد رضي الله عنه كبير القواد المسلمين تنويهاً (٤) وأما اتهامه صلاح الدين الأيوبي فهو كذلك بهتان تقوله على هذا البطل العظيم حقداً وضيماً، وقد قلبنا المراجع التي اعتمد عليها في الرواية «صلاح الدين الأيوبي» ظهراً على عقب، فما وجدنا فيها شيئاً من قبيل اتهامه. ثم إنه يناقض قوله نفسه إذ يقول على لسان إحدى شخصياته: «إحدى الله أنهم لم يستخدموا السيف في فناء من بقي من أهل الخلافة كما فعل غيرهم في مثل هذه الحال، ألم يأمر أبو العباس السفاح بقتل كل من بقي من بني أمية حتى لا يبقي واحد منهم يطالب بالخلافة ؟ فلو أمر صلاح الدين مثل هذا الأمر من يقدر على رده ؟» (٥).

وأما علاقات المنصور والإمام أبي حنيفة المزعومة. فقد أكد ابن خلكان استدعاء المنصور له من الكوفة إلى بغداد كما أكد عرضه القضاء عليه وإباء الإمام له ونفوره منه، حتى يئس منه المنصور فأمر بحبسه (٦) والمشهور أنه توفي في السجن إما موتاً طبيعياً وإما من سم دسه خازن السجن في طعامه من إيماء من المنصور. ويفسر أبو الأعلى المودودي سبب استدعاء المنصور له إلى بغداد معتمداً على «مناقب الإمام

(١) إبن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج/٢-ص/١٢-١٢.
(٢) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج/٢-ص/٢٠٧.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج/٦-ص/٢٥٤-٢٥٦.
(٤) محمد الواقدي، من فتوح الشام، ج/٢-ص/٣٩.
(٥) صلاح الدين الأيوبي، ص/١٠٦.
(٦) إبن خلكان، ج/٥-ص/٤٠٦.

الأعظم أبي حنيفة النعمان» للموفق بن أحمد المكي، أن الإمام وبما أنه كان قد أيد النفس الزكية علنا في خروجه على المنصور، فكان المنصور يضمر له سوءا ولكنه لم يتجرأ في نفس الوقت على حبسه، فأراد أن يستخدمه في أغراضه بجعله قاضي القضاة (١) وأما كره الإمام العرب واللغة العربية وعدم استحسانه هذا اللسان المبين، فهو من محض افترائه وتعمده الكذب وتشويه الواقع (٢) لأن المرجع الذي ذكره المؤلف لا يأتي بشئ مما ألحقه بالإمام، فقد جاء في «وفيات الأعيان» المرجع المشار إليه أن الإمام وسئله أبو عمرو بن العلاء المقرئ النحوي مرة عن القتل بالمثل قائلاً: هل يوجب القواد أم لا ؟ وأجابه الإمام بالنفي، وكرر النحوي السؤال مستزيداً «ولو قتله بحجر المنجنيق» فرده الإمام قائلاً «ولو قتله بأبا قبيس» الجبل المطل على مكة، وقد اعتذر بن خلكان من إعراب الإمام جبل أبي قبيس ب«أبا قبيس» بدلاً من «بأبي قبيس» بكونه يتكلم بلغة أهل الكوفة، وهو نفسه منهم، وكان للكوفيين رأي خاص في إعراب الكلمات الست المعربة بالحروف، وهو أنه يكون في الأحوال الثلاث جميعها بالألف وكانوا ينشدون في ذلك:

«إن أباها وأبا أباها • قد بلغا في المجد غايتاها» (٣) إذن كيف يصح أن يستدل واحد من هذا البيان أن الإمام أبا حنيفة كان لا يحسن الاعراب ولم يكن يبالي به، ثم إنه كان لا يحب العرب ولا العربية.

ونصل إلى أن زيدان في اتباع خطوات أساتذته المستشرقين كان يهدف إلى تشويه الإسلام وتاريخه من ناحية، وتشكيك المسلمين ولا سيما أنصاف المثقفين منهم في المبادئ الإسلامية بما فيها النبوة والوحي من ناحية أخرى، وكل هذا معتمداً على خياله الخصب» دون أي شاهد من الشواهد العلمية السليمة، وتتبلور لنا أمنياته الفاسدة تبلوراً، عندما ينكر بعض الحقائق الثابتة كعدم قتال العرب الأحباش المغيرين على الكعبة، وعداوة اليهود العرب على الإسلام ونبيه المصطفى ﷺ، وبسالة المسلمين الفاقدة النظير في الفتوحات داخل الجزيرة العربية وخارجها، وكون الحجاب من مقتضيات الإسلام ومهماته، ومعاملة العلماء والفقهاء الخلفاء غير الراشدين بفتور ونفور بالغين، ونشفق على الباحثين المتحيزين المؤمنين بالبحث العلمي المزعوم

---

(١) أبو الأعلى المودودي، خلافت وملوكيت، ص/ ٢٣٩-٢٤١.
(٢) الشيخ شبلي النعماني، ص/ ٧٨.
(٣) إبن خلكان، ج/ ٥ - ص/ ٤٠٦.

ونرثى لهم على غض نظرهم عن انحرافات زيدان عن الحقائق التاريخية الثابتة التي ذكرناها آنفاً، ومن هؤلاء الباحثين توماس فيليب (THOMAS PHILIP) أن زيدان كان يهدف من خلال مؤلفاته، بما فيها رواياته التاريخية، إلى تعليم النشء على خطط علمانية ومحدثة.

المراجع:

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الثالث، جمعية المعارف، بلا زمان ولا مكان.
الكامل في التاريخ، الجزء ٤ .

٣ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، الجزء الثالث والخامس، حققه د/ إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي-قم، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٤ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، أربعة أجزاء تحقيق طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٥ م .

٥ - أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥ م .

٦ - أبو الأعلى المودودي: تفهيم القرآن، المجلد الأول والخامس والسادس الطبعة/ ٢٢ مركزي مكتبه اسلامي، دهلي، ١٩٨٢ م، سيرة سرور عالم، المجلد الأول الطبعة/٣، مركزي مكتبه اسلامي دهلي، خلافت وملوكيت، الطبعة/٨، مركزي مكتبه اسلامي، دهلي ١٩٨٥ م.

٧ - أحمد ابراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩ م .

٨ - جرجي زيدان: أرمانوسة المصرية، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ .
جرجي زيدان: صلاح الدين الأيوبي، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ
جرجي زيدان: فتاة غسان، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ .
جرجي زيدان: فتح الأندلس، دار الهدى الوطنية، بيروت، بدون تاريخ
جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٢ م
جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الثاني، مطبعة الهلال، القاهرة،

١٩٠٢م، ط/٢ .
جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الثالث ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٢م، ط/٤ .
جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الرابع ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٢م، ط/٢ .
جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الخامس ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٢م ، ط/٢ .
٩ - الشيخ شبلي النعماني الهندي : الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي ، مطبعة آسي لكناؤ ، سنة ١٩١٢م .
١٠ - شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، الطبعة السادسة ، دار العلوم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢م .
١١ - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الخامس ، LUGD. BAT. E.J. BRILL, 1964.
١٢ - محمد سرور نايف زين العابدين : دراسات في السيرة النبوية ، دار الأرقم B552, MOSELEY ROAD, BALSAL HEALTH BRIMINGHAM, B12 9AD, U.K. 1988.
١٣ - المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي عبد القادر بن محمد : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول والثاني ، مطبعة النيل ، مصر ١٣٢٤هـ .
١٤ - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزءان ، الطبعة الثانية ، دار الأندلس ، بيروت ، سنة ١٩٧٨م .
١٥ - الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد : كتاب المغازي ، الجزء الأول ، عالم الكتاب ، بيروت ، بدون تاريخ ، من فتوح الشام ، الجزء الثاني ، المطبعة العامرة ، القاهرة ، ١٣١٥هـ .

16- BRILLS, E.J; FIRST ENCYCLOPEDIA OF ISLAM (1913-1936) E.J. BRILL, LEIDEN, 1987.
17- ENCYCLOPEDIA OF BRITANNICA; 15th EDITION, 1977.
18- SCOTT, SIR WALTER; THE TALISMAN, EVERYMAN"S LIBRARY, LONDON, 1967.
19- THOMAS PHILIP, JURJI ZAYDAN, HIS LIFE AND THOUGHT, THE REVIEW OF THE BOOK APPEARED IN <JOURNAL OF ARABIC LITERATURE> VOL XIV, 1983, BY M.M.BADAWI

فن الترجمة

الأستاذ حبيب الله خان
الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة لكناؤ

الترجمة عملية بدأت في بادئ الأمر بالاشارة ، ثم صارت فنا لكون اعتمادها على الأذواق والمشاعر الذاتية نحو اللغة المنقول منها والمنقول إليها ، ثم صارت علما ، وخضعت للقواعد والنواميس الدقيقة الموضوعة لها ، وفي الوقت الحاضر تحاول اختراق تكنولوجيا الكمبيوتر ، والدخول في صلبها ، فانها خلال سفرها الطويل ، وعمرها المديد ، عرفت بعديد من التعاريف التي وضعها لها اساطين فنها ، كما كثرت مفاهيم الترجمة ومذاهبها لدى الباحثين عنها والعاملين في حقلها ، ويؤكد على هذه الحقيقة الأستاذ عبد الودود محمود العلي « إن تعريفات وأوصاف عملية الترجمة لا تتم بقواعد جبرية (تحتمية) وإنما تعتمد على قواعد احتمالية ، ولذلك فان تعاريف عملية الترجمة الصحيحة متعددة ومتفاوتة ، كتعدد وتفاوت الاشخاص الذين اضطلعوا بمهمة مناقشة هذا الموضوع (١) » وتعود أسباب هذا التنوع إلى التطور المستمر في اللغة وأسلوب الكاتب والمترجم ، وغيرها من ذلك ، وإذا أردنا أن نخوض في بحر معاني الترجمة ، ومفهومها ، ومذاهبها ، فعلينا أن نبدأه بخير ما يبدأ وهو مراجعة قاموس المنجد في اللغة والاعلام ، لنرى ماذا يقول عن كلمة «ترجم» باللغة العربية « ترجم الكلام » فسره بلسان آخر ، فهو ترجمان ، وجمعه تراجمة وتراجم ، ويقال : « ترجمه بالتركية » أي نقله إلى اللسان التركي ، وترجم عنه ، اوضع أمره – الترجمة جمعه تراجم – التفسير إلخ (٢) ، وعلى ما نظن ، هذا هو التعريف نفسه

---

(١) . الأستاذ عبد الودود محمود العلي / مفهوم الترجمة / مجلة المترجم العدد الأول ١٩٨٧م ص/٩٥ .
(٢) المنجد في اللغة والاعلام ط. ٢٩٠ - ص/٦٠ .

رددته معظم قواميسنا العربية الاعتيادية. أما معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب يقول: «الترجمة: النقل - هي اعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلا (١)» ويذكر قاموس اكسفورد الانجليزي معني كلمة يترجم Translate على النحو الآتي:

1- Turn (Word, Sentence, book etc.) from one Language into ansther, express sense of it in ansther form of Words.
2- Infer or declare the significance of, interpret (Signs, movement, conduct etc.)
3- Convey, introduce, (idea, Principle, design) from one art etc. into onether. (٢).

إذا اكتفينا بهذا القدر من المعاني المعجمية، وتوجهنا إلى ما تعني مفاهيم الترجمة ومذاهبها، وجدنا أن العلماء العرب، ومن الأسف الشديد، ما بذلوا جهدهم في الكتابة عن الترجمة، من ناحية تعاريفها وتفصيلاتها، مثل ما بذلوا في سبيل عملية الترجمة من مال وهمة واجتهاد؛ وهذا هو السبب الرئيسي لرجوع اقطاب المترجمين العرب المحدثين إلى علماء الغرب، الإنجليز والألمان والروس والفرنسيين عند مناقشتهم الترجمة، من ناحية مفاهيمها ومذاهبها، بالرغم من اعترافهم بأن نظريات الترجمة الخاصة باللغات الأوربية لا تنطبق مائة بالمائة على اللغة العربية، من جراء الاختلاف الشاسع في البنية والتركيب والأسلوب وغيرها. ونعتقد بأنه ليس هناك ضير افي الاستعانة بآرائهم إذا لم يبلغ الأمر إلى حد الاعتماد عليهم، بينما كان للعرب قصب السبق في الترجمة. ويقال إن الترجمة كانت في عصر المأمون توزن بالذهب، والعرب لهم فضل كبير في الحفاظ على الكتب الأجنبية من الزوال، وصدق من قال، لو لم تكن الترجمة العربية لضاعت حكمة اليونان وفلسفتها. كما ذكرنا آنفا بأنه لا توجد قاعدة ثابتة تتحكم

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.
(٢) قاموس اكسفورد الانجليزي المصور ص/١٢٦٥.

بصرامة كل أنواع الترجمة ، لأنها عملية ممزوجة من الفن والعلم وبسببها حصل التفاوت الطبيعي بين آراء منظري الترجمة التي سنعرضها على نحو الاختصار والاختيار.

أولا : قبل كل شئ نعرض رأي الجاحظ الأديب العبقري، في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، لعله أول من ناقش من المثقفين العرب ، حول الترجمة والمترجمين « لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول منها والمنقول إليها حتى يكون منهما سواء وغاية (١) »

ذكر العاملي صاحب الكشكول نقلا عن صلاح الدين صفدى الأديب المؤرخ من أعيان القرن الثامن الهجري « وللترجمة في النقل طريقان ، أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى ، فياتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى ، فيثبتها ، وينتقل إلى أخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما : ان لايوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها ، الثاني: أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

الطريق الثاني في التعريب: طريق حنين بن اسحاق والجوهري وغيرهما ، وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ ام خالفتها، وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والالهي فان الذي عربه منها

---

(١) الجاحظ / كتاب الحيوان المجلد الأول / ط دار مكتبة الهلال، ص / ٥١ .

يحتاج إلى اصلاح (١).

ذكر الدكتور صفاء خلوصي ان سليمان البستاني قد علق على ما ذكره الصفدي بالقول « ان هذين الطريقين اللذين أشار إليهما الصلاح الصفدي منذ زهاء ستة قرون هما المذهبان المعول عليهما في النقل حتى يومنا وليس وراءهما مذهب ثالث (٢) ».

حاول الأستاذ أحمد حسن الزيات، وهو من اقطاب الترجمة المحدثين، ايجاد الوفاق بين المذهبين المذكورين اعلاه، لذلك انفرد في ترجمة الآثار الأدبية بمزية لم يتميز بها المترجمون الأولون، فانه تحدث عن مذهبه في الترجمة « انا انقل النص الأجنبي إلى العربية نقلا صرفيا، على حسب نظمه في لغته، ثم اعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل، فأقدم وأوخر دون أن انقص أو ازيد، ثم اعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ اللائم والمجاز المطابق، والنسق المنتظم، فلا اخرج من هذه المراحل الثلاث إلا وأنا على يقين جازم بأن المؤلف لو كان كتب قصته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة (٣). هذه هي بعض المذاهب المهمة التي اتبعها المترجمون العرب.

وعندما تشعبت العلوم والفنون أكثر مما كانت عليه سابقا، ودعت الضرورة إلى ترجمة المواد ما عدا الطب والفلسفة والرياضيات والنجوم وغيرها من العلوم المألوفة في تلك الزمن، فطرأ تغيير بسيط على تعاريف الترجمة ومفهومها، لأنها لم تعد كافية لتغطية متطلبات الترجمة، فبرز المختصون المنكون، ووسعوا نطاق مفاهيم الترجمة بمزيد من التفنن،

---

(١) الطاهر أحمد الزاوي / كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي الجزء الأول / ط دار احياء الكتب العربية.

(٢) الاقتباس مأخوذ من كتاب فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة للدكتور صفاء خلوصي / ص ١٠

(٣) الاقتباس مأخوذ من كتاب الترجمة ومشكلاتها للأستاذ ابراهيم زكي خورشيد، ط / الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م، ص / ١٠.

وجاءت آرائهم مقرونة بالانطباعات التي تركها الغربيون، ذكر كتاب المدخل إلى الترجمة «الترجمة فن من الفنون التطبيقية، ميدانه لغات البشر المختلفة، وهدفه تحقيق التفاهم بين متكلمي تلك اللغة، وإيصال ما ينتجه متكلمو لغة ما في شتى المجالات التي تستعمل فيها اللغة إلى متكلمي لغة أخرى (١)» وعند بعض علماء اللغة، للترجمة معنى اوسع من المعنى المألوف، فانهم يعتبرونها مظهراً من مظاهر السلوك اللغوي عند الانسان، ومن أشهر من قال بهذا الرأي رومان جاكوبسن الذي يقول « إن فهمنا للأشياء في جوهره، استبدال رموز لغوية برموز أخرى، وهذا عنده هو عملية الترجمة، فجميع الادراك يعتمد على الترجمة، ويميز جاكوبسن ثلاثة أنواع من هذه الترجمة.

١- استبدال رموز لغوية في لغة ما برموز لغوية في اللغة نفسها، ويشمل هذا المرادفات والشرح والتفسير، وكثيراً ما يمارس الفرد هذه العملية في لغته.
٢- استبدال رموز لغوية في لغة ما برموز لغوية في لغة أخرى وهي عملية الترجمة بمعناها المألوف الشائع.
٣- استبدال رموز لغوية برموز غير لغوية، كاستعمال الرسوم والألوان والموسيقي والرقص للتعبير عن معنى معين (٢).

وذكر الدكتور صفاء خلوصي تعريف الترجمة بأنها فن جميل يعني بنقل الفاظ ومعاني وأساليب من لغة إلى لغة أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة المترجم إليها يتبين النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية، وبناء على هذا التعريف يرى الكاتب:

١- يجب أن تعطى الترجمة صورة صحيحة للأفكار المتضمنة في النص الأصلي.
٢- تلزم المحافظة على الأسلوب الأصلي قدر الامكان.

---

(١) مقدمة كتاب المدخل إلى الترجمة، ط. مؤسسة دار الكتب للطباعة ونشر جامعة الموصل للأساتذة، د/ سليمان الواسطي، عبد الوهاب الوكيل، ديوخيل يوسف، كرم حسيب.

(٢) الترجمة الأدبية للأساتذة المذكورين أعلاه.

٣- ينبغي أن لا تقل سلاسة الترجمة عن سلاسة أية قطعة موضوعة(١) .

وملخص الموضوع : يقول الأستاذ عبد الودود محمود العلي الذي اعتبره مفهوما ادق واشمل للترجمةوهو « النقل من لغة ورموز أخرى بأقصى قدر من الأمانة في المرادفات والمعنى والايقاع والنبرة والوتيرة والأسلوب والتأثير الذي يحدثه النص عند نقله إلى اللغة المتلقية (٢) .

لقد دونت ما دونت أعلاه ، من آراء العلماء في الترجمة ومفاهيمها ومذاهبها ، بعد استقصائها واستقرائها ، وحاولت قدر مستطاعي أن أذكر تلك الآراء التي تنساب في مجرى واحد ، وتقع في مصب واحد ، وذلك حرصاً مني على أن يسهل استيعابها للقارئ ، بمنأى عن الآراء المتضاربة التي قد تربك القراء بلبلتها ، لأن الترجمة عملية قديمة عرفها الانسان منذ اختلاطه واحتكاكه مع الشعوب الناطقة بعدة لغات ، فطبيعي أن تكثر فيها الآراء التي لا يمكن حصرها في مقال بسيط .

!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

---

(١) الدكتور صفاء خلوصي ، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة المذكور أعلاه .

(٢) مجلة المترجم المذكورة أعلاه ، ص/١٠١ .

كتاب الآثار وصاحبه

للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني

[الحلقة الأولى]

تعريب: بلال عبد الحي الحسني الندوي

إن لكل شئ مقياساً يقاس به أهميته وجلالته ومقياس أي كتاب أربعة أمور:

١- فضل المؤلف وحذاقته في الفن.

٢- لزوم الصحة.

٣- جودة الوضع والترتيب واحتواء الكتاب على المباحث الفنية المهمة.

٤- اجتماع الأمة عليه بالقبول.

وهنا ندعي أن كتاب الآثار للاملام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله يمتاز في هذه الأمور الرئيسية، والآن نبينها بشئ من الايضاح والتفصيل بدلائل واضحة موجودة في المصادر المعتمدة.

١- فضل المصنف وحذاقته في الفن:

أول شئ في هذا الأمر هو تابعية صاحب هذا الكتاب وليس عندنا أي مصنف في السنن يكون صاحبه تابعياً، فان الإمام رحمه الله يمتاز بين الأئمة الآخرين بهذا الشرف، يقول العلامة ابن حجر المكي شارح المشكاة ناقلا عن فتاوى العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«إنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة المشرفة، والليث بن سعد بمصر»(١).

---

(١) الخيرات الحسان لابن حجر المكي، الفصل السادس.

أي شرف أعظم من أن يلقب الامام بالامام الأعظم في الأمة، والسواد الأعظم من الأمة ما زالت تعمل على فقهه واجتهاده في المسائل الفقهية، وكبار الأئمة يعترفون بفضله وحذاقته. يقول الإمام عبد الله بن المبارك: إني كنت عند مالك رحمه الله إذ جاءه رجل وجلس عنده ثم رجع فقال مالك هل تعرفونه. فقالوا: لا - وإني كنت قد عرفت - فقال مالك:

« هذا أبو حنيفة النعمان. لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال. لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة »(١).

وقال الإمام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة»(٢) وروى الامام أبو بكر المروزي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه يقول: لم يصح عندنا أن أباحنيفة قال: «القرآن مخلوق» قلت الحمد لله يا أبا عبد الله هو على درجه رفيعة في العلم فقال: «سبحان الله هو من العلم والورع وايثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه أحد (٣)» ويشهد الإمام سفيان بن عيينة على هذا الإمام فيقول: «ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة (٤) ويقول: «العلماء: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه وأبو حنيفة في زمانه(٥)».

يقول عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور في فن الرجال:

« كنت نقالا للحديث فرأيت سفيان الثوري أمير المؤمنين في العلماء وسفيان بن عيينة أمير العلماء وشعبة عيار الحديث وعبد الله بن المبارك صراف الجديث ويحيى بن سعيد قاضي العلماء وأبو حنيفة قاضي قضاة العلماء(٦)، ومن قال لك سوى هذا فارمه في كناسة بني سليم(٧). وقال شيخ الاسلام يزيد بن هارون: « كان أبو حنيفة تقيا نقيا زاهداً عالماً صدوق

---

(١) مناقب أبي حنيفة للمحدث الصيمري وهي خطية حتى الآن موجودة في مكتبة المجلس العلمي بكراتشي باكستان.
(٢) مناقب أبي حنيفة للامام الذهبي، ص/١٩ طبع بمصر
(٣) أيضاً، ص/٢٧. (٤) أيضاً، ص/١٩ (٥) مناقب صيمري.
(٦) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة المكي، ج/٢ - ص/٤٥ طبع بدائرة المعارف حيدرآباد دكن. (٧) مناقب صيمري.

اللسان أحفظ أهل زمانه سمعت كل من ادركته من أهل زمانه انه ما رؤى افقه منه (١) » إنه قال أيضا: « لم أر أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة (٢) ».

يقول إمام الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان: « إنه و الله لأعلم هذه الأمة بما جاء عن الله ورسوله (٣) » وهذا سيد الحفاظ يحيى بن معين سئل مرة عن الإمام أبي حنيفة فقال: « عدل ثقة ما ظنك بمن عدله ابن المبارك ووكيع (٤) » ويقول الإمام عبد الله بن المبارك: « لولا أن الله تداركني بأبي حنيفة وسفيان لكنت بدعياً (٥) » وحينما يروي شيخ الإسلام عبد الرحمن المقري عن الإمام أبي حنيفة فيقول حدثنا أبو حنيفة شاه مردان » يعنى سيداً من سادات الرجال.

هذه الروايات و الأقوال تشهد على عظم شأن هذا الإمام في العلم و المعرفة وبراعته في الفنون ولا سيما الفقه والحديث، وقد صح قول خلف بن ايوب إمام أهل بلخ:

« صار العلم من الله تعالى إلى محمد ﷺ ثم صار إلى أصحابه ثم إلى التابعين ثم صار إلى أبي حنيفة و أصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط (٦) ».

لزوم الصحة: أول شئ في هذا الأمر هو أن الإمام أبا حنيفة في أي طبقة في علم الحديث ؟ يقول شمس الأئمة السرخسي رحمه الله: « كان أعلم عصره بالحديث (٧) » وقد مضت أقوال شيخ الإسلام يزيد بن هارون م/٢٠٦هـ وسيد الحفاظ يحيى بن سعيد القطان وغيرهما من الأئمة الحفاظ. ثم انظروا أن الإمام انتخب الآثار من أربعين ألف حديث، يقول صدر الأئمة موفق بن أحمد المكي ناقلا عن امام الأئمة بكر بن محمد الزرنجري المحدث

(١) مناقب. للذهبي، ص/٢٦.
(٢) مقدمة كتاب التعليم للعلامة مسعود بن شيبة السندي ناقلا عن تاريخ الإمام الطحاوي.
(٣) مناقب الإمام الأعظم للعلامة الكردري، ج/١- ص/٩١ طبع بدائرة المعارف حيدر آباد دكن.
(٤) مناقب. للذهبي، ص/١٨. (٥) مناقب. لصدر الأئمة، ج/٢- ص/٢٢.
(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ترجمة الإمام أبي حنيفة.
(٧) أصول الفقه للإمام السرخسي، ج/١- ص/٣٥٠ طبع بمصر سنة ١٣٧٢هـ.

الكبير يقول: « انتخب أبو حنيفة رحمه الله الآثار من أربعين ألف حديث (١) » وقد روى الحافظ أبو نعيم الأصفهاني بسند متصل عن يحيى بن نصر ابن حاجب أنه قال: « دخلت على أبي حنيفة في بيت مملوء كتبا فقلت: « ما هذه؟ قال: هذه أحاديث كلها وما حدثت به إلا اليسير الذي ينتفع به (٢) » ثم انظروا أن كبار المحدثين اعترفوا بورعه في التحديث فقد روى الحافظ أبو محمد عبد الله الحارثي قال: أخبرنا القاسم بن عباد، سمعت يوسف الصفار، يقول سمعت وكيعا، يقول: لقد وجد الورع عن أبي حنيفة في الحديث ما لم يوجد عن غيره (٣). وروى الحارثي بسند سابق عن الإمام الحافظ على بن جعد الجوهري شيخ الإمام البخاري والإمام أبي داؤد أنه قال: « أبو حنيفة إذا جاء بالحديث جاء به مثل الدر (٤) » ويقول الإمام يحيى بن معين امام الجرح والتعديل: « كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه (٥) ».

وقد أنشد الإمام عبد الله بن المبارك في مدح أبي حنيفة فقال:

روى آثاره فأجاب فيها كطيران الصقور من المنيفة

فلم يك بالعراق له نظير ولا بالمشرقين ولا بكوفة (٦)

وأنشد أبو مقاتل السمرقندي إمام أهل سمرقند فقال:

روى الآثار عن نبل ثقات غزار العلم مشيخة حصيفة (٧)

وهذه شهادات من كبار الأئمة على صحة الآثار في كتاب الإمام، وإنا قد خرجنا أحاديثه بحمد الله فلم نجد أحدا منها لا يحتج به بل كلها صالحة

---

(١) مناقب، ج/١ - ص/٩٥

(٢) عقود الجواهر المنيفة، ج/١ - ص/٢٢ طبع بمصر

(٣) مناقب صدر الأئمة، ج/١ - ص/١٩٧.

(٤) جامع مسانيد الإمام الأعظم للخوارزمي، ج/٢ - ص/٢٠٨ طبع بدائرة المعارف.

(٥) تاريخ بغداد، تهذيب التهذيب وطبقات الحفاظ للسيوطي تراجم أبي حنيفة. هذه الرواية دالة على أن ضبط الصدر كان شرطا لصحة الحديث عند أبي حنيفة ولا يكفي ضبط الكتاب عنده وهذا شرط أشد وأقوى.

(٦). مناقب لصدر الأئمة، ج/١ - ص/١٩٠.

(٧) أيضاً، ج/٢ - ص/١٩١

للاحتجاج بها، وأما مراسيله فقد وجدنا أسانيده كمراسيل المؤطا للإمام مالك رحمه الله تعالى، فهذا الكتاب على درجة عالية في الصحة.

جودة الترتيب: إذا أمعنا النظر في كتب التاريخ والرجال وجدنا أن هناك كثيراً من مجاميع الأحاديث النبوية - على صاحبها ألف ألف سلام وتحية - للصحابة والتابعين، حتى روى عن المحدث أبي نعيم الأصفهاني أنه قال: كان دار أبي حنيفة مملوءاً بهذه الكتب، ولا شك فيه أن الامام قد جمع عنده سائر الكتب الموجودة في الكوفة في فن الحديث ولا يمكن أن نقول شيئاً عن ذخائر الكتب في غيرها من البلاد الإسلامية عن عددها وكميتها، ولكن مع هذه الكثرة ما كان منها شئ مبهماً محذواً على الترتيب الفني ومبوبا، بل كلها قد جمعت على ما اتفق لمصنفيها من الأحاديث والآثار، والإمام أبو حنيفة هو أول من دون كتابه على الترتيب الفني ورتبه على الأبواب الفقهية، وأحسن فيه وأجاد حتى تبعه الإمام مالك في موطاه، وصار هذا الأسلوب شائعاً ذائعاً بين الأئمة والعلماء، يقول العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله: «من مناقب أبي حنيفة التي انفرد بها أنه أول من دون علم الشريعة ورتبه أبواباً ثم تبعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ ولم يسبق أبا حنيفة أحد(١)».

وقد وجه الإمام أبو بكر عتيق بن داؤد اليماني من الفقهاء المتقدمين، نظرنا إلى هذا الأمر أيضاً أن الله تعالى اذا ضمن لنبيه ﷺ حفظ الشريعة وكان أبو حنيفة أول من دونها على خطأ(٢).

تلقي العلماء بالقبول: تلقى العلماء هذا الكتاب بالقبول واشتهر بين الناس حتى صار مبدءاً أساسياً للفقه الحنفي الذي هو مسلك أكبر طبقة في هذه الأمة، وقد صرح الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي أن هذا الكتاب من أمهات الكتب للفقه الحنفي، وقال: «إن بناء الفقه الحنفي على مسند أبي حنيفة وكتب محمد رحمه الله(٣)».

---

(١) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، ص/ ٣٦ طبع دائرة المعارف.
(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة، ج/٢- ص/ ١٣٧.
(٣) قرة العينين في تفضيل الشيخين، ص/ ١٨٥ طبع مجتبائي دهلي.

يوجد في كتب التاريخ أن الإمام مالكاً رحمه الله كان يستفيد من كتب أبي حنيفة يقول القاضي أبو العباس محمد بن عبد الله بن أبي العوام في كتابه:

«حدثنا يوسف بن أحمد المكي، ثنا محمد بن حازم الفقيه، ثنا محمد ابن علي الصائغ بمكة، ثنا ابراهيم بن محمد عن الشافعي عن عبد العزيز الدراوردي. قال: «كان مالك بن أنس ينظر في كتب أبي حنيفة وينتفع بها (١)» يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «من لم ينظر في كتب أبي حنيفة لم يتبحر في الفقه (٢)» سئل مرة أبو مسلم المستملى، شيخ الإسلام يزيد بن هارون عن أبي حنيفة والنظر في كتبه، فقال شيخ الإسلام: «انظروا فيها ان كنتم تريدون أن تفقهوا (٣)» ومرة كان يدرس هارون بن يزيد إذ خاطب تلاميذه فقال:

« همتكم السماع والجمع لوكان همتكم العلم لطلبتم تفسير الحديث ومعانيه ونظرتم في كتب أبي حنيفة وأقواله فيفسر لكم الحديث (٤)».

قال الحافظ عبد الله بن داؤد الخريبي: «من أراد أن يخرج من ذل العمى والجهل ويجد لذة الفقه فلينظر في كتب أبي حنيفة (٥)».

وقد كتب الحافظ أبو يعلى الخليلي في «كتاب الارشاد» في ترجمة الامام المزني - وهو من أجل تلاميذ الامام الشافعي رحمه الله - إن الإمام الطحاوي كان ابن اخته قال له مرة محمد بن أحمد الشروطي، لم خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة، فقال الطحاوي: «لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه (٦)».

هذه هي أقوال كبار الأئمة للفقه والحديث، وهذا هو التلقي لكتب أبي حنيفة، وقد أثر كتاب الآثار على تدوين فن الحديث تأثيراً بالغاً كما ذكرت قبل أن سائر المصنفين في هذا الفن الشريف اختاروا أسلوب كتاب الآثار

---

(١) تعليقات الاشقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء. للمحدث الكوثري، ص/١٤ طبع بمصر.
(٢) مناقب أبي حنيفة للصيمري. (٣) تاريخ بغداد للخطيب.
(٤) مناقب صدر الأئمة، ج/٢ - ص/٤٨. (٥) مناقب أبي حنيفة للصيمري.
(٦) تاريخ ابن خلكان ترجمة الإمام الطحاوي.

كما لك في موطاه، وغيره من أصحاب الصحاح مع اختلاف أذواقهم. وقد بين الإمام أبو حنيفة طريقته في أخذ الروايات فقال: «إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته وما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ، والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات (١)» وشهد الإمام سفيان الثوري عليها بقوله: «يأخذ بما صح عنده من الأحاديث التي كان يحملها الثقات، وبالآخر، من فعل رسول الله ﷺ (٢)» فجمع الإمام أبو حنيفة رحمه الله في «كتاب الآثار» الآثار الصحاح التي رواها الثقات عن الثقات، وجعل الآخر من أفعال رسول الله ﷺ وأقواله أصلاً أولاً ثم أخذ آثار الصحابة والتابعين، وتبعه مالك في كتابه ثم تبع صاحبا الصحيحين مالكاً رحمه الله في هذا الأسلوب كما قال العلامة المحدث عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي رحمه الله في كتابه: «إن صحيح البخاري وصحيح مسلم وإن كانا اضعفا عشرة أضعاف في كثرة الروايات ولكنهما تبعا الموطأ في أخذ الروايات و نقد الرجال و الاعتبار والاستنباط (٣)» فهذا الأسلوب الذي اختاره أبو حنيفة في كتابه تبعه فيه المحدثون حتى تبعه بعض فقهاء المحدثين في اسم هذا الكتاب أيضاً. فسمي الإمام البلخي كتابه «تصحيح الآثار» والإمام الطحاوي «معاني الآثار» و«مشكل الآثار» والامام الطبري «تهذيب الآثار».

الواقع أن «كتاب الآثار» هو أول كتاب رتب على الأبواب وبعد هذا الكتاب شاع التبويب في كتب الحديث وبما أن مؤلف هذا الكتاب التزم أن يورد الآثار الصحاح فالتزم المصنفون على الأبواب بعده أن يأتوا بالصحاح. يقول الإمام السيوطي في تدريب الراوي: «إن المصنف على الأبواب انما يورد أصح ما فيه ليصلح للاحتجاج (٤)».

فهذه ميزات اساسية يمتاز بها «كتاب الآثار» على غيره من الكتب فصار أصلاً لمن صنفوا بعده.

(١) مناقب للصيمري.
(٢) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، لابن عبد الله، ص/ ١٤٢، بمصر.
(٣) عجالة نافعة، ص/ ٥ طبع بمجتبائي دهلي.
(٤) تدريب الراوي، ص/ ٥٦ طبع بمصر.

المحدثون العظام

الدكتور محمد يونس نجرامي الندوي
تعريب جعفر مسعود الحسني الندوي

الشيخ عبد الحي الفرنجي محلي رحمه الله المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ :

كان الشيخ عبد الحي رغم اشتغاله بالفقه رئيسياً متضلعاً في علم الحديث ، وله مؤلفات قيمة في هذا الموضوع أيضاً ، وفيما يلي أسماؤها :

١- التعليق الممجد على مؤطا الامام محمد ، هي تعليقات على مؤطا الامام محمد .

٢- الآثار المرفوعة في الأحاديث ، يتعلق هذا الكتاب بالأحاديث الموضوعة كما يبدو من اسمه .

٣- ظفر الأماني في شرح مختصر الجرجاني ، يتصل هذا الكتاب بأصول الحديث .

٤- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل . هذا الكتاب أيضاً في أصول الحديث

٥- حاشية حصن حصين (الحصن والحصين) هي مجموعة الأدعية المأثورة ، عن النبي ﷺ ، له هوامش عليها .

وهذه الكتب الخمسة مطبوعة .

النواب صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ .

مؤلفات النواب صديق حسن خان في علم الحديث فيما يلي :

١- عون الباري في حل أدلة البخاري ، يتضمن هذا الكتاب أربعة مجلدات ، وهو في الواقع شرح على التجريد الصريح للشيخ حسنين بن المبارك الزبيدي

٢- السراج الوهاج في شرح السلم .

٣- فتح العلوم شرح بلوغ المرام ، كان للحافظ بن حجر العسقلاني المتوفى

سنة ٨٥٢هـ كتاب شهير في علم الحديث، وهو بلوغ المرام، وناهيك بأنه مؤلف الكتاب الجليل فتح الباري، وتلقى بلوغ المرام أيضاً القبول والشهرة، وكتب كثير من العلماء الشروح عليه، ويعتبر شرح النواب صديق حسن خان من الشروح المهمة الوقيعة.

٤- منزل الأخبار شرح منتقى الأخبار، هذه خلاصة نيل الأوطار.

٥- أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة، جمع النواب في هذه المجموعة الأحاديث التي جاءت في فضائل الحج والعمرة.

٦- الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون، هو في شأن الأحاديث المتواترة.

٧- الحطة في ذكر الصحاح الستة، فيه معلومات مفيدة عن الصحاح الستة.

٨- الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة.

٩- الروضة الهندية شرح الدر البهيئة، يتصل هذا الكتاب بالجانب الفقهي للحديث.

١٠- العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة.

١١- الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة، هي مجموعة خطب الجمعة.

١٢- نيل الأماني بشرح مختصر الشوكاني، له أيضاً صلة بالجانب الفقهي للحديث.

١٣- أربعون حديثا متواترة، هي مجموعة لأربعين حديثاً.

١٤- تخريج الوصايا من جنايا الزوايا، يتصل هذا الكتاب بالوصايا.

١٥- حصول المأمول من علم الأصول، هذا الكتاب في موضوع أصول الفقه.

١٦- حسن الأسوة مما ثبت من الله ورسوله في النسوة، يدور هذا الكتاب حول تحريم الزنا.

١٧- ظفر الراضي بما يجب في القضاء على القاضي، يتصل هذا الكتاب بآداب القضاء.

١٨- ذخر المحتى من آداب الفتوى، يتعلق هذا الكتاب بآداب الافتاء.

١٩- لفظة العجلان لما تمس إلى معرفة حاجة الانسان، يتناول هذا الكتاب موضوعات مختلفة.

٢٠- منزل الابرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار، موضوع هذا الكتاب الأدعية والأذكار.

٢١- نصب الذريعة إلى تعدية علوم الشريعة. ذكر النواب صديق حسن خان في هذا الكتاب العلوم الشرعية، وجعلها موضوعاً له.

سائر الكتب المذكورة أعلاه قد طبعت وتوجد في مكتبة ندوة العلماء في جناح النواب صديق حسن خان.

الشيخ فخر الحسن الكنكوهي المتوفي سنة ١٣١٥هـ:

هو من تلامذة الشيخ محمد قاسم النانوتوي المبرزين،قرأ كتب الحديث النبوي الشريف على الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. كان وسيما، ذا خلق حسن، وكان يصرف أوقاته في المناظرة بالنصارى والهنادك.

توفي في مدينة كانفور سنة ١٣١٥هـ.

له تعليقات بسيطة على سنن أبي داؤد، سماها بالتعليق المحمود، ذكر مؤلف نزهة الخواطر كتابين آخرين له، وهما:

١- حاشية تلخيص المقام. ٢- حاشية سنن ابن ماجة.

الشيخ ظهير أحسن شوق النيموي البيهاري

هو ظهير أحسن بن سبحان علي الحنفي النيموي العظيم آبادي، أحد العلماء البارزين في الفقه والحديث، ولد ونشأ بقرية نيم من أعمال عظيم آباد، اشتغل بالعلم من صغره، ثم سافر إلى لكناؤ، وقرأ على العلامة عبد الحي الفرنجي محلي وعلى غيره من العلماء، وبايع الشيخ الإمام فضل الرحمن الكنج مرادآبادي، واشتغل بقرض الشعر مدة طويلة، ثم وفقه الله سبحانه وتعالى لخدمة الحديث الشريف، ولتحول قلبه قصة طريفة، يقول مؤلف نزهة الخواطر: «كان قد رأي ذات ليلة في المنام انه يحمل فوق رأسه جنازة النبي ﷺ، فعبر هذه الرؤيا بأن يكون حاملاً لعلمه، فشمر عن ساق الجد، وعكف على دراسة الحديث(١)».

---

(١) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/٢٠٦-٢٠٧.

كان عالي الكعب، واسع الاطلاع، دقيق النظر في الحديث والرجال، ونقد الحديث، ومعرفة علله وطبقاته، درس الحديث بوجهة نظر الحنفية، وحاول تأييد الفقه الحنفي بالسنة المطهرة.

كتب سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي عنه فيقول: «إن تأليف الشيخ شوق النيموي هو اضافة جديدة وقيمة إلى الكتب التي ألفت حول علم الحديث في الهند (١)».

مات في نحو سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف (٢) صنف الشيخ النيموي « آثار السنن مع التعليق الحسن » (في جزئين) وهو كتاب نادر غريب، ثم علق عليه تعليقا حسناً، سماه التعليق الحسن على آثار السنن، ثم علق على هذا التعليق تعليقا سماه « بتعليق التعليق » وكل ذلك من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة (٣).

وطبع هذا الكتاب مع ما علق عليه من تعليقات في مجلد واحد ويعتبر من الكتب المهمة القيمة في تاييد الفقه الحنفي، ومن وجهة نظر تحديثية، ولكن مما يؤسف له ان عمره قد حال دون إكمال هذا الكتاب.

إذا كال وفق إلى إكمال هذا الكتاب لكان ذلك مأثرة علمية من وجهة نظر الحنفية، وعلى الطراز التحديثي.

الشيخ شمس الحق الديناوي رحمه الله

العالم الكبير والمحدث الجليل الشيخ شمس الحق بن أمير بن مقصود علي ابن غلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد بن علاء الدين البكري الديناوي العظيم آبادي، أحد العلماء العاملين وعباد الله الصالحين، ولد في شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣ هـ (٤).

تلقي دراسته الأولى من الشيخ عبد الحكيم، والشيخ لطف علي البيهاري ثم سافر إلى لكناؤ في عام ١٢٩٢ هـ، وقرأ بعض الكتب الدرسية على الشيخ

---

(١) هندوستاني مسلمان، ص/٥٠ - الشيخ الندوي.
(٢-٣) نزهة الخواطر، ج/٨ - ص/٢٠٧.
(٤) نزهة الخواطر، ج/٨ - ص/١٧٩.

فضل الله بن نعمت الله اللكناوي، ولازمه سنة كاملة، ثم رحل إلى مرادآباد، وقرأ هناك على الشيخ بشير الدين العثماني القنوجي، ولازمه إلى سنة خمس وتسعين، ثم سافر إلى دلهي، وأسند الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوي، ورجع إلى بلدته، ولبث بها سنة اثنتين وثلاثمأة وألف، ثم سافر إلى دلهي، وقرأ على الشيخ المذكور القرآن الكريم والجلالين، والمؤطأ، وسنن الدارمي، وسنن الدار قطني، والصحاح الستة، ولازمه ثلاث سنوات، وأدرك هناك الشيخ حسين بن محسن السبعي الانصاري وأسند عنه (١).

التدريس والافــادة:

ثم رجع إلى بلدته، وعكف على التدريس والتصنيف، والتذكير، وبذل جهده في نصرة السنة، ونشر كتب الحديث (٢).

مساهمته في نشر كتب الحديث:

يقول مؤلف نزهة الخواطر: إن الشيخ شمس الحق كان قد جمع كتبا كثيرة في علم الحديث، وكان لديه رغبة شديدة في نشر كتب الحديث النادرة «فكان قد أنفق مالا في طبع بعض الكتب وله منة عظيمة على أهل العلم بذلك» (٣).

خلقه وعاداتــه:

صور العلامة عبد الحي الحسني رحمه الله صاحب نزهة الخواطر خلق الشيخ شمس الحق الديناوي وعاداته، فيقول:

«كان حليما متواضعاً، كريماً عفيفاً، صاحب صلاح وطريقة ظاهرة، محباً لأهل العلم» (٤).

رحلته إلى الجزيرة العربية للحج والزيارة:

سافر إلى الحجاز في عام ١٣١٨هـ فحج وزار، وأدرك المشايخ، فاستفاد منهم وأفاد (٥).

وفاتــه: توفي في ١٩/من ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ (٦).

---

(١) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.
(٢) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.
(٣) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.
(٤) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.
(٥) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.
(٦) نزهة الخواطر، ج/٨-ص/١٧٩.

خدماته العلمية :

١ - عون المعبود على سنن أبي داؤد:

هو شرح على سنن أبي داؤد . يحتوي على أربعة مجلدات ، ونشرته مطبعة الأنصاري في دلهي بحجم كبير في مدة تتراوح ما بين ١٣١٨هـ و١٣٢٣هـ ، ويتضمن ١٩٠٠/صفحة .

ولهذا الشرح منزلة رفيعة من بين الشروح التي الفت على سنن أبي داؤد ، لوحظت فيه وجهة نظر مذهب أهل الحديث خاصة : وهو في الحقيقة مرآة للجهود العلمية التي كان قد بذلها الشيخ شمس الحق الديناوي التلميذ الخاص للشيخ نذير حسين ، وكان الشيخ قد شرع في تأليف شرح مبسوط مطول على سنن أبي داؤد ، وسماه غاية المقصود ، ولم يطبع له إلا الجزء الأول ، ثم أشرك الشيخ تلميذه محمد أشرف في تاليف هذا الشرح ، وتم تأليفه باسم عون المعبود ، وجاءت خلاصة غاية المقصود في الجزء الأول لعون المعبود .

٢ - التعليق المغنى على سنن الدار قطنى:

من مآثره العلمية المهمة انه نشر لأول مرة بالنظر إلى النسخ المخطوطة ، ويقدر نوع التعليقات والحواشى بهذا البيان ، « اكتفى فيها على تنقيد بعض أحاديثه وبيان علميته ، وكشف عن بعض مطالبه على سبيل الاعجاز والاختصار »(١) .

وجاء في مقدمته بمعلومات مفيدة عن الامام الدار قطنى ، ونشرت مطبعة الفاروقي في دلهي هذا الكتاب بحجم كبير في المجلدين سنة ١٣١٠ هـ لأول مرة

٣ - رفع الالتسباس عن بعض الناس :

قامت مطبعة الفاروقي أيضاً بطبع هذه الرسالة التي تحتوي على ٣٤/ صفحة ، بحجم كبير في عام ١٣١٨ هـ ، والفت هذه الرسالة في الرد على « بعض الناس في رفع الوسواس » الذي كتب لحض اعتراضات الامام البخاري الموجهة إلى الحنفية ، لكن لا تشم منها رائحة العصبية الحزبية واعترف كثيراً بفضل

---

(١) التعليق المغنى ، ص/٢ .

الامام أبي حنيفة رحمه الله وببراعته، ونبوغه، برحابة صدر.

٤ - إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر:

صدر هذا الكتاب في عام ١٢٠٥هـ من مطبعة الفاروقي بحجم كبير، ويحتوي على ٦٧/صفحة، ويدل اسم الكتاب على موضوعه وصرح معظم العلماء بأنه لم تكتب رسالة أحسن منه في هذا الموضوع.

٥ - الأقوال الصحيحة في الأحكام النسكية:

بحث في هذه الرسالة حول سنة العقيقة، والأذان عند الولادة بالاضافة إلى ما هو اليوم الأفضل لتسمية المولود وطبعت هذه الرسالة في مطبعة الفاروقي في دلهي سنة ١٢٩٧هـ.

٦ - غنيـة الألعـي:

طبعت هذه الرسالة الموجزة مع المعجم الصغير للطبراني في مطبعة الأنصاري، ودار فيها الحديث عن القضايا الفقهية والحديثية.

٧ - تعليقات على اسعاف المبطأ برجال المؤطأ:

هو تعليق وجيز مفيد على الكتاب الشهير المسمى باسعاف المبطأ الذي ألفه العلامة جلال الدين السيوطي حول رجال المؤطأ، وزيد فيه على السيوطي، ونبه إلى أخطائه في بعض الأماكن.

٨ - النجم الوهاج في شرح مقدمة مسلم بن الحجاج:

هو شرح مبسوط على مقدمة الصحيح للإمام مسلم كما يبدو من اسمه.

٩ - تعليقات على سنن النسائي:

عولج في هذه الرسالة بعض مشاكل سنن النسائي.

١٠ - نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ:

ذكر فيه أحوال شيوخه وأساتذته، وسنده.

١١ - النور اللامع في أخبار صلاة الجمعة عن الشافع:

يدل اسمه على موضوعه.

١٢ - تحفة المجتهدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان النبي المختار: جمع فيه الأحاديث عن الوتر وصوم رمضان

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند منذ الاستقلال

بقلم : دكتور/ ظفر الإسلام خان

كان تقسيم الهند البريطانية إلى دولتي « الهند » و « باكستان » سنة ١٩٤٧م في حقيقة الأمر تقسيماً للطائفة الإسلامية الهندية ، وكان التقسيم ناتجا عن مطالب الرابطة الإسلامية والمخططات البريطانية لمستقبل هذه المنطقة ، ولكن حزب المؤتمر الهندي يتحمل نفس القدر من المسئولية عن تقسيم البلاد ، وذلك لانتهاجه سياسة عنجهية وضيقة الأفق تجاه المصالح الإسلامية لأكثر من عقدين من الزمان قبل الاستقلال .

هجـــرة النخبة :

اندلعت حوادث العنف الطائفية على نطاق واسع في أعقاب التقسيم ، الأمر الذي أدى إلى هجرة غالبية النخبة المسلمة في شمال الهند ، وخصوصا كبار مؤظفى الدولة إلـــى باكستان ، تاركين وراءهم فراغـــاً لم يملأ بعد .

وكان نحو عشرة ملايين مسلم قد بدأوا هجرتهم من الهند وقتل كثير منهم خلال مرورهم عبر البنجاب وجامّو ، وطبقا للأرقام الباكستانية الرسمية (إحصاء باكستان لسنة ١٩٥١م Census of Pakistan 1951m ، كراتشي ١٩٥٥م ، ص/ ٣٠ وما بعدها) تمكن ٢ر٧ مليون مسلم هندي من الوصول إلى باكستان بما فيهم نصف مليون مهاجر إلى باكستان الشرقية (بنغلاديش الآن) ، وكان من بين المهاجرين كبار العلماء مثل أبى الأعلى المودودي ، وأمين أحسن الإصلاحي ، والسيد سليمان الندوي ، والقاضي ثناء الله الأمرتسري ، والمفتي محمد شفيع .. وفي مقابل هذا هاجر ٧٤ر٤

مليون هندوسي وسيخ من المناطق المخصصة لباكستان خلال سنوات ١٩٤١م-١٩٥١م (U.B.Rao, The Story of Rehabilitation. Delhi 1967 p.27)
.. وبينما جرى استيعاب وتوطين المهاجرين الهندوس والسيخ بنجاح في الهند، لا يزال «المهاجرون» في باكستان مجموعة قلقة لم تندمج بعد في البيئة الجديدة.

وواصلت الهند كراهيتها لباكستان، فعملت في ظل إنديرا غاندي على تقسيمها إلى دولتين بواسطة التدخل العسكري سنة ١٩٧١م، وبالتالي خلقت مشكلة جديدة تعرف بمشكلة «المسلمين البيهاريين» في بنغلاديش الذين لا يزالون يعانون الأمرين في معسكرات اللاجئين القذرة، يحلمون بالوصول إلى باكستان يوما ما.

والجزء المتبقي من النخبة المسلمة الذي آثر البقاء في الهند، بما فيهم مؤيدو حزب المؤتمر أو الذين لم يكن لهم شأن بالسياسة، فجرى تعريضهم للترويع والإهانات المادية والنفسية. وكان من الإجراءات القمعية قانون أملاك النازحين Evacuee Property Law الذي سن فور الاستقلال وحرم على عازمي الهجرة (أي المسلمين المتوجهين إلى باكستان) أن يبيعوا أملاكهم في الهند.. وبما أن تلك الأملاك كانت عموما ملكية مشتركة للأسرة فكانت هجرة عضو واحد فقط من أسرة ما تبريراً كافيا لاستيلاء الحكومة على أملاك الأسرة كلها.

وجرى توسيع نطاق هذا القانون توسيعا كبيرا لدرجة أنه شمل كل مسلمي الهند فلم يتمكنوا لسنوات طويلة قادمة من بيع أملاكهم أو رهنها للانتقال إلى أماكن جديدة داخل البلاد أو بدء أعمال تجارية جديدة، فازداد المسلمون تخلفاً بينما استفاد الهندوس من الامكانات الجديدة التي تتيحها السيطرة على الجهاز الحكومي ومؤسسات الدولة. وكانت هجرة عضو واحد أو حتى مجرد الإشاعة بعزمه على الهجرة تبريرا كافيا ليستولى «الحارس على أملاك النازحين» Custodian of Evacuee Property على أملاك الأسرة.

نظرة عامة على أوضاع مسلمي الهند ..

عدد السكان المسلمين:

كانت نسبة المسلمين بين سكان الهند المتحدة أي قبل الاستقلال تبلغ ٢٨ر٢٤ في المائة من مجموع التعداد الكلي للسكان طبقا لإحصاء سنة ١٩٤١م، وانخفضت هذه النسبة ألى ٩١ر٩ في المائة طبقا لإحصاء ١٩٥١م الذي جرى فيه تخفيض أعداد المسلمين بصورة متعمدة. أما نسب المسلمين بين السكان طبقا للإحصاءات التالية فهي كما يلي: ٧ر١٠ في المائة (١٩٦١م) و٢١ر١١ في المائة (١٩٧١م) و ٣٥ر١١ في المائة (١٩٨١م). وهي تمثل زيادة في تمثيل المسلمين بين السكان بنسبة ٤٤ر١ في المائة على أرقام ١٩٥١م.

وطبقا لإحصاء سنة ١٩٨١م يمثل المسلمون الغالبية في عشر مديريات داخل البلاد هي مُرشِدآباد بولاية البنغال الغربية، وكوبوارا، وبارامولا، وبود غام، وبولواما، وأننت ناغ (إسلام آباد)، وسري ناغار، وكرغيل، وبونتش، ودودا بولاية جامو وكشمير.

وكان تعداد مسلمي الهند طبقا لإحصاء سنة ١٩٨١م يبلغ ٥١ر٧٥ مليون نسمة. وكان السفير الهندي بباكستان قد قال في سبتمبر ١٩٨٨م أن عدد المسلمين في الهند قد بلغ ١١٨ مليون نسمة. بينما يقدر المسلمون أنفسهم أن تعدادهم الحالي لا يقل عن ١٥٠ مليون بأي حال من الأحوال.

ابتـــــزاز:

تعرض المسلمون طويلا لابتزاز نفسي على يد جماعات هندوسية زعمت أنهم كانوا المسئولين عن تقسيم البلاد، وأن النتيجة المنطقية للتقسيم هي أن يهاجر المسلمون إلى الدولة الجديدة، واستغل حزب المؤتمر المسلمين لثلاثة عقود واستخدمهم كـ «مصرف لأصوات الناخبين» 'Vote bank' (وهو مصطلح هندي يعني وجود مجموعة ما تؤيد حزبا معينا تأييدا أعمى بغض النظر عن أعماله وسياساته).

وأستونفت السلسلة اللامتناهية من الاضطرابات المعادية للمسلمين (التي توصف في الهند بـ «الاضطرابات الطائفية» للتخفيف من تأثيرها) مرة أخرى في أوائل الستينيات بعد أن كانت قد خمدت عقب الاستقلال بقليل،

وجاءت هذه الاضطرابات الجديدة لتهز اعتقاد المسلمين بأن حزب المؤتمر هو حاميهم المدافع عن حقوقهم . وأدى ظهور بنغلاديش وما نجم عنه من تقليل شوكة باكستان العسكرية والسياسية إلى ترسيخ إرادة مسلمي الهند ليركزوا على تنمية أنفسهم وتطوير طاقاتهم بدون التطلع إلى تأييد خارجي . وتجاوزات « فترة الطوارئ » التي أعلنتها إنديرا غاندي خلال سنوات ١٩٧٥م-١٩٧٧م بما فيها التعقيم الإجباري للمسلمين والمسلمات في شمال الهند وهدم مناطقهم (مثل تركمان غيت بدهلي) بحجة تجميل المدينة أزالت آخر العقد التي كان المسلمون يعانون منها على المستوى النفسي .

وفي الوقت نفسه كان جيل جديد - جيل ما بعد الاستقلال - (أي جيل كاتب هذه السطور) في طور الظهور . ومسلمو هذا الجيل الجديد لا يعانون من أية عقدة نفسية أو شعور بالمسئولية إزاء التقسيم ، وهم بالتالي لا يعانون من أية وخزة ضمير تؤنبهم على ما حدث قبل ولادتهم . .

وأدى هذا الجو الجديد إلى نبذ المسلمين لحزب المؤتمر في انتخابات ١٩٧٧م التي جاءت في أعقابها أول حكومة مركزية لغير حزب المؤتمر ، وكانت هذه الحكومة الجديدة تتألف من اتحاد لعدد من الأحزاب السياسية المؤمنة بأيديولوجيات متنافرة ومؤلفة من زعماء يعانون من أنانيات طاغية وطموح شخصي عظيم ، وسرعان ما سقطت هذه الحكومة وأجريت انتخابات جديدة سنة ١٩٧٩م فعاد حزب المؤتمر إلى الحكم من جديد بزعامة إنديرا غاندي ، وكانت هذه المرأة معروفة بحبها للانتقام ، فقررت تجاهل المسلمين وغيرهم من الأقليات وبدأت تتودد إلى الغالبية الهندوسية وأخذت تنتهج سياسة هندوسية نشيطة .

لاقضايا : بعض المجموعات التي تستفيد من الخصام بين الطائفتين الهندوسية والمسلمة تظل تكتشف قضايا مفتعلة يمكن وصفها بـ«لاقضايا» وذلك لدفع المسلمين الى الاغتراب أكثر فأكثر عن مسيرة البلاد ودفعهم إلى الهامش وإشغالهم بقضايا جانبية . ومن هذه « اللاقضايا » التي أثيرت وأستغلت استغلالا بشعا لتهميش المسلمين : قضية

ذبح البقرة ، وطابع الأقلية (أي الطابع الإسلامي) لجامعة عليكراه الإسلامية الذي ألغي سنة ١٩٦٥م وأعيد سنة ١٩٨١م بعد احتجاج إسلامي كبير ، وقضية شاه بانو والقانون المدني العام لكل الطوائف (بدلا من قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بالنسبة للمسلمين) والمسجد البابري وغيره من المساجد التي يزعم غلاة الهندوس أنها بنيت على أنقاض معابد هندوسية هدمها المسلمون خلال حكمهم ، و وضع كشمير ، ومن هذه القضايا الجانبية ، التي أثيرت بصورة لافتة للنظر ، قضية الفتاة أمينة ، الصغيرة السن ، من حيدرآباد التي تزوجها شيخ عربي مسن ، والغرض من إثارة هذه الحملات المفتعلة هو أن يظل المسلمون دوما في حالة الدفاع ليمكن ابتزازهم نفسيا ولتحويل اهتمامهم عن مشكلاتهم الحقيقية ، ليظلوا دوما طائفة فقيرة وأمية ومجهدة لا تقوى على الإبداع وتغيير واقعها ، إن وجود طائفة ساخطة نذير شوم لأي بلد ، ولكن هكذا يريد بعض الناس أن يبقي مسلمو الهند ، غير مبالين بمصالح بلدهم وتقدمه .

مخططات فاشية : كان البوفيسور شكيل الرحمن ، وهو نائب بالبرلمان ، وقد سبق له شغل منصب مدير لعدد من الجامعات ، وكان وزيرا بحكومة تشاندرا شيخر خلال سنوات ١٩٩٠م-١٩٩١م قد كشف في أغسطس سنة ١٩٩٠م أن منظمة (ويشواهندو پريشاد V.H.P.) وهي من منظمات غلاة الهندوس ، قد دبرت خطة إرهابية ضد المسلمين في الهند بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وتتضمن الخطة تقديم هذه الوكالة مبلغ ١٤٠ /مليون دولار لهذه المنظمة ، وقيل إن بعض كبار رجال الأعمال الهندوس هم الآخرون سيمولون هذه الخطة بمبالغ كبيرة ، وقد أحيت هذه المنظمة خطة « شودهي» (تطهير) القديمة التي تقضي بإجبار مسلمي الهند على اعتناق الهندوسية باستخدام وسائل القهر الاجتماعي والترغيب المادي ، وقال تقرير صحفي نشر مؤخرا : إن هذه المجموعة نجحت في حمل مئات الألوف من المسلمين على الارتداد (صحيفة بايونير The Pioneer دهلي ، ٥ /يناير ١٩٩٢م).

وكانت حركة الإحياء الهندوسية وجدت قضية مثيرة لبعث الحياة في نفسها وإثارة الغوغاء بعد اعتناق منبوذي قرية ميناكشي بورام بجنوب الهند للإسلام سنة ١٩٨١م.

وكان من جراء هذا أن نشطت الحركة المطالبة بتحويل المسجد البابري إلى معبد راما، وتمتعت بتأييد رسمي مكشوف وغير مكشوف، وتمتعت هذه الحركة التي وصفت بردة الفعل الهندوسية Hindu backlash ببركات إنديرا غاندي، رئيسة الوزراء آنذاك، فتحولت إلى عاصفة في منتصف الثمانينيات، وقويت هذه الحركة أكثر بإقدام السلطات على فتح المسجد البابري بأيودهيا (المغتصب منذ ١٩٤٩م) لعامة الهندوس في ١/فبراير ١٩٨٦م، واستفاد منها حزب بهارتيا جانتا الهندوسي الفاشي فقفز نصيبه في البرلمان من مقعدين إلى ٨٤/مقعدا في الانتخابات النيابية سنة ١٩٨٩م ثم إلى ١١٨/ مقعدا في انتخابات ١٩٩١م، كما نجح هذا الحزب في إحراز الأغلبية في البرلمانات الإقليمية لولايات مادهيا براديش وهيماتشال براديش راجستهان سنة ١٩٨٩م واترابراديش (التي هي أهم ولاية هندية) سنة ١٩٩١م، وهو بالتالي يحكم هذه الولايات، وكان هذا الحزب قد عقد تحالفا مكشوفا مع حكومة وي. پي. سينغ (١٩٨٩م-١٩٩٠م) وهو في حالة تحالف غير مكشوف مع حزب المؤتمر الحاكم هذه الأيام، وهناك اقتراحات من مختلف الدوائر لعقد تحالف مكشوف بين حزب بهارتيا جانتا وحزب المؤتمر الذي استوعب بالفعل مجموعة خرجت من حزب هندوسي فاشي مماثل، وهو حزب شيوسينا، بولاية مهاراشترا بغرب الهند، وأصبح (بهوجبال) رئيس هذه المجموعة وزيرا بحكومة الولاية التي يحكمها حزب المؤتمر.

تنافر في صفوف المسلمين: كانت الانتخابات النيابية الأخيرة التي عقدت في يونيو١٩٩١م قد أكدت مرة أخرى على أن الشقاق الداخلي هو أكبر أعداء مسلمي الهند، وكان حزب بهارتيا جانتا قد تمكن من الفوز حتى بالدوائر الانتخابية التي يتمتع المسلمون بها بثقل ملحوظ مثل

دوائر شاندني شوك (بدهلي) ورامبور وأمروهه وبريلي وعليكراه وآغرا وبهرايتش الخ ، وسبب ضياع أصوات المسلمين في دوائر كهذه هو ترشيح عدد منهم على قوائم مختلف الأحزاب أو كمستقلين ، فتتوزع أصواتهم على عدد من المرشحين بينما تذهب أصوات الهندوس لمرشح واحد . وقالت بعض التقارير إن حزب بهارتيا جانتا رشا بعض المسلمين ليترشحوا في الانتخابات كمستقلين وذلك لهدر أصوات المسلمين في هذه الدوائر .

والمسلمون عنصر ملحوظ في نحو مائة دائرة انتخابية نيابية وهم عنصر حاسم في ٤٥ /دائرة من هذه الدوائر . ونظرا إلى نسبة المسلمين بين السكان - حتى في ضوء الأرقام الرسمية التي يرى المسلمون أنها تقلل من تعدادهم - فكان ينبغي أن يكون هناك ١١٠ /نائبا في البرلمان بينما لم يتمكن إلا ٢٧ /نائبا مسلما من الدخول إلى البرلمان الحالي ، أما أعدادهم في البرلمانات السابقة فبلغت كما يلي :

٢٢:	سنة ١٩٥٢م	٢٦:	سنة ١٩٥٧م
٢٣:	سنة ١٩٦٢م		
٣٠:	في كل من سنتي ١٩٦٧م و ١٩٧٠م		
٣٢:	سنة ١٩٧٧م	٤٧:	سنة ١٩٧٩م
٤٢:	سنة ١٩٨٤م	٣٢:	سنة ١٩٨٩م

تمثيل المسلمين في الوظائف : تناقص تمثيل المسلمين بصورة مطردة عبر السنوات منذ الاستقلال ، ومن أمثلته أن نسبة المسلمين بين شرطة ولاية اترابراديش كانت (٤٠) في المائة سنة ١٩٤٧م ، أما اليوم فقد تدنت نسبتهم إلى ٢/في المائة ، وحتى في البنغال الغربية التي يحكمها الماركسيون فمن بين عشرة آلاف وظيفة حكومية شغلت سنة ١٩٨٧م لم يختر من المسلمين إلا ٢٤ /شخصا ، وكان تقرير رسمي قدم للبرلمان سنة ١٩٩٠م قد لاحظ أن قبول المسلمين بالخدمة الادارية الهندية Indian Administrative Service (IAS) ، وهي كادر النخبة البيروقراطية في الهند ، خلال سنوات ١٩٧١م-١٩٨٠م كان قد وصل إلى أعلى مداه سنة

١٩٧٨م حين بلغ ٧ر٤٦ في المائة ، بينما المسلمون يمثلون أكثر من ١١ ٪في المائة من السكان ، وكانت نسبة المسلمين بهذا الكادر النخبوي يبلغ ثلاثة في المائة فقط سنة ١٩٨١م ، وكانت نسبتهم بين كادر الشرطة النخبوي (خدمة الشرطة الهندية Indian Police Service) تبلغ ٩ر٢ في المائة فقط في نفس السنة . وكانت نسبة المسلمين بين ضباط الضرائب على الدخول تبلغ فقط ١ر٢ في المائة خلال سنوات ١٩٧١م -١٩٨٠م ، وكانت تبلغ ٧ر٢ في المائة . فقط في خدمة المرور والمحاسبة التابعة للسكك الحديدية Railway Traffic and accounts Service وكانت نسبتهم تبلغ ٢ر٢ في المائة فقط في المصارف ، وكان تمثيلهم في وظائف حكومات الولايات والحكومة المركزية بنسبة ستة في المائة و ٤ر٤ في المائة على التوالي في الفترة نفسها . وفي مقابل هذا كان تمثيل السيخ والمسيحيين في هذه الخدمات بنسب تفوق كثيرا نسبهم بين السكان في البلاد . وغالبية المسلمين عمال فقراء أو صغار الفلاحين أو حرفيون ، ونصيبهم من التجارة والصناعة أقل بكثير من نسبتهم المئوية بين السكان .

مشكلات ومطالب:

يمكن تلخيص أهم مشكلات مسلمي الهند من خلال وجهة نظرهم على النحو التالي :

أولا : تعرض شخصيتهم الإسلامية للطمس المستمر ومحاولات النيل من قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

ثانيا : الأمية (نحو ٧٠ ٪مليون مسلم ، وخصوصا النساء ، أميون على وجه التقدير) .

ثالثا : انعدام الأمن في مواجهة ما يسمى بالاضطرابات الطائفية وهجمات الشرطة الإقليمية المسلحة المتعصبة على المسلمين ، ويقدر أن ٥٠٠ر١٥ اضطرابا معاديا للمسلمين قد تفجر في البلاد خلال سنوات ١٩٤٧م-١٩٩١م ، ويبلغ المعدل الحالي اضطرابا واحدا كل يوم .

رابعا : البطالة (نسبة المسلمين المستخدمين في القطاعين العام والخاص

في تدهور مستمر منذ الاستقلال) .
خامسا : أزمة القيادة ، يعاني مسلمو الهند من زعماء أنانيين يستغلون المسلمين لمآربهم الخاصة .

ولا شك في أن الكثير من اللوم يقع على الطائفة الإسلامية نفسها التي يجب عليها أن تحاسب نفسها وأن تنجز الكثير بمبادراتها الخاصة وجهودها الذاتية .

أما مطالب المسلمين الرئيسية فيمكن إيجازها بما يلي :

أولا : تسوية النزاع حول المسجد البابري تسوية ودية ، وإن تعذر ذلك نبحكم محكمة قضائية عالية .

ثانيا : إنشاء قوة لمكافحة الاضطرابات بتمثيل إسلامي معقول وتسريح الشرطة الإقليمية المسلحة السيئة السمعة كقوة معادية للمسلمين .

ثالثا : حماية أملاك الأوقاف الإسلامية وتوفير الضمانات لاستخدامها بصورة صحيحة .

رابعا : تمثيل المسلمين في وظائف الحكومة ومقاعد المجالس النيابية الإقليمية والبرلمان المركزي بما يناسب نسبتهم بين السكان .

خامسا : حماية اللغة الأردية وتنشيطها .

سادسا : عدم التدخل في قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

ويوافق حزبا المؤتمر وجاناتا دل ، بصورة عامة ، على هذه المطالب ، ولكن هذه الموافقة لم تترجم إلى خطوات ملموسة .

ولم تعلن بعد - ناهيك أن تنفذ - توصيات لجنة غوبال سينغ ، التي عينتها إنديرا غاندي سنة ١٩٨١م للنظر في أحوال الأقليات ، وبرنامج إنديرا غاندي المكون من ١٥/نقطة لرفع أحوال الأقليات الذي هلل له كثيرا لا يزال في معظمه حبرا على ورق ، واللغة الأردية ، التي كانت لغة الاتصال بين أنحاء شبه القارة الهندية قبل التقسيم وهي لغة جميلة ومتطورة جدا ، نظروا إليها على أنها لغة المسلمين وحدهم وبالتالي خنقوها من الناحية العملية .

المستقبل: أيام عصبية تنتظر مسلمي الهند في المستقبل القريب، وقد أخر غلاة الهندوس المتمثلون في منظمة ويشوا هندو باريشاد تاريخ بدء بناء المعبد المقترح بأيودهيا فأعلنوا أنه سيبدأ هذه المرة في وقت ما في الشهر القادم (فبراير) وخطتهم هي تمديد القضية لأكثر مدى ممكن، وذلك لتعبئة التأييد الهندوسي لحزب بهارتيا جانتا، وإشغال الطاقات الإسلامية وهدرها.

والمطلوب من المسلمين أن يمارسوا أقصى قدر من التحمل وكبح الذات في مواجهة هذا التجدي المستمر لقوانين البلاد. ولا ينبغي معاملة قضية المسجد البابري كقضية إسلامية بحتة، فهي في حقيقة الأمر قضية أناس خارجين على القانون يتحدون سلطة الدولة ويرفضون أن يكون للمحاكم القضائية دور فيها، وكان كليان سينغ، كبير وزراء اترابراديش، وهو زعيم حزب بهارتيا جانتا في الولاية، قد قال مؤخرا في حديث صحفي: إن المعبد المقترح سيبنى بغض النظر عما تقوله المحاكم!. ولا ينبغي للمسلمين أن يهدروا طاقاتهم في مواجهة هذه العصابات الفاشية، فينبغي أن يتركوا هذا الأمر للدولة المناط بها المحافظة على قوانين البلاد وضمان حكم القانون، وينبغي على المسلمين أن يوجهوا اهتماماتهم نحو أخطار أكبر تؤثر في وجودهم مثل الأمية، وضياع القيم الإسلامية بين أفرادهم ومجتمعهم، والفقر، وهي مشكلات تهدد وجودهم ذاته، وينبغي علينا أن نقيم الجسور مع الهندوس الذين ليست غالبيتهم طائفية أو مغالية وحاقدة، لقد فشلنا بكل وضوح في الوصول إلى هؤلاء.

والأسلوب الوحيد للتقدم، كما أظهره يهود المهجر واليابانيون، هو أن نلوم أنفسنا وأن نقوم بجهود إيجابية وهادفة بدقة في كل الميادين التي نعاني من التخلف فيها أو نشكو منها، ولا يمكن لأي قدر من الحقد والتمييز أن ينجح لو كان المنافس عنيدا وأفضل من غيره، وهناك مجالات رحبة مفتوحة للتنافس كالتعليم والعلوم والتكنولوجيا والصناعة والتجارة حيث ينجح الأفضل بغض النظر عن لون جلده أو عقائده.

دروس وعبر من خلال رحلات العلم والعمل

دكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي

إنه لمن نعم الله الكثيرة على أن نشأت وتربيت في احضان العلم والعلماء، في واحة من واحات اللغة العربية في أعماق الهند في دارالعلوم لندوة العلماء بلكناؤ . فبها تعلمت منذ نعومة أظفاري اللغة العربية والقراءة في كتب أستاذي أبي الحسن الندوي - بارك الله في عمره وع · - مثل كتاب قصص النبيين . والقراءة الراشدة والمختارات . وفي كتاب المحاورة العربية للأستاذ محبوب الرحمن الأزهري.

وكنت مولما بمجالسة العلماء والتردد إلى مجالسهم الحافلة بالعلم والتربية والقدوة الحسنة . ومنها مجالس أستاذي أبي الحسن علي الندوي . التي كان يعقدها بعد العصر في ساحة مبنى الضيافة وكانت أشبه بندوة مفتوحة لكل من أراد الاستفسار عن العلم والعلماء والقضايا المعاصرة . فكانت بابا من أبواب الهدى . وعلى يديه الكريمتين تلقيت دورساً في الأدب والانشاء . ودرست الشريعة على يدى خيرة العلماء والمشايخ . وعلى رأسهم سماحة الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي . فقد قرأت ودرست عليه صحيح البخاري.

الرحلة في طلب العلم خارج ديار الهند :

لقد حقق الله -عز وعلا- لي أعز أمنية راودتني منذ الصغر أمنية الرحلة إلى مصر حيث الأزهر ومنابع العلم والمعرفة . وكان ذلك على يدي الدكتور الشيخ عبد المنعم النمر - رحمه الله- في الأعوام الأخيرة من العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي.

مكثت في القاهرة قرابة تسعة أعوام حافلة بتلقي العلوم والثقافات وبلقاءات العلماء وبالاجتماعات الثقافية وبربط الصلات والعلاقات بمختلف الأوساط الفكرية والثقافية الخيرة ، وفي خلال تلك الأعوام التسعة حصلت على درجة العالمية مع اجازة التدريس من جامعة الأزهر وعلى ليسانس وماجستير من جامعة القاهرة ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة أيضاً .

كنت حريصا على أن اجمع بين رافدين من روافد العلم والثقافة في مصر من جامعة الأزهر أعرق الجامعات في العلوم الإسلامية والعربية ، ومن جامعة القاهرة اعرق الجامعات العربية في الثقافة والعلوم المدنية . وكنت إلى جانب هذا أتردد على عالمين من عوالم العلم والثقافة عالم العلوم الدينية والدعوة متمثلا في الشيخ العالم أستاذي محمد الغزالي في شارع الأزهر ، والشيخ الفقيه العالم محمد أبي زهرة في بيته في مصر الجديدة وعالم الثقافة والعلم والمعرفة متمثلا في الأستاذ الدكتور يوسف موسى في بيته في منيل الروضة ، وكنت شديد العناية بمجالس الأستاذ عباس محمود العقاد التي كانت تعقد صباح كل يوم جمعة في شقته في مصر الجديدة وكانت شقته تمثل مكتبة عامرة بالمصادر والمراجع في شتى العلوم والمعارف والثقافات من عتبة باب الشقة إلى غرفة نومه ومطبخه .

ومن خلال ترددي على منازل العلماء في مصر وجلوسي في مكتباتهم ومجالسهم نشأت فكرة العناية بتأسيس المكتبة الخاصة ، وهي حسنة ميمونة كانت ومازالت في ديار الكنانة ، ففي مصر نجد بيت الأستاذ العلامة محمود شاكر ومكتبته الزاخرة بالمطبوعات والمخطوطات القيمة النادرة وهي مفتوحة لرواد العلم وطلاب الدراسات العليا ، وهي تغني عن كثير من المكتبات العامة الرسمية ، وكذلك بيت أستاذي الدكتور شوقي ضيف وهو مكتبة ضافية شاملة تستوعب جميع ساحات بيته ، ومثله (فلة) الدكتور عبد العزيز الأهواني وأستاذي الغالي الدكتور يوسف خليف الذي اكرمت بشرف اشرافه على بحثي لنيل درجة الدكتوراه فكان لإشرافه الدؤوب وأسلوبه

العلمي التربوي أثر بالغ في انجاز رسالتي ثم نشرها تحت عنوان «مجتمع المدينة المنورة في عصر النبوة كما يصوره القرآن».

وقد لاحظت في أثناء اقامتي في مصر التي امتدت من عام ١٩٥٨م إلى عام ١٩٦٦م. والتي وجدت فيها فرصة عظمى للاجتماع بالشباب المسلم خلال جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، وبأصحاب الفكر وحملة الأقلام الواعية. حركة الحياة من حولها - مالمصر الكنانة من مكانة في القيادة الفكرية والريادة الأدبية والثقافية في العالم العربي.

كانت اقامتي في مصر نافعة ممتعة علميا وفكريا وأدبيا واجتماعيا إذ عشت فيها حقبة. كانت مصر عامرة بالأدباء والنقاد والعلماء والدعاة.

كان هناك نشاط ملحوظ في بيئة المفكرين والأدباء. : مجال الأدب والثقافة، كانت ندوة العقاد، وكانت محاورات ومطارحات الأستاذ الشوربجي وعبـــد الحي دياب فيها وغيرهمـــا تضفي عليها فيضاً من الحيوية والطرافة والمتعة.

وكان في مجال الفكر الإسلامي والدعوة مجالس السماحة الداعية العلامة الشيخ محمد الغزالي، وماالمشاركة تلميذه المبارك فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي من أثر بالغ في اذكائها واشراقها وكذلك الشيخ الطراوي بارك الله في عمرهم وعملهم.

وكانت ندوة القصة وتوجيهات الناقد الأستاذ مصطفى السمرقي وأنشطة جمعية الشبان المسلمين ومحاضراتها وتعليقات الشيخ الدكتور أحمد الشرباصي - رحمــه الله - وكانت مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراة، من أبرز مظاهر العلم والأدب والثقافة.

في هذا العالم الزاخر بالثقافة والفكر والعلم عشت تسعة أعوام وكان من بعدها فيض النعمة الحسنى، إذ من الله - عز وعلا - علي بنعمة الرحيل من مصر الكنانة إلى معقل العروبة والإسلام الديار السعودية فكان الوصول إلى أعرق مدينة في ديار نجد، وبين جبلين عريقين شامخين إلى مدينة حائل عروس الشمال ومثابة الكرم والرجولة وحيث الجمال والضيافة والنظافة.

كان في حائل استقبال واكرام أعيانها وعيونها . فضيلة الشيخ عيسى سعود العلي ، والأستاذ المرحوم ابراهيم الخياط والأستاذ عبد الرحمن الملق ، والأستاذ زامل السبهان وغيرهم من كبارها وأعيانها وكان استقبالهم استقبال الأجاويد للغريب الحبيب ، فاذا البشر والرحاب والعطاء والسمو والشرف روافد زاخرة تدفق من أنهارهم وبحارهم ، وكان أن عملت تحت إشرافهم في معهد المعلمين الابتدائي ثم المتوسطة ثم في معهد المعلمين الثانوي ، وكان لي شرف العمل في المكتبة العامة بحائل فأعانني الله - تعالى- فنظمتها ، ثم كان الفيض الأكرم اذ عملت وما زلت رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية في كلية إعداد المعلمين في حائل ، فكان الحرص على أن أقضي من دين آباء شبيبة هذا البلد على إلى طلبة العلم فيها ، فكنت وما زلت بحمد لله أقدم ما أكرمني الله - عز وعلا- من معارف وعلوم وخبرات حياة فكرية وعلمية واجتماعية ، وكان لكريم أخلاق الأنجال والأحفاد من أجاويد حائل أثر بالغ في عطائي واشراق نفسي واطمئنان فؤادي في بلاد التوحيد والأمن والأمان طيلة ربع قرن من الزمان .

ومن أجل ما من الله به على خلال حياتي في مجال الدعوة أن صدرت الموافقة السامية على اختياري مع أربعة وسبعين من مشاهير العلماء في العالم الإسلامي للتوعية الإسلامية في موسم الحج سنة ١٢٩٣هـ .

نشر هذا الخبر السامي في العدد (٤٢٩) من جريدة الدعوة بتاريخ ٩/من ذي القعدة سنة ١٣٩٣هـ .

وقد كان لهذا الخبر السعيد أعظم الآثار في نفسي ، فقد كان خطوة مباركة نحو الانضمام إلى ركب الدعاة المرموقين في تلك البقاع المباركة التي كان يلتقي فيها الرسول الكريم بالوفود لنشر الدعوة الإسلامية ، ففي ذلك إحياء وذكرى لسنة الرسول ﷺ .

لقد كان دورنا متمثلا في إقامة المحاضرات وعقد الندوات لتوجيه حجاج بيت الله الحرام الوجهة السليمة ، وغرس مفاهيم التوحيد في نفوسهم خلال شرح المناسك .

وكان يجمعنا يوم عرفة وأيام التشريق مخيم كبير تحت إشراف فضيلة الداعية سماحة المربي الشيخ عبدالعزيز بن باز.

لقد كان هذا المخيم مدرسة إسلامية تربي فيها الدعاة تحت قيادة الشيخ، فقد كان موجها ومربيا يعطي جرعات العلم والمعرفة بأسلوب حكيم، فكانت توجيهاته البناءة عاملا أساسيا في تصحيح الفكر والمسار والالتزام بسنة الرسول ﷺ، وبروح الإسلام الصافية البعيدة عن انزلاق الفكر، ومجانبة الحق.

كما أنني لا أنسى تأثير فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين في رفع معنوياتي، وتزويده إياي بزاد الفقه والمعرفة أيام إشرافه علينا في موسم التوعية للحج في ميناء ومطار جدة، وقد أفادتني هذه اللقاءات المباركة خبرة بمشاكل العالم الإسلامي وجهود العلماء في حلها.

كما كان للتنقل بين منافذ المملكة التي يقدم منها الحجيج أثر كبير في التعرف على المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي، وخلال الاستفتاء والافتاء والنقاش والتوجيهات تعرفت على أبعاد عالمية الدعوة، ومعاني الاخوة ومفاهيم ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ الشاملة، وحرى بالتنوية أنني قضية حقبة طويلة من الزمن في هذا العمل المبارك ثم اعتذرت عنه بسبب ظروفي الصحية، ولا زلت أقطف ثمار هذا العمل في سبيل العلم والدراسة، وفي ميدان التربية ومجال التأليف، وقد حرصت على أن أربي طلابي على حب العلم والمعرفة، والحرص على اقتناء الأسفار، والاتصال بالعلماء والدعاة وتكوين المكتبات الخاصة بهم في منازلهم، وحرصت على توجيههم إلى ما ينفعهم من خزائن المعرفة مثلما تلقيت عن أشياخي وأساتذتي في الهند وفي مصر وفي السعودية، فمعايشة العلماء في مجالسهم يهدي بها الله عز وعلا إلى خير كثير، ويفتح بها أبوابا واسعة من الثقافة والفكر والأدب والعلم والقدوة الحسنة؟

وإنه لمن عين الطالع أن يفتح الله على هذا الباب فأتعرف على أبرز علم من أعلام الفكر الإسلامي أثناء أحد رحلاتي في عمان، وعلى رائد من رواد النهضة الإسلامية الحديثة على سماحة الشيخ الداعية محمد محمود الصواف ثم كان

اللقاء الثاني في ساحة الحرم المكي فاذا بالشيخ المربي يشملني بعطفه الصميم ويغمرني بأبهى معاني الاخوة ، ويوفقه الله أن يذلل لي سبل عمل التدريس في ديار الحرمين - و أن يزور - مدينة حائل مبعوثاً ومرشدا حيث لازمته ملازمة الظل وعرفته مجاهدا مناضلا يسعى لترسيخ أركان الدعوة الإسلامية بوجهيها التربوي والسياسي.

وعرفته البلاد العربية الإسلامية رائداً عظيماً من روادها ، كما عرفته سياسيا نافذ النظرة ، وكتابه (رحلاتي إلى الديار الإسلامية) نموذج للدبلوماسية الإسلامية المباركة ، وأياديه البيضا على أكثر من أن تعد ، ولا أملك إلا أن أدعو الله له بالتوفيق والسداد وبطول العمر والعمل الصالح وأن يحفظه في حله وترحاله .

فقد قضى قرابة نصف قرن من الزمان على طريق الدعوة ، يدعو ويربي ويؤاخي وينظم ويجاهد ويكافح ويحض العاملين على التعاون وتضافر الجهود والاعتصام بحبل الله المتين ، ويهاجر ويسافر وينتمي إلى أسرة الدعوة في كل مكان وبلد .

أولآئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن عاهدوا أوفوا و إن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها
و إن أنعموا لاكدروها ولا كدوا

●●●●●

●●●●

صور وأوضاع :

قبل أن تضيع الفرصة للدعوة

واضح رشيد الندوي

كان سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الاشتراكي ، والدول الأوربية الشرقية ، مبعث سرور وابتهاج لأنه كان يعادي الدين ، ، والقيم الخلقية ، قبل أن يعادي عدوه الرئيسي الرأسمالية ، فاعتبر رجال الدين سقوط هذا النظام حادثا تاريخيا وأبدوا ارتياحهم به ، واعتبروا هذا الحادث مؤشرا إلى عودة الدين إلى هذه البلدان التي عاشت أكثر من سبعين سنة في حرمان من الفرص ، لتأدية الشعائر الدينية بحرية ، وواجهت عداء سافراً وحملة مكثفة ضد الدين ، وبدأ النشاط الديني بعد إعلان الرئيس السابق جورباتشوف بمنح الحريات الدينية ،وتدفقت الكتب الدينية ، وفتحت المعابد ، والمدارس والكتاتيب الدينية ، وأقبل العلماء والرهبان ، والدعاة ، من مختلف الأديان السماوية ، على تجديد معابدهم ومراكزهم وإحياء معالمهم ، وكان في مقدمة هذه الأديان النصرانية التي انتهزت هذه الفرصة بدعم حكومات أوربا الغربية .

اعدت النصرانية الخطة لمواجهة هذا الوضع قبل سقوط النظام الاشتراكي ، وحصلت على بعض الترخيصات ، والتسهيلات للعمل في مختلف المناطق في سقار المساعدة التي كانت تقدمها الدول الأوربية ، في آخر عهد الرئيس السابق جورباتشوف ، فلما اطلقت الحريات الدينية ، فتحت الكنائس أولا ، واستأنف الجمعيات التبشيرية نشاطها ، وحصلت على مساعدات ضخمة من الدول الأوربية ، ولم يتمتع المسلمون بهذه الحرية

إلا بعد مضى وقت طويل ، وكانت محدودة ، فبينما كان المبشرون يواصلون أعمالهم بوسائل متوفرة لديهم ، كان المسلمون في ضيق شديد ، فلما أرادوا إعادة المساجد في مناطقهم لم يكن لديهم وسائل البناء ، فكان الناس يحملون من بيوتهم أدوات البناء ، وقدموا في ذلك تضحيات جسيمة ، وتطوعوا لهذا العمل ، ولم يكن لديهم وسائل لشراء الكتب الدينية ، حتى المصحف ، كان لا يوجد بكمية كافية ، وقد كانت هدية خادم الحرمين الشريفين في ذلك العهد ، مساعدة قيمة ، قد ملأت فراغا كبيرا ، وتقبلها مسلمو الاتحاد السوفيتي قبولاً حسناً وشكروه عليها .

كان التعليم الديني في الاتحاد السوفيتي في عهد الظلام يجرى في خفايا البيوت ، أو في الكهوف ، وفي أماكن معروفة لدى القليل من الناس من الثقات في الغابات ، تحت الأشجار الكثيفة بحيث لا يرى أحد من العيون والرقباء ، وكانت الكتب الدينية محرمة ، فكان الزوار إلى البلدان الإسلامية يهربونها فكانت معدودة ، فلما منحت الحريات الدينية واقبل الناس على دراسة الدين ، كانوا في حاجة إلى الكتب الدينية ، لتعليم أطفالهم ، ولتعرفهم أنفسهم على الدين ، ولا يمكن أن تتوفر هذه الكتب في داخل البلاد ، لأن تسهيلات طبع هذه الكتب لم تكن ميسرة ، ويكلف استيرادها من الخارج نفقات ثقيلة لا يتحملها الشعب الذي لا يجد ما يكفي لشراء الخبز ، وقد تبرعت بعض الجمعيات الإسلامية بأمدادها بالكتب والمعونات المالية ولكنها كانت محدودة ومشتته لا تشكل إلا جزءاً يسيراً مما تقدمه الكنيسة العالمية بدعم الدول الأوربية الغربية الكبرى .

إن الفارق بين عمل المنصرين ، وعمل الدعاة المسلمين في العالم ، هو أن المبشرين لا يكتفون بعرض المسيحية ، بالقاء الخطب و شرح الدين ، بل يستخدمون وسائل اجتماعية ، وإنهم يتابعون المدعووين متابعة الطبيب للمريض ، والمعلم للتلميذ ، ويتظاهر المدعو كأنه أب شفوق ، فيهتم بمشاكل المدعو ، فاذا كان فقيراً يساعده بالمال ، وإذا كان مريضاً يساعده بالدواء ، وإذا كان جاهلاً يوفر له تسهيلات التعليم ، ويرفع مستوى

معيشته ، ويزور الرهبان ، أوساط الفقراء والمصابين ، ويتكلمون معهم بلغتهم ، ويقربونهم إليهم ، ويلاطفون أولادهم ، ويخلطون تعاليم دينهم بالتعاليم الإسلامية .

وقد ذكر أحد الدعاة المسلمين من افريقيا أن المبشرين أقاموا في بعض المناطق الإسلامية كنيسة في شكل مسجد ، أو مبنى بجوار مسجد فيه تسهيلات للوضوء والطهارة ، والمسجد لا توجد فيه هذه التسهيلات فيدعون المصلين إلى أن يزوروا ذلك المبنى ويستريحوا فيه وإذا أرادوا يتوضأوا أو يغتسلوا ليتقربوا إليهم ، ثم يعرضون عليهم تعاليم دينهم التي لا تتعارض مع الإسلام ويتعاطفون عليهم فيأنس إليهم المصلون ، وتنشأ بينهم صلات ، وبهذا الطريق تتاح لهم فرصة لدعوتهم ، في مناسبات مختلفة ، وفي هذه المناسبات يصادف المسلم ثقافة عالية ، ومستوى رفيعاً ويدرك أنه إذا انضم إلى دين صاحب هذه الثقافة تغير وضعه ، وارتفعت مكانته ، وفتحت أمامه مجالات للتقدم والرقي ، وقليل من الناس من يفرق بين الحق وغير الحق ، وبين الدين والدنيا ، ويتغلب على مطامع نفسه .

أما الداعي المسلم فهو يلقي كلمته في المسجد ، في مناسبة خاصة إذ ادعي إليه ثم لا تكون له أي صلة بالمدعو ، و بمسائل حياته ، ولا يهمه أن يتغير حاله ، ثم إن المبشرين خلال اتصالهم بالمسلمين يبذرون بذور الشك والريبة ، ويثيرون الشكوك والشبهات في بعض تعاليم الإسلام ، والشخصيات الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، والمسلم الذي عاش في ظلام لا يعرف شيئاً من دينه ، إلا انه ولد في أسرة مسلمة ، ولا يجد من يعرفه بدينه ، فتبقى في ذهنه هذه الشكوك ، فاذا وجد داعياً عابراً ، لا يجد فرصة لازالة شكوكه ، وقد يكون الداعي غير مؤهل لبحث هذه القضايا ولم يفكر بعد فيها فلا يستطيع ارضاء السائل وإقناعه ، فتزداد هذه الشكوك ، لأن الذين يثيرون هذه الشكوك لهم اتصال به والذي يزيل هذه الشكوك عابر ، لا تتاح فرصة الاتصال به إلا في مناسبات خاصة .

هذا الوضع للعمل الديني يشاهد في كل بلد توجد فيه الجمعيات التبشيرية ، في أفريقيا وآسيا ، كذلك يحدث ذلك في بلدان الاتحاد السوفيتي التي خرجت من الحكم الشيوعي أخيراً ، فان الدعوة الإسلامية فيها محدودة ، واتصال رجالها بأفراد الطبقات المختلفة اتصال موقت أو محدود ، ولا تقوم الدعوة الإسلامية على دراسة للأوضاع ومعرفة حاجات الأفراد والمجتمعات التي تجري عملها فيها ، فتتسع دائرة التبشير في المناطق الإسلامية ، لأن التبشير دعوة يرافقها مجهود

شامل لحل القضايا و المشاكل للمدعو ، وفيها متابعة للمدعو متابعة كاملة بل إنها تورطه في شبكتها كلياً ، إذا اتصل بها ، والدعوة الإسلامية دعوة كلامية أو خطابية ، ومجهود فردي ، والدعاة لم يتربوا على عمل الدعوة وهم غير مزودين بوسائل الدعوة.

لقد اختار المبشرون بعض المناطق في البلدان الاشتراكية التي يشكل المسلمون فيها أغلبية لكنها في حالة سيئة للغاية من الناحية الاقتصادية وزاد من معاناتهم الغلاء الفاحش كألبانيا مثلا حيث كان الالحاد المذهب الرسمي للدولة، والمناطق التي توجد فيها صراعات قبلية ونزاعات داخلية ، أو هي منقطعه عن المدن فلا توجد فيها تسهيلات للتعليم والتربية ، ولا تتوفر فيها فرص العمل ، فتنشط فيها الجمعيات التبشيرية مستغلة للأوضاع الرديئة.

يعتقد بعض المتحمسين للدعوة الإسلامية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ان الحرية الدينية تضمن العودة إلى الإسلام لأن السكان مسلمون ، وقد أثارت أوربا ضجة كبرى ، وقامت بدعاية ان تحرر هذه الدول من الاشتراكية يشكل العودة إلى الأصولية الإسلامية ، وإنها ستتحالف فيما بينها وتظهر كتلة إسلامية مدعمة بالقنبلة الذرية التي تهدد العالم كله ، وانبعثت قوى إعداء الإسلام لتواجه هذا الوضع الخطير حتى الأقلام في بعض الصحف العربية بدأت تبدى مخاوفها وتنذر بخطورة تكتل من هذه الدول ، ومن جهة أخرى ارتاح المسلمون بأنها قوة إسلامية متصاعدة ، واقتنع المتحمسون للإسلام بهذه الدعاية المنبعثة من الدول الأوربية ، ولم يخطر ببالهم ان حرية الدعوة متاحة للجميع ، إنها كالسوق المفتوحة يأتي رجال التجارة بأموالهم ، وفات هؤلآء المتحمسين ان سكان هذه البلدان كانوا منقطعي الصلة بالإسلام إلا تلك الأسر والأفراد الذين كانت معرفتهم بالإسلام قائمة بصورة سرية ، وان الحكومات القائمة في هذه البلدان هي علمانية ويتولاها رجال نشأوا في حضن الاشتراكية والالحاد ، فاذا كان الحكام في البلدان الإسلامية غير مثقفين بالثقافة للإسلامية ، وليسوا متحمسين للدعوة الإسلامية بل كثير منهم يحاربون الدعوة الإسلامية فكيف يمكن ان نتوقع ذلك من حكام هذه الدول الذين نشأوا في حضن الالحاد وعداء الإسلام ، ومصالحهم معقودة بالدول التي تعادى الإسلام وهي في حاجة إلى مساعدتهم المالية والاقتصادية والدفاعية.

لقد وقع الدعاة في الماضي في اوهام كثيرة ، فقد وقعوا في وهم كون القرن

الخامس عشر،قرن الصحوة الإسلامية . فكان القرن الخامس عشر قرن معاناة المسلمين بصفة خاصة لأنهم اكتفوا بالكلام وكان أعداء الإسلام يخططون لتدمير العالم الإسلامي وسيصبح انفكاك الاتحاد السوفيتي والحرية الدينية وهما آخر وسبباً آخر لمعاناة أخرى إذا لم يتأهب العالم الإسلامي لمواجهة الوضع الجديد في آسيا الوسطي . و لم يضع خطــة مدبرة لاعادة الإسلام حقيقة إلى هــذه المنطقة المضطربة .

إن الوضع يتطلب دراسة وافية للأوضاع . ووضع حلول للمشاكل التي يعاني منها المسلون في المنطقة وفتح مكاتب للدعوة . ومؤسسات اقتصادية إسلامية للتمويل . والتعليم . والتثقيف . محليا وفي الدول الإسلامية . ودور للقضاء لحل المشاكل واجراء اتصالات مباشرة بالسكان . وبذل الجهود المركزة لتاليف قلوبهم وجمع شتاتهم وتغيير أحوالهم ليدركوا أن العودة إلى الإسلام غيرت حياتهم . وأن الإسلام يحمل سعادة حقيقية لهم وأنه حقاً منهج للحياة . وليس مجرد فلسفة . فقد جربوا فلسفة الاشتراكية ولم تسعد حياتهم . وعاشوا أكثر من نصف قرن في تصور معجزة المطرقة والمنجل . ونغمات السنابل والبساتين الخضراء ولا يزالون في حاجة إلى قطعة خبز . إنهم الآن في حاجة إلى عقيدة ومنهج حياة . وإلى الخبز والتعليم في وقت واحد .

إن الفلسفات لا تعيش طويلاً . إذا لم تحقق أهدافها . ولا ينتظر الإنسان السعادة طويلا . فانه كما وصف القرآن الكريم : ﴿خلق الانسان عجولا﴾ .

لقد سقطت الاشتراكية لأنها فشلت في اسعاد شعبها . فليكن ذلك درساً لكل صاحب فلسفة ومذهب . وقد اتيحت للدعاة إلى الإسلام فرصة جديدة . للتجربة في هذه الأرض التي تعست كثيراً في حرب الإلحاد والكفر . وعاشت في جحيم الاشتراكية . وخسرت كثيراً . وهي في انتظار فلسفة جديدة ومنهج جديد لحل مشاكلها . حقيقة . وإذا تأخر المسلون في انتهاز هذه الفرصة فان هناك خطراً يهدد هذه الشعوب البائسة . سواء قامت حكومات استبدادية جديدة تصرف الأمور حسب رغبة قادة الدول الأوربية . أو شملتها موجة جديدة تصرفها عن الإسلام . أو وقعت هذه الشعوب في مأساة أخرى .

....

......

قراءة في كتاب :

التربية والمجتمع

[صدر هذا الكتاب موخراً بقلم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي . قام بنشرها فضيلة الأستاذ محمد علي دولة من دار القلم بدمشق . وهو يبحث في طبيعة المجتمع وحاجته إلى التربية الصحيحة البناءة على أسس سليمة متينة .

يتحلى الكتاب بتقديم سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي . الذي استعرض الموضوع بغاية من الدقة والموضوعية . فأجدر بنا أن نتحف القراء الكرام بكلمته القيمة لتكون تعريفاً بالكتاب وتنويراً لجوانب الموضوع] [التحرير]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد . فانه منذ عدة سنوات أقيمت في دار العلوم التابعة لندوة العلماء دورة تربوية للمتخرجين ووضعت لها مقررات دراسية وذلك لمدة سنة واحدة وتحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي . بغية تخريج الدعاة والمعلمين الذين يتربون تربية علمية ودعوية . ليقوموا بعد تخرجهم بعمل الدعوة على بصيرة ويتمرنوا أثناء دراستهم على طرق الخطابة وأساليب الكتابة . وعرض الدعوة وتفهيم الدين بأسلوب حكيم يفي بمتطلبات هذا العصر . وقد استفيد في وضع هذه المقررات وفي منهجها الدراسي من الكتب والمصادر التي تلقي الأضواء الكاشفة على أساليب الدعوة وأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي وغيره . والمجتمع المسلم والعقليات المختلفة لطبقات المسلمين ومشاكلهم وقضاياهم . والصراع العقلي والفكري الذي يعيشونه . والفوضى الخلقية والأخطار التي تواجه مستقبل هذه الأمة الإسلامية . ويقوم بتدريس هذه المواد العلمية والدعوية أساتذة موجهون بخطبهم ومحاضراتهم . ويعرفون الطلاب بمصادر الموضوعات المتعلقة بالمنهج . وفضلاء لهم تجارب ميدانية في مجال الدعوة الإسلامية وشرح الفكرة الإسلامية .

ويطبقون بين الأصول والنظريات التي وضعت في جو خاص وبيئة خاصة أو في عصر من العصور خاص وبين الأوضاع والظروف المعاصرة ، الأمر الذي يعرف صعوبته ودقته كل من مارس ذلك .

وأرى أن هذه تجربة جديدة وخطوة جريئة في شبه القارة الهندية، قامت بها دار العلوم لتحقيق ذلك الحلم الذي رآه بناة هذه الدار ، في ضوء أهداف حركة ندوة العلماء ودوافعها ، وفي ضوء تصورات مؤسسي ندوة العلماء البعيدي النظر وخطتهم وعزيمتهم الصادقة .

وقد التحق عدد من خريجي الدراسات العليا - من قسمي الشريعة واللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء - في هذه الدورة التربوية الخاصة بالمرحلة العليا في المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، وألقيت محاضرات في التعريف بالقومية والاشتراكية ، والصهيونية ، والاستعمار ، والفرق الضالة من المسلمين ، وأخطارها وطرق مقاومتها .

وقد دلت التجربة على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائدته وأهميته وضرورته ، وشعرنا بأنه كان يلزم البدء بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثير ، وأنه يحتاج إلى توسيع ، وتنظيم وتنسيق أكثر .

ولا يخفى على من مارس الدعوة وقام بأداء هذه الفريضة الدينية - لا سيما في الطبقة المثقفة التي تأثرت بالفلسفات المعاصرة والحركات الإلحادية والمادية مع الاطلاع على خلفياتها العلمية والثقافية - أن مهمة الدعوة ليست سهلةً يسيرةً قصيرة المدى ، كما يعتقد عامة الناس ، وأن من إعجاز القرآن وبلاغته أنه أوجز في بيان تلك الضوابط والأصول الشاملة لواجبات الداعي وأساليب الدعوة التي لا تتغير في أي عصر أو مصر ولا تحتاج لاختلاف العصر والمكان إلى أي تعديل أو حذف أو زيادة ؛ قال تعالى : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ :

١ - الحكمة .

٢ - الموعظة الحسنة .

٣ - المجادلة بالتي هي أحسن .

هذه هي العناوين الثلاثة العريضة التي تندرج تحتها البحوث المتعلقة بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجدل ، التي تتجرد عن الإفراط والتفريط والمغالاة والمبالغة والتدقيقات اللفظية والتشقيقات الفنية ، وتبتني على الفهم الصحيح

للدين ، ومعرفة النفسية والعقلية البشرية ، والمجتمع والبيئة ، وتوافق العقول الراجحة السليمة .

ولذلك فإنه يجب على الداعي التعرف على نفسية الحياة الفردية والجماعية وخصائصها أكثر من معرفته بفن البلاغة وكثير من محتويات الكتب القديمة في فن البلاغة والمعاني والبيان والفلسفة والمنطق وعلم الجدل ، التي صرفت إليها الهمة ، وبذلت فيها كثير من الطاقات العلمية والعقلية في العصور القديمة ، والتي فقدت قيمتها وفائدتها العلمية في عصرنا هذا ، بل قد يكون ضررها أكبر من نفعها وتصبح حجاباً كثيفاً بين الطالب وفهم حقيقة الموضوع ولبابه . والحاجة إلى فهم نفسية الحياة الاجتماعية وخصائصها اليوم وعمل الدعوة والتربية في ضوئها أكبر وأشد من الحاجة إلى غيرها .

وقد ظهرت في هذا الموضوع ، في نصف قرن من الزمان ، مكتبة زاخرة ، وألف عدد من الأساتذة العرب الإسلاميين الفضلاء في البلدان العربية ، وفي الجامعات العربية كتباً قيمة في موضوعات طرق التعليم والتدريس ، ودراسة نفسية الفرد والجماعة ، وعلم النفس وعلم الاجتماع وأساليب الدعوة إلى الله ، كما صدرت في بلادنا أيضاً كتب قيمة مهمة بأقلام الكتاب الإسلاميين الفضلاء من المتخصصين في هذه المواضيع العلمية وحملة الفكر الإسلامي الصحيح .

وكانت الحاجة ماسة إلى أن يقوم أستاذ فاضل - لم يتخلف عن ركب العلم والفكر والتأليف والبحث السيار - بدراسة هذه الكتب واستعراضها ويقدم خلاصتها والأجزاء المهمة الضرورية منها التي توافق حاجة خريجي مدارسنا وجامعاتنا الإسلامية والشباب الذين يعملون في مجال الدعوة وظروفهم ومستوياتهم في أسلوب شيق واضح ، ويركز بصفة خاصة على ثلاثة جوانب تتسم بالقيمة العملية التطبيقية ، والتي لا يستطيع أي داعية أن يعمل بدونها في الطبقة المثقفة الذكية المعاصرة ، ويقوم بدوره بطريقة حسنة ويكسب نجاحاً كبيراً :

١- طبيعة الحياة الاجتماعية ونفسيتها .

٢- طرق التدريس ودراسة النظريات التعليمية .

٣- دراسة طرق الدعوة وأساليب الدعاية والإعلام وتأثيراتها .

ويسرنا أن العزيز الفاضل الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء - الذي أسندت إليه هذه المهمة - قام بها خير قيام ، وعرض هذا الموضوع بإحسان وإجادة وإتقان . فقد ألقى في هذا

التربيـــة والمجتمـع

الموضوع ٢٨ محاضرة - وهي بين أيدي القراء - استكمل بها أطراف الموضوع إلى حد كبير . وقد استفاد المؤلف في إعداد هذه المحاضرات والدروس من المصادر العربية والإنجليزية والأردية الحديثة استفادةً تامة . وأوجز وأطنب حسب الحاجة الداعية إليه . فجاء كل ذلك في كتاب لا يلبي الحاجة الطارئة المؤقتة بفترة الدوام الرسمي فحسب . بل أصبح جديراً لأن يستفاد به في تدريس هذه المادة . وقد استعان المؤلف في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ورحلاته الطويلة في بلدان العالم الإسلامي وبلدان الغرب أيضاً . ومساهمته الفعالة في الندوات . واتصالاته القريبة بالطبقة المثقفة المعاصرة . وتعرفه عن كثب على مسائلها ومشاكلها وأوضاعها . فضلاً عن تذوقه للموضوع . وجهده الجاد الصابر فيه .

ولا يجد القارئ في هذا الكتاب بحوثاً علمية رتيبة جافة بل يجد فيه الحديث الشيق الممتع عن تأثير القرآن الأدبي المعجز . وقدوة الرسول ﷺ وأسوته المباركة . وتأثيرات الأدلة . وشرح طبيعة الأدب السافل ونقده . وتأثير الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة النفسية والخلقية . وطرق الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية . وإسهام المكتبات في التربية العقلية والعملية . وتأثير المجمعات السكنية ودور الإقامة للطلاب عليهم سلباً وإيجاباً . ويجد فيها القارئ بعض الجوانب الجديدة التي لا يجدها في المصادر العربية أو الأردية أو غيرها في هذا الموضوع . مثل الرحلات وحركة الإمام محمد إلياس الدعوية وأسلوبها في تنظيم الرحلات الدعوية . وأوضاع الأسر الغربية العائشة تحت ظل المدنية الغربية . وتأثير فصل الدين عن الأخلاق . وأهمية المساجد . . . الخ .

وهكذا لم يعد هذا الكتاب كتاب منهج دراسي جاف . بل أصبح كتاب علم ودعوةٍ وفن جديراً بأن يقرأه ويتمعنه المعنيون بشؤون الدعوة . المهتمون بقضايا مستقبل النشء الجديد . والجيل المثقف المعاصر . وكل من يشعر بأهمية إصلاح المجتمع المسلم .

والله أسأل أن ينفع به قارئه . ويتقبله من المؤلف تقبلاً حسناً . وقد كان الكتاب في أصله باللغة الأردية ثم نقله بعض مدرسي ندوة العلماء إلى اللغة العربية . واطلع المؤلف على الصورة المعربة وقام فيها ببعض التحسينات .

والحمد لله رب العالمين

إلى رحمة الله :

محدث الهند الكبير العلامة

حبيب الرحمن الأعظمي في ذمة الله

فقدت الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها محدث الهند الكبير العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وذلك في ليلة الثلاثاء ١١/ من شهر رمضان ١٤١٢ هـ الموافق ١٧/ مارس ١٩٩٢ م، بوطنه مئو، بولاية اترابراديش (الهند) عن عمر يناهز / سنة فانا لله وإنا إليه راجعون.

يعتبر العلامة الأعظمي من كبار علماء الحديث وفن الرجال في العالم كله، فقد عاش منذ نعومة أظفاره في الاشتغال بهذا الجانب العلمي المشرف، والعكوف على خدمة السنة الشريفة تحقيقاً وتخريجاً وتدريساً وتأليفاً. فله من الآثار العلمية والتحقيقية ما تتجمل به المكتبة الإسلامية على سعتها وغزارتها، فهو أستاذ أجيال عديدة من علماء الحديث ومربي أفواج وطوائف من المحدثين النابغين في هذه البلاد، وقد أصبح في الأخير مرجعاً كبيراً لأصحاب الدراسة والتحقيق في كل مكان. كانوا يردون على شرعة علمه وينهلون من منهله العذب الصافي ما يحتاجون إليه. أما عدد تلاميذه فقد لا يأتي عليه الحصر.

شغل منصب المحدث والمربي في جامعة مفتاح العلوم إلى مدة طويلة وأخيراً أسس المعهد العالي للدراسات الإسلامية لمراحل الاختصاص في الحديث والفقه، ومدرسة مرقاة العلوم للمراحل المتوسطة والثانوية والعالية، وقد منحته الحكومة الهندية جائزة رئيس الجمهورية اعترافاً بخدماته العلمية باللغة العربية. كما انه انتخب عضو مجلس الشيوخ لولاية اتراب اديش في عام ١٩٥٢ م لمدة خمس سنوات، وهكذا جمع بين الغزارة العلمية والخدمات الاجتماعية، وقدم مثالا لعالم ديني جامع. كان يشرف على كثير من المدارس والجامعات والمراكز الإسلامية، ويتمتع باحترام الأوساط العلمية والدينية كلها على السواء.

وقد صلى عليه تلميذه النجيب البارع فضيلة الشيخ عبد الجبار الأعظمي مع حشد عظيم يقدر بأكثر من مأة ألف شخص. وغلقت الأسواق وامتنع الناس عن العمل وكان يوماً حزيناً غشيت فيه على الناس سحابة من الحزن والأسف.

رحمه الله رحمة واسعة وأمطر عليه شآبيب رحمته واسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وتلاميذه وذويه الصبر والسلوان.

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

وسنفرد مقالاً مستقلاً عن شخصيته في عدد قادم بإذن الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد الرابع - المجلد السابع والثلاثون

ذو الحجة ١٤١٢هـ - يونيو ١٩٩٢م

المراسلات :

البعث الاسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص .ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

الإفتتاحية:

مرحلة جديدة ودقيقة في الجهاد الأفغاني

إن الدماء الزكية التي أراقها امام الهجرة والجهاد الإسلامي أحمد بن عرفان الشهيد ، وأتباعه المجاهدون على أرض أفغانستان في القرن الثالث عشر الهجري لم تكن لتذهب سدى و لا تؤتي أكلها الطيب ، ذلك أنها سلعة ذات قيمة كبيرة في عين الله تعالى لا تعادلها أي سلعة مهما كانت غالية .

وما قام فيها اليوم من الجهاد الإسلامي الذي مارسه المجاهدون الأفغان واستطاعوا أن يقوموا في وجه أكبر قوة عالمية وأن يحاربوها ويدحروها ، باذن من الله تعالى ، إنما كان نتيجة ذات أبعاد عميقة الجذور لدم الشهداء الذين قادهم امام الهجرة والجهاد ، وثمارا يانعة جنية حلوة للغرس الإيماني العظيم الذي غرسه على أرض الأفغان ، و بل ترابها بدماء ودموع الجهاد والعبادة ، لقد أتيح لهذا الامام العظيم أن يواصل جهـــاده المقدس لا تبغاء وجه الله فحسب ، وأن يبذر في القلوب بذوره الطيبة ، لكي تنبت نباتاً حسناً في يوم من الأيام ، وتقربه عين الإسلام و المسلمين ، في العالم كله .

وقد آن للجهاد الإسلامي في أفغانستان ، الذي كان امتداداً لجهاد لإمام الشهيد ، أن يثمر ويؤتى أكله ، ويأكل الشعب المسلم في أفغانستان بل الشعوب الإسلامية بكاملها على مائدة الجهاد الممدودة على يد ذلك الامام الرباني الذي أكرمه الله باحياء سنة الجهاد الإسلامي بعد فترة طالت بالمسلمين في العالم ، وأخرجت من قلوبهم هيبة الجهاد وقيمة الشهادة في سبيل الله تعالى ، فبينما كانت الحياة الإسلامية لا تتصور بدون الجهاد كاملة ، وكان المسلم يعتبر نفسه مأموراً بأداء هذا الواجب ، أصبح المسلمون في الشرق والغرب كليهما

في غفلة وذهول كاملين عن هذا الواجب ، وفقد الجهاد الإسلامي مدلوله الشرعي ومفهومه الديني ، وتناساه الناس ولم يعد له مكان بارز في أعينهم . وقد استاء امام الهجرة والجهاد هذا الوضع المتردى في حياة ومجتمعات المسلمين وخاف على انطماس معالم هذا الركن العظيم الإسلامي من حياة المسلمين فعاهد الله تعالى على أن يتولى استئنافه ويقود مسيرته في بلاد العجم .

وقد رافقته النصرة الالهية فزخر تاريخه المشرق بقصص البطولات الإيمانية والخوارق الجهادية التي تعتبر زيادة قيمة في تاريخ الجهاد الإسلامي ، وغرة على جبين الحياة الإسلامية ومفخرة للمسلمين ، ولو لا أن بعض الظواهر السيئة لم تكن قد حالت دون تحقق النتائج المرجوة من إقامة حكم إسلامي تعلو فيه كلمة الله ، وتطبق فيه شريعة الله على الحياة والمجتمع ، وترتفع فيه راية الإسلام خفاقة عالية تدعو العالم كله إلى الانضواء تحتها ، لكان العالم قد تنفس الصعداء في جو فسيح من الأمن والعافية والهدوء ، بعيداً عن المشكلات الحضارية والقضايا الاجتماعية المعقدة التي تحدثها الفلسفات المادية وتتوارثها الأجيال البشرية على مدى التاريخ .

إن أول ثمرة للجهاد الإسلامي الذي قام به المجاهدون الأفغان ضد التدخل الروسي وعدوانه السافر إنما ظهرت في قمع القوات السوفياتية التي احتلت أفغانستان بخيلها ورجلها ، وبأحدث الأسلحة الفتاكة والجنود المدربين ، وإكراهها على الانسحاب من أرض المجاهدين بكل صغار وهوان . تلت ذلك ثورات شعبية وحروب أهلية بدأت في بلدان وجمهوريات الاتحاد السوفياتي التي أدت إلى نهاية الاتحاد السوفياتي و استقلال المناطق بالحكم ، و إعلان المسئولين السوفيات عن نهاية المطاف ، وإلغاء الاتحاد ، ومنح الحريات ، وإن كان ذلك كله باسم إعادة البناء ، وهنالك انهارت فلسفة الاشتراكية ودفنت الشيوعية في مهدها ، و سقط أبطالها ،

ولعنوا بما فعلوه و كانوا ظالمين ، وارتموا إلى مزبلة التاريخ .

أما الثمرة الثانية للجهاد الإسلامي في هذه الأرض المخضبة بدماء الشهداء الأبرار، فهي الحكم الإسلامي الذي تمهد له الطريق ، وتهيأ له الجو ، وخضعت له الظروف المضادة ، وإن قلم التاريخ يترقب بشئ كثير من الأمل المشرق ويتطلع إلى أن يسجل صفحات مجيدة لهذا الحكم ، والقائمين عليه ، ويكذب الأسطورة التي وضعها أعداء الإسلام حول الإسلام واعتبروه ديناً قد مضى عصره وطوى بساطه ، وإن تسلم مفاتيح الحكم لزعماء الجهاد وقادة المسيرة لا يعني إلا الاستسلام لشريعة الله الخالدة ، وتطبيقها على كل جزء مهما كان ، ولا يعني إلا أن يعود الانسان إلى منصبه الكبير من الخلافة في أرض الله ، وتحكيم الكتاب والسنة في جميع القضايا والمشكلات ، ولا يعني إلا أن نمثل الإسلام في كل زمان ومكان ونقدم للعالم البشرى بكامله نموذجاً عملياً واقعياً للحياة الإسلامية التي عاشها السابقون الأولون من المسلمين في فجر التاريخ الإسلامي .

إنها مسئولية كبيرة يتحملها زعماء الجهاد الإسلامي في أفغانستان على عواتقهم ، مسئولية حرجة دقيقة تتطلب التمثيل الصحيح الواقعي للإسلام الكامل الشامل ، الذي أنزله الله تعالى عن طريق نبيه محمد ﷺ إلى الناس كافة وبطريق دائم ، « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه سراجاً منيراً » إنها مسئولية لا تنحصر في تهيئة وسائل الحكم والعدل وترفيه الشعب وإنقاذ العباد والبلاد من هاوية الفقر والجوع والخوف والضعف ، ولكنها تشمل بناء الحياة في ظل شريعة الله تعالى وسيادة القانون الالهي ، والحكم بما أنزل الله تعالى في كل صغير وكبير وكل دقيق وجليل ، وإن الله سبحانه وتعالى لم يسند الحكم إلى عباده إلا كأمانة دقيقة حرجة جداً ، ليس لهم أن يحيدوا عنها قيد شعره ولا أن يقوموا فيها بتغيير أو تعديل .

الجهاد في سبيل الله أطول طريق وأشقه للتوصل إلى الغاية ، انه طريق الصبر على المكاره وطريق يمتحن فيه العبد بصلاته بالدنيا وحطامها ، وبتطلعاته إلى المستقبل ، إلى الآخرة والجنة والنعيم ، تختبر فيه صلابة الايمان وقوة اليقين ، ذاك أن الانسان أشد حباً لنفسه من كل شئ فانه قلما يرضى بسهولة أن يضحى بنفسه ، إلا إذا كان يعيش في الدنيا ويسعى للآخرة وأمنياته كلها تكون قد اختصرت في أمنية واحدة ، وهي دخول الجنة .

يحتضن التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة من هذا النوع ، لأولئك المؤمنين الصادقين الذين رخصوا أرواحهم واستبطأوا الشهادة في سبيل الله ، وتطلعوا إلى الجنة والنعيم ، ولقد خص الله سبحانه وتعالى للشهيد من الأجر والثواب ما يجعله يتمنى أن يقتل في سبيل الله ثم يحيى ثم يقتل ثم يحيى ثم يقتل ، كما قد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك فيما قال : « والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (رواه مسلم) .

فالجهاد الذي هذا شأنه وقيمته إذا مهد الطريق لأصحابه إلى إقامة الحكم الإسلامي وأتاح لهم فرصة لتأسيس دولة إسلامية عادت إليهم واجبات كثيرة نحو إصلاح البلاد والعباد ، وكانوا مسئولين عن اعلاء كلمة الله ، قبل كل شئ ، فقد قال الرسول ﷺ حينما سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءاً ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

هذا هو المبدأ الأصيل لكل حكم يقوم على أساس الجهاد في سبيل الله ، ولقد توخته جماعة المجاهدين في كل زمان ومكان ، فلم يدخر أفرادها أي وسع فيما يتصل بهذا المبدأ العظيم الذي أفاض عليهم من البركات والسعادة ما قد سجله التاريخ بأحرف من نور، وأضفى عليهم لوناً ثابتاً من القدسية والطهر مما جعلهم من عباد الله المقبولين المحبوبين ، ومن الموفقين الذين يتولون أعمالاً جليلة من

العدل والرعاية وتغيير المنكر، ونشرالخير والسعادة والأمن والرفاهية في مجتمعات الناس ، إنهم أنجزوا مشاريع ضخمة بناءة و رفعوا منائر العلم والإيمان ، والنصح والبر، والسلوك والحب والايثار، وكل ذلك في وقت محدود ، ومع قلة الوسائل والآلات ، وضآلة الامكانيات والكفاءات ، ذاك أن مبدأ إعلاء كلمة الله لم يغب عن عيونهم وأذهانهم للحظة واحدة ، فكل حركة ونشاط وعمل واجتهاد ظل مرتبطاً بهذا المبدأ الفياض ، ونابعاً من الحب في الله والبغض في الله ، وإن القيام بالجهاد الإسلامي معناه أننا عاهدنا الله تعالى على الصدق والوفاء وبايعناه على الطاعة والولاء ، وعلى التفاني في سبيله واستقبال الموت لاحياء دينه ، فاذا مد الله لنا في الأجل ومنحنا الفرصة وبيض وجوهنا بالانتصار والغلبة فلا لكي نمتلك زمام الحكم ونتمثل امام الناس كالملوك والحكام ، ونفرض عليهم الارادة والسلطة ، بل لكي نفي بوعــد الله ونصدق ما عاهدناه عليه فندخل في عداد من قال فيهم : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

لقد أفاء الله تعالى بركات هذا الجهاد على أهله المجاهدين ومن عليهم بالهيبة وأكرمهم بالرعب حتى تخلى لهم الجو لبسط نفوذهم وحكمهم ، وذلك على الرغم من كيد الكائدين ، وما دام الهدف واحداً والقصد واضحاً والنية صادقة ، سوف لا تحول دون حكم الإسلام عوائق ، ولا تنجح فيه المكايد ، وترتفع راية الإيمان خفاقة ، وتملأ الاجواء شفافية القلوب ونزاهة الرؤى ، وتنال شريعة الله تعالى قبولاً وإعجاباً ، يحرص الناس على أخذها وتطبيقها ، ويتسابقون في الولاء لها والاستفادة منها ، ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .. ﴾

لقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى عباده المؤمنين الذين أتاح لهم الفرص للحكم ثم لم يحكموا بما أنزل الله تعالى من شريعة وأحكام ، ونسبهم إلى أسوأ ما ينسب إليه أحد ، ألا وهو الكفر والظلم

والفسق ، ذلك نتيجة الحيد عن طريق الله ، والانحراف عن سواء الصراط ، كما قد وقع مع الأمم الضالة والمغضوب عليهم من اليهود والنصارى ، الذين لا يزالون يعيشون هذه الألوان من مذلة الكفر والظلم و الفسق ، و يفرضونها على غيرهم ممن اغتربهم أو التزم طريقهم ، وتبع حضارتهم وفلسفتهم في الحياة ، وهذا دأبهم مع المسلم وفي كل زمان وظرف ، وهي طبيعتهم التي تسوقهم دائماً الى اقتراف الجرائم الخلقية والانسانية ، فلا يلبثون أن يضلللوا الشعوب ويستعمروها ، ثم يودوها في نهاية المطاف إلى مهوى سحيق من التردى والهلاك ، كما قد كان شأنهم مع المسلين دائماً الذين زينوا لهم الحضارات والفلسفات المادية وخدعوهم بظواهرها .

ولنقرأ الآن ما قد صرح به الله سبحانه وتعالى في كتابه من عاقبة الحكم بغير ما أنزل الله ، ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

إنها تحذيرات من العواقب الخطيرة التي يواجهها من لم يلتزم في حكمه بأحكام الله وشريعته ، وحاد عن صراط الله ، وتفرقت به الطرق و الأهواء عن الطريق الصحيح ، و عن فطرة الله التي فطر الناس عليها .

الجهاد طريق نحو الحكم بما أنزل الله ، وتطبيق شريعة الله على الحياة والمجتمع ، وطريق إلى صبغة الله ، ونمط الإسلام السليم ، بالانصراف عن جميع الشرائع والقوانين ، والصبغ والأنماط ، التي تضاد الفطرة وتعاكس وظيفة الانسان ومسئولية الأمة التي أخرجت للناس للهداية وبث السعادة ، وتوجيه البشرية إلى الحب والطاعة والإيمان .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي
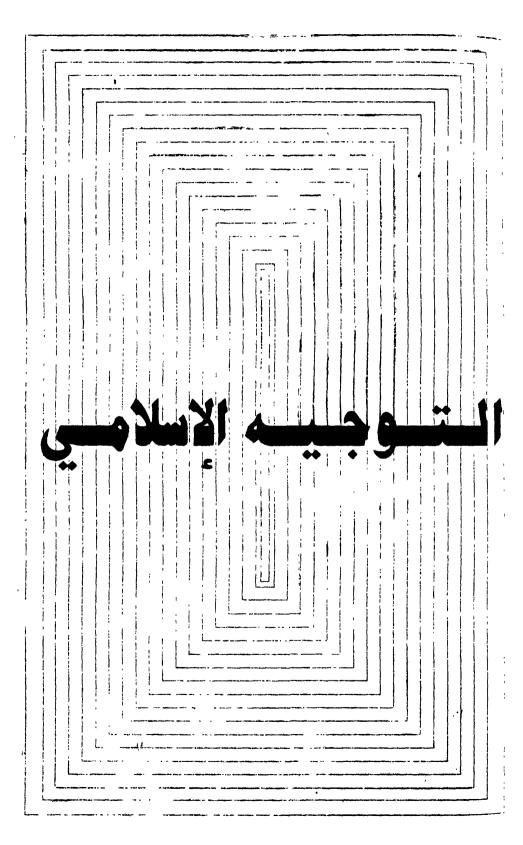
على مائدة القرآن الكريم :

إعجاز القرآن الكريم

بقلم الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف سابقاً لدولة الكويت

سيظل القرآن الكريم ، كتاب الله الحكيم ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، مصدر المعارف الانسانية في كل مناحي الحياة ، وهذا جانب من جوانب إعجازه التي لم يصل إلى مداها البعيد بلغاء البشر من علماء ومفكرين ، وستظل أنوار إعجازه على الزمن تتلألأ كالنجوم التي لا يحصى لها عدد ، فما من يوم يمر إلا ويسطع نجم من نجوم الإعجاز القرآني يبهر المعاندين والمؤمنين . قال الله في (سورة النحل ، الآية : ٦٨-٦٩) ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

في هذه الآية بيان لالهام الله للنحل أن تأكل من ثمرات الشجر والأزهار ، وسهل الله لها أن تسلك لذلك طرقا هيأها لها الله وجعلها مذللة سهلة ، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بنعمة السعادة الدائمة . وقال تعالى في (سورة الرحمن ، الآية :

١٧-١٨) ﴿رب المشرقين ورب المغربين . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

المعنى : أي مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء ، وقال في الآية الأخرى ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ (١) وذلك باختلاف مطلع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس ، وقال في الآية الأخرى ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ (٢) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والانس قال ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

وقد دعا سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن الكريم إلى التفكير فيما أبدع جل شأنه في هذا الانسان من أخلاطٍ وهيئات عجيبة . فقال تعالى في (سورة الطارق . الآية : ٥-٧) ﴿ فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ﴾

المعنى : فلينظر الإنسان إلى نفسه ، وكيف خلق من ماء دافق ، ماء مصبوب ، يخرج من بين الأصلاب والترائب للانسان . هذا الماء السائل كيف يتكون منه خلق سوى ؟ وإنسان كامل في كل شئ ، لا يعقل أن يكون ذلك بمحض الصدفة ، أو بفعل الطبيعة . وإلا لكانت كل الخلائق سواء (٣) .

وقال الله تعالى في (سورة فصلت . الآية : ٥٣) ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ .

المعنى : سنظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقا

---

(١) سورة المعارج . الآية : ٤٠ .
(٢) سورة المزمل . الآية : ٩ .
(٣) راجع التفاصيل في مراحل خلق الإنسان في الكتاب الذي نؤلفه .

منزلا من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان ، ودلائل داخلية في أنفسهم من أخلاط عجيبة .

وأكبر دليل على كون القرآن منزلا من الله جل وعلا هو تكلم القرآن بتوجيهات للنبي ﷺ في سلوكه كقوله تعالى في (سورة عبس ، الآية : ١--١٠) ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، و ما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، و أما من جاءك يسعى ، و هو يخشى ، فأنت عنه تلهى ﴾ .

المعنى : عبس النبي وأعرض بوجهه لأن جاءه الأعمى ، وهو ابن مكتوم ، جاءه وهو مشغول بمحادثة زعماء الشرك ، فعاتبه الله على ذلك قائلا : وما يدريك لعله يتطهر بما يسمعه منك ويتلقاه عنك من الوحي ، نعم أي شئ يعلمك بحال هذا السائل لعله يتطهر أو يتعظ فتنفعه موعظتك ؟ إن ما صدر كان على هذا التفضيل ، فالذي استغنى عن الإيمان بالله وعن طاعته وطاعة رسوله ، واستغنى بماله وجاهه عن قبول الحق وعن استماع النصيحة ، فأنت تتعرض له ، وتشغل نفسك بوعظه ، وأما من جاءك طالبا الهداية خائفا من الله ، فأنت عنه تلهى وتشتغل عنه بسواء .

أليس في هذا العتاب الصريح دليل للمنصف على أن هذا الرسول صادق في كل ما يبلغه عن ربه ، وأن هذا القرآن من عند الله لا من عنده .

وأخبر الله تعالى عن أمور سوف تقع في المستقبل وقد تحقق فعلا وقوعها ، ومن ذلك ما أخبر به القرآن الكريم عن دولة الروم المسيحية التي غلبتها دولة الفرس الوثنية أولا ، ثم أخبر القرآن الكريم بأن دولة الروم المغلوبة سوف تنتصر بعد بضع سنين كما جاء

ذلك في قوله تعالى في (سورة الروم ، الآية : ١-٤) ﴿ آلٓمٓ . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل و من بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴾ .

والخلاصة : أن الإيمان بكتب الله جملة أمر واجب على العموم دون التفضيل بمعني : أنها منزلة من عند الله على رسله ، وأن القرآن مصدق لما جاء فيها مما لم يدخلها التحريف والتبديل ، وأن القرآن قد نسخ جميع هذه الكتب وأن ما جاء فيه يغني عنها (فشرع من قبلنا ليس شرعا لنا) فلسنا ملزمين شرعا بما جاء في أي كتاب نزل على نبي قبل محمد ﷺ .

حفل القرآن الكريم بالكثير من قصص الأنبياء والرسل والصالحين ، وأخبار الأمم السابقة وأحوالهم ، بما يطابق الصادق المؤكد مما جاء في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ، مع أن النبي ﷺ نشأ أمياً لايقرأ ولا يكتب ، وقومه يعلمون أنه لم يدرس ولم يتعلم على يد أحد شيئاً من العلم ، فمن أين له هذه الأنباء والمعلومات عن الرسل والأنبياء ، وعن التاريخ القديم للأمم والشعوب ؟ إنه لا شئ سوى الوحي الذي يوحي إليه من ربه الذي يقول في كتابه العزيز في (سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨) ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ .

أي ما كنت يا محمد تقرأ قبل نزول القرآن عليك كتابا ، ولا تقدر على ذلك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب ، ولا تكتبه لأنك كذلك لا تقدر على الكتابة ولا تعلمتها ، ولو كنت كذلك لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة ، أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم ، إذاً لم يكن هناك محل للريبة ولا محل للشك ، وفي شأن يوسف واخوته يقول الله لنبيه في (سورة يوسف ، الآية : ١٠٢) ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم

يتذكرون ﴾.

وفي شأن موسى وأهل مدين ومناجاة الله له بجانب جبل الطور حيث قال الله تعالى في (سورة القصص ، الآية : ٤٤-٤٦) ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾.

أي وما كنت يا محمد بالجانب الغربي للوادي في سيناء حيث ناجي موسى ربه ﴿ إذ قضينا إلى موسى الأمر ﴾ أي عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مدين ﴾ وما كنت مقيما في مدينة مدين كما أقام موسى حتى تقرأ على أهل مكة خبرهم ، وتقص عليهم من جهة نفسك أخبار موسى وشعيب ، وفي شأن عيسى ومريم وكفالة القوم لها إذ يقول في (سورة آل عمران ، الآية : ٤٤) ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ وما كنت يا محمد بحضرتهم يعني المتنازعين في تربية مريم وهي صغيرة حيث اقترعوا وجعلوا أقلامهم سهاما تجري في الماء على أن من وقف قلمه ولم يجر مع الماء فهو صاحبها ، فجرت أقلامهم و وقف قلم زكريا فكفلها .

وغير ذلك من قصة داؤد وسليمان وابراهيم ولوط وقصة ذي القرنين والخضر وموسى وغيرهم مما قال الله في قصصهم وأخبارهم كما جاء في (سورة هود ، الآية : ٤٩) ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾.

وأخبر الله سبحانه عن أمور سوف تقع في المستقبل وقد تحقق فعلا وقوعها وهي كثيرة ، ومنها ما أخبر به القرآن الكريم عن دولة الروم التي تغلبت عليها دولة الفرس أولا ثم أخبر بأن دولة الروم المغلوبة سوف تنتصر بعد بضع سنين فكان ذلك في زمن الصحابة كما قال تعالى في (سورة الروم ، الآية : ١-٥) ﴿ أَلَمٓ . غلبت الروم ، فـي أدنى الأرض وهم من بعـد غلبهم سيغلبون ، فـي بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد ويومئـذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

لم يقف إعجاز القرآن إلى الأخبار عما في الغيب ، الماضية والحاضرة والمستقبلة بل تعداه إلى الأخبار بما في النفوس وكشف ما يحاك ضد النبي والمسلمين من المؤامرات وما يضمره الأعداء والمنافقون فيكشف كل ذلك فكان ذلك عجباً ، والذي جعلهم يطلقون على النبي وصف الساحر .

قال تعالى في (سورة البقرة ، الآية :) ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ .

وقال تعالى في (سورة التوبة ، الآية : ٦٤) ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون ﴾ .

==========

الحج عرضة شرعية سنوية

بقلم : سماحة الشيخ العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

الحج عرضة سنوية للملة ، يرجع إليها الفضل في نقائها وأصالتها ، وفي بقاء هذا الدين ، بعيداً عن التحريف والغموض والالتباس ، وفي بقاء هذه الأمة ، بعيدة عن الانقطاع عن الأصل ، والمصدر والأساس ، محفوظة من المؤامرات والمغالطات التي وقعت أمم كثيرة فريستها في الزمن الماضي ، وعن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة ، تبقى هذه الأمة العظيمة الخالدة محتفظة بطبيعتها الابراهيمية الولوع الحنون ، العطوف الرؤوف ، الثائرة القوية الحنفية السمحة ، وتتوارثها جيلاً بعد جيل ، فكأنها القلب الحي القوي الفياض الذي يوزع الدم إلى عروق الجسم وشرايينه ، وبها تستعرض هذه الأمة مجموعها في صعيد واحد ، فينفي بذلك علماؤها وزعماؤها تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وخرافة المخرفين ، ويردونها إلى الأصل الابراهيمي الحنيفي ، وإلى الشرعة المحمدية (الصافية) وإلى الدين الخالص ، وبها تستطيع هذه الأمة أن تحافظ على وحدتها الدينية والعقلية والثقافية ، وتعتصم عن أن تؤثر فيها الاقليمية والمحلية تأثيراً يفقدها الوحدة الحنيفية الابراهيمية ، والصبغة الإسلامية المحمدية ، كما كان شأن الديانات السابقة الكثيرة ، والأمم الدينية العديدة .

لقد قدر الله لهذه الأمة الخالدة أن تعيش في بيئات مختلفة ،

وفي أثنائها عديدة وتجتاز أدواراً كثيرة جداً ، مختلفة جداً ، من حرارة وقوة وجمود وخمود ، وعنف وقسوة ، ومصارعة ومقاومة ، وأخطار داخلية وسياسية ، وتقدم في الحضارة والمدنية ، وتوسع في المال والثروة ، وضيق وضنك ، وبذخ وترف ، وعسر ويسر ، وشدة ورخاء ، وتسلط عدو قاهر وملك جائر ، وكانت الأمة في حاجة دائمة إلى إشعال جذوة الإيمان ، وإثارة عاطفة الحب والحنان ، وإعادة الوفاء والولاء في سائر الأجزاء والأعضاء ، فجعل الحج ربيعاً تورق فيه أغصان هذه الشجرة الخالدة كل عام ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، و تكتسي فيه هذه الشجرة العالية لباساً جديداً قشيباً ، غضاً طرياً .

وقد سبق شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، بما أكرمه الله به من فقه دقيق ، وفهم عميق لأسرار التشريع ومقاصد الإسلام ، فأشار إلى هذه النكتة في كتابه « حجة الله البالغة » فقال :

« وكما أن الدولة تحتاج إلى عرضة بعد كل مدة ليتميز الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد ، ليرتفع الصيت ، وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، فكذلك الملة تحتاج إلى حج ، ليتميز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجاً ، وليرى بعضهم بعضاً ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب إنما تكتسب بالصاحبة والتراثي » (١) .

وقال : « وإذا جعل الحج رسماً مشهوداً نفع عن غوائل الرسوم ، ولا شيء مثله في تذكر الحالة التي كان فيها أئمة الملة والتحضيض على الأخذ بها » (٢)

وقال : « ومنها تحقيق معنى العرضة ، فإن لكل دولة أو ملة

---

(١) حجة الله البالغة ، ج ١/٢ ص ٥٧ - ٦٠

(٢) أيضاً ، ج ٢/١ ص ٥٧ - ٩٠

اجتماعاً يتوارده الأقاصي والأداني ، ليعرف فيه بعضهم بعضاً ، ويستفيدوا أحكام الملة ، ويعظموا شعائرها ».

والحج عرضة المسلين وظهور شوكتهم واجتماع جنودهم وتنويه ملتهم ، وهو قوله تعالى :

﴿ وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾ (١) .

مركز الاشعاع العالمي الخالد :

وقضى الله أن لا يخلو « الحج » في أشد أيام هذه الأمة وأحلكها ، من الربانيين المخلصين ، ومن الصالحين المقبولين ، ومن الدعاة المرشدين ، ومن الداعين المبهلين ، ومن الخاشعين المنيبين ، ومن العلماء الراسخين الذين يملأون الجو روحانية وخشوعاً ، فترق القلوب القاسية ، وتخشع النفوس العاصية ، وتفيض العيون الجامدة ، وتلتهب المجامر الخامدة ، وتنزل رحمة الله وتغشى السكينة ، ويخزى الشيطان ، لذلك جاء في الحديث ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا بما يرى من تنزل الرحمـــة ، و تجاوز الله عن الذنوب العظام » (٢) ويتكهرب الجو فيشحن المسلمون الذين جاءوا من كل صوب بعيد وفج عميق ، (بطارية) قلوبهم الفارغة ، ويأخذون زاداً من إيمان وحب وحماسة ، وعلم وفقه ، يعيشون عليه في حياتهم الباقية ، ويقاومون به كل ما يواجهونه من إغراء وتسويل ، وتخويف وتزيين ، ويشركون في هذا الزاد إخوانهم المسلمين الذين قعد بهم الفقر أو الضعف ، أو المرض أو العدو ، وهكذا يجري هذا التيار الكهربائي الإيماني في جسم هذه الأمة المنتشرة في الآفاق ، فيتعلم الجاهل ، ويقوى الضعيف ويتحمس الخامد ، وتكتسب الأمة بذلك قوة جديدة

---

(١) حجة الله البالغة ، ج/٢- ص/٤٢ .

(٢) رواه مالك مرسلا .

على تأدية رسالتها، وتستأنف كفاحها من جديد .

مظهر الجامعة الإنسانية الإسلامية :

والحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التي قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القومية، فتتجرد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الاقليمية التي تميز بعضها عن بعض ويتعصب لها أقوام، وتظهر كلها في مظهر واحد يسمى (الإحرام) في لغة الدين والفقه وفي مصطلح الحج والعمرة، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس، وصغير وكبير، وغني وفقير، وتهتف كلها في لغة واحدة، ونغمة واحدة، « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك » ، وهكذا تتجلى القومية الإسلامية في اللباس والهتاف، وهما من أوضح ما تجلت فيه قومية، وفي وحدة المناسك والغايات التي يقوم بها جميع الأفراد والشعوب، ويسعى إليها العرب والعجم، ويلتقي عليها القاصي والداني، فكلهم يطوفون حول بيت واحد، ويسعون بين غايتين مشتركتين (الصفا والمروة) وكلهم يقصدون (منى) وكلهم يؤمون (عرفات) ويقفون في موقف واحد، وكلهم يبيتون في مبيت واحد، ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام، واذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ (١) ، ويفيضون إفاضة واحدة، ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ (٢) ، وكلهم يقفون أياماً في (منى) تجمع بينهم أشغال واحدة من نحر وحلق ورمي .

وما دام الحج - والحج فريضة باقية إلى يوم القيامة، ومؤسسة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٩ .

خالدة خلود هذه الأمة – فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات، كما ابتلعت أمماً كثيرة، ولا يصبحون ضحيتها، ولا تكون بلادهم التي يسكنونها بسائق الفطرة والعاطفة والعصبية، قبلة يتوجهون إليها، وكعبة يحجون إليها، إنما هي قبلة واحدة يتوجه إليها الشرقي والغربي، والعجمي والعربي، وإنما هي كعبة واحدة يحج إليها الهندي والأفغاني، والمسلم الأوربي والأمريكي، ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾(١)، ويحن إليها المسلم في أقصى الأرض، وينذر لهذه الرحلة النذور ويمشي إليها على الرأس و العين، و يعتبر ذلك غاية الأوطار و أقصى الأماني و أعظم السعادات.

ليشهدوا منافع لهم:

وشرع الحج لجميع هذه الفوائد والنتائج التي نعلم منها الكثير، ونجهل منها الكثير، وربما كان ما نجهله وتتضمنه أكثر مما نعرفه، ومما نوه به حكماء الإسلام، وأشادوا به في مؤلفاتهم، لقد قال الله تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾(٢). فأطلق المنافع، ونكرها وأبهمها، ودل هذا التعبير البليغ على كثرتها و تنوعها وتجددها، في كل زمان، وإنها أكثر من أن يأتي عليها الإحصاء والاستقصاء(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.   (٢) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٣) إن الحج لا شك موسم، يشهده المسلمون من آفاق الأرض ونواحي العالم الإسلامي، ليشهدوا منافع لهم، فيستطيعون أن يتبادلوا الرأي السديد والفكر الحصيف، ويتعرف بعضهم ببعض، ويجتمعوا على كلمة واحدة ومصلحة واحدة وخطة واحدة. ولكن ليست هذه حكمة الحج الوحيدة، كما اعتاد الكتاب العصريون أن يتوسعوا فيها، وليس الحج مؤتمراً سياسياً فحسب، كما يصوره كثير من حملة الأقلام، ورجال السياسة والاجتماع في هذا العصر، فلو كانت هذه هي الحكمة التي شرع لها الحج، لكان في الحج [illegible] جو من الهدوء يساعد على ذلك، ولكنه [illegible] من مكان إلى [illegible] من نسك إلى نسك، ولكانت دعوة مقصورة على [illegible] والزعماء والأذكياء والعلماء [illegible] من المسلمين، إنها لا شك ثمرة من ثمرات الحج، ولكن ليست هي الغاية [illegible] هذه الفريضة العظيمة، وقد فرضت على المسلمين، فقال تعالى: ﴿[illegible] استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [illegible] وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، [illegible] غير هذا الوضع، ومكان غير هذا المكان [illegible]

الاستشراق و التبشير

: الحلقة الأخيرة

بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر و قطر

و اذا كان الأمر - كما ذكرنا - فانه و لا شك في أنه كان للاستشراق صلة بحركة الاستعمار الأوربي و بحركة التبشير المسيحي في العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق معرفة اللغة العربية ذلك أن اللغة هي الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة. أو للوصول الى تفهم شعب عقائد شعب آخر. فالاستشراق قد نشأ في الدول الكبيرة القوية ذات المطامع في التوسع و في الأرض، و في الدول التي أصبح لها فيما بعد مستعمرات مثل انجلترا وفرنسا و ألمانيا وايطاليا و أسبانيا، و بلجيكا و هولندا، و روسيا (١).

و حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل. ألفوا الكتب و ألقوا المحاضرات و الدروس، و بشروا بالمسيحية بين المسلمين، و جمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات و عقدوا المؤتمرات و أصدروا الصحف و سلكوا كل مسلك، و ظنوه محققاً لأهدافهم.

و في عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين ألحقوها بأخرى عام ١٨٢٠م و أصدرت " المجلة الأسيوية ".

و في لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام

---

(١) الدكتور/ عمر فروخ الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، ص/ ١٢٠

١٨٢٣م و قبل الملك أن يكون ولي آمرها و أصدرت مجلة " الجمعية الآسيوية الملكية " و في عام ١٨٤٢م أنشأ الامريكيون جمعية و مجلة باسم : " الجمعية الشرقية الامريكية " و في العام نفسه اصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا و ايطاليا و روسيا (١) .

و يصدر الأمريكيون في الوقت الحاضر مجلة " شئون الشرق الأوسط " و قد حلت محل مجلة "جمعية الدراسات الشرقية " التي كانوا يصدرونها في أوائل هذا القرن ، وآخر المجلات التي يصدرها المستشرقون الامريكيون هي مجلة " العالم الاسلامي " التي أنشأها صمويل زويمر ١٩١١م و تصدر من " هارتفورد " بأمريكا ، و طابعها تبشيري سافر (٢) .

و للفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة "العالم الاسلامي" في روحها واتجاهها العدائي التبشيري ، و في اسمها أيضاً (٣) .

و لعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار (دائرة المعارف الاسلامية) بعدة لغات و كذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم و أقلامهم لاصدار هذه الدائرة و هي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط و تحريف وتعصب سافر ضد الاسلام و المسلمين (٤) .

و يعتمد المستشرقون ـ فيما يعتمدون ـ على عقد المؤتمرات

---

(١) الدكتور / محمد البهي المبشرون والمستشرقون ، ص/ ٣٢٧ .
(٢) الشيخ أحمد بشير : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص/ ٤٧١ ط. الرياض ـ بالسعودية .
(٣) الدكتور / محمد البهي : التبشير والاستشراق ، ص/ ٣٧٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص/ ٣٨٧ .

العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان سنة ١٧٨٣م و ما زالت مؤتمرات تتكرر حتى اليوم .

وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية و الاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي من الاغداق على المستشرقين والمبشرين ، وحبس الأوقاف و المنح على من يعملون في حقل الاستشراق و التبشير (١) .

و اتجه المستشرقون و المبشرون بمعاونة الاستعمار الى مجال التربية محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم و حتى تخف في نفوسهم موازين القيم الاسلامية (٢) .

و لا يعرف العقل و لا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون عن تحريف التاريخ الاسلامي ، و تشويه لمبادئ الاسلام و ثقافته و اعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الاسلام في تاريخ الثقافة الانسانية .

إن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك في هذا الجانب ، والتفاوت إن وجد بينهم انما هو في الدرجة فقط ، فبعضهم أكثر تعصباً ضد الاسلام ، و عداوة له من البعض الآخر ، و لكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه (٣) .

و المستشرقون يتدخلون بشخصياتهم و آرائهم و أهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث ، و يناقشون النصوص التشريعية ، ويحللون قضايا اللغة و شخصيات الحضارة الاسلامية ، كل ذلك

---

(١) الدكتور/ محمد البهي : التبشير والاستشراق ، ص/ ٢٧٨ .
(٢) انظر : مجلة العالم الإسلامي ، ١٦/ مارس ١٩٥٩م ص/ ١١٤ باكستان .
(٣) الدكتور/ محمد البهي المبشرون والمستشرقون ، ص/ ٢٧٩

يدرسونه من وجهة نظرهم و يطلون عليه من نافذتهم الخاصة ، فيلقون عليه ظلالاً معينة تغير معالم الصورة الأصلية و في غالب الأحيان تعطينا دراساتهم صورة غريبة مشبوهة لحضارة شرقية ، وتقدم لنا الاسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية هذا مع أنه توافرت للمستشرقين من الامكانيات والعوامل المساعدة ما لم يتوافر لأحد ، خاصة عندما بسطت أوربا نفوذها و سيطرتها الاستعمارية على منطقة العالم الاسلامي ، و فتحت الاجواء فسيحة للمستشرقين والمبشرين ، يتحولون في المنطقة بحرية تامة و يعبثون بمصادر الثقافة فيها و معالم الحضارة (١) بل و يستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التي تشكل بمجموعها صرح المكتبة الاسلامية الكبرى فينهبون المخطوطات و ينقلونها الى أوربا ، و قد اطلعت على بعض الدراسات التي ذكرت أنه بالامكان أن نجزم أن حوالي تسعين في المائة من المخطوطات الثمينة نهبت و انتقلت الى مكتبات و جامعات أوربا وأمريكا ، وذلك على أيدي المستشرقين الذين كانوا ينتقونها بخبرة و معرفة دقيقتين (٢) .

و كان انتقال هذا التراث الى أيدي دوائر الاستشراق واحداً من أخطر التحديات لأنه أصبح حجة لنا لا علينا و أصبح إحياؤه يجري على النحو الذي يختاره الاستشراق لا وفق ارادتنا الخاصة (٢) .

و لذا أحيا المستشرقون أنواعاً معينة و أولاها اهتماماً كبيراً

---

(١) الشيخ عبد العزيز القارئ : المستشرقون في الميزان ، ص/٢٧٧ ، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٢هـ .

(٢) الشيخ عبد العزيز القارئ : المستشرقون في الميزان ، ص/٢٧٧ ، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٩٢هـ .

(٣) الأستاذ أنور الجندي : الإسلام في وجه التغريب ، ص/٢٣٩ بتصرف .

منها دراسات الحلاج التي عني بها المستشرق " ماسنيون " ودراسات عن السهروردي و بشار وأبي نواس و ألف ليلة و ليلة ، و كليلة ودمنه ، و ما يتصل بابن الراوندي ، واحياء الأغاني ، وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الاسلام الأصيل أو تزيفه (١) .

و إن أي محاولة لتصور فلسفة الاستشراق لا تعدو ما أورده الباحثون المنصفون من أنها محاولة الاستعمار الغربي لدراسة العقلية العربية الاسلامية ، و النفسية العربية الاسلامية ، بقصد الانتفاع بذلك في التعامل معها ، و السيطرة عليها ، وتدمير مقوماتها التي أعطتها القدرة على التماسك و الصمود (٢) .

و يخلط الاستشراق كثيراً بين الاسلام كدين ، و تعاليم ثابتة والقرآن الكريم والسنة الصحيحة ، و بين الوضع المتردي للعالم الاسلامي في عالم اليوم .

فاسلام الكتاب و السنة يعد في نظر مستشرق معاصر ، مثل (كيسلنج) اسلاماً ميتاً أما الاسلام الحي الذي يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الاسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الاسلامية ، هو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الاسلام الأول (٣) .

و يؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الاسلام كالبابية والبهائية و القاديانية ، و غيرها من فرق قديمة و حديثة ، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة و الشيعة ، و المستشرقون يعدون المنشقين عن الاسلام على الدوام أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي

---

(١) المصدر السابق ، ص/ ٤٠٠ .   (٢) المصدر السابق ، ص/ ٤٠٢ .

(٢) الدكتور/ محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية ، ص/ ١١٦ .

ودائما يهتمون بكل غريب و شاذ (١).

فالاستشراق في شطريه عاملاً مع الكنيسة أو عاملاً مع الاستعمار لا يستطيع أن يخلص الى الحق . و انما هو يؤدي دوره في اثارة الشبهات و تقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير . و معاهد الارساليات لايجاد تيار زائف مضلل (٢) .

و كان من بين الخطط التي دبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الاسلامي و اظهاره برغم وحدانيته في صورة أدنى الى الغريزة البشرية وأنه يصلح لاشباع النزاعات الدينية السطحية دون التعمق في تهذيب الروح والخلق . وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية ويدعو الى الخمول والكسل والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر .

و لقد عاون المستشرقون في تثبيت و تأكيد هذه الاتهامات وتوسعوا فيها .

و بعد هذا الذي ذكرناه نعود الى وقفة انصاف لابد منها : حيث إنه من المقطوع به أن الاستشراق من خلال هدفه و مهمته . قدم للفكر الاسلامي العربي أشياء كثيرة نافعة لايمكن إنكارها . و لا تجاهلها ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول : ان دراسات المستشرقين أدت خدمات في مجالين :

المجال الأول :

استيعاب المصادر و جميع المعلومات بشكل واسع و ربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضي احدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له .

---

(١) الدكتور / محمود حمدي زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية . ص/ ١١٦ .
(٢) الأستاذ أنور الجندي : الإسلام في مواجهة التغريب . ص/ ٤٠٢ .

المجال الثاني :

الترتيب و التنسيق في منهج البحث و التأليف و الاحصاء والفهرسة . وعنايتهم بها عناية كبيرة . و كان ذلك شيئاً جديداً على الدارسين في الفترة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين الى عالم القراء .

و تنبهت الأوساط العلمية و الدارسون في العالم الاسلامي الى هذا المنهج المنسق الذي ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم و دراساتهم . و إن الباحث ليعترف بهذه الخدمات التي أدتها دراسات المستشرقين (١) .

ولا يفوتنا أن نذكر : أن بعض المستشرقين سلكوا منهجاً خاصاً بهم في كثير من الأحوال . فمن جهود المستشرقين نشر الأصول العربية نشراً محرراً مصححاً بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة . إن التاريخ الطبرى و طبقات ابن سعد . و تفسير البيضاوي قد رأت النور أول ما رأت على يد مستشرقين قضوا في تحريرها جانباً كبيراً من حياتهم ثم أخرجوها لنا ولهم أيضاً في حالة وافية صحيحة . وكتب المستشرقون لتلك الكتب مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب .

وبدأ المستشرقون عمل الفهارس الهجائية للكتب التي حرروها ولم نعرف نحن ذلك قبلهم (٢) .

وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامي لما نقلوا جانباً كبيراً من كتبنا إلى لغاتهم (٣) .

---

(١) الشيخ عبد العزيز القاري . المستشرقون في الميزان . ص/٢٧٨ .

(٢) الدكتور/ عمر فروخ . الاستشراق في نطاق العلم و في نطاق السياسة . ص/١٢١ من كتاب المستشرقون والإسلام . طبع الهند .

(٣) المصدر السابق . ص/١٢٢ .

أما فيما يتعلق بفنية البحث عن أحاديث الرسول ﷺ ، فان الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جليلة نقدرها حق قدرها لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المنتشرة في مجلدات لا حصر لها ، وإذا كان « مفتاح كنوز السنة » الذي وضعه المستشرق الانجليزي وفسنك والذي قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقي ، يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية في حوالى أربعة عشر كتاباً من كتب الحديث فان المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي يعد في قمة الأعمال التي قام بها المستشرقون فخدموا كل باحث أو طالب للحديث في كتب تسعة من أمهات كتب الحديث (١) وهذا يدل على أن هناك اتجاهاً طيباً عند البعض في الظاهر .

وإذا كان الفكر الاستشراقي ـ بعيداً عما ذكرناه في دائرة الانصاف ـ له خطورته لأنه لا يقوم على منهج علمي سليم وأنه يزيف الحقائق ويخلط بين الحق والباطل ، وأنه يتصل بالتبشير اتصالاً وثيقاً ، وأن التعاون بينهما قائم ومستمر .

فكيف نواجه الاستشراق والمستشرقين ، والتبشير والمبشرين ؟

إن تلك المواجهة حتمية .

<u>أما بالنسبة للمستشرقين والاستشراق ، فان الأمر يقتضي :</u>

أولاً : أن نأخذ بالحذر والتحفظ والحيطة كل ما يأتي به المستشرقون حتى بالنسبة لهذه الآثار التي اشتهرت بالانصاف والاعتدال لأن التي عرفت بالتعصب والانحراف لم يصرح لها وزن حتى عند بعض المستشرقين .

ومن الثابت المؤكد أن الدين الإسلامي ، قد وضع قواعد مضبوطة وموازين معلومة ومقاييس لقبول الأخبار ورواتها في علم مصطلح

---

(١) الدكتور/أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ، ص/٢٠٦ بتصرف .

الحديث الذي يعتبر أصح ما عرف من قواعد علمية للرواية والأخبار، بل إنه قد نهج على منهج علماء الحديث علماء السلف في الميادين العلمية كالتاريخ والفقه والتفسير واللغة والأدب وغيرها فكانت المؤلفات العلمية في العصور الأولى مسندة بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وهـــذه ميزة لم توجد في مؤلفات العلماء من الأمم الأخرى ، حتى ولا في كتبهم المقدسة (١) .

ثانيـاً : يجب أن يكون عند المسلمين استقلال فكري ، وشعور بالشخصية الإسلامية ، واعتزاز بألقيم الحضارية ، والتراث الأصيل وليس من الانصاف أن يعتمد المسلمون في معرفة تراثهم وعقيدتهم وتشريعهم على ما أعده المستشرقون من كتابات .

وقد اعتمد على ما أعده المستشرقون كثير مما ينتسبون إلى الإسلام فأصبحوا خطراً على الإسلام والمسلمين .

وإنك تلاحظ أن المؤسسات الغربية تكافئ كتابنا الذين يرددون مقولات المستشرقين وافتراءهم .

وإن الكاتب الهندي المسلم سلمان رشدي حصل على أكبر جائزة أدبية بريطانية في مجال القصة عن كتابه « قصائد شيطانية » الذي أساء فيه إلى الإسلام ورسول الله عليه الصلاة والسلام (٢) .

ثالثـاً : إن أخطر منزلق تهوي به الكلمة ويتداعي الحرف في هاويته السحيقة هو التضليل ، والخداع ، والتموية ، وقلب الحقائق ، وتشويه الحقيقة ، عن طريق تصنيع الكلمة وزخرفة القول ، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف والاستغفال ، لاغراقه والايقاع به

---

(١) الدكتور محمد علوي المالكي الحسني ، المستشرقون بين الانصاف والعصبية ، ص/١٦٩ من كتاب : الإسلام والمستشرقون .

(٢) أخبار اليوم ٩/ربيع الثاني هـ ، عدد/٢٢٩٨ ، ص/٧ القاهرة .

والايحاء له بسلامة الفكرة وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله هذ الكلمة الخبيثة .

وهذا ما يقوم به الكثير من المستشرقين وربائبهم في مجتمعات الأمة الإسلامية .

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ (١) .

ومن هنا كان على الأمة أن تواجه هذه الفئات مواجهة علية ، وذلك ببيان الحق ، وفضح أكاذيب المستشرقين وتعرية افتراءاتهم .

رابعــاً : كم عاني الانسان من أولئك الشياطين صناع الكلمة الضالة المنحرفة ، التي قادت البشرية إلى هاوية الضلال والانحراف ، فلقد كان لهذه الكلمة الهدامة في كل عصر وجيل أثرها ودورها التخريبي في حياة الانسان إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه للكلمة خبراء ، ومتفلسفون ومؤسسات كما نشهد في العصر الحاضر .

هذا العصر الذي اتخذت فيه الكلمة الخبيثة المنحرفة ، صيغة المنهج العلمي والفلسفة النظرية ، لذا كان الانسان بحاجة إلى توعية موجهة مخططة تكشف له زيف هذه المناهج الاستشراقية والمبادئ والنظريات والفلسفات ، وتعمق له وعيه وحسه ، قبل الاستجابة والوقوع تحت تأثير الكلمة الخداعة المغرية .

خامساً : لكي نتمكن من المواجهة لا بد من عمل موسوعة للرد على المستشرقين وكانت - كما يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في نهاية عام ١٩٧٩م دعت إلى ندوة لمناقشة إعداد موسوعة الرد على المستشرقين وقد حضر

---

(١) سورة الانعام ، الآية : ١١٢ .

الندوة عدد يزيد على العشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع . وأعد الدكتور زقزوق باعتباره مقرر الندوة آنذاك التقارير عن المنهج العلمي الواجب اتباعه في إعداد هذه الموسوعة وتم التقرير وتسليمه إلى المسؤلين عن الندوة المذكورة وقضى الأمر ، ونامت الفكرة .

سادساً : لا بد من اعداد دائرة معارف إسلامية . يضعها العلماء المسلمون تغطى حاجة الباحثين والدارسين . فدائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون فيها ما فيها ولا زالت هي المصدر الرئيسي لكثير من الكتاب وطلاب العلم في كل مكان . وهذا خطر يسمم الفكر ويعبث بالاصول والقواعد .

سابعاً : لا بد من العمل على انشاء معاهد للدراسات الاستشراقية في مجتمعات وبلدان الأمة الإسلامية . لدراسة افكار الاستشراق والرد عليها وإذا كانت هناك معاهد للدراسات العربية والدراسات السكانية والدراسات الافريقية فمن باب أولى أن تكون هناك معاهد متعددة للدراسات الاستشراقية لأن ما يصيب الأمة الآن من اضطراب وقلاقل هي من جراء التخطيط الاستشراقي التبشيري .

ثامناً : يجب أن يكون تناولنا للاستشراق والكتابة فيه مستمرا حتى يظل الناس على وعي من الخطورة المحدقة وعلى بينة لما يلقى في الساحة من افتراءات وتضليل . ونحن كثيرا ما نواجه المشكلة حينما تطفو على السطح فقط . و ذلك مثل المواجهة التي واجهنا بها البهائية و البابية . حيث كثرت الكتابة و الكلمة حولها حينما كانت المشكلة قائمة ثم نام كل شئ و لا يتحرك أحد للكتابة إلا حينما يطفو على السطح أمر البهائية مرة أخرى . وهذا الأسلوب في غاية الخطورة .

فمهتنا أن نستمر في الكتابة والمواجهة حتى يعرف من لم يكن قد عرف .

تاسعاً : سماحة الإسلام تدعونا إلى أن نمد أيدينا بالترحاب والصداقة إلى أولئك المعتدلين من المستشرقين ، كما مددنا بيد التقدير إلى المستشرقة الألمانية الدكتورة « سيجريد هونكة » والمستشرق الامريكي الذي ألف كتابه « مائة أعظمهم محمد » وقد أحسنت وزارة الأوقاف المصرية صنعا فيما قامت به من دعوة هؤلآء وتكريمهم وتقديرهم .

عاشراً : على الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي أن تراسل مؤسسات الاستشراق في العالم وترسل علماءها لمشاركة هؤلآء وتلبية دعوتهم فان هذه المراسلة والمشاركة لها آثارها ، فقد نرد عليهم ونوضح لهم الحقائق .

حادي عشر : إن الهيئات والمؤسسات الإسلامية ملزمة ، بالاتفاق مع الجامعات الإسلامية في الدول والمهتمين بالشئون الإسلامية ، والغيورين على الإسلام بالدعوة إلى عقد مؤتمرات عن الاستشراق تحت إشراف الهيئات الإسلامية الحريصة على مصلحة المسلمين .

أما بالنسبة للتبشر والمبشرين فان الأمر يقتضي :

أولاً : ندرك تماما أن هؤلآء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام ، إلا في حالة ادراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالاسلام سلوكا وتطبيقا ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملا يعمل ويهتم بانشاء المستوصفات والملاجئ ورعاية الأيتام واللقطاء والمسنين والمدارس ويصاحب ذلك توعية إسلامية وتبشيرية بالاسلام .

ثانياً : إن ما يقوم به التبشير النصراني في افريقيا والمجتمعات الإسلامية المختلفة من بناء المستشفيات الخيرية والمدارس وغيرها مما يقدم للانسان هو عمل خيرى في الدرجة الأولى . لأن الانسان في مثل هذه المجتمعات في حاجة إلى من يقدم له يد العون أو المساعدة

بالعلم والخبز والعلاج . والناس هناك ليسوا في حاجة إلى خطب رنانة ومواعظ لا واقع لها . فإذا أراد المسلون المواجهة فعليهم أن يعملوا مثل ما يعملون ويزيدون عليهم . وان امتننا انغمس القادرون فيها في عالم الشهوات و الملذات و اللهو و الهروب بأموالهم ومدخراتهم إلى بنوك أوربا وأمريكا . لتصبح هذه الأموال العربية والإسلامية عاملا مهما من عوامل التبشير في العالم الإسلامي .

ولو أن هذه الأموال اتيح لها الاستثمار في المجتمعات الإسلامية لفتحت العمل أمام ملايين المسلين . وأغنتهم عن الحاجة .

ثالثاً : يجب أن يدرك المسلون أن التبشير يملك إمكانات هائلة فيجب أن يعمل المسلون في الأمة الإسلامية على توفير الإمكانات للمواجهة العلمية الإسلامية .

رابعاً : ان المستشرقين يتحملون الصعاب والمشاق . ويكفي أحدهم أن يجد طفلا يتيما . أو لقيطا فيسعى على تعليمه وتربيته . ولهذا نسمع عن سرقة الأطفال في لبنان أو افغانستان أو غيرهما . ليعود هؤلاء مبشرين بعد ذلك . فماذا فعلنا نحن ؟ ؟ إننا في أشد الحاجة إلى أن نتنبه إلى تعاليم الإسلام التي تدعو إلى رعاية الأرملة والمصاب والمسكين واليتيم .

خامساً : المبشرون يعملون من خلال تخطيط دقيق ينفذ بدقة . ونحن ما أكثر مؤتمراتنا التي تتمخض عن لا شئ . إن المواجهة تقتضي تخطيطا ينفذ . وعملا يأخذ طريقه .

>•>•>•>•<•<•<•<

الدعوة الإسلامية :

علاقة العبد مع ربه وأثرها على المجتمع

. الأستاذ أيوب الندوي
محاضر في قسم اللغة العربية
الجامعة الملية الإسلامية دلهي

المجتمع بناؤه على الأفراد ، فإصلاح الفرد هو إصلاح المجتمع وان لكل فرد من أفراد المجتمع دائرة خاصة لعلاقاته كالدائرة التي تنشأ في الماء ، إذا رميت في وسطه بحجرة صغيرة ثم هي تتسع تدريجياً ، فهذان أبواه وهؤلآء أقرباؤه ، وذلك صديقه وأولئك جيرانه ، فان الفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع ، والحركات الاجتماعية تبدأ طريقها من الفرد لا من الجمهور ، فالفرد إذا صلح صلح المجتمع كله وإذا فسد هو فسد المجتمع كله ، وإن الإسلام يهدي الناس إلى إصلاح الفرد أولاً وبواسطته إلى إصلاح المجتمع ، فالأركان الخمسة للإسلام التي هي تعبير لعلاقة الفرد مع ربه تلعب دوراً هاماً في إصلاح المجتمع ، وهنا نذكر أهمية علاقة الفرد مع ربه مفصلاً وكيف تؤثر هذه العلاقة على كيان المجتمع .

صلة الفرد مع ربه :

العبد مسئول وعليه واجبات تجاه ربه وتجاه بني جنسه فأما الواجبات التي تلزمه تجاه ربه تسمى بحقوق الله والثانية حقوق العباد ، وهنا نذكر الواجبات التي تقع على كاهل العبد تجاه الرب تعالى وهذا ما عنيناه بـ « صلة الفرد مع ربه » .

فهذه الصلة « صلة الفرد مع ربه » تلعب دوراً هاماً في شخصية الفرد ، وبهذه الصلة التي تقوم بين العبد وربه تنعكس الصفات

الربانية على قلب البشر وبذلك تصلح أعماله ويلين خلقه ، وتمتاز شخصيته وهناك يحس الفرد أن على نفسه مسئولية كبرى تجاه أفراد المجتمع . والإسلام دين ينظم علاقة العبد بربه ويقوى هذه الصلة على أساس أن أشد قربة إلى الله أن يحسن إلى خلق الله تعالى وألا يسيئ إليهم . فان الاساءة إلى الخلق اساءة إلى الخالق وايذاء العبد يبعده عن ربه وكل عبادات العبد في الإسلام تؤدي إلى تأليف اجتماعي يقوم على الفضيلة والخلق المستقيم .

إن الصلة التي تقوم بين العبد وربه « انها صلة غريبة فريدة لا نظير لها ولا مثال . انها لا تقاس على صلة بين فردين أو طرفين في هذا الوجود . انها لا تقاس على صلة بين صانع ومصنوع . وبين حاكم ومحكوم وبين قوي وضعيف وبين فقير وغني وبين مستجد مكد وبين جواد منعم فحسب . انها صلة أدق من جميع هذه الصلات وأعمق وأقوى وأشمل » (١) .

« و أقل ما يقال فيها انها صلة الخالق و المخلوق و الرب والمربوب والرازق والمرزوق والمالك والمملوك والحاكم والمحكوم . انها صلة بين سيد كــريم و رب رحيم و بين إنسان فقير و عبد ذليل » (٢) .

و لأعمال هذه الصلة نوعان . نوع ما يتعلق بالقلب ويسمى بالعقيدة ونوع ما يتعلق بالجسم وأعضائه ويسمى بالعبادة .

العقيـــــــدة :

أما العقيدة فلها تأثير في شخصية الفرد وكيان المجتمع ولها أغوارها البعيدة في شعاب النفس الانسانية والعقل الإنساني . وهي

(١) الأركان الأربعة للشيخ أبي الحسن الندوي . ص/ ١٢ .

(٢) نفس المرجع . ص/ ٩٥ .

أبعد من أن يحيط بها فكر ويحصيها قلم . فاذا كانت هذه العقيدة نشأت عن خرافة أو وهم أو تقليد فهي تمنع الفرد من الرقي والتقدم وتحول دونه ودون عقله الذي منحه الله تعالى ليستخدمه في سبيل المعرفة والوصول إلى خالقه وربه ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا . سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران . الآية : ١٩٠-١٩١) .

ولكن هذه العقيدة إذا قامت على علم ومعرفة وإخبار من الرسل و وحي من الخالق فهي تمنح الفرد الحرية والشجاعة حتى تتضاءل أمامه كل عظمة وكبرياء وتزول مهابة العظماء والكبراء وخوف الجائرين والرؤساء من قلبه حتى يتراءوا له حيوانات حقيرة أو صورا ودمى هزيلة . وعن تأثير هذه العقيدة يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في ضمن باب « المجتمع الإسلامي » .

« فاذا آمن أحد بالله وشهد أن لااله إلا الله انقلبت حياته ظهرا لبطن . تغلغل الإيمان في أحشائه وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره وجرى منه مجرى الروح والدم واقتلع الجاهلية وجذورها وغمر العقل والقلب بفيضانه وجعل منه رجلا غير الرجل . وظهر منه روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة . ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد . وعجز العلم عن تعليله بشئ غير الإيمان الكامل العميق » (١) .

العقيدة الإسلامية خفيفة على اللسان . ثقيلة في الميزان . ظاهرها مختصر وأداؤها سهل ولكن في داخلها أمانة ومسئولية .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص/١٠١ .

ولمعناها وكيفيتها شأن أي شأن ، فهي تشمل على كلمتين خفيفتين :
(لا اله إلا الله محمد رسول الله) والى ذلك يشير الدكتور صبحي الصالح في كتابه :

« أما الشهادة بوحدانية الله ونبوة محمد رسول الله ، فتصديق لحقيقة الإيمان وتجسيم لشعائره وترنيم بمعانيه ولا عبرة بها - مع أنه شهادة قولية باللسان - ما لم تظهر آثارها في الجنان بالاخلاص لله والاقتداء برسول الله والاستقامة على الهدى وفعل الخيرات ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام ، ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » (١) .

لقد أيقظت هذه العقيدة الإسلامية البشر وحررته من كل نوع من أنواع العبودية والاستعباد وكذلك حررته من مختلف الخرافات والخزعبلات وخلقت إنسانا جديداً لا عهد للبشرية به من قبل فجعل يفتخر بانتمائه إلى أبيه آدم بعد أن كان يفتخر بانتمائه إلى قبيلته وقوميته وشعر بانسانيته وبوحدة الجنس البشري .

« إن العقيدة الدينية فكرة تربط الانسان بقوى الكون الظاهرة والخافية ، وتثبت روحه بالثقة والطمأنينة وتمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة و الأوضاع الباطلة بقـوة اليقين في النصر وقوة الثقة في الله . . . انها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده أو تتولى شعائره وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه وانها لا تتولاه فردا وتهمله جماعة ولا تتولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه وعلاقات دولتـه » (٢) .

وهذه العقيدة لها تأثير كبير في بناء المجتمعات وبقاء الجماعات فبدوام هذه العقيدة تدوم الجماعة ولم يفن أي أمة من الأمم إلا بضعف

---

(١) الإسلام والمجتمع العصري ، ص/١٥٦ .
(٢) الإسلام والسلام العالمي لسيد قطب ، ص/٧-٨ .

عقيدتها « فإن العقيدة الدينية هي التي خلقت المجتمعات الراقية وصبغتها بصبغتها العميقة ، وبذلك فقد أصبحت جزءاً من المجتمع الذي آمن وأضفت عليه من آثارها ما لا يمكن أن تثبت العقيدة إذا زال من وجودها » (١) .

العبادات :

ليس الإسلام عقيدة أو عمل قلب فقط ، بل انه الإيمان بالجنان والنطق باللسان والعمل بالأركان كما يعبر فقهاء الإسلام ، فان الإسلام فرض علينا عدم الاكتفاء بالعقيدة ، بل اعتبر العمل الذي يتبع الإيمان ثمرة لاعتقاده وعلامة عليه . فاذا كان إيمانه قويا فلا بد أن يكون قائما بالواجبات الدينية مراقبا لله في تصرفاته المتنوعة ، وإذا كان إيمانه ضعيفا فان طاعته كذلك تصبح ضعيفه .

لقد بين القرآن الكريم أن الانسان يلقى نتيجة عمله ، وان ما يقوم به من خير وشر يظهر في قلبه ، ثم ما يزال يتراكم فاذا كان العمل صالحا أضاء القلب ونوره وإذا كان سيئا سوده وأظلم ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (المطففين، الآية : ١٤) والران قد شرحه النبي ﷺ بقوله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، فان زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (٢) .

« فالعبادة ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم حتى تعلن في نفسها في صورة عمل ونشاط وحركة وبناء ، عبادة تستغرق نشاط

---

(١) دفاع عن الشريعة لـ «علال الفاسي» ص/٣٩ .
(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب ، ج/٢ ص/١٤١٨ .

المسلم بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه وميول فطرته وحركات جسمه ولفتات جوارحه وسلوكه مع الناس وبهذا الاستغراق وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة في الأرض في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (١) .

وقد عرف من قبل أن الإيمان ليس هو الاعتقاد الناشئ عن القلب ولكنه شئ يشمل ذلك ويشمل التصرفات والأعمال فالإسلام اذاً اعتقاد وعمل وعقيدة وسلوك وقد بينا أهمية العقيدة في الفصل السابق ونحن الآن بصدد ذكر العبادة والسلوك مكانة وتأثيرا .

إن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان لأجل عبادته وحده فالعبادات هي الأساس في بناء الدين وكما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات ، الآية : ٥٦) فان للعبادات الإسلامية أهمية كبرى و مكانة مرموقة في جميع الشرائع والأديان ، ولم يقم أي دين ولم تنزل أي شريعة إلا وأمر وحث على العبادات مهما اختلفت أركانها وتنوعت أشكالها ، ولقد نزلت عشرات من الآيات القرآنية تأمر بها وتحث عليها واعتني بها رسول الله ﷺ بأقواله وأعماله عناية ليست بعدها عناية .

خلق الله العباد لعبادته ولكنه غني عن عبادتهم ﴿ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، إن الله لغني عن العالمين ﴾ (العنكبوت ، الآية : ٦) فانما هي العبادات لصالح العباد في نفس الوقت الذي هي أداء لحق الله عليهم ، فهذا فضل من الله وكرم أن أصلح بها حالنا في هذه الأرض ثم يجزئنا بها الثواب والمغفرة يوم القيامة .

ولقد امتازت العبادات الإسلامية بشمولها لجميع البشر ولزومها على كافة العباد ، رجالهم ونسائهم ، صغارهم وكبارهم ،

---

(١) من مقال الكاتب أحمد عبد الرحيم السايح « العبادة في الإسلام » أصدرته مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد الأول ، السنة ١١ غرة رمضان ١٣٩٨هـ ، ص/٧٢ .

شبابهم وشيوخهم ، فانها معرض رائع للمساواة في أقصى معانيها وأسمى أبعادها ومراميها . فليست هناك عبادة خاصة بالملوك وأخرى لا تليق إلا بالسوقة ، إنما هي شرع واضح كالشمس في رابعة النهار ، والكل فيه سواء ، أعظمهم أجرا وأرفعهم مكانة ، من تمسك به واجتهد فيه ، وعول أمره عليه بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو مكانته وبفضلها محا الله تعالى نظام الطبقات من النفوس ، ففي الصلاة يقف الفقير والغني في صف واحد ويقولان معا : « الله أكبر » فيقران بعظمة ربهم ، وهذا لكي يشعر الناس بالتضامن والوحدة والتساوي فيما بينهم ، وضعفهم أمام قوة الله وجبروته ، وكذلك في الحج تمحى كل الفروق الاجتماعية بين الناس في أجناسهم وألوانهم وفقرهم وغناهم إذ الجميع يكونون في ضيافة الله في بيته وبملابس واحدة وهكذا كل العبادات الإسلامية تعتني بتربية القلوب على المساواة بلا تمييز بين فقير وغني أو تفريق بين شريف و وضيع ، فهم سواسية كأسنان المشط أمام ربهم وإلههم .

وللعبادات فوائد جمة لا يحصيها إلا من فرضها ، فهي تتعاون على تهذيب الخلق وتزكية النفس وطهارة الروح كما تتعاون أنواع الطعام على بناء الجسم وصيانة البدن لينشط في أداء وظائفه ويؤدي في كفاءة تامة جميع واجباته والمجتمع الفاضل أمنية أقضت مضاجع المصلحين وأسهرت ليالي المفكرين فماتوا ولم يتحقق منها شئ حتى جاء محمد ابن عبد الله بمنهج الخالق و وحي السماء ، فاذا المجتمع الذي كان أمنية في عالم الخيال أضحت حقيقة دنت من الناس ، ورمت إليهم بخيراتها وثمارها وملأت عيونهم بجمالها وقلوبهم بجلالها فاذا هم بها في غبطة وهناء وسعادة وأمن ورخاء ، فالانسان الخاضع طبيعيا يجد سرورا ولذة ويعيش في سعادة وهناءة إذا عمل بهذه العبادات التي شرعها القرآن الكريم الذي أنزل من رب خبير ، والتي فصلها رسول الله في أحاديثه .

التحذير من السفر إلى بلاد الكفرة وخطره على العقيدة والأخلاق

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أما بعد :

فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل لهم به الدين قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ولكن أعداء الإسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتلأت قلوبهم حقداً وغيظاً وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وأهله وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها ، كما قال تعالى في وصف ما تختلج به نفوسهم ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ وقال عز وجل : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة .

والمقصود أنهم لا يألون جهداً ولا يتركون سبيلاً للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم في النيل من المسلمين إلا سلكوه ولهم

في ذلك أساليب عديدة و وسائل خفية وظاهرة .

فمن ذلك : ما تقوم به بعض مؤسسات السفر والسياحة من توزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد لقضاء العطلة الصيفية في ربوع أوربا وأمريكا بحجة تعلم اللغات الأجنبية و وضعت لذلك برنامجاً شاملاً لجميع وقت المسافر ، وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها ما يلي :

أ- اختيار عائلة لإقامة الطالب لديها مع ما في ذلك من المحاذير الكثيرة .

ب- حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية في المدينة التي يقيم فيها.

ج- زيارة أماكن الرقص والترفية .

د- ممارسة الديسكو مع فتيات كافرات فاتنات ومسابقات في الرقص .

هـ- جاء في ذكر الملاهي الموجودة في إحدى المدن الكافرة ما يأتي : (أندية ليلية ، مراقص ديسكو ، حفلات موسيقي الجاز الروك ، الموسيقي الحديثة ، مسارح ودور سينما وحانات) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها ما يلي :

١- العمل على انحراف شباب المسلمين وإضلالهم .

٢- افساد الأخلاق والوقوع في الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها في متناول اليد .

٣- تشكيك المسلم في عقيدته .

٤- تنمية روح الاعجاب والانبهار بحضارة الغرب .

٥- تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .

٦- التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه وأوامره .

٧- تجنيد الشباب المسلم ليكونوا من دعاة التغريب في بلادهم بعد

عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشته .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التي يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية . وقد يتسترون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية إمعاناً في الكيد وإبعاداً للشبهة وتضليلاً للمسلمين عما يريدونه من أغراض في بلاد الإسلام .

لذلك فإني أحذر إخواني المسلمين في هذا البلد خاصة وفي جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها وأدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر وعدم الاستجابة لشئ منها . فإنها سم زعاف ومخططات من أعداء الإسلام تفضى إلى إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ الآية .

كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم السفر إلى الخارج لما في ذلك من الأضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا . و إرشادهم إلى أماكن النزهة والراحة في بلادنا وهي كثيرة بحمد الله و الاستغناء بها عن غيرها . فيتحقق بذلك المطلوب وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار و المتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التي يتعرضون لها في البلاد الكافرة . هذا وأسأل الله عز وجل أن يحمى بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأولادهم من كل سوء وأن يجنبهم مكائد الاعداء ومكرهم وأن يرد كيدهم في نحورهم . كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا وجميع ولاة أمر المسلمين لكل ما فيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة وأن يعينهم على تحقيق كل ما فيه صلاح العباد والبلاد . إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

كتاب الآثار وصاحبه

[الحلقة الثانية]

للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني
تعريب : بلال عبد الحي الحسني الندوي

نسخ كتاب الآثار :

ولهذا الكتاب نسخ متعددة كالموطأ وصحيح البخاري وسنن النسائي وسنن أبي داؤد وغيرها من كتب هذا الفن الشريف فتوجد روايات في نسخة لا توجد في أخرى وتتقدم رواية في نسخة وتتأخر في غيرها ، وهذا مما لابد منه ، لأن الرواة قد أخذوا عنه في السنين المختلفة ، وكان دأب ذلك العصر أن الشيخ يملي الروايات بحفظه والتلاميذ يكتبونها فكان لابد من أن يقع الاختلاف في عدد الروايات وتقديمها وتأخيرها باختلاف الرواة والسنين ولأن الإمام لم يزل ينظر ويزيد فيه ، يقول الإمام عبد الله بن المبارك أحد رواة هذا الكتاب « كتبت كتب أبي حنيفة غير مرة كان يقع فيها زيادات فأكتبها » (١) .

نسخ كتاب الآثار التي ذكرها المحدثون .

١ - رواية الإمام زفر بن هذيل (م سنة ١٥٨ هـ)

ذكر نسخته الحافظ أمير بن مأكولا (م سنة ٤٥٧ هـ) في كتابه الشهير « الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب (٢) » في بابه « الحصيني والجصيني » فيقول في ترجمة المحدث أحمد بن بكر الجصيني .

---

(١) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة . ج/٢- ص/٦٨ .

(٢) قد لاحظت نسخ هذا الكتاب الخطية في مكتبة تونك ومكتبة حيدرآباد الدكن

« أحمد بن بكر بن سيف أبوبكر الجصيني ثقة يميل ميل أهل النظر، روى عن أبي وهب عن زفر بن الهذيل عن أبي حنيفة « كتاب الآثار» .

و ذكر هذه النسخة الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعي في كتابه « الأنساب » (١) و الحافظ عبد القادر القرشي الحنفي في كتابه الشهير « الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية » (٢) .

وروى كتاب الآثارعن زفر ثلاثة من تلاميذه . الأول منهم أبو وهب محمد بن مزاحم المروزي شيخ الجصيني الذي مضى ذكره . والثاني شداد بن حكيم البلخي وقد توجد رواياته بكثرة في « جامع مسانيد الإمام الأعظم » للخوارزمي عن مسندالحافظ بن خسرو البلخي . والثالث منهم . حكم بن أيوب وذكر الحاكم رواية الأولين من الرواة الثلاثة في كتابه « معرفة علوم الحديث » فقال :

« نسخة لزفر بن الهذيل الجعفي تفرد بها عنه شداد بن حكيم البلخي ونسخة أيضاً لزفر بن الهذيل تفرد بها أبو وهب محمد بن مزاحم المروزي عنه (٣) ورواية الثالث منهم ذكرها الحافظ أبو الشيخ بن حبان في كتابه «طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها » (٤) في ترجمة أحمد بن رسته فيقول : « أحمد بن رسته بن بنت محمد المغيرة كان عنده (السنن) عن محمد عن الحكم بن أيوب عن زفر عن أبي حنيفة » ذكر الحافظ أبو الشيخ (كتاب الآثار) باسم السنن وذكر روايتيه كما هو طريقه في ترجمة كل راو . وكذا ذكر

---

(١) انظروا « الأنساب » الجصيني .

(٢) انظروا ترجمة أحمد بن بكر في الجواهر المضيئة .

(٣) معرفة علوم الحديث ، ص/١٦٤ طبع بدار الكتب المصرية .

(٤) وقد لاحظت نسخته الخطية في المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن .

الحافظ أبو نعيم الأصفهاني روايات هذه النسخة في تاريخ أصفهان (١) وتوجد رواية واحدة منهما في المعجم الصغير للطبراني (٢).

٢- رواية الإمام أبي يوسف (م سنة ١٨٢ هـ)

ذكر نسخته الحافظ عبد القادر القرشي في «الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفة» فيقول في ترجمة الإمام يوسف بن أبي يوسف رحمه الله «روى كتاب الآثار عن أبيه عن أبي حنيفة و هو مجلد ضخم» جزى الله الشيخ أبا الوفاء الأفغاني رئيس إحياء المعارف النعمانية فانه حقق هذا الكتاب وراجعه وعلق عليه ثم طبع بمصر سنة ١٣٥٥هـ ويروي هذه النسخة عن أبي يوسف راويان : الأول منهما الإمام يوسف ابن الإمام أبي يوسف والثاني عمرو بن أبي عمرو وقد سمى المحدث الخوارزمي رواية عمرو بن أبي عمرو بنسخة أبي يوسف في كتابه «جامع مسانيد الإمام الأعظم» وذكر اسناد هذه النسخة إلى أبي يوسف في الباب الثاني من هذا الكتاب.

٣- نسخة الإمام محمد بن حسن الشيباني (م سنة ١٨٩ هـ)

هذه النسخة من أشهر النسخ وأكثرها تلقيا بالقبول لدى الأئمة والعلماء وبها قال الحافظ بن حجر العسقلاني في مقدمة تعجيل المنفعة زوائد رجال الأئمة الأربعة «الموجود من حديث أبي حنيفة مفرداً إنما هو كتاب الآثار التي رواها محمد بن الحسن عنه وقد صنف الحافظ كتابين في ترجمة رواة هذا الكتاب، الأول منهما الذي هو خاص بتراجم رجال «كتاب الآثار» سماه «الإيثار بمعرفة رواة الآثار» ونسخته الخطية موجودة عندي. والثاني منهما «تعجيل المنفعة» وخصه الحافظ رحمه الله بتراجم الرواة الذين أخذ عنهم

---

(١) لاحظت هذا الكتاب الخطي في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وقد طبع الآن في المغرب.

(٢) انظروا، ص/٣٣ طبع الأنصاري بدهلي.

الأئمة الأربعة ، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله في كتبهم ، و قد جمع الحافظ رحمـــه الله في هذا الكتاب زوائد رجال « كتاب الآثار» للإمام محمد رحمه الله .

قال السخاوي في كتابه « الإعلان بالتوبيخ في من ذم التاريخ » أن الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا (م سنة ٨٧٩هـ) صنف كتاباً في رجال « كتاب الآثار» (١) وذكر حاجي خليفة ملا كاتب جلبي في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » شرحاً للإمام الطحاوي على كتاب الآثار وأخذه شمس الأئمة السرخسي في المبسوط عن شرح على كتاب الآثار للإمام محمد وذكره (٢) ، وعد العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه « العقود في تاريخ العهود » (٣) تصانيف الحافظ قاسم بن قطلوبغا ، فذكر تعليقه على كتاب الآثار وهو سوى كتابه على رجال كتاب الآثار ، و كذا العلامة المرادي ذكر في كتابه « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» في ترجمة الشيخ أبي الفضل بدرالدين علي بن مراد الموصلي العمري الشافعي (م سنة ١١٤٧هـ) شرحه على كتاب الآثار للإمام محمد رحمه الله ، وإننا أيضاً ألفنا كتاباً على رجال هذا الكتاب فرتبنا أحاديثه حسب ترتيب مسانيد الصحابة ، وشرح له الشيخ المفتي مهدي حسن الشاهجهانفوري شرحا وافيا في مجلدين ضخمين ، قال عنه العلامة أبو الوفاء الأفغاني ، إنه شرح حسن لم ير مثله (٤) .

روى عن محمد رحمه الله نسخته عدد من تلامذته ، والنسخة

---

(١) الإعلان بالتوبيخ في من ذم التاريخ ، ص/١١٧ طبع دمشق .

(٢) انظر المبسوط للسرخسي ، ج/١- ص/٨٠ طبع مصر ، قال فيه : « فقد ذكر محمد رحمه الله في شرح الآثارية » .

(٣) انظر ترجمة الحافظ قاسم بن قطلوبغا في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع .

(٤) مقدمه كتاب الآثار رواية الإمام أبي يوسف للشيخ الأفغاني .

لموجودة المطبوعة رواها عنه الإمام أبو حفص الكبير والإمام أبو سليمان الجوزجاني ، وغير هاتين الروايتين رواها عنه عمرو بن أبي عمرو ، والمحدث الخوارزمي ذكر نسخته في « جامع مسانيد الإمام الأعظم » باسم مسند الإمام أبي حنيفة للإمام محمد رحمه الله ، ولعلها خالية من أقوال التابعين وفتاواهم وخاصة بالأحاديث ولعلها بهذا السبب سمي بمسند أبي حنيفة .

لأن الإمام أبا حفص الكبير والإمام الجوزجاني من كبار ناقلي الفقه الحنفي فاشتهرت نسختاهما ، وأنا أيضاً أروى كتاب الآثار بسند أبي حفص الكبير .

نسخة الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي (م سنة ٢٠٤هـ)

ذكر نسخته الحافظ ابن حجر العسقلاني في « لسان الميزان » فيقول في ترجمة المحدث محمد بن ابراهيم بن جيش البغوي :

« محمد بن ابراهيم بن جيش البغوي روى عن محمد بن شجاع الثلجي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة « كتاب الآثار » (١) .

وذكر الحافظ ابن القيم رواية هذه النسخة في « اعلام الموقعين » فقال : قال الحسن بن زياد اللؤلؤي ثنا أبو حنيفة قال كنا عند

---

(١) وفي النسخة المطبوعة كذا محمد بن ابراهيم بن حسن البغوي روى عن محمد بن نجيح البلخي عن الحسن بن زياد عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة « كتاب لآثار » وهو غلط فاحش فقد طبع حسن البغوي مكان جيش البغوي وكذا نجيح البلخي مكان الشجاع الثلجي وأدرج محمد بن حسن بين حسن بن زياد وأبي حنيفة . وما اهتم الناشرون هنا التصحيح . والخطأ في قراءة الأسماء في الكتب الخطية يكون بكثرة . واشتهر عن الحافظ ابن حجر انه كان روى الخط ، وقد رأيت نسخة « إتحاف المهرة » بخطه فالحقيقة أنه لا تسهل القراءة بخطه .

محمد بن ابراهيم بن جيش البغوي ومحمد بن شجاع الثلجي محدثان شهيران حنفيا المذهب وترجم لهما الخطيب في تاريخ بغداد .

محارب بن دثار وكان متكئاً فاستوى جالسا ثم قال سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ : ليأتين على الناس يوم تشيب فيه الولدان وتضع الحوامل ما في بطونها (١) .

أخذ المحدث علي بن عبد المحسن الدواليبي الحنبلي عن نسخته ستين حديثاً في ثبته ونقلها كلها المحدث الناقد الشيخ محمد زاهد الكوثري في كتابه الشهير « الامتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع » وقد سمي المحدث الخوارزمي في « جامع مسانيد الإمام الأعظم » نسخته بمسند أبي حنيفة لحسن بن زياد وذكر في بابه الثاني اسناده إلى الإمام اللؤلؤي . والمحدثون يذكرونها باسم مسند أبي حنيفة . وهذه النسخة كانت موجودة في مرويات الحافظ بن حجر العسقلاني ، وذكر اسانيدها واجازاتها بالايضاح والتفصيل المحدث علي بن عبد المحسن الدواليبي في ثبته والحافظ بن طولون في « الفهرست الأوسط » والحافظ محمد بن يوسف الدمشقي الشافعي صاحب السيرة الشامية في « عقود الجمان » والمحدث أيوب الخلوتي الحنفي في ثبته وخاتمة الحفاظ الملا محمد عابد السندي في « حصر الشارد في أسانيد الشيخ محمد عابد » ونقل كلها العلامة زاهد الكوثرى في « الامتاع » .

نسخة الإمام حماد بن سليمان (م سنة ١٧٠هـ) والمحدث محمد بن خالد الوهبي (م قبل سنة ١٩٠هـ)

روى المحدث الخوارزمي في جامع المسانيد عن نسختيهما وذكر اسناده إليهما في الباب الثاني لهذا الكتاب وسمى هاتين النسختين أيضاً بمسند أبي حنيفة كما هو خلقه في سائر النسخ ، ولأن الخوارزمي سماها مسندا فتبعه كثير من المؤلفين بعده في هذا

---

(١) اعلام الموقعين . ج/١- ص/٤٣ طبع أحرف المطابع بدلهي .

الأمر . ودأب المتقدمين أنهم يذكرون كتابا بأسماء متعددة كتأليف الدارمي مثلا فانهم يذكرونه كائناً باسم السنن وكائناً باسم المسند ، والترمذي فانهم يذكرونه بالجامع والسنن وهكذا نسخ كتاب الآثار فان العلماء سموها بأسماء مختلفة . بعضهم ذكروها باسم المسند وبعضهم بالسنن وبعضهم ذكروا باسم « كتاب الآثار» وفيهم من اكتفوا بذكر النسخة . ولكن اسم هذا الكتاب الذي جمعها الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- هو كتاب الآثار. وذكره الإمام علاء الدين الكاساني في « بدائع الصنائع » باسم آثار أبي حنيفة (١) .

وسوى هؤلاء الرواة الذين أخذوا عن الإمام كثير من تلاميذ الإمام الذين سمعوا الحديث عن الإمام وانتفعوا به في هذا الفن منهم :

١- الإمام عبد الله بن مبارك وقد مضى قوله في أبي حنيفة أنه رأي كتب أبي حنيفة مرات وذكر المحدث الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن الحميدي شيخ الإمام البخاري يقول : سمعت عبد الله ابن المبارك يقول : كتبت عن أبي حنيفة أربع مائة حديث .

٢- الإمام حفص بن غياث ، روى عنه الحافظ الحارثي بسند أنه يقول سمعت عن أبي حنيفة كتبه وآثاره .

٣- شيخ الإسلام عبد الله بن يزيد المقرئ ، يقول العلامة الكردري انه سمع عن أبي حنيفة تسع مائة حديث (٢) .

٤- الإمام وكيع بن جراح ، يقول الحافظ ابن عبد البر عن يحى بن معين سيد الحفاظ انه يقول : « ما رأيت أحداً أقدمه على وكيع وكان يفتى برأى أبي حنيفة وكان يحفظ حديثه كله ، وكان

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ج/١- ص/٢٣٠ طبع مصر .

(٢) مناقب الإمام الأعظم للكردري ، ج/٢- ص/٢٣١ .

قد سمع عن أبي حنيفة حديثاً كثيراً » (١) .

٥- حماد بن زيد ، قال ابن عبد البر فيه : « روى حماد بن زيد عن أبي حنيفة أحاديث كثيرة » (٢) .

٦- خالد الواسطي ، قال ابن عبد البر: روى عنه أحاديث كثيرة (٣) أي الإمام الأعظم رحمه الله ، وابن عبد البر كتب في ترجمة الإمام محمد رحمه الله انه كتب عن مالك كثيراً من حديثه مع انه سمع المؤطأ كله عن مالك رحمه الله فيمكن أن يقاس أنه ماذا يريد بلفظ الكثرة .

٧- أسد بن عمرو ، صرح المحدث الصيمري عن أبي نعيم فضل بن دكين بسند ، أنه أول من كتب كتب أبي حنيفة .

فهؤلاء ثلاثة عشر راوياً وكلهم من أكابر المحدثين والفقهاء وليس لأي كتاب سوى المؤطا رواة كهذا الشأن في العلم ، وهذا ذكر من سمع عن الإمام كتابه وإلا فروى عنه كثير من الناس حتى قال الذهبي : روى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون (٤) .

....

....

---

(١) جامع بيان العلم ، ج/٢- ص/١٤٩ طبع مصر .
(٢) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ، ص/١٣٠ طبع مصر .
(٣) أيضاً ، ص/١٣٦ .
(٤) مناقب أبي حنيفة للذهبي ، ص/١١ .

الحداثة في العالم العربي

بقلم : الدكتور عدنان النحوي

لقد وفدت الحداثة إلينا مع البعثات التي عادت من أوربا ، أو الرجال الذين انطلقوا من أنفسهم يطلبون العلم هناك ، أو الرجال العاملين الزاحفين على بلادنا من بلاد الغرب زحفاً عسكرياً أو زحفاً نصرانيا ، ومؤسسات الفساد كالماسونية ونوادي الروتاري وغيرها ، لقد أطلقت مصر أول بعثة طلابية إلى فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ، وعاد منها رفاعة رافع الطهطاوي يرفع لواء الحداثة ويدعو إلى اتباع أوربا مع محاولة المواءمة بين تاريخ البلاد وتطلعات ما يسمونه بالتطور ، ونهج هذا المنهج عدد من رجال الإسلام ، وتركوا أثراً غير قليل .

ثم أخذت التبعية خطوة أجرأ تدعو إلى قطع الصلة مع ماضينا ، مع أرضنا ، مع ديننا . فاسمع سلامة موسى يقول في كتابه « اليوم والغد » : « كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله . فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوربا ، فاني كلما زادت معرفتي بالشرق ، زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني ، وكلما ازددت معرفة بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها ، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها . . . » ثم يهاجم الثقافة العربية كلها وأدباءها وشعراءها ورجال تاريخنا بأسلوب وقح .

وليست الجريمة أو المصيبة فيه فقط ، ولكنها في الأمة التي قبلته فيها ، وتركته يعيش معها ينشر فساداً ، إن أقل شئ كان يجب

عمله أن يقال له خذ متاعك وارحل إلى أوربا واقطع صلتك بأرضنا فانها لم تعد أرضه .

وجاء طه حسين بعد سنوات قليلة ينشر كتابه مستقبل الثقافة في مصر ، ليحدد فيه نفس سبيل سلامة موسى من اتباع أوربا . بل دعا طه حسين إلى نشر تعليم اللغة اليونانية والرومانية القديمة لأنها أساس حضارة أوربا في رأيه ، فلتكن كذلك أساس حضارتنا .

وبدأ الهجوم على اللغة العربية والتركيز عليها . وانطلقت الدعوات إلى استخدام اللغة العامية ، وإلى تغيير القواعد والنحو والإملاء ، والأحرف ، بدأ هجوم شرس عنيف ، وما زال ممتدا حق يومنا هذا ، يقول نزار قباني : «كانت اللغة أملاكاً خصوصية ، اللغويون جمعية منتفعين ، كانت الفتوى بشرعية كلمة أو تعريب مصطلح علمي أو تقني تستغرق من المجامع اللغوية ثلاث سنوات من التنجيم والاستخارات ، والألوف من كؤوس الشاي والبابونج . . . »

و يقول يوسف السباعي : « يجب أن نتحلل من هذه القيود السخيفة . لماذا كل هذا التعب ؟ الآن العرب منذ ألف سنة رفعوا هذه ونصبوا تلك ، لتسكن آخر كل كلمة ، ولنبطل التنوين ، ولننقل الجمع بالياء فقط ، ولنحرم أدوات الجزم والنصب من سلطانها . . . »

و امتد أثر الحداثة في واقعنا وعالمنا الإسلامي حين ظهر الشعر الحر يهدم أسسا متينة من أسس اللغة والأدب والشعر ، تمهيدا لهدم أسس أخرى . لقد رأينا كيف ابتكر (كوستاف كان) تعبير الشعر الحر ، وكيف تلقفه مارينيتي رأس الحركة المستقبلية الإيطالية ، وكيف قال المستقبليون : « بعد الشعر الحر أصبح عندنا كلمة حرة » حرة من كل معنى ومبنى وقواعد بعد هدم اللغة وأسسها .

وانطلقت نازك الملائكة تقول في مطلع حركتها الهوجائية تقول : « إنني أتمنى لو تعاون الشعراء الشباب المثقفون في البلاد العربية جميعا على دك جدران هذه القلعة العتيقة – قلعة القافية – . . » ولما

أدركت نازك الملائكة هول الجريمة التي فتحتها عادت لتفند أهمية القافية في الشعر العربي ، ولكن الشعر الحر وجنايته كانت قد امتدت . وقام الحداثيون يهاجمون ويحاربون نازك الملائكة .

ثم التقي تهديم اللغة مع تهديم الأخلاق حين يعتز نزارقباني باللقب الذي أطلق عليه « شاعرالفضيحة » وجاء جبران خليل جبران يهاجم الدين ورجاله بأسلوب بذئ في « الأجنحة المتكسرة » فاسمعه يقول : « .. هكذا يصبح الاسقف المسيحي والإمام المسلم والكاهن البرهمي كأفاعي البحار التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة » .

وأصبح شعراء في بلادنا يعتزون بالشعراء الشيوعيين هنا وهناك ، يذكر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرته عن المعاصرة والتراث أن نزارقباني يكرر اسم الشاعر الشيوعي الإسباني (لوركا) أكثر من عشر مرات في أشعاره معتزاً به ، وتمضي الألفاظ النصرانية في الشعر العربي لتثبت معاني من النصرانية ليست من الإسلام : الصليب ، شماس ، البرشية . . ! يستخدمها شعراء ينتسبون إلى الإسلام .

وتمضي الحداثة تنتشر في مجتمعاتنا تحت ستار الأدب والقومية والعلم والتطور وغير ذلك ، ولقد انتشرت في مصر تحت جميع هذه الشعارات ، وكذلك في بلاد الشام ، ولكن الظاهرة التي نحب أن نسجلها هي الظاهرة السياسية .

في الحداثة في بلادنا حيث حمل العائدون من أوربا الروح القومية التي فصلت البلاد ، وحطمت الخلافة ، ودعت علانية للتعاون مع المعتدين الظالمين ، ومضت في تنفيذ ذلك عمليا ، حتى كانت مأساة العالم الإسلامي المأساة التي ما زلنا نعاني من ويلاتها ومصائبها حتى اليوم ، وإلى زمن لايعلمه إلا الله . لقد حمل العائدون من أوربا التبعية

النفسية والفكرية والخلقية والسياسية ، فماذا ترجو منهم بعد ذلك ، ولكن الأدهى من ذلك كله أنهم استطاعوا بمساعدة الأجانب والمغفلين من أمتنا والمنافقين منها أن يخدعوا الرأي العام ، ويسوقوه ليساهم في تنفيذ الجريمة ، وليستقبل الجيوش الغازية المحتلة في فرحة النصر البلهاء ، لا يصحو منها إلا على دوي : الآن انتهت الحروب الصليبية ، وعلى دوي غورو يقول : قم يا صلاح الدين ! .

ومضت الحداثة في بلادنا تشق طريقها وسط هذه المآسي والمجازر والأشلاء ، لا يطرف لها جفن . ولا يحركها أسى ولا ندامة ، تمضي الحداثة ويمضي رجالها يحتلون كل يوم موقعاً جديداً في أرض الإسلام ، هنا وهناك ، تحت ستار حيناً ، وحيناً آخر في جلاء الميدان والدم المسفوك .

وتمضي الحداثة تجرد المرأة من ثيابها وحجابها وخلقها في بلاد الإسلام ، وترميها في لهيب الفتنة حي تحرق وتحترق ، ولتصبح المرأة عاملاً مساعداً في فتنة الحداثة ونشرها وتنفيذ جريمتها ، بين تصفيق المجرمين والمنافقين والمغفلين .

و تلتقي الشيوعية والرأسمالية ، تلتقي ديكتاتورية البروليتار الروسية ، وديمقراطية الغرب في لقاء موثق على تنفيذ مآسينا ، وعلى صناعة رجال ، أو أشباه رجال ، منا ، من قومنا ، يتولون هم تنفيذ الجريمة نيابة عن الغرب والشرق .

لا نستطيع أن نعدد رجال الحداثة في بلادنا ، ولا أن نعدد أقوالهم ، ولا جرائمهم ، ولكننا نكتفي في هذه العجالة بأن نضيف نماذج سريعة من أقوال كاهن الحداثة الأول علي أحمد سعيد الذي بدل اسمه بعد انتسابه إلى الحزب القومي السوري ، إلى أدونيس ، اله الخصب عند الفينيقيين ، ليصبح هو اسمه الذي يعرفه به الناس ، وينسى الناس اسمه الذي ولد به ونشأ عليه . نأخذ نماذج من أقواله :

يقول في كتابه : مقدمة في الشعر العربي : « الإنسان هنا . لا الله ، هو مقياس الأشياء » (ص/٢٥) . ثم هو يشبه أبا تمام بمالدرميه الفرنسي شاعر الرمزية ، ويشبه أبانواس ببودليد شاعر المخدرات والجنس والانحطاط . يقول عن أبي نواس : « شعر أبي نواس مصابيح تضيئ الزمن . . . لذلك لا يخاف العقاب ، إنه يفعل ما يؤدي فعله إلى العقاب » (ص/٤٨) . نجد أدونيس مغرقاً في تمجيد الفساد ، والإلحاد ! ثم يتابع قوله عن أبي نواس ليجعل مما يقال عن أبي نواس مثلا للحرية والتمرد والخلاص ، فاسمعه يقول : « هذه الطاقة المغيرة هي طاقة الحياة والفعل ، من أجلها يتمرد الشاعر على الله نفسه . . » ثم يقول : « فالخمرة عدة مقدسة » ثم يقول : « أبونواس شاعر الخطيئة فهو شاعر الحرية ، فحيث تنغلق أبواب الحرية تصبح الخطيئة مقدسة ، بل إن النواسي يأنف أن يقنع إلا بالحرام ولذيذة » ثم يقول : « فالخطيئة بالنسبة إليه ضرورة كيانية لأنها رمز الحرية ، رمز التمرد والخلاص » (ص/٥٢) .

ربط أدونيس الحرية بالخطيئة والجريمة والحرام ، إنه لا يريد لأمتنا أن تربط الحرية بمقارعة العدوان ، ورفع الظلم ودفع الطغيان ، إنه يربط الحرية بالكفر الصريح فاسمعه يقول : « إنه الإنسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة وإنما يواجهه بدينه هو ، ببرائته هو ، وخطيئته هو ، »(ص/٥٢) إن كاهن الحداثة يهبط إلى أحط درجات الوقاحة في كبر الثمل السكران .

لقد ابتدأ أدونيس في كتابه هذا بتجريد الشاعر الجاهلي من خصائصه الحقيقية ، ثم تابع هجومه كما رأينا على الشعراء العباسيين ، يتسقط لكل شاعر ناحية يستغلها لترسيخ قواعد حداثته ، ولترسيخ محاربة القديم والدين ، ثم يمتد هجومه على اللغة على نفس النمط والأسلوب الذي رأيناه في أوربا ، وربما نقل الفكرة

والتعبير نقلا . فاسمعه يقول : « وفي الإبداع الشعري يصل غنى هذه اللغة إلى أوجه ، وتصبح غابة كثيفة من الإيقاع والإيحاء والتوهج لا حد لها ، فتفرغ الكلمات من معانيها الموضوعة ، الموجودة مسبقا في المعاجم أو على الفلسفة » (ص/١٢٨) . فلنرم إذن المعاجم ولنقتل الكلمات ، ويمتد هجومه الصاعق على اللغة وكل أسسها هجوما هستيريا فوضويا محطما ، ثم يمتد هجومه إلى العقيدة ، وهو يستغل بعض مظاهر الصوفية الباطلة ليحارب بها التوحيد ، إنه يقول : « الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة ، متعالية ، منفصلة عن الانسان ، التصوف ذوب ثبات الألوهية . . وبهذا المعنى قتله (أي الله) وأعطى للانسان طاقاته ، المتصوف يحيا في سكر يسكر بدوره العالم ، وهذا السكر نابع من قدرته الكامنة على أن يكون هو والله واحدا » (ص/١٢١) ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً ، إن كلامه تفوح منه رائحة الخمرة ، وتنتشر منه خبائث المخدرات ، إنه يتكلم وهو ثمل يدور وتدور به الأرض ثم يهوى في واد سحيق لا قرار له ، ثم يمضي رجل الأفيون أدونيس في هجومه على كل مقومات الأمة حتى يدعوها في النهاية إلى الاستسلام للعالم ، للمغتصب ، للطغيان ، لأسياده وأربابه ، يقول : « إن تحرير اللغة من مقاييس نظامها البراني ، والاستسلام لمدها الجواني ، يتضمنان الاستسلام بلا حدود إلى العالم » (ص/١٣٨) ، تنتهي محاولة أدونيس الثملة بطلب الاستسلام ، بإلقاء السلاح كله ، بنزع اسباب القوة ، لقد كان متعجلا إلى استسلام امتنا أكثر من غيره بكثير ، فقد تجاوز مرحلة المفاوضات ، وسياسة الخطوة خطوة ، والحلول الوسط ، ومضى مباشرة إلى هدفه الخبيث .

أما كمال أبوديب في كتابه : جدلية الخفاء والتجلي ، فقد تحدث عن البذيوية ، وكشف عن حقيقة حاول غيره إخفاءها . كشف عن أن البنوية لا تنحصر في ميدان محدود ، ولكنها معاينة عامة للوجود

كله . اسمعه يقول : « ليست البذيوية فلسفة . لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود . ولأنها كذلك فهي تنويرجذري للفكر وعلاقته بالعالم ، وموقفه منه وبازائه . ولأنها كذلك تصبح البذيوية ثالث حركات ثلاث في تاريخ الفكر الحديث يستحيل أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق علينا يرى العالم ويعاينه . مع ماركس ومفهومي الجدلية والصراع الطبقي بشكل خاص . أصبح محالا أن نعاين المجتمع كما كان يعاينه الذين سبقوا ماركس ، ومع الفن الحديث وبعد أن رسم بيكاسو كراسيه . . .»(ص/٤٥) .

فالبذيوية إذن ، هي والحداثة صنوان . أو هي شكل أعمق فسادا من الحداثة ، منهج لمعاينة الوجود يمضي مع حداثة الماركسية ومع حداثة بيكاسو . إن البذيوية ليست مجرد صورة أدبية ، ولا مجرد محاولة فلسفية . إنها رأي كمال أبوديب : أكبر من ذلك كله .

ويتحفنا كمال أبوديب بما يعتبره هو من روائع الشعر الحداثي ، برائعة لأدونيس يقتطف منها سطرين أو بيتين أو جملتين . فاسمع إلى هذه الرائعة من الشعر الحداثي :

« لأب مات أ حقراً كالسحابة ، وعلى وجهه شراع » ولماذا نون أحقراً ، هل لضرورة الوزن فلا وزن فيها . هل للقافية ؟! فلا قافية فيها ، هل لتحطيم قواعد اللغة ؟! هذا هو أغلب الظن .

واسمع كمال أبوديب يقول عما يظنه واهماً رائعة أخرى ، في أغاني الفجر تصبح الصورة الشعرية عند لوركا فعل إضاءة وإغراق وكشف :

في وسط الخافق الصخري
حناجر البسيط
جميلة من بدم المتنافسين
وفي كأس شجرة الزيتون
ثمة امرأتان هرمتان تبكيان
ثور العراك

ينـدفـع معتليـا الـجدران
وملائكة سـوداء
خوان أنـتونـيو من سـونيـتا
يدور ، ميتاً ، المخدر .

لا تفزع أخي الكريم إن لم تفهم شيئاً ، فما فهمت أنا شيئاً ، ولا فهم كمال أبوديب . وأوكد لك أن لوركا لم يكن يعي ما يقول .

ثم يسوق كمال أبوديب في كتابه جدلية الخفاء والتجلي ، أمثلة أخرى من مثل هذا الهوس الذي يسميه « روائع » ويغرق في تحليلها بالأسلوب البنيوي المهووس . ومنها « أربع أعتيات لأجل توباروس » يقول في الأولى : اغنية السعادة إعلان إذاعي عن ساعات سيتزن ، فيقول : « ساعة سيتزن سيتزن سيتزن . . »تذكرنا هذه بقصيدة مارينيتي زعيم المستقبلية الإيطالية : « سي سي سي . . » و ثم يسوق دليلاً على روعة الشعر البنيوي وفنه اغنية لفيروز : « ورحت أنا لعندكم ، قبل العشاء نبتفه-د ، وسراجكم مصطفى-د» ويطبل ويغرق في روعة النسق : « د دِ » واسمع هوساً آخر يسوقه لنا لمحمد عمران : « يهاجر أمني ، ثأسكر، أسكر، أسكر حتى قدارة حزني » لماذا وضع الثاء وقال محمد عمران : تأسكر ! هناك نماذج أخرى استحي أن أسوقها لهبوطها الكبير ، فاذا تذكرنا أن كمال أبوديب قال إن البنيوية نهج لرؤية العالم كله : الإنسان ، والحياة ، والكون ، وسمعنا هذا الهوس ، ندرك الخطر الحقيقي الذي يهدد الإنسان كله ، والذي يهدد أمتنا وهو يحاول أن يقتل في الانسان : إيمانه بالله للواحد الأحد ، خلقه وقيمه التي بنتها آلاف السنين ، أو ملايينها ، اللغة التي بنتها آلاف السنين وعبقريتها ، ويحاول أن يغرس الغموض والإبهام والظلام في كل ميادين الحياة ، أما معركتهم مع الشعر معركة حامية الوطيس ، عرفنا شيئاً مما قاله أدونيس ، ولكن الدكتور الغذامي في كتابه « الخطيئة والتكفير» يوضح رأيه ورأي الحداثة

والبذيوية كلها في الشعر ، اسمعه يقول : « . . .فالشعر تحرير للغة وللانسان وانعتاق من كل القيود . والشاعر ليس إلا هائما منطلقاً خارج نفسه وخارج واقعه » ثم يستشهد على عظمة الشاعر وعلى مهمته بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . ﴾ يريد أن يجعل منها مدحاً للشاعر والشعر ومهمتهما . ثم يقول : حتى إذا ما عاد الشاعر من هيامه ورجع إلى وعيه ، نط عقله من رأسه لينتهك حرمة العقيدة . . ولذلك ، وما زال الحديث له ، فان حالة الوعي تصبح أسوأ حالات التلقي للشعر ، وأحكامها ظالمه على الشعر لأنها حالة عقلية ومقاييسها عقلية ، والشعر غير عقلي » ويقول : « تختلف الحقيقة الشعرية عن الحقيقة الواقعية . فالشعر هو اللاواقع واللاحقيقة . وهذا لا يعني أن الشاعر ضد الحقيقة وضد الواقع . . والشعر تجربة روحية وهيام من المحدود إلى المطلق . كما أنه انعتاق للانسان فهو كذلك انعتاق للغة . فالشاعر يأخذ اللغة ليحررها من قيود السنين . من معانيها . مما علق بها من غبار السنين فيطهرها ويغسلها . . » لا بد هنا من وقفة تأمل وتذكر وربط لتربط هذا الكلام مع ما قاله أدونيس ، ومع ما ذكرناه عن حداثيي أوربا وخاصة الحركة المستقبلية في إيطاليا وروسيا وسائر الحركات الحداثية في حربهم المسعورة على اللغة والكلمة . يجب أن نربط هذه المحاولات لنرى امتدادها الواسع . امتداد الجريمة وأهدافها . ونشعر كأنهم يريدون أن يثبتوا . بعد نزع الالتزام بالأوزان والقافية . إن القرآن الكريم شعر . وأن حديث الرسول ﷺ شعر فاسمع الغذافي يقول بعد عرضه لحديث يروى عن الرسول ﷺ لم أجده بين الأحاديث الصحيحة أنا مقدار صحته : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فيقول :وهكذا تتحول الفلسفة إلى شعر . والعقلانية إلى زخم عاطفي تتفجر كلماته بين السطور » .

المـــــرأة:

مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي

بقلم: د/ محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة «البحوث الإسلامية» الرياض

تقترن المكانة الاجتماعية والخلقية لكل أمة، بمكانة المرأة في هذا المجتمع، وبحماية الدين لها، أمراً وتشريعاً، وتطبيقاً وعملاً.

ذلك أن قوام المجتمع بأبنائه، وأبناء المجتمع هم القلب النابض، والقدرة الإحساسية التي تحركه، فإن سكن هؤلاء الأبناء: ذكوراً وإناثاً.. سكن المجتمع كله، وإن نشطوا وكانوا فيه عاملين، نمى المجتمع، وبرزت آثار نشاطهم.

وكل ما في المجتمع، فهو مهيأ للإنسان تفضلاً من الله على عباده، وإحساناً منه جل وعلا، على هذا الجنس البشري، الذي رفع قدره، وأعلا مكانته، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، كما جاء في الحديث القدسي: « ابن آدم خلقتك لأجلي، وخلقت كل شئ لأجلك ».

فهذا الجنس الذي اختصه الله بالعقل والإدراك، وأحلّه خالقه مكانة عالية، حيث قصد بالرسالة، وخوطب بالتشريع، عليه دور عظيم في الفهم، وتبعية جسيمة في حقيقة الإدراك، ومطالب بحظ وافر من الدراسة والعلم، وعليه تبعة في الاسترشاد والتقصي، وذلك وفق ما نزل في كتاب الله من تشريع ورعاية، وما حثت عليه السنة المطهرة من توجيه وحماية لأن ما خفي في حياة الإنسان، أو بعد عن ذهنه، بإدراك أسراره وأبعاده، فإنه لا محالة سيدرك الحكمة بما يدفعه إليها دينه، وما تلزمه بها النصوص الشرعية، إذا تمعن في النتائج، وتبصر في المصالح الظاهرة والخفية.. ويأتي هذا من الكرامة التي خص الله بها

بني آدم . كما قال سبحانه : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (الإسراء. الآية : ٧٠) .

وكرامة بني آدم تعني الذكر والانثى على السواء ، لأن المرأة في البيئة الإسلامية توأم الرجل في المخاطبة والتكليف ، وعليها رسالة نحو نفسها ونحو أبنائها ، وتجاه مجتمعها ، كما هي على الرجل ، ولقد أعطيت حقوقاً لم تظفر بها المرأة قبل ذلك ، سواء في دولة الروم التي كانت تباع فيها المرأة ، كما يباع الأثاث ، وتورث كما يورث المتاع ، رغم ما وصلت إليه هذه الدولة ، من عز واتساع ، وحضارة ومكانة علية ، فلقد بلغ الأمر برجال الكنيسة عندهم إلى معاداة المرأة ، وطبقات المجتمع فـــي نظرتهم إليهـا ، يسيرون خلف هؤلآء الموجهين ، يقول ول ديورانت في موسوعته : قصة الحضارة كانت نظريات رجال الكنيسة بوجه عام معادية للمرأة ، فقد تغالت بعض القوانين الكنسية في إخضاعها ، وكانت المرأة في تلك القرون - يعني ديورانت فترة ظهور الإسلام - لاتزال في نظر القساوسة وعلماء الدين ، كما كانت تبدولكريستروم : شراً لابد منه ، وإغواء طبيعياً ، وكارثة مرغوباً فيها ، وخطراً منزلياً ، وفتنة مهلكة ، وشراً عليه طلاء ، وكان لومي اكونياس ، وهو أحد القساوسة ، يتحدث عنها ، كما يتحدث الرهبان فينزلها من بعض النواحي ، منزلة أقل من منزلة الرقيق ، ومن كلامه في ذلك : وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة ، أما العبد فليس كذلك ، ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم (انظر قصة الحضارة ، ج/١٦- ص/١٨١) .

أو عند العرب في الجاهلية حيث كانوا ينظرون للمرأة بإزدراء ويستاؤن من بشارتهم بالبنت ، ولا يقيمون لها وزناً ، كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً

وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون، أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل ، الآية : ٥٨-٥٩) .

كما كان وأد البنات سمة من سماتهم ، وعادة من عاداتهم المألوفة ، والوأد هو دفنها وهي حية مخافة العار ، كما حكى الله عنهم ذلك في مواضع كثيرة من كتابه الكريم . . وقد تتبع محمد كرد علي في كتابه : الإسلام والحضارة العربية نماذج كثيرة من امتهان العرب في الجاهلية للمرأة ، وخشية الإطالة نشير إلى موضعها من هذا الكتاب (ج/١- ص/١٣١-١٣٢) .

أما عند اليهود فإن مركز المرأة منحط من الوجهة القانونية ، حيث إن الرجل اليهودي يحمد ربه ، كما يحمده أفلاطون لأنه لم يولد أنثى ، وذكر ديورانت بأن أحبارهم نهوا عن التخاطب بين الرجال والنساء حتى بين الزوجين ، أو الأقرباء أمام الناس ، وسنوا قانوناً استوحوه من حبهم للمال ، واحتقارهم للمرأة ، بأن جعلوا الزوج هو الوارث الوحيد لزوجته ، أما الأرملة فلم يكن من حقها أن ترث زوجها ، فإذا مات حصلت على مقدار مهر الزواج فقط ، أما فيما عدا هذا ، فقد كانت تعتمد على أبنائها الذكور في أن ييسروا لها سبيل الحياة الطبيعية ، ولم تكن البنات يرثن آباءهن إلا إذا لم يكن له أبناء ذكور ، فإذا كان له أبناء فيكفيهن الاكتفاء على حبهم الأخوى . . ومن هنا اندفعت المرأة لتكسب لقمة العيش ، وكان رجال الدين يحتقرون المرأة ، ولا يرون لها قيمة في المجتمع اليهودي (قصة الحضارة ، ج/١٤- ص٦٦-٦٧) .

أما عند المصريين القدامى ، فقد كانت الطبقة العليا تحتقر النساء ، ويحشدون بأوضاع مشينة لإزالة الملل والسأمة عن الخاصة والعامة ، حيث ذكر ديورانت شيئاً من ترف امنحوتب الثالث ، ويحدث أحياناً أن يتزوج أحدهم ابنته ليحتفظ بالدم نقياً خالصاً ، ثم انتقلت عادة الزواج بالأخوات إلى عامة الشعب . . ولقد بلغ بهم الأمر إلى اهداء

البنات كما تهدي التحف . حيث أهدى أحد أمراء بلاد «نهرنيا» امنحوثب الثالث ابنته الكبرى وثلثمائة من صفوة الفتيات . وقد حذا بعض النبلاء حذو غيرهم في هذا الإسراف . وقد كان عليهم أن يوفقوا في هذه الناحية بين مبادئهم الخلقية . وموارده‌م المالية (قصة الحضارة . ج/٢- ص/٩٣-١٠٠) . كما كان من طقوسهم السنوية الدينية أن يقدموا إحدى الفتيات فدية للنيل لتموت غرقاً في احتفال بهيج ويسمونها عروس النيل ولم يبطل هذه إلا عمرو بن العاص .

وفي القرن السادس عشر الميلادي يقول ديورانت عن النظافة لدى المرأة في أوربا ضمن حديثه عما وراء الستار . وبعد أن تحدث عن الاهتمام بالملابس . وعن نظافة الأجسام تحتها . . من ذلك قوله : لقد تحدث كتاب من القرن السادس عشر عنوانه : مقدمة للسيدات الشابات : عن نساء لم يعنين قط بنظافة أجسامهن . اللهم إلا الأجزاء التي يمكن أن تقع عليها العين . أما ما تحت قمصانهن الكتانية فقد بقي قذراً (قصة الحضارة . ج/٢٦- ص/٢١١) .

وعن ترهبن النساء في الكنيسة يذكر أن أساس ذلك ضجر الآباء من بناتهم فيدفعونهن للكنيسة ويعتبرونهن في حكم الميقات . خوفاً من العار كما يفعل عرب الجاهلية . . ولعل بعضهم أخذ عن بعض .وهكذا لو سرنا معه . أو مع كثير من كتاب الغرب الباحثين والمنصفين . لأدركنا من عادات شعوب الأرض كالهنود والفرس واليونان والصين واليابانيين وغيرهم نماذج كثيرة ذكرها هذا الباحث وأضرابه عن نظرة تلك الشعوب بحقارة للمرأة . حسب نعوت وصفات أطلقوها عليها . وضمنوها بحوثهم ودراساتهم . جعلت المفكرين منهم يتطلبون إلى صلاح المجتمع . بإعطاء المرأة فيه حقوقاً كما أعطاها الإسلام . وإحلالها منزله رسمتها شريعته . . ولقد أبان ديورانت وغيره أن للمرأة فيه دوراً أفادت منه المرأة الغربية في معرفة مكانتها في المجتمع . وما يجب

أن تسير عليه في نفسها ولمصلحة بيئتها ، ولو أن الإسلام ومثله ليس في حاجة إلى شهادته أو غيره ، لأنه أسمى من ذلك ، ولكن من باب مخاطبة الناس بما يعرفون ، فإنه لا بد من ولوج هذا الباب من المنفذ المعهود لدى المخاطبين ، والحق ما شهدت به الأعداء ، ولما كان المجتمع يتكون من المرأة والرجل على السواء ، فهما أصله ، ومنهما ثمن وترعرع وانتشر ، فلذا خوطبت المرأة ، بما خوطب به الرجل ، وكلفت بالتشريع كما كلف ، وكان لها منزلة رفيعة ، ومكانة عالية بالفضل والجهد والمكانة ، وفضلت كثير من النساء في المجتمع الإسلامي ، على كثير من الرجال ، ذكاءً وقدرة ، وأخذاً وعطاء ، وعبادة وعلماً ، يدرك هذا من يقرأ أعلام النساء ويعرف أدوارهن ، ومن رحمة الله بالمرأة المسلمة أن خفف عنها فيما هو من خصوصيتها كإسقاط الصلاة في الحيض والنفاس ، وإباحة الفطر في رمضان فيهما على أن تقضي من أيام أخر .

والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أبيح لهما الفطر والقضاء من أيام أخر ، فإن خافتا على ولديهما أفطرتا واطعمتا ، كما قال الفقهاء بذلك .

ذلك أن الإسلام يرأف بالنفس البشرية ، ولا يسقط حقوق الله على عباده مادامت النفس قادرة ، فإن عجزت فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، والمرأة راعى الإسلام في تعاليمه وشرعه ما يتلاءم مع فطرتها . . ولدورها الكبير في الأمومة والرعاية ، فإنه لم يهمل مسئوليتها تجاه أبنائها : رعاية وحماية ومحافظة . . فهم أمانة في عنقها ترعاهم وتوجههم وتحنو عليهم ، وتغرس عندهم الفضيلة والتدين ، والصلة وحب الخير .

والمرأة في شريعة الإسلام ، لها حقوق و واجبات ، وعليها فرائض والتزامات ، ولم تكن مكانة الرجل ، وخصوصيته في بعض الأمور : كالميراث « للرجل مثل حظ الأنثيين » وفي الشهادة « فرجل وامرأتان

ممن ترضون من الشهداء » . . مبرر للقول بنقصانها أو امتهانها ، كما يحاول بعض أعداء الإسلام . . وإنما مرد ذلك ، وفق ما ذكره بعض المفسرين على الآية الكريمة : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (البقرة ، الآية : ٢٢٨) إلى خصوصيات لكل منهما :

فمثلا أن عبء المرأة كبير ، ومشقتها باهظة في الحمل والولادة ، والحيض والنفاس : ألماً وجهداً فقد أعطيت منزلة رفيعة في البر والإحسان ، وجعلت الجنة تحت أقدام الأمهات ، وفضلت على الأب في البر و الإحسان ، و عندما جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن أولى الناس ببره ؟ قال له الرسول الكريم : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك .

وفي ميراثها من ابنها أو ابنتها إذا توفيا قبلها ، ولكل منهما ولد فإن لأبويه لكل منهما السدس أي بالتساوي .

وفي تتبع حالات الميراث التي فرضها الله في سورة النساء نلمس أن المرأة تأخذ في كثير من الأحيان أكثر من نصيب الرجل ، بحسب الحالات التي راعاها التشريع .

ومن الدرجات التي يتحملها الرجل النفقة ، والسعي لكسب العيش ، وتهيئة جسمه للشاق كالجهاد . . ولذا فإن عليه حقوقاً مفروضة في ماله للمرأة نفقة ، من طعام وكساء ومسكن ، بما يتلاءم مع قدرته ، ومهراً عند الزواج ، ونفقه للأولاد عند الفراق ، وتعويضاً عن إرضاع ولده إذا لم تستقم العشرة ، وغير ذلك مما هو حق ثابت للمرأة في مال الرجل . أما الأم فليس للإنسان فضل في الإنفاق عليها لأن ذلك واجب عليه .

من الطبيعة التكوينية التي فطرت المرأة عليها النسيان أكثر من الرجل لانشغال ذهنها بالأولاد ، وتعرضها لآلام كثيرة

تصاحب العادة الشهرية والحمل والوضع والنفاس ، ولذا نلمس بعد مرور خمسة عشر قرناً على نزول التشريع الإسلامي ، دعوات في بلاد الغرب مقرونة بدراسات علمية ونفسية وصحية بتخفيف فترة العمل ونوعية التحمل عن المرأة ، بيد أن الإسلام راعى هذا رأفة بها وتخفيفاً عنها ، وكان من أسباب ذلك في الشهادة أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، فكانت مراعاة الحقوق ، وعدم أخذ الناس بالظنون ألزم ، و قرنت شهادتها بشهادة أخرى من جنسها من باب التوثيق لا من باب الإساءة إليها .

ولذا كانت شهادتها أكمل وأوثق من شهادة الرجل فيما هو من خصوصيات النساء ، والاطلاع على شئ لا يطلع عليه غير النساء . . فتقبل شهادة كاملة .

وإذا انتهت الخصوصيات لكل من الرجل و المرأة ، فإن التشريع عام للجميع ، كما جاءت النصوص القرآنية والسنة المطهرة ، وقد كان رسول الله ﷺ يعظ النساء ، ويجلس لهن ويفتيهن إذا سألنه ، ويبين لهن عظم منزلتهن في الإسلام ، والدور المطلوب منهن في هذه الحياة الدنيا .

ذلك أن الإسلام أعلا مكانة المرأة وأعظم أجرها بحسن الاستجابة وأداء الدور ، وأعطاها حقوقاً يجب أن تدركها . . وألزمها بواجبات يجب أن تؤديها ، وجعل لها مكانة في المجتمع بالأخذ والعطاء والتملك والميراث والعلم والتعلم ، والتوجيه والرعاية ، وإجازة التصرف والهبة . . إلى غير هذا من حقوق وأمور لم تتوافر للمرأة قبلها ، كما بأن من استعراض بعض النماذج التاريخية عند شعوب الأرض التي لم تصدر عن الإسلام في أخذها وعطائها .

والمرأة بمالها وما عليها في نظر الإسلام ، لا تخضع للاجتهادات الشخصية ، والعاطفة الفردية ، بل إن كل عمل ينبعث من توجيه تشريعي : حق وواجب ، وشمولية اجتماعية ، وأجر يطمع فيه من يعمل لأن جزاءه

من الله . وهذا أكمل صفات الإيمان . فكل امرأة مسلمة بما منحها الله من فهم وإدراك تحرص على هذا الدور سواء كانت أماً : حيث كان برها من أفضل القربات . وقد قرن الله حقها بطاعة . ونهي الولد عن أن يقول لها أبسط كلمات الضجر وهو كلمة أفٍ . . فما بالك بما فوقها .

أو زوجة بمالها من حقوق على زوجها . وما لزوجها عليها من واجبات . فتهتم به . وبما يهمه . وتحافظ على ولده وماله . وتطيعه في المعروف . ولا تطالبه بما هو فوق طاقته . ولا تدخل بيته من لا يرضاه . وأن تصل من لا يوصل إلا عن طريقه . مما يقوى ويوثق الصلات الاجتماعية : كالبر و صلة الرحم . و إعانة في بر الوالدين والاهتمام بها . .

ومن حقها عليه أن يحسن عشرتها . وألا يظلمها وأن يكسوها إذا اكتسى . وينفق عليها مما أعطاه الله . لأن من الحكم الإسلامية بأنه : لا يكرم المرأة إلا كريم ولا يحتقرها إلا حقير ولئيم .

كما أن على الزوج أن يعلم زوجته أمور دينها . ويدعوها للمحافظة على شرائعه كالصلاة والصيام والطهارة وغير ذلك . . ولذا كانت أمانة في عنقه : تعليماً وتوجيهاً ورعاية ونصحاً .

وإن كانت بنتاً فإن الله قد أحلها مكانة في الود والرعاية . كما جاء في الحديث بأن من عال بنتين أو أختين واهتم بهما حتى تبلغا جاء يوم القيامة هو والنبي ﷺ كهاتين . وضم بين أصابعه (رواه مسلم) وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « من ابتلي من هذه البنات بشئ فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» (رواه البخاري ومسلم والترمذي) .

إلى غير هذا من أحاديث صحيحة ترغب في الإحسان إلى البنات والأخوات . والزوجات والعمات والقريبات عموماً . والاهتمام برعاية الأرامل و الإحسان إليهن . و المحافظة على الجار و حسن الخلافة في أهله إذا غاب .

فالإسلام يرعى النساء ويرفع من قدرهن ، ويجعلهن ذات مكانة في المجتمع ، بما يقمن به من أعمال ، وما يساهمن فيه من قوة لبناء كيانه ، لتكون المرأة أماً موجهة ، وأختاً مشاركة وبنتاً حنوناً بارة ، وزوجة تشاطر بعلها أعباء الحياة ، وترعى ثمرة المجتمع وهم الأبناء والبنات ، في صغرهم لتهيئتهم لحمايته وإسناده في كبرهم . .

وهي المعلمة التي توجه الناشئات ، وترشد بنات جنسها لما ينفعهن في حياتهن الحاضرة ليكون في مشورتها لهن النفع والخير .

وهي المربية التي اختصت بالحنان والعطف ، ليترعرع في حضنها أجيال المستقبل ، فتضفي عليهم من حبها وقدرتها ونظرتها للحياة ، وتوجيهها لأمور الدين ، ما يسلحهم لمجابهة المعضلات بعد ما يكبرون ، وهي الداعية والأم والبنت والأخت . . التي بهمتها وقدرتها التي وهبها الله ، يتهيأ على يديها مصالح كثيرة للمجتمع ، لأنها نصفه الحاني ، وقلبه النابض . . فدين يرعاها بمثل هذه المكانة ، فإنه جدير بالاهتمام والعناية ، لأنه ينتقذ به المجتمع من ويلات كثيرة كما قال بذلك كثير من مفكرى الغرب ومنهم ديورانت ، ولبون ، ودوزي ، وزغريدهونكر ، وغيرهم من الباحثين والمهتمين .

!!!!!!!!!!!!!!!

يقول الله تعالى :

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً »

التعليم العالي للنساء

المشكلة في إطار عمل إسلامي

بقلم : الدكتور أنيس أحمد
البروفيسور ورئيس قسم العلوم المنزلة الإسلامية والتراث
الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

إذا ما تناولنا قضية التعليم العالي العلماني للمرأة ، فإنه يتعين علينا ألا نتناولها في أبسط صورها . وفي الواقع فإن مجرد إضافة بضع ساعات دراسية لدراسة مادة الدين لا تغير من الأمور في شئ ولا تغير من طبيعة هذا التعليم باعتباره تعليماً علمانياً . إن المذهب العلماني في حقيقته يقر ما هو ديني وما هو علماني وما هو مقدس وما هو مادي ويقر الروحانيات مثلما يقر الماديات . أما الإسلام فهو وحدة واحدة لا تتجزأ ، وحدة الخالق ، وحدة الكون ، وحدة الجنس البشري ، و وحدة الحياة والنظام و وحدة شخصية الرجل والمرأة ، أما هذه التقسيمات والتفريعات التي تحبس خلالها الشخصية العلمانية هي أمور لا يعرفها الإسلام ، فالإسلام يتطلب من الفرد التزاماً كاملاً ، إذ أن شعاره هو ﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾ (البقرة ، الآية : ٢٠٨)ان المأزق الذي وقع فيه العالم الإسلامي والذي يؤثر في التعليم العالي للمرأة ، له ثلاث زوايا ، الزاوية الأولى ، هي تقبل الطبقة المثقفة والعلمانيين للقيم والمبادئ العلمانية الغربية وما يرتبط بها من نماذج وآراء ، بل إنهم يؤمنون بتفوقها ، أما الزاوية الثانية فهي رغبة الكثيرين من الحكام المسلمين في دول عدة (دون تفويض من شعوبهم المسلمة) في أن يقروا بولائهم للنظام الإسلامي في أسلوب سطحي وفي شكل خطوات

جزئية يتخذونها باسم الأسلمة أو العروبة أو الوطنية أو حتى الجماهيرية ، وهم من ناحية أخرى يعمقون من جذور أسلوب الحياة الغربية وما يرتبط به من قيم ومبادئ علمانية تنتمي إلى عالم الحضارة الغربية .

والزاوية الثالثة لا تقل في أهميتها عن الزوايتين الأوليين وهي تلك التي تتمثل في ذلك الاعتقاد الراسخ لدى المخططين و واضعي السياسات الذين يعتقدون بأن مفتاح الرخاء والتنمية هو في التقدم التقني ، بل لقد صار هذا الاتجاه نمطا تتصف به المفاهيم الخاصة بالخطط ، فصار يسمح بأي شئ بدعوى « التقانة الحديثة » دون فحص مدى جدواها أو نفعها أو ملاءمتها أو حتى اتفاقها مع القيم ، فباستثناء ما نسمعه أحياناً من بعض النداءات والصيحات التي تدعو إلي ضرورة الحرص على انتقاء التقانة المناسبة ، نجد أن مفهوم التقانة ككل ونقلها صار أمراً يثير الاضطراب والخلل ، لقد تجاهلوا أن عصر التقانة هو في حقيقته عصر عبودية الفرد للأشياء التي ابتكرها وخضوعه لها . فالجانب البراق للتقانة والثقافة التقنية يتغاضى عن هذه الحقيقة ولا يبرزها ، إذ أن الفراغ الاجتماعي والسطحية التي يتصف بها مجتمع حضارة الديسكو يخفى ضحالة النمط التقني الحديث وما يشوبه من تناقضات ونقص .

وبرغم ما نلمسه ـ دون شك ـ من كثرة ترديد كلمة الإسلام في التصريحات الرسمية ، وفيما يصدر من قرارات وبيانات وإعلانات حكومية تصدر عن الحكام المسلين في مختلف المناسبات فاننا لا نكاد نرى ما يجعلنا نعتقد بأن كلمة الإسلام تنبع حقيقة من القلب أو عن اقتناع بمدلولاتها ، أو ما يشير إلى أن هناك اتجاها لترجمتها في شكل خطوات عملية فعلية .

ذلك المأزق الذي يعاني منه العالم الإسلامي ، ينعكس في مختلف

النواحي التخطيطية . خاصة في تلك الزاوية التي نتناولها ونهتم بها الآن ، وهي التعليم العالي للنساء ، فكثيراً ما نرى اليوم من يتحدث عن رفع مستوى المرأة ومساواتها بالرجل من خلال مشاركتها في القوة العاملة ، ولكنه في الوقت ذاته اما انه لا يفهم حقيقة أبعاد تلك القضية أو أنه يتجاهلها عامداً .

والسؤال الرئيسي الذي يتعين علينا أن نسأله الآن هو : « أي نوع من أنواع الاقتصاد أو المجتمع أو النمط الحضاري ذلك الذي نرغب في تنميته في الدولة الإسلامية ، ومن ثم في العالم الإسلامي ككل ؟ »أما السؤال الثاني فهو : هل يقر الإسلام التفرقة بين الرجل والمرأة أو بين البشر اعتماداً على جنسهم ، وإن كان الأمر كذلك فما مبررات تلك التفرقة ؟ وأخيراً لماذا نجد أن النظام التعليمي العلماني السائد الآن في باكستان وفي غيرها من الدول الإسلامية لا يخدم قضية التعليم العالي المناسب للمرأة ، وما التناقضات التي تترتب عليه والمظالم الناجمة عنه وما أسلوب معالجتها ؟

الرؤية الإسلامية للمجتمع :

وردت صورة المجتمع الإسلامي والنظام الاقتصادي والثقافي والسياسي ، كاملة في القرآن الكريم وفي السنة ، ويمكن تلخيص ذلك فيما يأتي :

١- إن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه النظام السياسي والاقتصادي والحضاري هو مبدأ التوحيد والإيمان بعظمة الله وتعاليه وحاكميته وهيمنته فوق كل شئ فهو سبحانه وتعالى المالك لكل شئ ، كما يتضح لنا ذلك أيضاً من الأسس التي جاءت في السنة النبوية المطهرة .

٢- الإيمان بعظمة الله وهيمنته في الحياة العامة والخاصة وتطبيق ذلك المبدأ في الدولة وفي المجتمع وفي الأسواق ، فزكاة المال من شأنها أن تنمى رأس المال وأن تطهره ، ومن ناحية أخرى فان

المساواة والقضاء على مختلف أشكال الاستغلال إنما تتأتى من خلال التوزيع العادل للثروة والمشاركة في الأرباح .

فعلى خلاف الحضارات العلمانية نجد أن النشاط الاقتصادي في الإسلام لا ينفصل عن العبادات ، بل إنه على العكس شكل من أشكال عبادة الله والخضوع له . ويتجلى ذلك في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ (سورة الجمعة ، الآية : ٩-١٠).

إن نقاء العقيدة والاخلاص في المجالات الانتاجية الاقتصادية إنما هو شكل من أشكال التوحيد الذي ينعكس في الاقتصاد ، وفي هذا قضاء على الحاجز الذي يفصل بين المادي والروحاني أو بين القدسي والدنيوي .

٣- يقوم النظام الإسلامي على أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وتقضي عليها في المجتمع ،كما أنه يحث على الحسنات ، فالحسنة والاحسان في الاطار الإسلامي ليست مجرد ضرب من ضروب الكرم والصدقة أو مظهرا من مظاهر الاخاء وحب الآخرين ، وإنما تمثل مدى استغراق الفرد رجلاً كان أو امرأة في مختلف نواحي الاهتمام بالآخرين والاحساس بمشاعرهم في أسلوب يرمز لكل أواصر المحبة والحنان والاهتمام بالآخرين . فالإسلام يدعو للاحسان إلى الأبوين والأقارب والأهل والزوجة والأبناء والجيران بل وحتى الغرباء والأعداء ، ولم يترك ذلك ليكون أمرا يؤديه الفرد وفق مشيئته أو يمتنع عنه إذا شاء بل جعله الإسلام التزاما وواجبا دينيا .

٤- يقوم النظام السياسي وفقا للمفهوم الإسلامي على :

أولا :- المساواة بين البشر ، ومن ثم فانه يحث على المشاركة في

أوجه النشاط السياسية وفي تحمل مسئولياتها .

ثانيا :- يرفض هذا النظام كل مظاهر الاستغلال بل ويدين المستغلين من الحكام والفاسدين والمفسدين ؟

وثالثا :- إن الإسلام نظام يتصف بالايجابية إذ يقوم على مبدأ عظمة الله وشريعته في الوقت الذي يدعو فيه الأمة إلى ممارسة الشورى

إن تحقيق التوحيد في المجالات الاقتصادية وفي مختلف المجالات السياسية والاجتماعية للحياة يؤدي إلى المشاركة طوعا في عملية التغيير الاجتماعي بالأسلوب الإسلامي بينما يقدم للانسان أهدافاً جديدة للحياة ، ذلك أن الفرد يساهم إذ ذاك في تحرير الجنس البشري من نير الاضطهاد والاستغلال والجهل ، فالتوحيد يدفع من يؤمنون به إلى البحث عن آفاق إسلامية جديدة للمشاركة في تنمية المجتمع الانساني والاستفادة من تلك الآفاق وسبر أغوارها ، وحتى يستطيع المرء أن يستغل الطاقات والموارد القومية ، عليه أن يسعى للحصول على المزيد من المعرفة وأن يعمل على تطبيقها في المحيط الزمني المناسب ، تلك الرؤية بما توفره من قوة دافعة كفيلة بأن تبدد كل أسباب البلادة والجمود والسلبية وأن تبعث في المجتمع قدراً كبيراً من الحيوية والجد والنشاط والكفاءة والقوة وكلها عوامل حيوية وضرورية للبناء ولتحقيق الأهداف القومية .

الأسس الإسلامية للأدوار الاجتماعية :

وهنا نتساءل ما الأساس الذي يتعامل به الإسلام مع الانسانية ؟ هل ينتهج منهاجا يعتمد على التفرقة بين الجنسين ؟ هل ينظر إلى الجنس الآخر نظرة دونية للرجل كما هو الحال في الديانة اليهودية والمسيحية وكثير من العقائد والثقافات الأخرى في العالم ؟ من منظور علم الاجتماع الإسلامي ليس هناك من أساس لتقسيم البشرية على أساس التفرقة بين الجنسين ، إن علماء الاجتماع ـ حتى من يؤمن

منهم بما يطلق عليه القيم الحرة - يقسمون الناس إلى مجموعات عنصرية واقتصادية ولغوية وثقافية وسياسية وحضارية ، أما الإسلام فله منهج خاص به يختلف عن ذلك اختلافا بينا ، فالإسلام بما له من خواص تجعله ديناً عالمياً صالحاً للتطبيق في كل أرجاء الكون ، يعتمد على معايير وبدهيات تحتل فيها قيم العدل والحرية والعلم وحرية الارادة ، مكانتها المتميزة .

إن معيار التفضيل من وجهة النظر الإسلامية ومعايير الحسن ، لا ترتبط بالتفرقة بين الجنسين ، وإنما هي معايير قوامها دور الفرد في المجتمع الأخلاقي الإسلامي ، فليس لجنس الفرد علاقة بتقييمه أو قياس درجة امتيازه وتفوقه في ظل هذا النظام الذي يقيم الانسان فيه وفقا لمدى إيمانه بالحق ومدى تقواه ، يقول جل شأنه : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات ، الآية : ١٣) هذا إلى جانب معيار العلم الذي حث عليه القرآن الكريم : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر، الآية : ٢٨) وقوله تعالى : ﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ (طه ، الآية : ١١٤) والاستقامة والصبر في قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (العصر ، الآية : ١-٣) وفي ضوء مجموعة القيم تلك يتحدد دور الفرد في النظام الاجتماعي كما يتحدد مجال التخصص والدراسة التي يلقاها فيما يحصل عليه من تعليم عال .

ويعكس كل ما يكتب حاليا حول الحضارة الغربية والمجتمع الغربي مدى خطورة الخلط بين الأدوار في المجتمع الانساني والتفرقة بينها اعتمادا على جنس الفرد ذكرا كان أم أنثى ، ذلك الخلط لا يترتب عليه سوى التشتت والارتباك والفوضى إذ تلك هي المظاهر التي تنجم عن مثل هذا الاتجاه اتجاه الخلط بين أدوار الجنسين وعلينا عندما نشير إلى الإسلام أن نعرف بوضوح الأدوار التي توكل إلى الرجال وإلى النساء في المجتمع ، في ضوء تعاليم هذا الدين ، وقد

يكون من الملائم قبل أن نتصدى لهذه المسألة أن نوضح أن الإسلام لا ينظر إلى هذه القضية نظرة جنسية من منطلق التفرقة بين الجنسين بل من خلال رؤية أخلاقية نفسيـــة .

المعالجة الإسلامية لوظائف الرجل والمرأة :

تأكدت تلك الأهمية الفائقة التي تتعلق بالوظائف وارتباطها بالجنس في ذلك الميثاق الذي أتى به النبي ﷺ وأهداه الانسانية ـ وعندما نتطرق إلى تلك الوظائف فاننا نتطرق إليها من زاوية « الواجبات » لا من زاوية « الحقوق » فهناك تأكيد على ضرورة احترام المرأة وإلزام البشرية بتوقيرها وتبجيلها ، وقد أورد محمد حسين هيكل في كتابه « حياة محمد » أن الرسول الكريم ﷺ كرر قوله « استوصوا بالنساء خيراً استوصوا بالنساء خيراً » وذلك في صدد الإشارة إلى الالتزام بحقوقهن و وجوب احترامها ، ولعل من أبرز ما يتصف به الإسلام أنه قد حرر الجنس البشري لأول مرة من تلك الخطيئة المزعومة التي كان اللوم فيها ينسب دائماً إلى المرأة ، لأنها تسببت في سقوط الرجل وطرده من الجنة .

ولكن الأمر يحتاج منا إلى التأمل والايضاح إذا ما أردنا أن نتطرق إلى قضية الرجل والمرأة في الإسلام ، وسنحاول في الأجزاء التالية في هذا البحث أن نتناول بعض المبادئ العامة التي تتعلق بمكانة المرأة في إطار المفاهيم الاجتماعية الإسلامية

التحرر من الخطيئـــة :

يرفض القرآن تلك الأسطورة التي طالما تنسب إلى المرأة وتزعم أنها كانت السبب في هبوط الانسان إلى الأرض بعد طرده من الجنة ؛ إنها زلة ارتكبها سويا ، آدم وحواء وأدت إلى طردهما من الجنة معاً ، ثم طلبا من الله الرحمة والمغفرة فتاب الله عايهما وغفر لهما وهذا ما تحدث عنه القرآن في سورة البقرة ﴿ وإذ قال ربك للملآئكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء

ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملآئكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلآء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة ، الآية : ٣٠-٣٧) .

وفي موضع آخر تقرأ هذه الآية : ﴿يا داؤد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ (سورة ص ، الآية : ٢٦) .

ومن أجل القضاء على كل تفرقة يكون أساسها الجنس أو التمييز بين الذكر والأنثى ، ينادي القرآن بأهداف عامة ويلتزم البشر كافة بتحقيقها ، من بين هذه الأهداف تحقيق العدل والتقوى* والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء على الطاغوت وجميع أنواع القهر والظلم والاستغلال بمختلف مظاهره ، السياسي منه والاقتصادي والديني والأخلاقي ، كذلك ينادى القرآن بالقضاء على مختلف مظاهر الظلم من المجتمع ، ذلك الظلم الذي قد يأخذ أشكالا عدة ، منها الافتقار إلي العدالة ، ومنها ما يأخذ شكل الحرمان وإساءة معاملة الآخرين ، والطغيان والفساد إلى جانب اتباع الشهوات والدنس الاجتماعي والشرك بالله ، وينهى القرآن أيضاً عن الفتنة

والفساد بكل ما تعنيه هذه الكلمات من مظاهر ، كالنميمة والنوايا الخبيثة والجشع والطمع وإرضاء الشهوات والفسوق ، فضلا عن أن المشاركة في تحقيق الأهداف الاجتماعية للإسلام هي التزام يقع على عاتق كل مسلم وكل مسلمة وفقا لأساليب حددها الإسلام وأوضح معالمها دون لبس أو غموض .

الحريـــة الاقتصاديـة :

يؤكد القرآن على حقوق النساء فيما يخصهن من ممتلكات آلت إليهن سواء عن طريق الهبة أو الميراث الذي ورثنه عن آبائهن أو أزواجهن أو أولادهن أو الأقربين ، باعتبار ذلك حقا خالصا لهن وليس منة أو تفضلا يتفضل بها الآخرون عليهن ، ويسرى هذا أيضا على ما يؤول إليهن بسبب ما يمارسنه من أعمال تجارية مشروعة تتفق وإطار الإسلام وقيمه ومبادئه ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ (النساء ، الآية : ٧) أما في الغرب وما يسوده من مبادئ علمانية ، وكذا في العديد من المجتمعات الأخرى ، نجد أن هناك من يسيرون على منهج الجاهلية والوثنية ملتزمين ذلك المنهج الذي ينكرون فيه على النساء حقوقهن ، ويصرون على المضى في ذلك الدرب الذي كانت تسير عليه الجاهلية الأولى بكل ما كانت تتصف به من إنكار لحقوق المرأة وتفرقة في التعامل بينها وبين الرجل ، أما الإسلام فانه دين يرفض مثل هذه الأعمال ويلفظ هذا المنهج وينبذه مترفعا عن الظلم ، مؤكدا بكل وضوح أنه ليس من حق الزوج مثلا أن يستولى على ممتلكات زوجته بشكل آلي بحكم زواجه منها أو استيلائه على تلك الممتلكات بالقوة . وهناك حديث نبوي شريف شهير يؤكد فيه الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه هذه المبادئ ويصحح من مفاهيم الرجال ويطلب إليهم أن ينكحوا النساء لمالهن أو لجمالهن أو لنسبهن أو لدينهن ،

ولكنه يوضح انه من الأفضل للرجال أن ينكحوا النساء ذوات الدين لأن أفضل الخصال التي ينكح الرجل المرأة من أجلها هي الدين أو التقوى . وتلك دعوة من شأنها أن تحدث تغييرا في مواقف الرجال ومسلكهم ونظرتهم للأولويات التي يتزوجون من أجلها مؤكدا على الجانب الديني والأخلاقي قبل كل شئ آخر . في إطار التطور الاجتماعي الذي يستهدفه الإسلام .

إن الإسلام يلزم الرجال والنساء المؤمنين والمؤمنات بايتاء الزكاة في الوقت الذي يؤكد فيه هذا الالتزام على النساء سواء أكن متزوجات أم غير متزوجات . أرامل أو مطلقات . الأمر الذي يؤكد من جديد استقلالهن الاقتصادي الذي ينعكس في إلزامهن بدفع الزكاة ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ (المؤمنون . الآية :٤) ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الأحزاب . الآية : ٣٢) ونجد من ناحية أخرى أن الاستقلال أي استقلال المرأة من الناحية الاقتصادية وما تملكه من أموال لا يؤثر في التزامات الرجل التي تقتضيه رعاية الأسرة وتدبير المسكن لها وتوفير مختلف احتياجاتها و متطلباتها ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء . الآية : ٣٤) ونجد أيضاً في الأحاديث النبوية الصحيحة ما يدل على أنه في صدر الإسلام كانت بعض الصحابيات يقدمن الصدقات لأزواجهن الفقراء استجابة لنصيحة الإسلام لهن . (يتبع)

أعلام التاريخ الإسلامي :

الإمام ابن دقيق العيد ، حياته وآثاره

دكتور جلال الدين أحمد النوري

اسمه ونسبه :

هو أبو الفتح تقي الدين محمد بن أبي الحسن مجد الدين علي ابن أبي العطايا وهب بن المطيع بن ابن الطاعة القشيري البهزي المنفلوطي القوصي الصعيدي المصري الشافعي والمالكي الشهير بابن دقيق العيد وكان جد والده قد لقب بـ (دقيق العيد) وسبب ذلك : (١).

إنه كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض ، فقال بعضهم : كانه دقيق العيد فلقب به (٢) .

ولد الإمام تقي الدين في يوم السبت الخامس عشر من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة الموافق تموز ١٢٢٨م .

نشأ الإمام ابن دقيق العيد بقوص وابتدأ بقراءة القرآن الكريم . ثم رحل في طلب الحديث إلى دمشق والاسكندرية والحجاز وغيره ، قال تلميذه الادفوي :

« نشأ الإمام بقوص على حالة واحدة في الصمت ولاشتغال

---

(١) انظر: الطالع السعيد للادفوى ، ص/ ٥٦٧ المعجم الكبير للذهبي ، ج/٢- ص٥٥ بدار الكتب المصرية وتذكرة الحفاظ للذهبي ، ج/٤- ص/١٤٨١ ومراة الجنان للشافعي ، ج/٤- ص٢٣٦ وطبقات الشافعية للسبكي ، ج/٩- ص٢٢٧ البداية والنهاية لأبي كثير، ج/١٤- ص٢٧ وطبقات الشافعية للاسنوى ، ج/٢- ص/٢٢٧ الديباج المذهب لابن فرحون ، ج/٢- ص/٢٢٧٥ الدرر الكامنة لابن حجر، ج/٥- ص/ ٢٤٨ .

(٢) انظر: فتح المغيث للسخاوي ، ج/١- ص/١٠ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ، ج/٢- ص ٣٦١ كشف الظنون / الخليفة ، ١٣٥ .

بالعلوم ولزوم الصيانة والديانة والتحرز في أقواله وأفعاله (١) » .

أبـــواه : والده هو الشيخ أبو الحسن مجد الدين بن علي جمع بين العلم والعمل والعبادة والورع والتقوى والزهادة . مالكي . شيخ أهل الصعيد . نزيل قوص مات سنة ٦٨٦هـ (٢) .

والدته : بنت الشيخ المقترح (تقي الدين مظفر بن عبد الله بن على المصري) (٣) .

شيوخــــه :

درس الإمام ابن دقيق العلوم على شيوخ كثيرين . منهم :

١- والده مجد الدين علي المتوفى سنة ٦٨٦هـ وسمع منه الحديث وتفقه عليه بمذهب الإمامين مالك والشافعي وقرأ عليه الأصول .

٢- بهاء الدين علي أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن سيد الكل العذري القفطي الشافعي المتوفي سنة ٦٩٧هـ أخذ عنه الحديث وفقه الشافعي .

٣- زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعي المتوفي سنة ٦٥٦هـ وأخذ عنه الحديث .

٤- أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر الشافعي المتوفي سنة ٦٧٥هـ وأخذ عنه الفقه للشافعي في القاهرة والإمام تقي الدين بن دقيق العيد هو الذي لقبه « بسلطان العلماء » .

٥- شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني المتوفي سنة ٦٨٨هـ وكان ابن دقيق قد حضر عنده لما كان حاكما بقوص هو وجماعة

---

(١) انظر طبقات الشافعية السبكي . ج/٩- ص/٢١٠ .

(٢) انظر : مرآة الجنان . ج/٤- ص/١٦٦ .

(٣) انظر شذرات الذهب . ج/٥- ص/٢٢٤ وطبقات الشافعية للسبكي . ج/٨- ص/ ٢٧٢ كان اماما كبيرا له التصاليف في الفقه والأصول ولد سنة ٥٢٦هـ ومات في سنة ٦١٢هـ .

وكان يهتم بعضهم بالقراءة والشيخ يسمع .

٦- شرف الدين محمد ابن الفضل المرسي المتوفي ٦٥٥هـ قرأ عليه العربية (١) .

تدريسه : اشتهر ابن دقيق العيد في حياة شيوخه وعين مدرسا في عدة مدارس هي :

١- المدرسة الفاضلية :
٢- المدرسة الصالحية :
٣- المدرسة الكاملية :
٤- المدرسة النجيبية :
٥- المدرسة المجدية باسناء :

دار الحديث بقوص :

المدرسة الفاضلية : مدرسة ملوخيا بالقاهرة بناها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني بجوار داره سنة ٥٨٠هـ و وقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية وجعل فيها قاعة للقراء فيها وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة واجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها ، انظر :الخطط ، للمقريزي ، ج/٢-ص/٣٦٦ .

المدرسة الصالحية : بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ورتب فيها دروسا أربعة في مكان ، انظر : خطط المقريزي ، ج/٢-ص/٣٧٤ ، وحسن المحاضرة ، ج/٢-ص/٢٦٣ .

المدرسة الكاملية : مدرسة بخط بين القصرين من القاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصرالدين محمد ابن الملك العادل ابن بكر بن أيوب بن الشافعي المتوفي سنة ٦٢٢هـ وهي ثاني دار عملت للحديث فان أول من بني دارا على وجه الأرض

---

(١) انظر: المصدر السابق ص/٣٧٢ وحسن المحاضرة ، ج/٢- ص/ ٢٦٣ .

الملك العادل نورالدين محمود بن زنكي بد مشق ثم بني الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية وما برحت بيد أعيان الفقهاء إلى أن كانت الحوادث والمحن فيه سنة ٨٠٦هـ .

المدرسة النجيبية : نسبة إلى بانيها النجيب بن هبة الله القوصي المتوفي سنة ٦٢٢هـ وقد بناها بقوص سنة ٦٠٧هـ انظر: (الطالع السعيد ، ص/٤٢٥) .

تلاميــــــذه : ذاع صيت ابن دقيق العيد فتوارد عليه الطلبة ، وحدث في قوص ومصر وغيرهما وسمع منه خلق كثير وجم غفير ، ومع قلة تحديثه سمع منه :

١- شمس الدين محمد بن القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي (ت سنة ٧١٥هـ) .

٢- أبو العلاء شمس الدين محمد بن البخاري الكلاباذي الحنفي (ت سنة ٧٠٥هـ) .

٣- كمال الدين جعفر بن شعب بن الادفوي (ت سنة ٧٤٨هـ) .

٤- نجم الدين الرفعة أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشافعي (ت سنة ٧١٠هـ) .

٥- علي بن ابراهيم بن داؤد ، علاء الدين أبو الحسن بن الموفق العطار الشافعي (ت سنة ٧٢٤هـ) وغيرهم كثير .

وكان ابن دقيق لا يجيز لأحد رواته شيئاً في سماعه إلا ما حدث به .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

أثني على ابن دقيق العيد الكثير من أكابر العلماء الذين درسوا عليه ، أو الذين اطلعوا على مؤلفاته من بعده ، التي هي خير شاهد على علمه الغزير .

فما قال تلميذه الادفوي :

وسألت شيخنا علاء الدين علي بن محمد بن خطاب الباجي رحمة لله عليه مرة عن جميع كثير منهم .

الأصفهاني ، القرافي ، وابن رزين ، وابن بنت الاعز و والده اج الدين فكان يذكر كل شخص إلى أن ذكرت له الإمام تقي الدين قال كان عالما أو قال كان فاضلا صحيح الذهن .

وقال أبو الفداء : قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية كان أماما فاضلا (١) .

وقال نصرالدين بن الطباخ للشيخ عز الدين بن عبد السلام :

ما أظن في الصعيد مثل هذين الشابين : يعني الشيخ جلال الدين لدشناوي والشيخ تقي الدين القشيري ابن دقيق العيد ، فقال الشيخ ابن عبد السلام :

ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها ، ابن كثير « ابن منير» بالاسكندرية وابن دقيق العيد بقوص .

وقال : تلميذه الحافظ قطب الدين الحلبي :

كان الإمام تقي الدين بن دقيق امام أهل زمانه ، وممن فاق بالعلم والزهد على اقرانه ، لم ير عصره مثله (٢) .

وقال الذهبي :

قاضي ا قضاة بقية الاعلام .

قل ان ترى العيون مثله . . له يد طولى في الأصول والمعقول ، وخبرة بعلل المنقول (٣) .

---

(١) انظر المختصر في اخبار البشر ، ج/٢- ص/٦٠ وتذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/٤٤٢ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/١٤٨٢ الدرر الكامنة ، ج/٥- ص/٣٤٩ ، تذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/ ٤٨١ ، المصدر السابق ، ج/٤- ص/ ١ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/١٤٨٢ .

وقال ابن « حيان » لتلميذه الصفدي وخليل بن ايبك (ت سنة ٧٦٤هـ).

لم ار بعد ابن دقيق العيد افصح من قرآنك (١) .

وهذه شهادة بينة لفصاحة ابن دقيق وجلالة قدره من ابن حيان الذي كان يعرض به .

وقال اليافعي : وكان شيخ القاهرة وقاضيها شيخ الإسلام . . كان رأساً في العلم والعمل ، عديم النظير أجل علماء وقته وأكبرهم قدرا وأكثرهم دينا وعلما و ورعاً ، والاجتهاد في تحصيل العلم ونشره ، والمداومة عليه في ليله ونهاره وبرع في علوم كثيرة ، لا سيما في علم الحديث فاق على اقرانه ، وبرز على أهل زمانه ورحل إليه الطلبة من الآفاق و وقع على عله وزهده و ورعه الاتفاق (٢) .

قال ابن كثير :

أحد علماء وقته ، بل أجلهم وأكثرهم علما ودينا ، و ورعا ومداومة على العلم برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث فاق فيه على أقرانه وبرز على أهل زمانه ، رحلت إليه الطلبة من الآفاق و وقع على عله و ورعه وزهده الاتفاق (٣) .

وحسبك شهادة هؤلاء الجهابذة من العلماء وغيرهم التي تدل على منزلة ابن دقيق العيد في أعينهم و مكانته الجليلة في نفوسهم .

(يتبع)

---

(١) انظر الوافي بالوفيات ، ج/٥ - ص/٢٦٨ . وابن حيان النحوي ، ص/١٣١ - ١٤١ .
(٢) انظر أحكام شرح عمدة الأحكام ، مقدمة ابن الأثير ، ج/١ - ص/٢٠ .
(٣) انظر مرآة الجنان ، ج/٤ - ص/٢٣٠ البدر الطالع ، ج/٢ .

ترجمات جديدة لمعاني القرآن الكريم بلغات شبه القارة

الأستاذ سيد رئيس أحمد الندوي
زميل معهد الدراسات الإسلامية والعربية بدلهي الجديدة

صدرت مؤخرا في الهند ترجمات لمعاني القرآن الكريم بثلاث لغات هندية هي « الهندية » و « الكنرية » (لغة ولاية كرناتكا الجنوبية) و« الماراتية » (لغة ولاية مهارشترا بغرب الهند) .

كما أعد عزيز ملك ، ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البنجابية الرائجة في إقليمي البنجاب بالهند وباكستان والتي يتحدث بها نحو ٥٠/مليون نسمة ، وذلك على أشرطة الكاسيت ، الأمر الذي سيتيح حتى للأميين الاستماع إليها والاستفادة بها .

وقد رحبت شخصيات هندوسية بارزة في مجال السياسة والفكر بهذه الخطوة واعتبرتها بادرة إيجابية على طريق الحوار بين مختلف الطوائف الدينية في الهند .

وأكد الدكتور شانكار ديال شارما نائب رئيس جمهورية الهند على أن القرآن يقدم منهجا متكاملا للحياة بدعوته إلى التسامح وإقامة العدل والمساواة ، ودعا إلى نشر تعاليم القرآن بين عامة الشعب ، وكان الدكتور شارما يلقى خطابه في حفل أقامته جمعية العلماء بالهند في ١/ديسمبر ١٩٩١م بدهلي الجديدة بمناسبة صدور ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم باللغة « الهندية » قام بها الشيخ أرشد المدني واستغرق إنجازها زهاء اثنى عشر عاما ، وقد وصف الدكتور شارما هذا العمل بأنه يسد حاجة ملحة في الوقت الحاضر .

وطالب الدكتور شارما بترجمة معاني القرآن إلى لغة مليالام (لغة ولاية كيرالا الجنوبية) ولغات هندية أخرى ليتمكن أكبر عدد

من الناس من الاطلاع على التعاليم القرآنية ، وكان الدكتور شانكار ديال شارما (وهو أستاذ سابق بكلية الحقوق بجامعة لكناؤ بولاية اترابراديش) قد تناول في خطابه مختلف جوانب حياة الرسول ﷺ واصفاً إياها « أسوة للبشرية جمعاء لما تحتويه من معان وقيم إنسانية سامية » وقال : إن الرسول أثبت من خلال ممارساته العملية حبه لأعمال البر والخير .

وحضر الحفل عدد من كبار الوزراء في حكومة نارسيمها راؤ وشخصيات هندية بارزة بينها راج ماهان غاندي أحد الأعضاء البارزين في حزب جانتا دل وهو حفيد الزعيم الهندي المعروف بـ «المهاتما غاندي » .

وأصدرت « الجماعة الإسلامية » بالهند خلال الشهور الأخيرة ترجمتين لمعاني القرآن بلغتين هنديتين : الكنرية (المتداولة بولاية كرناتكا الجنوبية) والماراتية (لغة ولاية مهاراشترا وبعض أجزاء ولاية غوا الغربيتين) وقد طبع مع نصوص القرآن الكريم بالخط العربي وترجمة معانيها باللغتين المذكورتين ملخص لتفسير الشيخ أبو الأعلى المودودي المعروف بـ « تفهيم القرآن » الذي أعده الشيخ صدر الدين الإصلاحي .

وأقامت الجماعة الإسلامية حفلا في مدينة بومباي بمناسبة صدور ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الماراتية حضرة لفيف من رجال الفكر والسياسة من المسلمين وغير المسلمين .

وقد أعرب المتحدثون من غير المسلمين في الحفل عن ترحيبهم الحار بهذا العمل الإسلامي الذي اعتبروه خطوة إيجابية تساعد على إزالة المفاهيم الخاطئة ودحض الدعاية المضادة للإسلام والمسلمين في الهند ، وقال الدكتور وي. بي. غهوغاي مدير جامعة مراتهوارا بمدينة أورنغ آباد : «إنه يشاع عن الإسلام أنه يمنع

المسلمين من الاحتكاك بغير المسلمين ولكن تعاليم الإسلام تقدم صورة مغايرة تماما ، وقد توصلت إلى هذه الحقيقة بعد أن وفقت إلى دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الماراتية ، وأعرب عن اعتقاده بأن هناك خطة مدبرة لتشويه تعاليم القرآن .

وقال الدكتور بهفت سينغ غاهلوت ، وهو عميد كلية جامعية بمدينة نانديز بولاية مهاراشترا : إن صدور ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الماراتية يعتبر نقطة تحول بارزة وحدثا هاما في تاريخ هذه الولاية ، وأضاف : لقد كنت أتحرق شوقا طوال حياتي للاطلاع على تعاليم القرآن ودراستها واستيعابها (عن طريق اللغة الماراتية) وكنت أتساءل بحيرة : ما هي المعجزة وراء تعلق مئات الملايين من المسلمين بالقرآن وقيامهم بتلاوة آياته أكثر من مرة في اليوم وحفظهم لها عن ظهر قلب دون ملل أو ضجر ؟ وتلاشت حيرتي بعد أن أتيحت لي دراسة ترجمة معاني القرآن بنفسي ، فهو معجزة حقا بآياته وكلماته ومعانيه وتعابيره التي تشد انتباه القارئ وتزوده بمتعة لا توصف ، وأضاف : إن القرآن هو الذي علم البشرية مبادئ العدل الاجتماعي والمساواة .

وأعرب كل من موريشور ساوائ (عضو البرلمان عن حزب شيو سينا الهندوسي) وپرديپ ديشموك أحد زعماء حزب الكونغريس المحليين عن أسفهما إزاء التناقض الواضح بين ممارسات المسلمين في الوقت الحاضر وتعاليم القرآن حتى لم يعد هناك ما يفرق بين المسلم وغير المسلم على حد تعبيرهما ، ودعا ديشموك إلى ضرورة نشر تعاليم القرآن وتوزيع ترجمات معانيه بلغات الهند على كل قرية وداخل كل مدرسة وكلية لتكون في متناول الجميع وليتمكن الناس من الاطلاع على تعاليم القرآن مباشرة .

>=============<

و من يعلّم المتجاهل . . .

واضح رشيد الندوي

من عادة الكتاب المتغرمين أو غير المسلمين أنهم إذا استعرضوا أوضاع المسلمين تتناقض آراؤهم وينحرفون عن المنهج الموضوعي ، ومن أمثله ذلك ما كتبه أحد المعلقين السياسيين أخيراً في صحيفة صادرة بالانكليزية فكتب يقول : إن الصحوة الإسلامية حقيقة من الحقائق الثابتة و واقع يلمس في كل بلد يعيش فيه المسلمون بنسبة محترمة ، ويوجد في المسلمين بصفة عامة الشعور بالانتماء إلى الإسلام والاعتقاد بأنه دين أفضل ، كما يوجد في المنتمين إلى الجماعات الدينية ، ومن يحمل ثقافة دينية ومعرفة بالتاريخ الإسلامي ، دافع إلى إيجاد مجتمع إسلامي ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وقال : إن هذا الاتجاه يتصاعد ، وهو يسود في جميع البلدان الإسلامية ، في العالم كله بأقدار مختلفة ، ففي بعض المناطق انه كموجة وتيارجارف ، وفي بعض الأماكن إنه حركة هادئة ، وفي بعض المواضع إنه كاحساس وشعور عام ، ويرى الكاتب أن هذا الشعور بلغ من قوته وسعته ، مبلغاً لا يمكن لأي حكومة في بلدان العالم الإسلامي أن تقوم بقمعه وكبته ، وأن أي محاولة لكبت هذا الشعور أو قمعه بقوة تزيد من قوته وضخامته ، وتعمل عمل الإثارة .

ومن الأسباب التي ذكرها الكاتب لوجود هذا الاتجاه والشعور في المسلمين ، تجربة المسلمين مع النظم التي عاشوا في ظلها خلال القرون الأخيرة كالاستعمار الغربي ، والاشتراكية ، والحكومات الاستبدادية التي قامت في دول المسلمين ، كانت موالية للدول

الأوربية ، والاشتراكية ، وكانت تتولى قمع مشاعر المسلمين ، وتدهور أحوال المسلمين ، وانتشار البوس والشقاء ، وقضايا معقدة ، واستغلال الحركات الإسلامية هذه الأوضاع لإثارة رد فعل في الجماهير ضد هذه النظم ، وبث الشعور المضاد لها في القلوب ، وكان في مثل هذه الظروف من الطبيعي أن تستجيب النفوس لهذه الدعوة ، فيتكون الرأي العام ضد النظم القائمة ومن كان يحمى هذه النظم .

وأعرب الكاتب عن رأيه أن الحكومات في بلاد المسلمين لا تستطيع أن تحارب هذا الشعور وتقمع النشاطات الدينية علناً ، فتتخذ وسيلته الثورية وهي محاربة الأصولية والتزمت الإسلامي ، وتدعي أنها لا تحارب الإسلام والدين ، بل تحارب السياسيين الذين يستغلون الشعور الديني للوصول إلى الحكم وللاطاحة بالنظام القائم ، أو يريدون ارجاع البلاد إلى عهد القرون الوسطى ، التي كان يسود فيها النظام الإقطاعي والطبقي ، والاستغلال الاجتماعي .

ويعرب كاتب المقال عن رأيه أن هذا هو الواقع في العالم الإسلامي ، وهو وجود تيار إسلامي كاسح بتفاوت بسيط في الدول الإسلامية المختلفة والمجتمعات الإسلامية المختلفة والشعور بالخوف منه في الأوساط الرسمية ، والقيادات السياسية وهو صادق في هذا التصور، وتصوير الواقع ، وقد اعترف بهذا الواقع عدد من الكتاب في الدول الأوربية .

وقد نشرت صحيفة سندي الصادرة في دلهي بالانكليزية ، قبل مدة يسيرة تقريراً مفصلاً نقلاً من الصحف الأوربية لباحث أوربي قام بالاستطلاع في الدول الإسلامية المختلفة وبعد أن قام بجولة عالمية درس فيها أحوال المسلمين وأجرى مقابلات مع رجال مختلف طبقات المسلمين ، ومدارسهم ومنظماتهم و وصل إلى نتيجة أن هذا الشعور أي شعور « إلى الإسلام من جديد » واقع ، وذكر أن الاختلاف هو في منهج العودة ، وفي تفسير الإسلام ، ثم تطرق إلى صلاحية الإسلام

لتحقيق أماني المسلمين ، وكفاءته لحل قضايا العالم الإسلامي ، فتهجم على الإسلام كعادة الصليبيين الحاقدين ، وقدم صورة قاتمة للحكم الإسلامي ، وحمل الإسلام مسئولية تخلف المسلمين وانتقد التاريخ الإسلامي ، فكان الجزء الأول من المقال موضوعياً ، والجزء الثاني موجهاً ، وميالاً ، فيه التحزب ، والتعصب ، والكراهية الطائفية للإسلام والمسلمين .

اتجه الكاتب الهندي الذي تناول هذا الموضوع في صحيفة هندية نفس الاتجاه فهو يعترف بوجود هذا التيار الجارف ، ويعترف بأنه ناتج عن احقاق النظم القائمة المعتمدة على النظم الأوربية ، وأنه رد فعل للقضايا المشتبكة في العالم الإسلامي ، وأنه قوى بحيث إنه يصعب على الحكومات التصدى لها ، ومع ذلك إنه يتهجم على الإسلام ، ويقول ماذا يحمل الإسلام لهؤلاء البائسين ، وكيف يحل الإسلام مشاكلهم وقضاياهم ؟ يقول : إن الدعاة إلى الإسلام يقولون القرآن دستورنا ، ويرفضون دساتير الدول المتحضرة ، والقرآن لا يتناول القضايا المعاصرة فانه كتاب القرن السابع للميلاد .

إنه يعترف بأن النظم التقدمية ، من اشتراكية ورأسمالية لم تستطع أن تحل مشاكل المسلمين ، ويسود الفقر والجهل في العالم الإسلامي ، وأنه وجد حفاة عراة منهوكين بالجوع في البلدان التي زارها ، ولكنه لا ينتقد هذه النظم بل ينتقد الإسلام ، وكان من المنطق والصواب أن يتهجم على الاشتراكية والرأسمالية ، وينتقد أوربا التي استغلت هذه المناطق ، واستعبدتها ، وفرضت فيها قيادات غير حكيمة ، استبدت بشعوبها ، وحكمتها بالحديد والنار ، وهيمنت عليها وأذلتها .

إن القضايا المعقدة التي توجد في العالم الإسلامي ، من قضايا العصر ، وقضايا نظم الحكم الحاضر ، فقد ألغى القضاء الإسلامي في هذه المناطق قبل أكثر من سبعين سنة بل أكثر منها ، وانتشرت

المدارس الأوربية التي تديرها الجمعيات التبشيرية ، قبل أكثر من مائتي سنة ، وإذا قارن أحد بين المتوجهين إلى المدارس الدينية ورواد المدارس العصرية ، وجد عدد رواد المدارس الحديثة الأوربية أكثر وأضخم من رواد المدارس الدينية ، كذلك السياسة الاقتصادية ، والثقافة ، والإعلام ، والمرافق الأخرى التي تكون الرأي العام ، وتربي الجيل ، خاضعة للموجهين غير الإسلاميين ، ويمنح الملحدون ، والمنحرفون ، كل حرية لحماية نشاطاتهم ، ولعرض فكرتهم ، وتوجد جميع المغريات و وسائل الانحراف ، ويتمتع القادة الذين يحاربون الإسلام ويمانعون الثقافة الإسلامية بالسيادة المطلقة ، فاذا وجد فقر وجهل ، وتزمت ، وتخلف ، في العالم الإسلامي فمن المسئول عن ذلك ؟ أليست هي نتيجة مباشرة للأوضاع المفروضة عليه .

إنهم يقولون ماذا يحمل الإسلام لهؤلآء البائسين ، إن هذا السؤال لو طرحه جاهل لم يقرأ التاريخ ، ولا يعرف المسلمين كان معه العذر، ولكن الذي يدعى أنه متعلم وأنه يعرف التاريخ فلا عذر له ، فقد صنع الإسلام أمة جديدة في مدة قليلة تحار بها العيون ؛واستغرب بذلك علماء الغرب، كما حل مشاكل أمة مترامية الأطراف إنه أخرج أمة من البداوة إلى طور الحضارة ، والأميين إلى السيادة العلمية ، ونقل المماليك والموالي إلى الحكم .

لقد فتح المسلمون بالإسلام العالم ، انهم فتحوا دولا عميقة في أوربا ، ووصلوا إلى حدود فيانا ، وذلك في العصور المتأخرة ، واستمر هذا الفتح إلى القرن الثامن عشر، وعند ما كانوا تحت لواء الإسلام ، قهر المسلمون في ظل الجهاد روسيا ، وحطموها ، وجعلوها حديث الماضي ، تتجرع مرارة الدخول في افغانستان قرونا ، وقد حمل المسلمون في ظل الإسلام لواء العلم والحضارة ، إلى آخر عهود التاريخ المعاصر ، ومن ينكر فضل المسلمين في خدمة العلم ، والفن ، فان انكار الحضارة الإسلامية انكار للتاريخ .

البقية على ص : ٩٦

إلى رحمة الله :

المفكر الإسلامي المهتدى البارز محمد أسد

سماحة الشيخ العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

نعت الصحف الإسلامية في الهند المفكر الإسلامي والداعي إلى الحق والباحث العظيم المهتدى محمد أسد . (ليوبولدوليس سابقاً) نقلا عن جريدة كيهان الإيرانية . في أواخر شهر مارس . ولم تلق الصحف التي نعته . الضوء على حياته . وخدماته . لأنه كان في آخر حياته يعيش بعيدا عن الإعلام وان كان من رجالات الإعلام . ومن نجوم الصحافة . ولمع كصحفي بارز قبل أن يتحول إلى داعية ومفكر. وأخملت ذكره الصحافة في العالم الإسلامي . التي تفخم حادثة وفاة الفنانين . والزعماء السياسين . وكل صغيروكبير في العالم الأوربي . وتنوح على المغنين والمطربين، وتسود صفحات بذكر مناقبهم .

وقد كان الأستاذ محمد أسد من أعيان هذا القرن . وأعلامه . وكانت كتبه من مصادر الفكر الإسلامي . وفي حياته دروس وعبر وضياء .

وقد اتصل مراسل البعث الإسلامي بسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي لمعرفة انطباعاته . فقد كان المرحوم محمد أسد على صلة دائمة به . وترجع صلتهما إلى الخمسينات .

قال سماحته :

لقد أكرم الله تعالى . الأستاذ محمد أسد (ليوبولدويس السابق) بنعمة عظيمة . نعمة لا يرزقها إلا السعداء الذين يبحثون في حياتهم وعهدهم عن النور، في وسط الظلمات . ويولدون بفطرة ابراهيم في دير آزر، وهذه النعمة هي القلق والاضطراب النفسي . والحافز على البحث عن الحقيقة . واكتشاف النور، وان انطباعات شبابه التي حكاها في كتابه تدل على نضجه العقلي . وسلامة فطرته .

وذكائه ، واضطراب قلبه المبارك .

وتظهر سلامة فكره من رأيه الذي أعرب عنه في كتابه ، أن انحطاط المسلمين وتخلفهم يرجع إلى تبعدهم عن الإسلام ، وانصرافهم عن منهج الشريعة ، و غفلتهم ، على ما يقوله عامة العلماء والكتاب في الغرب ، وهو أن انحطاط المسلمين يرجع إلى عملهم بالإسلام .

لقد ضم محمد أسد نفسه ورغباته إلى وجود هذه الأمة ومصالحها ، كما يضم فرد أسرة ، وجوده وصلاحياته إلى وجود ومصالح أسرته ، إنه درس حياة العرب ، وانضم إليهم عاطفيا ونفسيا ، وكسب ثقتهم فأدى خدمات جليلة ، كمبعوث السلطان بن سعود ، والإمام السنوسي ، ثم ألف كتابه Islam at the cross road ، الإسلام على مفترق الطرق ، خلال إقامته بالهند ، وقد أحدث هذا الكتاب انقلابا فكريا ، في المثقفين ، وقد اختار في هذا الكتاب أسلوب الهجوم لأول مرة ، وانتقد الحضارة الغربية بقوة وثقة ، وترك أسلوب الاعتذار ، وأثبت أن هناك فوارق شاسعة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، ولا يمكن الوصل بينهما ، ودافع عن السنة والحديث دفاعا قويا ، وأثبت أهميتهما في منهج الحياة الإسلامية ، وقام بتشكيل الفكر الإسلامي من جديد ، على غرار الدكتور محمد اقبال على حسب تعبيره في مقدمة كتابه ، ثم أصدر صحيفة انجليزية باسم ARAFAT ، وقام بترجمة الصحيح للبخاري ، ومن سوء الحظ لم تكتمل هذه الترجمة .

وقال سماحته مشيرا إلى صلته به :

التقيت به أول مرة في مكة المكرمة ، ثم في دمشق ، ولبنان في حين كان يشرف على نقل كتابه الشهير The Road to Mecca إلى العربية ، فلما صدر كتابه بالعربية باسم « الطريق إلى مكة » أرسل نسخة منه إلي ، فتأثرت جدا بقراءة كتابه ، فقد حكى في هذا الكتاب قصة رحلته وهجرته من اليهودية إلى الإسلام ، بأسلوب ممتع جذاب ،

ومثير يوثر على نفس القاري . ومن خلال هذه الحكاية المتعة وصف رحلاته التي قام بها في صحراء العرب . وما شاهده من حياة العرب . وما حصلت له من تجارب في حياتهم الاجتماعية . وذكر احداثا مؤثرة مما يتصل بالقبائل الصحراوية . وسائر القبائل . وأسرة الملك ابن سعود . وما واجهه من اخطار ومغامرات بأسلوب يشرك في التأثر كل قارئ في الغرب . فينفعل به كما ينفعل بقراءة قصص سندباد . أو رحلات أخرى في الشرق . فحول بأسلوبه المتع موضوعاً شائكاً خشيباً إلى موضوع عذب قشيب وجداني .

اتيحت لي الفرصة لقراءة هذا الكتاب في سفر. قراءة متواصلة . فما وسعنى إلا أن أعترف بقدرة المؤلف على التصوير النفسي . ودقة رأيه وحكمته . وأسلوبه الدعوي . فقد عرض دعوة الإسلام بأسلوب حكيم بطريق أصبح هذا الكتاب وسيلة لشرح الإسلام . ومنهجه للحياة والثقافة الإسلامية . لغير المسلمين في الهند وللغربيين ومناسبة لطيفة . وأداة ممتعة . فيجد القارئ في مرءاته تأثير القصة . وعذوبه الحكاية . وجدية العلم . والفلسفة . و وفرة المعلومات في وقت واحد . وبساطة . وحكمة . ومتعة . وتعليما وسحرا بيانياً مثيراً يغير الذهن و يؤثر في الخيال . ولذلك نال الكتاب قبولاً عاماً في أمريكا . وأوربا . وصدرت طبعاتها في أربع لغات أوربية . الألمانية . والسويدية . والفرنسية . والانجليزية . ثم نقل هذا الكتاب ابن أخي الأستاذ محمد الحسني المرحوم بأمر مني إلى الأردية وطلبت الأذن من المؤلف لترجمته . فسمح بذلك .

التقيت به آخر مرة في عام ٦٤-٦٥م في جينف التي زرتها لحضور المركز الإسلامي كعضو من أعضائه . فشرفني الأستاذ محمد أسد . وأهدى إلي ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الانجليزية . وكان قد انتهى منها أخيراً . وبحثت معه حول بعض آرائه في التعليقات . وأبديت بعض ما اختلفت حوله عن رائه . ولكني وجدت

ترجمته في التعبير والدقة أحسن في كثير من التراجم الأخرى .

وفي آخر حياته استوطن مراكش ، وانقطعت المراسلات معه ، ولم تتح لي فرصة للاتصال به وللاطلاع على نشاطاته وخدماته العلمية ، ويؤسفني أن الصحافة العربية والانجليزية ، والإسلامية ، لم تقدر جهوده حق قدره ، ولم تطلع العالم على نتائج بحوثه العلمية الأخيرة ، ولم تسلط من الأضواء على حياته كما كان يليق به ، إلى أن لبى نداء ربه في آخر فبراير ١٩٩٢م في اسبانيا ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

==============================

بقية المنشور على صفحة : ٩٢

وفي المجال الاقتصادي والرفاهية العامة ، يجب أن يقرأ هؤلاء الكتاب ما يحمل التاريخ من مواد دسمه عن رفاهية المجتمعات الإسلامية ، والرخاء العام في مختلف فترات التاريخ الإسلامي ، وكذلك عن سيادة القانون والعدل الاجتماعي والاستقرار السياسي في فترات التاريخ الإسلامي الذي يمتد إلى ما قبل عهد الاستعمار .

كتب الكاتب أن الإسلام في الواقع عاش عشر سنين فقط ، إنه جهل ما فوقه جهل ، بل تجاهل ، فان الجاهل يمكن تعليمه ولكن المتجاهل لا يعلم في أي حال .

==================

الشيخ محمد شميم في ذمة الله

مدير المدرسة الصولتية

لفضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها

توفي في الأسبوع الأخير من شهر شعبان المعظم فضيلة الشيخ محمد شميم سليم رحمة الله مدير المدرسة العالية الصولتية في مكة المكرمة . وكانت وفاته حادثاً للمدرسة ولأبناء شبه القارة الهندية من أهل الحجاز ولرجال التعليم الإسلامي جميعاً . لقد كان الشيخ من النخبة الطيبة من أهل العلم من أصحاب الثقافتين ثقافة الحجاز العربية وثقافة أبناء الهند من المسلمين . وكان يكرم العلماء وأهل الصلاح والدين من حجاج بيت الله الشريف والمعتمرين من أبناء شبه القارة الهندية وكان يقوم بموانستهم وتقديم التسهيلات لهم . وكان يهتم بالعلم والتعليم من مدرسته الإسلامية العربية ذات تاريخ جليل حافل بخدمة العلم والدين . لقد كانت هذه المدرسة أنشئت في عهد الحكم التركي عند ما كانت المدارس في الحجاز قليلة نادرة فحمل مسئولية إدارتها وخدمة العلم الديني عن طريقها أبناء أسرة العلامة الداعية الشيخ رحمة الله الكيرانوي الهندي الذي كان قد أقض مضاجع رجال التنصير المسيحيين الذين بدأوا حركة التنصير القوية في شبه القارة الهندية وفي البلدان الضعيفة أمام الاستعمار الانجليزي تحت مظلة الحكم البريطاني في هذه البلدان . فإن العلامة الشيخ الكيرانوي قام بجهاد قوي عنيف ضد رجال التنصير من القساوسة المسيحيين وهزم عظماءهم حتى بدأوا يخافونه ويستعملون طرق السياسة والقوة الاستعمارية ضده ، فهاجر إلى الحجاز و وضع عصا تسياره في مكة المكرمة ، فكان من مآثره الباقية هذه المدرسة العظيمة وألف في

كشف أباطيل المنصرين « اظهارالحق » في مجلدين كبيرين ، وهو يعد خدمة جليلة في الدفاع عن الإسلام ضد الحملات التنصيرية تصدى للعالم المسيحي « فندر» الذي أصبح بعد هزيمته أمامه يخافه ويهرب منه كلما يسمع قدوم الشيخ لمجابهته في بلد من بلدان العالم الإسلامي .

ولقد خدمت المدرسة الصولتية التعليم الديني عند ما قلت المدارس في الجزيرة العربية وقامت بتخريج رجال نابغين في العلوم الإسلامية ظهر عدد منهم اعلاماً بين العلماء المثقفين في العلم وقادة علم واجتماع ومنهم العلامة المغفور له الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصاري مدير الشئون الدينية في بلاد قطر العربية وآخرون من خدمة العلم والدين في الحجاز وشبه القارة الهندية وشرقي آسيا مثل الماليزيا واندونيسيا .

قام بادارة هذه المدرسة الجليلة قبل فقيدنا الشيخ محمد شميم الكيرانوي والده العظيم الشيخ محمد سليم رحمة الله الكيرانوي وكان عهده لخدمة هذه المدرسة عهداً مشرقا ترقت المدرسة في زمنه وحافظت على قيمتها وأهميتها في أحوالها المختلفة وكانت كمصدر طاقة للحجاج والمعتمرين من مسلمي شبه القارة و مركزا للتعليم والتربية لطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وكان الشيخ محمد سليم يدير شئونها بحزمه وكياسته وبوسائل مختلفة من صلاحياته الانسانية والعلمية ، وخلفه بعد وفاته في هذا المركز نجله الشيخ محمد شميم فسار على طريق والده العظيم وكسب حب أهلم العلم والتعليم الإسلامي في الحجاز والبلدان الأخرى الشرقية ودامت بين هذه المدرسة وعلماء الهند المسلمين صلات قريبة لوجود هذه المدرسة في بلد الله الأمين ولكون علماء الهند مديرين لها ، فان العلامة الكيرانوي كان من شمالي الهند وهي منطقة تزخر بالمدارس الإسلامية العالية وبالعلماء والدعاة .

وقد زار أحد اعمام الشيخ محمد سليم ندوة العلماء وقضى فترة من الوقت بالتدريس فيها أيضاً فقامت بذلك آصره قريبة بين رجال المدرسة الصولتية وبين رجال ندوة العلماء أيضاً كما كانت بين الشيخ شميم ووالده الشيخ سليم وبين شيخنا سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي صلات ود ومحبة قوية كنا نرى آثارها ومظاهرها عند زيارة سماحته للحجاز واللقاء فيما بينهما ، ولذلك كان لخبر وفاته أكبر أثر عليه وعلينا جميعاً ، وبخاصة عند ما كنا نرى أن الشيخ محمد شميم لم يكن بلغ إلى سن متأخرة

جداً . بل كان يعد من الفتيان الأقوياء ولكن الآجال بيد الله وحده .

لقد قضى الشيخ محمد شميم حياة حافلة بالجد والعمل ، وأحس بالحزن على وفاته أبناء القارة وأهل الحجاز جميعاً ، غفر الله له وأكرم نزله عنده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

العالم الرباني الشيخ محمد يونس في ذمة الله

أبو رضا محمد نظام الدين

فقدت أرض بنجلاديش ليلة يوم السبت التاسع من شعبان المعظم عام ١٤١٢هـ المطابق ١٤/من فبراير ١٩٩٢م عالماً ربانياً جليلاً وهو فضيلة الشيخ محمد يونس ، وكان عمره عند وفاته ٨٦/عاماً .

وقد قضى الفقيد أكثر من ثلاثين عاماً كرئيس للجامعة الإسلامية بفتيا ، أكبر المدارس الإسلامية لدولة بنجلاديش وكان رئيس هيئة المدارس الإسلامية الأهلية لبلاد بنجلاديش في نفس الوقت ، وكان نسيج وحده في الزهد والورع قضى جميع حياته عاكفا على إرشاد خلق الله ودعوتهم إلى الله وقد ترك حلقة واسعة من مريديه ومعتقديه ، وإن حياته كلها حافلة بمكرمات وبطولات قلما يجتمع مثلها في عالم وقد قضى حياته في جهاد مستمر وكان من التلامذة الأوائل للشيخ حسين أحمد المدني ، في دارالعلوم بديوبند ، ويتقاطر العلماء عليه كتقاطر الظمآن على الماء فأصبح مرجعاً للعلماء الكبار والدعاة المخلصين في بنجلاديش ، يأتون ويجلسون إليه وينهلون من منهله الصافي الزلال ، وإنه ترك في مجال الدعوة والإرشاد فراغاً كبيراً لا يكاد يملأ بسهولة .

وكانت بينه وبين سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي -حفظه الله تعالى- صلة قوية ، وقد حضر سماحته في الحفلة السنوية للجامعة الإسلامية بفتيا في وفد مكون من خمسة نفر عام ١٩٨٣م على دعوة وجهها فضيلة الأستاذ محمد سلطان ذوق الندوي رئيس قسم اللغة العربية

وآدابها بنفس الجامعة وقتئذ والمدير المؤسس لدار المعارف حالياً .

ولما زاره الأستاذ سلمان الحسيني الندوي والأستاذ محمد خالد الندوي قبل ١٨ يوماً من وفاته ، أكد الشيخ للأستاذين - وهو يبكي بكاءً - أن يقرءا على الشيخ الندوي سلامه الأخير ويطلب منه الدعاء ، وقد كرر هذه الجملة وهو يبكي .

وإن خدماته التي يندر نظيرها في تاريخ بنجلاديش هي أن بنجلاديش ثانية أكبر دول المسلمين في العالم بعد اندونيسيا من ناحية عدد سكان المسلمين ، كذلك انها ثانية أكبر دول المسلمين بعد اندونيسيا في كثرة المراكز التنصيرية بها ، وان مبشرى الديانة المسيحية كثفوا نشاطاتهم التنصيرية في هذا البلد البائس ، وأقاموا عدداً كبيراً من مراكزهم خاصة في المناطق الجبلية ، وانهم يبذلون جل جهودهم في تنصير المسلمين السذج القلوب ، ولكن علماءنا ودعاتنا صاروا في غفلة من هذه النشاطات المعادية للإسلام ولم يشعر بها أحد من علمائنا ، فأما فضيلة الشيخ يونس فهو الرجل الأول الذي تألم بهذه التيارات المعادية للإسلام والمسلمين ، واندفع اندفاعاً قوياً ضد هذه المراكز التنصيرية ، فبدأ بإقامة المراكز الإسلامية مع المستوصفات في نفس المنطقة التي أقيم فيها المركز التنصيري .

و وضع خطة دقيقة لتحقيق هذه المشاريع ، وإن أكبر مثال لهذه المراكز الإسلامية المركز الإسلامي الذي أقيم في مدينة (بندربن) الجبلية ، والميزانية التي وضعت لها أكثر من نصف مليون دولار أمريكي .

كما أن عدد المساجد التي أسسها الشيخ المغفور له مباشراً يقارب ٢٠٠/مسجد ، قلما توجد مدرسة أو مؤسسة دينية من غير إشراف أو مساعدة منه ، لاسيما في شيتا غونج وكوكس بازار، وكان اقبال الناس عليه كبيراً يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور وقد نال من الشعب التقدير البالغ الذي شوهد في جنازته في ساحة الجامعة الإسلامية بفتيا .

ومن سوء حظ شعب بنجلاديش انهم فقدوا في نفس الليلة عالماً ربانياً آخر وهو الخطيب الكبير الشيخ مظهر الإسلام وقد توفى في الساعة الواحدة ليلاً بينما توفي الشيخ يونس في الساعة التاسعة والنصف ليلاً ، رحمهما الله رحمة واسعة وكتب لهما الجنان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الاسلامي

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

العدد الخامس - المجلد السابع والثلاثون
محرم الحرام ١٤١٣هـ — يوليو ١٩٩٢م

المراسلات :
البعث الاسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر ص ب ٩٣ لكناؤ ـ الهند
ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93, Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

الافتتاحية :

المسلمون في روسيا . والدعوة الإسلامية

لقد أتى على المسلمين في روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقاً) حين من الدهر لم يسمح لهم خلال ذلك بممارسة شعائر الإسلام . والتظاهر بالحياة الإسلامية . و وضع عليهم الحظر بالكلية في اتخاذ أي شئ يشير إلى انتمائهم الإسلامي . فلم يعد لهم طريق سوى الخضوع والاستسلام لعوامل الكبت ولوسائل القمع . ولكن قلوبهم لم تتجرد عن الإيمان بالله ورسوله . وظلوا يعيشون مسلمين في سرية تامة وخفاء بالغ . يحافظون على صلواتهم وأذكارهم وتلاوتهم لكتاب الله . ويعلمون أولادهم مبادئ الدين وعقيدة التوحيد . وقد كان يتم ذلك بأساليب شتى اهتدوا إليها بمقلهم الإيماني بفضل الله تعالى . حيث إن العدو لم يطلع عليها . ولو أنه كان قد علم بها لما تأخر في القضاء على أصحابها وتنكيلهم بما تقشعر منه الجلود . كما قد وقع مراراً في هذه الفترة المظلمة . وتمت تصفية المسلمين نهائياً بعد اكتشاف نشاطاتهم الدينية .

ولما سقطت الشيوعية في مهدها . وقضى على الاتحاد السوفياتي بالزوال . وسقطت جدران الكبت والقمع . وذابت المقامع الحديدية . ولم يغن شمار المطرقة والمنجل عن حامل لوائه شيئاً . انتفض المسلمون من وراء الستار الحديدي . و خرجت العقيدة الدينية من ركام المادية ظافرة منتصرة . وحان للشعائر الإسلامية أن تظهر بصورها الحقيقية وتتولى إرشاد الناس وجمعهم علي كلمة الحب والإيمان . وعملا برحه المسلمون من الحياة المزورة المنهارة إلى الحياة

الطبيعية الإيمانية ليرفعوا راية الإسلام ويتنفسوا في جو من الحرية والوئام ويضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . ويعودوا إلى ربهم الأحد الصمد . يعبدونه ويشكرونه على ما من به عليهم من النجاة من جحيم الشيوعية وأنقذهم من نارها . ﴿ فليعبدوا ربّ هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

ولكن المسلمين في روسيا . بفعل الحصار المادي الخالص الذي فرض عليهم . وسياسة القمع التي تحكمت فيهم . تأثروا في قليل أو كثير من عوامل الفكر الشيوعي والفلسفة الاقتصادية المادية التي عاشوا تحت مظلتها . وتسربت إلى أسرهم ومجتمعاتهم كثير من الأفكار الباطلة والعقائد الخرافية التي يرفضها الدين . ويحاربها بعنف وقسوة . فاقتضت حكمة الدعوة ومتطلباتها أن يراعى المسلمون الروس . بتقديم التهاني الخالصة إليهم . وتشجيعهم بجميع أنواع التشجيع . والدعم والموازرة . ثم التوجيه الديني بكافة أنواعه . وأساليبه . وتنقية أفكارهم من جميع الشوائب الماديه والبدعية . وتأكيد الحياة الإسلامية والاصطباغ بصبغة الله الجميلة الثابتة . وترسيخ العقيدة في نفوسهم من جديد .

هذا إلى جانب ما يقوم به دعاة الالحاد والاباحية ومبشرو المسيحية : انتهازاً للفرص المتاحة هناك . وهم لا يقصرون في إنجاز مهمتهم شيئاً . ولا يبخلون ببذل النفوس والنفائس . وتقديم التضحيات الغالية في سبيل ذلك . وهم جادون في تحقيق هدفهم لا يلوون على شيء . وعندهم من الوسائل والحكمة . والأساليب البارعة في هذا المجال ما لا يخفى على العارف البصير . ولقد ركزت أوربا على هذه النقطة المهمة وفتحت لها أمريكا أبواب خزائنها وأغدقت عليها بالمال

والرجال لكي تمكنا من وضع حد على المد الإسلامي هناك، وتخمدا جذوة العقيدة والإيمان، فتسكت كل صحوة إسلامية، وتنام كل عاطفة إيمانية. ولا تجد الدعوة الإسلامية سبيلاً إلى نفوس المسلمين، وتضعف صلتهم بالإسلام: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

من هنالك تتضاعف مسئولية الدعاة الإسلاميين الذين يتوافدون إلى روسيا بين حين وآخر من الدول الإسلامية، ويزورونها على حساب الحكومات الإسلامية للقاء مع المسلمين الروس والاطلاع على أحوالهم وحاجاتهم ونشاطهم، وتوجيه الأسلوب الحكيم للدعوة إليهم، وتوفير ما يحتاجون إليه من مساعدات مادية ومعنوية في سبيل استئنافهم للحياة الإسلامية من جديد. وقد كان سبق الدول الإسلامية والجمعيات الإسلامية و وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية بتنظيم الوفود لزيارة المسلمين في روسيا، وتقديم المعونات المطلوبة إليهم والاطلاع على شئونهم وأفكارهم وتوجيهاتهم نحو الدين والعقيدة، من أعظم أعمال البر والمعروف والنصح والأمانة، التي تتكفل بالنجاح والسعادة، وتوفر دليلاً على أن الاهتمام بأمر الدين لايزال حياً نامياً في مجتمعات المسلمين والجهات المعنية في الدول الإسلامية، وما ذلك إلا مجرد فضل من الله تعالى وتوفيق منه.

لقد كان لهذه الزيارات وقدوم الدعاة والموجهين إلى هذا البلد أثر ملموس في حياة المسلمين الذين هم حديثو العهد بالعودة إلى الحرية الدينية، ويبحثون لهم من مساندات قوية ووسائل مدعمة تضمن العيش في ظل الإسلام ونشر تعاليمه بين المجتمعات العائدة إلى الإسلام بعد حقبة من الزمان. إن هذه المبادرة الطيبة نحو إرسال

البعثات التعليمية وإيفاد الدعاة الموجهين ورجال الاعلام والجولات التفقدية إلى روسيا - الرازحة تحت نير الشيوعية الجائرة مدة من الزمن - لها قيمتها وأهميتها في جميع المجالات العلمية والدعوية والاجتماعية والسياسية ، وهي إن دلت فإنما تدل على أن الغيرة الإيمانية لم تجف منابعها في النفوس ، وأن الإسلام هو القائد الموجه لحياة الإنسان في أعين الناس جميعاً .

إن المقاومة الشديدة التي قام بها المجاهدون الأفغان ضد القوات الروسية الغازية ، وانتصارهم عليها أخيراً ، وقيام دولة المجاهدين في أفغانستان ، حلقتان من سلسلة واحدة تنبع من صميم تعاليم الإسلام ، ولا يمكننا أن نفصل واحدة منهما عن الأخرى ، وننظر إليهما بمنظارين مختلفين ، فنضع الجهاد الإسلامي في أفغانستان إلى جانب ، والحكم الإسلامي الذي يعتبّر نتيجة طبيعية له في جانب آخر ، ونعامل كليهما معاملة متغايرة ، ولذلك فإن المسئولين عن الحكم الإسلامي في هذا البلد لايتبرأون عن توجيه وتربية المسلمين الروس ، وعن وضع برنامج مفيد مستقل للدعوة والتوجيه الإسلامي في روسيا ، وتخصيص رجال اكفاء من الدعاة والمربين وميزانية خاصة لهذه المهمة العظيمة ، التي يتوقف على نجاحها امتداد دولة المجاهدين واستمراريتها بمشيئة الله تعالى .

، هذا عمل مهم جداً يتطلب التركيز القوى على التخطيط العملي وتوفير العناية عليه ، إذ من المعلوم أن الجهات الغير الإسلامية كلها متجهة نحو إغراء المسلمين الروس بوسائلها الهائلة وشبكاتها الملونة الجميلة ، ولكن الدعاة الإسلاميين - كما علمنا - يجهلون بوجه عام التكتيك المطلوب للدعوة والتوجيه في هذا المجال بالذات ، وهم أقل

حرصاً على تكوين مناخ إسلامي للدعوة والتربية وتوفير الإمكانيات المطلوبة للمدعوين ، من أولئك العاملين للمذاهب والديانات الأخرى التي تعارض الإسلام . ولعل لفتة قليلة من الجهات المعنية التي تتولى إيفاد الدعاة إلى هذا البلد وتحرص على توجيه المسلمين هناك ، سيغير الوضع ، ويثير فيهم الشعور الكامل بالمسئولية الدقيقة ، ويطبقون عليهم خطة الدعوة المنصوصة في كتاب الله تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾

ليس المسلمون في العالم كله هم الذين يتطلعون إلى إخوانهم الروس ، ويتمنون لهم حياة سعيدة في ظل الشريعة الإسلامية ، وتحت راية الإسلام الخالدة ، وإنما الجهات العالمية كلها متطلعة نحو هذا الجزء الحساس من العالم ، الذي كان يشكل أقوى معسكر عالمي سياسي أيام الحكم السوفيتي ، ذاك أن انتفاض العقيدة الإسلامية من ركام الفلسفات المادية الرخيصة وانهيار الحصار الفولاذي حادث ليس بهيّن . ويزيد من أهمية هذا الحادث أن جميع وسائل القمع والارهاب والاذابة فرضت على هذه العقيدة التي أريد لها النهايةالأخيرة من غيرعودة ، ولكنها لم تتضرر وعاشت في غضون القلوب ، وحالت دون ذوبان المسلمين في بوتقة الشيوعية عقيديا وإن كان ظاهرهم لا يختلف عن الجماهير .

ولا شك لقد أعظم المسلمون في كل مكان حادث سقوط الشيوعيين ، وانهيارفلسفة الشيوعية في مهدها ، وهم يرون إخوانهم أحق بالرعاية والاهتمام من غيرهم ، ويعلقون بهم آمالاً جساماً فيما إذا قدر الله أن تعلو كلمة الله على أيديهم ، ويقوم حكم الإسلام بدورهم ، وينال الإسلام

رفعة وعلواً ويستعيد تاريخه السابق ويبتدئ به عهد زاهر جديد تكون فيه القيادة بيد المسلمين . وتعلو فيه كلمة الله . وتنال فيه الإنسانية المعذبة الشقية التي سيطرت عليها الفلسفات المادية والأنظمة الواهية الجاهلية ، عزة وكرامة ومكانة عالية . . وتخرج من جحيم الأنانية والشهوات والحضارات الزائفة إلى رحاب العقيدة والعلم والإيمان وساحة الحب والاخوة والحنان ، حيث تذوب جميع فوارق الجنس واللون والدم والوطن واللغة ، وتتلاشى أبعاد المسافات القبلية والنسبية والترابية . ويقف الناس كلهم على رصيف واحد ، ويجتمعون على صعيد واحد ، لا يجمعهم إلا العقيدة ، ولا يوحدهم إلا الدين ، ولا يظلهم إلا راية الإيمان ، شعارهم : « إنما المؤمنون اخوة » وعقيدتهم « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ومثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ويجب أن لا يفوتنا الاهتمام بالمسلمين في بلدان العالم ، ودول أوربا الشرقية كذلك ، حيث يتماثل الوضع في القضاء على الشخصية الإسلامية وصهر المسلمين في بوتقة الإلحاد والمادية ، وقد أراد الله بهم خيراً فأنقذهم منها ، ولكنهم بأشد حاجة إلى بديل أفضل لكي يتسنى لهم العيش في ظله ، وإلا فإنهم يرتمون إلى أحضان الحركات المشبوهة والمذاهب المادية والديانات الأخرى ، فإن لدعاتها جولة وصولة في اصطياد المسلمين هناك ، ولديهم وسائل هائلة لتحقيق برامجهم .

ونحن أولى برعاية المسلمين في هذه الدول ، وتقديم الإسلام إليهم كأفضل بديل ، يتكفل بالسعادة والفوز بالحياة المطمئنة تحت ظل الشريعة الإسلامية الخالدة . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي
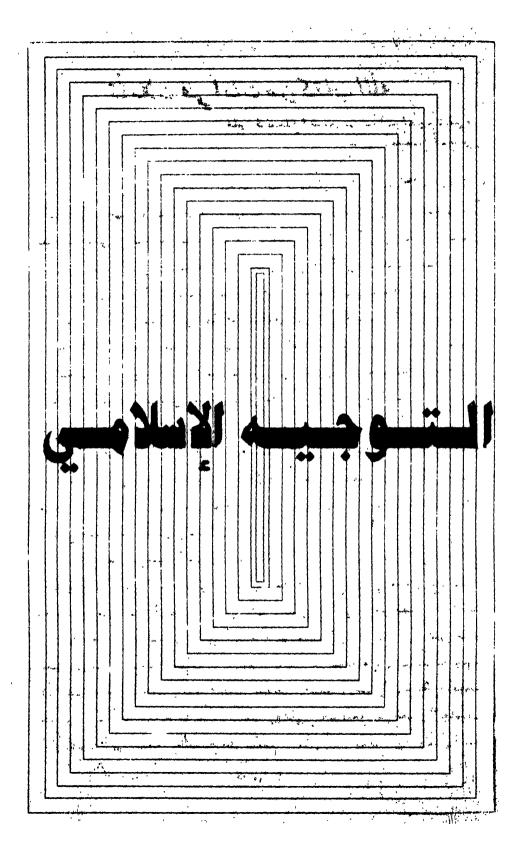
تأملات في آيات من كتاب الله

بقلم : فضيلة الشيخ محمد ابراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

كثير من آيات الكتاب تحكي لنا بإيجاز قصة وقعت ، أو حادثة كانت لا نعرفها إلا بالوقوف عليهـــا من أسباب النزول . لذا فإن من القواعد التي اعتمدها المفسرون في تفسير القرآن الكريم . معرفة سبب النزول ، لأنه يعين ويكشف عن المعنى المراد الذي قصدت إليه الآية القرآنية التي قد تكون غامضة المعنى . فإذا وقفنا على سبب النزول بانت لنا خفاياها و وصلنا إلى معناها الدقيق المراد . فكتاب الله عز وجل لا يؤخذ إلا بطريقة خاصة . فإن جهلت هذه الطريقة فقد جهلت الآية نفسها . وتفسيرها بغير هذه الطريقة تقول على القرآن . وقول فيه بالرأي . وكلاهما مذموم لا يحسن بمؤمن يؤمن بكتاب الله ويرجوه ليوم الحساب أن يأتي واحداً منهما .

ونحن مع القرآن في آياته نقف من كل آية على وجه من وجوه الإعجاز . وهي وجوه تتقارب أقدارها لأنها من معين واحد هو معين الوحي . بيد أن أعلى هذه الوجوه في ظني أنها جميعها كانت لإيجاد مجتمع الصحابة الأمثل وقد كان .

لما حاصر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير . على أن يسيروا إلى اخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام . فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم . لأن عياله و ماله و ولده كانت عندهم . فبعث رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى . أننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا . قال أبو لبابة : والله ما زالت

قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله . فنزل فيه قول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ فلما نزلت هذه الآية شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي . فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه . ثم تاب الله عليه . فقيل له يا أبا لبابة . قد تيب عليك فقال : لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني . فجاءه فحله بيده . ثم قال أبو لبابة : إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب . وأن أنخلع من مالي . فقال له رسول الله ﷺ : يجزيك الثلث أن تتصدق به .

هذه قصة من قصص القرآن . أوجزتها لنا آية إيجازاً شديداً . فأصبحت قادرة بذلك الإيجاز على استيعاب كل قصة تشبه هذه القصة من قريب أو من بعيد . وكل مخالفة أو ذنب يرتكبه الإنسان المسلم يحس معه أنه قارف إنما دخل به في دائرة الخيانة لله ولرسوله . والقصة أو الحادثة كانت تفسيراً عملياً للآية . فإذا ما قرأها المرء أحس أنه يقرأ قصة أو حادثة لا للزمان الذي وقعت فيه وإنما لكل زمان يأتي من بعدها . يقع فيه ما يماثلها أو يحاكيها . فإذا هي قصة جديدة طريفة حتى لكأنما وقعت في ساعة قراءة الآية التي نزلت بسببها . والصحابي الواحد الذي كانت تدور حوله أحداث القصة القرآنية يكون هو النموذج المشخص لقارئ الآية تلك . ليعلم قارئها كيف يجب أن يكون من هذه الآية . فيكون رضي الله عنه المعلم العملي الذي يحمل من بعد موته للأمة القناعة العاملة على التقيد والامتثال لكل ما تشير به الآية أو الآيات .

ونحن في هذه الآية مع أبي لبابة رضي الله عنه. ذلك الصحابي الذي كان عنده بعض مودة لبني النضير . فيأتيهم بأمر رسول الله ﷺ . وعندما يستشيرونه يشير لهم بيده إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا . فما زالت قدماه عن موضعهما حتى أحس بعظم الخيانة التي ارتكبها . فتأنق عليه

الندامة أقطار نفسه . وتثقل الخطيئة على صدره . ويفكر في أمره هو بنفسه . ماذا يكون من بعد . انه ليعلم أن الوحي سينزل بأمره هذا . فالفضيحة واقعة ولا ريب . ولكن لا يدري متى ينزل الوحي بها . فهل ينتظر حتى يسبقه الوحي بهذا . أم يعجل فيعلن هو عنه بتوبة نصوح لم يسبق لمثلها ؟

صراع يحتدم في قلبه . ولكنه صراع في قلب مؤمن . في قلب صحابي ائتمنه رسول الله ﷺ . فزل تلك الزلة بمناصحته اليهود التي أحس بها قبل أن تزول قدماه من موضعهما . هذا لعمري هو الإيمان . الإيمان الذي يتضاءل أمامه كل إيمان بعد ذلك العهد النبوي المثالي . فليعاقب هو نفسه عقوبة تمحو تلك الزلة . وتغسل ندامة قلبه . وتكون مثلاً لكل من يعلم بخطيئته . فماذا يكون فاعلاً ؟

يأتي إلى سارية في مسجد الرسول ﷺ فيربط نفسه بها . ويختار سارية في المسجد لأنه المكان الذي يغشاه الصحابة كلهم . وسوف يتساءلون عن نبأ أبي لبابة . فيأتيهم الجواب من حاله الذي هو عليه فلا يخفى على أحد البتة . فتكون التوبة بمثل هذه الطريقة سبيلاً إلى إعظام وإكبار من يفعل في نفسه مثل فعل أبي لبابة . فينال بذلك التوبة والقبول عند الله . والإكبار والإعظام من الناس . فيجمع بين حب الله له وحب الناس . وإن كان لا يخطر في مثل بال أبي لبابة ذلك . ولو خطر شيء منه لكشفه القرآن وأبانه . كما كشف خيانته وأبانها أول مرة . وهل يخطر ببال إنسان – إلا أن يكون إيمان لا يعدله شيء – أن يعري خطيئة للناس بحيث يرونها جميعاً وقد سترها الله عنهم ؟

ولا يكتفي أبو لبابة بربط نفسه . فبعد أن تأتيه التوبة من السماء . ويقال له لقد تيب عليك . فيقول : لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني . فجاءه صلوات الله عليه فحله بيده .

لقد أراد أن يكرمه الرسول على مرأى من الناس . فينال شرف التوبة على يديه . بأن يحل وثاقه بيده الشريفة . فكان له ما أراد . ثم لا

لقد عزم على
يريد أن يظل مقيماً بأرض تذكره بذنبه الذي اقترفه.
مجرماً حتى ولا يظل ذكر [illegible] بقلبه [illegible]
صحبته لرسول الله ﷺ. وكان له مال فأراد أن ينخلع من ماله كله
تعبيراً عملياً عن شكره لله عز وجل. أنه قبل توبته.

فماذا يا ترى نحن
إن في هذه القصة عبرة لنا معاشر المسلمين اليوم.
قائلون لربنا ونبينا يوم القيامة. والخيانة لله ولرسوله تحيط بنا من
كل جانب، ولا نرى فيها ما يحملنا على المبادرة والإسراع بالتوبة قبل
أن تحل الساعة التي لا تنفع فيها التوبة.

فكم على
إذا كان أبو لبابة قضى سبعة أيام حتى يتاب عليه.
الواحد منا أن يقضي ليتوب الله عليه. لكن عفو الله واسع والرجاء فيه
لا ينقطع. فلنبادر إليه بالتوبة. وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن كثير.

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا. عسى ربكم أن يكفر
عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. يوم لا يخزي
الله النبي والذين آمنوا معه. نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾

المرأة ودورها في التوجيه والتربية

[الحلقة الأولى]

[هذه كلمة تحية ألقاها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بلغة اردو في حفل توزيع الشهادات لجامعة نور الإسلام للبنات، التي أسسها الدكتور محمد اشتياق حسين القريشي في مدينة لكناؤ، و ذلك بمناسبة تخرج الفوج الأول للبنات من مرحلة «العالمية» في ١١/١٢/ من شوال ١٤١٢هـ وقراءتهن الدرس الأخير للبخاري على سماحته، حفظه الله تعالى]
[التحرير]

تعريب : آفتاب عالم الندوي

يقول الله عز وجل : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (١) .

لقد ذكر الله في هذه الآيات عشر صفات كريمة، ولم يكتف بقرن الاناث مع الذكور والإشارة إلى أنه لا فرق في الأعمال الصالحة والصفات الكريمة بين الذكور والإناث، بل بالعكس من ذلك يفرد الصفات صفة صفة، فإذا وصف الذكور بها وصف الإناث بنفس الصفة وأفردهن بالذكر، وإن طال البيان، مما يدل على مدى محبة الله مع إمائه ومدى اتساع الإمكانية والمجال لهن للتميز في كل صفة كريمة وعمل جليل والتحلي بفضائل الأعمال ومكارم الخلق، كما يشير ذلك إلى أن كثيراً من الديانات القديمة والنظم الخلقية كانت تعتبر المرأة سقط المتاع وتعتبرها فاقدة الصلاحية لاحراز كثير من الفضائل والمكارم الخلقية، وستسبق

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٣٥.

ذلك المطلعون على الديانات والخلق - ولم يكن ذلك عاراً بالنسبة إليها ، فذكر الله تعالى هذه القائمة الطويلة للصفات الكريمة والأعمال الصالحة لكي نعرف أن الله تعالى يحب إماءه ويعطف عليهن كما يحب عباده ويعطف عليهم ، وصفاته من الرحمة والربوبية تشمل الإناث والذكور كليهما وتفيض شآبيبها عليهما على السواء ، وكان من الممكن كليا أن يكون مجال الإيمان واليقين والطاعة والعبادة والصدق والاخلاص ، والصبر والايثار والخوف والانابة والصدقة والبر ، والعفة والحياء حكرا على الرجال ، فإن هذه الصفات والميزات وهذه الانتصارات والمهارات تتطلب همة لا تفتر وعزما لا يتزحزح وجهودا وتضحيات لا تعرف الخمول والنفاد ، وكثيرا ما بل تماما تذكر أسماء الرجال فقط في تاريخ الديانات والاخلاق والثقافة والمدنية ، ثم إن هناك مسئوليات و واجبات تثقل كواهل النساء بصورة خاصة والرجال منها برآء ، مثل مسئوليات الشئون العائلية وتربية الأولاد ولباسهم وغذائهم وعيادتهم والرقابة عليهم ، وكان من الممكن تماما على الأقل بالنسبة إلى الولاية أن تقتصر معرفتنا على مئات بل ألوف من البررة والاتقياء والصالحين وأن لا نعرف ونسمع حتى اسم امرأة واحدة في هذا المجال الهام ، لكن هذه القائمة النيرة يتجلى فيها اسم السيدة رابعة البصرية ، واسمها معروف حتى اليوم ، وكم من صبية تسمى باسمها تيمنا وتبركا ، وإن كتب التزكية والإحسان والسير والتراجم والتاريخ ليؤرخ بعباداتها وكراماتها وخوارقها وعظمتها وقبولها وتجاوبها الحار ، وبذلك فكثير من البررة والاتقياء والصالحين والعارفين فربيتهم الروحية والخلقية رهن لأمهاتهم الصالحات وقصارى جهودهن ، وقد اعترفن بذلك بأنفسهن ، ويستحيل لي أن أذكر هنا في هذه العجالة أسماء جميعهن ، وإنما نذكر كنموذج أشهر الصالحين وأتقى العارفين الشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه ، والشيخ المعروف في

تاريخ الهند وسلطان المشايخ السيد خواجه نظام الدين فلو درسنا كتب سيرهما وتراجمهما لعرفنا مدى اهتمامها بذكر تربية أمهاتهما وصفاء جوهما وصلاح بيئتهما . ولأدركنا مدى شعورهما بفضل ذلك كله في تثقيف حياتهما وتجلية خلقهما وتصفية وتزكية قلوبهما .

وما يؤسفني بالنسبة إلى نشر المواهب العلمية والخدمات الثقافية الجليلة أن كتب التاريخ الباحثة في فضلاء الأمة تتجاوز المئات بينما الكتب المتناولة بسير فاضلات الأمة قليلة جداً . لكن مؤلفي كتب السير والتراجم - رغم ذلك - لم يهملوا النساء كليا . فقد ترد إلينا بعض أسمائهن في مجال العلوم الدينية والانتاجات الأدبية . وهنا أضرب لكم مثلا مشرقا واحدا فقط من الهواية العلمية ونجاح الشغف العلمي والدراسة المضنية الناجحة مثلا يثير الدهشة والإعجاب والانبهار والاستغراب حتى فيمن له أثارة من العلم والمعرفة والاطلاع :

هل تعرفون أي كتاب مكانته أعلى وأسمى من كل ما تحويه المكتبات الإسلامية العلمية في طياتها بعد كتاب الله ؟ هو الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله الذي لقب كتابه بـ « أصح كتاب بعد كتاب الله » ولا شك أن هذا الجامع الصحيح معيار الفضل والكمال لكل معهد ومؤسسة . و مناسبة قراءة الدرس الأخير للبخاري تعد مفخرة ونعمة من الله تستوجب الشكر لكل مدرسة و جامعة مهما كانت واسعة وكبيرة . و قد تم هذا الاحتفال في هذه المدرسة كذلك . فهل تعرفون عمن بلغ هذا الكتاب الجليل في الهند و في معظم مراكزها و معاهدها . إنه برواية مرأة فاضلة تسمى « كريمة » و قد ورد ذكرها في كتاب موثوق به على ما يأتي :

« كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية محدثة كانت تروي صحيح البخاري . قال ابن الأثير انتهى إليها علو الاسناد للصحيح . عاشت تقريباً مائة سنة أصلها من مرو الروذ . ووفاتها بمكة . ويقال لها أم

الكرام ، وبنت الكرام »(١) .

إليكم الآن مجال الأدب ، حيث نلتقي بولادة بنت المستكفي الأندلسية ، وكانت بنت شخصية عبقرية من عبقريات حكام الأندلس (أسبانيا) ، وكانت محرزة لقصبات السبق في مجال الذوق الأدبي والفطانة وبعد النظر وتفهم أسرار الأمور وخفاياها ، واسمها مشرق يتجلى في الكتب في هذا الموضوع ، وكان بلاطه الشعري والأدبي يرصع ويزين كما يزين بلاط الأمراء والسلاطين ، وكان كبار الأدباء واللغويين يضربون إليها أكباد الإبل (٢) .

أما مجال الهمة والعزيمة والتضحية والإيثار وعاطفة الجهاد والحماس فيكفي لذلك مثال واحد يندر وجوده لا في تاريخ الإسلام وحده بل في تاريخ العالم أجمع ، وذلك أن السيدة خنساء رضي الله عنها تعد في طليعة الشعراء الذين حازوا الثقة والحجية في اللغة والأدب ونالوا الشهرة الفائقة في ميدان الفن والشعر ، وكان توفي لها أخواها فرثت لهما رثاء مثيراً ومؤثرا ينقطع نظيره لا في المراثي العربية بل في مراثي اللغات الأخرى في العالم ، هذه حالها قبل أن تدخل في حظيرة الإسلام ، وخنساء هذه لما احتضنت الإسلام حدثت ثورة عظيمة في نزعتها وعقليتها ، فالمرأة التي جعلت البكاء والنحيب على إخويها شعارا لها وعادة ، واقتصرت شاعريتها على ذلك ، ومن المعلوم لدى الجميع و لا سيما لدى أخواتنا وبناتنا أن الأخ والابن بينهما فرق كبير ، فالمحبة مع الأخ مهما اشتدت وتعمقت لا تعدل المحبة مع الابن إذ هو فلذة الكبد وقرة العين وجلاء البصر ولحب من النفس ، فخنساء هذه دعت أبناءها بمناسبة إحدى الغزوات وودعت منهم واحدا واحد ، وقالت لم أرضعكم إلا لأجل هذا

---

(١) الاعلام للزركلي ، ج/٦ - ص/٧٨ .

(٢) أيضاً ، ج/٩ - ص/١٣٥-١٣٦ .

اليوم . فانفروا في سبيل الله . وارفعوا مكانتي عند الله . وبعد ذلك وقفت تتلقى نبأ شهادة واحد تلو الآخر . و لما تلقت نبأ شهادة ابنه الأخير لم تتمالك أن قالت ويا حسن ما قالت :

« الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم » (١) .

وهناك مجالان إضافة إلى هذه المواهب والصلاحيات والصفات أحرزت النساء فيهما قصبات السبق . والخدمات التي تستطيع النساء تقديمها في هذين المجالين . والدور الريادي الذي يستطعن أن يقمن به في استمرارية السلسلة السلالية للأمة الإسلامية بل في استمرارية السلسلة العقدية و الخلقية و العقلية و الثقافية فذلك حظهن خاصة لا يتقاسمهن أحد . ولو لم تقدم النساء مساعداتهن الغالية في هذا المجال في كل عصر ومصر بل ولو لم يتحملن مسئولية ذلك على عواتقهن ولم يبذلن قصارى جهودهن لتحقيق ذلك فإنه لن تدوم وتقوم هذه السلسلة المعنوية التي هي عين قيمة هذه الأمة والحجة على ضرورتها وصالحيتها وقيمتها .

العادات والصفات والمعتقدات التي يتلقنها الصبي من أمه المدرسة الأولى . فإنها تختلط بلحمه ودمه وتصبغ لحمته وسداه وتتغلغل في أحشائه . ولا غرابة فإن الأمهات هن المدرسة الأولى وهن البذرة الأساسية فإذا كن غارسات طيبات كان غرسها قد حسن وطاب . ومن هنا ركز اخصائيو التعليم والتربية كثيرا على أن الآثار والملامح التي ترتسم على لوح عقله الساذج في البداية فإنها لا تنطمس أبداً . وإن حسبناها مندرسة ومنطمسة لكنها في الواقع لا تنطمس وإنما هي تنضغط وتختفي . وما هي إلا طعنة أو طعنتان حتى تنكشف وتنجلى . وبعد الاعتراف بهذا الواقع تتفاقم مسئولية الأمهات والمعنيين بتربية الأولاد وتثقيفهن . وإنهن يستطعن أن يرسمن آثارا طيبة خلابة على

---

(١) كتب التراجم والتاريخ .

الواحهم البسيطة . وليس في وسع طاقة أو تعليم أو تربية أن تمحو هذه الآثار العميقة بيسر وسهولة .

الأمهات والمربيات والنساء اللائي من مؤثرات ومحترمات في البيوت لا تقتصر مسئوليتهن على أن يلقن الأولاد اسم الله واسم رسوله ويحفظنهم الكلمة الطيبة . وأن يعلمنهم الصلاة إذا حان موعدها . حتى يتعلم الأولاد تلاوة القرآن الكريم . ويقدروا كذلك على فهم الأردية وقراءتها وذلك في عصر تتمتع فيه اللغة الهندية في الهند وخطها بالسيطرة ومئات الآلاف من الأولاد المسلمين والمسلمات لا يقدرون حتى على كتابة سطر واحد في الأردية بل وكتابة أسمائهم وذكر أسمائهم شفويا . وهناك أمثلة لا يحصيها عد . وقد ظهرت نماذج ذلك مع الأسف في مجالس المقابلات وتقديم طلبات الدخول في المدارس أو الاشتغال بمنصب و وظيفة . وليس ذلك إلا نتيجة سيئة ومصيرا مشئوما لاهمال التعليم والتربية في داخل البيوت و قلة المبالاة بتعريف التاريخ الإسلامي وتاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . والصحابة الكرام والأزواج المطهرات وأهل البيت رضوان الله عليهم وقادة الأمة وزواد الدين . للبراعم والناشئين .

(يتبع)

﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾

(الحلقة الأولى)

دكتور / محمد بن سعد الشويعر

شرف الله البشر ، وميزهم عن سائر المخلوقات بالعقل ، الذي هو نعمة كبيرة ، لا يعرف قدرها إلا من تبصر فيه ، وقارن بين فضل الإنسان ، ومكانة الحيوان .

فبالعقل فضل الله البشر بعضهم على بعض رجاجة ، وإدراكاً ، وفهماً واستيعاباً ، وبمنزلة العقل تتفاوت مراتب الناس بالعمل ، وقدرة في استظهار الأمور ، وبالعقل وتسخيره فيما ينفع تتباين منازل الناس ، وتتفاوت مراتبهم ، طبقاً للمنهج السليم الذي ارتضاه الله للبشر بما شرع لهم من أحكام ، وبما وضع أمامهم من أوامر وزواجر ، كما اخبر الله جلت قدره بقوله الكريم وقوله الحق : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (١) .

ويأتي في مقدمة من فضله الله بعد الأنبياء : العلماء العارفون بشرع الله ، المستظهرون لأحكام دين الإسلام ، الذين يستقون ذلك من مصدري التشريع اللذين لا يتطرق إليها الشك ، ولا تتسرب إليها الظنون : كتاب الله ومنه نبيه الكريم ﷺ ، ولذا جاء في الأثر : « أخوف الناس من الله ، أعرفهم بما أنزل الله » إذ كلما زادت المعرفة بالله ، والتعمق في فهم ما

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

هذا العقل الذي منح الله للبشر يستوجب الحرص على استعماله فيما ينفع ، وتوجيه النفس عن طريقه للبحث عن المعرفة النافعة ، والتماس المصلحة المفيدة .

كما يستدعي السيطرة على الجوارح بألا تعمل إلا بما فيه النفع والسعادة : النفع العاجل ، والسعادة الآجلة بالنعيم المقيم .

فقد كان المتعمقون في فهم مكانة العقل ، يدركون دوره في السيطرة على النفس وتوجيهها ، بأنه ملك الجوارح ، الذي يوجه فيطاع .

وعصرنا الحاضر الذي نعيش فيه ، قد تداخلت فيه مصالح الأمم ، واتصلت فيه أجزاء المعمورة ، وعرف الناس في داني الأرض ، أسرار قاصيها ، فصار سكان المعمورة على اختلاف نزعاتهم و تعدد دياناتهم ، عبارة عن مجتمع واحد ، إذ ربطتهم الوسائل الحديثة ، من مواصلات وإعلام ، فتداخلت المصالح ، واحتكت الشعوب ببعضها ، وعرف بعض الناس هناك ، عادات الشعوب هنا ، وتعلم بعضهم علوم الآخرين الدنيوية ، واستمدوا من بعضهم كل ما تحتاجه حياة الفرد اليومية ، مما هو ضروري ومستكمل .

وقد زاد الأمر ارتباطاً ، والعلاقة توثيقاً : تشابك المواصلات الناقلة للبشر ، والناقلة للصوت ، وتشابك وسائل الإعلام المختلفة : من مسموعة أو مقروءة أو مرئية ، مما زاد في امتزاج الثقافات ، واختلاط العادات .

ولقد كانت الثقافات إلى زمن قريب تعطي طابعاً مميزاً لكل قطر عن القطر الآخر ، بل تستقل ثقافة البلد أو القرية عن البلد الآخر أو المدينة القريبة ، حتى إن ذلك يكون في القطر الواحد وفي المدن المتجاورة .

ولما كانت الأقطار الإسلامية في أنحاء المعمورة ، يجب أن تكون

ذات صبغة مميزة في ثقافتها وإعلامها وتوجيهها لأبنائها ، وفي طباع أهلها ، وشخصية شبابها ، فإنها أيضاً في حاجة إلى الحرص على هذه الثقافة المتميزة بالاهتمام والترشيد ، والحرص علىٰ المحافظة والإبقاء على الإطار العلمي المستمد من أصالة الإسلام ، وصفاته ونقاوته ، تلك الخصال التي تستمد من بعده عن النزعات الشخصية ، والأهواء الذاتية ، فقد كان رسول الله ﷺ : يخشى على أمته العلماء المضللين ، وهم الذين يفتون بغير ما أنزل الله فيضللون ويضلون .

وخوف رسول الله ﷺ هذا ، يعني أنه في وقت من الأوقات سيأتي أناس يدعون العلم ، ويتجرأون بالفتيا ، لأن فيهم نزعات بحب الظهور ، ولديهم رغبة في التعاظم ، وجرأة على شرع الله ، وقلة خوف من الباري جل وعلا .

فيظهرون للناس بلباس العلماء ، ويتعالمون بما لم يدركوه . . وهنا تحصل الكارثة على المجتمع ، وتكثر المصائب لدى الأمة .

فبعض أفراد المجتمع يبحثون عما يسهل القضايا التي انخرطوا فيها ، ويفرحون بمن يبيح لهم المحرمات التي انتهكت ، من باب : اجعل بينك وبين النار مطوعاً ، مع أن هذا مخالف لشرع الله بموجب النص ، كما نهي المسلم عن تتبع الرخص .

وهؤلاء المتعالمون الذين خافهم ﷺ على أمته هم سبب البلاء ، وبداية المصائب والكوارث ، لإضلالهم المجتمعات ، وتعمية الحق على عيون أبناء أمة ، وفي من يعمل هذا العمل ، أو يرضى لنفسه تبوء مكان ليس من أهله تشبه بالنصارى ، الذين قال الله فيهم : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (١) ، وعندما سمع عدى بن زيد هذه الآية ، وكان نصرانياً ثم اسلم ، قال للنبي ﷺ : يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم ؟؟!!

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

فأراد رسول الله ﷺ أن يقنعه بأسلوب التقرير، لأنه أدعى للتمكين في نفس السامع، وأفيد في ترسيخ المعلومات وتأصيلها، وذلك بصياغة الجواب على هيئة سؤال، حتى يجيب المسئول، وهو في نفس الوقت السائل، وهذا من باب رد الجواب من السائل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ: أليسوا يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟! قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم (١).

وهذا الجواب والحوار، يتقرر منه، دور العالم الورع في إصلاح المجتمع وتأثيره، إذا ضعف الوازع الديني من نفسه، ولم يراقب الله عز وجل في علمه، ولم يحجزه ورعه عن إفساد المجتمع وتوجيه أبنائه للضلال والغواية.

ولذا قال العلماء في تفسير الفاتحة: « إن المغضوب عليهم: هم اليهود الذين أعطاهم الله علماً لكنهم لم يعملوا به، وبينوا للناس ما يتفق مع رغباتهم، وأن الضالين: هم النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال » (٢).

ومن هنا جاء التأكيد علي مكانة العلماء، ودورهم في إصلاح الأمة، وتحذيرهم من الجرأة على الفتيا بغير علم، و أجرهم الجزيل إذا احتسبوا جهدهم وعملهم في التوجيه والإرشاد، وذلك وفقاً أمر الله من حيث البذل في التحصيل، والحرص على التوثق والدقة، واليقين فيما يأخذون، والتثبت من المصادر، ثم الورع والتقى، مع التواضع ولين الجانب في العطاء ومعاملة الناس، وأن يكون تبصير الناس مقروناً بالمعرفة التامة، والدراية الشاملة.

---

(١) راجع تفسير الطبري، ج/١٤- ص/٢١٠.

(٢) راجع تفسير ابن كثير، ج/١- ص/٢٠.

والأحاديث الكثيرة التي جاءت في فضل العلماء . وأنهم ورثة الأنبياء . تدل على أولئك العلماء الذين يحجزهم دينهم . ويحميهم ورعهم عن التحدث بغير علم يقيني .

يقول رسول الله ﷺ : « إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً . وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (١) وحق العلم : التبليغ والاحتساب .

ثم يقول ﷺ في موطن آخر : يحث العلماء على نشر ما أعطاهم الله من علم . على الملأ ليستفيد الناس منه . ولتكون دائرة حصيلة واسعة . كالشجرة الوارفة يمتد ظلها تبعاً لامتداد أغصانها . فيتفيأ بها الناس . ويكثر عدد المنتفعين . تبعاً لاتساع هذا الظل : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » (٢) .

فإذا كان رسول الله ﷺ يوكد على صحابته . وهم خير القرون . والصفوة من هذه الأمة في التواضع . وتبليغ العلم . لأنه أمانة يجب أن تؤدى . وكنز يجب المحافظة عليه : من الآخذ والمعطى .

إذاً فالحاجة أشد في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأهواء . واشتدت فيه النوازع الشخصية . وضعف فيه الوازع الديني . الذي يحمى النفوس . ويحجزها عن القول بغير معرفة . أو البحث عن الجاه والشهرة بغير علم .

ذلك أن منهج العالم التقى المحسن هو التحري في القول . والقدوة الصالحة في العمل . والورع أمام الله خضوعاً لأمره سبحانه . وخوفاً من عقابه بالقول عليه وعلى رسوله بغير حق . وقد وصف الإمام الشافعي رحمه الله منزلة العلماء بهذين البيتين :

---

(١) رواه البخاري . ج/١- ص/٢٥ .
(٢) حديث صحيح رواه الترمذي . وابن ماجة .

وعالم بفلسفة لم يعمل ... معذب من قبل عابد الوثن

كذاك من بغير علم يعمل ... أعماله مردودة لا تقبل

ويلمس مثل هذا في كثير من أقطار الدنيا ، قديماً وحديثاً ، بخروج زعامات دينية أو دنيوية ، يتحدث أصحابها بلين القول مما يلامس أوتار قلوب الناس روحانياً ، المتعطشة للعلم ، والحريصة على الأخذ ، لكن بعض أولئك المتحدثين يسلكون في أقوالهم وأعمالهم ، بما يسير وفق منهج اليهود والنصارى في معالجة ما حل بالناس ، وتخفيف الأمور عليهم ، وتسهيل أمور حياتهم ، بما يخالف شرع الله الذي شرع لعباده ، ويسلك البعض الآخر طريق التشديد والتنفير ، مما يحدث أثراً عكسياً ببغض دين الإسلام ، والتباعد عنه وكأنه يقف حائلاً دون الإنسان والانتظام في الحياة .

وبهذين الطريقين استحق اليهود والنصارى المقت من ربهم ، والغضب الشديد الذي يستوجب العقاب الأليم ، حسبما جاء خبر ذلك بنصوص القرآن الكريم .

والمسلم الحريص على دينه ، ومكانة أمته ، يخشى على المجتمع الإسلامي في أي مكان أن تظهر فيه مثل تلك البادرة ، وأن تتسرب في جنباته وبين الشباب منهم خاصة ، حيث تدفعهم الحماسة والغيرة في البداية .

مع أن من معجزات النبوة التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ ، أن أمته ستأخذ بمثل ما أخذ به النصارى ، وستسير على ما سارت عليه اليهود ، من تبديل وتبديل لشرع الله حسبما تصف الألسنة ، وتميل إليه الأهواء ، وذلك في آخر الزمان ، عندما قال صلوات الله وسلامه عليه : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟! فقال ﷺ :

فتن »!! أي من المحن غيرهم . رواه الإمام أحمد والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم » (١) .

فإن ذلك حقيقة حتمية وإخبار سيقع . وحتى يبتعد المجتمع الإسلامي الحريص على الامتثال والعمل . خطوات قليلة عن ذلك الزمن الآتي بلا ريب : من حيث الاتباع للأمم الضالة المنحرفة . التي تكذب على الله ، وتتقول على رسله مالم يقولوه ، وتغير شرعه الذي شرع لعباده ، وتبدل فيما أنزل الله من كتب وتشريعات . على لسان أنبيائهم ، فإن أفراد المجتمع وعلماءه . مدعوون إلى التمعن في أمثال هذه النصوص الكريمة ، ثم تطبيق ذلك عملاً . والحرص عليه متابعة ومثابرة . قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٢) و قال سبحانه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾ (٣) وقال جل وعلا : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٤) وقال تبارك و تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٥) وغير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة . التي تنبئ عن فضل تبليغ العلم ، وتقوى الله في أخذه و عطائه والسؤال عنه . فالفرد أياً كانت مكانته وإقامته . مأمور بسؤال أهل العلم عما يهمه في أمر دينه ، ويصلح دنياه ، حتى يؤدي ما افترض الله عليه عن علم وبصيرة .. والسؤال المأمور به ، هو عن كل أمر يجهله ، وعن كل أمر لا يعلمه . ليأخذ العلم عن أهله . وليكون على بينة في عبادته لخالقه ، وتعامله في مجتمعه ، عاملاً في كل تصرفاته وفق ما أمره به دينه بعيداً عما نهاه عنه .

ذلك أن كثيراً من الناس قد انصرفوا بجهودهم ، ووجهوا طاقاتهم ،

---

(١) انظر اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للشيخ حمود التويجري ، ج١/ - ص/٢١٩-٢٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٧ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٤٤ .

(٤) سورة الزمر ، الآية : ٩ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

إلى أمور دنيوية بحتة من حيث التعلم والعمل . فمن واقع الحال من هذا أمره . فإنه سيمر به أمور يجهلها ومسائل تخفى عليه : في معاملاته وسلوكه . وفي عباداته وتصرفاته . فيتحرك فيه الجانب الإيماني . وتهتم نفسه بما يجب أن يؤديه مما افترضه الله عليه أولاً . ونحو النفس والمجتمع ثانياً . فلا يجد [illegible] الله - إلا عند أهل الذكر . وهم من أعطاهم الله جل وعلا مرتبة علية . وفهماً واستظهاراً للعلوم الشرعية . و ورعاً يحجزهم عن التجرأ في القول بغير علم . وإحساناً وتقوى يسيطران على قلوبهم وجوارحهم وأحاسيسهم بمراقبة الله في كل أمر : صغر أم كبر .

هذه الفئة التي أمرنا الله باتباعهم . وأخذ العلم عنهم : سؤالاً واسترشاداً . إذا توافروا في المجتمع . وانتشروا بين الأمة . فإن ذلك المجتمع بخير . وتلك الأمة لا تزال على هدى من ربها .

فمجتمع يحرص على أخذ العلم أعطاهم الله العلم . ويستظهر ذلك تطبيقاً وعملاً . وحرصاً واهتماماً . فإنه مجتمع يعتز بأبنائه العالمين . وبعلمائه المخلصين الورعين .

والمفسرون رحمه الله يرجعون أهل الذكر الذين أمر أبناء المجتمع بسؤالهم عند عدم العلم . واللجوء إليهم عند قصور الفهم . بأنهم ورثة الأنبياء الذين وصفهم رسول الله ﷺ في الحديث الذي مر بنا . . وهم من أخذ العلم بورع وتقوى . وبلغه بحب نشر العلم . أداء للأمانة . وامتثالاً لأمر الله جل و علا . و اقتداء برسول الله ﷺ . و تجنباً لحب الشهرة النفسية . أو الافتخار والتعاظم . وتواضعاً أمام راغبي الفائدة . وخشيه لله جل وعلا . فيما يبلغه للناس من علم . حتى لا يضلهم . ويوقع نفسه في المهالك (١) .

---

(١) راجع في فضل العلم ومكانه التبليغ صحيح البخاري . ج/٢- ص/٢١-٤٠ وصحيح مسلم . ج/٥- ص٥٢٢-٥٢٢ .

التعليم العالي للنساء

المشكلة في إطار عمل إسلامي

(الحلقة الثانية)

بقلم : الدكتور أنيس أحمد
البروفيسور ورئيس قسم العلوم المنزلة الإسلامية والتراث
الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

المساواة الشرعية والأخلاقية :

وفي إطار تلك الالتزامات الشرعية ، وفي ضوء ما سبق ، لا يحتاج الأمر منا إلى مزيد من الأدلة لكي نثبت بها أن الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة ، فهناك مساواة في الواجبات . وتلك مساواة رشيدة عادلة ، ومن هنا تصبح أية تفرقة بين الرجل والمرأة فيما يصدر من قوانين ضربا من الخروج على مبادئ الشرع والأخلاقيات ومسلكا منحرفا يتعين نبذه . فالإسلام قد سبق المشرعين من أبناء الغرب بما شرعه من قيم للعدل والمساواة بين الرجل والمرأة . لقد أوضح القرآن الكريم بشكل جلي أن ما أورده من عقوبات تسري على الرجل والمرأة على حد سواء بلا تفرقة أو تمييز سواء أكان هذا العقاب في الدنيا أم في الآخرة ﴿ لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾ (سورة النور ، الآية : ١٢) ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ (سورة محمد ، الآية : ١٩) ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ﴾ (سورة الفتح ، الآية : ٥) ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من

تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (سورة الحديد . الآية : ١٢) ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ ﴾ (سورة المائدة . الآية : ٣٨) ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ (سورة النور . الآية : ٢) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ (سورة المائدة . الآية : ٢) . ونجد أيضاً أن مصائر الرجال والنساء على حد سواء تتحدد وفق مبادئ التقوى والعدل والمعروف والبر . فالإسلام يختلف عن اليهودية والمسيحية في أنه لا يفرق بين الرجل والمرأة اعتمادا على ما تتصف به المرأة من ضعف في تكوينها الأساسي .

المساواة في المعاملات :

للإسلام موقفه الخاص فيما يتعلق بالمعاملات والعلاقات الخاصة بالأموال وهو موقف بنّاء ومحدد ومن بين الأمور التي يؤكد عليها الإسلام . يأتي في المقام الأول ضرورة الوفاء بالالتزامات . وثانيا الحفاظ على المسلك الأخلاقي القويم . وثالثا في حالة الخطأ أو السهو ينبغي على مرتكبه أن يقدم الدليل الضروري (البينة) على ذلك ..

ويترتب على هذا ، منطقيا ، أن نجد أنه في هذا المجتمع الأسرى الذي يرأسه الرجل ، يتعين أن يحظى رب الأسرة بنصيب عادل من منطلق مسئولياته والتزاماته نحو الأسرة ورعايتها وليس من منطلق ذكورته أو رجولته ، إذ أن أي قصور في ذلك من شأنه أن يحد من أدائه لواجباته الشرعية والمعنوية ، مما يعد خللاً كبيراً .

ومن الواجب أن نقرر بكل وضوح وجلاء أنه من الضروري – لتحقيق

النسيج الأخلاقي والخلقي في المجتمع الإسلامي وفي الأسرة - جذر العملية التربوية الأخلاقية والحضارية . ويتضح لنا جليا أنه لا يوجد في الحضارة الإسلامية أو في البيئة الاجتماعية التي ينادي بها الإسلام ما يمكن أن يطلق عليه « عالم الرجل » أو « عالم المرأة » كما أن الله سبحانه وتعالى قد حدد لنا أبعاد العمل ومجالات المسئولية وأسباب التفضيل بين المرأة والرجل اعتمادا على ما يتصف به كل منهما من خصال نفسية . وما يتفق وشخصية الرجل والمرأة . ان مناخ المساواة والعدل الذي هيأه الإسلام في مجال العلاقات الأسرية وفي إطار المجتمع بأسره . مناخ يقوم في ظل القيم الإسلامية وفي مقدمتها البر والتقوى والإحسان . ولعل من أبرز قيم الإسلام ومبادئه ان الحسنات يذهبن السيئات وانها تمنع من الاثم والفواحش والعدوان . ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ (سورة المائدة . الآية : ٢) .

ويعتبر هذا المبدأ حجر الزاوية في الشخصية الإسلامية وهو من الخصال المتطلبة في الجنسين في الوقت الذي يتعين على كل فرد أن يكون أميناً مع نفسه التزاما بواجباته . ويتطلب ذلك من المرء أن يتحلى بالخلق الإسلامي دون أن يقتصر ذلك على المظهر الإسلامي فحسب بل وان ينعكس ذلك أيضاً في نظراته وفي صوته وفي حركاته وفي رؤيته للأمور من حوله . يقول الحق في كتابه الكريم : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون ۝ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو

أيمانهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (سورة النور ، الآية : ٣٠-٣١) .

وحتى طريقة الكلام لم يتركها الإسلام دون أن يوضح لنا أصولها حتى لا يترك الأمر عبثا للفرد ليتحدث على هواه . فالقرآن الكريم يدعونا إلى الأسلوب الأمثل عندما يقول : ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾ (سورة لقمان ، الآية ١٩) ويمكن أيضاً الرجوع إلى (سورة الحجرات الآية :٢ - وسورة الأحزاب ، الآية : ٣٥) ويتعين علينا أن نوضح في هذا المجال أن هذه الالتزامات والتوجيهات ليست قاصرة على النساء دون الرجال ، خاصة وأن هذه الآيات لم توضح جنس المخاطب ، فكلماتها تنصرف إلى بني الإنسان عامة المؤمنين منهم والمؤمنات ، كما يقول جل شأنه : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥) ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • أولئك هم الوارثون ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية : ١-١٠) .

هذه الوصايا القرآنية التي تناولت العلاقات بين الأفراد ، من شأنها أن ترفع من مستوى الأخلاقيات وأن تقضي على كل إحساس بالاحباط .

وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تفتت المجتمع وفساده وانهياره خلقيا وأدبيا. فالقرآن ينهى عن الأعمال بل والتصرفات الدنيئة التي من شأنها أن تنال من حياء المسلم أو أن تمسه، كما جنبهما جل شأنه عن الظن والسيئة ويدعونا إلى الابتعاد عن تلك المواقف التي قد تؤدي بنا إلى مثل هذه الأعمال. وهي دعوة شاملة عامة ترفع عن التفرقة بين الرجل والمرأة أوضحها قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ ﴾ (سورة الحجرات، الآية: ١٠ و ١٢)..

ومن الخطأ أن نعتقد أن الحياء والتواضع هي صفات متطلبة في أحد الجنسين دون الآخر، ذلك أن نقاء وطهارة الرجل في أفكاره وتصرفاته هي من الأمور التي يتساوى فيها مع المرأة وفقا للمفهوم الإسلامي، من هذا يتضح لنا أن الإسلام في معاييره لا يفترض ضعفا أو قوة في أحد الجنسين دون الآخر، فتعاليمه وإرشاداته تكفل لكلا الجنسين التوافق مع القيم الأخلاقية والالتزام بها، في الوقت الذي يشاركان فيه في خلق كيان اجتماعي واقتصادي وأخلاقي سليم مثلما يشاركان في أوجه النشاط العلمية والسياسية.

لقد أخطأ البعض إذ ظنوا أن الإسلام يفرق بين الرجل والمرأة فيما أورده بصدد الشهادة فالمبدأ الأساسي في الإسلام يقوم على أن الشهادة يجب أن تتفق وطبيعة الجرم، فإذا كانت الشهادة المطلوبة إزاء جرم معين تتطلب شهادة أربعة رجال فإن رجلين أو ثلاثة بكل ما لهم من رجولة لن يكفوا ليعتد بشهادتهم في ذلك الموقف، وبالمثل نجد أن هناك مواقف تكون فيها شهادة امرأة واحدة أجدى وأكثر قبولا من

شهادة أربعة أو خمسة رجال . فطبيعة الفعل كما ذكرنا من قبل – وليست صفة الذكورة أو الأنوثة أو عدد أي من النوعين هي المحك فيما يعتد به من شهادة ، وفقا لقواعد الشهادة والاثبات في الشريعة الإسلامية .

صنع الرأي السياسي :

يحث النظام الإسلامي بطبيعته أفرادالمجتمع الإسلامي على المشاركة في أوجه النشاط السياسي وفي صنع القرار السياسي ، بل ويدعوهم إلى ذلك فهنالك مبادئ الشورى ، والاستحسان والإجماع ، وكلها تشير إلى ما يضمن مشاركة الناس في عملية اتخاذ القرارات في الأمور الاستراتيجية والقضايا الحساسة ، وهي مشاركة لا تقتصر على الرجال وحدهم من دون النساء ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث في صدر الإسلام عند انتخاب ثالث الخلفاء الراشدين حيث حرص خليفة المسلمين . . عمر بن الخطاب على أن يستشير الرجال والنساء على حد سواء بشأن من يفضلونه خليفة للمسلمين ، ومن المعروف أن عمر بن الخطاب كثيراً ما كان يرجع في الأمور والقضايا الشرعية إلى الصحابيات وأمهات المؤمنين للاستنارة بآرائهن .

ولكن علينا أيضاً أن نوضح أنه ليس من المستحسن أن توكل أمور القيادة السياسية إلى النساء ، وذلك لأسباب واعتبارات شرعية وأدبية . ولكن يلزم أيضاً أن نوضح أنه في حالات الطوارئ والأمن الوطني وما نسميه عامة بحالات « الضرورة » يمكن للنساء أن يمارسن أدوارا إيجابية . على أن يلتزمن أثناء ذلك بتعاليم الإسلام من حيث ملبسهن ومسلكهن .

وهنالك من يرون أنه مادام قد سمح للنساء بالمشاركة في « الجهاد » وبأن يؤدين فريضة الحج دون تفرقة أو تمييز بينهن وبين الرجال فإن هذا يعني في رأيهم أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع علماني متساهل إذ يسمح فيه باختلاط الجنسين ، ونجدهم يتذرعون بما يسمى

ثقافة البلاد حيث يسمح للنساء بالكشف عن جمالهن حتى يشاهده كل من يستطيع أن يدفع الثمن . ولا شك في أن هذا امتهان لأنوثة المرأة واستغلال تجاري يقوم على الجنس ولا ينتمي إلى الإسلام من قريب أو بعيد .

إن المبادئ الإسلامية التي تلزم بارتداء الحجاب وبالفصل بين الجنسين ومراعاة الأخلاقيات الرفيعة والتواضع والتوازن في الحديث والرؤية والحركات والايماءات الجسمانية . هي أمور ذات طبيعة عالمية ترتبط بمبادئ الأخلاق . وليس من حق أحد أن يبدلها أو أن ينتحها أو أن ينقضها . خاصة أولئك الذين لم يتلقوا تعليمهم الجامعي في مجال الإسلام . ولعل أفضل الطرق وأكثر الأساليب فاعلية في تصحيح المفاهيم وامداد هذه الجماعات بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام هو التعليم الرسمي للمواطنين .

التعليم :

إلى جانب تكوين الرأي السياسي . يؤكد الإسلام على التعليم العام للرجال والنساء . فهو التزام نص عليه القرآن الكريم ودعت إليه السنة النبوية وجعلته فرضا إذ حرصت على الدعوة إلى تعليم الرجال والنساء واكتساب المعرفة . فطلب العلم فريضة على كل مسلم . وهذا حديث نبوي شريف ينصرف إلى الرجال والنساء على السواء بل فيه ما يحث النساء على منافسة الرجال والتفوق عليهم في مختلف ضروب المعرفة . بخاصة وأن العلم من الفضائل التي تعد من قبيل الحسنات والتي يتميز الإنسان بها من غيره . وهو ما تنادي به الشريعة الإسلامية الغراء .

وإذ يؤكد القرآن الكريم على العلم . فذلك لأن المعرفة . بخاصة تلك الوثيقة الصلة بأساسيات الحياة . من شأنها ان تقرب الإنسان من الحق والحقيقة . يقول جل شأنه في كتابه الكريم : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء • إن اللهَ عزيزٌ غفورٌ ﴾ (سورة فاطر . الآية : ٢٨) .

يقول تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به • كل من عند

ربنا • وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (سورة آل عمران : الآية ٧) .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ (سورة المجادلة الآية : ١١) .

في كل هذا ما يحث كل مسلم وكل مسلمة على الالتزام قولاً وعملاً بتلك المبادئ فلا يملك إلا أن يردد قوله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (سورة طه . الآية : ١١٤) فإذا كان طلب المعرفة واجبا على كل رجل وامرأة فكيف يمكن تحصيل هذه المعرفة ؟ وبأي صورة من الصور ؟ يدلنا القرآن الكريم إلى طريقة تحصيل العلم ويقدم لنا الاجابة الصحيحة لهذا التساؤل في قوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ (سورة الأحزاب . الآية : ٥٣) وتلك توجيهات نضيفها إلى ما دعانا إليه الحق من مبادئ أخرى مثل خفض الصوت وغض البصر وما يعنيه هذا من الالتزام بالاعتدال في الحديث وفي نغمة الصوت ووقع الكلام والبعد عن اللغة التي من شأنها أن تحرك الأحاسيس والانفعالات . كما يدعونا أيضاً إلى أن نغض من أبصارنا بمعنى ألا تلتقي نظرات الرجل والمرأة .

ولا شك أن هذا العصر بكل ما يحفل به من منجزات تقنية يجعل الوفاء بهذه الالتزامات التي أوردتها المبادئ الإسلامية . أمراً . كنا في مختلف مجالات الاتصال والتعليم والمسلك الاجتماعي . فالوسائل السمعية والبصرية تنادينا وتطلب منا أن نستخدمها في طاعة الله . إذن فالأمر كله متروك للفرد المؤمن يمكنه إذا شاء أن يستخدم هذه الوسائل التقنية . في نشر الحسنات والأعمال الطيبة والفضيلة ومبادئ الأخلاق ونشر المعرفة والحقيقة . ويمكنه أيضاً إذا شاء أن يستخدمهـــــا في نشر كل ما هو تافه أو تابع لثقافة الغرب (ثقافة ميكي ماوس) .

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى

وكتابه الحجة على أهل المدينة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد أكرم الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

هذا كتاب جليل يعالج المواضيع الفقهية الهامة ، وهو موضوع الخلاف بين الأئمة ، وقد ألفت الكتب حول هذا الموضوع قديماً وحديثاً . ويمتاز هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه أنه من تأليف إمام كبير شهد له الأئمة بالفضل والتقدم ، كان تلميذاً لأبي حنيفة وصاحبه أبي يوسف القاضي ، أخذ الحديث والفقه عنهما وعن علماء الكوفة ، ثم ذهب إلى المدينة وأخذ الموطأ عن مالك وسمع أهل المدينة ، فجمع بين المدرستين ، وألف كتابه هذا يحتج به على أهل المدينة في تركهم للأخبار والآثار ، مع أنه قد اشتهر عنهم أنهم يقدمونها على غيرها .

نعرض أولاً في ما يلي حياته ومآثره العلمية ، ثم نتحدث عن كتابه هذا وما يعالجه من موضوع الخلاف بين أهل الكوفة وأهل المدينة .

نسبه وأصله :

هو الإمام محمد بن الحسن بن فرقد ، العلامة ، فقيه العراق ، أبو عبد الله الشيباني بالولاء ، الكوفي ، صاحب أبي حنيفة (١) .

أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة ، اسمها حرستا ، قدم أبوه من الشام إلى العراق ، وأقام بواسط (٢) .

مولده ونشأته :

ولد بواسط سنة خمس وثلاثين ، أو إحدى وثلاثين أو اثنتين و ثلاثين و مائة ، و نشأ بالكوفة ، و تعلم بها و أخذ عن علمائها (٣) .

شيوخـــه :

نشأ بالكوفة وطلب العلم بها ، وأخذ الحديث والفقه عن جماعة من الأئمة الأعلام ، سمع الحديث من سفيان الثوري ، وعمرو ابن دينار ، ومسعر بن كدام ، وعمر بن زر ، ومالك بن مغول والأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وزمعة بن صالح ، وجماعة (٤) .

حضر مجلس أبي حنيفة الإمام سنتين ، وأخذ عنه فقهه ومنهجه في الاجتهاد ، ثم تمم الفقه على الإمام أبي يوسف (٥) .

يقول ابن النديم : جالس أبا حنيفة وأخذ عنه ، فغلب عليه الرأي (الفقه) (٦) .

رحلته إلى الإمام مالك :

ورحل إلى الإمام مالك فأقام عنده ثلاث سنين وكسراً ، وأخذ عنه موطأه سماعاً منه من لفظه ، وسمع من غيره من علماء المدينة .

قال الشافعي : قال محمد بن الحسن : أقمت على مالك ثلاث سنين وكسراً ، وسمعت من لفظه سبع مائة حديث (٧) .

وقال الذهبي : كان من بحور العلم والفقه ، قوياً في مالك (٨) .

روايته للموطـــأ :

روى عن الإمام مالك موطأه سماعاً من لفظه ، وتعد روايته من أجود الروايات وأوثقها ، لأنه سمعه من لفظه بعرو في مدة ثلاث سنوات ، ولأنه يذكر بعد أحاديث الأبواب ما إذا كانت تلك الأحاديث مما أخذه فقهاء العراق ، أو خالفوه مع سرده الأحاديث وفيه تتجلى شخصية محمد بن الحسن المستقلة في الاجتهادات

الكثيرة التي خالف فيها مالكاً وأباحنيفة وأصحابه . وقد طبع موطأه غير مرة في الهند وخارجها .

تلاميــذه :

وكان له تلاميذه لا يحصون في الحديث والفقه . وكانت له مجالس في بغداد وغيرها من العواصم الإسلامية . يحضره العلماء وطلبة العلم فيحدث لهم ويقرأ عليهم كتبه التي كانت تعتبر أحسن الكتب المؤلفة فصاحة ونظما وصياغة ومعالجة للمسائل الدقيقة (٩) .

أخذ عنه الشافعي فأكثر جداً ، ولازمه وانتفع به ، وأبو عبيد بن سلام ، و هشام بن عبيد الله ، و أحمد بن حفص فقيه بخارى ، وعمرو بن أبي عمرو الحراني ، وعلي بن مسلم الطوسي ، وأبو سليمان الجوزجاني ، وعبيد الله الرازي ، وآخرون (١٠) .

قال الشافعي : حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير(١١) .

عربيته وفصاحته :

كان من أفصح الناس ، مقدما في علم العربية والنحو والحساب والفطنة ، وكان إذا تكلم خيل لسامعه أن القرآن نزل بلغته ، قال محمد بن الحسن : خلف أبي ثلاثين ألف درهم فأنفقت نصفها على النحو بالري (١٢) .

قال الشافعي : لو أشاء أن أقول : نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن لقلت لفصاحته (١٣) .

وقال الشافعي : ما رأيت أفصح منه (١٤) .

وكتب ابن خلكان فقال : وله في مصنفاته المسائل المشكلة ، خصوصاً المتعلقة بالعربية . وكان من أفصح الناس (١٥) .

ذكــاؤه :

قال الذهبي : كان من أذكياء العالم (١٦) وقال الشافعي : ما رأيت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن (١٧) وقال الذهبي : وكان من تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل (١٨) وقال الشافعي : ما

رأيت أعقل من محمد (١٩) وقال أبو عبيد بن سلام : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن (٢٠) .

توليه القضاء : و ولاه الرشيد قضاء الرقة ، فصنف بها كتابا سماه بالرقيات ، ثم عزله فرجع إلى بغداد (٢١) .

الإمام محمد والإمام الشافعي : كان الشافعي يقول : كتبت عنه وقر بختي (٢٢) ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهية في وجهه ، إلا محمد بن الحسن (٢٣) قال : كان يملأ القلب والعين (٢٤) وروى الربيع بن سليمان ، قال : كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتباً فأخرها فكتب إليه :

قل لمن لم تر عيـ ـن من رآه مثله
و من كأن من رآه قد رأي من قبلـه
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذلـه لأهله لعلـه

فأنفذ إليه الكتب من وقته (٢٥) .

ومن جملة الكتب التي طلبها الشافعي السير الكبير لمحمد بن الحسن (٢٦) قال أبو ثور : سمعت الشافعي يقول : حضرت مجلساً لمحمد بن الحسن بالرقة ، وفيه جماعة من بني هاشم وقريش وغيرهم ، ممن ينظر في العلم ، فقال محمد بن الحسن : قد وضعت كتاباً ، لـو علمت أن أحداً يرد علي فيه شيئاً تبلغنيه الإبل لأتيته (٢٧) .

قال أبو عبيد : سمعت الشافعي يقول لمحمد بن الحسن وقد دفع إليه خمسين ديناراً ، وقال لا تحتشم ، فقال : لو كنت عندي ممن أحتشمه ما قبلت برك (٢٨) .

قيل للشافعي : يا أبا عبد الله خالفك الفقهاء ، فقال : هل رأيت فقيها قط ، اللهم إلا محمد بن الحسن ، فإنه كان يملأ العين

والقلب (٢٩) و قال : مـا رأيت أعلم بكتاب الله من محمـد بن الحسن ، كأنه عليه نزل (٣٠) .

الإمام محمد بن الحسن ويحيى بن معين :

قال ابن معين : كتبتُ عن محمد بن الحسن الجامع الصغير (٣١) .

استفادة الإمام أحمد بن حنبل من كتبه :

قال ابراهيم الحربي : قلت للإمام أحمد : من أين لك هذه المسائل الدقاق ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن (٣٢) .

__مؤلفاته :__ ألف كتـا كثيرة نادرة ، وإليه يرجع الفضل بعد الإمام أبي يوسف القاضي في نشر فقه الإمام أبي حنيفة وتدوينه ، ومن كتبه :

١- المبسوط :

ألفه مفرداً ، فأولاً ألف مسائل الصلاة ، وسماه كتاب الصلاة ، ومسائل البيوع ، وسماه كتاب البيوع ، وهكذا الايمان والإكراه ، ثم جمعت فصارت مبسوطاً (٣٣) وقد ذكر ابن النديم جميع هذه الكتب في فهرسته (٣٤) وروى أن الشافعي استحسنه وحفظه (٣٥) ويعرف كذلك بالأصل .

٢- الزيادات :

وسمي بالزيادات ، لأنه كان يختلف إلى أبي يوسف ، وكان يكتب من أماليه ، فجرى على لسان أبي يوسف أن محمداً يشق عليه تخريج هذه المسائل ، فبلغه ، فبناه مفرعا ، فرع على كل مسألة باباً وسماه الزيادات ، أي زيادة على ما أملاه أبو يوسف ، وقيل : إنما سمى به لأنه لما فرغ من تصنيف الجامع الكبير ، تذكر فروعاً لم يذكرها في الكبير ، فصنفه (٣٦) .

٣- زيادات الزيادات :

لما فرغ من تأليف الزيادات تذكر فروعاً ، فصنف كتاباً آخر وسماه زيادات الزيادات ، وقطع عن ذلك ولم يتمه (٣٧) .

٤- الجامع الصغير :

وهو كتاب قديم مبارك مشتمل على ألف وخمس مائة واثنتين وثلاثين مسألة (٣٨) والمشايخ يعظمونه . حتى قالوا : لا يصلح المرء للفتوى ولا للقضاء إلا إذا علم مسائله (٣٩) .

كان سبب تأليفه أنه لما فرغ من تصنيف الكتب طلب منه أبو يوسف أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبي حنيفة . فجمع ثم عرضه عليه . فقال : نعما حفظ عني أبو عبد الله . إلا أنه أخطأ في ثلاث مسائل . فقال محمد : أنا ما أخطأت . ولكنك نسيت الرواية (٤٠) .

وكان أبو يوسف مع جلالة قدره لا يفارق هذا الكتاب في حضر ولا سفر (٤١) وكان علي الرازي يقول : من فهم هذا الكتاب فهو أفهم أصحابنا . ومن حفظه كان أحفظ أصحابنا (٤٢) .

٥- الجامع الكبير :

قال الشيخ أكمل الدين : هو كاسمه لجلائل مسائل الفقه جامع كبير (٤٣) قيل : هو أحسن الكتب المؤلفة في الفقه . وقد اشتمل على عيون الروايات ومتون الدرايات . بحيث كاد أن يكون معجزاً ولتمام لطائف الفقه منجزاً (٤٤) .

٦ . ٧- كتاب السير الصغير . وكتاب السير الكبير :

وهو آخر مصنفاته . صنفه بعد انصرافه من العراق (٤٥) ولم يذكر اسم أبي يوسف في شيء منه لأنه صنفه بعد أن استحكمت النفرة بينهما و كلما احتاج إلى الرواية عنه قال : أخبرني الثقة (٤٦) .

وسبب تأليفه (الكبير) أن السير الصغير وقع بيد الأوزاعي . فقال لمن هذا الكتاب ؟ فقيل : لمحمد العراقي . فقال : ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب فإنه لا علم لهم بالسير . فبلغ ذلك محمداً . فصنفه . فلما نظر فيه الأوزاعي قال : لولا ما ضمنه من

الأحاديث لقلت : إنه يضع العلم من نفسه . ثم أمر أن يكتب هذا الكتاب في ستين دفتراً وأن يحمل بالاستعجال على عجلة إلى باب الخليفة , فقيل له ذلك فأعجبه وعده من مفاخر أيامه (٤٧) .

٨- كتاب الحجة على أهل المدينة :

سنتحدث عنه في ما يأتي بالتفصيل .

٩- كتاب أصول الفقه :

ذكره ابن النديم (٤٨) .

١٠- الكيسانيات :

ذكره ابن النديم وقال : كتاب أمالي محمد في الفقه وهي الكيسانيات (٤٩) وقال حاجي خليفة : هي مسائل رواها سليمان بن سعد الكيساني عن محمد بن الحسن (٥٠) .

١١- الرقيات :

مسائل رواها ابن سماعة عن محمد بن الحسن الشيباني في الرقة (٥١) .

١٢- الجرجانيات :

مسائل رواها علي بن صالح الجرجاني عن محمد بن الحسن (٥٢) .

١٣- كتاب الكسب :

ذكره حاجي خليفة (٥٣) وهو مطبوع .

١٤- كتاب الآثار :

وهو مختصر على ترتيب الفقه . ذكر فيه ما روى عن أبي حنيفة من الآثار (٥٤) .

١٥- كتاب النوادر :

ذكره ابن النديم فقال : كتاب نوادر محمد رواية ابن رستم (٥٥) وذكر حاجي خليفة نوادر الصيام لمحمد بن الحسن الشيباني (٥٦) .

وقد يطلقون مسائل النوادر ويريدون بها ما روى عن محمد بن الحسن في غير كتب ظاهر الرواية .

وله غير ذلك من الكتب والأمالي .

المراد بكتب ظاهر الرواية :

قال حاجي خليفة : ثم هذه المسألة التي سميت مسائل الأصل وظاهر الرواية هي ما وجدت في كتب محمد التي هي المبسوط . والزيادات . والجامع الصغير والكبير والسير (٥٧) .

إنما سميت ظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد برواية الثقات . فهي إما متواترة أو مشهورة عنه (٥٨) .

وهذه الكتب تلقاها الناس بالقبول . فقد ألفت لها شروح ومختصرات ومنظومات كثيرة . قام بها الأئمة والعلماء الكبار (٥٩) .

وفاته : وخرج مرة مع هارون الرشيد ومعه الكسائي إلى الري . فمات بها الإمام محمد والكسائي في يوم واحد سنة تسع وثمانين (٦٠) وهو ابن ثمان وخمسين سنة (٦١) .

وكان الرشيد يقول : دفنة الفقه والعربية بالري (٦٢) .

قال ثعلب : توفي الكسائي ومحمد بن الحسن في يوم واحد . فقال الناس : دفن اليوم اللغة والفقه (٦٣) .

ورثاه اليزيدي بشعر حسن فقال :

أسيت على قاضي القضاة محمد مأذريت دمعي و الفؤاد عميد
فقلت إذا ما أشكل الخطب من لنا بإيضاحه يوماً وأنت فقيد(٦٤)

(يتبع)

الهوامش :

(١) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة . ٩/١٣٤ . وابن خلكان : وفيات الأعيان . تحقيق : الدكتور إحسان عباس . دار صادر. ١٩٧٧م . ٤/١٨٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٤/١٨٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء . ٩/١٣٤. و وفيات الأعيان ٤/١٨٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء . ٩/١٣٤ . وابن أبي وفاء القرشي : الجواهر المضيئة ،

تحقيق : الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى البابي الحلبي . ١٩٧٩م ١٢٣/٣ . والحافظ ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان . دائرة المعارف . حيدرآباد ١٣٣١هـ . ١٢١/٥ .

(٥) سير أعلام النبلاء . ١٣٤/٩ . و وفيات الأعيان : ١٨٤/٤ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ٢٨٧ (٧) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩

(٨) الإمام الذهبي : ميزان الاعتدال . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار المعرفة . بيروت ٥١٣/٣ . (٩) الفهرست ٢٨٧ .

(١٠) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩ . ولسان الميزان . ١٢١/٥ . والجواهر المضيئة . ١٢٢/٣ .

(١١) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩ . و وفيات الأعيان . ١٨٤/٤ .

(١٢) الإمام الذهبي : العبر . تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد . الكويت . ١٩٦٠م . ٣٠٢/١ . والجواهر المضيئة . ١٢٥/٣ .

(١٣) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩ . (١٤) لسان الميزان . ١٢١/٥ .

(١٥) وفيات الأعيان . ١٨٤/٤ . (١٦) العبر . ٣٠٢/١ .

(١٧) وفيات الأعيان . ١٨٥/٤ . (١٨) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩ .

(١٩) مقدمة الحجة . نقلا من تاريخ بغداد . (٢٠) الجواهر المضيئة . ١٣٤/٣ .

(٢١) الفهرست . ٢٨٧ . (٢٢) سير أعلام النبلاء . ١٣٥/٩ .

(٢٣) وفيات الأعيان . ١٨٤/٤ . (٢٤) الجواهر المضيئة . ١٢٤/٣

(٢٥-٢٦-٢٧-٢٨) الجواهر المضيئة . ١٢٥/٣ . (٢٩-٣٠) مقدمة الحجة .

(٣١) سير أعلام النبلاء . ١٣٦/٩ . ولسان الميزان . ١٢١/٥ . والجواهر المضيئة . ١٢٤/٣ . (٣٢) سير أعلام النبلاء . ١٣٦/٩ .

(٣٣) حاجي خليفة : كشف الظنون . ١٥٨١ . (٣٤) الفهرست . ٢٨٧-٢٨٨ .

(٣٥) كشف الظنون . ١٥٨١ . (٣٦-٣٧) كشف الظنون . ٩٦٣ .

(٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢) كشف الظنون . ٥٦١ .

(٤٣-٤٤) كشف الظنون . ٥٦٧ . (٤٥-٤٦-٤٧) كشف الظنون . ١٠١٤ .

(٤٨-٤٩) الفهرست . ٢٨٨ . (٥٠) كشف الظنون . ١٥٢٥ .

(٥١) كشف الظنون . ٩١١ . (٥٢) كشف الظنون . ٥٨١ .

(٥٣) كشف الظنون . ١٤٥٢ . (٥٤) كشف الظنون . ١٣٨٤ .

(٥٥) الفهرست . ٢٨٨ . (٥٦) كشف الظنون . ١٨٧٩ .

(٥٧-٥٨) كشف الظنون . ١٢٨٢ . (٥٩) راجع كشف الظنون .

(٦٠) سير أعلام النبلاء . ١٣٦/٩ . و وفيات الأعيان . ١٨٥/٤ .

(٦١) أبو إسحاق الشيرازي : طبقات الفقهاء . تحقيق : إحسان عباس . بيروت -١٩٨١م ١٣٥ . والجواهر المضيئة . ١٢٥/٣ .

(٦٢) وفيات الأعيان . ١٨٥/٤ . (٦٣) لسان الميزان . ١٢٢/٥ .

(٦٤) الجواهر المضيئة . ١٢٦/٣ .

أعلام التاريخ الإسلامي :

الإمام ابن دقيق العيد ، حياته وآثاره

(الحلقة الثانية)

دكتور جلال الدين أحمد النوري

مطالعته وتتبعه العلمي :

كان كثير المطالعة ، حريصا عليها ، وشغوفا بالكتاب .

وقال الأدفوي :

حكى لي الشيخ زين الدين عمر الدمشقي المعروف بابن الكتاني رحمه الله تعالى .

دخلت عليه بكرة يوم ، فنا ولني مجلدة ، وقال : هذه طالعتها في هذه الليلة التي مضت .

فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً ، يقضيه فيما بين مطالعة وتلاوة ، وذكر وتهجد ، حتى صار السهر له عادة ، وأوقاته كلها معمورة .

قال صاحب بهاء الدين :

« كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات فكنا نراه في الليل ، إما مصلياً وإما يمشي في جوانب البيت ، وهو مفكر إلى طلوع الفجر ، فإذا طلع الفجر صلى الصبح ثم اضطجع إلى ضحوة » .

قال الصاحب شرف الدين :

سمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي المالكي يقول : « أقام الشيخ الإمام تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل ، إلا أنه كان إذا صلى الصبح ، اضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار وكان ذا حافظة قوية وإدراك سريع لما يقرؤه ، وفهم ثاقب (١) » .

(١) انظر : شذرات الذهب ج/٦ ص/٦ عن طبقات ابن كثير

تولية القضاء :

منصب القضاء عند الله تعالى خطير . فالرسول ﷺ يقول :
« من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين » وهو دليل على التحذير من ولاية القضاء والدخول فيها كأنه يقول من ولي القضاء فقد تعرض لذبح نفسه فليحذر به (١) وابن دقيق العيد – رحمه الله – تدرك هذا جيداً . فلما مات القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز سنة ٦٩٥هـ في عهد السلطان العادل كتبغا المنصوري . سألوه في القضاء فامتنع . فتحلوا عليه . فقالوا له عن شخصين . لا يصلحان عنده للقضاء .

إن فلانا وفلانا قد انحصر الأمر فيهما إن لم تقبل . والظاهر انه كان كذلك . فرأي أن قد وجب عليه القبول فقبل حينئذ بعد إباء شديد لأنه لم يكن راضيا عن حالة الحكم في عصره .

فولى قضاء الشافعية بالديار المصرية في يوم السبت الثامن عشر من جمادي الأولى سنة ٦٩٥هـ واستمر فيه إلى أن مات فكانت ولايته القضاء ثمانية سنين غير أنه عزل نفسه غير مرة . ثم يسأل ويعاد وكان قبل ذلك قد تولى قضاء قوص عن المالكية مدة . لما كانت المذاهب الثلاثة تشارك المذهب الشافعي في المدن الكبار كالمحلة وقوص .

قال الادفوي : وكان يقول : والله ما خار الله لمن بلي بالقضاء . ودخل عليه بعض أصحابه يوما فرآه . وهو حزين مفكر . فسأله عن ذلك . فقال يا فلان من أراد الله له بالقضاء . ما أراد له خيرا وكان يكتب إلى النواب يذكرهم ويحذرهم .

ومما اشتهر من كتبه (وما كتب به) إلى المخلص البهنس قاضي اخميم . وكان من القضاة في زمنه كتابا أوله بعد البسملة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم نارا وقودها الناس والحجارة • عليها ملائكة غلاظ شداد • لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما

(١) انظر : نفس المصدر والطالع السعيد . ص/٥٩٩ .

يؤمرون ﴾ (١) هذه المكاتبة إلى فلان الدين . وفقه الله تعالى لقبول النصيحة . وآتاه لما يقربه إليه قصداً صـ .ـحـ ونية صحيحة . اصدرها إليه بعد حمد الله الذي يعلم خائنة الأعـ ومـ تخفي الصدور • وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ (٢) إلخ ..

قال الشيخ فتح الدين ومناقب الإمام كثيرة . وفضائله مشهورة . امتلأت بها المجالس . وسارت بها الركبان . فكان ذلك مدعاة لمديحة من العلماء والأدباء والنحباء .

مـــذهبـــه : وكان الشيخ ابن دقيق العيد مالكي المذهب أولا . تفقه به على والده بقوص . ثم تفقه على شيخ الإسلام العز بن عبد السلام بالمذهب الشافعي محقق المذهبين .

وأفتي فيهما . قال فيه اليافعي :

اشتغل أولا بمذهب مالك . . ثم اختار مذهب الإمام الشافعي فاشتغل به . وتبحر فيه . حتى بلغ فيه الغاية . دراية ورواية . وحفظاً واستدلالاً . وتقليداً واستقلالاً . حتى قيل : إنه آخر المجتهدين (٣) .

اجتهاده : و وصفه السبكي بأنه : المجتهد المطلق (٤) .

وذكر الأسنوي بأنه : قام من الاجتهاد بعبء . لا يطيق أحد حمله . وأنه خاتمة المجتهدين (٥) .

وذكر السخاوي : بأن له معرفة بطرق الاجتهاد (٦) .

وقال السيوطي : بأنه وصل إلى درجة الاجتهاد (٧) .

---

(١) سورة التحريم . الآية : ٦ . (٢) سورة الحج . الآية : ٤٧ .

(٣) انظر : الطالع السعيد . ص/٥٩٩ وفي جامع كرامات الأولياء . ج/١- ص/٣٣٦ ، والبداية . ج/١٤- ص/٢٧ . والديباج المذهب . ج/٢- ص/٣١٩ . وفتح المغيث . ج/١- ص/٩١ . وشذرات الذهب . وشجرة النور الزكية . ص/١٨٩ . طبقات الشافعية للأسنوي . ج/٢- ص/٢٣٠ .

(٤) الطالع السعيد . ص/٥٩٩. (٥) البداية والنهاية . ج/١٤- ص/٢٧ .

(٦) حسن المحاضرة للسيوطي . ج/١- ص/٣١٨-٣١٠.

(٧) نفس المصدر . ص/٣١٩.

آثــــاره : ترك الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله عدة مؤلفات في فنون عديدة تدل على تبحره في العلم وهي :

١- أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام :

عمدة الأحكام : للإمام محدث الإسلام تقي الدين أبي محمد المقدسي الحنبلي الجماعيلي ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٥٤١هـ ، ومات سنة ٦٠٠هـ ودفن بالقرافة بتربة الحنابلة (١) .

وشرحه : أحكام الأحكام لابن دقيق العيد :

كان ابن دقيق رحمه الله يملي شرح الحديث على الشيخ القاضي عماد الدين بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحنبلي الشافعي ، الذي ولي كتابة مصر ثم تركها تورعاً مات سنة ٦٩٩هـ (٣) .

فكان القاضي عماد الدين يكتب عنه .

لذلك قال الصنعاني :

فما رأيته من الاضطراب في بعضها ، والاختلاف في نسخها ، فمن قبل المستملي (أي القاضي عماد الدين) فإن الاملاء ليس كالكتب حتى سرى ذلك الاضطراب إلى الخطبة ، ومن ذلك زيادة في ألفاظ الخطبة هنا يوجد في بعض النسخ ، دون بعض منها (٣) .

قال الشيخ القاضي عماد الدين في مقدمة أحكام الأحكام :

« الحمد لله منور البصائر بحقائق معارفه ، ومصور الخواطر خزائن لدقائق لطائفه .. فاخترت حفظ الكتاب المعروف بـ(العمدة) للإمام الحافظ عبد الغني رحمه الله تعالى ، الذي رتبه على أبواب الفقه ، وجمله خمسمائة حديث ، فوجدت الأحاديث كل لفظة منها تحتاج إلى بحث وتدقيق ، وتفتقر إلى كشف وتحقيق ... فاخترت أن أعلم معاني الأحاديث التي أوردها صاحب العمدة ، وأسندها إلى الإمامين البخاري

---

(١) انظر : العدة للصنعاني ، ج/١- ص/٤٩-٥٠ .

(٢) انظر : العدة ، ج/١- ص/٥٢-٥٣ .

(٣) انظر : العدة ، ج/١- ص/٥٢ .

ومسلم رحمهما الله . فلم أجد من علماء الوقت من يعرف هذا الفن ، إلا واحد عصره وفريد دهره ... أبا الفتح تقي الدين محمد بن الشيخ مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري رحمه الله ... فوجهت وجه آمالي إليه ، وعولت في فهم معاني هذا الكتاب عليه ، وعرفته القصد ما أريد ، وأصغيت لما يبدي فيه من القول وما يعيد ، فأملى على من معانيه كل فن غريب ، وكل معنى بعيد أن يخطر بباله وهو عليه قريب .

فعلقت ما أورده ، وحمت على منهل فضله ، رجاء أن أرد ما ورده ..

وسميت ما جمعته من فرائده ، والتقطته من فوائده بـ « أحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام » ﷺ وشرف وكرم (١) .

قال الصنعاني :

قوله (فعلقت ما أورده) أقول فيه : اعلم أن ابن دقيق العيد كان يملي هذه الأحاديث ، ويعلقها عنه (٢) .

وقد طبع أحكام الأحكام لابن دقيق العيد بمجلدين .

وطبع أيضاً مع حاشيته (العدة) بأربعة مجلدات ، بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٩هـ ، حققه وصححه وعلق عليه فضيلة الشيخ علي بن محمد الهندي .

وقد ذكر شرح العمدة كثيرون من مترجمي ابن دقيق (٣) .

وأنشد عليه الأدفوي فقال :

لو لم يكن له إلا ما املاه على العمدة ، لكان عمدة في الشهادة بفضله ،

---

(١) انظر : العدة ، ج/١- ص/٤٤ . (٢) انظر : العدة للصنعاني ، ج/١- ص/٥٢ .

(٣) ـ انظر الطالع السعيد ، ص/٥٧٥ . وتذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/ ١٤٨٢ ، فوات الوفيات ، ج/٢- ص/٤٤٢ ، ومرآة الجنان ، ج/٤- ص٢٣٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ، ج/٩- ص/٢١٢ . والديباج المذهب ، ج/٢- ص٣١٨-٣١٩ . وكرره المقريزي في المقفى ابن دقيق العيد ، ص/١٠٢ ، مما يوهم أنه كتابان ، وحسن المحاضرة ، ج/١- ص٣١٨ ، وطبقات الحفاظ ، ص/١١٦٥ ، وشذرات الذهب ، ج/٦- ص/٥ ، والبدر الطالع ، ج/٢- ص/١٤٠ ، والرسالة المستطرفة ، ص/١٨٠ ، وشجرة النور الزكية ، ص/١٨٩ ، والأعلام ، ج/٦- ص٢٨٣ .

والحكم بعلو منزلته في العلم وفضله (١) .

وذكره ابن فرحون بقوله :

شرح العمدة في الأحكام ، أملاه املاءً على ابن الأثير ، أبان فيه عن علم واسع ، وذهن ثاقب ، ورسوخ في العلم (٢) .

وفي إيضاح المكنون لاسماعيل باشا :

أن على شرح ابن دقيق العيد حاشية لشمس الدين السخاوي محمد ابن عبد الرحمن (٣) .

ولعله من الوهم قول حاجي خليفة (٤) واسماعيل باشا (٥) أن :

لابن دقيق شرحاً على العمدة في فروع الشافعية لأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي الفقيه الشافعي ت سنة ٥٠٧هـ .

وذلك :

لعدم ذكر هذا الشرح من قبل المتقدمين من مترجمي ابن دقيق العيد .

وقد يكون ذلك من الالتباس : حيث تصوروا (شرح العمدة) الذي هو شرح عمدة الأحكام ، انه شرح عمدة الشاشي .

« يتبع »

++++++++++++++++++++

++++++++++++++++

(١) الطالع السعيد . ص/٥٧٥ .

(٢) انظر : الديباج المذهب . ج/٢- ص/٣١٨-٣١٩ . ومثله في شجرة النور الزكية : ص/١٨٩ .

(٣) انظر : إيضاح المكنون . ج/٢- ص/١٢٠ .

(٤) انظر : كشف الظنون . ص/١١٦٩-١١٧٠ .

(٥) انظر : هدية العارفين . ج/٢- ص/١٤٠ .

الفقه الإسلامي:

حكم الانتفاع بالأرباح الحاصلة من الرهن

دراسة علمية فقهية تحقيقية

بقلم: فضيلة الشيخ منة الله الرحماني
أمير الشريعة الإسلامية والأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند سابقاً
تعريب: محمد رحمة الله الندوي المظفر فوري

صورة القضية:

رجل استدان مالا، ورهن لدى الدائن شيئاً من متاعه أو ضياعه، على أن ينتفع به المرتهن ويتصرف فيه مع توليه مصارف الأرض وتكاليفها من أداء الضرائب وغيرها. فهل يصح ذلك شرعاً أم لا؟

انتفاع المرتهن بالمال المرهون:

مما لا شك فيه أن المرتهن ليس له أن ينتفع بالمال المرهون ويتصرف فيه. إنه يستحق القبض على المال المرهون عوضاً عما أعطاه الراهن من القرض. والمرهون يبقى في ملك الراهن بعد الرهن كذلك كما كان قبله. ولا يتصور أي تغيير في ملكه من أجل عقد الرهن. وكذلك المنافع التي تحصل من المرهون يملكها الراهن. غير أنه لا يستحق التصرف فيه حتى يوفي ما عليه من القرض. إذ أن المرتهن لم يكن قد ملكه إلا موقتاً. هذه المسألة توجد في نصوص جميع الكتب الفقهية المستندة. قال في الهداية: «ليس للمرتهن أن ينتفع بالرهن لا بالاستخدام ولا سكنى ولا لبس» (١).

وقال صاحب العناية وهو يشرحها: «ليس للمرتهن» لأن المالك رضي بحبسه لا بانتفاعه. فإذا استعمله بوجه من هذه الوجوه، كان

---

(١) الهداية: الجزء الرابع. ص/٥٠٦.

غاصباً، ويضمن قيمته (١) .

وقال العلامة ابن عابدين الشامي : « ولا الانتفاع به مطلقاً ، لا باستخدام ، و لا سكني و لا لبس و لا إجارة، و لا إعارة، سواء كان من مرتهن أو راهن » (٢) .

فقد علم من ذلك أن الانتفاع بالمال المرهون يحرم مطلقاً ، حتى قد صرح الفقهاء أنه لو رهن مصحفاً أو كتاباً لا يجوز للمرتهن أن يقرأه ، لأنه يعتبر انتفاعاً ، قال في الفتاوى السراجية : « ولو كان الرهن مصحفاً أو كتاباً ليس له أن يقرأ فيه » (٣) .

وقد تحقق في ضوء هذه الآراء والعبارات الفقهية أن المرتهن ليس له استخدام المرهون ولا الانتفاع به ، وهو عنده كالأشياء الأخرى التي يملكها غيره ، والفرق أنها لا تكون في يده ، والمرهون يكون في يده عوضاً عما أقرض الراهن ، فإن تصرف فيه أو انتفع به يفرض عليه الضمان من الشرع ويجب عليه أداؤه ، كما أن رجلاً استخدم مال غيره وانتفع به فإنه يوخذ ويوجب عليه الضمان .

<u>إذن المالك :</u> وهناك ينشأ سوال وهو أن الراهن لو أذن المرتهن أن يستخدم المال المرهون وينتفع به فعله المرتهن هل يجوز هذا أم لا ؟

فذهبت طائفة من الفقهاء في هذه القضية إلى أن انتفاع المرتهن بعد إذن المالك مباح مطلقاً ، تدل عليه نصوص الفقه الإسلامي ، وأشار إليه الشراح كذلك ، قال في الهداية : « وليس للمرتهن أن ينتفع بالرهن ، لا بالاستخدام ولا سكني ولا لبس ، إلا أن يأذن له المالك » (٤) وقال صاحب العناية في شرح هذه العبارة : « فإن كان باذن المالك فلا ضمان ، لأن الحجز لحقه ، وقد رضي به » (٥) .

---

(١) العناية على الهداية : الجزء الرابع ، ص/٥٠٦ .

(٢) الفتاوى الهندية نقلاً عن الدر المختار : الجزء الخامس ، ص/٤٦٧ .

(٣) الفتاوى السراجية : ص/١٨٨ .

(٤) الهداية : الجزء الرابع ، ص/٥٠٦ .   (٥) المصدر السابق مع العناية .

وقال في الفتاوى الهندية : « وكذلك إذا كان الرمن أرضاً فأذن له في زرعها ، أو شجراً أو كرماً فأباح له ثمارها أو بهيمة فأباح له شرب ألبانها : فالحيلة فيه أن يبيع له ، ذلك على أنه متى نهي عن ذلك ، فهو مأذون له في ذلك إذنا مستأنفاً . كذا في خزانة المفتين » (١) وقال الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني : « فأما إذا كان بإذن ، بأن قال الراهن للمرتهن احلب الشاة فما حلبت فهو حلال لك ، أو قال له كل هذا الحمل فحلب وشرب وأكل حل له ذلك ، ولا ضمان عليه ، لأن الزيادة ملك الراهن ، فيصح إذنه بالأكل والشرب ، ولا يسقط شئ من دين المرتهن » (٢) .

وقال في مجمع الأنهر : (ولو استعمله بإذنه فهلك حال استعماله سقط ضمانه) « أي عن المرتهن لثبوت يد العارية بالاستعمال ، وهي مخالفة ليد المرتهن فانتفي الضمان » (٣) وقال الطحطاوي نقلاً عن التبيين : « قال في التبيين جواز الأكل بعد الإذن ، لا ضمان ولا يسقط من الدين شئ » (٤) .

نظرة ثانية : وقد ذهب بعض من فقهاء المالكية إلى أن انتفاع المرتهن بالمال المرهون ، بعد الإذن أيضاً لا يجوز بل يحرم .

يقول العلامة الشامي : « قال في المنح وعن عبد الله بن محمد بن أسلم السمرقندي وكان من كبار علماء سمرقند أنه لا يحل له أن ينتفع بشئ منه بوجه من الوجوه ، وإن اذن له الراهن لأنه أذن له في الربا ، لأنه يستوفي دينه كاملاً ، فتبقى له المنفعة فضلاً ، فيكون رباً » (٥) وقال في الدر المختار : « ثم نقل عن التهذيب أنه يكره للمرتهن أن ينتفع بالرهن

---

(١) الفتاوى الهندية : المجلد الخامس ، ص/٤٦٧ .

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : المجلد السادس ، ص/١٦٤ . طبع في المكتبة الحبيبية شارع كانسي ، كولته .

(٣) مجمع الأنهر : المجلد الثاني ، ص/٦٠٦ .

(٤) الطحطاوي : المجلد الرابع ، ص/٢٥٤ .

(٥) الدر المختار : المجلد الخامس ، ص/٣٢٨ .

وإن أذن له الراهن . قال المصنف : وعليه يحمل ما عن محمد بن اسلم من أنه لا يحل للمرتهن ذلك ولو بالاذن . لأنه ربا . قلت : والعلية تفيد أنها تحريمية » (١) .

نظرة ثالثة : وقال جماعة من العلماء أنه يكره الانتفاع بالمرهون بعد الاذن . قال في القنية : « عن أبي يوسف المرتهن سكن الدار بإذن الراهن يكره . وأطلق في الصرف أنه لا يكره . الاحتياط في الاجتناب عنه . قلت لما فيه من شبهة الربا » (٢) .

وقد دلت كلمة : « الاحتياط في الاجتناب » أنه لا يراد بالكراهة التحريم . قال في الأشباه والنظائر : « يكره للمرتهن الانتفاع بالرهن باذن الراهن » (٣) وقال في هامش الفتاوى السراجية : « إذا رهن أرض زراعته وأباح للمرتهن خراجها فأكل المرتهن خراجها على تلك الإباحة . يجوز مع الكراهة » (٤) .

نظرة رابعة : ما ذهب إليه الفقهاء أنه لو شرط الانتفاع بالرهن يحرم . ولو لم يشترط بأي طريق ثم يأذن الراهن برضاه يصح .

يقول العلامة القهستاني : « ولو أباح أكل ثمار البستان أو لبن الشاة فلا بأس به . إن لم يكن مشروطاً . وإلا صار قرضاً فيه منفعة . فيكون رباً » (٥) .

و وافقه صاحب در المنتقى فقال : « ولو أباح له أكل ثمار البستان أو لبن الشاة المرهونة فلا بأس به إن لم يكن مشروطاً . وإلا صار قرضاً فيه نفع فيكون رباً » (٦) .

وقال العلامة الشامي : « ثم رأيت في جواهر الفتاوى . إذا كان

---

(١) الدر المختار على هامش الطحطاوي : المجلد الرابع . ص/٢٥٤ .

(٢) قنية المنية : ص/٣٦٣ .

(٣) الأشباه والنظائر ج/٢- ص/١١٣ .

(٤) هامش الفتاوى السراجية : ص/١٨٨ .

(٥) جامع الرموز للقهستاني : ص/٤٧٠ .

(٦) در المنتقى : المجلد الثاني . ص/٦٠٦ .

مشروطاً صار قرضاً فيه منفعة وهو ربا ، وإلا فلا بأس » (١) .

وجاء في الفتاوى الخيرية : « وإذا كان مشروطاً ضمن كما أفتى في الخيرية » (٢) .

وهكذا انقسم فقهاء الحنفية في هذه المذاهب الأربعة ، ومبنى الخلاف هي تلك الروايات الواردة في هذه القضية . فأما المجيزون مطلقاً بعد الإذن يحتجون بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه « عن النبي ﷺ قال : لبن الدر يحلب بنفقته إذا كان مرهونا ، والظهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذي يحلب ويركب النفقة » (٣) .

إن ألفاظ الحديث تصرح بأنه لو كان الرهن دراً فإنه يحلب بقدر ما ينفق عليه ، ولو كان مركبا فإنه يركب بقدر ما ينفق عليه ، ولا يترشح منها أن الحلب أو الركوب للراهن أم للمرتهن .

يرى الإمام أحمد بن حنبل أن الإذن للمرتهن في هذا الحديث ، والإمام الشافعي : أراد الراهن ، ومذهب الحنابلة في هذه القضية هو انتفاع المرتهن بالمرهون بغير إذن الراهن دون أن يتجاوز في الانتفاع به بقدر النفقة ، والإمام الشافعي يرى أن الراهن يستحقه كاملاً وعليه نفقته ، فمن الملاحظ أولاً ما هو المراد في الحديث ، الراهن أو المرتهن ؟ ويبدو بعد التفحص الغاير أن المراد هو المرتهن دون الراهن في الحديث ، وذلك لوجوه عديدة .

١- لأن الراهن هو المالك للمرهون ، وله الانتفاع به من أجل الملكية ، أي بازاء الملكية الحاصلة له دون غيره ، والحديث ناطق باستحقاق الانتفاع بإزاء النفقة ، فالمرتهن يستحقه من أجلها .

٢- الحديث المذكور سابقاً روى بطرق مختلفة ، و كلها تنص على كلمة

---

(١) رد المحتار على الدر المختار : ج/٥- ص/٣٣٨ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) رواه أبو داؤد في باب الرهن مع شرحه بذل المجهود في حل أبي داؤد : ج/٢- ص/٢٩٤ ، ورواه ابن ماجة كذلك في سننه .

« المرتهن » دون الراهن ، فهو المعتبر في هذا الحديث كذلك .

يقول العلامة الطحطاوي في هذا الحديث : « وما ذلك فقد روى هذا الحديث هشيم وبين ما فيه ، ثم بين ما يزيد ابن هارون « حدثنا أحمد بن داؤد وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم الصالح حدثنا هشيم عن زكريا عن الشعبي مرفوعاً : « إذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتهن علفها ولبن الدر يشرب ، وعلى الذي يشرب نفقتها ، فدل هذا الحديث أن المعنى بالركوب وشرب اللبن في الحديث الأول هو المرتهن ، فجعل ذلك به ، وجعلت النفقة بدلاً مما يتعوض منه مما ذكر » (١) .

وفي بعض الروايات الأخرى منح حق الانتفاع للمرتهن بكل صراحة ، يقول صاحب بذل المجهود : « قال الشوكاني في النيل ، وقد قيل إن فاعل الركوب والشرب لم يتعين فيكون الحديث مجملاً ، وأجيب بأنه لا إجمال ، بل المراد المرتهن بقرينة أن انتفاع الراهن بالعين المرهونة لأجل كونه مالكا ، والمراد الانتفاع بمقابلة النفقة ، وذلك يختص بالمرتهن ، كما وقع التصريح بذلك في الرواية الأخرى ، ويؤيد ما وقع عند حماد بن سلمة في جامعه بلفظ إذا ارتهن شاة ، شرب المرتهن من لبنها بقدر علفها ، فإن استفضل من اللبن بعد ثمن العلف فهو ربا » (٢) .

في ضوء هذه التفاصيل يتحقق أن المراد به هو « المرتهن » دون الراهن في الحديث المذكور أعلاه ، لذا فإن الأئمة الثلاثة مالكاً ، وأباحنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله أرادوه ، غير الإمام الشافعي رحمه الله فإنه خالفهم فيه .

« يتبع »

---

(١) شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي رحمه الله كتاب الرهن : المجلد الثاني ، ص/٢٥٢ .
(٢) بذل المجهود في حل أبي داؤد : المجلد الرابع ، ص/٢٩٥ .

دراسات وأبحاث :

الأبواب والتراجم للبخاري ، ميزاتها وخصائصها

[الحلقة الأولى]

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

تعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فمما تقرر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً وتصنيفاً وشرحاً وتحقيقاً أن الأبواب والتراجم في الجامع الصحيح لأمير المؤمنين في الحديث محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله (١) من أدق البحوث والمطالب ومن أعمقها غوراً وابعدها مدي . حتى اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في تراجمه . وأصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب يتميز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها وفخامة شأنها وأصبح مقياساً لفطنة العلماء وتوقد ذكائهم وسيلان ذهنهم وبعد غورهم واقتدارهم على فهم هذا الكتاب الجليل و حل غوامضه و فتح أغلاقه والتوصل إلى مقاصد المؤلف . لا يشهد لمؤلف أو مدرس ببراعة في العلم

---

(١) هو الإمام عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري . حبر الأمة وأمير المؤمنين في الحديث (١٩٤-٢٥٦) ولد في بخارى ونشأ يتيما ، قام برحلة طويلة في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ منهم الإمام أحمد بن حنبل . كان من أوعية العلم يتوقد ذكاءاً لم يخلف بعده مثله في سيلان ذهنه وسرعة حفظه . له مصنفات شهيرة أشهرها في الآفاق صحيحه . هو يقول : صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة خرجته من ست مائة ألف حديث وجعلته حجة . توفي ليلة الفطر في شوال . تذكرة الحفاظ . ج/٢- ص/١٢٠ . تهذيب التهذيب . ج/٩- ص/٤٧ . وفيات . ج/١- ص/٤٥٥ .

وتفوق في التدريس . وسعة اطلاع على الشروح والحواشي وأقوال الأئمة والفحول من المحدثين وطول ممارسة لتدريس هذا الكتاب الشريف وإفناء القوى وإفناء العمر في ذلك حتى يجتمع له الشيء الكثير من هذا الباب وينفرد بتوجيهات وتعليلات تنحل بها الألغاز وتنفتح بها الأقفال وتخلو عنها بطون الأسفار .

ولذلك عني بهذا الموضوع العلماء قديماً وحديثاً . وأجالوا فيه قداحهم واركضوا في هذا السباق جيادهم واعتصروا في ذلك عقولهم الراجحة وعلومهم الراسخة . ولا نعرف أديباً أو لغوياً تعمق في فهم بيت من الأبيات ومعرفة معنى من المعاني الشعرية والوصول إلى غاية من غايات الشعراء مثل تعمق شراح الجامع الصحيح والمشتغلين بتدريسه في فهم مقاصد المؤلف وشرح كلامه .

ولا نعرف - على طول اشتغالنا بالتاريخ العلمي - مؤلفا من مؤلفات العلماء أو الحكماء عني به رجال ذلك الفن وعكفوا على حل غوامضه وفك مشكلاته حتى شقوا فيه الشعرة . مثل ما عني علماء الحديث بالجامع الصحيح وما ذلك إلا لإخلاص مؤلفه لعلم الحديث الشريف وانقطاعه إليه وجهاده في سبيله وتفانيه في ذلك (١) .

كما بينا ذلك في تقديمنا (٢) لمقدمة « لامع الدراري » وما ذلك إلا

---

(١) ومن أسبابه الظاهرة في ذلك كما يقول الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي رحمه الله . أن الإمام البخاري يرى بعد المتقين والعلماء قد صنفوا في العلوم الدينية في الفنون المختلفة كالحديث والفقه والتفسير والسير والرجال والأصولين وغيرها وهذه المصنفات كانت بين عينيه فجمع هذه العلوم ما صح منها على شرطه في كتابه الجامع ليكون حجة قاطعة للمسلمين وسماه « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » فصار هذا الكتاب مرجعا ومنتهى للعلوم الدينية وتلقت الأمة عليه بالقبول الكامل .

(٢) وقد قدم صاحب هذا المقال سماحة الشيخ العلامة الندوي حفظه الله على سائر المصنفات في فن الحديث للمحدث الجليل العلامة محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله . على طلب منه كهذا التقديم على الأبواب و التراجم للبخاري و تقديماته على « أوجز المسالك » و « الكوكب الدري » و « جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ » وغير ذلك على مصنفات العلامة الكاندهلوي رحمه الله .

لشدة اعتناء الأمة الإسلامية بكل ما يتصل بالحديث النبوي، ويتصل بالشخصية النبوية التي ضمن الله لهما برفع الذكر و تخليد الأثر، وارتفاع المنار، ولسان صدق في العالمين، حتى تخطت هذه البركة وسرت إلى من اتصل بها عن قريب أو بعيد فأدركت كل من انخرط في سلك الرواة على مدى العصور والأجيال فرفعت عنه اللثام وازالت عنه لوثة النكارة أو وصمة الجهالة فدون في كتب أسماء الرجال اسمه واسم أبيه و ذكر كثير من أخباره و بحث عن نسبه و نسبته، و دراسته ونشأته، وأمانته وعدالته، حتى أصبح علما يعرف ومعرفة لا تنكر (١) وفاق في ذلك على كثير من المصلحين في أمم أخرى وكثير من العظماء والأبطال ومؤسسي الحكومات حتى قال أحد المستشرقين الكبار، وهو العالم الألماني المعروف بـ « اسبرنجر» في مقدمته بالانجليزية على كتاب « الأصابة » المطبوع في كلكته سنة ١٨٥٣م-١٨٦٤م « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمس مائة ألف رجل وشئونهم » (٢) لم يقتصر هذا البر والرفد على الأولياء والمحبين من أمته والخادمين لدينه وعلمه بل تعدي ذلك إلى الأعداء الكاشحين، والمناوئين لدينه فعرف به كثيراً من أعدائه الألداء ممن طوتهم الجاملية وطمستهم الأيام فبقيت أسماؤهم وكثير من أخبارهم بفضل السيرة النبوية والحديث النبوي، ولو لا هما لذهبت أخبارهم أدراج الرياح وطارت أسماؤهم العنقاء، فلا عجب إذا كان العصر الغابر والتاريخ الماضي يتمثلان ببيت الشاعر العربي ويخاطبان هذه السحابة التي مرت بهما فأفاضت عليهما

---

(١) قد روى عن النبي ﷺ انه قال: « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها و وعاها واداها كما سمع.

(٢) الرسالة المحمدية لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي (تعريب: الأستاذ محمد ناظم الندوي) ص/٧١، دار الفتح ١٩٦٣م.

الحياة والنماء وينتشران:

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة

أثنى عليها السهل و الأوعار

ونعود إلى الحديث فنقول : وكان مظهرا من مظاهر هذه العناية الفائقة بهذا الكتاب الفذ عناية العلماء بتراجم الأبواب في الجامع الصحيح فتناوله كل من شرح هذا الكتاب أو علق عليه أو عكف على تدريسه وأفرد بعضهم له تأليفات فات كثيراً من المؤلفين أسماؤها شأن العلوم الأخرى . ومن المؤلفات التي حفظت أسماؤها . وجاءت الإشارة إليها . ثلاثة مؤلفات في هذا الموضوع . ذكرها الكاتب (١) الحلبي المشهور باسم الحاج خليفة (م ١٠٦٧) في كتابه الشهير « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » وهي : ١- كتاب للإمام ناصر الدين علي(٢) ابن محمد بن المنير الاسكندراني سماه « المتواري على تراجم البخاري » (٣) . و ٢- « ترجمان التراجم » لأبي عبد الله (٤) محمد بن

---

(١) هو مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي المعروف بالحاج خليفة (١٠١٧-١٠٧٦) مؤرخ بحاثة . تركي الأصل . مستعرب . مولده و وفاته في القسطنطينيه . تولى أعمالا كتابية في الجيش العثماني . وذهب مع أبيه وكان من رجال الجند إلى بغداد مات أبوه بالموصل فرحل إلى ديار بكر ثم عاد إلى الآستانه و رحل إلى الشام . ثم حج وزار خزائن للكتب الكبرى . وعاد إلى الآستانه . وشهد حرب كريت (١٠٥٥) وانقطع في السنوات الأخيرة إلى التدريس . له مصنفات أشهرها « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » وقد صرف عشرين سنة من عمره لجمع هذا الكتاب . دائرة المعارف الإسلامية في « اردو » طبع بنجاب . ج/٧- ص/٧٧١ . الاعلام . ج/٨- ص/١٢٨ .

(٢) ولم شرح على صحيح البخاري في عشر مجلدات سماه مصابيح الجامع . كما في كشف الظنون .

(٣) كشف الظنون . ص/٣٦٥ .

(٤) هو عالم المغرب الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري (٦٥٧-٧٢١) احتفل في صباه بالأدبيات حتى برع ثم رحل إلى فاس . طلب الحديث وجهد فيه وتفقه . وأخذ الأصلين عن جماعة . حج وجاور . ودخل مصر والشام سمع من ابن دقيق العيد وطبقته . توفي بفاس . شذرات الذهب : ج/٦- ص/٥٦ . البدر الطالع : ج/٢- ص/٢٣٤ .

عمر بن رشيد الفهري البستي المتوفى سنة ٧٢١هـ قال الجلبي : وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله . ٣- « حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة » وهي مائة ترجمة للفقيه أبي عبد الله محمد (١) ابن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي المتوفى سنة ٣٧٠هـ . وأضاف إلى هذه الكتب الثلاثة مسند الهند وأستاذ الأساتذة فيها الشيخ عبد العزيز (٢) بن ولي الله الدهلوي (م ١٢٣٩) كتابا رابعاً في كتابه المفيد « بستان المحدثين » (٣) وهو « تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي المخزومي الاسكندراني الملقب ببدر الدين المعروف بالدماميني (٤) المتوفى سنة ٨٢٦هـ .

هذا ما أثر عن المتقدمين والأئمة المحققين في البلاد الإسلامية

---

(١) لم نعثر على ترجمته .

(٢) هو الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي العمري . سراج الهند . (١١٥٩-١٢٣٩) أخذ عن والده وبعد وفاته أخذ عن الشيخ نور الله والشيخ محمد عاشق والشيخ محمد أمين الكشميري وهم كانوا من أجلة أصحاب والده . حتى برع في العلوم وحصلت له الملكة الراسخة . كان أجد أفراد العالم بفضله علمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه . اشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد . وتخرج عليه كثير من العلماء والمشائخ كالشيخ عبد القادر الدهلوي والإمام أحمد بن عرفان الشهيد والمفتي الهي بخش الكاندهلوي وغيرهم . له مصنفات منها تفسير القرآن وقد ضاع معظمها في ثورة الهند . نزهة الخواطر : ج/٧- ص/٢٦٨ . رجال الفكر والدعوة : الجزء الرابع . العلامة الندوي حفظه الله .

(٣) وهو باللغة الفارسية عربه الأستاذ محمد أكرم الندوي وطبع في هذه المجلة : البعث الإسلامي في الحلقات .

(٤) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي المعروف ببدر الدين بن الدماميني المالكي عالم بالشريعة وفنون الأدب . ولد في الاسكندرية واستوطن القاهرة . سمع من ابن الملقن والنويري وطبقتهما . درس في الأزهر ثم تحول إلى دمشق ثم حج وعاد إلى مصر مولى قضاء المالكية ثم تركه ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد ثم انتقل إلى الهند ومات في مدينة كلبركه قال العلامة عبد الحي الحسني وله شرح على صحيح البخاري سماه « مصابيح الجامع » أوله الحمد لله الذي في خدمة السنة النبوية أعظم سيادة . ذكر فيه أنه ألفه للسلطان أحمد شاه المذكور وعلق على أبواب منه ومواضع يحتوي على غريب واعراب وبنية . وقد دخل ابن الدماميني مدينة أحمد اباد سنة ٨٢٠هـ . ولا بد أن يكون هذا الكتاب قد ألف بين سنتي ٨٢٠ و٨٢٨هـ . نزهة الخواطر . ج/٣- ص/٩٥ . شذرات الذهب : ج/٧- ص/١٨١ . الضوء اللامع : ج/٧- ص/١٨٤ . البدر الطالع : ج/٢- ص/١٥٠ . الأعلام . ج/٦- ص/٥٧ .

العربية ومن المعروف أن علماء الهند قد سمت همتهم في خدمة علم الحديث وتفننوا فيها كل تفنن فكانت لهم في كل فن من فنونه وغرض من أغراضه جولة وقد انتهت إليهم رئاسة علم الحديث والصدارة في تدريسه ونشره في العصر الأخير (١) فلا بد أن تكون لهم مؤلفات لم تصل إلينا أساؤها وجزى الله عنا وعنهم مؤلف (٢) كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » إذ حفظ لنا الشئ الكثير من مؤلفات علماء الهند في علم الحديث واستقصاها استقصاءاً كبيراً ولكنه لم يذكر مما ألف في موضوع الأبواب والتراجم إلا رسالة (٣) لشيخ مشايخ الهند واستاذ

---

(١) ومن أجل حاملي لوائه الإمام علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري صاحب كنز العمال (م ٩٧٧) وتلميذه النابغ العلامة محمد بن طاهر بن علي الفتني صاحب مجمع بحار الأنوار . (م ٩٨٦) والعلامة عبد الحق بن سيف الدين البخاري الدهلوي (م ١٠٥٠) والشيخ أبو الحسن السندي الكبير صاحب الحواشي الستة على الصحاح الستة (م ١١٣٨) و الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي مسند الهند (م ١١٧٦) والعلامة عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (م ١٢٣٩) والشيخ محمد اسحاق (م ١٢٦٢) والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي (م ١٢٩٦) وغيرهم من المحدثين والمصنفين الكبار .

(٢) هو العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني مؤرخ الهند الكبير (١٢٨٦-١٣٤١) ولد في رائ بريلي في بيت عريق في العلم والدين فأبوه السيد فخر الدين الحسني من المؤرخين الكبار . قرأ على الشيخ محمد نعيم الفرنكي محلي وعلى غيره من علماء لكناؤ . ثم سافر إلى بهوفال . وأخذ الحديث عن العلامة المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني . وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ القاضي عبد الحق الكاملي حتى فاق أقرانه وتضلع في العلوم .

كان متألما بواقع المسلمين حريصا على اصلاحهم . فلبى دعوة ندوة العلماء حتى اختير مديراً لها واستمر على ذلك حتى وافته المنية .

كان راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية كاتبا مترسلا . سائل القلم في العربية ومن أهم مؤلفاته . نزهة الخواطر في ثماني مجلدات كبار . يحتوي على أربعة آلاف وخمس مائة ونيف ترجمة . أعقب ابنين وبنتين . فضيلة الدكتور عبد العلي الحسني . مدير ندوة العلماء الأسبق والعلامة الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي حفظه الله . وهو داعية موهوب وعلم من أعلام الإسلام .

(٣) طبعتها باسم رسالة شرح تراجم صحيح البخاري دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد سنة ١٣٢٣هـ وهي تقع في ١٢٩/صفحة بالقطع المتوسط .

الأساتذة وناشر علم الحديث في هذه الديار الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١) المتوفى سنة ١١٧٦هـ . وهي رسالة وجيزة المباني غزيرة المعاني تكاد تكون كلها أصولا كلية ونكتا حكمية واللب اللباب في فهم التراجم والأبواب . شأنه في كل موضوع يطرقه وبحث يتناوله . ومن المرجع أن مؤلف الثقافة لم يطلع على رسالة العلامة الشيخ محمود حسن الديوبندي (٢) (م ١٣٣٩) المعروف بشيخ الهند فإنما طبعت بعد وفاة مؤلف الثقافة (٣) .

هذا جل ما انتهى إلينا من أخبار الكتب والرسائل في موضوع الأبواب والتراجم للبخاري في الماضي (٤) .

---

(١) هو الإمام حكيم الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي . مسند الهند وأعلم أسرار الشريعة (١١١٤-١١٧٦) قرأ سائر العلوم على والده . وكان يحملف إلى المحدث الشيخ محمد أفضل السيالكوتي واستفاد منه في الحديث . سافر إلى الحرمين الشريفين . وأقام بهما عامين وصحب علماءهما وأخذ الحديث عن الشيخ أبي طاهر الكردي ورجع إلى الهند ونشر الحديث فيها . وقد الهمه الله تعالى من العلوم والاسرار وجمع فيه من العلوم يندر نظيرها في تاريخ الأمم والديانات . يقول عنه شيخه الكردي : « يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه المعنى » ومن أشهر مصنفاته . حجة الله البالغة في علوم أسرار الشريعة - نزهة الخواطر : ج/٦- ص/٢٩٧ . رجال الفكر والدعوة-٤ . للعلامة أبي الحسن الندوي .

(٢) هو الشيخ العلامة المحدث محمود حسن بن ذو الفقار علي الحنفي الديوبندي (١٢٦٨-١٣٣٩) ولد في بريلي ونشأ بديوبند وقرأ على أساتذة ولا سيما العلامة محمد قاسم النانوتوي . وانتفع به كثيراً حتى برع في العلوم . وولي التدريس بديوبند ثم رأس التدريس بها ونفع الله به في هذه الفترة نفعاً عظيماً .

كان قد وضع خطة لتحرير الهند من حكم الانجليز وسافر له إلى الحجاز وقابل حكماء الترك . وحاول له ولكن اكتشفت الحكومة الانجليزية هذه المؤامرة وألقى القبض عليه . ومكث في السجن ثلاث سنين عاكفا على العبادة والإفادة ثم وصل إلى الوطن مكرماً مبجلاً . وقد مالت إليه القلوب وتقاطر الناس لاستقباله وزيارته وقد أضناه الأسر و وهنت قواه ولكنه ما دام مشتغلا بعمله حتى وافاه الأجل .

كان دائم الابتهال سليم الصدر جيد الفقه والمشاركة في العلوم . عالي الهمة بعيد النظر . قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه وكثرة درسه .

(٣) والكتاب يقع في ٧٣/صفحة وهو في اللغة الأردية وفي آخره نحو أربع صفحات بالعربية وهو بمذكرات معلم أشبه منه بكتاب مستقل طبع في مطبعة « الأمان » في نگينه بجنور .

(٤) ذكر صاحب المقال كتاب العلامة محمد زكريا الكاندهلوي في انتهاء مقاله بشيء من البسط والتفصيل .

الأقليات الإسلامية : قضاياها ومشكلاتها

بقلم : د/ظفر الإسلام خان

ليس في الإسلام والدائرة الإسلامية شئ يسمي « الأقلية » و « الأغلبية » فالكل مسلمون تتساوي حقوقهم و واجباتهم ودماؤهم . ويأتي وصف « الأقلية » نظراً إلي تواجد جاليات إسلامية في دول ومجتمعات غير إسلامية . فهي « أقلية » بالنسبة إلي تلك الدول والمجتمعات الكافرة . بينما أعضاؤها إخوة مسلمون بالنسبة لمسلمي سائر الأقطار الإسلامية . فمن هنا يأتي وصفهم الرائج هذه الأيام بالأقليات بينما هم ليسوا كذلك في حقيقة الأمر من خلال المنظور الإسلامي الصحيح .

ونقول هذا مع اعترافنا بأن علماء الإسلام الأوائل لم يحبذوا سكني المسلم بين غير المسلمين . وقد شدد بعضهم في النكير علي المسلم الذي يعيش في دار الحرب . وستجدون تفاصيل آراء الأئمة والفقهاء حول هذه القضية في كتب السير والأحكام السلطانية والفقه في أبواب الجهاد ودار الحرب إلخ . . . وكانوا - رحمهم الله - يحضون مسلمين كهؤلاء - كمن بقي في صقلية والأندلس بعد سقوطها النهائي في أيدي المسيحيين - علي المسارعة بالخروج من ديار كهذه والالتحاق بدار الإسلام لحفظ دينهم وصون أهم ما يجب علي المسلم حفظه .

نصيحة غير عملية :

يجب أن نكون واقعيين اليوم ونعترف بأنه من المستحيل أن نقدم هذه النصيحة لأبناء الأقليات الإسلامية اليوم . فليس بإمكان الدول الإسلامية استيعاب أعداد كبيرة مثل المائة

في هذا . فلو تخلوا عن واجبهم هذا انتفت عنهم صفة « الأمة » الإسلامية التي قال الله تعالى عنها في محكم كتابه : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (سورة الحجرات . الآية : ١٠) كما قال : ﴿ والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (سورة التوبة . الآية : ٧) وتتضح هذه المسئولية التضامنية بصورة جلية في الحديث النبوي الشريف الذي يقول :

« ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » (١) .

حجم الأقليات إسلاميا وعالميا :

يبلغ عدد المسلمين في العالم اليوم ١٢٠٠/مليون نسمة ، بينهم نحو ٣٥٠/مليون مسلم يعيشون كأبناء الأقليات الإسلامية وهم يمثلون بالتالي نحو ثلث الأمة المسلمة . وهناك مسلم واحد اليوم بين كل خمسة سكان على وجه الأرض . وبالتالي هناك مسلم ينتمي إلى أقلية بين كل ١٥/شخصاً على وجه الأرض . وأكبر هذه الأقليات تعيش في الهند إذ تضع الإحصائيات الرسمية عددهم بتسعين مليون نسمة بينما يعتقد المسلمون أنهم لا يقلون عن ١٥٠/مليون نسمة . وتأتي بعدهم الأقلية الإسلامية في الصين فيبلغ عددها نحو ٣٠/مليون مسلم . وهناك تواجد إسلامي في نحو ٩٠/دولة في العالم بينها ٤٤/دولة إسلامية . والبقية أقليات . ويبلغ عدد المسلمين في آسيا ٨٠٠/مليون . وفي افريقيا ٣٠٩/ملايين وخمسة ملايين في القارة الأمريكية و١٦/مليونا في أوربا ومليونين في القارة الأسترالية . ولو استمر توالد المسلمين وتكاثر أعدادهم بالمعدل الحالي فستصل أعدادهم إلى ١٦٠٠/مليون بعد عشر سنوات فقط من الآن ، أي بمعدل (ربع) سكان العالم بدلا من معدل (الخمس) الحالي . وبالتالي سيزيد تعداد أبناء الأقليات الإسلامية إلى ٥٠٠/مليون .

فسيكون هناك مسلم واحد بين كل أربعة يعيشون على وجه الأرض ، و مسلم واحد يعيش كإبن أقلية مسلمة بين كل ١٢/شخصاً على وجه البسيطة .

ويتضح من هذا أن الأقليات الإسلامية تشكل جزءاً هاماً جداً من أمة الإسلام اليوم ، وهذا العدد الضخم ، الذي يفوق تعداد كل الدول العظمى على حدة باستثناء الصين ، يؤكد على ضخامة هذا الجزء من أمة الإسلام ، بحيث يكون إطلاقنا عليه وصف أقلية « تجاوزا » وجرياً على المتعارف وليس حقيقة في واقع الأمر ، فوصف « أقلية » يوحي للإنسان بأن المراد شريحة صغيرة غير هامة من البشر في مجتمع ما ، ولو نظرنا إلى الأقليات الإسلامية من خلال هذه النظرة فهي ستكون طامة كبرى لأننا سنفقد أو سنتجاهل ثلث أبناء الأمة المسلمة ، وهذا التجاهل ليس قضية نظرية بل هو حقيقة واقعة في تاريخ الأمس القريب فقد تجاهلت الأمة المسلمة مسلمي الصين ؛ على سبيل المثال ؛ وبالتالي تعرض هؤلاء لمحن وإبادة وتهجير تقشعر لها الأبدان ، وكان ينبغي أن يكون عدد مسلمي الصين اليوم نتيجة التوالد والتناسل الطبيعيين بين ١٠٠/مليون و١٥٠/مليونا طبقا للاحصائيات الرسمية التي نشرتها حكومة الصين نفسها في بداية هذا القرن ، ولكن نتيجة الإهمال وما تعرض له مسلموالصين من محن تقدر أعدادهم اليوم بين ١٧/مليونا و٢٠/مليون مسلم فقط طبقا للتقديرات الحالية الرسمية وغير الرسمية ، فأين ذهبت البقية ؟ هو حقا ضحية إهمالنا أكثر مما هي ضحية البطش الشيوعي ، ومثل هذا النموذج من الإهمال والتجاهل رأيناه مرة أخرى قبل تسع سنوات حين ظلت المدافع والصواريخ الصهيونية تدك المسلمين في بيروت لثلاثة أشهر ولم يتحرك العالم الإسلامي ساكناً . : أين هذا النموذج من صرخة المرأة المسلمة العزلاء التي نهبت وسلبت على

شواطئ الهند فحصرتهم "... وا جتمعوا" ... دولة إسلامية
وحولت صراخها الخلافة الإسلامية كلها وانتهى الأمر إلى ضم
الأرض المعتدية إلى رحاب « دار السلام » قبل ١٤/قرناً

كيف عاملت أوربا أقلياتها الإسلامية وكيف عاملنا الأقليات في بلادنا ؟

كانت الدول الأوربية قد قضت على الأقليات الإسلامية في بلدانها كالتي كانت توجد في الأندلس وجنوب إيطاليا وسويسرا وصقلية ومالطا وقوصيرة وميورقة ومنورقة الخ بل وحتى المسلمون الأفارقة الذين استعبدهم الأوربيون ونقلوهم إلى الأمريكتين الشمالية والجنوبية، قد تعرضوا للتعميد - أي التنصير - القسري. ولا ننسى محاكم التفتيش التي قامت في أسبانيا والبرتغال ببركات الكنيسة لفرض التنصير على مسلميها ويهودها بعد سقوطها في أيدي المسيحيين. وانتقلت هذه المحاكم - التي هي سبة في وجه البشرية - إلى المستعمرات الأسبانية فيما وراء البحار. أما الأقليات غير الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي فلم تلق اضطهاداً دينياً أو ثقافياً بل حظيت بالتكريم والاحترام في ديار الإسلام. فنجد الهندوس كطائفة مزدهرة في ظل الحكم الإسلامي الطويل على الهند والأقباط في مصر، والمسيحيين بمختلف الفئات في البلاد الإسلامية. والصابئة في العراق والمجوس في بلاد فارس. واليهود الذين وجدوا في بلاد المغرب وديار الخلافة العثمانية ملجأ آمناً من الاضطهاد الديني البشع في أوربا القرون الوسطى. وكانت الخلافة العثمانية قد أبدعت نظاماً فريداً من نوعه يمنح الاستقلال الذاتي للأقليات الدينية في أقطار الخلافة. وكان هذا النظام المعروف بـ « نظام الملة » يعطي استقلالاً ذاتياً في الشئون الدينية والتعليمية والثقافية لرؤساء هذه الأقليات... وهو نظام في منتهى السماحة

والتسامح ولم تصل إليه أية حضارة أخرى . بل عرفت كل الحضارات باضطهاد أبناء غيرها من الحضارات والثقافات واحتقارهم . وإن كان هناك غير مسلمين ممن عوقبوا أو أعدموا في ظل الحكومات الإسلامية عبر العصور فكانوا من المعارضين السياسيين وليس نتيجة معتقداتهم الدينية .

أقليات إسلامية مظلومة :

وهناك بعض الأقليات ، مثل مسلمي قبرص والهند وجنوب الفلبين واليونان وسري لانكا وبورما وتايلاند ، تعاني هذه الأيام من ظلم الأغلبيات في بلدانها ، بصورة ملحوظة .

ورأى العالم بالأمس القريب وشهد صامتا وساكتا كيف كان النظام الشيوعي البلغاري يضطهد الأقلية المسلمة اضطهادا مكشوفا ويعرضها للقتل والتجويع لإدماجها بالقوة في البيئة الثقافية بفرض تغيير الأسماء من الأسماء العربية والتركية إلى أسماء بلغارية ، وحرمان من لا يقبل بهذا من الوظائف وفرص التعليم والخدمات العامة . وكان الاضطهاد شديدا لدرجة أن كثيرين من المسلمين البلغار هربوا من بلادهم إلى تركيا وغيرها من الدول .

اهتمام المسلمين بالأقليات الإسلامية :

تحظى قضية الأقليات الإسلامية باهتمام المسلمين على المستويين الرسمي والشعبي . فقد كانت قضية الأقليات عبر العالم من القضايا التي ناقشتها الدورة العشرون لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بإسطنبول في الصيف الماضي . وقد ظلت قضايا الأقليات تلقى اهتمام مؤتمرات القمة الإسلامية . وقد سبق عقد مؤتمر عن الأقليات الإسلامية في إطار المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض سنة ١٤٠٦هـ (يناير ١٩٨٦م) .

غالبية اللاجئين في العالم مسلمون :

من جوانب مآسي الأقليات الإسلامية أن كثيرين من أبنائها يتعرضون للهجرة أو التهجير ، وهم يمثلون أكبر نسبة بين اللاجئين في العالم . فقد بلغ عدد اللاجئين المسلمين في أنحاء العالم هذه السنة (١٩٩١م) ١٢ مليوناً ، وهم يمثلون ٧٠٪ في المائة من اللاجئين في العالم والذين يبلغ عددهم الكلي ١٧٫٧٪ مليون لاجئ . وأكبر فئة من اللاجئين المسلمين هم الأفغان إذ بلغ عددهم ستة ملايين يعيش معظمهم في باكستان وإيران . ويليهم اللاجئون الفلسطينيون الذين يبلغ عددهم مليوني لاجئ .. هذا إلى جانب اللاجئين المسلمين من إرتيريا وبورما والصومال وموزمبيق وبلغاريا وغيرها من الدول .

تطوران هامان :

تأتي دعوة المملكة العربية السعودية هذه الأيام لعقد مؤتمر الأقليات في أعقاب تطورين هامين هما انهيار الشيوعية في عقر دارها مع مالها من تأثير على المسرح العالمي ، وأزمة الخليج التي أدت إلى تصدع في الصف الإسلامي العالمي ، بسبب استغلال صدام حسين لمشاعر المسلمين بادعائه الكذب بالجهاد لأجل الإسلام في وجه قوى الغرب . وينبغي بعد أن خرجنا من محنة أزمة الخليج أن ننصرف إلى رأب الصدع وتطويق الخلاف في البيت الإسلامي . ونأمل أن ينجح المؤتمر المزمع انعقاده بمكة المكرمة في إنشاء منظمة إسلامية تسهر على متابعة أحوال الأقليات الإسلامية ومد يد العون لهم بصورة منظمة وإصدار نشرات ومطبوعات عنها بصورة دورية منتظمة ، و وضع خطة بعيدة المدى للنهوض بها روحيا وماديا .

مفاجآت لدار الإسلام :

قد تخبئ لنا الأقدار مفاجئات عظيمة فيما يتعلق

بالأقليات الإسلامية . فقد شهدنا في الشهور الأخيرة وقائع درامية أدت إلى انعتاق مناطق المسلمين في الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا وألبانيا .. ولم يكن أحد يحلم حتى قبل سنة واحدة من الآن أن يتحقق هذا الحلم الكبير ، وهو أن يتحرر المسلمون الرازحون تحت النير الشيوعي فينضموا إلى الأمة المسلمة بكل طاقاتهم وحيويتهم . ولا ننسى في هذا المجال الدور الكبير الذي قامت به المقاومة الإسلامية الأفغانية في ضرب آلة الحرب السوفيتية وإضعاف الاقتصاد السوفيتي مما ساعد على انهيار الامبراطورية الروسية .. وكان هذا بطبيعة الحال من العوامل المؤثرة التي ساعدت على تنشيط التناقضات التي كانت روسيا تعيشها في ظل الشيوعية .

<u>**واجبات وحقوق :**</u>

إن أمة الإسلام ، المنقسمة اليوم إلى « أغلبيات » و « أقليات » وحدود سياسية مقدسة ، ليس لبعضها من واجبات محددة تجاه البعض الآخر .. ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لسنجد أن الله تعالى قد حدد واجبات الإنسان المسلم تجاه أخيه المسلم أيا كان و حيثما كان بأربع درجات . فقد قال الله تعالى في وصفه للمسلمين في سورة العصر : ﴿ والعصر • إن الإنسان لفي خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .. فالمطلوب من الإنسان المسلم بالترتيب هو : « الإيمان » ثم « العمل الصالح » ثم « التواصي بالحق » ثم « التواصي بالصبر » والأولان أي الإيمان والعمل الصالح عملان فرديان ، بينما الأخران - التواصي بالحق والتواصي بالصبر - عملان اجتماعيان ، والإنسان المسلم خاسر في الحياتين الدنيوية والأخروية لو فشل في أداء هذه الواجبات الأربع ، وكل هذه الواجبات عمليات مستمرة متواصلة إلى أن ننتقل إلى رحاب

الله . و ينبغي ترجمة هذه المسؤليات إلى خطط وسياسات محددة . وهذا بطبيعة الحال من مسئولية الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية المحلية والدولية .

نوع جديد من الأقليات :

إلى جانب الأقليات القديمة المعتادة ظهرت في السنوات الأخيرة أقليات إسلامية في الغرب تتكون في غالبيتها من مسلمين هاجروا من بلاد الشرق بحثا عن فرص أفضل أو لتلقى التعليم العالي فضلوا الاستقرار بتلك البلدان ، وهؤلاء غرباء في مجتمعهم الجديد على عكس الأقليات الإسلامية القديمة في البلاد الآسيوية والأفريقية . وتنقطع عنهم بلدانهم الأصيلة كل سبل الرعاية والمساندة في أغلب الأحيان باعتبارهم مواطنين تابعين لدول أخرى .

والأقليات الإسلامية في الغرب تتكون عموما من حملة الشهادات العليا ، وكثير من أبنائها بالتالي نشيطون على مختلف الأصعدة في تلك المناطق . وهم ليسوا في حاجة إلى دعم كبير بل إلى ترشيد وتوجيه .

ومن مشكلات هذه الأقليات تفكك الروابط العائلية . وخصوصا في الغرب حيث يعمل الوالدان معا - عموما - مما يحرم الأولاد من حنانهما وعطفهما الطبيعي . ومن نتائج هذا التفكك الأسرى أن أخذت فتيات مسلمات يتزوجن من غير المسلمين في المجتمعات الغربية . ومن أمثلته أن ١٢٠٠ فتاة مسلمة في كندا وحدها متزوجات من غير المسلمين حسب إحدى الإحصائيات الأخيرة .

قضايا مشتركة بين الأقليات :

إلى جانب الانقسامات الداخلية بين أبناء الأقليات ، هناك قضايا مشتركة بينها مثل ضياع الهوية الإسلامية والاندماج

في البيئة المحيطة بها وتهتك النسيج الاجتماعي والتخلف التعليمي والثقافي والغياب الإعلامي في مواجهة طغيان أجهزة الإعلام المعادية لها في بلدانها .

ومن المخاطر التي تواجه الأقليات الإسلامية الصغيرة على وجه الخصوص مشكلة التنصير التي تتخفى وراء مؤسسات تعليمية وصحية وثقافية وإنسانية .. والمجموعات والأقليات الإسلامية التي تعيش على هامش العالم الإسلامي هدف خاص للمنصرين ، وخصوصا في هذا العقد الأخير من القرن العشرين الذي تحتفل به مؤسسات التبشير عبر العالم « عقداً للتبشير » والذي يهدف بصفة خاصة إلى إبلاغ رسالة التبشير المسيحي إلى الشعوب التي لم تصلها الدعوة حسب زعمهم ، وعلى رأسهم المسلمون . ويخطط المنصرون إلى تحويل افريقيا - وعلى الأقل المناطق الواقعة جنوب الصحراء - إلى منطقة مسيحية خالصة في المستقبل القريب .

ومن هذه المخاطر كذلك ، تعرض الأقليات الإسلامية للتأثير الاستشراقي ، فلا توجد في لغات كثير من هذه الأقليات مكتبات إسلامية متكاملة تكفي لمتطلبات الإنسان المسلم ، وهذه الأقليات لا تتقن اللغة العربية وبالتالي ترجع إلى المصادر الاستشراقية باللغات الأوربية ، وهذا أمر ملاحظ بصفة خاصة بين أبناء الجاليات الإسلامية في الغرب ، وهم لا يقدرون على التمييز بين الغث والسمين ، على عكس الناطقين باللغة العربية الذين ينهلون المعارف الإسلامية من مصادرها الأصلية الصحيحة ، والأجيال الجديدة لهؤلاء المسلمين ، التي تنشأ في بيئة غريبة تواجه خطراً حقيقياً يهدد شخصيتها الإسلامية ، وهناك نشاط ملحوظ للجماعات الضالة مثل القاديانية في بلاد المهجر ، إلى جانب نشاط المنصرين .

ثم هناك مشكلات وخلافات يصطنعها المهاجرون بأنفسهم في بلاد المهجر حين يستوردون هناك الخلافات العرقية والسياسية والمذهبية التي تعاني منها مجتمعاتهم الأصلية .

العمل المطلوب في بلاد الأقليات :

المطلوب منا شيئان في البلاد غير الإسلامية : إنقاذ الأقليات المسلمة وتوفير الأمن والتوجيه لها من ناحية . ثم نشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين هناك .

وتوفير الحماية والأمن للأقليات المسلمة لن يكون بطبيعة الحال بإرسال الجيوش أو بالتهديدات السياسية ، بل هذا سيعود عليها بالضرر المؤكد .. ولكن ينبغي أن يكون هذا بعقد معاهدات دولية واتفاقيات ثنائية تحفظ حقوق الأقليات حيثما كانت ، وأن تقاطع الدول التي تضطهد أقلياتها مقاطعة اقتصادية وسياسية إلى أن تغير من سياساتها ، ويمكن أن يكون تعيين ملحقين في سفارات الدول الإسلامية لمراقبة أوضاع الأقليات الإسلامية ذا أثر كبير ، وسيكون هؤلاء على غرار الملحقين الثقافيين والاقتصاديين الخ .. وسيرسل هؤلاء الملحقون تقاريرهم إلى إدارات وأقسام لمراقبة أوضاع الأقليات الإسلامية بوزارات خارجية دولهم الإسلامية .

ومن الأشياء المطلوبة بصورة عاجلة وضع دائرة معارف إسلامية صحيحة تترجم إلى مختلف اللغات لتكون مرجعا صحيحا وأساسيا للمثقفين المسلمين في مختلف أرجاء الأرض ، وكذلك يجب وضع مكتبة وفق خطة منهجية مدروسة لمختلف الفئات كالمثقفين والنساء والشباب والأطفال الخ . فلدينا كم هائل من الكتب بينما هناك نقص شديد في الكتب المنهجية .. فلو سألت عن كتاب واحد يتناول الإسلام بصورة عامة للقارئ غير المسلم باللغة الانجليزية قد لا تجد أي كتاب - ربما باستثناء

للدكتور محمد حميد الله - بينما هناك كم هائل من الكتب حول شتى القضايا التخصصية والفرعية . هذه المشاريع بطبيعة الحال تحتاج إلى النفس الطويل والمثابرة على مدى سنوات طويلة إلى أن تتحقق .

ومن المطلوب ، كذلك ، النهوض بالمستوى التعليمي والثقافي للأقليات وبناء مدارس ومراكز ثقافية في المناطق التي لا تطيق أقلياتها إنشاء مؤسسات كهذه ، بينما هناك أقليات غنية ونشيطة - مثل الأقلية الإسلامية في الولايات المتحدة وجنوب افريقيا - لا تحتاج إلى مسانده كهذه ، بل ربما احتاجت إلى التوجيه العام ، ومن المطلوب كذلك إرسال دعاة ومعلمين مؤهلين للعمل بين هذه الأقليات ، ويفضل أن يكونوا من أبنائها أو من العرب ، وذلك لأن أبناءها يعرفون كيفية التحرك في مناطقهم ، ولأن العرب لا يزالون يتمتعون باحترام لدى هذه الأقليات لانتمائهم إلى الجنس العربي الذي انتمى إليه الرسول الأكرم ﷺ ولتحدثهم بلغة القرآن الكريم .

ويجب أن يكون هؤلاء على درجة عالية من إتقان لغة المنطقة التي يرسلون إليها للعمل والدعوة ، وأرى من خلال ما أعرفه أن اهتمام الجامعات والمعاهد الإسلامية ضعيف باللغات الأجنبية ، وينبغي معالجة هذا الخلل وتصحيحه .

المجالات والفرص أكبر من أن تحصى :

الحقيقة هي أنه لو كان المطلوب - حقيقة - تقوية الأقليات الإسلامية في صمودها على جادة الإسلام فإن مجالات الدعم والتعاون - رغم الحدود التي تفرضها الأوضاع السياسية الحالية - هي لا تعد ولا تحصى .

فليس صعب المنال على الإطلاق أن نوفر الأدبيات الإسلامية وكتب المصادر بالشكل المناسب لهذه الأقليات وأن

نساعدها على إنشاء مدارس إسلامية وكتاتيب قرآنية . وأن نوفر لها العناصر الكفؤة المدربة وأن نتيح لأبناء الأقليات فرص الالتحاق بالجامعات والمعاهد العلمية في العالم الإسلامي وأن نضع برنامجها لتبادل الطلبة والباحثين والعلماء . وأن نعمل على زيادة مشاركة الأقليات في الملتقيات الإسلامية الدولية ، من أكاديمية وثقافية ودينية ، إلى آخره . فالإمكانات أكثر من أن تحصى هنا .

ولا ينبغي أن نشعر بالرضا بأننا قد قمنا بالواجب لمجرد أن بعض هذه المشاريع قد تحققت بالفعل . فالذي حدث ، بأكثر التقديرات مبالغةً ، ليس أكثر من قطرة من البحر الذي تحتاج إليه الأقليات . فالمطلوب : التصميم الأكبر ، والتخطيط المنظم ، والالتزام الشعوري بالنهوض بأقلياتنا الإسلامية .

وليس هناك من صعوبة في تنفيذ هذه الخطط والمشاريع نظرا إلى الصحوة العامة التي تعم أرجاء العالم الإسلامي ، ولكن الشئ الذي قد لا يتوافر بسهولة هو العقل الثاقب ، وقوة القرار والفصل ، والثبات ، وإرادة التنفيذ في إطار المفهوم القرآني حول « الأمة المسلمة » فعلينا السهر على ألا يضعف شعورنا هذا بالانتماء إلى أمة واحدة وأن نحول دون تفضيل « الخاص » على « العام » والمصالح الدنيوية على المصالح الدينية .

ولو تمكنت الدول الإسلامية من احتضان الأقليات الإسلامية ورعايتها فسيعود هذا بفائدة كبرى على هذه الدول على المستوى السياسي ، حيث إن وجود الأقليات النشيطة في مختلف أرجاء الأرض سيضاعف من هيبة العالم الإسلامي وقوته على المستوى الدولي ، وسيمكنه من التعامل من موقع القوة مع القوى العالمية الأخرى ، بل من البروز كالقوة الثانية على المسرح الدولي في أعقاب انهيار الكتلة الشيوعية .

القرآن معجزة محمد ﷺ الخالدة

الأستاذ عبد الرحمن الملي الندوي
رئيس تحرير مجلة «النور» السورية

لم يحدث في تاريخ البشرية والأمم أن أمة من الأمم، اعتنت بكتابها السماوي، كما اعتنت هذه الأمة المحمدية الأخيرة بالقرآن. ولم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ والرعاية والإجلال والإكبار كما ناله هذا الكتاب المجيد، معجزة محمد الخالدة، وحجته البالغة، ودعوته إلى الناس أجمعين. ولا عجب أن ينال القرآن العظيم هذه المنزلة الرفيعة، ويحتل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجليلة، ذلك، لأن الأحداث التي رافقت نزول هذا الكتاب المقدس، تجعله يتبوأ مكان الصدارة، بين جميع الكتب السماوية، ويفوق كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من هداية، وإصلاح، وتربية، وتعليم، وسمو وتشريع، ولقد أحسن وأبدع من قال:

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أهدى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوابق عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا

فالقرآن الكريم كله يسر لا عسر فيه، إنه قريب من كل نفس خاشعة، دان من كل قلب خافق، وعقل سليم، وضمير حي، ليس فيه ما في العلوم والفنون من مستغلقات ومصطلحات، لا يعرفها إلا أربابها، ولا يعلمها إلا من راض نفسه على تعلمها وتناولها من أهلها وأصحاب الرأي فيها، فإن كل إنسان له نصيب منه، قل أو كثر، فما يرد على القرآن وارد، بقلب سليم، ونية صادقة، إلا أصاب منه خيراً، وتزود منه بزاد، ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ فالقرآن ليس كتاب العلماء وحدهم، وليس كتاب الفقهاء ورجال الدين وحدهم، وليس كتاب طبقة خاصة، أو طائفة من الناس، دون الناس، وإنما هو كتاب رب الناس للناس جميعاً، كل يأخذ منه على قدر ما يبلغ جهده، ويتسع له عقله وقلبه، ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم

وشفاء لما في الصدور ﴾ ولكن القرآن مع هذا اليسر ومع هذه السماحة لا يبيح بخيره إلا لمن كان له قلب حاضر معه . يتدبر به آياته . ويخشع لعظاته . وكان من الذين قال الله فيهم : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً و بكياً ﴾ إن القرآن مع علوه ذلك العلو السامق البعيد . هو قريب المنال . سهل المورد . ولكن لما جاء إليه بأذن واعية . وقلب سليم . وقد يكون من أوجب الواجبات على المسلم . أن يوجه وجهه خالصاً لكتاب الله عز وجل أن يعد نفسه للقاء القرآن إعداداً علمياً . بكل ما يدخل تحت دائرة العلم . حتى يجد العقل المدرك لآيات الله . والقلب المستضيء بنور الحق الذي يهدي إلى مواقع الحق من كلمات الله . ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ فإننا على طول صحبتنا نحن المسلمين للقرآن الكريم . لم نأخذ منه إلا كما يحسو الطير من ماء النيل . والذي أخذناه من القرآن – على قلته – لم ننتفع به . انتفاعا كاملاً . ولم نتمثله في قلوبنا وعقولنا تمثلاً تاماً . كما كان سلفنا الأولون ينتفعون بما يأخذون منه من قليل أو كثير . انتفاعاً كاملاً .

القرآن معجزة محمد ﷺ الخالدة :

وقد جرت حكمة الله الأزلية . أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات . والدلائل الواضحات . والحجج والبراهين الدامغة . التي تدل على صدقهم . وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير . وقد خص الله تبارك وتعالى نبينا ﷺ بالمعجزة العظمى (القرآن العظيم) ذلك النور الرباني . والوحي السماوي . الذي ألقاه على قلب نبيه محمد ﷺ قرآناً عربياً غير ذي عوج . يتلوه آناء الليل . وأطراف النهار . والذي أحيا به أجيالاً من العدم . كانت في عداد الموتى فأحياها الله بنور هذا القرآن . وهداها أقوم طريق . وانتشلها من الحضيض فجعلها خير أمة أخرجت للناس . وصدق الله حيث يقول : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس . كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟

كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ لقد أحيا القرآن أمماً ، وأوجد مجتمعاً ، لم يعرف له التاريخ مثيلاً ، فأخرج من العرب الذين كانوا رعاة الإبل والغنم ، وسادة الشعوب والأمم ، فملكهم الدنيا ، حتى حكموا أقاصي المعمورة ، وكل ذلك بفضل هذا القرآن ، معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولله در من قال :

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له   وأنت أحييت أجيالاً من العدم

فإذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات مادية حسية ، فإن معجزة محمد بن عبد الله ﷺ معجزة روحية عقلية ، وقد خصه الله بالقرآن ، معجزة العقل الباقي على الزمان ، ليراها ذوو القلوب والبصائر ، فيستنيروا بضائيها ، وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر ، وهذا الوحي السماوي الذي ألقاه الله على قلب نبيه الأمين ﷺ ، ليكون ضياء ورحمة للعالمين ، هو معجزة الإسلام الخالدة ، وحجته الباقية ، تقوم على فم الدنيا شاهدة بصدق الرسول ، ناطقة بعظمة الإسلام ، وخلود هذا الدين ، بينما ذهبت المعجزات الحسية ، ومضت مع أحداثها الكونية ، وتلاشت من الوجود ، بعد وفاة الأنبياء الذين أتوا بها ، وقد صدق من قال :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت   وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد   يزينهن جمال العتق والقدم

الآيات المراد بها المعجزات انصرمت أي ذهبت بذهابهم .

يقول الشيخ الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان ، ج/٢ – ص/٢٢٩) عن حقانية القرآن وبقائه على مر العصور والدهور وخلوده على طول المدى ، فيقول :

وقد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول ، واتساع وانقباض ، وحركة وجمود ، وحضارة وبداوة ، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه ، يطل على الجميع من سمائه ، ويشيع نوراً وهداية ، ويفيض عذوبة وجلالة ، ويسيل رقة وجزالة ، ولا يزال كما كان غضاً طرياً ، يحمل راية الإعجاز ، ويتحدى أمم العالم في

يقين وثقة ، قائلاً في صراحة الحق وقوته ، وسلطان الإعجاز وصولته ، ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ هذا ما قال الشيخ الزرقاني ، نستطيع أن نقول بأن القرآن هو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، والكتاب العظيم ، والنور المبين ، والحبل المتين ، والعروة الوثقى ، والآية العظمى ، والبرهان والدليل ، والبشير ، والنذير ، هو الناطق بالحق .

ويقول سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي – حفظه الله – : « إن أكبر ما يمتاز به القرآن ، أنه لم يتطرق شك إلى أصالته ، إن كل حرف نقرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر قرناً » (النبي الخاتم ، ص/٤٣-٤٤) .

إن القرآن مليئ بالمعارف والحكم ، إنه قام بتغيير المجتمع البشرى إلى حد مدهش ، الذين تدبروا آياته ومحتوياته ، شهدوا بأنه نظام كامل ، وقانون شامل للحياة ، ليست ثمة ناحية من نواحي الحياة إلا وفيها هداية للقرآن ، ونرى السعادة العظمى ، في الدنيا ، والفوز العظيم في الآخرة لمن اهتدى بهديه ، واقتبس من مشكاته ، إن القرآن هو قانون الهداية ، بحيث لا مثيل له في التاريخ ، تعاليمه تنسجم مع الطبيعة البشرية ، وهو يحتل مكانة مرموقة ، من حيث تأثيره ، إنه فرض الحظر على القتل والنهب ، إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع أن يساير الركب البشرى في مقتضياته كلها في عصوره المختلفة ، وهو يستطيع أن يستلفت أنظار البشرية إليه في كل عصر ومصر ، ولكن يالها من سوء حظنا نحن المسلمين بأننا ألقيناه وراء ظهورنا ، واتخذناه سخريا ، حتى أصبحنا خاسرين في جميع المجالات من حياتنا الدنيوية ، فعودوا يا أصحاب القرآن إلى القرآن في معنى الكلمة والعود إليه أحمد ، واستنيروا بمشكاته ، و الله يهـــــدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها ﴾ .

تطور إيجابي للعمل الإسلامي في الجزائر

الدكتور محمد ناصر بو حجام

معهد اللغة ، والآداب العربية ، جامعة باتنه

تشهد الجزائر صحوة إسلامية مباركة ، ونهضة دينية واسعة ، بفضل الله أولا ، ثم بفضل رجال قيضهم الله للأخذ بيد هذا الشعب ، وهذه الناشئة الطيبة ، بعد ما مرت على وطنها سنوات عجاف ، وأيام عصيبة ، تعرض فيه لأساليب المسخ والتشويه والتضليل ، ومحاولات القضاء على شخصيته الإسلامية مدة قرن ونصف قرن تقريباً ، على يد الاستعمار الفرنسي ، والقوى الصليبية المعادية والحقودة على الإسلام ، فامتحن آباؤها في دينهم ولغتهم ومقومات شخصيتهم ، وساوموا في هذه الثوابت والمبادئ .. فصمدوا وقاوموا كل هذه الأساليب ، فأبقوا على أصالتهم وعلى دينهم ، غير أن آثار هذه الأعمال التعسفية بقيت إلى ما بعد الاستقلال ، صحيح أن الاستعمار لم يقتل الحماسة للإسلام في نفوس أبنائه في الجزائر ، لكنه أفقده كثيراً من القواعد الأساسية لتطبيق هذا الدين ، مما يعتبر أركان الدين وأصوله من معرفة له والتفقه فيه ، والإصدار عنه في الحياة العامة .

كما امتحن الشعب والنشء بعد الاستقلال بهيمنة بعض الأوصياء عليه ، ممن لا يحملون من الإسلام سوى اسمه ، أما روحه فكانوا بعيدين عنها ، مما تسبب في انحراف مسيرة الجزائر عن سواء السبيل ، غير أن للبيت رباً يحميه ، والحياة تفرز بعض العناصر الصالحة والمخلصة من المسؤولين وعامة الناس والعلماء من تدارك الأمر ، وتغيير الوضع ، فهيأ

الله للجزائر من كان يعمل سراً وعلانية . وبكل الوسائل . حتى يرجع لها أصالتها الإسلامية . وانتماؤها العربي قولاً وعملاً . مظهراً ومخبراً . بمحاولات فردية ومجهودات جماعية . وبواسطة جمعيات خيرية فكانت النتيجة عموم هذا النشاط كامل القطر الجزائري بفضل بعض المتغيرات التي أتاحها الله . لتساعد العاملين على المضي قدماً إلى الأمام . في سبيل إعلاء كلمة الله : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ فكانت هذه الصحوة المباركة وهذه النهضة الإسلامية الشاملة . أعان الله العاملين المخلصين الجادين على التمكين لدينه في الأرض .

مظاهر هذه الصحوة كثيرة نذكر منها ما يلي :

أ- تصحيح بعض الأخطاء . التي كانت ترتكبها بعض الحركات الإسلامية والدعاة في مسيرتهم . وذلك بالرجوع إلى مصادر الإسلام من الكتاب والسنة . والاستفادة من سيرة بعض زعماء الإصلاح في الجزائر وتجاربهم في الإعداد والتخطيط . أمثال الشيخ ابن باديس والشيخ بيوض والشيخ الابراهيمي وغيرهم . وإلى ما أمرت به الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى دين الله : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ونبذ بعض الخلافات الهامشية : ﴿ فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا ﴾ حتى وإن بقي بعض من المهاترات فنحكم كتاب الله والإصدار عن مبادئه كفيل بإزالتها والقضاء عليها .

من الأخطاء التي بدأت تصحح تدريجيا بمرور الأيام . خطأ غفلة كثير من الدعاة والمرشدين عن الجانب التكويني في مسيرة الدعوة والتفقه في الدين بالنسبة للناشئة . إذ كان الخطيب أو المرشد أو الداعي . حين يصعد إلى منبر المسجد أو يجلس على كرسي الوعظ والإرشاد تطغى عليه النبرة الحماسية في الخطاب الديني . وتستهويه الكلمات الرنانة . فيلهب الحماسة في المصلين ورواد المسجد لكنه لا

يعتني بتعليم أو تلقين قواعد الدين من عبادات ومعاملات وسلوك إلا قليلا . أما اليوم فان الاهتمام بهذا الجانب ، وتصحيح الخطأ في مسيرة الدعوة بدا جليا واضحا . إذا أصبحت تخصص دروس وحصص كثيرة للتكوين في الدين والتفقيه فيه . حتى وإن بقيت النبرة الحماسية طاغية في بعض الخطابات الدينية .

ب- إنشاء جمعيات خيرية كثيرة تعد بالمئات إن لم نقل بالآلاف ، تعم كامل التراب الجزائري . وتأسيس مدارس قرآنية . تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتهتم بالتربية والتعليم ، وترعى الجانب الاجتماعي . والثقافي ، الذي يكون الإسلام هو المنظم والمسير والمتحكم فيه .

ج- بروز عناوين كثيرة للجرائد والمجلات والصحف الإسلامية ، إذ يوجد في الساحة الاعلامية ما يزيد عن اثنى عشر عنوانا (والعدد قابل للزيادة) وقبل عام أو عامين لم تكن الساحة تتوفر إلا على عنوانين فقط . بالرغم من أن هذه الصحف تفتقر إلى الدراسات المعمقة والمتخصصة في مجمل ما ينشر فيها ، لكنها تعتبر خطوة إيجابية وهامة في سبيل تاصيل العمل الإسلامي . وترشيد العمل الدعوي ، وتمكين الناشئة من تعلم دينها . وتقديم البديل عن الثقافة الضعيفة والمنحطة أحيانا ، وملء الفراغ الثقافي الذي تشكو منه الساحة ، مما أتاح الفرص للثقافة المستوردة والدخيلة أن تتركز في الجزائر .

د- إقامة الملتقيات الإسلامية ، التي تعني بمناحي الحياة الإسلامية المختلفة ، الدينية الاجتماعية الثقافية ، التربوية ، الفكرية ، الأدبية ، السياسية ، الاقتصادية ، لتدعيم مسيرة النهضة الإسلامية في الجزائر ، وفيه الاهتمام ورعاية كل الجوانب التي تحتاج إليها المسلم لكي يتكون في دينه ، حتى يعد إعدادا شاملا .

يمكن أن نذكر على سبيل المثال بعض الملتقيات التي عقدت في مدة لا تتجاوز شهرا ونصفا ، ملتقى حول نظام الحكم في الإسلام ، ملتقى حول المشروع الإسلامي ، ملتقى حول الأدب الإسلامي ، ملتقى حول

الشعر الإسلامي . ملتقى حول الانشودة الإسلامية . ملتقى حول الاقتصاد الإسلامي . الأيام الثقافية حول الفكر الاباضي . الملتقى الوطني حول البحث العرضي في الجزائر واقعه وآفاقه . ملتقى حول جمعية العلماء . ملتقى حول انعكاسات حرب الخليج على اقتصاديات العالم الإسلامي وغيرها كثير . زيادة على بعض الملتقيات التي تعنى بشخصيات إسلامية كالشاطبي . ومالك بن أنس ومالك بن نبي ....

الغرض من كل ذلك هو إتاحة الفرص للشباب بخاصة للتكون إسلامياً . لفرض البديل الإسلامي في الحياة العامة . وبهذا السلوك الشامل لكل مناحي الحياة . وبهذه الخطوات المتكاملة والدائمة يمكن إرساء قواعد العمل الإسلامي وتثبيت منهجه .

هـ- بناء المساجد . وتطوير العمل الإسلامي فيها . وتنظيم نشاطه بما يكفل له مردوداً حسناً . ونتائج أكثر فاعلية . وهنا يمكن لنا ذكر العمل الإيجابي الذي أقدمت عليه وزارة الشئون الدينية بإحداث ما يسمى مؤسسة المسجد لتعطي دفعاً قوياً له . باعتباره منارة الاشعاع في الإسلام . ولترجع له قدسيته وأهميته . ودوره الذي كان عليه في عصور الإسلام الزاهرة . إذ ينص المرسوم الصادر عن رئيس الحكومة على إحداث مؤسسة المسجد . وتتضمن أربعة مجالس :

أ- المجلس العلمي : ويعني بالنشاط العلمي والثقافي من مهامه ١- تبيان الحكم الشرعي الأقوى في المسائل الخلافية . والمسائل التي يثيرها الأفراد والجماعات والمؤسسات والبت فيها . ٢- العناية بنشر الثقافة والفكر الإسلاميين . ٣- المساهمة في تحري الأهلة وفي إحياء المواسم والأعياد . ٤- المساهمة في الحفاظ على وحدة الأمة الدينية .

ب- مجلس البناء والتجهيز . من مهامه : ١- العناية ببناء المساجد والمدارس القرآنية . والمساهمة في صيانتها وتجهيزها ٢- السعي للحصول على الموارد المالية بالتعاون مع كل الجماعات والأفراد والجمعيات .

ج- مجلس إقرأ والتعليم المسجدي . من مهامه ١-القيام بتحفيظ القرآن . وتيسير ذلك بالوسائل المختلفة . ٢- تعليم الضروري من علوم الدين . وتلقين المختارات من الأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة الوثيقة بتنظيم الحياة وتقويم السلوك . ٣- العناية بعمارة المساجد بدروس الفقه والتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية . ٤- توفير الظروف الملائمة للمرأة . قصد المساهمة في مختلف أوجه نشاط المسجد . ٥- تنظيم فترات تعليمية في علوم الدين لأبناء المغتربين .

د- مجلس سبل الخيرات . من مهامه : ١- الحفاظ على حرمة المساجد . وحماية أملاكها . ٢- تنشيط الحركة الوقفية . وترشيد استثمار الأوقاف . ٣- ترشيد أداء الزكاة جمعاً وصرفاً . ٤- المساهمة في حل المشكلات الاجتماعية مثل تيسير الزواج للشباب ورعاية اليتامى ومساعدة المحتاجين والمنكوبين . ٥- محاربة المحرمات والانحرافات والآفات الاجتماعه وأسبابها .

هذه جملة من المظاهر التي برزت واضحة في طريق الصحوة الإسلامية التي ما تفتأ تتطور في الجزائر . بفضل جهود المخلصين من أبناء الإسلام . الذين يسعون إلى الرجوع بالإسلام إلى عصوره الزاهرة . ليكون هو الموجه والمرجع في كل سلوك وتحرك مهما يكن . وإلى تحقيق المقولة التالية :

« لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

هدانا الله إلى ما يحبه ويرضاه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

العالم الإسلامي:

الوضع السياسي للمسلمين في بلغاريا

د/مصطفى محمد الطحان
الكويت

يبلغ عدد المسلمين في بلغاريا حوالي ٢/مليون نسمة (بما فيهم الأتراك والبلغار).

والهيئات الرسمية التي تمثلهم هي :

١- . ر الافتاء.

٢- وحركة الحقوق والحريات.

أما دار الافتاء:

فيقوم على رأسها مفت من أصل تركي. كان قد درس الحقوق في بلغاريا (صوفيا) .. وعمل في سلك الأمن. وكان عضواً - بالطبع - للحزب الشيوعي. أكمل دراسته في سوريا وحصل في مدة ستة أشهر على شهادة الدكتوراه في العلوم الشرعية من كفتارو مفتي سوريا. ثم تعيينه مفتيا في منطقة (كرجلي) ثم عين بعدها مفتيا عاماً. وتم عزله مؤخرا من منصبه.

وأما حركة الحقوق والحريات فهي:

حركة قامت ونشأت على أساس قومي (تركي) ثم استعانت ببعض العاملين للإسلام لدعمها. ويقوم على رأسها السيد : أحمد دوغان تركي الأصل - علماني قومي - وحتى تحصل على الإجازة بمزاولة نشاطها مؤخرا اشترط عليها التبرأ من كل انتماء ديني أو عرقي أو قومي.

وحصلت مؤخرا في الانتخابات الماضية على المركز الثالث وأصبح لها تأثير قومي في البرلمان . علماً بأن هناك تناسباً عكسياً . أثبتته الانتخابات الأخيرة . بين تحول المسلمين وعودتهم للدين والتزامهم . وبين انتخاب ممثلي الحركة في هذه المناطق . حيث عزف كثير من المسلمين في المناطق الملتزمة عن انتخاب مرشحي الحركة . ومرد فوزها الكبير يرجع إلى نزعتها وصورتها التركية وإلى أسماء كثير من أعضائها الإسلامية .

ومما زاد في شعبيتها والتخوف منها في نفس الوقت ترجيحها كفة الرئيس الحالي – جليوحيليف – ليفوز بكرسي الرئاسة – على منافسه – الاشتراكي (الشيوعي) ولو لا ذلك لما فاز .

عزل المفتي العام :

ينشغل الرأي العام المسلم هذه الأيام في داخل بلغاريا وخارجها بقضيه عزل المفتي العام الشيخ نديم حافظ ابراهيم غينتشيف . بحجة أن تولبته لهذا المنصب تمت بطريقة غير دستوريه . ولبس الأمر – على الأغلب – قضيه دستوريه . أو أن المفتي كان عضواً في الحزب الشيوعي وانه ما زال يحتفظ ببطاقة عضويته .. ان الأمر يتعلق بصراع النفوذ بين المفتي ومجموعته التي تسيطر على مراكز الافتاء ومسؤولي المساجد والمدارس في عموم بلغاريا . وبين حركة الحقوق والحريات التي قامت مؤخرا بزعامة السيد أحمد دوغان .. والحركة سياسية تركية التوجه .. قامت بعد سقوط حكومة جيفكوف وفي الانتخابات النيابية الحرة التي أجريت لأول مرة في ١٣/١٠/١٩٩١م منذ أكثر من خمسين سنة . سقط الحزب الشيوعي الذي أطلق على نفسه الحزب الاشتراكي ولم يفز بأكثر من ٣٣٪من الأصوات . والمفاجأة التي أذهلت الجميع هي حصول حركة الدفاع عن الحقوق والحريات بـ ٧٪ من مجموع الأصوات أي حصولهم على قرابة نصف مليون صوت . وهذه الحركة تمثل أصوات المسلمين .

ولقد تعاظمت قوة الحركة بعد أن أعطت أصواتها للحركة الديمقراطية التي شكلت الحكومة بمفردها مقابل اعطاء بعض المكتسبات للمسلمين من خلال حركة الحقوق والحريات .. وقد تكون من هذه المكتسبات هي تمكين الحركة من تعيين جميع المفتين والأئمة في جميع أنحاء بلغاريا .. وبذلك يتم للحركة إحكام قبضتها على المسلمين في بلغاريا .

وعلى هذا الأساس فقد تحركت جميع القوى التي تناصر حركة الحقوق والحريات تطالب بعزل المفتي ..

• ففي ١٩٩٢/٢/٥م احتل طلاب المعهد الإسلامي في صوفيا دار الافتاء والمعهد الإسلامي مطالبين باقالة المفتي العام .

• وفي ١٩٩٢/٢/١٠م اتخذت إدارة الأديان المنبثقة عن مجلس الوزراء قرارا بعدم الاعتراف بالقرار الذي صدر بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٦م والذي يقضي بتعيين المفتي وممثلي الدين الإسلامي من قبل الحكومة البلغارية .. وإن الحكومة تعترف بالقرار السابق في ١٩٥١/٥/٢٢م والذي يقضي باختيار المسلمين بأنفسهم من يمثلهم .. وعلى ضوء هذا القرار فإن المفتي العام الشيخ نديم يفقد مركزه الحالي .. باعتباره أختير من قبل الحكومة السابقة بتاريخ ١٩٨٨/١١/١١م .

• وقد وجهت ضد المفتي مجموعة كبيرة من التهم ..

- فقد اتهم بأنه ضابط مخابرات برتبة نقيب .
- وانه كان مخلصا للشيوعيين ..
- وانه كان يكتب التقارير ضد المسلمين الأتراك الذين تضطرهم الظروف إلى الهجرة وترك البلد ..
- وانه لا يلتزم بالشعائر الدينية . بل ويشرب الخمر ويسمح لموظفي الافتاء باحتسائها في دار الافتاء .
- وانه ساهم مع النظام الظالم في تقنين المرحلة التحديدية أي مرحلة البلغرة وتغيير أسماء المسلمين واضطهادهم بسيف القانون .

- وانه كان يمنع المسلمين من ذبح الأضاحي تمشيا مع تعليمات الدولة.
- وانه يتلاعب في أموال وممتلكات دور الافتاء لحسابه الشخصي.
- وكذلك يتلاعب في المنح المقدمة لأبناء المسلمين ويحصرها في أبنائه وأقاربه.

وقد اعدت عرائض تحوي آلاف التوقيعات تطالب بعزله واستبداله برجل يختاره المسلمون بأنفسهم وينال ثقتهم.

وعلى هذا الأساس فقد تم عزل المفتي العام وجميع المفتين الآخرين .. وكذلك الأئمة وبعض مدراء المدارس الإسلامية .. الذين تم تعيينهم بنفس الأسلوب.

أما نديم غينتشيف فلم يعترف بالمجلس الإسلامي المؤقت الذي وافقت عليه ادارة الأديان .. وذكر أن القيادة الجديدة غير شرعية.

وإن الأحداث التي تجري حالياً انما تسعى لتفرقة كلمة المسلمين بين بلغار واتراك.

وما زال الفريقان يعقدان المؤتمرات الصحفيه وكل فريق يتهم الآخر بأنه متواطئ مع المخابرات وانه جمع ثروته من الحرام وانه عميل ضد أهداف المسلمين وانه ... وانه ... ولقد ساهمت الأحزاب الاشتراكي البلغاري (الشيوعي سابقاً) وحزب اتحاد القوى الديمقراطية الحاكم في هذه المعركة فسهلت الوصول إلى الدوائر الرسمية وفتح الملفات وكشف الوثائق التي تدين الطرفين والتي تسيئ أبلغ اساءه للإسلام والمسلمين في بلغاريا. وتخدم بالطبع اعداء الإسلام على كافة أشكالهم.

ومازالت القضية تشغل الرأي العام المسلم في داخل بلغاريا وخارجه.

ولقد اختلفت الآراء حول هذه القضية .. فمنهم من يرى أن الروح الصليبية المهيمنة على لجنة الأديان في بلغاريا هي التي تقف وراء هذا القرار .. بينما يرى آخرون وخاصة حمد... لارشاد التي تهم كثيرة

الشباب المتحمس أن عملية التغيير واستبدال الحرس القديم الذي لوثته الشيوعية بأفكارها أمر إيجابي وأن إعطاء الكلمة لجموع المسلمين .. قضية حساسة ومفيدة . فهذه الجموع التي يتنامى فيها الوعي الإسلامي بالتدريج لن تسكت على خلل ولن تنام على ضيم .

أما حركة الحقوق والحريات فعلى الرغم من تركيبتها وعنصريتها وبعد قادتها عن الالتزام الديني ، وتمشيها مع السياسات التركية الرسمية العلمانية .. إلا أنها محكومة في آخر المطاف بقاعدتها .. فإذا استطاعت الحركة تأمين بعض الحقوق وبعض الحريات للأقلية المسلمة .. فإن هذه الأقلية كفيلة بتصحيح مسار الحركة بعد ذلك .

المفتي غينتش يحاول كسب ثقة الهيئات الإسلامية الخارجية بالتعاون معه من خلال الجمعية الخيرية الدولية لنشر الثقافة الإسلامية التي أسسها حديثا .. و التي ما زالت بعض الهيئات الخارجية تتعاون معها .

التراشق المتبادل بين أنصار المفتي وأنصار دوغان كشف للمسلمين .. كم هم بحاجة إلى قيادة راشدة تقود مسيرتهم في بلغاريا في هذا الظرف الدقيق .

المفتي الجديد :

هيئة الافتاء الجديدة المؤقتة مكونة من :

١- السيد أحمد يعقوب رئيسا وهو مفت سابق لمنطقة كرجلي طرد من منصبه من قبل المفتي السابق لتعاطفه مع حركة الحقوق والحريات . أهم مؤهلاته انه يناصب المفتي السابق العداء .

٢- السيد مصطفى شاكر . وهو رجل حسن السيرة . جيد الالتزام . يسعى على خدمة المسلمين . محبوب من قبلهم .

٣- السيد مصطفى عليش .. وهو من المسلمين البوماك .. وهو ناصع السيرة جيد الالتزام .. لاقى عنتاً شديد أيام الشيوعيين .. فهمه ووعيه الإسلامي جيد .

جمعية الإرشاد الخيرية :

وتقوم الجمعية حالياً بالتنسيق مع الهيئة الجديدة للإفتاء بالقيام بالأعمال التالية :

١- التخلص من العناصر الفاسدة والسيئة من دور الافتاء وتعيين عناصر نظيفة مكانهم .

٢- تحسين مستوى المدارس الإسلامية وتعهدها بالمناهج السليمة التي تخرج دعاة جيدين .. واختيار مدرسين اكفاء ملتزمين للتدريس في هذه المدارس .

٣- وضع لوائح جديدة تنظم هيئة الافتاء .. ولا تسمح لأي كان أن ينحرف بهذه المؤسسة الهامة التي تمثل المسلمين في بلغاريا .

٤- الاهتمام بمناطق المسلمين البوماك وتعيين مفتين في مناطقهم .. وقد كان ذلك ممنوعاً فيما سبق .

٥- اجراء انتخابات لاختيار المفتي العام لمدة ٢-٣ سنوات و وضع شروط مناسبة كالكفاءة والعدل والتحصيل الشرعي كمؤهلات للمفتي الجديد .

++++++++++++++++

═══════

++++++++++

════

++++

═

+

إلى رحمة الله :

الشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الدين الأميري

بقلم : فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

توفي في الأسبوع الأخير من شهر شوال الماضي الشاعر الكبير الأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى عن عمر يناهز تسعين سنة فكانت وفاته خسارة كبيرة للأدب والعلم والمنهج الإسلامي الخاص في الشعر ، كان شاعرنا العظيم قد ابتكره ، وخط بذلك في الشعر خطاً جديداً .

لقد كانت مناجاته وتأملاته الروحانية التي كان يبث فيها خواطر ابتهال وشعور روحاني رقيق من أروع ما كان يجد فيها القاري والسامع في شعره من تأملات ومشاعر رقيقة . وكان ذلك أسلوبا لا تنقصه روعة أداء وبراعة تعبير . كان شاعراً إسلامياً فحلاً يستمد الأدباء الإسلاميون من شعره قوة وتوجيهاً , ولقد جمع شعره في دواوين عديدة . وكلها يدل على براعته وجدته في المجال الشعري ، وإسلامية شاعرنا في شعره رغم طبيعة الموضوع الجادة لم تنل من حيوية شعره الفنية وروعته التعبيرية ، نهض شاعرنا العظيم في أوساط العلم والسياسة ، وعمل فيها مدة من الزمن ، وزاول قول الشعر ، فامتزجت فيه شخصيتان ، شخصية علية وشخصية فنية فأنشأ ذلك الامتزاج فيه شخصية أدبية خاصة امتاز بها . وتميزت مكانته بين أقرانه فيها . وكان يتصف بدعابة أدبية كذلك كان يطرف بها سامعيه والمتصلين به مع رزانة ووقار كان يتصف بهما بسبب مكانته العالية في المجتمع .

ولقد رق شعوره رقة أشد منذ أن رأي عدم ملائمة أحوال وطنه السياسية معه . ولجأ بسببه إلى الإقامة في بلاد شقيقة ولكنه كان يحن حينا لآخر إلى مرابع طفولته وربوع وطنه التي نشأفيها وشب ومارس أعماله بين أترابه وأقاربه .

اختارته حكومات بلاده الشامية في شبابه ممثلاً وسفيراً في

باكستان وفي السعودية . فقام بأداء مسئوليته فيها خير قيام ، ونشأت له خلال ذلك روابط علم وأدب مع علماء البلاد التي كان يمثل بلاده فيها . وتعرف خلال ذلك على أوساط الأدب والعلم فيها حتى انه عرف لغة باكستان والهند وهي لغة أردو فكان يفهمها جيداً بل ينطق بها عندما يرغب في النطق بها .

وخلال تلك المدة نشأت بينه وبين رجال الندوة أيضاً أواصر محبة وصداقة مثل العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله - ومثل فضيلة الشيخ محمد ناظم الندوي وفضيلة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . وقد زار ندوة العلماء وحضر الحفل الذي كان عقد فيها لتأسيس رابطة الأدب الإسلامي "عالمية . فكان عضواً مؤسساً موقراً فيها . وحافظ على نسبته وصلته برابطة الأدب الإسلامي حتى نسب ديوانه الأخير « رياحين الجنة » إلى الرابطة . وجعلها من مطبوعاتها ، فكتب سماحته وأبدى تقديراً لائقاً بالديوان وبمكانة صاحبه الشعرية . قضى شاعرنا العظيم آخر سنواته في المغرب كأستاذ صاحب الكرسي ، في كلية دار الحديث الحسنية في الرباط إلى ان صار يعاني من أمراض الشيخوخة و أصيب بنوبات قلبية في آخر عمره . وكان يحتمل ذلك بصبر مع المحافظة على حيويته وبشره . ولم يفت ذلك في عضده إلى أن وافاه الأجل المحتوم فغادر محبيه وذويه محزونين وشاعرين للخسارة التي منوا بها بوفاته .

رحم الله الفقيد الجليل ، وأسكنه فسيح جناته ، وأثابه بقربات عنده ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وندعو الله تعالى لأنجاله الكرماء بأن يلهمهم الصبر والسلوان ، ويجعلهم أخلاف صدق لأبيهم العظيم ، ومنهم أكبرهم الأخ الدكتور برا عمر بهاء الأميري .

٪٪٪٪٪٪٪٪٪٪٪

صور وأوهام :

الكابوس الذي يطارد الغرب

واضح رشيد الندوي

التغير والاختلاف حقيقة من حقائق الحياة ، أو الكون ، ويحدث هذا التغير والاختلاف بنظام ثابت . فاختلاف الليل والنهار ، واختلاف الفصول ، وحالات الأجواء ، والطقوس ، أمور مقضية ، وكذلك التغير في طبيعة الإنسان الذي يعيش على هذه المعمورة . واختلاف طبائع المجموعات البشرية ، حسب اختلاف الحالة الطبيعية التي تعيش فيها ، والظروف الاجتماعية ، والتربية ، والبيئة ، وانفعالاته المختلفة ، وسلوكه وموقفه في الحياة ، والمعاملات مع الآخرين ، وحالات السخط والرضى والحب ، والمقت ، والصداقة ، والعداء ، والثقة ، والارتياب ، والخوف ، والطمأنينة ، هي والأحوال الذهنية والنفسية التي تطرأ على الإنسان على أساس تجربته ، ومراحل إرتقاء عقله ، وفكره .

ويشاهد تأثير هذا التغير في نظم الحكم ، والأفكار والمعتقدات كذلك ، فتقوم نظم للحكم وتنال الاعجاب والتأييد من الشعب ، وتجرى الأمور بهدوء وبثقة متبادلة بين الحكام والرعية ، ثم تدخل الشكوك والشبهات وعدم الثقة فيثور هذا الشعب ، ويخلع ولاءه من ولاته ، وتأتي جماعة أخرى ، تكسب ثقة الشعب ثم تواجه المعاملة التي واجهتها الجماعة السابقة من رجال الحكم .

وقد أدركت الدول الأوربية هذه الميزة الإنسانية ، أو ميزة الحياة ، وعلمت كيف تتعامل معها ، وبهذه الطبيعة ، طبيعة تعديل الموقف حسب المتغيرات ، والمستجدات تتجنب الدول الأوربية كثيراً من الخسائر ، وتجتنب العناء والشقاء ، لأنها تبدل سلوكياتها قبل أن تلزم على تعديلها ، وتبدو في حالة اضطرارية .

وسلكت هذا السبيل الدول التي لها تاريخ طويل للاستعمار ، فقد دخلت في البلدان المفتوحة ، وعاملت شعوبها بالقهر والكبت ، واستخدمت أقصى قوتها لفرض حكمها وهيمنتها ، واخضعت الشعوب لإرادتها ، لكنها لما ادركت أن هذه الشعوب بدأت تدرك قيمة الحرية ، وانتشر فيها الوعي القومي ، وقامت فيها حركة الاستقلال ، وأن هذه الحركة نالت شعبيتها ، وظهرت بوادر اليقظة فيها ، عدلت موقفها ، واتخذت وسائل الاقناع والسمح والمساومة ، ولما ادركت أن هذه الوسائل لا تجدي نفعاً ، وأن الحركه للاستقلال تتقوى وتتصاعد ، قررت الخروج من المستعمرات ، في ظروف هادئة قبل أن تتصاعد النقمة ، واحتفظت بهذا الطريق بمصالحها ، فخرجت ، ولكن مصالحها بقيت مصونة ، وقد كان خروج بريطانيا من مستعمراتها ، مثالا على هذا الإدراك بتغير الواقع ، وقد اظهرت فرنسا تماديا فيما يتعلق بالجزائر ، وكلفت البلاد خسائر جسيمة ، وتكبدت قواتها كذلك بخسائر لإصرارها على البقاء لكنها هي الأخرى خرجت من الجزائر ، وآثرت المصالح مع الشعب الجزائري ، وهكذا فعلت دول أوربية أخرى مع شعوبها المستعمرة .

كان من أمثلة تغير الموقف في ضوء تغيير الواقع الاتحاد السوفيتي أيضاً . فقد اتخذ الرئيس جورباتشوف موقفاً واقعياً بإعلان الخروج من أفغانستان بعد أن اعترف بخطاء الحكام السابقين في هذه المغامرة ، وادرك ان صمود الشعب الأفغاني المجاهد غير قابل للتسخير ، ثم إصلاحاته في النظام السياسي لبلاده ، وقدم تضحية جسيمة بالتخلى عن الحكم ، و تغيرت بقراره خريطة العالم ، و كان في وسع المسترجورباتشوف أن يبقى في الحكم بإتباع الوسائل الاستبدادية القمعية التي كان يمارسها سلفه .

كانت هذه الاجراءات تعبيراً عن الاعتراف بتغير الواقع ، وادراك الحقائق ، كان من هذا القبيل قبول مطالبة المجاهدين بتولى الحكم بعد أن كانت الدول الأوربية تضع عقبات في سبيل وصول

المجاهدين إلى الحكم رغم الاعتراف بالتصارهم لأنهم كانوا أصوليين . وقد عرفت أوربا بمثل هذه المواقف في العلم . والسياسة . والاقتصاد . فلم تكن مقلدة . للخط القديم تقليداً اعمى في العلم . وكان ذلك الموقف من بواعث تقدم أوربا العلمي . ولكن الموضوع الذي عجزت أوربا فيه عن البحث عن الجديد . وتعديل الموقف . واعتراف الواقع هو موقفها إزاء الإسلام والمسلمين . من حيث المجموع . فإنها لا تزال في هذا المجال تتمسك بموقف عهد الحروب الصليبية . وتعتمد على الكتابات المضللة التي صدرت في ذلك العصر . ولم تتغير عقيلة أوربا . ونفسيتها بالنسبة للإسلام والمسلمين . فقد غيرت الكنيسة موقفها إزاء اليهود . واعلنت براءة اليهود من الجرائم المنسوبة إليهم عبر التاريخ . وتعاطفت معهم وصفت العلاقات بين اليهود الساميين . والألمان النازيين . وتغيرت العلاقات بين الآرتوذكس والبروتسنت الذين حاربوا فيما بينهم مدة طويلة وسفكت بينهم دماء . وصفت العلاقات بين الروم والفرس الذين كانوا دائماً على حرب . وكانت الحرب بينهم سجالا . لتغير الظروف . وصادقت أمريكا الصين . وسمحت لها بدخول الأمم المتحدة ومنحتها حق النقض في مجلس الأمن . وتغيرت نظريات سياسية واقتصادية . لكن موقف أوربا ونظرياتها بالنسبة للإسلام والمسلمين . لم يتغير عما كان عليه قبل القرن الحادي عشر الذي شنت فيه الحرب الصليبية . إنها لا تزال تتبع وصية لبوليس التاسع . وتعيش في عهد المجابهة مع العالم الإسلامي .

إن دراسات الباحثين في الغرب . واتباعهم في الشرق . تدور حول نقط معينة وضعتها العقول الناشئة في عهد الحروب الصليبية . ويتعجب القارئ عند ما يقرأ أي تحليل أو دراسة عن العالم الإسلامي . أو قضية من قضايا المسلمين . ويجد المحلل يعيد ما كتبه الكتاب قبل القرون . قبل التقاء الغرب بالشرق . عند ما كان الغرب تلميذاً للشرق . وكان يتسكع في غياهب الظلام . وتتجلى هذه العقلية العمياء أو الببغاوية كلما حدثت مشكلة في العالم الإسلامي . سواء كانت مشكلة في مجال التعليم .

أو في مجال الفن ، أو الاقتصاد ، أو السياسة ، فيبدأ الكتاب وغيرهم يتهمون المسلمين بالتزمت ، والجهل ، والتخلف ، وعداء الغرب ، ويعيدون ما حدث في التاريخ القديم ، ويهاجمون المسلمين هجوماً عاماً كأن زوبعة تهدد العالم .

قام الهندوس باحتجاج على كتاب امبيدكر الذي أساء فيه إلى الديانة الهندوكية ، وهاجموا اتباع امبيدكر ، ومعابدهم ، فلم تتهمهم الصحافة بالتطرف أوالهمجية ، ولكن احتجاج المسلمين على كتاب رشدي دليل على تزمت المسلمين ، ويقف العالم كله لإدانة المسلمين .

ويضطهد الحكام البوذيون في بورما المسلمين ويخرجونهم من بلادهم ويقتلونهم ، ويصادرن ممتلكاتهم ويحتلون مساجدهم ، فلا يحرك ذلك ساكناً ، ولا يعتبر التقدميون هذا الإجراء تزمتا ، أو قمعا للحرية ، ولاتهم هذه القضية الأمم المتحدة و وكالاتها .

تعتدي أرمينيا على أذربيجان وتقتل المسلمين ، فيسكت العالم عليه ، فإن المتدى مسيحي ، والمعتدي عليه مسلم ، وهو يستحق هذا العقاب ، لأنه خطر على الحضارة .

يهاجم الصربيون المسيحيون المسلمين في البوسنة والهرسك ، ويرتكبون جرائم شنيعة من الاعتداء ، وانتهاك الحرمات ، وقتل الأولاد ، والأمهات ، ويشردون المسلمين ، فلا يتهم المسيحيون بالتزمت ، أو العصبية ، ولا يعطف العالم على المسلمين المعذبين ، وعلى العكس ، كتب أحد المعلقين في الصحف الصادرة في أوربا انه يجب على العالم أن يدرك قبل تأئيد البوسنة والهرسك ، أن الأغلبية فيها للمسلمين ، يعني ذلك أن المسلمين إذا كانوا في عذاب فلا يستحقون الرحمة لأنهم مسلمون ، وكذلك لا تنكر الصحف العالمية هذه المذابح ، ولا توليها أي أهمية بل تغض بصرها ، تعتدى اسرائيل على مخيمات الفلسطينيين ، وتقصف قصفا عشوائيا ، فلا تجد هذه الجرائم ادانة من الصحافة العالمية ، ولكن إذا اعتدى مسلم أو جماعة من المسلمين ، في حالة السخط أو الغضب على مسرح ، أو على قافلة للاسرائيليين ، فإن هذا الحادث يصبح موضوع

الصحافة العالمية ، ويصبح هذا الحادث سببا لادانة المسلمين بأجمعهم .

إن احتجاج الطلبة في الجامعات والكليات أو العمال في المصانع ، ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في عالمنا اليوم ، وقد أصبح ذلك أمراً عادياً كل يوم نسمع إغلاق مصنع ، أو جامعة لاحتجاج العمال أو الطلبة ، وعم هذا السيل وطم في الهند ، ولا يهم ذلك الصحافة إلا كخبرعادي ، وإذا بحثت الصحافة هذا الحادث مالت عادة إلى العمال أو الطلبة ، وادانت الإدارة ، ولكن إذا كان المحتجون من المسلمين سواء كانوا عمالا أو كانوا طلبة ، وكانت المسألة لا صلة لها بالفكر الديني ، أو الثقافة الدينية ، وكانوا مسالمين ، فإن الصحافة تنقلب عليهم ، وتحمل الإسلام المسئولية عن هذا الاحتجاج ، وتتهم المحتجين بالإرهاب والإكراه .

هذا التمييز العنصري يرجع إلى منطق القرون الوسطى ، حينما كان المفكرون في الغرب يحملون الإسلام كل تبعية لما يحدث في العالم من فساد ، و يدينون المسلمين كعنصر الفساد ، و الفتنة ، و كان المفكرون توصلوا إلى هذا المنطق لإيقاظ أوربا من سباتها ، ولتحميسها لاسترداد الآراضي التي فتحها المسلمون ، فكونوا صورة قاتمة للمسلمين ولا تزال أوربا وأتباعها من أصحاب الفكر يتابعون هذه الصورة ، وهم كرجل يتابع شبحا ، أو يحارب كابوسا .

<<<<<<<>>>>>>

<<<<<<<<<>>>>>>>>>

<<<<<<<<<<<>>>>>>>>>>>

مؤتمر عظمة الحج والحرمين الشريفين

نظمت جمعية أهل الحديث المركزية في الهند . عقد مؤتمر « عظمة الحج والحرمين الشريفين » في مدينة بمبائي . يوم ٢٦/من شهر شوال المنصرم ١٤١٢هـ (الموافق ٣٠/ابريل ١٩٩٢م) حضره زعماء الجماعات الإسلامية والعلماء والمفكرون من جميع أنحاء الهند . وكان من المتوقع أن يرأس المؤتمر سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي نظراً إلى موافقته على ذلك إلا أن بعض ارتباطاته السابقة صادفت موعد المؤتمر . فما تمكن من الحضور فيه . ولكنه بعث كاتب هذه السطور كمندوب له في هذا المؤتمر مع رسالة مفتوحة تقدم إلى المؤتمر نيابة عنه .

وقد شرف المؤتمر حضرة صاحب المعالي الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وقام بافتتاحه بكلمة ضافية شكر فيها القائمين على هذا وعلى رأسهم فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي أمير جمعية أهل الحديث المركزية الذي تولى عقد هذا المؤتمر و وجه الدعوة للحضور فيه إلى جميع الجهات المعنية بالموضوع في الهند وخارجها. وكان من المتوقع أن يشرف المؤتمر فضيلة الشيخ عبد الله السبيل إمام الحرم المكي الشريف إلا أن ظروفه الخاصة حالت دون ذلك . ولم يتحقق الأمنية الغالية .

وقد أشاد معالي الأمين العام بموضوع المؤتمر وتحدث في كلمته عن أهمية الحج ودوره المشرف في تنظيم المسيرة الإسلامية في العالم كله . وتحدث عن رابطة العالم الإسلامي ودورها في الانتفاع باجتماع المسلمين من جميع الجنسيات في مكة المكرمة بمناسبة الحج كل عام . ونوه بالخدمات الكبيرة التي توفرها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في موسم الحج . ومن الاشراف على مشروع توسعة الحرمين الشريفين العملاق .

وقدم كاتب هذه السطور رسالة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى المؤتمر. التي تحدث فيها سماحته عن أهمية الحج

وعظمة المشاعر التي تودي فيها أعمال الحج . وما أودع الله سبحانه في عبادة الحج من حكم وأسرار تلم شمل الأمة وتساعدها على الوحدة والتضامن والمودة والثقة . وعلى حل قضاياها المعقدة . وتحفظ عليها نقاءها وأصالتها وتعصم الدين عن التحريف والفساد والغموض والالتباس . وقال فيها : إن الأمة الإسلامية تبقى محتفظة بطبيعتها الابراهيمية وطبيعتها التوحيدية وصبغتها الإيمانية المحمدية عن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة التي تتلخص في عبادة الحج كل عام . ولقد قدر الله لهذه الأمة الخالدة أن تعيش في بيئات مختلفة وفي أقاليم عديدة وتجتاز ادواراً كثيرة جداً مختلفة جداً من حرارة وقوة وجمود وخمود وعنف وقسوة ومصارعة ومقاومة واغراءات مادية وسياسية فجعل الله الحج عبادة تثير فيها عواطف الحب والحنان وتشعل جذوة الإيمان . وتعيد إليها الوفاء والولاء في سائر الأجزاء والأعضاء .

وكانت كلمة فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي ذات أهمية كبيرة . حيث شرح فيها الغرض الذي من أجله عقد هذا المؤتمر . في الظروف التي تتطلب عقد مثل هذه المؤتمرات كل عام . كما أنه لفت أنظار المؤتمرين إلى الاستفادة من معاني الحج وحكمه . والإعداد لأداء هذه الفريضة واستحضار المثوبة التي وعد الله بها الحجيج . وأداء مناسك الحج باخلاص . وتعظيم شعائر الله ومشاعره خلال أيام الحج .

وقد وجه كلمة شكر وتقدير إلى حكومة خادم الحرمين الشريفين على ما تكرمت به من السماح بتمثيل الجهات المعنية في المملكة العزيزة في هذا المؤتمر . وما تقوم به من خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام كل عام . وما توفره من تسهيلات لضيوف الرحمن . وشكر معالي الأمين العام الدكتور عبد الله عمر نصيف على تشريفه المؤتمر مع وفد من رابطة العالم الإسلامي .

وانتهى المؤتمر بكلمات ألقاها بعض العلماء والزعماء المشاركين فيه . واتخذ المؤتمر قراراً ضافياً حول عظمة الحج وقدسية الحرمين الشريفين وما تتطلبه من مسئوليات ضخمة نحو أداء هذه الفريضة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد السادس - المجلد السابع والثلاثون

صفر ١٤١٣هـ - أغسطس ١٩٩٢م

المراسلات :

البعث الاسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

القيادات الحضارية العالمية والمسلمون

في العالم المتغير اليوم مخططات دقيقة تحاك خيوطها بغاية من الدقة والبراعة ، في مراكز الشكوك والأوهام العالمية ، ومن قبل أعداء الإسلام المعروفين ، ذلك لكي تنصرف طاقات الأمة الإسلامية من وجهتها الأصيلة إلى جهات تتولى تشيتت شملها والحيدبها عن طريق الاعتصام بحبل الله إلى الفرقة ، والانسياق نحو الاغراءات والأهواء ، وهي في هذه المرحلة الانتقالية تستغنى عن جميع القيم الخلقية والإيمانية ، إعجابا بما يتقدم به أولياء الحضارات المادية من أساليب جميلة بريئة في ظاهرها ، لبناء الحضارة الإنسانية ، والتدرج بالإنسان إلى أعلى مدارج العلم والثقافة والفكر والحضارة .

بهذا وأمثاله من المغريات يتناولون الطبقات المثقفة بالثقافات العصرية وبالتالي جماهير الأمة بتأكيد أن الحياة في هذا العالم المتغير لن يتسنى لها الانتفاع بالأوضاع الحضارية الحديثة والتعايش معها في هدوء وأمن إلا بالاندماج معها والاعتراف بغنائها في كل مجال ، وإلا فإنهم يتخلفون عن الركب الحضاري ويحرمون ثمار العلم الحديث والابداع العلمي والصناعي الذي تقدم فيه العالم المعاصر إلى مدى بعيد .

لقد نشطت حركة الاغراء هذه لدى الزعامات الحضارية المادية منذ أن تم إخفاق الفلسفة الشيوعية و تحقق سقوط جدران الاتحاد السوفياتي ، و كاد يرفض العالم أي دعوة إلى فكر مادي حضاري واجتماعي ، ليبحث عن مصدر الحضارة والعلم الذي تسانده الطبيعة الإيمانية ، ولكن التحركات الحثيثة النشيطة التي انطلقت من مراكز العلم والحضارة العالمية الغربية والشرقية وقفت أمام هذه الطبيعة الإيمانية التي جاء بها الإسلام وقامت عليها حضارته العالمية الإنسانية التي وفرت للإنسان أساليب الحياة وأنماط السلوك ، وأخلاق الحب

والنصح ، وأسس العقيدة والإيمان ، ولو لا أن هذه الحركات المضادة سدت في وجه المجتمع البشري جميع منافذ النور ، وتركته يتيه في ظلمات الرذائل والجرائم الخلقية ويمارس جميع الأساليب الاجرامية، لكان التمييز بين الخير و الشر، و النفع و الضرر ميسوراً ، وعاش الإنسان حياة طبيعية ذات علاقات طيبة ومتينة مع الله ومع الناس .

إن الحضارات المادية اليوم تركز بشئ كثير من الدقة والبراعة الفائقة على نشر الفوضى الخلقية بين المجتمعات الإنسانية وعلى نشر الفساد والانحلال من كل نوع في الأوساط الإسلامية كذلك، فإن الأوضاع الحديثة من العقل الحضاري الاجتماعي تشجع الناس على ممارسة الجرائم الخلقية كلها ونبذ السلوكيات إلى مزابل التاريخ القديم ، حتى لا يكون هناك فرق بين الحيوان الناطق والحيوان الأخرس ويتسنى لكليهما أن يغوصا إلى الآذان في أوحال التفسخ والبهيمية ، بل ويكون نصيب الحيوان العاقل فيها أوفر وأضخم ، وأعمق من الجميع ، وإن ما نشاهده اليوم من آثار هذه النكسة الخلقية والتلوث البهيمي في المجتمعات المادية ذات الانتماءات الحضارية المتميزة و الفلسفات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ليوفر لنا دليلا ناصعاً على انحطاط العقل المادي و ارتكاسه في حمأة الجهل و الضلال إلى أبعد المدى .

لا سيما بعد إخفاق هذا العقل الفلسفي في ساحة الفكر الشيوعي وانهيار زعاماته من غير عودة ، نشط الاتجاه الاجرامي وتخبط في طرق الحياة فعاث فيها فساداً وظلماً ، متحرراً من كل قيد وقانون ، وتناول المجتمعات الإسلامية بوجه أخص يشغلها بالهوامش ويصرفها عن صميم رسالتها ويلهيها بالآمال والتطلعات إلى المنافع العاجلة ولو بالتحرر بالكلية عن قيود الأخلاق والفضائل الإنسانية ، ولا عجب مما إذا رافقه بعض النجاح في هذه العملية ، وفي إقناع تلك المجتمعات بقبول بعض متطلبات العصر الحديث ، والانسجام مع العالم المتغير ، غير أن ذلك النجاح الظاهر ليس إلا موقتاً يزول مع الأيام .

استندت الحضارات المادية في فرض سيطرتها على المجتمعات الإنسانية بادئ ذي بدء ، إلى « حرية الإرادة » للإنسان الحضاري ، وكان ذلك مجرد لافت استهوى قلوب البشر من مطلع القرن العشرين إلى ما أمكن ، واتسع مفهوم الحرية هذا إلى حرية الرأي ، وحرية العمل ، وحرية القول ، وحرية الجنس ، مما جعل الحياة سائبة تنطلق إلى أي وجهة تشاء ، وهي حرية لا ينحصر ضررها في حياة الفرد أو في أناس معدودين من أعضاء المجتمع ، بل إنها تمارس على حساب الآخرين ، وتأخذ من نصيبهم في حق الحياة والعمل ، وبذلك تنهار القيم إلى أقصى المدى ويعيش الإنسان ، الذي من شأنه أن يكون اجتماعياً ، كالجمل الهائج ، الذي لا يلوى على شئ في قضاء مآربه ، ولا يتقيد بقانون في تنفيذ حريته .

لقد اعتمد الغرب على هذه الحرية ورفض كل شئ يقيدها ويعوق الإنسان عن ممارسة نشاطه أو ينظمه ، فوقع بذلك في مشاكل اجتماعية لا يأتي عليها الحصر، وحدث فيه من الجرائم والأحداث والأزمات المنوعة ما جعل الحياة تتأزم وتعاني من الركود والحيرة وتواجه العنف والشدة والارهاب والانحلال والتفكك ، الواقع الذي يودى إلى صيحات ترتفع من هنا وهناك وتطالب بالغاء الحرية الفردية وتنظيمها في ظل العدالة والنفسية الإنسانية .

جربت أمريكا الراقية المتقدمة في المجالات الحضارية والتقنية هذه الحرية وذاقت مرارتها في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية ، التي هددت وجودها في نهاية المطاف ، ولكنها ما استطاعت رغم جميع المحاولات أن تضع حداً عليها وتقنع الشعب الأمريكي الحر بتحديد حريته ، ومن أجل ذلك وقع من المآسي والجرائم الخلقية والفساد الإداري وغيرها من النكبات ما قد اطلع عليه العالم ، وقد أنتج ذلك أن الولايات المتحدة أصبحت اسما مرادفاً للجرائم من كل نوع ، وعلى جميع المستويات ، ولا شك أن الضمير البشري إذا فقد الحياة والشعور بالعز والذل ، أو أن الجسم الحضاري إذا تجرد عن

الضمير الحي فلا لذة في الحياة ولا كرامة في أعين الناس .

وعندما تلوث أصحاب هذه الحضارات الزائفة في هذه الارتكاسات والاجرامات ولم يعد لديهم حصانة من خلق أو فكر ، ولا مناعة من دين ، فقد ارتضوا أن يخطو العالم كله على آثارهم ويقتديهم في جميع أنشطتهم ونظراتهم ، دون أن « تفترسه » الدعوات الخلقية والأفكار الدينية ، وخاصة الإسلام الذي ظل موضع خوفهم وكراهيتهم منذ العهد القديم ، ومن هنا استهدفوا الإسلام وأهله بسهامهم المسمومة الفتاكة ، وحشروا جميع الوسائل والآلات لمحاربته وقمع شوكته ، واخترعوا كثيراً من الأساليب لوقف مده وتأثيره في المجتمعات البشرية ، ولم يعد ذلك سراً بل عرفه العالم كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، واكتشف المؤامرات والمخططات التي دبرت لهدم الإسلام وطمس تاريخه وتشكيك شريعته النقية البيضاء .

وقد نشأ لتحقيق هذا الهدف المهم أبطال وجماعات لها برامجها وخططها في غاية من النشاط والجدية ، وهي لا تكاد تفتر للحظة واحدة في إنجاز مشروعها الذي تبنته،فهي من مستوى الأفراد والأسر إلى الجماعات والمجتمعات تكون مكبة على عملها ، ولا تدع ثغرة إلا وتستغلها و تدخل منها إلى موضع الهدف ، مع ابتعادها الكامل عن الارتجالية ، والتسرع ، والتظاهر بالسآمة والملل أو الانهزامية ، مهما واجهت ظروفاً قاسية وردود فعل مثبطة للهمة ، وهذا ما تتميز به جميع الحركات والأعمال المضادة وخاصة منها ما تكون ذات شأن مناوئ للإسلام والمسلمين ، ثم إنها تستمر في دراسة الأوضاع من كل نوع ، وتضع خططتها على حسب ما تتطلب منها ، لكي يكون اسرع في التأثير، إنها تعمل بمبدأ الاطلاع على الحديث الأحدث من الأحوال والوسائل ، فتتجدد الآلات والأساليب كلما استحدثت الأوضاع ، فتارة بالإعلان وأخرى بالسرية الكاملة تتم إجراءاتها ضد الإسلام .

بهذا التكتيك الدقيق يواجه العاملون من مناوئ الإسلام ، المجتمعات الإسلامية ويركزون على صرف وجهتها عن الصراط المستقيم إلى سبل

تتفرق بها عن السبيل ، ولعل الفكرة الأساسية التي كانو يعتمدون عليها في مشاريعهم الهدامة تغيرت إلى حد كبير بعد إخفاق البلشفية ونهاية الفلسفة الماركسية الأليمة ، واتجهت نحو العمليات العدائية العلنية من الأعتداءات المفاجئة على مجتمعات المسلمين ومراكزهم واستهدافهم بالتصفية الجسدية ، والقضاء على مؤسساتهم الدعوية ومقدساتهم الإسلامية ، وإثارة الفتن في صفوف الجماهير المسلمة ، وبذر النفاق والشقاق فيما بين الأفراد والأشخاص .

ثم إن هناك ظاهرة جديدة وهي جزء مهم من المخططات العدائية التي يمارسونها ، ذاك أن تتوافر هنا ظروف تسبب الشغب وفقدان الثقة فيما بين القادة والدعاة والعلماء والجماهير من الناس ، ويعيش أفراد الأمة منحازين إلى آرائهم ونظرياتهم ، وينعزل القادة عن منصب القيادة عملياً ويوجه بعضهم التهم إلى البعض في وجود هذا الوضع المؤلم ، فتتسع شقة الخلاف بينهم ويتطرق سوء الظن إلى النفوس ويودي أخيراً إلى خصامات وصدامات ، وإلى توزع الشعب المسلم بين فرق واحزاب وجماعات يتهم البعض البعض ويوجه المسئولية كل واحد نحو الآخر، ولا ينتج ذلك إلا زيادة الخصومة وتوتر الأعصاب وتمزيق وحدة الأمة إرباً إرباً ، لتكون نهزة للأعداء و فريسة للصائدين في الماء العكر .

إن الأمة الإسلامية وقادتها مستهدفون في كل مكان بهذه المخططات الرهيبة التي لها عملاء في كل مكان وإن كانوا يبدون انتماءهم إلى الإسلام ، وهم يمثلون دوراً مهما جداً في نجاح هذه المؤامرات ولو لا أنهم يمثلون عاملا رئيسياً في دعم هذه العمليات ضد الأمة الإسلامية وفي هدم الحياة الفاضلة التي تبنيها تعاليم الإسلام لكان نصيب قادة الهدم أقل بقليل مما كانوا يتوقعونه ، ثم يأتي دور الشباب المنحرفين الذين يتم استغلالهم لهذا الغرض من قبل المؤسسات التي تعمل على الصعيد العالمي لإثارة القلاقل وتحبيب الرذائل إلى النفوس ، وهي في ضوء دراستها للوضع الإسلامي وبقدر الحاجة التي تقدرها لمقاومة الوضع

تربى هؤلاء الشباب وتوفر لهم الوسائل الكافية لبث التفسخ والفوضى في المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون ، وخاصة في العالم الإسلامي حيث الالتزام بتعاليم الإسلام مركز في الطباع .

ترون أن أفواجاً من الشباب والشابات المنحلين تقيم في الفنادق ذات النجوم الخمسة ، في بلدان وعواصم المسلمين ، وهي تقوم بنشر كل نوع من التفسخ الخلقي وتمثيل البهيمية في المجتمع المسلم ، ولا ترى بأساً فيما إذا طالت إقامتها في ذلك البلد بحسب الموشرات التي تعتمد عليها ، وإن هذه الوسيلة العملية للهدم والفساد لمن أجدى العوامل التي تنال رضا الناس بتأويل السياحة التي تحرص كل بلد على أن تزدهر ويتزايد عليها الإقبال من شعوب العالم ، ولكن السر الذي يكمن وراء السياحة لا يطلع عليه الناس بوجه عام .

هذه المؤسسات العالمية لا تكتفي بأساليب دون أساليب ، ولكنها تستمر في دراسة الأوضاع بأجهزتها الاعلامية الخاصة ، وتقوم بغربلتها في ضوء الأحداث والوقائع ، ثم تأخذ العدة المناسبة للمقاومة والقمع وإحباط الجهود والانشطة المبذولة من قبل المؤسسات الإسلامية وعن طريق الدعاة والمفكرين وقادة الأعمال الإسلامية .

إن الأمة الإسلامية الآن أمام تحديات خطيرة تواجهها في جميع مجال العمل والعقيدة والفكر والسلوك ، بعد الهزيمة التي مني بها القيادات الحضارية المادية العالمية في الجمهوريات الروسية وفي ميدان الجهاد الإسلامي في أفغانستان ، وفي دول أوربا الشرقية التي عاشت انتفاضة إسلامية كبيرة بعد إخفاق الشيوعية وذوبان الاتحاد السوفياتي ، ولا سيما المسلمين في البانيا وفي البوسنة والهرسك والبلقان تظاهروا بالموقف الإسلامي الصامد أمام الدول الشيوعية المنهارة ، فكان جزاؤهم ما قد شهده العالم من الاضطهاد والقتل والتصفية ، ومهما كانت النار تبدو كأنها خامدة ولكن الشرارة التي تختفي وراء الرماد تكفي لإيجاد حريق أوسع .

هذه بعض الإشارات العابرة إلى ما يعزم عليه أهل الزعامات الحضارية الحديثة العالمية نحو الإضرار بالمسلمين قادة وجماهير ، والعودة بهم إلى عصر الجاهلية الأولى التي كانت ميزتها الأولى البارزة ، هي العداوة والفرقة ، التي جاء الإسلام للقضاء عليها واستبدالها بالألفة والأخوة التي أنقذت الإنسانية كلها من مصيرها النهائي المحتوم ، وأتاحت للإنسان فرصة لأداء دوره في هذا العالم من جديد .

﴿ و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي
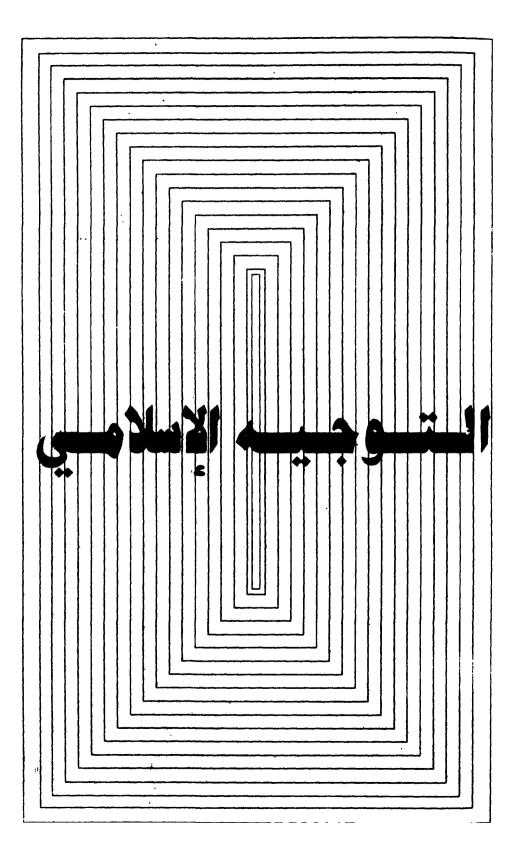
تأملات في آيات من كتاب الله

بقلم: فضيلة الشيخ محمد ابراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

عندما يعرض القرآن لأمر من الأمور، يكاد يضع أمام الناظر فيه صورة نابضة بالحياة، تتجسد فيها المشاعر والأحاسيس حتى لتكاد تلمسها وتراها، وتقبل إليها في شغف وحب، فتأخذ منها لنفسك ولغيرك ما لاتقتدر أنت ولا غيرك على الإيتان بشيء مما أخذت، ويبقى معك حياتك كلها إن أنت أخذته عن صدق رغبة، وقناعة وجدان، يرعاك في بعد وقرب، ويردك إلى الجادة إن بعدت لغفلتك عنها، ويجعل من نفسك رقيباً قائماً عليك في السر والعلن فلا تضل ولا تشقى.

ونحن اليوم مع آيات من سورة آل عمران ترسم لنا صورة رائعة من صور الجمال القرآني وهي قوله عز وجل: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين • الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين • والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾.

أخي المسلم، تبدأ هذه الآيات بلفظ يشعر المخاطب بالمبادرة إلى الطاعة وعدم التردد في شأنها، والإقبال عليها الإقبال الذي لا يقعد بالإنسان حتى ينال الثمرة به، ولا يتوانى في نيل ما يزلفه إلى أمر الله تعالى فيحصل على مغفرته في الآخرة، والمغفرة يسارع إليها بالعمل الصالح الذي يعلي من قدر الإنسان عند ربه، ويفوت به على الشيطان مكره، فلا يجد ثمة سبيلاً ممهدة له يسلكها إليه، لأن الشيطان سبيله إلى الإنسان معروفة ميسره، إذا أراد أن يسلكها وصل إلى غايته فلا يملك صده عنها إلا العمل الصالح وحده، والقرآن الكريم يفيض بالآيات التي يقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح، فالإيمان إذا كان مجرداً من العمل لا يكون إيماناً، لأن الإيمان النظري لا يكفي في تحصيل العمل الصالح، كما أن العمل إذا كان مجرداً من الإيمان لا يكون عملاً صالحاً، فأصدق تعبير إذاً لحقيقة

الإيمان ما جاءت به الآيات القرآنية التي قرنت العمل بالإيمان . وصلاح العمل لا يكون إلا بذلك . أما من يرى غير ذلك فقد جاوز القصد . واتبع غير سبيل الحق . ومال عن الجادة .

والمسارعة إلى المغفرة تنتهي بالإنسان المسارع بها إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله لأوليائه الأتقياء الأصفياء العاملين بدينه . السالكين طريق نبيه . وأبرز سمات هؤلاء الأولياء ما جاءت الآية به : ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ فالمال لاتنقبض عليه أيديهم في رخاء أو شدة . فهم يبذلون طاعة لله وقربته . تفريجاً لكروب الفقراء . ودفعاً للشدائد عن البؤساء . لا ينتظرون جزاءً ولا شكوراً . ولا يرغبون بأنفسهم عن المحرومين . ولا يتخيرون الطيب لأنفسهم يؤثرونها به . والخبيث لغيرهم من المحتاجين يمنون به عليهم .

فأول وصف لأولئك المتقين أنهم يبذلون أموالهم في اليسر والعسر لله سبحانه . ثم هم إذا نالهم أحد بأذى أو اعتدى عليهم بقول أو عمل لا يردون الاعتداء بمثله . وإنما يمنعون أنفسهم أن يدفعها الغضب إلى إذاية أو اعتداء . ويكظمون غيظهم . بل إنهم ليرتفعون بإيمانهم ونبل أخلاقهم إلى درجة أرفع فيعفون عن المسيئ المعتدي . ويسامحون الظالم البذي . ولا يرون في ذلك غضاضة أو صغاراً . بل يرون فيه عزة ورفعة . يؤكد هذا المعنى العظيم قوله عليه الصلاة والسلام : « ما زاد عبد بعفو إلا عزا » .

هذا كله في علاقتهم بالناس الذين يحيون معهم ويعيشون بينهم . أما في علاقتهم بالله عز وجل فهم إذا قارف أحدهم ذنباً . أو أتى إثماً أو وقع في محظور ذكر الله في نفسه . فأبصر ذنبه كأنه يجره إلى عذاب الله . وإثمه يوقعه في حفرة من حفر النار . فيسرع إلى الله بالإنابة والتوبة يغسل ذنبه ويمحو إثمه . فيفرح الله به ويغفر ذنبه ويمحو عنه خطيئته . والله عز وجل يفرح بتوبة عبده الخاطئ لأنه يعلم منه صدق الإيمان وحسن اليقين .

وبهذه الأوصاف تكتمل حقيقة الإيمان في قلب الإنسان . ولا يرى لنفسه وجوداً في الحياة إلا بها . ولا توفيقاً في أمره كله إلا بلزومها . ولا ظفراً على عدو إلا باستجلائها .

فتكتمل للإنسان الصورة الواضحة المشرقة التي يعيش بها آمناً مطمئناً في حياته .

فهنيئاً للمؤمنين المحبين الفائزين . وللعصاة التائبين . وللغواة العائدين .

المرأة و دورها في التوجيه والتربية

[الحلقة الثانية]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
تعريب : أفتاب عالم الندوي

أضف إلى ذلك ما يتحتم على الأمهات والمعنيات بشئون الأولاد في بيئة البيت أن تهتم بما يجب تحققه في بيئة البيوت من تكريه الشرك والكفر إلى الأولاد وتحبيب الإيمان والتوحيد والاعتزاز به إليهم ، والارتياح إلى الانتماء الإسلامي وكونهم من المسلمين . وتعويدهم على الحمية الدينية والغيرة الإسلامية والابتعاد عن معصية الله ، والعشق مع الله ومع رسوله والشغف به إلى حد الوله والهيام ، والاشمئزاز والتقزز من المآثم والذنوب وحفظهم من اعتبار التقدم الدنيوي غايتهم ونجاحهم و وسيلة للنخفخة والظهور وتدريبهم على الصدق والتصديق ، والحنين إلى الخدمة والإيثار والتضحية والجهاد ، وتنشئتهم على العاطفة الجياشة والحماسة الزائدة لحب الوطن وخدمة الشعب ، فتحليتهم بجلائل الأعمال والصفات الكريمة هذه ليست إلا من مسئولية الأمهات ، ولو لم يتحقق كل ذلك في الطفولة وفي داخل البيوت فان كبرى جامعات العالم وأي مؤسسة تربوية رسمية كانت أو عالمية ، عاجزة عن تحقيق هذه الأهداف وفاشلة في القيام بهذه الغايات الخطيرة .

دعوني أصارحكم بأن أولاد المسلمين ماداموا لا يشمئزون ولا يتقززون من الوثنية والكفر والشرك تقززهم من النجاسات والأشياء المنتنة ، وما داموا لا يكرهون الكفر والشرك سواء وجد ذلك عن طريق الأساطير (MYTHOLOGY) الخارجية أو الوطنية أو عن طريق الكتب

المدرسية (TEXT BOOKS) أو الاذاعة أو التلفاز أو المحاضرات أو كان ذلك للجهل بالدين ومبادئه وطوابعه أو بتأثير الطوائف المرتزقة الانتهازية. فما داموا لا يكرمون الكفر والشرك كراهتهم من أن يلقوا في النار فإنه لا يمكن الاحتفاظ بإيمانهم ولا يضمن لهم صحة العقيدة واليقين. فلكي تصبح هذه التربية وهذه المحبة والتنافر طبيعتهم الثانية وحاسة جديدة بالإضافة إلى الحواس الخمس. إنما هو ميراث البيوتات الإسلامية. وذلك سر استمرارية سلسلة المسلمين العقدية والمعنوية. ومادام هذا العمل لا يتحقق في داخل البيوت بأخوات وسيدات البيوت فإنه يتعسر النجاح في تحقيقه بالمواعظ الحماسية الملتهبة والكتب الدينية المؤثرة والأساتذة الاخصائيين البارعين للمدارس العربية الدينية والجامعات العالمية المعروفة.

والمجال الثاني الذي تتمتع فيه النساء بالقيادة والريادة. والسبق والبراعة هو الاحتفاظ بمزايا الإسلام الثقافية والحضارية والاجتماعية والمحافظة على بقائها واستمرارها. وصيانتها من الثقافات غير الإسلامية والنظم الصناعية. ولمعرفة ذلك تدعو الحاجة إلى الاطلاع على التاريخ الإسلامي القديم ومجدنا التليد.

لقد واجه الإسلام في فجره الأول تحديا غريبا لم يواجهه أي دين في التاريخ. واجه العرب الخارجون من جزيرة العرب مدنيتين راقيتين بلغتا القمة في الرقى والازدهار ودقة المعاني ورقة الحواشي ولم يجرب الناس مدنية أرقى منهما وأنخم وأعظم منذ أمد بعيد في التاريخ البشري والحضاري. وهاتان المدنيتان هما: المدنية الرومية والمدنية الإيرانية. اللتان بلغتا القمة وقطعتا الاشواط المدهشة البعيدة في الثقافة والرسم والتصوير وتزيين الحياة الإنسانية وتنظيمها وتوفير التسهيلات والكماليات ومسائل المتعة والنزهة والاستراحة. وكانتا تتمتعان بالروعة والبهاء والجذب والتأثير في حواشي الحياة ودقائقها. وكانتا

تزخران وتتدفقان بالآلات ووسائل الترح والمتعة واللذة ومستوى العيش والطرق الراقية للأمور العائلية والملبس والمطعم وزينة البيوت ووسائل التزيين والتجميل . وحدث عن البحر ولا حرج .

وعلى العكس من ذلك كان العرب منطوين في عهدهم البدائي بل بعبارة أصح كانوا في دور المدنية الصبيانية . والواقع أن هذه التجربة التي واجهها المسلمون في صدر الإسلام كانت تجربة دقيقة للغاية . لأن الإسلام وإن كان متحليا بالتعاليم السماوية والعقائد والأخلاق العالية والصفات الكريمة والآداب الحسنة لكن الروميين والإيرانيين هم الذين كانوا يتسلمون آنذاك زمام قيادة الثقافة والمجتمع . فكان من الممكن تماما وكانت جميع القرائن والمؤشرات تشير إلى أن العرب المسلمين السذج سيتهافتون على هاتين المدنيتين تهافت الفراش على النور والأكلة على قصعتها ويختارونهما بغثهما وسمينهما . فإن العرب المسلمين هم قضوا حياتهم في بيئة ضيقة ومظلمة . وكانت وسائلهم ضئيلة محدودة . وكانت أرضهم جرداء من منابع الثروة والخيرات . وعاشوا حياتهم في الخيام وبيوت القش والوبر والمدر عيشة رحلة وانتقال . وتروي كتب التاريخ أن العرب المجاهدين والمبلغين عندما رؤوا لأول مرة في زمن الغزوات و الفتوحات الرقاق من الخبز في المآدب ظنوها مناديل لنشف الأيدي . فلما أهووا إليها أيديهم بعد ما طعموا فإذا هي أخباز ورقاق . وكذلك لما رؤوا الكافور لأول مرة ظنوه ملحا وربما عجنوه مع الدقيق ظنا منهم أنه من الدقيق (١) .

فبالجملة لما ابتدأت سلسلة الفتوحات والانتصارات واجه هؤلاء البدويون البسطاء مدنية راقية وجذابة لم تخطر قط على بالهم . فكان من الممكن تماما . وكانت القرائن والمؤشرات تؤيد أن يتهافت عليها

---

(١) راجعوا كتب التراجم والتاريخ .

العرب المسلمون السذج تهافت الفراش على النور ويتداعوا عليها تداعي الأكلة على قصعتها والأيتام على فتات الطعام . وأن يتبلوها بغثها وسمينها ويعتزوا بها . فتتقدم بها مستويات حياتهم اليومية ومدنيتهم وملبسهم ومطعمهم مما يلجئهم إلى تجاوز الحدود الشرعية بل وانتهاك أعرافهم وتقاليدهم السائدة وكان من الممكن أن يختاروا كل ذلك كعلامة وشعار لموضة وتقدم ونهضة و واقعية وحب للفخفخة والظهور . مما سيودي إلى نشوء المساوئ والآفات التي ظلت تحدث في الشعوب والأمم التي تخضع لمدنية مادية وانتهازية وصناعية . والتاريخ يزخر بأمثلة ذلك . ولكي نتصور ذلك ينبغي أن نشاهد الدول والأمم الشرقية طريقتها وأساليبها التي منيت بتقليد المدنية الغربية والسير على طريقتها حباً وعياناً . اقتبست منها مع علاتها وخيراتها فأغمضت عينيها تماما عن التعاليم الدينية والحدود الشرعية وتقاليدها الثقافية التليدة .

والواقع أن المسلمين تغلبوا على هذه المشكلة الخطيرة بمساعدة كل من الرجال والنساء . وكان في ذلك حظ كبير ودور ملموس مشكور لإيمان النساء ويقينهن وقناعتهن وبساطتهن وإخلاصهن وإيثارهن للآجلة على العاجلة وجعل وقائع الصحابيات والصالحين والابرار والاتقياء أمام أعينهن . ولو لم تكن مساعدات النساء واسهاماتهن البارزة لم يكن للرجال أن يحفظوا الحياة من محاكاة المدنية الرومية وكان لابد أن يهوى المجتمع الإسلامي في هاوية محاكاة المدنية الرومية والإيرانية وطريقتهما للعيش والتعامل مهما دافعوا عن ذلك دفاعهم الأخير . ومهما شمروا عن ساعد جدهم وجهدهم في صيانة المجتمع من اقتفاء آثار المدنية الإيرانية والرومية ومهما القوا لذلك الخطب الرنانة والوعوظ الحماسية الملتهبة ومهما بذلوا لذلك نفسهم ونفائسهم . ولم يكن للعلماء والواعظين والحكام والسلاطين والمسئولين عن محاسبة الأخلاق وقواد الجيوش والضباط أن يحتفظوا بالمجتمع الإسلامي وأن يصونوا الهوية

الإسلامية والحضارة الإسلامية . فالنساء لهن دور ملموس رائع واسهام ريادي بارز لا في الاحتفاظ بالهوية الإسلامية وحدها بل في الذود عن حياض الشريعة الإسلامية وصيانه كيانها .

وإن كانت في هذه الأيام قوة تقوم بصيانة المجتمع الإسلامي من التردى في هاوية محاكاة الحضارة الغربية وتقوم بسد الموجات العارمة المكتسحة من الحضارة الهندوكية الاسطورية ومنعها من التفشى والانتشار في المجتمع الإسلامي فهذه القوة لا محالة تتمثل في أخواتنا وسيداتنا والتعليم الديني الصحيح للنساء المسلمات وتربيتهن الإسلامية الدينية الهادفة وتزويدهن بالخلق الإسلامي والسيرة المثالية للنبي ﷺ والصحابة الكرام وإيثارهن للحضارة الإسلامية على غيرها من الحضارات والثقافات الصناعية الأخرى .

هذا الواقع دافع قوى من دوافع الضرورة الأكيدة والحاجة الملحة لإنشاء نظام التعليم والتربية لطبقة النساء . فنشكر الله على أن الجامعات والمعاهد التي تتأسس باسم « مدارس النساء » و « جامعة الصالحات » و « جامعة نور الإسلام » هي خطوات بناءة هادفة وعاقلة ومؤثرة لتحقيق الغرض المنشود . وسيكون ذلك ذريعة و وسيلة ناجحة لصيانة الناشئين والجيل الناهض من الردة الحضارية بل وفوق ذلك من الثورة العقدية في الأجيال الناشئة الحديثة . وسيكون ذلك باذن الله قاعدة صلبة ننطلق منها لمواجهة أعدائنا والصمود في وجه مؤامراتهم وإجراءاتهم التعسفية . ولو واصلنا هذه المسيرة المشجعة المباركة بجد وجهد واخلاص وتضحية وعقل وبصيرة فمن المرجو أن نصر الله سيكون حليفنا وتوفيقه مساعدنا وتوجيهه قائدنا مهما وعرت الطريق وكثرت الذئاب . وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ إن تنصرو الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (سورة محمد . الآية : ٧) .

++++++++++

﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾

[الحلقة الثانية]

دكتور / محمد بن سعد الشويعر

وللعلماء أسوة في الأدب الرباني لأنبيائه ، كما روى البخاري في صحيحه ، قال حدثنا عبد الله بن محمد : قال حدثنا سفيان : قال حدثنا عمرو : قال أخبرني سعيد بن جبير قال : قلت : لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني اسرائيل ، إنما هو موسى آخر ، فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : قام موسى النبي ﷺ خطيباً في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه سبحانه ، فأوحى الله أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين ، هــو أعلم منك ، قال : رب وكيف لي به ؟ فقيل : احمل حوتاً في مكتل ، فإذا فقدته فهو ثم فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون ، وحملا حوتاً في مكتل حتى كانا عند الصخرة ، وضعا رؤوسهما وناما ، فانسل الحوت من المكتل ، فاتخذ سبيله في البحر سرباً ، وكان لموسى وفتاه عجباً ، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما ، فلما أصبح قال موسى لفتاه : ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ ولم يجد موسى مساً من النصب ، حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه : ﴿ أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ﴾ ثم يستمر الحديث الشريف في سرد القصة كما جاءت في كتاب الله .. وختمه ﷺ بقوله : « يرحم الله موسى ، لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما » (١) .

ذلك أن للعلم مراتب ومنازل : أولها معرفة الله سبحانه وبحمده ،

---

(١) راجع صحيح البخاري : ج/١ ، ص/٣٨-٤٠ .

وهذه المعرفة يترتب عليها الخوف منه سبحانه ، وخشيته جل وعلا في السر والعلن ، لأن من كان بالله أعرف ، كان من عقابه أخوف .

ثم يأتي الحرص على توثيق ما يؤخذ ، وألا يكون من مصادر غير مطمأن إليها ، مع نبذ كل رأي فيه شذوذ أو خلاف ، أو دليل من الشرع يعضده .

ثم الابتعاد عن الإدعاء ، والتواضع لله ، فمن تواضع له رفعه ، ومن حرص على الخير أعانه ، ثم مجانبة النفس عن الهوى ، والتعصب الشخصي أو المذهبي .

فالعالم مأمور بأن يبلغ شرع الله ، وأحكام دين الإسلام ، وعليه أمانة ثقيلة في تبصير الناس بما ينقذه من الضلالة ، ويبصرهم بالطريق المستقيم ، ليعرفوا المهمة التي أوجدوا في الحياة من أجلها ، وذلك حسبما جاء عن الله ، أو أخبر به رسول الله ﷺ في سنته قولاً أو عملاً أو تقريراً ، وأن يكون ذلك العالم قدوة في نفسه ، عفيفاً عما في أيدي الناس ، محتسباً في ذلك ما عند الله ، وطامعاً في مثوبته .

وعلماء الإسلام الأوائل - رحمهم الله - قد خدموا من بعدهم ، منذ عهد النبي ﷺ حتى اليوم ، من حيث التثبت في الفهم اللغوي ، وتخريج معاني اللغة المعروفة لدى العرب في معاجم اللغة ، ودلالة المعنى ، شرحاً وتعريفاً ، بحسب لغات ولهجات العرب .

وحرصوا رحمهم الله أيضاً في مجال التفسير على استظهار المعنى القرآني ، وفق دلالات اللغة ، والإعراب النحوي ، وابتعدوا عن كل قول لا يتفق مع المنهج السليم المفسر لشرع الله .

وبالنسبة للسنة النبوية ، فقد خدموها - جزاهم الله خيراً - بتتبع السند ، وتمحيص الرجال ، ومعرفة الثقة ، ممن تكلم فيه ، وتعمقوا في دراسة أحوال الرجال وعرفوهم واحداً واحداً وكتبوا سيرهم ، وأبانوا عيب من لا يصح الأخذ عنه ، وهذا ما عرف في كتب الحديث باسم : الجرح والتعديل .

فكان في علوم الحديث ، وأصول التفسير خير معين لطالب العلم

الحريص على التوثق بأخذه ، والمهتم بأمانة تبليغه .

فالعلماء الذين تتوفر فيهم الأمور هذه هم الذين تنجذب إليهم النفوس ، و تحتاج إليهم المجتمعـــات ، و يعينون على التطبيق العملي السليم ، لأنها ترتاح إليهم الأفئدة ، وتأنس بعلمهم القلوب .

والجاهل لا يعذر بترك السؤال ، ولا بمتابعة الاسترشاد عما يهمه من أمور دينه ، أو ما يصلح أحوال حياته ، بل إن دعوة دينه ، وأوامر تشريعات ربه ، تأمره بذلك وتحثه على المتابعة ، حتى لا تقوم علي الحجة ، حيث عليه واجب الاستقصاء والسؤال ، كما أن العالم مأمور بالتبليغ وبسط ما أعطاه الله ، أمام طالبي المعرفة ، وترغيبهم في السؤال والمتابعة ، حيث توعد رسول الله ﷺ ، كاتم العلم بعقاب شديد ، يوم القيامة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » رواه الترمذي .

وقد خوف ﷺ على من يتجرأ على الفتيا بغير علم بعقاب مؤلم ، كما جاء في مقدمه أبي داؤد : بأن أجرأ الناس على الفتيا أجرأهم على النار .. أما من يفتى بعلم ومعرفة ، ومن ينشر العلم الذي أعطاه الله إياه بين الناس ، تعليماً ونصحاً وإرشاداً ، فهو الذي يخشى الله ويخافه ، كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١) .

فالعالم لابد أن تظهر عليه سيماء العلم بالوقار والعمل ، والامتثال لأمر الله جل وعلا في السر والعلن حتى يكون قدوة صالحة تحتذى .. والجاهل عليه أن يسترشد ويتعلم ، ليعرف ما يهمه من أمر دينه ، فيعمل بما علم ، ويعبد الله عن معرفة ودراية .. وهذا من سر مطالبة أمة محمد ﷺ بالحرص على السؤال ، ووفق ما جاء في كتاب الله الكريم بالحث على العلم والتعلم ، وتفويض السؤال لمن لا يعلم لأهل العلم بالإجابة الصحيحة النافعة ، حتى تبتعد أمة محمد ﷺ عن منهج الأمم التي ظلت بإضاعة هذا الحق ، وهم اليهود والنصارى ، ومن سار على دربهم ، وقد نهي

---

(١) سورة فاطر: الآية : ٢٨ .

رسول الله ﷺ أمــة الإسلام عن التنطع و اللجاجة في السؤال . كمــا في حديث : « هلك المتنطعون قالها ثلاثاً » رواه مسلم .

فاليهود معهم علم ولكنهم لايعملون به . لأنهم يعاندون ويكابرون . ويحرفون الكلم عن مواضعه . ﴿ ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ (١) .

والنصارى عندهم جهل . وعدم رغبة في السؤال . فهم يعبدون الله على جهل وضلال . وهذا ما قاله المفسرون في مدلول آيات من سورة الفاتحة . التي يقرؤها المصلي في كل ركعة من صلاته . حيث لا تصح إلا بها . حيث يطلب الهداية للطريق الأقوم : « الصراط المستقيم » وهو طريق الأمة الناجية . من عذاب الله . ونار جهنم المدلهة . وهي خير الأمم .

وما سلط أعداء الله على المسلمين . إلا بسبب الذنوب . والبعد عن فهم الدين وتطبيقه . وإلا فهم يدركون عدم مقدرتهم على الوقوف أمام أمة متمسكة بدينها . طائعة لربها . متبعة لهدى نبيها .

وقد قال بعض السلف : من فسد من علماء هذه الأمة ففيه شبه باليهود . ومن فسد من عبادها ففيه شبه بالنصارى .

وحتى يبتعد العلماء عن التشبه باليهود في الإضلال . وتوجيه الناس للغواية . فإنهم مأمورون بأداء حق العلم . والتثبت عند القول . وأن لا يقول الواحد منهم برأي شاذ ليس عليه دليل . أو بغير حق . حتى لا يفسد المجتمع . أو يضلل على الأمة .. لأن عليه أمانة في الأداء . وذلك بمراقبه الله في تأدية هذه الأمانة العلمية . قبل أن يسأل عنها في يوم لا حجج ولا مال . ولا جاه إلا من رحمه الله . واستحق رضاه لأنه حرص على العمل بما يرضيه سبحانه في دار الفناء . فإن من اضلال العالم للناس أن يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ . فقد روى مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار » .

وحتى يبتعد العامة عن الطريق الذي يقربهم من التشبه بالنصارى .

---

(١) سورة المائدة . الآية : ١٣ .

فإن عليهم الحرص على سؤال أهل الذكر ، واتباع منهج القدوة الصالحة من هذه الأمة ، في الحرص على أخذ العلم من مظانه كما كان الأنصار يعملون في غدوهم ورواحهم على رسول الله ، وكما يفعل الصحابة وأهل الصفة في ملازمتهم لمسجد رسول الله ﷺ ، فالعلم لاينااله مستح ولا متكبرٍ كما قال مجاهد .

واقتراف الذنوب من سمات البشر في هذه الحياة الدنيا ، ولكن ماذا يجب على من أسرف على نفسه ، وظلمها فوق طاقتها ، بالإساءة والجرأة .

ولا تستغرب يا أخي الكريم ، أن يسئ الإنسان إلى نفسه ، أو يحملها فوق طاقتها ، لأن الذنوب حمل ثقيل ، قد تظهر بوادره على من أراد الله له الخير في الدنيا فيستدرك ، ويتجافي عما وقع فيه ، بالعودة إلى الله ، وامتثال أمره ، وهذا يتم عن طريق المعرفة والتوجيه ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله • إن الله يغفر الذنوب جميعاً • إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) .

ويوضح تبارك وتعالى مكانة هؤلاء المنيبين ، الذي عملوا الذنب ولم يصروا عليه وهم يعلمون حقيقته : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم • ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله • ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (٢) .

فالتوبة بابها مفتوح إلى يوم القيامة ، ولا يزال المرء في فسحة من أمره مادام على قيد الحياة وطريق التوبة سؤال أهل العلم ، والاسترشاد بمشورة وآراء أهل الذكر ، والله جل وعلا يفرح بتوبة عبده من أي عمل اقترفه ، فإن كان فيما بينه وبين ربه فشروطها الإقلاع عن الذنب ، والعزم على عدم العودة إليه ، والاستقامة على الحق وفق شرع الله ، وإن كانت تتعلق بالعباد ، فيزداد الأمر ، بإرجاع الحق لأصحابه واستباحتهم .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٥ .

فإذا سلمت النفوس . وقوي الجوهر . فإن أي خطأ ارتكبه مع صاحبها . أو مع الآخرين يمكن تلافيه بالإنابة . ورقة القلوب بالمتابعة والشعور بالندم ...

ولكي يكون الحديث مؤثراً فإنه ينبغي تحديد جوانب العرض فيه . وأجدها فرصة في هذا الخير من الحديث لأعرض قصة واقعية حكاها الإمام مالك بن دينار رحمه الله عن نفسه . وهي تمثل مدخلاً واحداً من مداخل التوبة إلى الله . ونموذجاً من الاسترشاد بما يبسطه العلماء للناس في دروسهم . وأسلوباً من أساليب الدروس الموجهة للنفوس التي تستفيد وتتعظ من المواقف المؤثرة .

هذه القصة رواها الإمام مالك لطلابه . الذين كان يتحدث إليهم عن القصص والحكايات التي تتحدث بنعم الله . وتربط العبد بخالقه . ليسترشد ويعرف ماله وما عليه . تأدية لمكانة العلم . بالتبليغ والتعليم .

تقول هذه الرواية : إن مالكاً كان له حلقة دراسية في مسجد رسول الله ﷺ . بالمدينة المنورة . وكانت تلك الحلقة تضم مجموعة كبيرة من خيرة الطلاب . الذين أحبوا مالكاً وتعلقوا بحلقته . وتابعوا الأخذ عنه . لما عرف به من شخصية نادرة . ومنهج سلوك .

وفي مجلس من مجالسه قال ذات يوم لتلاميذه : سيكون حديثي إليكم هذا اليوم عن حياة شيخكم الماثل أمامكم . وما طرأ فيها من تحوّل . فقد كنت في أول شبابي بعيداً عن العلم وأهله : تعلماً وتعليماً . اقترن برفقاء السوء . مدمناً على الشراب . ومستمراً على تعاطي الخمر التي حرم الله . وكنت أعمل مع مجموعة من الشباب . قساة القلوب . غليظي الطباع . فأصبح الناس يهابوننا . ولذا وجدها أهل فرصة لاستخدامنا حراساً في الليل . نحمي متاجرهم من اللصوص . الذين كانوا في العراق آنذاك يتكاثر عددهم . مع ضعف السلطة الأموية التي تقيم عليهم الحد الشرعي . أو تردعهم عن الإضرار بالآخرين . كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : يزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن (١) .

وفي يوم من الأيام بعد ما انهيت عملي . كنت اتجول في السوق لأشتري ما احتاج إليه . إذ كان دخلي جيداً . ومقدرتي المالية تعينني على شراء ما أريد . فهالني ما رأيت : رجلاً شديد الغنى . ويظهر عليه علامات ذلك من ملابسه الزاهية . ومظهره الذي يبز فيه الناس . ورائحة العطر التي تفوح منه . وخواتمه التي تتربع على أصابعه . وأمامه رجل فقير . قد جثى على ركبتيه . يتوسل إليه في رقة وخضوع . ويقول له : يا أخي أرجوك الصفح والمغفرة . فأنت لك فضل علي بعد الله . و والله لا أملك غير ما أخذت مني . وإنها لطعام بنياتي السبع . اللآئي ينتظرن عودتي من عملي بفارغ الصبر . يفتحن أفواههن في انتظار ما آتيهن به كزغب القطا ...

أرحم حالتي . واعطف على هؤلاء المسكينات . فالراحمون يرحمهم الرحمن .

إلا أن الغني شامخ أنفه . و عنجهيته و خيلاؤه يشتدان كلما ازداد المسكين

---

(١) تروى هذه المقالة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله .

توسلاً، ويزمجر في تقريع هذا الفقير، ويشتد عليه في الكلام والزجر .. ورأيت أن كلاً منهما على طرفي نقيض من الآخر.

ومن غير شعور مني، إذا بقلبي القاسي يرق بهذا المنظر، فأجدني مشدوداً للمساعدة بعد أن هزني ما أرى، فوجهت كلامي للغني قائلاً: يا هذا ارفق بهذا المسكين، واستجب لندائه وساعده.

فنهرني بشدة، وهو يقول: اذهب لسبيلك فالأمر لا يعنيك، إن هذا رجل مكار، خدّاع فلا تغتر بدموعه، فلقد أقرضته سبعة دراهم منذ مدة، فأصبح يتهرب من لقائي، ولا أريد إعادتها إلي، فوجدته اليوم، وهو يقبض أجرته، فحاول التملص مني، لكنني أمسكت به، فأخذت حقي منه .. وأنت يا هذا ماذا يهمك من الأمر؟! فاذهب لحالك.

قال مالك: فاستشطت غضباً، ولم أتمالك نفسي: فلطمت الغني لطمة شديدة، كاد ينخلع لها أنفه، وتتناثر منها أسنانه، وتتقادح الشرار من عينيه من شدة وطأتها، ولم أتركه يسترد أنفاسه، بعد أن أذهله الموقف، بل أدخلت يدي في جيبه، وانتزعت الدراهم السبعة، ودسستها في يد الفقير، وأنا أقول له: خذها بارك الله فيك، وانطلق بسرعة، واشتر لبناتك طعاماً، فإذا شبعن فقل لهن يدعين لمالك بن دينار بالهداية والتوفيق.

فذهب الرجل فرحاً مسروراً بهذا الموقف، وبما ضمن من غذاء لبناته ذلك اليوم، وبقي الغني في مكانه مذهولاً مما حدث، وقد أرعبه سماع اسم مالك بن دينار، الذي كان معروفاً بالقسوة والغلظة، ويخشاه الناس.

قال مالك: فأحسست من ذلك اليوم بحاجتي إلى الزواج، وجاذبيه نحو الأطفال، بعد ما حركتي الموقف الذي مرّ أمامي.

ولكن بدأت أدير الأمر وأدبره، فمن يا ترى يرغبني زوجاً لابنته، وأنا من أنا بتلك الصفات، مع معرفتهم عني بإدمان شرب الخمر، والجبروت والقسوة.

ولما أوصدت الأبواب أمامي قررت أن اشترى جارية من سوق الإماء، وكان هذا في هذا العصر الأموي، وكثرة الفتوحات الإسلامية.

فذكرت لي جارية لا يرغبها كثير من الناس لأنها متدينة، عارفة بتعاليم ربها ومطبقه لها، حريصة على المواظبة في تأدية العبادات .. فاشتريتها، وجعلت صداقها عتقها فانجبت لي بنتاً، ملأت البيت على سعادة كما ملأته أمها من قبل بحب الله، و حب الامتثال لشرعه، و الحرص على تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيـــه.

ثم اتجهت إلى طلب العلم على كبر . فأعانني الله . ورق قلبي . وبدأ طبعي يلين شيئاً فشيئاً . و الناس يلمسون هذا التحول فيّ . فبدأ أصحاب الشر . وقرناء السوء . ينفرون مني . واستبدلت بهم من أصحاب الخير والعبادة . ما عوضني الله به خيراً وبركة .

وفي يوم من الأيام وصلت بيتي كعادتي . وإذا بابنتي التي كبرت ونمى عودها . و تفتحت أساريرها . تقابلني كالعادة : فرحة مسرورة . فلاعبتها ولاطفتها . مغتبطاً بها . وفجأة وأنا أحملها وبدون مسببات خرّت على كتفي صريعة . فرفعت رأسها لأنظر وجهها . فإذا هي جثة هامدة . ورأسها يميل شمالاً ويميناً . فبذلت جهدي . وحاولت فتح عينيها . وناديتها باسمها . ولكن لا حياة لمن تنادي . فأذهلتني الصدمة . وفجعتني المصيبة المفاجئة . فصرت أدور بها في الدار لا أدري ماذا أفعل . بعد أن شعرت بقلة حيلتي .

فجاءت أمها مسرعة فقالت: ما بال ابنتي ؟! ماذا حل بها . وما دهاها؟؟! فقلت : انظري .. لست أدري .. هل كانت تشكو شيئاً من قبل . أو حل بها أمر قبل الآن .. وهل أصابها عين حاسد . أو دهاها خطب لا ندري ماكنهه .

ثم بدأت أسوف وأعلل .. ولكنها على كل حال قد فارقت الحياة .

وبعد أن جهزناها لمثواها الأخير . أصبح خيالها يطاردني كلما دخلت الدار . وصورتها لا تفارق مخيلتي . إذ كلما نظرت في زوايا الدار. ورأيت ملابسها وألعابها وأحذيتها . وجميع الآثار الدالة عليها . هاجت نفسي . وتذكرتها بفرحها ومرحها . ولذا لم استطع الصبر والسلوى عنها . بل صرت في كل يوم أزداد جزعاً وهلعاً . نظراً لرقة الإيمان في قلبي . وخلو ذهني من الزاد العلمي . والمعرفة اليقينية .

فقررت في ليلة من الليالي – وبئس ما قررت – أن سلوتى عنها في العودة لحالتي السابقة من السكر وادمان الشراب . وأن في الشرب حتى الموت خلاصاً مما أعاني . لكي ألحق بابنتي . لأنني لم أتشبع من قوة الإيمان حتى تردعني . ولا أملك يقيناً عازماً فيقف بي دون محارم الله . و يحصنني عن الشيطان . و وساوسه . ذلك العدو الذي وجد علي مدخلاً في هذه المصيبة التي حلت بي . ولم أتسلح لمجابهتها .

فاستجب لهذا الهاجس . وأسرفت على نفسي . وكرعت في الخمر التي جهّزت لهذا الموقف . وزوجتي في الجانب الآخر تنهاني وتذكرني بتعاليم ديني . ولكن الشيطان حرضني وشجعني . فلم استجب لندائها . وأسلمت لنفسي هواها . وظلمت

نفسي ، حتى خررت مغشياً علي ، وغبت عما حولي ، ونسيت واقعي تماما .. ولكن الله أراد لي الخير فساقني إليه ، وبينما أنا على هذا الحال ، إذ رأيت رؤيا غيرت مجرى حياتي بحمد الله : رأيت كأن القيامة قد قامت ، و الناس يحشرون إلى ربهم ، وكل قد ذهل عن أخيه وقريبه ، وتمثلت أمامي أهوال عظيمة ، ورأيت الناس على أشكال شتى ، وإذا بي أجري مع الذين يجرون ، وأحس بلهيب يتلظى حرارة في ظهري ، فخفت وأسرعت في الجري علي أتخلص من ذلك الألم ، لكنه أسرع مني ، ونسيت التعب ، إلى جانب هذا الألم والخوف .

ونظرت يميناً وشمالاً لعلي أجد شيئاً التجئ إليه ، ليحميني من هذا الثعبان وناره المحرقة التي ينفثها من فمه .

ولكن لم أجد شيئاً ، فاشتدت حسرتي ، وتضاعف ألمي ، ولكن لا حول لي ولا طول وفجأة لمحت جبلاً فيه شرفات ، فيممت إليه ، عساي أجد فيه ملاذاً يحميني مما أصابني ، وإذا بي ألمح في كل شرفه أطفالاً يطلون ، وبينهن طفله تنادى فقصدتهن .. وعن قرب سمعت المجموعة ينادون بصوت واحد : يا فاطمة أدركي أباك ، يا فاطمة أدركي أباك .

فخرجت من بينهن ابنتي وهي تقول : أبي ،أبي ، أبي .

فعرفتها واتجهت إليها .. فأومأت بيدها للثعبان .. فوقف ، وأخذتني عندها ، وأنا ألهث وارتجف من شدة الخوف ، فأجلستني أمامها ، وقالت : يا أبتاه : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ (١) فما زالت ترددها ، ولا تزيد عليها حتى استيقظت من النوم ، ومما أنا فيه بعد أن عاد إلى وعيي ، فحمدت الله أنني لازلت في الدنيا .

وإذا بي اسمع صوت المؤذن لصلاة الفجر : الله أكبر .. الله أكبر .

فقمت واغتسلت ، ورميت كل ما حولي ، وذهبت للمسجد لأداء صلاة الفجر مع جماعة المسلمين ، وأنا نادم على ما بدر مني ، منكر فيما رأيت ، خائف و وجل من العواقب ، فدخلت المسجد ، و أخذت مكاني بين المصلين، وبعد قراءة الفاتحة من إمام البصرة ، وزاهدها الحسن البصري ، الذي كان إمام المسجد في ذلك اليوم ، وإذا به يقرأ هذه الآية الكريمة التي رددتها على مسمعي بنيتي في المنام ، ويرن صداها في قلبي : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ .

فاضطربت وشعرت بوخزات في داخل قلبي ، وبنداء باطني يخاطبني بأنني

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

المقصود بهذه الآية ، المؤكدة للرؤيا ، فاستحييت من الله ، على ما قمت به من عمل ، وعزمت على التوبة والإقلاع عن العمل الذي وقعت فيه .

وبعد انتهاء الصلاة جلس الشيخ يحدث الناس ، كعادته بعد صلاة الفجر فكان حديثه الذي ابتدأه بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ﷺ أن قال : قال الله جل وعلا : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لـذكـر الله و ما نزل من الحق ﴾ .. ثم بدأ يشرحها ، ويفسر دقيق معانيها ، وكان ممـــا قاله ، بأن يأن من الأناة ، والآن أي ألم يأت الوقت الذي به تلين القلوب ، وتخشع الأبصار لذكر الله ، وتنقاد لأوامره عز وجل ، وتبتعد عن زواجره فيما حرم ، وما على من وقع في شئ من المعاصي المخالفة لشرع الله إلا المبادرة بالتوبة ، والاستفادة من النذير ، والإقلاع عن الذنوب ، قبل فوات الأوان ، وضياع فرصة العمر .. وفسحة التوبة ما دام الإنسان على قيد الحياة ، حتى لا يتندم إذا زلت به القدم ، كما أخبر الله سبحانه بقوله : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين ﴾ (١) .

ثم عظم الأمر في مكانة التوبة ، وأهمية المبادرة إليها قبل فوات الأوان ، وأبان عن شروطها فدخل ذلك في قلبي .

وبعد انتهاء الدرس ذهبت إلى بيتي ، فقلت لزوجتي هيأ بنا ؟!

قالت : إلى أين ؟

قلت : نشد الرحال إلى المدينة ، لطلب العلم قرب رسول الله ﷺ ، ولأبقى هناك بجوار العلماء الصالحين ، وكانت المدينة ذلك الوقت مقصد راغبي العلم ، حيث يوجد الفقهاء والعلماء ، ومنهم فقهاء المدينة المنورة ، السبعة وغيرهم .

فحزمنا أمتعتنا ورحلنا من ذلك اليوم ، وجديت في طلب العلم وأنا على كبر ، وقد أعطاني الله منه على قدر نيّتي ورغبتي .

وعوضني الله عن ابنتي ، وأصحابي هناك ، بأبناء المسلمين الذين يغدون إلى حلقتي فكلهم أبنائي يجلونني ، ويحترمونني ، كما يجلون آباءهم ويحترمونهم .

وقد شعرت بسعادة الدنيا ، ولذة العلم ، وبرّ الأبناء ، وبقي على شئ آخر ، وإنني لأرجوه من الله تبارك وتعالى ، وهو الفوز برضاه ، وسكنى جنته مع الأحبة البررة الذين سبقونا بإحسان .

وقد وجدت لذة ذلك في طلب العلم والسؤال ، ثم في تبليغه ونشره بين الناس ، لأن العلم هو الطريق الموصل إلى معرفة الله ، وإلى طريق الهداية والجنة .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٦ .

هذه هي بداية شيخكم الماثل أمامكم ، أحببت تعريفكم بواقع حياته ، وما حصل له لكن لا تزهدوا في العلم ، ولا تستحيوا من السؤال .

هذه قصة توبة وهداية مالك بن دينار رحمه الله ، كما رواها بنفسه ، ومالك هو من ملأ الدنيا سمعةً وزهداً وعملاً في سبيل العلم ، والدعوة إليه ، والتبصير بما يعرف بالله وشرائعه التي شرع لعباده .

وهي قصة تجذب القلوب ، وتدعو المسرفين على أنفسهم يتبصرون في أمورهم ، ويفكرون في دخائل نفوسهم .

وإذا كان طريق التوبة سهلاً ميسراً ، كما قال مالك بن دينار ، فإن مما يربط مالكاً وغير مالك من العارفين بالله ، هو العلم والصدق ، فبالعلم يعرف السائل والمسترشد الطريق الذي يوصله إلى مرفأ السلام ، ويؤدي العالم ما أوجب الله عليه بالتعليم والإيضاح ، والإرشاد والتبيين ، وبالصدق يحسن العمل وينقى من الكدر الذي يتوب منه التوبة .

وبهذا الإتجاه تنبذ المقترفات من الأعمال التي نهي عنها الشرع .. وتتحقق النتيجة الإيمانية ، التي لا يذوق طعمها إلا من صفت نفسه ، وحسنت سريرته ، وأتقى الله في سره وعلانيته كما يروى عن مالك بن دينار في دعائه أنه يقول : اللهم أذقني حلاوة الإيمان ، فلكل شئ مطعوم لذة بالحلاوة ، وألم بالمرارة ، والضدان لا يجتمعان ، كما يقولون .. ومن هنا يحرص كل مؤمن على طلب الحلاوة ، وتذوق ذلك في النفس ليشعر بلذة ذلك الطعم المتميز ، وهذا يجده من تعب بالسؤال طمعاً في الاستزادة والاسترشاد ، ومن بذل في الجهد وقتاً للتزود والعلم ، ومن شعر بثقل الأمانة العلمية ، فكان لعلمه باذلاً ، ولجانبه متواضعاً ، وللبحث مستقصياً ، وعما في أيدي الناس متورعاً .

إن هذا واحد من الطرق المؤدية إلى التوبة ، التي تحتاج من النفس إلى التصميم ، ومن القلب إلى الصمود ، ومن الإحساس إلى العمل ، ومن النفس والهوى إلى مغالبة .. جعلنا الله جميعاً من الحريصين على العلم النافع ، والمؤدين للعمل الصالح ، والمسترشدين لأقوم الطرق وأحسنها ، حتى نكون من السعداء في الدنيا ، الفائزين في الآخرة .. والله الموفق لكل خير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٧٧٧٧٧٧٧٧٧٧٧٧

٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨

تأثير العبادات في إصلاح المجتمع

الأستاذ أيوب الندوي
محاضر في قسم اللغة العربية
الجامعة الملية الإسلامية - دلهي

ما شرع الإسلام عبادة من عباداته إلا وكان لها أثرها العملي ونتاجها الاجتماعي في حياة الإنسان، كظاهرة حياتية تساهم في خير الإنسان وسعادته. وان فيها من المكاسب النفسية والمنافع الاجتماعية ما لو أدركه المسلمون لانعكس على حياتهم خيرا وبركة ووحدة وصلاحا ورشادا وعزة وأمنا وسعادة. وانها شرعت لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه. وإذا كانت العبادة لا تحقق تلك الأهداف فهي ليست عبادة ولا يقبلها الله وهي تجلب الذم لصاحبها.

إن الله تعالى خلق الكون وما فيه. فالكل خاضع للنظام التكويني الذي أجراه الله في كونه و خلقه. فالكل في تسبيح و حمد لرب العالمين: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبّح بحمده • ولكن لا تفقهون تسبيحهم • إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (سورة الاسراء، الآية: ٤٤) وكما قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يسبّح له من في السماوات والأرض والطير صافّات • كل قد علم صلاته وتسبيحه • والله عليمٌ بما يفعلون ﴾ (سورة النور، الآية: ٤١) فإذا أجرى النظام التكويني في الكون فلابد أن يجري النظام التشريعي وهذان النظامان كمثل عجلتين للعربة إذا كانت احداهما كبيرة والأخرى صغيرة أو كانت احداهما مستقيمة والأخرى معوجة لا تتحرك العربة وإذا تحركت سقطت.

فهذا النظام التشريعي قد وسد أمر نفاذه وتطبيقه إلى من جعله الله خليفة في هذه الأرض وهو الإنسان. فالإنسان مأمور من الله بأن يعبده

وحده وأن يعمل وفق ما أمره به من العبادات . ونذكر الآن هذه العبادات باعتبار الأهم فالمهم . وكل أعمال الإسلام لا يعتبر إلا إذا كان العامل مؤمناً بالله وحده ولم يشرك به شيئاً : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ (سورة طه ، الآية : ١١٢) .

وأهم العبادات وأعظمها شأناً بعد العقيدة الإسلامية وتوحيد الله سبحانه و تعالى هو الصلاة ، ثم الزكاة و الصوم و الحج إلى بيت الله الحرام . و هذه العبادات الأربع مع شمول العقيدة هي أركان الإسلام الخمسة . وهي أسس الدين التي يقوم عليها بناء الإسلام . و لقد قال رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس . شهادة أن لا اله إلا الله ، وأن محمدارسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » (١) .

وقد فرض الله تعالى في القرآن الكريم هذه العبادات حسب المواقع . ففرض الصلاة والزكاة بقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ○ إن الله بما تعملون بصير ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١١٠) وقال آمرا بالصوم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٨٣) ولما فرض الحج قال : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ○ ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ٩٧) .

الصلاة : ولكن من أقدم هذه العبادات وأهمها الصلاة المفروضة ، فإنها عماد الدين وهي الفارق بين المؤمن والكافر . فالمؤمن يقيم الصلاة والآخر يتركها وبهذا الصدد يقول القرآن الكريم : ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ (سورة الروم ، الآية : ٣١) . وإقامة الصلاة سبب تخلية سبيل الكفار إذا آمنوا . فهم يعتبرون مسلمين وإخوانهم في دينهم إذا أقاموا الصلاة . وهذا ما ذكره القرآن الكريم : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ٥) وفي

---

(١) صحيح البخاري : ج/١ ، ص/٨ .

مكان أنزل الله قوله : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (سورة البراءة ، الآية : ١١) ورواية جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ تشرح هذه الآية إذ قال : « بين العبد والكفر ترك الصلاة (١) » ورواية الترمذي « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » .

ولقد فرض الله تعالى الصلاة على كل عبد وحر ، غني وفقير ، مريض وصحيح ، مقيم ومسافر ، وذكر وأنثى ، شاب وشيخ ، وكفانا لأهميتها فرضيتها في ساحة الحرب حيث لم يسقط الله فيها بل فرض حينئذ صلاة الخوف (٢) وهي فريضة دائمة على كل بشر إلى وفاته ، ولذلك أمر الله بها أحب الناس إليه ورسوله محمداً ﷺ في قوله : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (سورة الحجر ، الآية : ٩٩) .

الإنسان ضعيف ذو حاجة وطلب فطبيعيا يريد الإنسان أن يخضع لقوة أكبر ، ويلجأ إليها ويناجيها ولذلك ترى الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والأحجار ، فلاستجابة هذه الغريزة البشرية فرض الله على الناس هذه الصلاة ولذلك كانت الصلاة أحب العبادات إلى الرسول ﷺ ، فلقد روى عنه أنه قال : « وجعل قرة عيني في الصلاة » وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فكانت الصلاة سلاحا وتسلية ودواء وبلسما ، وغذاء وقوة للمؤمنين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة • إن الله مع الصابرين ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٥٣) .

وأما ناحية التأثير في المجتمع فصلاة الجماعة شاهد صدق على الفوائد التي تحصل في نفع المجتمع ، ولقد شرعت الصلاة بالجماعة : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٤٣) واهتمام رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين يدل دلالة على أهمية صلاة الجماعة و نفعها ، و هذه هي التي ذكر الله فضلها في قوله : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر • و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون ﴾

---

(١) رواه مسلم في صحيحه هكذا في الهامش على الأركان الأربعة : ص/٢٥ .
(٢) صلاة الخوف في سورة النساء ، الآية : ١٠١-١٠٢ .

(سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥) وبهذه المناسبة يقول الأستاذ مصطفى السباعي : « الصلاة ... عملية تطهر واعداد ، وتطهر للإنسان من كل آثار الانعزالية والقسوة والغفلة والفاحشة .. واعداد له ليتحلى بكل خلق اجتماعي تعاوني فيه للناس جميعاً فائدة ونفع .. تلك هي الصلاة .. عبادة لتقويم الخلق الاجتماعي الكريم المتعاون في نفوس المصلين فإن لم تؤد إلى ذلك تزيده عنه بعدا .. وبهذا أعلن ﷺ عن فلسفة الصلاة وغايتها .. من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » (١) .

ولصلاة الجماعة فوائد لا تحصى ، فهي تربط المؤمنين برباط موحد وثيق ، وهي تشعرهم أنهم سواسية كأسنان المشط وهذا ما أشار إليه الكاتب محمد قطب في كتابه عن صلاة الجماعة فقال :

« أما صلاة الجماعة فدلالتها واضحة في جمع شتات الناس وربطهم برباط المحبة والتعاون حين ترتبط قلوبهم بالله في الصلاة ، فضلا عن المعنى العسكري الملحوظ في تنظيم الصفوف واتباع القائد ، وكل المشاعر الأخرى التي ينشئها الإحساس باتحاد الوجهة واتحاد الشعار واتحاد الحركات والسكنات (٢) » .

فإذا استنار البشر من نور القرآن الكريم واستفاد من هديه لوجد تغييراً كبيراً في الوحدة الاجتماعية ، وإذا أدى الإنسان الصلاة حق أدائها وكما أمره القرآن الكريم لوجد لها تأثيرا بالغا في شخصية نفسه وفي كيان المجتمع الذي يعيشه هو ، وفي بناء السيرة الإسلامية وتوطيد دعائم السلوكيات ، فضلا عن قطع صلة المصلى عن الفحشاء والمنكر، وعن جميع الذنوب والآثام .

« يتبع »

:::::::::::::::

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية : ص/٤٤ .

(٢) في النفس والمجتمع : ص/١٣٩ .

الأبواب والتراجم للبخاري ، ميزاتها وخصائصها

[الحلقة الثانية]

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي
عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

سر الغموض في هذه الأبواب والتراجم تنوع (١) مقاصد المؤلف الإمام وبعد مراميه وفرط ذكائه وحدة ذهنه وتعمقه في فهم الحديث وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادة ممكنة فهو كنحلة حريصة تواقة تجتهد أن تتشرب من الزهرة آخر قطرة من الرحيق ثم تحولها إلى عسل مصفى فيه شفاء للناس .

وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح شأن العاشق الصادق والمحب الوامق مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال وكساه ثوباً من الروعة والجلال فهو لا يكاد يملأ عينيه منه وهو

---

(١) ظن بعض الناس بجملة « أن فقه البخاري في تراجمه » أن الإمام خص التراجم في كتابه للمسائل الفقهية ولكن الحقيقة أن الفقه هنا ليس له معنى اصطلاحي خاص بل هو يدل على الدقة في العلوم والتضلع والبصيرة فيها كما هو معناه في دعاء النبي ﷺ لعبد الله ابن عباس رضي الله عنه « اللهم فقهه في الدين » فهذه الأبواب والتراجم – التي كتبها الإمام في روضة النبي ﷺ بين قبره ومنبره على صاحبهما الصلاة والسلام – لها مقاصد متنوعة تدل على تضلع الإمام ودقته في العلوم فربما يستخرج منها المسائل الفقهية وربما يشير بها إلى المسائل الكلامية وربما يبين طريق الجمع بين الأحاديث وربما يريد التوجيه إلى أمر لم يصل إليها الآخرون وهكذا . وبهذا التنوع وقع الاختلاف بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلف الإمام في تراجمه .

كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله . فازداد افتتانا وهياما ورأى جماله يتجدد في كل حين وإذا الوجه غير الوجه والجمال غير الجمال فلا قديم في الحب ولا إعادة عند المحب وصدق الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

ولذلك نرى الإمام البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل واستنباط الفوائد والنزول إلى أعماق الحديث والتقاط الدرر منه والخروج على قرائه بها حتى يذكر حديثا واحداً أكثر من عشرين مرة

وروى حديث بريرة عن عائشة أكثر من أربع وعشرين مرة واستخرج أحكاما وفوائد جديدة .

وروى حديث جابر قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة فأبطأبى جملى وأعيا . الحديث أكثر من عشرين مرة .

وروى حديث عائشة أن النبي ﷺ . اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعا من حديد في أحد عشر موضعا وعقد له أبوابا وتراجم لها (١) .

وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع .

وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه من غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع وفوائده أكثر من خمسين .

وروى حديث أسماء في كسوف الشمس وخطبته ﷺ في عشرة مواضع .

وروى حديث « إن من الشجرة لشجرة لا يسقط ورقها (الحديث) واستخرج منه فوائد جديدة (٢) .

---

(١) عمدة القاري للعلامة العيني : ج/٥– ص/٤١٥ (٤) .

(٢) انظر : هذه الإحصائيات في كتاب « دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري » وضعه الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان . وطبع بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام .

فكأنه تأخذه النشوة والطرب عند رواية الحديث فلا يمل من إعادته وينشد بلسان الحال :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

وكأنه يتمثل ببيت الشاعر :

وحدثتنا يا سعد عنهم فزدتنا شجونا فزدنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤه - الذي ضرب فيه بسهم وافر- ويتوقد ذهنه وتسيل قريحته ، فيفلت زمام التأليف ويرسل النفس على سجيتها ويستخرج من حديث واحد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثير من الأذكياء ، وما ذلك إلا لحدة ذهنه وإفراط حبه ، ولم يزل المحب ملهما للبدائع ملهبا للقرائح والمحب يقع على ما لا يقع عليه المتأمل المرهق لجسمه المتعب لعقله .

وسر آخر للغموض في تراجم الأبواب أن المؤلف الإمام غير خاضع للأساليب التأليفية والقوانين الوضعية ، التي جرى عليها المؤلفون في فن الحديث في عصره وبعد عصره ، بل هو واضع طريقة خاصة في التأليف وإمام مذهب خاص وهو لم يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الأحاديث شأن أقرانه ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه ، بل يستخرج من الأحاديث فوائد علمية وعملية لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة .

وقد أحسن الإشارة إلى ذلك أكبر شراح كتابه وأعرفهم بمراده العلامة الحافظ (١) ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه الفريد (فتح

---

(١) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر الكناني العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) من كبار أئمة الحديث والتاريخ . أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده و وفاته بالقاهرة ، وولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز والقاهرة وغيرها لسماع الشيوخ وأخذ عن العراقي وابن الملقن وغيرهما ☒☒

الباري) قال ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتني فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيمة. قال الشيخ محي الدين نفع الله به ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها. ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن اسناد الحديث واقتصر فيه على قوله فيه فلان عن النبي ﷺ أو نحو ذلك. وقد يذكر المتن بغير اسناد وقد يورده معلقا وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوما وقد يكون مما تقدم وربما تقدم تقريباً. ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة وفي بعضها ما فيه حديث واحد وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شئ فيه البتة. وقد ادعى بعضهم أنه صنع ذلك عمداً وغرضه أن يبين أنه لم يثبت عنده حديث بشرطه في المعنى الذي ترجم عليه. ومن ثمة وقع في بعض من نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر فيه باب فأشكل فهمه على الناظر فيه (١).

وقد زاد على ذلك حكيم الإسلام الشيخ (٢) ولي الله الدهلوي

٪٪ وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه. وأصبح حافظ الإسلام في عصره. قال السخاوي انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر. كان فصيح اللسان. عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين. صبيح الوجه. ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه بكثيرة جليلة أشهرها فتح الباري في شرح صحيح البخاري. و «لسان الميزان» وتهذيب التهذيب. والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة وغيرها من المؤلفات النافعة. ولتلميذه العلامة السخاوي كتاب في ترجمته سماه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر». الأعلام. ١٧٢/١. شذرات الذهب. ٢٧٠/٧.

(١) مقدمة فتح الباري. ص/٦ (٤).

(٢) قد سلف ذكره في الحلقة الأولى.

فأحسن وأجاد وأوضح التفاوت الواقع بين أفهام العلماء ومقاصد المؤلف الإمام. وكأنه يقول بلسان الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم   ونزلت بالبيداء أبعد منزل

قال رحمه الله: «وكثيراً ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل، بالكتاب والسنة والعادات الكائنة في زمانه ﷺ، ومثل هذا لا يدرك حسنه إلا من مارس كتب الآداب، وأجال عقله في ميدان آداب قومه، ثم طلب لها أصلاً من السنة (١)».

ومن أكثر قراءة الجامع الصحيح درساً وتدريساً وأمعن النظر فيه شهد بصدق شيخ الإسلام فيما قاله: وأصابته الصميم، ووجد شيئاً كثيراً مما يتأدب به ويتخلق بأخلاق الرسول ﷺ وعادات الصحابة منشوراً في ثنايا هذا الكتاب العظيم، حتى يستطيع أن يستخرج منه كتاباً آخر، ويسميه «الأدب المفرد(٢)» أو بما شاء، وقد يستهين المختص بالفقه والحديث بقيمة هذه الثروة وقد يلتوي عليه فهمها. وحكمة وضعها في هذا الكتاب الذي أفرد لجمع الأحاديث الصحيحة على شروط الإمام البخاري، ولكن نظر المحب يختلف عن نظر غيره، وقد أراد الإمام البخاري أن يكون هذا الكتاب نبراساً للساري، وصورة لما كان عليه الصحابة والمسلمون في عصر النبوة.   «يتبع»

%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%

---

(١) شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، ص/٥، طبع حيدرآباد ١٣٢٣هـ (٤).

(٢) هذه إشارة إلى كتاب المؤلف الإمام الآخر «الأدب المفرد» وقد تأخر طبعه وما اعتني به كما كان حقه، وعليه شرح واحد للشيخ الفاضل فضل الله بن أحمد علي بن العارف الكبير العلامة الشيخ محمد علي المونجيري مؤسس ندوة العلماء، سماه: «فضل الله الصمد على الأدب المفرد».

حكم الانتفاع بالأرباح الحاصلة من الرهن

دراسة علمية فقهية تحقيقية

[الحلقة الثانية]

بقلم: فضيلة الشيخ منة الله الرحماني
أمير الشريعة الإسلامية والأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند سابقاً
تعريب: محمد رحمة الله الندوي المظفر فوري

والسؤال الثاني الذي ينبعث بعد تعين فحوى الحديث هو أن الانتفاع بالمرهون يصح بغير إذن الراهن أم لا ؟ أما ألفاظ الحديث فإنها عامة لا دلالة فيها على اشتراط الإذن. وظاهر الحديث يشير إلى صحة الانتفاع بالمرهون مطلقاً، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. لكن هذا الإطلاق يضاد أصول الشرع وقواعده العامة. وذلك لأن الاستفادة بملك الغير لا يتمكن منها أحد بغير إذن منه. وإن قام بها أحد فيعد غاصباً كما يشهد عليه، عدد كبير من الآثار النبوية والأحاديث الشريفة.

يقول العلامة ابن عبد البر رحمه الله: « هذا الحديث عند جمهور الفقهاء ترده أصول مجمع عليها وآثار ثابتة، لا يختلف في صحتها، ويدل على نسخه حديث ابن عمر رضي الله عنه عند البخاري وغيره بلفظ لا تحلب ماشية أمرئ بغير إذنه » (١).

كأن حديث « انتفاع المرتهن بالمرهون » قد نسخه الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه كما يراه ابن عبد البر. فلو لم يسلم ذلك فمما لا ريب فيه أن رواية ابن عمر قيدت إطلاق حديث الانتفاع

---

(١) بذل المجهود في حل أبي داود المجلد الرابع، ص/٢٩٥

بشرط الإذن ، لا سيما إذا كانت الأصول الشرعية وعامة قواعد الفقه الإسلامي - المجمع عليها - كلها مؤيدة للتقييد .

ولذلك فقد ذهب الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ، مالك والشافعي رحمهم الله والجمهور إلى أن المرتهن لا يستحق الانتفاع بالمرهون .

وبه قال العلامة الشوكاني : وقال الشافعي وأبو حنيفة ومالك وجمهور العلماء : « لا ينتفع المرتهن من الرهن بشيء ، بل الفوائد للراهن والمؤن عليه » (١) .

وما ذكرنا من تفاصيل الاستدلالات كانت لهؤلاء الذين يرون جواز الانتفاع للمرتهن على الإطلاق بعد إذن الراهن ، والذين يرون عكسه يحتجون بالحديث الآخر ، ذكره العلامة المرغيناني أيضاً في كتابه :

« إن النبي ﷺ نهي عن قرض جر نفعاً (٢) » ، وإن تكلم الناس في رواة هذا الحديث ، لكنه متابع بطرق شتى نقلها العلامة ابن الهمام في فتح القدير وصحح طريق ابن أبي شيبة ، وفي بعض الروايات « كل قرض جر به نفعاً فهو ربا » .

وقد توضح من هذه الروايات بكاملها أن الرسول ﷺ نهي عن كل قرض جر به نفعاً ، وقرر الربح الحاصل منه رباً صريحاً ، ومن ثم لو أقرض رجل مالا ثم ارتهن شيئاً بإزاء القرض و انتفع بالرهن يعتبر هذا الانتفاع محظوراً عليه وفق فحوى الحديث ، ويعتبر رباً ، ولأن الربا من أشد المعاملات خطورة وأعظمها أهمية من وجهة نظر الإسلام ، حتى أوعد عليه بشيء كثير من الغلظة والشدة ، فهي الحكمة في حظر النبي ﷺ على أن يقبل المقرض هدية المستقرض لكي يتقى عن شبهة الربا ، فقد جاء في رواية ابن ماجة : عن أنس رضي الله عنه قال : قال

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني كتاب الرهن .

(٢) الهداية ، الجزء الرابع ، وكذلك روى في مسند حارث ابن أسامة .

الرسول ﷺ : « إذا أقرض أحدكم قرضاً . فأهدى إليه أو حمله على الدابة فلا يركبه ، ولا يقبلها إلا إن جرى بينه وبينه قبل ذلك (١) » .

وقد نقل الإمام البخاري رواية في تاريخه : عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا أقرض الرجل فلا يأخذ هديته » « رواه البخاري في تاريخه ، مكذا في المنتقى (٢) » .

بناءاً على هذا الأصل قال الإمام أبو حنيفة : لا ينبغي للمقرض أن يستظل بجدار المستقرض ، وبالجملة فإن المانعين عن الانتفاع بالمرهون يقولون : إنه لما نهي عن قبول هدية المقرض والركوب على دابته ومعلوم أن الإهداء متقدم على الإذن فكيف يصح الانتفاع للمرتهن بالمرهون بعد الإذن ، أما الرواية السالفة التي تبيح الانتفاع ، فيقول عنها منكرو الانتفاع أنها نسخت بهذه الأحاديث .

يقول الإمام الطحاوي : « وكان هذا عندنا والله أعلم في وقت ما كان رباً مباحاً ولم ينه حينئذ عن القرض الذي يجر منفعة ، ولا عن أخذ الشيء بالشيء ، وإن كانا غير متساويين ، ثم حرم الربا بعد ذلك ، وحرم كل قرض جر نفعاً ، أجمع أهل العلم أن نفقة الرهن على الراهن لا على المرتهن ، وأن ليس للمرتهن استعمال الرهن (٣) » .

لكن دعوى نسخ الحديث الأول لا يصح حتى يتحقق هذا الأمر بغاية من الصحة والسداد أنه حديث العصر الذي لم يكن يحرم فيه الربا ، والأحاديث الأخرى تتعلق بزمان أصبح فيه الربا محرماً ، ودعوى النسخ دون تعيين الزمان أمر صعب ، وقد يقال إن الحديث الأول يدل على الإباحة والثاني على الحرمة ، ومن الأصول الثابتة أنه إذا تعارضت الإباحة والحرمة يترجح جانب الحرمة ، لذلك فإن جواز الانتفاع

---

(١) مشكاة المصابيح المجلد الأول ، نقلاً عن ابن ماجة ، باب الربا ، ص/٢٤٦ .
(٢) رواه البخاري في تاريخه مكذا في المنتقى ، مشكاة المصابيح ، باب الربا ، ص/٢٤٦ .
(٣) شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي رحمه الله ، المجلد الثاني ، ص/٢٥٢ .

بالمرهون الذي ثبت بالأحاديث الأخرى يرجع على عكسه .

الترجيح :

ومن أجل هذه الروايات المختلفة قد سلك العلماء مسالك شتى ، وقد ناقشنا المسلكين بإيجاز مع سرد دلائلهما بشئ من الاطناب . وأما الآن فنرى أي مذهب من هذه المذاهب المختلفة أقرب إلى الصواب بحيث يمكن به التطبيق بين الأحاديث المختلفة . ونعنى بآراء الفقهاء ما يزول به الخلاف الواقع بينها .

يبدو بعد دراسة الروايات الواردة في هذه المناسبة والتأمل في كتب فقهاء الحنفية أن المذهب الرابع هو أصح المسالك وأقربها إلى الصواب وبه نتمكن من إزالة الخلاف الواقع بين الروايات والتعارض بين آراء الفقهاء . وهو ما ذكر أنه لو اشترط الانتفاع في الرهن يكون محرماً منهياً عنه . ولو لم يشترط من أي جهة ثم يأذن الراهن برضاه وطيب خاطره يصح الانتفاع به .

الشرط وصوره المتنوعة : وهناك صور مختلفة للاشتراط في الرهن . سواء كان الانتفاع فــي وثيقة الرهن شرطاً أو تعرت الوثيقة عن أي شرط . كما إذا اشترط بعد إجراء العقد أو قبله شفهياً . فهذه صور للشرط حقيقة . وإذا لم يشترط بأي طريق منهما إلا أن العرف الشائع يكون بحيث يفهمه الراهن والمرتهن – من غير أن يشترطا فيما بينهما كتابة أو شفاهة – أن المرتهن له الانتفاع بالمرهون على كل حال . وإلا فلا يقرضه المرتهن . فإن مثل هذا العقد وإن لم يشترط فيه لكنه يعد مشروطاً من حيث الحكم وفق القاعدة الفقهية « المعروف كالمشروط » .

هذا هو المراد بالمشروط بأن كان العقد خاليا عن الشرط الحقيقي والحكمي . غير أن الراهن قد أذن له بالانتفاع . ولا بد من تحقق رضا الراهن في الإذن وشرح صدره . وأن يتعرى الإذن عن كل إجبار أو

إكراه، مثلاً لم يشترط في عقد الرهن شئ ولكن الراهن يظن عنه لو لم يأذن للمرتهن بالانتفاع ليحرم عن القرض فيما بعد، ثم أذن له فهذا إذن يشوبه الإكراه ويخلو عن رضا القلب، فلا يصح الانتفاع بعد هذا الإذن.

والمفهوم من رواية أنس رضي الله عنه التي مرت من قبل أن الراهن لو أهدى إلى المرتهن شيئاً فلا يقبله، لكن التهادي لو كان جارياً فيما بينهما من قبل عقد الرهن فلا بأس بقبوله. فعلم من ذلك أن منع الرسول ﷺ عن قبول الهدية يتحقق فيما إذا أهدى المستدين إلى المرتهن لأول مرة، إذ يمكن أن تكون تلك الهدية بضغط من القرض فلا يخلو من مظنة الربا، أما المستدين إذا أهدى إليه في وقت لم يكن له به عهد للاستدانة تقبل هديته، لأن الإهداء في هذا الحين يحمل على العادات السابقة، ولا يشوبه الربا في شئ.

قال العلامة الشامي وهو يطنب الكلام في هذا الموضوع: « أقول ما في الجواهر يصلح للتوفيق وهو وجيه، وذكروا نظيره فيما لو أهدى المستقرض للمقرض إن كانت بشرط كره وإلا فلا، وما نقله الشارح عن الجواهر أيضاً من قوله: (لا يضمن) يفيد أنه ليس بها، لأن الربا مضمون فيحمل على غير المشروط، وما في الأشباه من الكراهة على المشروط ويؤيده قول الشارح الآتي آخر الرهن أن التعليل بأنه ربا يفيد أن الكراهة تحريمية، فتأمل، وإذا كان مشروطاً ضمن كما أفتى به في الخيرية فيمن رهن شجر زيتون على أن يأكل المرتهن ثمرة نظير صبره بالدين، قال: قلت: والغالب من أحوال الناس أنهم إنما يريدون عند الدفع الانتفاع، ولولاه لما أعطاه الدراهم، وهذا بمنزلة الشرط، لأن المعروف كالمشروط، وهو مما يعين المنع (١) ».

ملخص البحث: الانتفاع بالمرهون لا يصح إلا إذا لم يشترط فيه

(١) رد المحتار على الدر المختار: المجلد الخامس، ص/٣٣٨.

حقيقة ولا حكما ثم يأذن الراهن برضائه وطيب نفسه ، ومن هنالك لا يبقي أي تعارض فيما بين آراء الفقهاء والأحاديث النبوية ، فتحمل رواية أبي هريرة رضي الله عنه التي تجيز الانتفاع مطلقاً على الانتفاع غير المشروط ، والآثار التي تمنع الجواز تحمل على الانتفاع المشروط ، وكذلك أقوال الفقهاء فالمجيزون بعد الإذن بالإطلاق يعنون به ذلك العقد الذي لم يشترط فيه أي نوع من الانتفاع ثم يأذن الراهن برضاه ، والمانعون عن الجواز بعد الإذن كذلك مرادهم الانتفاع المشروط والإذن المتضمن لمعنى الإكراه والإجبار .

وأما ما ذهب إليه بعض الفقهاء أن الانتفاع بعد الإذن يكره تنزيهاً فمرادهم الانتفاع غير المشروط كذلك بناءاً على الاحتياط ، وذلك لأن هذا الانتفاع يتحول إلى الربا في صورة ما ، فالابتعاد عنه أفضل رغم كونه لم يشرط فيه أو بعد الإذن الصحيح .

فإذا تأملنا في ضوء الواقع ورأينا الرهن الربوي الشائع اليوم لا نجد له أي مبرر ، لأن جميع الوثائق التي ترقم في عقد الرهن يشترط فيها أن المرتهن لا يزال ينتفع بالمرهون حتى يوفي دينه ، ومعلوم أن هذا عمل محرم ، ومن الربا الصريح أن يستفيد مما تنبته الأرض ثم يستوفي دينه .

ويفهم مما قاله العلامة الشامي أن هذه الصورة للرهن الربوي ليست برهن شرعي في الحقيقة بل إنها إجارة فاسدة .

يقول وهو يتكلم حول « انتفاع المرتهن بإذن الراهن » : « (فائدة) قال في التاتار خانية ما نصه : « ولو استقرض دراهم وسلم حماره إلى المقرض ليستعمله إلى شهرين حتى يوفيه دينه أو داره ليسكنها فهو بمنزلة الإجارة الفاسدة ، إن استعمله فعليه أجر مثله ، و لا يكون رهناً » (رد المحتار على الدر المختار : المجلد الخامس ، ص/٣٢٩) .

حيلة أداء الاتاوات : أما اعتذار المرتهن أنه يؤدي ضرائب

الأرض وينتفع بالانتاجات الزراعية تعوضا عنها . فكم من الناس في هذا العالم أنهم يأخذون باستخدام انتاجات زراعية ثمينة مقابل قليل من المال يؤدي كضريبة الأرض . مع وجود صراحة واضحة في كتب الفقه أن ما يكلفه بقاء عين المال من المرهون يتحمله الراهن ، وما يقوم على حبسه يلزم على المرتهن . كذلك صرح الفقهاء أن عشر الأرض وخراجها على الراهن .

قال في الدر المختار : « (وأجرة بيت حفظه وحافظه) ومأوى الغنم ، (على المرتهن) وأجرة راعيه لو حيواناً ونفقة الرهن والخراج والعشر على الراهن . والأصل فيه أن كل ما يحتاج إليه لمصلحة الرهن بنفسه وتبقيته فعلى الراهن . لأنه ملكه . وكل ما كان لحفظه فعلى المرتهن . لأن حبسه له (٢) » .

ومعلوم أن الضريبة الأرضية لها صلة ببقاء المال المرهون . ولو لم تؤد سوف يبيعها الإقطاعي بالمزاد العلني . ويخرج المال من ملك الراهن . علاوة على ذلك تدل العبارة المذكورة أعلاه أن العشر والخراج على الراهن . فلو يؤدي المرتهن الضريبة ينبغي له أن يستوفيها من الراهن . وإن كان يؤديها برضاه فله الخيار. وهو المتطوع فيه . لكن ليس له أن يقبض على انتاجات السنة الكاملة عوضاً عن هذه الضريبة القليلة التافهة .

والله هو الموفق وهو يهدي إلى سواء السبيل ...

---

(١) رد المحتار على الدر المختار : المجلد الخامس . ص/٣٤٢ .

الامام ابن دقيق العيد ، حياته وآثاره

(الحلقة الثالثة)

دكتور جلال الدين أحمد النوري

منهجه في هذا الكتاب :

يورد حديث عمدة الأحكام ، ثم يشرح بشرحه .

فيذكر ترجمة الصحابي راوي الحديث ، ويقول بعدها : والكلام على هذا الحديث من وجوه ، أو يقول : فيه مسائل ، أو وفي الحديث فوائد ... ونحو ذلك .

ثم يبدأ بذكر ما يستنبطه من مسائل ، ويضع لها أرقاماً ، بأسلوب واضح سهل سليم من التعقيد ، مع دقة التعبير وغزارة العلم .

ونراه يرجح الرأي الذي يختاره ، ففي حديث « إنما الأعمال بالنيات ... » قال :

الرابع : ما يتعلق بالجوارح وبالقلوب ، قد يطلق عليه عمل ولكن الأسبق إلى الفهم تخصيص العمل بأفعال الجوارح ، وان كان ما يتعلق بالقلوب عملاً للقلوب أيضاً .

و رأيت بعض المتأخرين من أهل الخلاف خصص الأعمال بما لا يكون قولا ، وأخرج الأقوال من ذلك ، وفي هذا عندي بعد ، وينبغي أن يكون لفظ (العمل) يعم جميع أفعال الجوارح ، نعم لوكان خصص بذلك لفظ (الفعل) لكان أقرب ، فإنهم استعملوها متقابلين ، فقالوا : الأفعال والأقوال ، ولا تردد عندي في أن الحديث يتناول الأقوال أيضاً ، (والله أعلم) (١) .

ويجيب على مسائل نحوية ، قد يعترض بها على الحديث ، فيقول

---

(١) أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام : ج/١ – ص/٦٨ .

في الحديث السابق :

الثامن : من المقرر عند أهل العربية : أن الشرط والجزاء، والمبتدأ والخبر، لابد أن يتغايرا، وههنا وقع الاتحاد في قوله : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ورسوله » وجوابه : أن التقدير : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصداً، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً (١) .

ويتعرض لمذاهب الفقهاء أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك، ويوازن بينها .

انظر لذلك مثلاً : مسألة تنجيس الماء الراكد، عند شرحه حديث : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، الذي لا يجري، ثم يغتسل منه (٢) .

وكثيرا ما يتعرض لمسائل أصولية منها :

كلامه في إثبات القياس ورده على ابن حزم الظاهري، في شرحه حديث عمار بن ياسر رضي الله عنها في التيمم (٣) ، وعلى كل حال فإن الناظر في هذا الكتاب يجد قوة حجة ابن دقيق العيد وعظم فهمه للنصوص، وعجيب استنباطه للمسائل منها، وسعة أفقه ووفرة علمه .

(ألف) منزلة الكتاب، قال الأدفوي :

« قال لي أقضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن ابراهيم بن حيدرة الشهير بابن القماح : سمعت الشيخ يقول : أنا جازم أنه ما وضع في هذا الفن مثله » .

ووافق على ذلك الإمام الحافظ تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي، فيما أخبرني به بعض من سمعه من الثقات الأثبات، وقال لي قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي : سمعت الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول : هو كتاب الإسلام .

---

(١) انظر : المصدر السابق، ج/١ - ص/٨٠ .

(٢) انظر : المصدر السابق، ج/١ - ص/١٢١ .

(٣) انظر : المصدر السابق، ج/١ - ص/٤٣١ .

وقال لي الشيخ فخر الدين النويري :

سمعته يقول : ما عمل أحد مثله ، ولا الحافظ الضياء ، ولا جدي أبو البركات .

وكذلك قال لي صاحبنا العدل الفاضل جمال الدين الزولي ان ابن تيمية قال له ذلك :

وكان كتابه « الالمام » حاز على صغر حجمه من هذا الفن جملة من علمه (١) .

(ب) اكماله : وقال الأدفوي أيضاً :

« لم يكمل ، ولو كملت نسخته في الوجود ، لأغنت عن كل مصنف في ذلك موجود (٢) » .

طبع هذا الكتاب بعنوان : « الالمام بأحاديث الأحكام » وذلك في دار الفكر بدمشق - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، وراجعه وعلق عليه الأستاذ (محمد سعيد المولوي) وارجع كثيراً من أحاديثه إلى مظانها ، وصف النسخ المخطوطة الثلاث المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

وهذه النسخ الثلاث ترقى إلى عصر المؤلف لا سيما الثانية .

وقد بين ابن دقيق العيد في مقدمته ، فقال :

« .. الحمد لله منزل الشرائع والأحكام ، ومفصل الحلال والحرام ..»

وبعد : فهذا مختصر في علم الحديث ، تأملت مقصوده تأملا ، ولم أدع الأحاديث إليه الجفلا ، ولا ألوت في وضعه محررا ، ولا أبرزته كيف اتفق تهورا ، فمن فهم معناه شد عليه يد الضنانة ، وأنزله من قبله وتعظيمه الأعزين مكاناً ومكانة ، وسميته : « كتاب الالمام بأحاديث الأحكام » ، وشرطي فيه : أن لا أورد إلا حديث من وثقه امام من مزكي رواة الأخبار ، وكان صحيحا على طريقة أهل الحديث الحفاظ ، أو أئمة

---

(١) انظر : الطالع السعيد : ص/٥ . (٢) انظر : الطالع السعيد : ص/٥٧٥ .

الفقه النظار ، فإن لكل منهم مغزى قصده وسلكه ، وطريقاً أعرض عنه وتركه ، وفي كل خير ....

واشتمل الكتاب على ١٤٧١/حديثاً ، وكل حديث مذكور مع مخرجه ، ومجرد من الأسانيد .

وتضمنت هذه الكتب الأبواب الفقهية عموماً .

لمنزلة هذا الكتاب الكبير اعتني به العلماء ، فشرحه شمس الدين محمد بن ناصرالدين محمد الدمشقي ت سنة ٨٤هـ .

ولخصـــــه : قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي ت سنة ٧٤٥هـ ، (الاهتمام بتلخيص كتاب الالمام) .

ولخصه أيضاً : شمس الدين محمد بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي الحنبلي ت سنة ٧٤٤هـ ، وسماه (المحرر) وعلى هذا الملخص شرح للقاضي جمال الدين يوسف بن حسن الحموي ت سنة ٨٠٩هـ .

ولخص الالمام أيضاً : علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت سنة ٨٠٩هـ (١) .

(ج)الإمام : قال الأدفوي : تضمن الأحكام ، واشتمل على الفوائد النقلية ، و القواعد العقلية ، و الأنواع الأدبية ، و النكت الخلافية ، و المباحث المنطقية ، و اللطائف البيانية ، و المواد اللغوية ، و الأبحاث النحوية ، والعلوم الحديثية ، والملح التاريخية ، والإشارات الصوفية (٢) .

والكتاب لم يتم (٣) ، لكنه أكمل تسويده ، وبيض منه قطعة (٤) ، و لو كمل تصنيفه لجاء في خمسة عشر مجلـــداً (٥) أو خمسة و عشرين

---

(١) انظر : كشف الظنون : ص/١٥٨ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ – ص/١٧٣ ، والوافي بالوفيات : ج/٤ – ص/١٩٣ ، وكشف الظنون ، ص/١٠٨ .

(٣) انظر : الطالع السعيد ، ص/٥٧٥ ، ومثله تماما في المقفى ، للمقريزي : ابن دقيق العيد ، ص/١٠٣ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ – ص/٤٨٢ ، وكشف الظنون ، ص/١٥٨ .

(٥) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ – ص/١٤٨٢ ، والرسالة المستطرفة ، ص/١٨٠ عن الذهبي .

مجلداً (١) ولو أكمل لم يكن للإسلام مثله (٢) .

واختلفوا في الإمام (٣) على أقوال : القول الأول : انه شرح الالمام (٤) ويرجحه قوله في مقدمة شرح الالمام :

« .. هذا ، ولما برز ما أبرزته من كتاب (الالمام) ، وكان وضعه مقتضياً للاتساع ، ومقصوده موجباً لامتداد الباع ، القول الثاني : انه كتاب في الأحكام كبير ، استخرج منه كتاب (الالمام) (٥) ، القول الثالث : الإمام وشرح الالمام كتابان متغايران .

وهو الذي يفهم من كلام قطب الدين الحلبي ، حيث قال : « كمل تسويد كتاب « الامام » وبيض منه قطعة ، .. وشرح بعض الإمام شرحاً عظيماً (٦) » .

ويفهم كذلك من عبارة السبكي ، حيث قال : « ومن مصنفاته : كتاب الإمام في الحديث ، وهو جليل حافل ، لم يصنف مثله ، وكتاب الالمام ، وشرحه ، ولم يكمل شرحه (٧) » .

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ، ج/٤- ص/١٩٣ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/٤٨٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ، ج/٩- ص/٢١٢ ، والديباج المذهب ، ج/٢- ص/٣١٩ ، والدرر الكامنة ، ج/٥- ص/٣٤٨ ، وحسن المحاضرة ، ج/١- ص/٣١٨ .

(٣) انظر عزى كتاب الامام إلى ابن دقيق العيد أيضاً في :

(٤) انظر : الطالع السعيد ، ص/٥٧٥ ، والمقفى ، للمقريزي ، ابن دقيق العيد ، ص/١٠٢ ، والعدة ، للصنعاني ، ج/١- ص/١٣١-١٤٧ ، وشجرة النور الزكية ، ص/١٨٩ ، والأعلام ، ج/٦- ص/٢٨٣ ، وفي الديباج المذهب ، ج/٢- ص/٣١٩ ، (ألف كتاب الإمام في أحاديث الأحكام ، وشرحه شرحا عظيما لم يكمل) وكلمة الإمام محرفة من الالمام كما هو ظاهر .

(٥) انظر : طبقات الشافعية ، للأسنوي : ج/٢- ص/٢٢٩ ، والرسالة المستطرفة ، ص/١٨٠ .

قال ابن حجر في كتابه رفع الاصر عن قضاة مصر : وصاحبنا جمال الدين لم يفرق بين الإمام وبين شرح الالمام ، كأنه كغيره من الطلبة يظن ان الامام شرح الالمام وليس كذلك ، فالامام كتاب في أحاديث الاحكام على الأبواب الفقهية ، وكان استمداد الامام منه ، والموجود منه قطعة نحو الربع ولكنها مفرقة ... ابن دقيق العيد ، ص/١٠٢ .

(٦) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤- ص/١٤٧٢ .

(٧) انظر : طبقات الشافعية ، للسبكي ، ج/٩- ص/٢١٢ .

وكذلك من عبارة ابن حجر، حيث قال: «شرح في شرح الالمام نخرج منه أحاديث يسيرة في مجلدين، أتى فيهما بالعجائب، الدالة على سعة دائرته في العلوم، خصوصاً في الاستنباط، وجمع كتاب (الامام) في عشرين مجلدة، عدم أكثره بعده (١).

وكتاب (الامام) مخطوط: الجزء الأول منه في المكتبة الأزهرية في القاهرة (٢).

وهي ناقصة من أولها، تبدأ في أثناء المسألة الثالثة المستنبطة من الحديث الأول، كما أنها ناقصة من الأخير.

فضلاً عن أن أسلوبه في كتاب (الامام) هو كأسلوبه في كتاب (أحكام الأحكام) وأقول: وبعد النظر في كتاب (الامام) ومقارنته بكتاب الالمام تبين لي:

أن كتاب الامام هو شرح لكتاب الالمام، فهو يورد الحديث كما أورده في الالمام ويبدأ ببيان وجوه الكلام عنه.

وعليه فإن القول الأول من الأقوال المتقدمة في كتاب الامام هو الراجع لدى.

أما القول بأنهما كتابان متغايران، فهو أمر بعيد عند ملاحظة الكتابين، وعليه فيحمل قول من قال به على ما يوافق أحد القولين الأولين.

وعلى أية حال: فكتاب الإمام عظيم الشأن، جليل القدر، يدل على أن ابن دقيق امام في فنون عديدة، محقق بارع، وأستاذ عظيم.

ومنهج الإمام ابن دقيق فيه هي:

أن يورد حديث الالمام، وبعده يقول:

الكلام عليه من وجوه، ويلتزم بها عموماً، وقد يزيد عليها أو ينقص منهـا، تبعاً لما يمكن أن يتضمنه الحديث من هذه الوجوه، وذلك

---

١) انظر: الدور الكامنة، ج/٥- ص/٣٤٨، والبدر الطالع ج/٢- ص/٢٢٩ من ابن حجر.
٢) انظر: الأعلام، ج/٦- ص/٢٨٣.

على النحو الآتي :

الوجه الأول : في التعريف بمن ذكر « فيورد فيه تراجم الرواة » .

الوجه الثاني : في مخرجه « فيذكر كتب الحديث التي أخرجته » .

الوجه الثالث : في شيء من مفرداته « فيورد المفردات ، ويتكلم عنها لغة واصطلاحاً » .

الوجه الرابع : في شيء من العربية « فيورد بعض المباحث النحوية » .

الوجه الخامس : في شيء من المسائل البلاغية .

الوجه السادس : في الفوائد والمباحث « فيتعرض للمسائل الفقهية ، وخلافات الفقهاء » .

وفي هذا الوجه الأخير تضمن شرح الحديث مسائل كثيرة ، دلت على طول باع الإمام دقيق العيد ومبلغ علمه ، وحدة ذهنه .

(د) الأربعون في الرواية عن رب العالمين (١) ، والأربعون لم يذكر فيها إلا عن عالم (٢) وهي أربعون حديثاً تساعية خرجها لنفسه (٣) .

وذكر ابن مخلوف (٤) واسماعيل باشا (٥) أن الأربعين هي سباعية ، وذكر بروكلمان (٦) والزركلي (٧) أنه له شرحاً للأربعين حديثاً النووية ، وهو وهم أيضاً ، إذ لم يذكر له هذا الشرح عند المتقدمين ، ولعلهم حسبوا هذا الكتاب شرحاً للأربعين النووية .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ - ص/١٤٨٢ ، عن قطب الدين الحلبي ، والوافي بالوفيات ، ج/٤ - ص/١٩٤ ، وإيضاح المكنون ، ج/١ - ص٥٤ ، وهدية العارفين ، ج/٢ - ص/١٣٠ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ - ص/٤٨٢ ، عن قطب الدين الحلبي .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ، ج/٤ - ص/١٤٨٢ ، والوافي بالوفيات ، ج/٤ - ص/١٩٣ ، والديباج المذهب ، ج/٢ - ص/٣١٩ ، والمقفى - للمقريزي - ابن دقيق العيد ، ص/١٠٣ .

(٤) انظر : شجرة النور الزكية ، ص/١٨٩ .

(٥) انظر : هدية العارفين ، ج/٢ - ص/١٤٠ .

(٦) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الذيلي ، ج/٢ - ص/٦٦ .

(٧) انظر : الأعلام للزركلي ، ج/٦ - ص/٢٨٣ ، وذكر أنه مخطوط .

(هـ) املاء على مقدمة كتاب عبد الحق (١) :

وقد ذكره في الاقتراح بقوله :

« وقد ذكرت مواضع من ذلك فيما أمليته على مقدمة شرح الأحكام الصغرى لأبي محمد عبد الحق رحمه الله تعالى (٢) » .

والأحكام الصغرى في الحديث . للشيخ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الاشبيلي الأزدي المتوفى سنة ٥٨٢هـ ببجاية .

وللشيخ عبد الحق كتاب « الأحكام الكبرى في الحديث » أيضاً . وهو كتاب كبير في نحو ثلاثة مجلدات . انتقاه من كتب الأحاديث (٣) .

(و) تصنيف في أصول الدين (٤) :

قال حاجي خليفة : عقيدة ابن دقيق « أولها : الحمد لله العالم ..إلخ» وشرحها العلامة برهان الدين بن أبي شريف القدسي (ت سنة ٩٢٣) وسماه : العقد النضيد أوله الحمد لله المتعالي في جلال قدسه (٥) .

وقد وصف اسماعيل باشا عقيدة ابن دقيق بأنها مشهورة (٦) .

+++++++++

---

(١) انظر : الطالع السعيد . ص/٥٧٦ .

(٢) انظر : الاقتراح . ص/٤ .

(٣) انظر كشف الظنون . ج/١- ص/١٩-٢٠ .

ورد في المقدمة التي كتبها محب الدين الخطيب لكتاب (العدة للصنعاني على احكام الأحكام لابن دقيق : ص/٢٨) (لابن دقيق العيد « املاء على مقدمة كتاب عبد الحق » بلغ فيه إلى باب الحج . قال الحافظ الذهبي : لم أر في كتب الفقه مثله) .

(٤) انظر : الطالع السعيد . ص/٥٧٦ . وطبقات الشافعية - للسبكي . ج/٩- ص/٢١٢ . وحسن المحاضرة . ج/١- ص/٣١٨ . والأعلام . ج/٦- ص/٢٨٣ .

(٥) انظر : كشف الظنون . ص/١١٥٧ . وانظر : هدية العارفين . ج/١- ص/٢٥ . وفيه ورد ضمن مؤلفات ابن أبي شريف اسمان هما : العقد النضيد في شرح عقيدة ابن دقيق العيد . ولعلهما اسمان لمؤلف واحد .

(٦) انظر : هدية العارفين . ج/٢- ص/١٤٠ .

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى
وكتابه الحجة على أهل المدينة

[الحلقة الثانية]

بقلم : الأستاذ محمد أكرم الندوي

كتاب الحجة على أهل المدينة :

ذكره ابن النديم في الفهرست ، وسماه كتاب الرد على أهل المدينة (١) و هو باسم « الحجة في اختلاف أهل الكوفة وأهل المدينة » في فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة العربية بالقاهرة (٢) وقد عرف الكتاب بأسماء أخرى متقاربة .

وصف النسخة التي بين أيدينا :

الكتاب في أربعة مجلدات ، وهي طبعة ثالثة سنة ١٩٨٣م طبعت من مكتبة عالم الكتب ببيروت ، مصورة من النسخة المطبوعة في الهند .

كان الكتاب منقطعا عن أيدي الناس منذ مدة طويلة ، ولم توجد له نسخة إلا نسخة في المكتبة المحمودية في مدينة النبي ﷺ ، وهي على ما فيها من أسقام لم تكن كاملة .

يقول الناشر : فنسخة أهل العلم من الهند وغيرهم ، وهي نسخة فريدة فيها أغلاط وتحريفات وبياضات وتقديم وتأخير ، ولما أسست لجنة إحياء المعارف النعمانية ، وأرادت أن تنشره فتشنا نسخه ، وكتبنا إلى أقطار العالم ، فلم يخبرنا به أحد من أهل العلم إلا بنسختين منه في الآستانة ، وطلبنا تصوير نسخة مكتبة نور عثمانية ، فوجدناه نسخت من نسخة المدينة المنورة ، فلما أيسنا في نسخه عزمنا أن نصحح الكتاب بقدر الوسع فنسخناه من نسخة

بأيدينا ثم قابلناه على الأصل ثم قابلناه على نسخة العلامة المحقق شيخ الإسلام مولانا العارف أنوار الله الحيدرآبادي التي في مكتبة الجامعة النظامية (٣) .

وقام بتصحيح الكتاب والتعليق عليه العلامة المحقق السيد مهدي حسن الكيلاني مفتي بلدة سورت .

وقد ضم الناشرون إليه كتاب الديات والقصاص ملتقطين من الأم للإمام الشافعي .

موضوع الكتاب : يعالج الكتاب موضوعاً فقهياً هاماً ، وهو موضوع الخلاف بين الأئمة ، وقد ألف العلماء حول هذا الموضوع قديما و حديثا ، و سنستعرض فيما يلي قائمة أهم ما ألف في هذا المجال .

تعريف علم الخلاف : وهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ، ودفع الشبه ، وقوادح الأدلة الخلافية ، بإيراد البراهين القطعية ، وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق ، إلا أنه خص بالمقاصد الدينية (٤) .

وقال ابن خلدون :

إن الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافا لابد من وقوعه ، واتسع في الملة اتساعاً عظيماً ، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا ، ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة ، وكانوا بمكان من حسن الظن ، اقتصر الناس على تقليدهم ، فأقيمت هذه الأربعة أصولاً للملة ، وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية ، وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ، ويحتج بها كل على صحة مذهبه (٥) .

الكتب المؤلفة في موضوع الخلاف : وهي كثيرة ، نذكر منها ما

نسب الى الأئمة المتبوعين :

١- اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى : للإمام أبي يوسف يعقوب ابن ابراهيم الأنصاري المتوفى ١٨٢هـ . وهو أول كتاب ألف في هذا المجال . وهو مطبوع متداول . عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد – الهند . صححه وعلق عليه أبو الوفاء الأفغاني

٢- كتاب الرد على مالك بن أنس : للإمام أبي يوسف . ذكره ابن النديم في الفهرست (٦) .

٣- كتاب الجوامع : للإمام أبي يوسف . ذكره ابن النديم وقال : ألفه ليحيى بن خالد . يحتوى على أربعين كتاباً ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ به (٧) .

٤- كتاب الحجة على أهل المدينة : للإمام محمد . وهو الذي نحن بصدد الحديث عنه .

٥- كتاب اختلاف مالك والشافعي : للإمام الشافعي . ذكره ابن النديم في الفهرست (٨) .

٦- كتاب الرد على محمد بن الحسن : للإمام الشافعي . ذكره ابن النديم في الفهرست (٩) ولعلهما هما اللذان نجدهما في آخر الأم .

٧- كتاب الرد على ابن علية : للإمام الشافعي . رواه عنه يحيى ابن نصر الخولاني من أهل مصر (١٠) .

٨- كتاب الكافي في مقالة المطلبي (الشافعي) : للإمام داؤد الظاهري المتوفى ٢٧٠هـ .

٩- كتاب اختلاف الفقهاء : للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ .

١٠- اختلاف الفقهاء : للإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ . يقول ابن النديم : وهو كتاب كبير لم يتمه . والذي خرج منه نحو ثمانين كتاباً على ترتيب كتب الاختلاف على الولاء (١١)

سبب تأليف هذا الكتاب : ما ذهب إليه أهل المدينة وينسب إلى الإمام مالك قولهم بحجية عمل أهل المدينة ، وقد ردوا به الأخبار والآثار الثابتة عن رسول الله ﷺ ، وقد أنكر عليهم مذهبهم هذا سائر الفقهاء ، ولما سافر محمد إلى المدينة واستفاد من علمائها وجدهم يردون الأخبار التي لم يروها أهل بلدهم ، وكذلك ما رواه أهل بلدهم إذا خالف ما عليه عملهم ، وشعر الإمام محمد بخطورة الأمر وأن هذا المذهب يجر إلى رد كثير من الأخبار التي عمل بها وأفتى بها أصحاب رسول الله ﷺ من ذوي العلم والفتيا ، كما قد أنكر ذلك عليهم غيره من أئمة الهدى ، فألف هذا الكتاب رداً على أهل المدينة في ضوء الأخبار والآثار ، ومستدلا بأدلة العقل والأصول الثابتة في الدين .

عمل أهل المدينة : ما اشتهر عن أهل المدينة ونسب إلى مالك أنهم يقدمون العمل الذي عليه أهل بلدهم على الأخبار والآثار .

يقول إمام الحرمين : نقل أصحاب المقالات عن مالك رضي الله عنه أنه كان يرى اتفاق أهل المدينة يعني علماءها حجة ، وهذا مشهور عنه (١٢) .

قال ابن القاسم وابن وهب : رأينا العمل عند مالك أقوى من الحديث (١٣) .

سئل ابن الماجشون لم رويتم الحديث ثم تركتموه ؟ قال : ليعلم أنا على علم تركناه (١٤) .

قال ربيعة : ألف عن ألف أحب إلي من واحد عن واحد (١٥)

قال أبو نعيم : سألت مالكاً عن شئ فقال لي : إن أردت العمل فأقم – يعني بالمدينة – فإن القرآن لم ينزل بالفرات (١٦) .

قال بعض أهل الحديث : إذا جاوز الحديث الحرة انقطع نخاعه ، لأن في المدينة المنورة مهبط الوحي ، فيكون الضبط فيه أيسر ، وإذا بعدت الشقة كثر الغلط والتخليط (١٧) .

رسالة مالك إلى الليث : كان الليث (م ١٧٥هـ) معاصراً لمالك وصديقا له . شاركه في الأخذ عن علماء المدينة . فلما رجع الليث إلى مصر خالف أهل المدينة في كثير من أعمالهم اتباعا للآثار . ومن ثم قال الإمام الشافعي : كان الليث أتبع للأثر من مالك (١٨) لما بلغ مالكا مخالفة الليث لما عليه أهل المدينة كتب إليه :

. . . . اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه . وأنت في إمامتك . وفضلك . ومنزلتك من أهل بلدك . وحاجة من قبلك إليك . و اعتمادهم على ما جاءهم منك . حقيق بأن تخاف على نفسك . وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه . فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به . لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها . ولا ادعاؤها (١٩) .

رسالة الليث إلى مالك :

فرد عليه الليث وكان مما كتب :

. . . وأنه بلغك أني أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم . وأني يحق على الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به . وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة . وبها نزل القرآن . ثم كتب :

وأما ما ذكرت من قول الله تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله . فجندوا الأجناد . واجتمع إليهم الناس . فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه . ولم يكتموهم شيئاً علموه . وكان في كل جند منهم طائفة . يعلمون كتاب الله وسنة نبيه . ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة . وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان

الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ، ولا غافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين ، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه ، فلم يتركوا أمراً فسره القرآن أو عمل به النبي ﷺ ، أو ائتمروا فيه بعد إلا علموموه ، ثم قال :

فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق ، على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره ، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعين لهم ، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة ، ولو لا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك ، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين بعدهم فحضرتهم بالمدينة وغيرها ، ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وكان من خلاف ربيعة لبعض ما قد مضى ما قد عرفت وحضرت ، وسمعت قولك فيه ، وقول ذوي الرأي من أهل المدينة يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر وكثير بن فرقد ، وغير كثير ممن هو أسن منه ، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه ، وذاكرتك أنت و عبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك ، فكنتما من الموافقين فيما أنكرت ، تكرهان منه ما أكرهه ، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير ، وعقل أصيل ، ولسان بليغ ، وفضل مستبين ، وطريقة حسنة في الإسلام ، ومودة لإخوانه عامة ، ولنا خاصة ، وقال :

وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه ، وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب إليه في الشيء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضاً ، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في

ذلك ، فهذا الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه (٢٠) .

فقهاء الأمة وعمل أهل المدينة :

ولقد أنكر غير الليث ومحمد بن الحسن والشافعي المذهب القائل بأن عمل أهل المدينة حجة لازمة .

يقول إمام الحرمين : إن البقاع لا تعصم ساكنيها ، ولو اطلع مطلع على ما يجري بين لابتي المدينة من المجاري قضى العجب ، فلا أثر إذاً للبلاد ، ولو فرض احتواء المدينة على جميع علماء الإسلام ، فلا أثر لها ، فإنه لو اشتمل عليهم بلدة من بلاد الكفر ، ثم أجمعوا لاتبعوا (٢١) .

ويقول ابن القيم في زاد المعاد وهو يرد على قول المالكية بالتسليمة الواحدة في الصلاة :

« وليس مع القائلين بالتسليمة غير عمل أهل المدينة ، قالوا : وهو عمل قد توارثوه كابرا عن كابر ، ومثله يصح الاحتجاج به ، لوقوعه في كل يوم مراراً ، وهذه طريقة قد خالفهم فيها سائر الفقهاء ، والصواب معهم ، والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ لا تدفع ولا ترد بعمل أهل بلد كائنا من كان (٢٢) » .

ويقول في إعلام الموقعين : « ولم تضمن لنا العصمة قط في عمل مصر من الأمصار دون سائرها، والجدران والمساكن والبقاع لا تأثير لها في ترجيح الأقوال ، وإنما التأثير لأهلها وسكانها (٢٣) » .

تفرق الصحابة في الأمصار :

تفرق الصحابة بعد رسول الله ﷺ في الأمصار مجاهدين في سبيل الله ومعلمين للناس ، فتعلم الناس منهم سنن الرسول ﷺ ، وكان الخلفاء الراشدون يتابعون ما يجري في الأمصار فيكتبون إليها ويقيمون فيها الدين ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في رسالة الليث إلى مالك ، ويقول ابن القيم :

« ومعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ شاهدوا التنزيل ،

وعرفوا التأويل ، وظفروا من العلم بما لم يظفر به من بعدهم ، فهم المقدمون في العلم على من سواهم ، كما هم المقدمون في الفضل والدين ، وعملهم هو العمل الذي لا يخالف ، وقد انتقل أكثرهم عن المدينة ، وتفرقوا في الأمصار ، بل أكثر علمائهم صاروا إلى الكوفة والبصرة والشام مثل علي بن أبي طالب ، و أبي موسى ، و عبد الله بن مسعود ، وعبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعاذ بن جبل ، وانتقل إلى الكوفة والبصرة نحو ثلاث مائة صحابي ونيف ، وإلى الشام ومصر نحوهم ، فكيف يكون عمل هؤلاء معتبراً ماداموا في المدينة ، فإذا خالفوا غيرهم لم يكن عمل من خالفوه معتبراً ، فإذا فارقوا جدران المدينة كان عمل من بقي فيها هو المعتبر ، ولم يكن خلاف من انتقل عنها معتبراً ، هذا من الممتنع ، وليس جعل عمل الباقين معتبراً أولى من جعل عمل المفارقين معتبراً ، فإن الوحي قد انقطع بعد رسول الله ﷺ ، ولم يبق إلا كتاب الله وسنة رسوله ، فمن كانت السنة معه فعمله هو العمل المعتبر حقاً ، فكيف تترك السنة المعصومة لعمل غير معصوم (اعلام ، ٣٦٢) .

ويقول :

نقول : هل يجوز أن يخفى على أهل المدينة بعد مفارقة جمهور الصحابة لها سنة من سنن رسول الله ﷺ ويكون علمها عند من فارقها ، أم لا ؟ فإن قلتم : لا يجوز ، أبطلتم أكثر السنن التي لم يروها أهل المدينة ، وإن كانت من رواية ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ، و من رواية أهل بيت علي عنه . . . ، و إن قلتم : يجوز أن يخفى على من بقي في المدينة بعض السنن ويكون علمها عند غيرهم ، فكيف تترك السنن لعمل من قد اعترفتم بأن السنة قد تخفى عليهم (٢٤) .

تقديم الخلفاء السنن على العمل : و قـــد ثبت عن الخلفـــاء

الراشدين وعمر بن عبد العزيز أنهم حكموا السنن ولم يبالوا بعمل أهل المدينة ، وقد نقل ذلك الليث بن سعد في رسالته ، وله أمثلة في كتب الحديث ، يقول ابن القيم :

إن عمر بن الخطاب كان إذا كتب إليه بعض الأعراب سنة عن رسول الله ﷺ عمل بها ، ولو لم يكن معمولاً بها في المدينة ، كما كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي أن رسول الله ﷺ ورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها ، فقضى به عمر (٢٥) .

إحداث الأمراء في المدينة : تمتاز المدينة المنورة بأنها مدينة الرسول ﷺ وأنها مهبط الوحي ، ومقر الخلفاء الراشدين ، وأكثر الصحابة ، والخلفاء الراشدون لم يألوا جهدا في إقامة الدين ونشر السنن فيها ، ولا شك أن فتاوامم وأقضيتهم تقدم على غيرها ، ثم وليها بعدهم أمراء أحدثوا أشياء في الصلاة وفي غيرها فعمل بها الناس واستمر عليها العمل ، ومن أجل اختلاط السنن الصحيحة بغيرها بعد عهد الخلفاء الراشدين وجب الرجوع إلى القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ وأصحابه في المدينة أو غيرها من أمصار المسلمين التي أقام بها الصحابة واستوطنوها .

يقول محمد بن الحسن :

قال أهل المدينة : من باع طعاماً جزافاً ولم يستثن منه شيئاً ، ثم بدا له أن يشتري منه شيئاً ، فلا بأس بأن يشتري منه الثلث فما دونه ، ولا يشتري منه أكثر من ذلك ... قالوا : هذا الأمر عندنا .

قيل لهم : فهل عندكم أثر عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه ؟ فلو كان عندكم لاحتججتم به علينا ، فأما قولكم : هذا الأمر عندنا ، فليس هذا بشيء .

بلغني عن بعض فقهائكم أنه كان لا يرى ثلثا وكان يكره شيئاً ، فلما وليكم الصغير بن عبد الله الذي خالفه ، فرجع فقيهكم

إلى قول الصغير بن عبد الله (٢٦) .

وقال مالك بن أنس كنا لا نقتص بين الأصابع حتى قضي بينها عبد العزيز بن المطلب ، فرأينا أن نقتص بينها . فليس ينبغي أن يترك ما يوافق السنة والكتاب لهذه الأمور المختلطة يتبع فيها الصغير بن عبد الله ودونه (٢٧) .

يقول ابن القيم : وقد أحدث الأمراء بالمدينة وغيرها في الصلاة أموراً استمر عليها العمل ، ولم يلتفت إلى استمراره ، وعمل أهل المدينة الذي يحتج به ما كان في زمن الخلفاء الراشدين . وأما عملهم بعد موتهم وبعد انقراض عصر من كان بها من الصحابة فلا فرق بينهم وبين عمل غيرهم ، والسنة تحكم بين الناس ، لا عمل أحد بعد رسول الله ﷺ وخلفائه (٢٨) .

(يتبع)

الهوامش :

(١) الفهرست ، ٢٨٨ .
(٢) مقدمة الدرة المضيئة لإمام الحرمين .
(٣) مقدمة الحجة .
(٤) كشف الظنون ، ١٣٧ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، بيروت ٤٥٦ .
(٦-٧) الفهرست ، ٢٨٦ .
(٨-٩) الفهرست ، ٢٩٥ .
(١٠) الفهرست ، ٢٩٨ .
(١١) الفهرست ، ٢٩٢ .
(١٢) إمام الحرمين : البرهان ، ٧٢٠/١ .
(١٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك تحقيق : الدكتور أحمد بكير محمود ، بيروت ١٩٦٧م ، ٦٦/١ .
(١٤-١٥) ترتيب المدارك ، ٦٦/١ .
(١٦) محمد الراعي الأندلسي : انتصار الفقير السالك ، بيروت ١٩٨١م ، ٢٠٧ .
(١٧) حسين محمد المشاط : الجواهر الثمينة ، ٢٠٧ .
(١٨) سير أعلام النبلاء ، ١٥٦/٨ .
(١٩) ترتيب المدارك ، ٦٥/١ .
(٢٠) الإمام ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ٩٥/٢-٩٦ .
(٢١) البرهان ، ٧٢٠/١ .
(٢٢) الإمام ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، تحقيق : الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٩هـ ، ٢٦١/١ .
(٢٣-٢٤) إعلام الموقعين ، ٢٦٢/٢ .
(٢٥-٢٦) إعلام الموقعين ، ٦٣-٢٦٢ .
(٢٧) الإمام محمد بن الحسن : كتاب الحجة ، ٦٢١/٢-٦٢٣ .
(٢٨) زاد المعاد ، ٢٦١/١ .

دراسات في الأدب العربي:

تأثير الأدب العربي في الآداب العالمية

بقلم : الدكتور إ.ك. أحمد كوتي
أستاذ بقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت (كيرالا)

من المعلوم أن اللغة العربية كانت مقصورة على الجزيرة العربية وبعض أطرافها العراقية والشامية في العصر الجاهلي وعهد النبي ﷺ ، ولكنها مع الفتوحات الإسلامية التي حدثت في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده خرجت من حدود الجزيرة العربية وأخذت توطد أقدامها في البلاد المفتوحة وتحل محل اللغات المحلية في تلك البقع . فأزاحت اللغة العربية امامها اللغتين الفارسية والسريانية في العراق وفارس . وغلبت على اللغتين الرومية والسريانية في الشام وحلت محل القبطية والرومية في مصر . وأزالت اللغة اللاتينية من شمال افريقية . بنتيجة ان اللغة العربية صارت اللغة العامة في جميع تلك البلاد التي تم فتحها تحت راية الإسلام .

فمن المدهش ان هذا كله حدث في حدود سبعين عاما مضت على الفتوح الإسلامية . وهذا من أغرب الظاهرات التي حدثت في تاريخ الدنيا و بعثت رنان (RENAN) على أن يقول في كتابه « تاريخ اللغات السامية » « ما عهدت قط فتوحات أعظم من فتوحات العرب . ولا أشد سرعة منها فإن العربية ولا جدال قد عمت أجزاء كبرى من العالم . لم ينازعها في الشرق في كونها لغة العامة أو لسان فكر ديني أو سياسي إلا لغتان . اللاتينية واليونانية » .

مثل هذه اللغة لابد أن يسمو أدبها وأن يرقى . وأن يؤثر في آداب الأمم الأخرى التي ترتبط بها برابطة أو أخرى . و كان الأمر كذلك فعلا . فنرى ان أكثر الآداب العالمية شرقية منها وغربية . جاءت تحت تأثير اللغة العربية السمحاء وآدابها الغراء .

أثر العربية في المعاجم:

قبل أن نحلل هذا التأثير الأدبي، نقف قليلا عند أثر اللغة العربية في معاجم اللغات الأخرى في العالم. لأن المفردات هي اللبنات التي يبنى منها صرح الأدب.

والحق اننا لا نجد لغة من لغات العالم إلا وفيها مفردات وألفاظ مستعارة من اللغة العربية وان أكثر اللغات الشرقية تتوفر فيها الألفاظ العربية وتسيطر عليها. بل إن كثرة من هذه اللغات احتفظت بالخط العربي نفسه كما هو الحال في اللغة الفارسية واللغة السندية واللغة الأردية بل واللغة التركية حتى الفترة التي انتهت بالانقلاب الذي قضى على الخلافة العثمانية. ولا حاجة بنا إلى أن نؤكد وجود آلاف من المفردات العربية في اللغة الفارسية واللغة الأردية لأسباب واضحة، ومن اللغات الشرقية المتأثرة بالعربية اللهجة الأفغانية ولغة الملايو، وكثير من اللغات المحلية في افريقية تعتمد على الحروف العربية في الكتابة. منها لغات النيجر. وليبيريا. ونيجيريا. ويتكلم السنغاليون وأغلب الصوماليين وأهل زنجبار اللغة العربية.

وفي يوجوسلافيا يعتمد المسلمون على الحروف العربية في كتابة لغتهم والتركية. وكذلك الأمر عند مسلمي الفلبين الذين يستخدمون الحروف العربية لتدوين لغتهم.

وأما اللغات في الهند فقد تقدم الذكر عن تأثر اللغة الأردية بالمفردات العربية. وحتى اللغات الهندية الجنوبية التي تنتسب إلى الأسرة اللغوية « الدراويدية » لم تخلص من تأثير اللغة العربية في مفرداتها ومعجميتها. وأكثر هذه اللغات تأثراً باللغة العربية «مليالم» لغة كيرلا. وقد اثبت. حديثا. باحث أن مئات من مفردات « مليالم » مستمدة من معجمية العربية.

وأما إذا نظرنا إلى اللغات الأوربية فنرى أن اللغة العربية قد فرضت كثيراً من مفرداتها على عديد من تلك اللغات. منها اللغات الاسبانية والبرتغالية والفرنسية والانجليزية.

فقيل ان ربع معجمية اللغة الاسبانية مأخوذ من العربية في حين أن البرتغالية تضم ثلاثة آلاف من الكلمات العربية وقد ألف المستشرقان ، أنجلمان (ENGLEMANN) ودوزي (DOZY) قاموسا بعنوان « معجم المفردات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربيـــة » -GLOSSAIRE) -DE MOTS ESPAGNOLS ET PORTOGALS DEL ARABE) وكذلك تشتمل اللغة الفرنسية أيضاً على مفردات عربية كثيرة ، ويخاصة ، لهجات الأقاليم الجنوبية من فرنسا مثل ليموزن (LEMOVSIN) و أوفرن (AUVERGNE) حافلة بالألفاظ العربية ، وقيل ان الفرنسيين أخذوا تسعمائة كلمة من العربية وادخلوها في معاجمهم ، وهذه الحقيقة قد اثبتها المستشرق لامانس (LAMMENS) في بحث قيم له عنوانه « ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة عن العربية » (REMARQUES SURLESMOTSFRANCIS- -DERIVES DE LARABE).

وأما الغة الانجليزية فقد استعارت من اللغة العربية ألف كلمة فكتب الأستاذ تيلور بحثا في هذا الموضوع بعنوان « الكلمات العربية في الانجليزية » (ARABIC WORDS IN ENGLISH) .

ومن اللغات الأوربية الأخرى التي توجد فيها ألفاظ عربية «الغالية» القديمة ، والايطالية والألمانية والهولاندية ، والانسكندينافية ، والروسية والبولندية .

أثر الأدب العربي في الآداب العالمية :

بعد هذه الإشارة السريعة إلى تأثير اللغة العربية في معاجم لغات العالم ننظر الآن إلى تأثيرها في الآداب العالمية .

ونرى أن أكثر الآداب العالمية شرقية منها وغربية ، نثرا منها ونظماً ، قد جاءت تحت تأثير الأدب العربي ، ويلاحظ بهذه المناسبة أن كثيراً من الأعمال الأدبية المتأثرة بالأدب العربي أعمال كلاسيكية من الطراز الأول .

« ألف ليلة وليلة » وأثرها :

في مجال الأدب الامتاعي يمكننا أن نقف على عدة قصص عربية خيالية قد أثرت في الآداب العالمية تأثيرا عميقاً ، منها تلك الحكايات

المشهورة المسماة « بألف ليلة وليلة » التي هي غنية عن التعريف ، ومع أن هناك اختلافا بين الباحثين في أصول « ألف ليلة وليلة » هل هي عربية الأصل أم لا ، فلاشك في ان هذه القصص كائنة في اللغة العربية وان العالم يعرفها كذلك .

لقد حظيت حكايات « ألف ليلة وليلة » بشهرة عالمية قلما توفر مثلها لكتاب عربي ، وفي أوربا ترجمها ، لأول مرة ، كالند (GALLAND) إلى الفرنسية في سنة ١٧٠٤م ، ومن ذلك الحين مازالت تترجم إلى جميع لغات العالم ، وقيل انها قد نشرت ترجماتها ثلاث مائة مرة في اللغات الأوربية المختلفة في الازمنة المختلفة ، وعن طريق هذه الترجمات العديدة المختلفة تمكن أدباء العالم من أن يشربوا من منبع هذا التراث العربي القصصي ، و من الأدبـــاء العـالميين الذين تأثروا « بألف ليلة وليلة » من يلى اسمائهم :

من الألمـــــان :

فيلاند (WEILAND) (١٧٣٣م-١٨١٣م) .

بورجر (BURGER) (١٧٤٧م-١٧٩٤م) .

هافمان (HOFFMAN) (١٧٧٦م-١٨٢٢م) .

ميلر (MILLAR) (١٧٩٧م-١٨٤٠م) .

خميسو (CHAMISSO) (١٧٨١م-١٨٣٨م) .

بلاتن (PLATTEN) (١٧٩٦م-١٨٣٥م) .

من الانكليز :

تنيسون (TENNYSON) (١٨٠٩م-١٨٩٢م)

ديكنز (DICKENS) (١٨١٢م-١٨٧٠م)

وأما تنيسون فقد نظم قصيدة في « ألف ليلة وليلة » وديكنز. كما يظهر لنا من كتابه « دافيد كوبر فيلد » (DAVID COPPER FIELD) قد قرأ ألف ليلة وليلة في حداثته وتأثر بها .

وهناك أدباء كثيرون من فرنسيين وايطاليين ودانماركيين تأثروا بألف ليلة وليلة . مثلا بوكاشيو (BOCCASSIO) (١٣١٣م

١٣٧٥م) استوحى حكايات ألف ليلة وليلة في تأليف قصة « الأيام العشرة » (DECAMERON) وشوسر (CHAVCER) أبو الشعر الانكليزي ألف « قصص كانتربري » ناسجا فيها على منوال ألف ليلة وليلة . فيقول بعض الباحثين أن قصة شوسر المسماة « حكاية الفـارس الغلام » (SQVIRETALE) ليست غير واحدة من قصص ألف ليلة وليلة .

« كليلة ودمنة » وأثرها :

ومن الآثار الأدبية العربية التي تركت أثراً خالداً في الآداب العالمية « كليلة ودمنة » وهي حكايات سنسكريتية تسمى « بنجتنترا » نقلها إلى اللغة العربية عبد الله بن المقفع (المتوفى بسنة ٧٥٧) عن طريق اللغة البهلوية . كما هو معروف . فقدت هذه الحكايات نسختها الأصلية السنسكرتية وبقيت محفوظة في الترجمة العربية لعبد الله بن المقفع . وهذه الحكايات الممتعة التي وضعت على ألسنة الحيوانات اتخذت سبيلها إلى أكثر اللغات العالمية عن طريق الترجمة . في أوربا . قد نقلت . لأول مرة . إلى الاسبانية في سنة ١٢٥١م . ومنذ ذلك الوقت . كانت قد ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية في أزمنة مختلفة . وعن طريق هذه الترجمات عرفها الأدباء العالميون بنتيجة أن أعمالهم الأدبية تأثرت بها إلى حد كبير . ومن الأدباء الشرقيين الذين تأثروا بها أبو جعفر الرودكي (سنة ٣٢٩هـ) وهو أول شاعر فارسي عظيم نظم « كليلة ودمنة » شعراً فارسياً . وحذا حذوه آخرون بعده . ومن الأدباء الأوربين المتأثرين بهـــــا لافونتين (LA FONTAINE) (١٦٢١م ١٦٩٥م) الشاعر الظريف الفرنسي . وطائفة كبيرة من حكاياته الشعرية متسمة بتأثير قصص « كليلة ودمنة» فيها و « ماسنجر» الانكليزي هو كاتب أوربي آخر تأثر بكليلة ودمنة .

« دون كيسخوت » والقصص العربية :

وقد تقدم آنفا ان قصص كليلة ودمنة كانت قد ترجمت إلى الاسبانية في سنة ١٢٥١م ثم لم يمض عامان على ذلك حتى ترجمت قصص السندباد البحري إلى نفس اللغة . وهذه القصص العربية وأمثالها قد

أثرت في تكوين الأدب القصصي الاسباني إلى حد بعيد . ومن الأدباء الاسبانيين الذين تأثروا بالتراث الأدبي العربي سرفانتيس (CERVANTES) (١٥٤٧م-١٦١٦م) وروايته التهكمية الشهيرة « دون كسخوت » (DON QVIXOTE) تحمل سمات واضحة من التأثير العربي . وقيل إن سرفانتيس عاش مدة في الجزائر سجينا ، وانه كان قد ادعى ، على سبيل المزاح ، ان كان لكتابه أصل عربي .

« المقامات » وأثرها :

ومن الأعمال الأدبية العربية التي أثرت كثيراً في آداب اللغات الأخرى « المقامات » وهي القصص القصيرة التي ابتدعها بديع الزمان الهمذاني ونسج على منواله الحريري وكثيرون غيره . وأكثر اللغات الشرقية تأثرا « بالمقامات » اللغة الفارسية . وقد انتقل فن المقامات إلى الفارسية في القرن السادس الهجري . وأول من ادخلها في الأدب الفارسي هو القاضي حميد الدين عمر بن محمد المحمودي البلخي . واقتفى أثره آخرون بعده . كانت المقامات الفارسية كالمقامات العربية من حيث اطارها وقالبها وأسلوبها وان لم تصل إلى مستوى جودتها الفنية .

وقد انتقل فن المقامات إلى اللغتين العبرية والسريانية أيضاً فألفت فيهما عدة مقامات على منوال المقامات العربية .

لم يقتصر أثر المقامات ، على الآداب الشرقية . بل تعداها إلى الآداب الأوربية . وقد أثرت بصفة خاصة في الأدب الاسباني . وظهر هذا الأثـــر في بعض الروايات الاسبانية التي تسمى « قصص الصعاليك » (LANOVELAPICARESCA) .

« يوسف وزليخا » و « ليلى ومجنون » :

وتقدم الذكر عن بعض عوامل التأثير العربي في الأدب الفارسي . ومن تلك العوامل أيضاً قصة « يوسف وزليخا »المذكورة في القرآن الكريم . ونظم هذه القصة في اللغة الفارسية غير واحد من شعرائها منهم أبو المؤيد البلخي والبختياري والفردوسي وعمعق البخاري . وعبد الرحمن الجامي . فمن المعروف ان هذه القصص الشعرية الجميلة قد زادت

في ثروة الفرس الأدبية بمقدار كبير .

ومن القصص العربية التي أغرم بها شعراء الفرس قصة « قيس وليلى » التي عرفت عندهم باسم « ليلى ومجنون » وكان أول من اقتبسها من الأدب العربي ونظمها شعرا فارسيا ذلك الشاعر العبقري نظامي الكنجوي الذي عاش الشطر الأكبر من القرن السادس الهجري ، ولقد نظم قصة « ليلى ومجنون » كثير من الشعراء الفرس بعد نظامي ، منهم خسرو الدهلوي الذي عاش في الهند وتوفى ٨٢٥هـ ، ثم عبد الرحمن الجامي ، ثم مكتبي الشيرازي المتوفى سنة ٨٩٥هـ ، ثم نامي الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري .

مدينية الأدب الفارسي للأدب العربي :

مكذا نرى أن ليس هناك عنصر من عناصر الآداب الفارسية إلا وفيه أثر من الأدب العربي ، فيمكننا أن نقول ان ذخيرة الأدب الفارسي ذخيرة عربية أكثر منها فارسية ، وأصولها توجد في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام الصحابة ، وأمثال العرب ، ورسائل عبد الحميد والصاحب والصابي وقابوس ، ومقامات بديع الزمان والحريري ، وشعر المتنبي والابيوردي والغزى ، وغيرها من الآثار الأدبية العربية الصميمة .

وقد ظهر هذا الأثر ظهورا كاملاً في الشعر الفارسي ، وكان شعراء الفرس بعد الإسلام يقلدون الشعر العربي في جميع مكوناتها كالأوزان والقوافي والزحافات والعلل ، والفنون البديعية والمحسنات المعنوية ، ويدل على هذا أشعار فحول الشعر الفارسي من أمثال الرودكي وسنائي والدقيقي والكنجوي وحافظ الشيرازي وعمر الخيام وجلال الدين الرومي ، وأحيانا كان الشاعر الفارسي يصوغ الشطر الأول من بيته باللغة الفارسية ويصوغ الشطر الثاني باللغة العربية ، وهذا النوع من الشعر هو الذي عرف في الفارسية « بالشعر الملمع » فبالجملة يمكننا أن نقول مع الدكتور مصطفى الشكعة صاحب كتاب « الأدب في موكب الحضارة الإسلامية » ان الشعر الفارسي ابن شرعى للشعر العربي .

وما ذكرنا عن الشعر الفارسي وتأثره بالشعر العربي يمكن أن يقال عن الشعر الأردي والشعر التركي ، وكل من هذين الفنين تأثر بالشعر العربي مباشرة أو بالشعر الفارسي الذي حاكي الشعر العربي محاكاة كاملة .

« حي بن يقظان » و « روبنس كروزو » :

من الآثار الأدبية العربية البارزة التي أثرت تأثيرا مباشرا في الأعمال الأدبية العالمية قصة « حي بن يقظان » التي ألفها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (توفى سنة ١١٨٥م) والفكرة الأساسية لهذه القصة الفلسفية هي أن عقل الانسان وان لم تمده العوامل الخارجية ، قد يستطيع أن يصل إلى معرفة ذات الله وهيمنته على الكون . ويقول بعض الباحثين ان الروائي الانجليزي المشهور دانيال دي فو (DANIAL DE-FOE) (المتوفى سنة ١٧١٩م) قد استعار هذه الفكرة من قصة حي بن يقظان لما ألف قصته الشهيرة « روبنسن كروزو » (ROBINSON CRUSOE) ويلاحظ ان « حي بن يقظان » كان قد ترجم إلى بعض اللغات الأوربية ، منها اللاتينية والانجليزية (نشرت الترجمة الانجليزية في سنة ١٧٠٨م) فمن الممكن ان دانيال دي فو ، قرأ هذه القصة في كل من هاتين اللغتين أو إحداهما .

أثر الشعر العربي في شعر التروبادور:

وأما إذا نظرنا إلى الشعر الأوربي فنرى ان أول ما ظهر فيه أثر الشعر العربي كان في شعر التروبادور (TROUBA DOUR) وهو نوع من الشعر الذي ظهر في اقليم بروفانس في فرنسا على مقربة من الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي فنشأ هذا الشعر متأثرا بالشعر العربي الأندلسي العامي الذي يسمى « بالزجل » ولم يلبث هذا النوع من الشعر ان عم أماكن متفرقة من غرب أوربا وألمانيا . لقد قيل ان وليم التاسع أمير اكوتين أول شعراء التروبادور كان يعرف اللغة العربية واستخدم كثيرا من ألفاظها في أشعاره . وزار البلاد الإسلامية وتردد على الأندلس أكثر من مرة . ويقال إن كلمة « تروبادور» نفسها عربية أصلها

« طرب دور» محرفة عن « دور طرب » .

وأما الموشح ، نوع آخر من الشعر العربي الأندلسي فكان له أيضاً تأثير في الشعر الأوربي ، وهذا الأثر واضح في تلك القصائد التي تعرف « بالسونيتة » (SONNETS) .

ويذهب البعض إلى أن ظهور القافية عموما في الشعر الأوربي إنما هو أثر من آثار الشعر العربي .

أثر الأدب العربي في « الكوميديا الالهية » و « الفردوس المفقود » :

ومن أبرز مظاهر التأثير العربي في الأدب الأوربي ذلك العمل الكلاسيكي الايطالي « الكوميديا الالهية » (DIVINE COMEDY) الذي ألفه دانتي (DANTE) (١٢٦٥م–١٣٢١م) و موضوع هذا الكتاب ، كما هو معروف ، رحلة خيالية قام بها الشاعر في ثلاثة أقسام من العالم العلوي ، الجحيم ، والمطهرة أو الأعراف (PUR GATORY) والفردوس ، و وصفه لما رأي وسمع في هذه الاماكن ، وقد أثبت الباحثون ان دانتي قد استمد هذه الفكرة من المصدرين الإسلاميين العربيين : فالأول هو قصة « الاسراء والمعراج » التي ذكرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، والمصدر الثاني هو كتاب « رسالة الغفران » الذي ألفه الشاعر العربي الفيلسوف أبو العلاء المعرى (٩٧٩–١٠٥٨) فلا يخفى على من يقرأ « رسالة الغفران » و « الكوميديا الالهية » أوجه شبه عديدة واضحة بين القصتين ، وقد ألف العالم الاسباني الأستاذ مكول آسن (MIGVEL ASIN) كتابا بعنوان « الإسلام والكوميديا الالهية »-(ISLAM AND DIVINE-COMEDY) أثبت فيه كون « الكوميديا » مدينا بفكرتها للمصدرين العربيين المذكورين .

و يذهب جرجي زيدان إلى أن عملا كلاسيكيا عالميا آخر وهو « الفردوس المفقود » (PARADISE LOST) لجون ملتن (JOHN MILTON) (١٦٧٤م–١٦٠٨م) أيضاً تأثر برسالة الغفران للمعرى فهناك مشابهة واضحة لا تنكر بين العملين الأدبيين .

تأثير الأدب العربي في الأدب الفولكلوري :

ولم يقف تأثير الآداب العربية في الآداب العالمية عند حد الأعمال الأدبي الخالصة بل تعداها إلى الآداب الشعبية لمختلف الأمم في العالم . فالأدب الفولكلوري الفارسي . على سبيل المثال . حافل بالأمثال التي هي عربية الأصل . فمن الأمثال الفارسية ذات الأصل العربي ما يلى :

- الصبر مفتاح الأمور .
- اليد لا تصفق وحدها .
- يعتذر بعذر اقبح من الذنب .
- متى كان السماع بالشيء مثل رؤيته .
- لا تبقى الدنيا على حال واحدة .
- تعال متأخرا وتعال سليما .
- حافر البئر يقع فيها دائما .
- الغائب عن النظر يغيب عن القلب .
- السكوت خير من هذر الكلام .
- الصبر مر ولكن ثمره حلو .

وكذلك تأثر القصص الشعبي الفارسي أيضاً بالأدب العربي الشعبي . ومن أمثلة ذلك شخصية « جحا » ومغامراته التي تشكل جانباً كبيراً وممتعاً من الأدب الشعبي الفارسي وهي مأخوذة من الأدب الشعبي العربي .

والأدب الشعبي التركي أيضاً متأثر بالأدب العربي .

وأما الفولكلور الأوربي . فهو أيضاً قد تأثر كثيراً بنفس المؤثرات الأدبية العربية . فقد اقتبست اسبانيا وبقية أوربا عدداً كبيراً من الأمثال العربية . وإليكم بعض هذه الأمثال الأوربية على سبيل المثال :

- استفد من شبابك فالعمر قصير .
- انس همومك في ليلتك مادمت جاهلا ما في غدك .
- راحة بال مع فقر خير من هم مع يسر .
- لا تلد الفأرة الافأرة .
- الشجرة التي تخرج الورد تخرج الشوك .

ونرى أيضاً أن ألوانا من الشعر الأوربي والقصص الشعبية الأوربية أيضاً تحمل سمات التأثير العربي . ومن أمثلة ذلك ما قدمنا من تأثير «الزجل » في شعر التروبادور . وتأثير ألف ليلة وليلة في « الأيام العشرة » (DECAMERON) لبوكاشيو . و « قصص كانتربري » لشوسر .

المراجع :

(١) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية للدكتور مصطفى الشكعة ١٩٦٨م . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة .

(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي . دارالكتب .

(٣) الأدب القصصي عند العرب لموسى سليمان ١٩٦٩م . دار الكتاب للبناني . بيروت .

(٤) تراث الإسلام . لأرنولد وجيوم . ترجمة لجنة من الجامعيين . مصر ١٩٣٦م .

(٥) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري لنجيب محمد البهبيتي . القاهرة وبيروت ١٩٦٧م .

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان . دار مكتبة الحياة . بيروت .

(٧) حضارة العرب لجوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر .

(٨) مقالة « محاضرات ليفى بروفنسال في الشعر الأندلسي . في مجلة « الكتاب » عدد مايو ١٩٤٧م .

(9) History of the Arabs by Philip K.Hitti, Macmillan,10th Ed. 1974.

(10) A Literary History of the Arabs by R.A.Nicholson,Cambridge University Press.

(11) A Literary History of Persia by Edward G. Browne, Cambridge University Press.

(12) The Holy Quran : Text, Translation and Commentry by A. Abdulla Yusuf Ali, Kutub Khana Ishayatul Islam, Delhi .

(13) Contribotion of Arabic Language to Malayalam Vacabulary and Grammar (Unpublished) Ph.D.Thesis by Prof.P.Abdur Rahman.

(14) Arabic Loan-Words in Malay by M.A.J.Beg, Kuala Lampur, 1983.

&&&&&&&&&&&&&

&&&&&&&

جهود حثيثة لحمل مسلمي الهند على الارتداد

إعداد وترجمة : د/ظفر الإسلام خان

يبذل بعض الطوائف من الهندوس جهودا مشهودة منذ العشرينيات من هذا القرن لحمل مسلمي الهند على الارتداد إلى الهندوسية . زاعمين أن معظم مسلمي الهند ينتمون إلى أصول هندوسية أجبرها المسلمون إبان حكمهم على الهند على الإسلام ، والآن بعد زوال الحكم الإسلامي ينبغي أن تزول آثاره كذلك .. وقد حمل لواء هذه الحملة منظمة (آرياساماج) «المجتمع الآري » وهم يطلقون على هذا الارتداد وصف (شودهي) أي (التطهير) ويعنون بذلك أن الهندوسي الذي يعتنق الإسلام يصبح نجسا وعودته إلى الهندوسية تطهير له .. وحين استقلت الهند تمكن هؤلاء ، بمساعدة أشخاص نافذين في الحكومة ، من إجبار مئات الألوف من مسلمي ولايتي ماريانا وراجستهان على اعتناق الهندوسية ونبذ كل التقاليد الثقافية الإسلامية .. وخمدت الحركة بعد الاستقلال بقليل ، بل وبدأ كثيرون من هؤلاء الذين أجبروا على الردة يعودون إلى الإسلام .. ثم نشطت هذه الحركة من جديد منذ نحو عشر سنوات ، وترفع لواءها هذه المرة منظمة ويشوا هندو باريشاد (المنظمة الهندوسية العالمية) وهي الجناح الثقافي والديني لمنظمة (راشتريا سوايام سيواك سانغ) الهندوسية الفاشية التي تعتبر أكبر وأقوى منظمة في الهند . وكانت منظمة ويشوا هندو باريشاد تولي جل اهتمامها في الفترة الأخيرة لقضية معبد راما الذي يريدون بناءه بعد هدم المسجد البابري بمدينة أيودهيا ، إلا أنه بعد وصول القضية إلى مأزق سياسي وقانوني ، وجهت هذه المنظمة أنظارها نحو حمل

المسلمين على الردة . والفئات التي يركزون عليها هي – كما يفعل المنصرون – من الفئات الهامشية كأهل القرى والفلاحين والحرفيين الأميين .

وفيما يلي ترجمة تقرير حول هذا النشاط ، كتبه صحفي هندوسي بجريدة بايونير Pioneer اليومية الصادرة بدهلي الجديدة باللغة الانجليزية (عدد ٥/يناير ١٩٩٢ م)

منظمة ويشوا هندو باريشاد تعمل بصورة غير مثيرة على ردة المسلمين إلى الهندوسية :

بقلم : سروج ناغي – دهلي الجديدة

ستقوم منظمة ويشوا هندو باريشاد برد مائة مسلم إلى الهندوسية في احتفال لها هو الأول من نوعه هذه السنة .

وسيقام حفل استقبال لهؤلآء العائدين إلى الهندوسية في نهاية شهر يناير بالقرب من مدينة أجمير بولاية راجستهان ، وسيقام بهذه المناسبة حفل للابتهالات والقصائد الدينية .

وستقام برامج مماثلة خلال الشهور القليلة القادمة في بعض الولايات الأخرى بما فيها ولاية مهاراشترا حيث تحاول ويشوا هندو باريشاد أن تحصل على موطئ قدم لها .

ويقع وراء هذا الاحتفال جهد ضخم قام به (قسم نشر الدين) Dharma Prasar Vibhag التابع للمنظمة . وهذه الوحدة تعمل بصمت في إطار هذه المنظمة التي تعمل بصخب . ويقوم هذا القسم بصورة هادئة . بل وبسرية . بإدخال المسلمين إلى الحظيرة الهندوسية . ويؤمن هذا القسم بمنطق يقول بأنه لا يوجد مسلمون حقيقيون في الهند إذ أن غالبيتهم هندوس مرتدون .

ورغم أن هذا القسم موجود منذ الستينيات حين أنشئت منظمة ويشوا هندو باريشاد ، إلا أن اعتناق الهندوس للإسلام بأعداد كبيرة بقرية ميناكشي برام سنة ١٩٨١م هو الذي بعث الحياة فيها ، وتدعى ويشوا هندو باريشاد أنها قد أعادت أكثر من مائة ألف مسلم إلى الحظيرة الهندوسية .

وهذا القسم نشيط في كل ولاية من الولايات الهندية إلا أن درجة نشاطها تختلف من ولاية إلى أخرى ، ولا يبدو أن هذا القسم أحرز نجاحا يذكر في ولايتي أترابراديش وبيهار اللتين يوجد بهما أكبر تجمع للمسلمين كما أن أعدادهم تتزايد في ولاية آسام وبنغال الغربية نتيجة تسلل المسلمين من بنغلاديش ، وتحاط أنشطته بالسرية بصورة متعمدة بمنطقة دهلي ، وذلك لتجنب الاهتمام وإثارة الخلاف ، وخصوصاً لأن إمام (المسجد الجامع) يتخذ لنفسه مقرا هنا ، ومن الولايات التي أحرزت المنظمة نجاحا فيها ولاية راجستهان .

ففي ولاية راجستهان تم رد (٤٢,٠٠٠) مسلم إلى الهندوسية خلال سنوات ١٩٨١م-١٩٨٦م ، وانخفض العدد في السنوات الخمسة التالية حيث أمكن رد ٥٩٦٨/مسلماً فقط إلى الهندوسية .

وهذا الانخفاض كان ملحوظا في كل مكان آخر ، ففي الفترة نفسها أمكن رد ألف مسلم فقط إلى الهندوسية في ولاية غجرات ، أما عدد العائدين إلى الهندوسية في ولاية مهاراشترا فبلغ ٥٠٠/شخصاً في الفترة نفسها .

وهذه هي الفترة التي قام خلالها تحالف منظمات راشتريا سيواك سانغ و ويشوا هندو باريشاد وحزب بهارتيا جانتا إلى رفع النداء المطالب بإنشاء معبد راما ، إلى أعلى درجة من الصخب ، واشتراك ويشوا هندو باريشاد في الحملة من أجل المعبد نقل

أولوياتها خلال هذه الفترة إلى أمور أخرى ، فلم تتمكن المنظمة من توجيه الاهتمام الكبير إلى برنامج رد المسلمين إلى الهندوسية .

ويقول العاملون في هذا المشروع أن القضية لا تنحصر فقط في إعادة المسلمين إلى الحظيرة الهندوسية بل يجب كذلك توفير تسهيلات تأميلية أساسية للعائدين منهم مثل التعليم والوظائف و - ما هو أهم من هذا - توفير الأمن من هجمات الأصوليين المسلمين ، وأسلوب هذه الوحدة يتمثل في القيام بحملة شخصية من بيت إلى آخر ، وإحياء الاحتفالات المحلية ، وعبادة الأبطال القديسيين المحليين وذلك لإسباغ النكهة المحلية على الحملة .

ففي ولاية راجستهان تمت هذه الحملة حول الاحتفالات التي أقيمت خلال سنتي ١٩٧٦م-١٩٧٧م لإحياء ذكرى بريتهوى راج شوهان (وهو ملك هندوسي هزمه المسلمون سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م) فبدأت ويشوا هندو باريشاد رد المسلمين إلى الهندوسية بصورة تجريبية بمديتي بالي Pali وأجمير ، وشارك في الاحتفالات كل من الهندوس والمسلمين ، ويعتقد أن المسلمين المحليين هم أولاد بريتهوي راج شوهان ، وهؤلاء يطلقون على أنفسهم (شوهان ونشي) أي أخلاف شوهان .

وقد حدد (قسم نشر الدين) المناطق المستهدفة والمسلمين الذين يريد مخاطبتهم .

و يعتبر المسلمون من عرق غادي Gaddi على هامش الهندوسية (أي الأقرب إلى الهندوسية) ويمكن إدخالهم إلى الحظيرة بنجاح ، أما في ولاية مهاراشترا فيعتبر المسلمون من غاودي Gowdi الأقرب إلى الهندوس .

أما في ولاية هاريانا ومنطقة دهلي فترى منظمتا راشتريا سوايام سيواك سانغ و ويشوا هندو باريشاد أن أفراد قبيلة

الجات Jat الذين تركوا الحظيرة الهندوسية ليصبحوا مسلمين يعرفون بـ (ملاجات) Mulla Jat .

وفي ولايات كشمير وهاريانا وراجستهان هناك أفراد قبيلة غوجار Gujjars الذين يرى الهندوس أنهم مسلمون بالاسم ويمكن نقلهم إلى الهندوسية بسهولة ، وقد عقد ملتقى غوجار بمدينة (هاريدوار) حيث اجتمع الغوجار من الهندوس والمسلمين على حد سواء .

ويقول رجال ويشوا هندو باريشاد أنهم لا يجبرون أحداً على تغيير دينه وأن عملهم لا ينبغي أن يوصف بتغيير الدين ، وهم يقولون أن تغيير الدين يعني التحول من دين إلى آخر بينما الذي يقومون به هو العودة إلى التراث والأصالة ، وتأكيدهم على هذا المفهوم يعني القول بأن غالبية المسلمين هم هندوس أصلاً وأنهم ضلوا طريقهم عن الهندوسية لعدد من الأسباب ، بما فيها ضغط الغزاة المسلمين والخوف منهم ، وأنه رغم تحولهم القسرى إلى الإسلام لا يزال كثيرون منهم يتبعون أسلوب الحياة الهندوسية في رأي ويشوا هندو باريشاد التي تؤكد على أن هدف الوحدة المذكورة هو إعادتهم إلى جذورهم الأصلية وعودتهم إلى الهندوسية تطوعية حسب زعم رجال راشترا سيواك سانغ و ويشوا هندو باريشاد الذين يريدون لهؤلاء أن يؤمنوا بأنهم يعودون إلى بيتهم في حقيقة الأمر .

وعلى عكس الحملة العدوانية التي شنتها ويشوا هندو باريشاد حول قضية مسقط رأس راما والتي كثيرا ما اتصفت بنبرات معادية للمسلمين ، فإن هذه المنظمة و (قسم نشر الدين) التابع لها قد اتبعت الصمت والهدوء ، وهي تعمل على ما تسميه بـ (العودة التطوعية إلى التراث الهندوسي) لجماهير المسلمين على

مستوى القرى ، وهي ترى أنها قضية دقيقة وحساسة ، وهي بالتالي لا تحبذ الدعاية لأنشطتها في الوقت الحالي ، وخصوصا لأن المنظمات المتآلفة معها تخوض غمار قضية مسقط رأس راما والمسجد البابري الشائكة . ويقوم رئيس حزب بهارتيا جانتا بـ"مسيرة الوحدة" لتسليط الأضواء على القضية الكشميرية وشن الحملة على (العلمانية المزيفة) .

ويقوم بإرادة الوحدة موهان جوشي ، وهو من الأعضاء النشيطين السابقين بالمنظمة الطلابية لعموم الهند (التابعة لمنظمة راشتريا سيواك سانغ) وهو أمين ويشوا هندو باريشاد بولاية راجستهان ويقوم بتنسيق جهود الوحدة في كل الولايات المختلفة .

وتستعين الوحدة بالمنظمات التآلفة أو المتحدة مع ويشوا هندو باريشاد في تنفيذ عمليتها الجماهيرية المخططة الطويلة المدى التي تشمل تقريبا كل السكان المسلمين في البلاد ، ومن المنظمات التي تتعاون في هذه الحملة راشتريا سيواك سانغ و ويشوا هندو باريشاد ، و آريا سماج ، و عدد لا يحصى من المنظمات التطوعية (الهندوسية) .

وأنشطة هذه الوحدة ليست محدودة بالمسلمين وحدهم بل هي تتوجه إلى أقليات أخرى أيضاً ، وهي نشيطة في الحزام القبلي بجنوب بيهار حيث ينشط المبشرون المسيحيون .

::::::::::::::::::::::::

الفرق بين الترجمة والتعريب

الأستاذ حبيب الله خان
الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة لكناؤ

الترجمة والتعريب هما مصطلحان لغويان ، استعملهما الأولون كمترادفين تقريباً (١) . ولكن نظرة يسيرة خليقة أن توضح الفرق بينهما ، وهو أن كلمة الترجمة تطلق على عملية النقل من العربية وإليها على حد سواءٍ ، وبينما كلمة التعريب يقتصر إطلاقه على النقل إلى العربية فقط ، وليس بالعكس ، ومع تقدم البحوث لم يعد الفرق يقف إلى هذا الحد بل تجاوز حدود التقارب والترادف ، وبدأ المصطلحان يدلان على معان متضادتة بدلاً من متقاربة ، و هـــذا طبيعي و يحصل في كل اللغات ، بأن بعض الكلمات أو المصطلحات حسب مقتضيات الضرورة تكتسب معان جديدة ، وتنبذ معاني قديمة .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة الثابتة ، أقدم آراء العلماء عن التعريب الذي اتسع نطاق مدلوله ، ليستوعب المفاهيم الجديدة تحت ضغط متطلبات العصر .

قد ناقشت موضوع الترجمة باسهاب في مقالي السابق المنشور في مجلة البعث الإسلامي بعددها الثالث عام ١٩٩٢م ، واكتفى هنا بالقول ، بأن الترجمة فن وعلم ، وتختص بالنقل من لغة إلى أخرى ، وأما موضوع التعريب الذي أريد أن أناقشه طرداً وعكساً ، فهو موضوع هذا المقال ، ليتجلى لنا الفرق بينه وبين الترجمة .

ولعل أول من استعمل التعريب بمعناه الاصطلاحي هو الجوهرى (ت ٤٠٠هـ) حيث عرفه بقوله : « تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به

العرب على مناهجها (٢) » وخلال بحثي عن معنى التعريب ومفهومه لم أجد معنى أدق واشمل مما ذكره الأستاذ كارم السيد غنيم حيث قال ان للتعريب ثلاثة معان :

« **المعنى الأول :** يدل على استخدام العرب الفاظا أعجمية على طريقتهم في النطق واللفظ . وهو مصطلح قديم . وعن هذه الطريقة دخلت اللغة العربية آلاف الألفاظ الأعجمية . التي سميت « دخيلة » .

المعنى الثاني : يقصد بها الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية . و ينصرف إلى ترجمة العلوم و الآداب و الفنون و سائر الترجمات الأخـــرى . و مكذا تكون كلمــة « تعريب » هنا مرادفة لكلمة « ترجمة » وبعكس التعريب في مذا السياق كلمة « التعجيم » أي نقل الأثر من اللغة العربية إلى أية لغة أعجمية أي غير لغة العرب .

المعنى الثالث : وهو أن يجعل اللغة العربية لغة حياة الإنسان العربي كلها . لغة الفكر والشعور ولغة العلم والعمل . بها يعبر عن مكنونات نفسه وخلجات قلبه وومضات فكره . بها يتعلم ويعلم ولا ينتقص من مقامها عنده تعلمه لغة أخرى أو أكثر . إنها أداة للتفكير وأداة للتعبير .

وخلاصة القول ان التعريب عبارة عن ترجمة لكنها غير جافة . كما أنها قابلة لاحتضان كلمة بنطقها في لغاتها الأصلية . ولا حرج في استخدام ألفاظ أجنبية تكتب بالحروف العربية إذا عجزنا في البحث لها عن مقابل في العربية (٣) » .

مذه كانت آراء الأستاذ كارم السيد غنيم . وأما بعض العلماء الآخرين فذهبوا إلى نقيض منه . حيث ذكروا معنى التعريب بمفهومه الضيق الاصطلاحي . ومنهم الدكتور عبد الله الجبوري الذي قال : « إن التعريب غير الترجمة بمعناها المعاصر(٤) » وأيد مثل مذا الرأى الدكتور صفاء خلوصي في كتابه : « فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة » حيث قال : « التعريب غير الترجمة . فالترجمة كما سبق ان قلنا نقل معنى وأسلوب من لغة إلى أخرى . بينما التعريب هو رسم لفظة

أجنبية بحروف عربية . و هو مـا يعرف بالانكليزية TRANSCRIPTION أو TRANSLITERATION أو الترجمة الصوتية . والطريقة المتبعة فيها ، هو نفس طريقة قدماء العرب ، أي كتابة الحروف التي لا نظير لها في العربية بما يقاربها في النطق ، مع اصطلاح الحروف التالية لما ليس من حروفنا الأبجدية ، وهي مقتبسة من الفارسية ، پ P - چ CH - ژ (الحرف المتوسط بين الزاي والشين ، كما في كلمة TREASURE (كنز) الانكليزية) ڤ V - گ G (٥) » وقدم الأستاذ خلوصي مثالاً على ذلك بأن كلمة هاتف ترجمة وتلفون تعريب . وبهذا الصدد انقسم العلماء فيمن يؤيد تعريب الأعلام الأجنبية بطريقة الترجمة الحرفية ومن يؤيد تعريبها بطريقة الترجمة الصوتية كما يتضح من الأمثلة المذكورة أدناه .

الأعلام الأجنبية	الترجمة الصوتية	الترجمة الحرفية
FORD	فود	فورد
ARNOLD	آنلد	ارنولد
CHARLES	چالز	چارلز

الترجمة الصوتية هي صحيحة ومفضلة لدى كثير من العلماء والمختصين وأسبابها عديدة . لا مجال لذكرها (٦) .

وذكر الأستاذ فاضل تامر في مقاله المنشور في مجلة الثقافة الأجنبية . العدد ٥-٦ لعام ١٩٨٤م تحت عنوان مشكلات تعريب الاعلام الأجنبية مقتبساً من الكتاب : « العربية تواجه العصر » للدكتور ابراهيم السامرائي « أريد أن أشير إلى الفرق بين ما هو معرب وما هو مترجم عملا بما جرى عليه المتقدمون . فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الأبنية العربية . والمترجم هو اللفظ العربي المتخير لمعنى من المعانى الجديدة التي جرت في العربي (٧) » .

إن تعريف الأستاذ ابراهيم يثير سؤالا آخر، وهو ما هو الفرق بين

التدخيل والتعريب ؟ فأجيب على هذا السؤال باختصار جداً ، إن التدخيل هو الكلمة الأجنبية التي تقبلتها اللغة العربية دون اجراء أدنى تغيير فيها ، والتعريب هو الكلمة الأجنبية التي احتضنتها اللغة العربية بعد إجراء التغيير والتحوير فيها ، أرجع إلى أصل الموضوع وأقدم رأى الأستاذ ابراهيم زكى خورشيد حول التعريب والترجمة مقتبسا من كتابه : « الترجمة ومشكلاتها » كثر النقاش في مطلع القرن التاسع عشر بين أنصار التعريب وانصار الترجمة وانحصر في مسألتين ، أتعرب الألفــاظ الأعجمية الجديــدة على صيغ وأبنية توافق البناء العربي ؟ أم توضع لها كلمات عربية جديدة تدل على الأصلية في لغاتها .

كان من أنصار التعريب العالم اللغوي المؤرخ الشيخ محمد الخضري فقال : « يؤخذ من المخترع للشئ المسمى واسمه ، بعد أن يصقلوه بألسنتهم حتى يكون خفيفا عليها ومناسبا للهجتها » ورأى الشيخ الخضري أن هذا هو الطريق المعقول الذي اتبعه العرب منذ عصر الترجمة العباسي واتبعته كل أمة من أمم العالم . وعارض التعريب العالم اللغوي حفنى ناصف وهاجم سياسة إثراء اللغة العربية بألفاظ معربة ، وسمى هذه السياسة بالباب المفتوح ، واتفق الرأى على أن يكون للوضع والترجمة المكان الأول ، على أن يجئ التعريب بعد ذلك ، وأيد هذا الرأى الأستاذ عباس محمود العقاد وقد نص هــذا الرأى على ما يأتي : « يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد ، يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله و وضعه على مناهج العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي (٨) » .

وإذا أخذنا معنى التعريب الضيق النطاق المذكور أعلاه ، بعين الاعتبار فماذا تعنى قضية التعريب الجامعي ، التي تعتبر أكثر القضايا العربية الحاحاً في الوقت الحاضر ، والتي يدوى صداها في مشارق الوطن العربي ومغاربه ، لدى مؤيدى مثل هذا المعنى ، فحتما قضية التعريب

الجامعي أو تعريب العلوم لا تعني رسم الكلمات الأجنبية بحروف عربية . بل إنها تعنى ترجمة العلوم في أسلوب عربي والأخرى في صبغة عربية ، وليست الترجمة الحرفية التي توحى بأسلوب أجنبي بالرغم من أنها مكتوب باللغة العربية ، فهكذا نجد التعريب أشمل وأجود من الترجمة .

أكدت البحوث الرامنة بأن التعريب لم يعد يقتصر مدلوله على قضايا الترجمة فحسب ، بل ويشمل القضايا الحضارية أيضاً كما قالت الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع : « ترتبط قضيتا الترجمة والتعريب ارتباطاً وثيقاً بالواقع الحضاري للأمة العربية . فالترجمة هي مرحلة هامة وضرورية من مراحل التعريب ويمكن أن تسبقه (٩) » ويأتي تأييد هذه الفكرة من الحديث الذي ادلى به الدكتور محي الدين صابر المدير العام لليونيسكو إلى جريدة الشرق الأوسط في ١٩٨٢/١٢/١م : « إن التعريب ليس قضية لغة ، بل هي قضية حضارية أساسية تواجهنا حالياً . اللغة ليست ألفاظاً بل فكراً، وبالتالي لابد من تطوير المجتمع العربي ، واستيعاب حضارة العصر، وذلك لا يتم إلا عبر اللغة كوسيلة وكأداة » .

وناقش الدكتور محي الدين صابر في كتابه : « قضايا الثقافة العربية المعاصرة » موضوع التعريب تحت عنوان : الأبعاد الحضارية للتعريب ، وأثبت بأن التعريب ليس الترجمة فحسب بل يشمل الأبعاد الحضارية المختلفة منها قضايا علمية وفنية واجتماعية وقومية وسياسية وغيرها من ذلك (١٠) » .

من خلال استعراض آراء العديد من العلماء ، يتضح لنا أن الترجمة والتعريب ، بالرغم من وجود الفرق بينهما ، أمران متلازمان ويتطلبان نموء اللغة العربية يشكل متطور لتواكب ركب الحضارة وتحقيق النهضة العربية . والتعريب هو مجال عام يشمل في طياته احتضان الألفاظ الأجنبية معربا ودخيلا ونقل العلوم والمعارف إلى العربية في صبغة عربية أي عملية صهر وإعادة صياغة لغوية ، واستيعاب التطور والتقدم الهائل الذي يطرأ على عصرنا هذا من خلال اللغة العربية .

مراجع البحث :

(١) الأستاذ فاضل ثامر: مشكلات تعريب الاعلام الأجنبية . مجلة الثقافة الأجنبية . العدد ٥-٦ عام ١٩٨٤م . ص/٣٤ . وزارة الثقافة والاعلام العراقية .
(٢) الجوهري : الصحاح .
للتفصيل راجع : الدكتور ابراهيم السامرائي : العربية تواجه العصر . وزارة لاعلام بغداد . سلسلة الموسوعة الصغيرة . ص/٢٠ .
(٣) الأستاذ كارم السيد غنيم : اللغــــة العربية و النهضة المنشودة في عالمنا الإسلامي . مجلة عالم الفكر الكويتية . العدد الرابع ١٩٨٩م . ص/٦٤ .
(٤) الدكتور عبد الله الجبوري : المصطلحات العلمية في التراث العربي منشورات جامعة المستنصرية . ص/٢٠٩ .
(٥) الدكتور صفاء خلوصي : فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة . مطبعة دار المعرفة . بغداد . ص/١٦ .
(٦) الأستاذ فاضل ثامر : مشكلات تعريب الاعلام الأجنبية . مجلة الثقافة الأجنبية . العراق . العدد ٥-٦ . ص/٣٨ .
(٧) المصدر السابق . ص/٤٥ .
(٨) الأستاذ ابراهيم زكي خورشيد : الترجمة ومشكلاتها . مطابع الهيئة العامة للكتاب . ص/١٦ .
(٩) الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع : آفاق الترجمة والتعريب . مجلة عالم الفكر الكويتية . العدد الرابع لعام ١٩٨٩م . ص/٩ .
(١٠) الدكتور محي الدين صابر : قضايا الثقافة العربية المعاصرة . طبع الدار العربية للكتاب . طرابلس- ليبيا . ص/٨٥-٩٤ .

٪٪

حول اشتقاق « بغداد »

د/ مقصود أحمد
أستاذ اللغة العربية قسم العربية كلية الفنون
جامعة بارودا الهند

إن الآراء تتضارب بشأن اشتقاق « بغداد » يعتقد حمد الله القزويني (١) والعلامة شبلي (٢) والسيد أمير علي وغيرهم (٣) بأنها مشتقة من الكلمتين الفارسيتين « باغ » (البستان) و « داد » (العدل) اللتين تعنيان « بستان العدل » إنهم يفترضون انما كانت « بغداد » موضعا حيث كان نوشيروان (٥٧٨/٧٩مـ) يعدل بين رعاياه.

وعلى النقيض من ذلك يعتبرها البروفيسور عبد الستار الصديقي المغفور له (١٩٧٢م–١٨٨٥م) رئيس القسم العربي والفارسي الاسبق. بجامعة اله آباد بالهند. مشتقة من الكلمتين الفارسيتين « بغ » (الاله أو الصنم) التي تماثل الكلمة السنسكريتية « بهاغ » (Bhag) و « داد » (العطية) ومعناها « عطية الإله » يقول البروفيسور الصديقي: إن تاريخ هذه الكلمة يعود إلى زمن « زردشت » بل قبله حيث كانت عبادة الأصنام شائعة بفارس. وهو يدعى انه توجد الإشارة إلى كلمة « بغ » بمعنى « الإله أو الصنم » في اويستا والكتابات المنقوشة المسمارية للعهد الهخامنشي. وعلاوة على ذلك. فإنه قد استشهد بالشاهنامة للفردوسي الذي توفي ١٠٢٠م و مؤلفات اللغة العربية للعلماء الكبار و المؤرخين البارزين كعبد العزيز أبي رواد (٧٥٧/٥٨م) والأصمعي (٨٣١/٣٢م) وابن قتيبة (٨٨٩/٩٠م) وأبي عبد الله الخوارزمي والجواليقي (١١٤٤/٤٥م) وياقوت الحموي (١٢٢٨/٢٩م) وغيرهم. وخلاصة حجج البروفيسور الصديقي كما يلي:

١– يعود تاريخ كلمة « بغداد » إلى زمن « زردشت » بل قبله حيث كانت عبادة

---

(١) نزهة القلوب نقلاً من مقالات الصديقي (بالاردية) ج/١– ص/١٢٧ لكناؤ ١٩٨٣م.
(٢) راجع « المأمون » (بالأردية) ج/٢– ص١٢٦. أعظم جراه. ١٩٥٧م.
(٣) راجع « التاريخ الموجز للشرقيين » (A Short History of the Saracens) ص/٢١٥. لندن ١٩٦١م.

الأصنام شائعة بفارس (١).

٢- ذكر الفردوسي في الشاهنامة كلمة « بغداد » في حين انه نظم أحوال كخسرو و فريدون و اردشير بابكان الذين سبقوا انوشيروان العادل (٢).

٣- لا يوجد في أحوال انوشيروان ذكر « بغداد » في الشاهنامة للفردوسي . لم يدع الفردوسي ولا المؤرخون الآخرون ان انوشيروان كان يعدل بين رعاياه في بستان واقع على مسافة ٢٥/ميلاً من (طيسفون) عاصمة فارس (٣).

٤- لا توجد إشارة إلى بستان انوشيروان حتى في المصادر الفهلوية (الفارسية القديمة) والسريانية (٤).

٥- وكان حمد الله القزويني أول من ادعى في كتابه « نزهة القلوب » الذي ألفه سنة ١٣٣٩/٤٠م إنها أسست « بغداد » بأمر انوشيروان وهي فارسية الأصل (٥)

٦- وطبقا لعبد العزيز والأصمعي والجواليقي وغيرهم ان كلمة « بغداد » مركبة من « بغ » (الإله أو الصنم) و « داد » (العطية) ولا من « باغ » (البستان) و « داد » (العدل) (٦).

٧- إلى جانب علماء العربية ومؤرخيها فإن علماء الفارسية أيضاً يرون أن كلمة « بغ » معناها « الإله » أو « الصنم » وقد استعملت هذه الكلمة في نفس المعنى حتى في « اويستا » والكتابات المنقوشة التي تنتمي إلى عهد الهخامنشيين . و يضيف البروفيسور الصديقي قائلاً ان كلمة « بهاغ » (Bhag) في الكلمتين السنسكريتين « بهاغوان » (Bhagwan) و «بهاغوات » (Bhagwat)متماثلة بها (٧) .

من المتعذر أن يقال القول الفصل بخصوص كيف أصبح هذا الموضوع أن يعرف « ببغداد » يبدو ان أحداً من عبده « بغ» لعله حصل على هذه القطعة من الأرض عطية من بعض ملوك فارس وسماها باسم « بغ » (الإله) اعترافاً بكرمه فاشتهرت ببغداد.

---

(١) مقالات الصديقي . ص/١٣٢ . (٢) نفس المصدر . ص/٦-١٢٥ .
(٣) نفس المصدر . ص/١٢٧-١٢٩-١٣٠-١٣١ .
(٤) نفس المصدر . ص/١٢٩ . (٥) نفس المصدر . ص/١٢٧ .
(٦) نفس المصدر . ص/١٣٦-١٣٧-١٣٨ . (٧) مقالات الصديقي . ص/١٣٥-١٣٩-١٤٠-١٤٣ .

بين اعلام بناء ، واعلام سلبي

واضح رشيد الندوي

إن المتصفح للصحافة الإسلامية والمتتبع لأخبار العالم الإسلامي يصادف إتجاهين مختلفين ، أحدهما يبعث على التفاؤل ويبشر بخير ، ويثلج صدور المؤمنين ، وآخرهما يثير القلق ، والاهتمام ، ويحدث الشعور بالخيبة ، والقنوط بمستقبل المسلمين ومصيرهم في العالم ، فيخرج القارئ ، للصحف ، والمستمع للاذاعات ، الإسلامية ، بانطباعين مختلفين ، انطباع الرجاء ، والأمل ، والطمأنينة ، وانطباع اليأس ، والتشاؤم .

إن هذه الثنوية في الانطباع نتيجة لتصوير الصحافة الإسلامية للأحداث في العالم تصويراً ثنائياً ، فهي تصور ، صور شقاء المسلمين في مختلف أنحاء العالم ، وتعرض معاناة المسلمين عرضاً مخوفاً بطريق يبدو للقارئ أن المسلمين في ذلك المكان يواجهون الإبادة ولا أمل في خروجهم من هذه المحنة المحدقة بهم ، وتفخم خطط أعداء الإسلام والمسلمين ، وتكشف الأسرار بطريق مهيب ، يجعل المسلمين لقمة سائغة وفريسة سهلة ، وتستخدم في هذا الوصف الأسلوب الخطابي وتدعم الوصف اللفظي بالصور الفوتوغرافية التي تلتقطها وكالات الأنباء الأجنبية لتصوير بؤس المسلمين ، وشقائهم لاعطاء صورة سيئة لهم ، والاستخفاف بهم ، وهي طريقة للأزدراء والاستهانة

بجماعة أو طبقة ، فإن عرض مسلم في حالة فقر شديد ، في أطمار بالية ، بعظام واهنة ، كالمتسولين ، أو في حالة صراع فيما بينهم ، يقتل بعضهم بعضاً ، أو تصوير مجتمع مسلم في حالة تخلف وعرض ما يحيط به من قذارة ، وعفونة ، لا يدل على عاطفة رحمة ، أو يشير إلى الحرص على معونة المصابين ، بل يدل عادة على محاولة الحط من شأنهم وتخفيض مكانتهم واهدار كرامتهم ، وقد فعل ذلك الاعلام الغربي ، في عهد الاستعمار حينما عرض الحياة في العالم الإسلامي عرضاً وابرز سوءات المجتمع الإسلامي ، وعرض الحياة في العالم الأوربي عرضاً زائنا تقبل عليه النفوس فأوجد بذلك كراهية المجتمع الإسلامي وتفوق المجتمع الأوربي ، وقبلت النفوس المريضة هذه العقلية فنشأ جيل من الكتاب في العالم الإسلامي وألف القصص والروايات لتثبيت هذه الصورة ، التي تحمل القارئ على الشعور بأن كل فساد يوجد في المجتمع الإسلامي وكل خير يوجد في المجتمع الأوربي ، كما يعتقد عن التاريخ الإسلامي ، أنه تاريخ الصراعات والإكراه والاستبداد ، لأن الكتاب في التاريخ ينظمون الوقائع المتشتتة والأحداث المتفرقة في الأزمان المختلفة ويكونون منها صورة ، وفي الوقت نفسه يربط عصر أوربا الحديث بعصر أوربا قبل عهد الظلام ويحذف عهد الظلام الذي يمتد إلى ألف سنة وبذلك يظهر عهد الازدهار متواصلا ، ويشطب ما ارتكب خلال القرون الوسطى من جرائم ، وما حدث فيها من صراعات ، وحروب ، وما سفك فيها من دماء وما نشأت فيها من خصومات عقدية ، و مذهبية ، و ما كان يسوده من تخلف .

إن هذا المنهج في عرض الواقع لا يأتي إلا بصورة جانبية ، ومن المؤسف أن الكتاب والمحللين في العصر الحاضر في العالم الإسلامي ، الذين يعتمدون على وكالات الأنباء الأجنبية ، يقعون فريسة لوسائل

التوجيه المضلل الغربية .

يقرر هذا العرض في النفوس فكرة عدم الاستقرار والصراع في العالم الإسلامي ، وفي المجتمع الإسلامي ويفخم مشاكل المسلمين ، ويظهرهم كعنصر عدم الاستقرار والاضطراب في العالم وانهم يستنزفون قوى العالم ويصرفون اهتمامه إليهم ، ويشغلونه بحل مشاكلهم وقد أشار إليه الرئيس الأمريكي السابق نكسن أن شيئين يخضان بالمسلمين حبهم للإسلام ، وعدم الاستقرار .

ويفوت هؤلآء الكتاب أن يبحثوا عن أسباب هذه المشاكل ، ويشخصوا العناصر التي غرست هذه المشاكل والأيدي الخفية المحركة وراءها ، ولو بحثوا ذلك لوجدوا أن النظم والمؤسسات الغربية ، والوكالات الأجنبية عاملة متحركة ، وأن معظم هذه القضايا ترجع إلى تخطيط الاستعمار الغربي ، وانهم عندما يصورون هذه المعاناة يجب عليهم أيضاً ، أن يتعمقوا في البحث عن أسبابها ، ومصدر الشقاء فإن هذه الأسباب والمصادر إذا بقيت فإن أي معونة مالية ، أو عسكرية لا تغير الواقع ، بل تجعل المسلمين متعودين عليه وتحملهم على الفكر بأن هذه القلاقل هي ظاهرة العالم الإسلامي .

إن الذي يقرأ التقارير عن معاناة المسلمين لا شك أنه يأخذ فكرة عن معاناتهم ويحزن عليهم وتوجد فيه عاطفة لمعونتهم ، سواء كان في موقف المعونة والعطف أم لم يكن قادراً عليه ، ولكن عدم معرفة أسباب هذه المعاناة وعدم الوقوف على العناصر التي ولدت هذه القضايا ، وموقف القوى المختلفة ازاء هذه المعاناة ، وعدم معرفة الأصدقاء والاعداء ، لا يثقف ذهنه ولا يؤهله لحل مشاكله ، ولا يوجد فيه القابلية لتجنب هذه العناصر ومعرفة دسائسها .

من الأمثلة التي تدل على هذا التصوير الجانبي ، ما يحدث في أفغانستان ، فإن القارئ المسلم يقرأ أخبار الخلافات بين مختلف فرق

المجاهدين . وحدوث اشتباكات بينهم فيأخذه اليأس أن الذين جاهدوا في سبيل الله . وقدموا تضحيات جسيمة وكانوا متعاضدين فيما بينهم ومتكاتفين رغم انتماءهم إلى قبائل مختلفة . يتناحرون الآن وقد قامت الصحافة الإسلامية بتفخيم تقارير القتال بين القبائل . ومعظم هذه التقارير كانت بدون أساس وكانت من ترويج العناصر التي لم تكن مرتاحة بانتصار المجاهدين . وقد كان من واجب كتبة هذه التقارير أن يحددوا العناصر التي تكب علي غرس الخصومات بين هذه الفرق . وتبرز الانتماءات والولاءات الأقليمية والقبلية . وتبث الشكوك والشبهات في النفوس وتختلق الأخبار . ولو فعلوا ذلك لكانت هذه التقارير الموضوعية والاستطلاعات تفيد في توجيه الذهن . ولأحدثت استعداداً لفهم القضية . وكانت دليلا إلى حلها .

وكذلك الأحداث المؤلة في البوسنة والهرسك . إنها كانت فرصة غالية لإدانة القوى الكبرى التي لا تريد أن تكون للمسلمين دولة في أوربا . فهي تتعاطف في الظاهر مع المنكوبين لكنها تقدم كل معونة إلى الذين يحاربون المسلمين . فإن هذه الدولة الصغيرة التي تمزقت وسقطت لافتتها التي كانت توحدها وهي في معاناة . لم تكن تقدر على القيام بهذه المغامرة وتستخدم جميع وسائلها الدفاعية والاقتصادية في الحرب . وتواجه العالم كله لولا أنها تستند إلى قوى العالم الكبرى . فكان من واجب الإعلام الإسلامي أن يكشف قناع هذه القوى المتآمرة . والتي تعوق الوصول إلى حل للقضية .

ومن الأمثلة الأخرى قضية الصومال والسودان فيقرأ القارئ الصدامات بين العناصر المختلفة وسفك دماء المسلمين . ويوجد انطباع في ذهنه ان المسلمين يتنازعون فيما بينهم وأن الإسلام عاجز عن توحيد صفوفهم . وحل مشاكلهم . لكنه إذا تعمق في أسباب هذه الأحداث المؤلة عرف أن الوضع مفروض عليهم . وانهم موجهون

إلى هذا الوضع ، ومدعمون من العناصر الأجنبية التي لا تريد أن تهدأ الظروف في العالم الإسلامي ، فتحدث فتنة أثر فتنة وتدعمها بالمال والسلاح .

إن الدول الإسلامية الشرعية تجد صعوبات في الحصول على اسلحة ولكن هذه القبائل المتحاربة من المسلمين تتدفق عليهم الأسلحة وتنهال عليها . فمن أين تأتي هذه الأسلحة ومن يخطط لهم القتال ويقودهم . انه سؤال يجب أن ينشأ في قلب كل باحث .

كذلك قضية الآيات الشيطانية ، إن العالم يعرف ثورة المسلمين وهياجهم . فيقول بعض أصحاب الفكر الحر أن هذا الانفعال يتنافي مع حرية الرأى ويتهم المسلمون بضيق الفكر . والإكراه الديني . ولكن يجهل العالم ما هي العناصر الحقيقية وراء تأليف هذا الكتاب وما دفع الكاتب الشيطاني إلى اختيار هذا الموضوع ، هل هو بحث علمي أم هو عمل مدفوع بمصالح ودوافع غير علمية . وبالأصح دوافع شيطانية .

في خلفية هذه الصورة القاتمة لأوضاع المسلمين في العالم ، ومعاناتهم و شقائهم يقــرأ القارئ أخباراً صغيــرة لاعتناق بعض العمال ، والعلماء للإسلام ، ونشاطات بعض الحركات الإسلامية ، والنشاطات الإسلامية ، ما يبعث على تفائل ، ولكن هذا التفاؤل يتصاغر أمام التشاؤم الذي يتصاعد بمعاناة المسلمين .

إن الاعلام في حاجة إلى توازن في عرض المكاسب والنكسات ، واتخاذ موقف جدى تحليلى لكلا الموضوعين ، إن الاعلام لا يعني التغطية ، بل انه يعني تغطية الأحداث وخلفياتها ، وأسبابها وعواملها ، وهذا هو الفرق بين إعلام العدو ، وإعلام الصديق ، فالأحداث واحدة ، والزوايا التي تتناول بها هذه الأحداث تختلف .

::::::::::::::::::::::::::

إلى رحمة الله :

العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي

بقلم : الشيخ بدر الحسن القاسمي

بوفاة العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي في منتصف شهر رمضان الماضي عن عمر يناهز ٩٣/عاماً انقرض من شبه القارة الهندية جيل العباقرة واعلام المحدثين والعلماء الموسوعيين الذين نذروا حياتهم لخدمة العلم وعكفوا على إحياء كنوز السنة ونشر علوم الحديث النبوي الشريف بعيدين عن زخرفة الدنيا باذلين كل غال ونفيس في سبيل الدين والعلم بغاية من التفاني وروح الاخلاص .

لقد كان حبيب الرحمن الأعظمي آخر لؤلؤة من عقد تناثرت حباته ونجما لامعاً في كوكبة من الشيوخ الاعلام الذين نبغوا في علوم الحديث النبوي الشريف في بداية هذا القرن .

ولا يخفى ما لعلماء الهند من دور ريادي في العناية بعلوم السنة المطهرة تدريسا وتأليفاً . يقول العلامة رشيد رضا منشئ مجلة « المنار» مشيدا بهذا الدور في مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة :

« ولولا عناية اخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من امصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر » .

كان حبيب الرحمن الأعظمي نابغة عصره في علوم السنة المطهرة وحلقة من سلسلة الذهب التي تتكون من الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي والإمام المحدث ولي الله الدهلوي والعلامة الجهبذ محمد أنور شاه الكشميري والشيخ المحدث عبد الحي اللكنوي والشيخ النواب صديق حسن خان والعلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري . والشيخ العلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي والعلامة المحدث محمد يوسف

البنوري وكلهم معروفون بمؤلفاتهم النادرة في علوم الحديث وشروح الصحاح والسنن .

ولد حبيب الرحمن الأعظمي في بلدة « مئو » من مديرية أعظم كراه في الهند سنة ١٣١٩هجرية وتلقى العلم في مئو ، وبنارس ، وديوبند . وأخذ علم الحديث النبوي الشريف عن أئمة هذا العلم وجهابذة عصره وعلى رأسهم العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري - الذي يقول عنه محمد إقبال لم تشهد القرون الخمسة الأخيرة مثله في قوة الذاكرة وغزارة العلم - والشيخ المحدث عبد الغفار من تلامذة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ كريم بخش السنبهلي ونبغ في الحديث وعلم الجرح والتعديل .

ومنذ عام ١٣٤٠هـ تولى التدريس وظل فترة طويلة شيخ الحديث في جامعة مفتاح العلوم وبعد الحاح من الشيخ أبي الحسن علي الندوي قبل منصب شيخ الحديث في دار العلوم ندوة العلماء لمدة عام ثم استقال وتفرغ لإحيــــاء كتب التــراث و نشر علوم السنــــة و تحقيق كنوزها وترك عشرات من الكتب التي لا غني عنها لباحث ودارس في هذا العلم الشريف .

فقد حقق « كتاب الزهد والرقائق » لابن المبارك . وكتاب المطالب العالية للحافظ ابن حجر وقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت بنشرها في أربعة مجلدات . كما حقق كتاب مسند الحميدي في مجلدين . وكتاب « سنن سعيد بن منصور» في مجلدين و «كشف الاستار عن زوائد مسند البزار» في أربعة مجلدات وأجزاء من المصنف لابن أبي شيبة . والكتاب الموسوعي العظيم المصنف للإمام عبد الرزاق الصنعاني في أحد عشر مجلدا .

وجميع هذه الكتب متداولة بين أهل العلم وستبقى خالدة - باذن الله - في أيدي رواد علوم السنة والباحثين عن كنوزها وذخرا لمن قام بإحيائها والتحقيق والتعليق عليها وانقاذها من الضياع في مكتبات الشرق والغرب .

وهناك كتب ورسائل أخرى للأعظمي لم تر النور بعد ومن أهمها : الحاوي لرجال الطحاوي ، والاتحافات السنية ، وكتاب الثقاة لابن شامين وكتاب التوسل للفتني وكلها باللغة العربية إلى جانب تكلمة الرسالة التي تنسب إليه باسم « الالباني اخطاؤه وشذوذه » .

أما الكتب التي ألفها بالأردو فمن أهمها : نصرة الحديث في الرد على منكرى السنة ، وأعيان الحجاج ، وركمات التراويح ، والاعلام المرفوعة .

وجميع مؤلفاته تدل على سعة اطلاعه ودقة فهمه ، وبراعته في التعقيب وقوة حجته .

وقد اعترف بفضله وشهد له بالنبوغ كثير من اعلام عصره وعلى رأسهم العلامة المحدث الكبير أحمد محمد شاكر حيث إنه لما أصدر مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيقه العلمي الرصين فبادر العلامة حبيب الرحمن الأعظمي بالتعقيب عليه وإبداء الملاحظات على بعض تعليقاته وقد جاءت تلك الملاحظات في أكثر من ثلاثين صفحة ولم يكن الشيخ أحمد شاكر يعرف الأعظمي غير أنه لما لاحظ دقة نظره فيما سجل من تعقيبات ادرك طول باعه وسعة اطلاعه فتقبل تلك الملاحظات وجعلها جزءاً من كتابه مشيداً بالأعظمي ومعترفاً بدقة رأيه وصحة تحقيقاته في معظم التعليقات .

يقول العلامة أحمد محمد شاكر المحدث المصري الجليل متحدثا عن ملاحظات الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي على كتابه :

« ثم جاءني كتاب من أخ علم كريم لم يكن لي شرف معرفته من قبل وقد عرفت من كتابه فضله وعلمه وتحققه بالبحث الدقيق » .

و وفاء بوعدي وسرورا بما جاء في ابحاثه الدقيقة سأثبت نص كلامه منسوبة إليه بقولي : قال الأعظمي : بعد تمحيص كل منها وتحقيقه فما كان موافقا لما انتهى إليه بحثي لم أعقب عليه اقرارا بصواب ما ذهب إليه واعترافا بفضله ، وما كان لي فيه رأي يخالفه – وهو قليل – عقبت عليه بما أراه صوابا ، ويكرر الشيخ أحمد محمد

شاكر في كثير من المواضع : « والصواب ما ذهب إليه العلامة الأعظمي ، تحقيقه نفيس جداً » وغيرها من كلمات الإشادة والاعتراف بالفضل للأعظمي . (راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر، ج/١٥ –ص/٢٥١–٢٨٦) .

ويقول العلامة المحدث عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني مشيدا بتعليقاته على مسند الحميدي : « تعليقاته تنبئ عن وفرة علم ، وجودة فهم ، ودقة نظر، وحسن اختيار» .

ويقول العلامة الفقيه أبو الوفا الأفغاني : « العلامة الحبيب اللبيب وجدته ماهرا في علوم السنة حاويا لها قل نظيره في زماننا » .

لقد كانت حياة الأعظمي تذكر بعصر السلف الاقدمين فقد ظل الرجل على غزارة علمه وسمو مكانته عازفا عن أساليب التشهير والدعاية بسيطا في مظهره رافضا المناصب قابعا في بيت علمه في بلدة صغيرة وبيت متواضع مكبا على كتب نوادر المخطوطات وبدائع المؤلفات من كتب الحديث النبوي الشريف حريصا على إبراز مكنونه وكشف مضمونه .

و لو لا بدائع صنع الله ما نبتت
تلك الفضـــائل في لحم ولا عصب

فرحمه الله رحمة الابرار وتغمده بواسع مغفرته ورضوانه وتقبل أعماله في خدمة سنة حبيبه المصطفى ﷺ .

++

الشاعر المؤمن .. عمر بهاء الأميري

عمر بهاء الدين الأميري لم يكن شاعراً مجيداً طبق الآفاق بمواهبه الشعرية المبدعة ، وعواطفه الإيمانية الجياشة ، وبراعته اللغوية الفائقة فحسب ، بل كان مفكرا إسلاميا ، وكاتباً قديراً ، ورائداً من رواد الجيل الإسلامي المعاصر ، ورمزا للثقافة العربية الإسلامية الأصيلة وخبيرا في شؤون الثقافة والحضارة الإنسانية عن جدارة واستحقاق .

ولد الأميرى عام ١٩١٥م في مدينة حلب الشهباء وبعد الثانوية في

الآداب والفلسفة درس الحقوق في الجامعة السورية بدمشق ثم اكمل دراسته العليا في الآداب وفقه اللغة في جامعة سوربون في باريس عاصمة فرنسا .

عاش فترة كأستاذ في علوم الاجتماع والاخلاق والحضارة في حلب ودمشق وساهم في انطلاقة العمل الإسلامي بفعالية ، وشارك في الدفاع عن القدس خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨م .

عين سفيراً لسوريا في المملكة العربية السعودية كما قضى فترة من الزمن في باكستان يمثل بلاده كسفير ، واستأنس باشعار محمد إقبال وأفكاره وتعلم اللغة الأردية للتذوق والاستفادة من شعر محمد إقبال وأدبه .

دعي في عام ١٩٦٦م أستاذاً يكرس الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسينية بالرباط (قسم الدراسات العليا للدبلوم والدكتوراة بجامعة القرويين) كما ظل يدرس مادة الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس واختار المغرب كوطن دائم له ، فاستقر هناك تاركا مسقط رأسه عمل كأستاذ زائر ومحاضر في معظم جامعات المملكة العربية السعودية والأزهر. وجامعة الجزائر وجامعات الكويت وصنعاء والأردن وقطر والامارات العربية المتحدة اضافة إلى جامعات باكستان وتركيا واندونيسيا ، وكان عضوا في المجمع العلمي ، والمجمع الملكي ويشارك في الندوات العلمية والمناسبات الأدبية في أنحاء العالم المختلفة .

ترك الأميري آثارا خالدة في الفكر والشعر والأدب وقد ترجم بعض انتاجه الأدبي والفكري إلى اللغات الغربية كما كان شعره موضوع عدد ، من الاطروحات الجامعية في الجامعات العربية والأوربية ، ومن اشهر دواوين الأميري الشعرية : (مع الله) و (الوان طيف) .

وإلى جانب استاذيته في اللغة العربية كان يجيد عمر بهاء الأميري من اللغات : الفرنسية ، والتركية ، والأردية مع المام ببعض اللغات الحية الأخرى .

كان الأميري يتميز بفكره الإسلامي النير وروحه الدينية الوثابة، وإحساسه الإنساني المرهف، وعاطفته الإيمانية القوية.

إن ديوان شعره (مع الله) نموذج فريد ورائع للأدب الإسلامي الرفيع والشعر العذب السلسال، وان قصائده الشعرية تنم عن مقدرته الفائقة على قرض الشعر وامتلاكه ناصية اللغة وان روحانيته الفياضة كانت قد أضفت على حياته قدسية وصفاء وان شفافية قلبه قد حولت أبيات شعره المطبوع الأصيل إلى ترانيم روحية وروائع آيات الابتهال تأخذ بمجامع القلوب وتأسر العقول وتتدفق بالحيوية والعذوبة وتجعل الإنسان يرددها آناء الليل وأطراف النهار. وهي خير زاد لاذكاء النفوس والقلوب. والهاب الشعور والوجدان في عصر طغت فيه المادية الجامحة. ولله در الأميري حيث يقول:

تبلد في الناس روح الكفـــاح	و مالوا لكسب و عيش رتيب
فيـارب انقذ فتى عـانيـا	تضرع في جوف ليل رهيب

لقد انتقل هذا الشاعر العبقري الفذ، والمجاهد الدؤوب والإنسان المؤمن بعد حياة حافلة بالامجاد والمآثر إلى جوار ربه، ووسائل الاعلام العربي وحتى المجلات الإسلامية التي كانت تتسابق إلى الاقتباس من نوره، وإجراء الحوار معه وتعتز بنشر أفكاره، في حالة غيبوبة تامة وكان قد نقل من المغرب إلى الرياض أثر مرض ألم به حيث وافته المنية في السادس والعشرين من أبريل الماضي ألم يكن من حق هذا الشاعر المفكر المثقف المؤمن أن ينوه به؟ وتذكر مآثر أعماله وروائع انتاجه؟

فإلى جنة الخلد - إن شاء الله - في قافلة من نوابغ الشعر الإسلامي حسان بن ثابت وكعب بن زهير، ومحمد إقبال الذين سخروا مواهبهم الفنية لخدمة الإسلام وحملوا راية الإسلام ودافعوا عنه في غيرة وعزة وحماسة واخلاص.

رحم الله الشاعر المؤمن عمر بهاء الدين الأميري وأسكنه فسيح جناته وتغمده برحمته ورضوانه وما ذلك على الله بعزيز.

الشيخ عبيد الرحمن الشيرواني في ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله تعالى في شهر ذي القعدة ١٤١٢هـ السري الفاضل الشيخ عبيد الرحمن خان الشيرواني الذي كان من كبار وجهاء الهند . و قد شغل منصب رئاسة الوزراء لإمارة حيدر آباد (الهند) إلى مدة . وكان من أصدقاء مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف لحكومة الهند سابقاً .

اختير السري الفاضل الشيخ عبيد الرحمن الشيرواني عضواً للمجلس التأسيسي لجامعة عليكراه الإسلامية في عام ١٩١٨م فكان وطيد الصلة بهذه الجامعة إلى آخر أيام حياته شغل منصب محكمة الجامعة ولجنتها التنفيذية . ومنصب أمين الصندوق مرات عديدة . وشغل منصب نائب رئيس الجامعة أربع مرات . ومنصب رئيس الجامعة الإسلامية في الأخير .

كما كان له باع طويل في سياسة البلاد واختير عضوا للمجلس التشريعي لولاية اترابراديش وظل عضو اللجنة المالية والحسابات الشعبية لحكومة اترابراديش كذلك .

أما علاقته العلمية والدينية بالأوساط الثقافية والعلمية فهي غنية عن التعريف . حيث إنه رغم ارتباطاته الواسعة بالأوساط السياسية والاجتماعية . كان من أهم أعضاء اللجنة التنفيذية لندوة العلماء . واللجنة الاستشارية لدار العلوم ديوبند . واللجنة التنفيذية لمجمع دار المصنفين بمدينة أعظم كراه . وغيرها من المراكز العلمية والثقافية في الهند .

كان شديد الاهتمام بمتابعة أعمال وتقدم ندوة العلماء في المجال العلمي والثقافي . فيحضر في جلسات المجلس التنفيذي بغاية من

التأكيد والحرص ، يسهم في مداولاته بتجاربه الواسعة . وينظر إلى ندوة العلماء كمؤسسة علمية دينية ثقافية تتكفل بحاجات الشعب المسلم ، و كان يراها مفخرة في جبين التاريخ العلمي والديني في هذه البلاد .

عقدت حفلة عزاء له في مسجد دار العلوم ندوة العلماء برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان يتصل به الفقيد بروابط علمية وأسرية ويحبه حباً جماً . وقد ألقى سماحته ضوءاً لامعاً على هذه الصلة الكريمة فقال :

إن أسرة الشيرواني لم تزل لها صلة عميقة مخلصة بحركة ندوة العلماء منذ قرن كامل ، لم يرتحل حبيب الرحمن الشيرواني إلى رحمة الله الواسعة حتى عين نجله الكريم عضو المجلس الإداري لندوة العلماء ودار المصنفين . فكان يساهم - رحمه الله - في حفلات هاتين المؤسستين بشيء كثير من الاهتمام والعناية . وكان يحاول - بصورة دائمة - الإفادة بما وهب من تجارب واسعة مفيدة وصلاحيات عديدة ، كان النواب المغفور له متشرعا مخلصاً للدين والملة صاحب مبدأ ، وكان يملك ذهناً تربوياً يتدفق بعاطفة المواساة والمواخاة والنصيحة .

وأضاف قائلاً : « إن الملة فقدت - مع الأسف البالغ - بوفاة عبيد الرحمن خان الشيرواني علماً من الأعلام ورجلاً مخلصاً كان وقف حياته كلها لحل مشاكل الأمة وشئونها المختلفة مستغنياً عن الجاه والمنصب والصيت الكاذب ، والمصالح الشخصية الذاتية .

تركزت العناية والاهتمام البالغ في إيصال الثواب إلى روح الفقيد - تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته - وتمت الموافقة على تقديم العزاء القلبي إلى أعضاء أسرته وجدير بالذكر منهم نجله الكريم الدكتور رياض الرحمن خان الشيرواني وإلى أبناء أسرته كلهم .

وانتهت هذه الحفلة العزائية على دعاء سماحة الشيخ الندوي ...

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

الشيخ جميل أحمد الندوي رحمه الله

فوجئت أسرة ندوة العلماء بوفاة الشيخ جميل أحمد الندوي العضو المساعد في إدارة ندوة العلماء ، والمسئول عن نشر وطبع مجلة البعث الإسلامي في ليلة السادس من شهر ذي الحجة ١٤١٢هـ (المصادف ٨/من شهر يونيو ١٩٩٢م) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ جميل أحمد ذا صلة قديمة بمكتب إدارة ندوة العلماء الرئيسي ، فكان يعتني بانجاز الشئون الإدارية والقانونية بغاية من الاهتمام و الجد ، و يشعر بمسئوليته العملية في كل عمل كان يوجه إليه ، إنه قضى مدة طويلة في وظيفته تتجاوز خمسين سنة قام خلال ذلك بأداء واجبه بكل أمانة ودقة ، وحتى قبل وفاته بيوم .

كان يتميز بالتواضع ، والمروءة ، ويفرح بإنجاز الأعمال ، ويساعد الناس في مشكلاتهم الإدارية ، فقد كان ذا معرفة كبيرة بلوائح وقواعد الإدارة ، ويقدم اقتراحاته في الشئون العامة التي كانت تتعلق بأقسام وشعب ندوة العلماء المختلفة ويعرضها على رئاسة الإدارة .

لقد عم الشعور بفراغ ، إثر وفاته ، وساد الأسف والحزن على جميع أوساط وأقسام ندوة العلماء .

كان يتجاوز السبعين من عمره ، ولكنه مع ذلك كان ذا نشاط ملحوظ في أداء أعماله ، جزاه الله عن خدمــــاته خير جزاء وأكرم مثواه ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

لقد صلى عليه سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء مع حشد من طلبة وأساتذة دار العلوم ، والمسئولين عن مكاتب إدارة ندوة العلماء ، ممن شيعوا جثمانه إلى مثواه الأخير ، وقاموا بتقديم العزاء إلى أهله وأقاربه ، رحمه الله رحمة واسعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشــأهــا :

فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المــــراسلات :

البعث الاسلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص.ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P.O. Box 93. Lucknow(INDIA)

في هذا العدد

الافتتاحية :

ندوة العلماء ، بين الأمس واليوم

استكملت ندوة العلماء – والحمد لله – مائة عام من عمرها . ودخلت الآن في القرن الثاني بمشيئة الله تعالى ، تمثلت خلال هذه المدة كحركة فكرية دعوية أحدثت ثورة في طريق التفكير السائد في أوساط العلماء والمثقفين حول العلم والثقافة وفي مناهج التعليم والتربية التي كانت تتارجح بين الجمود والجحود ونقلتها إلى جو فسيح وهواء طلق من المبدء الوسط ، فكانت ندوة العلماء هي أول مؤسسة فكرية نادت لأول مرة بإدخال التطوير والتعديل ، في المناهج التعليمية حسب متطلبات العصر وفي ضوء الحضارات والفلسفات الحديثة ، وهيّأت العقول للخروج من حصارها المزعوم إلى عالم أفسح وفكر أوسع ، وذلك مع الالتزام الكامل والشديد بتعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية والتمسك بالعقائد الأساسية في كل رؤية لها علاقة بأي جانب حيوي وفكر اجتماعي .

ندوة العلماء دعت إلى الفكر الإسلامي الصحيح والمنهج الوسط في شئون العلم والدين والحضارة والاجتماع ،وقامت بدورها الرائع في مجال تفجير طاقات الأمة ووضعها في بناء المستقبل المضمون للحياة الإنسانية على جميع المستويات ، وبالتالي بناء الحضارة الإسلامية التي تغطي جميع مطالب الفرد والجماعة والعلاقات بين الله والإنسان وبين الإنسان والإنسان ، وتعين موقفه من الدنيا والآخرة في ضوء الشريعة والعقيدة .

بهذا الدور الريادي والفكر الأصيل تقدمت ندوة العلماء إلى جميع الأوساط العلمية والدينية والثقافية والدعوية في الهند والعالم الإسلامي كله ، وأثبتت بذلك شجاعتها الإيمانية التي دفعتها إلى الصدع بالحق والجهر بالواقع ، والدعوة إلى الوقوف من واقع الحياة موقف القصد والاتزان ، من غير انحياز إلى التقليد الجامد في شئون العلم والدين ، أو تجاوز عن الخط السليم العادل والركون إلى كل جديد طريف من الثقافة والحضارة يستورد من الغرب ، مع النظر إلى الدين وأهله بشيء من الازدراء .

هذا بالأمس ، أما اليوم نعد عم الشعور في جميع الطبقات والمجتمعات الإسلامية بغناء ندوة العلماء وفكرتها ، وأصبح الذين كانوا يعارضونها ويرونها بدعة في العلم وانحرافاً عن جادة « السلف » ينسجمون معها اليوم ، ويرون أنها

حاجة الجيل وغاية كل مسلم يريد أن يبني حياته على أسس ثابتة من الإيمان والعلم والسلوك، والمعرفة، ويجمع بين خيري الدين والدنيا، ويمثل في حياته جمعاً متوازناً بين حسنة الدين وحسنة الآخرة، فيكون في عداد أولئك الناس الذين يقولون: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار﴾.

ندوة العلماء اليوم قطعت شوطاً بعيداً في مجال العلم والدين والدعوة والفكر السليم، وفي إعداد العقول لمواجهة الأفكار الهدامة وتزييفها بالحجة والبرهان، ونجحت – والحمد لله – في القضاء على الأسلوب الاعتذاري والسلوك الانهزامي أمام التيارات الحضارية التي أفرزتها الفلسفات المادية، ووجهتها إلى المجتمعات والدول الإسلامية، ومنذ أن تمتعت ندوة العلماء بقيادة العالم البصير و الداعية و المفكر الإسلامي الكبير سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (حفظه الله تعالى) ارتفع مستواها الفكري والتوجيهي بشكل ملموس، وتمثلت في المنتمين إليها والمتخرجين من مناهجها التعليمية كفاءات علمية وعملية أثارت فيهم الغيرة على الدين والحماسة لأداء واجب الدعوة ومسئولية القيادة الفكرية في قطاعات الأمة المختلفة، بالجمع المتوازن بين العلم الواسع والإيمان الراسخ.

ومن أجل ذلك فقد استقطبت ندوة العلماء اهتمام العالم الإسلامي كله، وعرفت في كل مكان بمزاياها الواقعية مما جعل الناس يحرصون على الانتماء إليها وتبنّي فكرتها في شئون التوجيه والدعوة، ومناهجها الدراسية والفكرية في مجال التعليم والتربية.

أما منجزاتها في تزييف الحضارات المادية ومواجهة التحديات الحضارية، فذات قيمة وأهمية كبيرتين، ولقد كان لتوجيهات العلامة الندوي ومؤلفاته التي تشكل مكتبة إسلامية فكرية بكاملها، دور ريادي في كشف المؤامرات التي تدبر في الظلام، وبيان الفجوات والثغرات في حياة الأمة وطرق معالجتها بالعلم والحكمة، وتفنيد الأفكار والفلسفات المادية، وتأكيد حاجة الإنسان إلى الإسلام وشريعته الخالدة في كل جيل وعصر.

من هنا نستطيع أن نقول: إن ندوة العلماء ليست مدرسة تعليمية فحسب، بل إنها حركة فكرية دعوية شاملة، تركز على بناء حياة الإنسان، وتعيين موقفه من الكون وما فيه من آثار وآيات.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل..

سعيد الأعظمي

الحاجة إلى التركيز على جانب حاسم
و مقاومة فتنة متحدية في مجال الدعوة و الإصلاح ، و أمثلته من تاريخ الفكر والدعوة الإسلامية

[هذه كلمة قيمة في تاريخ الدعوة والفكر الإسلامي ، ارتجلها سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، بمناسبة افتتاح العام الجديد للمعهد العالي للدعوة و الفكر الإسلامي بجامعة ندوة العلماء ، وذلك في ١١/محرم١٤١٢هـ . و قد حضر الكلمة و استمع إليها نخبة وجيهة من طلاب دار العلوم وأساتذتها ، وخاصة الطلاب الوافدين الذين يدرسون في مختلف الكليات ومراحل التعليم ، بالجامعة ، و وجه سماحته خطابه نحوهم بوجه خاص .
نهديها إلى قرائنا الكرام تعميماً للنفع] [التحرير]

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد !

فأحمد الله تعالى على هذا اللقاء الذي جاء في أوانه ومكانه ، واستطيع أن أقول لكم انه إن تأخر عن أوانه فقد جاء في مكانه ، ولا يزال في مكانه ، واعتبره لقاءاً أبوياً ، أخوياً ، مدرسياً عائلياً ، توجيهياً دعوياً ، في وقت واحد ، انه كان من الطبيعي ، ومن المعقول بل من الواجب أن تتكرّر هذه اللقاءات وإن طالت أو قصرت ، وان اختلفت أمكنتها وألسنتها ، فإن هذا الموضوع الذي سألقى بعض الأضواء عليه ، إنه هو العمود الفقري في النظام التعليمي ، والتربوي الدعوي ، الذي تعيشون فيه ، وإن في إمكانه أن يثير فيكم بعض الاهتمام بمعرفة واجبكم ، وما يستقبلكم إذا عدتم - بمشيئة الله

وكرامته- إلى بلادكم .

ما هي التحديّات التي تواجهونها ؟ ما هي العراقيل ؟ ما هي المشاكل ؟ ما هي العقد النفسية السياسية التي تُبتَلون بها ؟ كان من الواجب أن يكون عندكم بعض تخمين أو بعض تقدير للوضع الاجتماعي ، الديني والسياسي الذي ينتظركم ، ولا بد لكم أن تواجهوه ، وأحمد الله تعالى على أنه أتاح هذه الفرصة الكريمة للجلوس معكم والحديث إليكم .

إخواني ! إنكم تعرفون أن الدعوة هي رسالة الأنبياء عليهم السلام جميعاً من أولهم إلى آخرهم ، وإن الدعوة هي رسالة الأنبياء ووظيفة خلفائهم ، بل تعتبر الدعوة ، نفس الرسالة ونطقها ، إذا تنفست كانت الدعوة ، و إذا نطقت كانت الدعوة ، و إذا سارت كانت الدعوة ، وهي دعوة معينة صريحة مكشوفة ، متفق عليها ، لا جدال فيها ، هي الدعوة إلى الله تعالى ، الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والإيمان بالله والإيمان بالرسل عامة وبالرسول الخاتم خاصة ، والإيمان باليوم الآخر ، والدعوة إلى الفضائل ، والدعوة إلى انقاذ الإنسانية من التردي في هوّة الضلال والهلاك ، فهذه الدعوة متصلة وستظل متصلةً إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها ، وهي لكل عمل إسلامي صعيد وأرضية يقوم عليهـا و هي أساسية ، وهي المبتدأ والمنتهى ، وهذا ما لا شك فيه ، وما زالت هذه الدعوة باقية مستمرة نشيطة مهما تنوع الدعاة في عرضها واختلفوا في طريقتها .

ولكني أريد أن أشير في ضوء دراستي للدعوة الإسلامية ، وتاريخ الديانات والشعوب ، وتاريخ الحضارات والفلسفات ، في هذا الوقت القصير ، أن هنالك فجوات أو ثغرات تحدث في حياة الأمم وفي حياة المجتمعات ، قد حدثت في حياة كل أمة وفي كل ديانة ، وأن لم يُسجّل تاريخها تسجيلا أمينا مفصلا موثوقاً به ، ولكنه من طبيعة البشر ، ومن طبيعة الديانات ، ومن طبيعة المجتمعات البشرية .

وهو أنّ الإنسان حيٌّ نامٍ ، صاحب شعور وصاحب عقلية ، وصاحب تجارب ، وصاحب أهواء وميول وشهوات ، وصاحب غايات وأهداف ، يواجه معارضات وصراعاً نفسياً ، وفي بعض الأوقات صراعاً سياسياً وصراعاً اجتماعياً ، وفي بعض الأوقات صراعاً خلقياً ، فإنه لا بدّ أن تحدث في كل مجتمع – مهما بلغ من العلم الديني ، والصلاح العلمي ، ومن الفضيلة الخلقية مكاناً سامياً – لابد أن تحدث في هذا المجتمع الحي النامي الذي يسعى على قدميه ، وينطق بلسانه ، والذي تحرّكه محرّكات داخليّة وخارجية كثيرة ، قد تكون مفروضة عليها ، وقد تنبع من داخلها ، لابد أن تحدث هناك فجوات أو ثغرات .

ولابد أن تملأ هذه الثغرات والفجوات ، تقتضي ذلك طبيعة الدين وحكمة حامليه وشارحيه ، وتقتضي ذلك الطبيعة البشرية ، ولا يجوز أبداً أن تغفل هذه الفجوات والثغرات ، ويقول الداعية والغيور على الدين ، ما لنا ولهذه الفجوات والثغرات وما الحاجة إلى ملئها والاشتغال بها ؟ مادام الدين هو الدين الكامل ، هو الدين الذي يحتوي عليه كتاب الله العزيز ، والذي وصل عن طريق الحديث وعن طريق الفقه أو عن طريق البحوث العلمية ؟

لا أبداً – إذا بقيت فجوة عميقة ، فجوة حقيقية يصح أن تسمى فجوة ، فإنه يخشى على هذا المجتمع – مهما بلغ من الفضائل الخلقية والتمسّك بالدين – يخشى عليه أن يتردى أو يهوي هذا المجتمع في هذه الفجوة ، فهنالك فجوات وثغرات تحدث ، وهي تطلب أن تملأ وبتعبير أصح أن تردم .

وكذلك هنالك تشكّكات وتساؤلات قد تبلغ إلى حد التحدّيات ، تحدٍّ لصحة الدين تحدّ لإمكان انطباقه في هذا العصر ، تحد لإمكان العمل به ، تحدّ لإمكان القيام به قياماً كاملاً ، هذه التساؤلات (وبالأصح الاعتراضات والتشكّكات) تحدث في حياة كل أمة ، وفي تاريخ كل ديانة ، وهي حدثت وستحدث ، وستستمر حادثة موجودة طارئة في كل

عصر مصر ، فهذه ثغرات وفجوات يجب أن تملأ ، وهذه تساؤلات وتحديات يجب أن يجاب عنها ، ويجب أن تقابل .

وهنالك معارضات كذلك وتناقضات يجب أن تستقبل بعقل واع ، وصبر واسع ، وحكمة عالية ، ونظرة ثاقبة ، هذه كلها من واجبات الدعاة .

وأضرب لكم بعض الأمثلة ، والوقت قصير، لذا أشير عليكم من غير خجل ومن غير اعتذار ، بأن تطالعوا كتابي : « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » فتمرون في أثناء سياحتكم في هذا الكتاب – الذي هو في عدّة أجزاء – بهذه الثغرات الزمنية التي حدثت في تاريخ الإسلام ، وما يتصل بالدعوة الإسلامية .

أضرب لكم مثلا بالإمام الحسن البصري رحمه الله ، فالإمام الحسن البصري هو من كبار دعاة الإسلام، قدّر الله له زماناً – وهو المقدر لما يشاء ومتى يشاء – كانت هنالك حكومة إسلامية ، بل وفقا للمصطلح الجديد امبراطورية ، قوية واسعة ، ومجتمع إسلامي متنوع ، وشريعة واضحة المعالم ، واسعة التفاصيل ، وحديث محفوظ ، كل ذلك كان هنالك متوفراً ، ولكن حدثت هنالك مرحلة جديدة كان يجب أن ينتبه لها ، وإنها جديرة بأن تحدث في كل زمان ومكان ، وهو وجود النفاق ، لم يكن هنالك نفاق عقيدة ، ولكن كان هنالك نفاق خلقي وعملي ، وهو وجود تناقض ما بين التعاليم الصحيحة الإسلامية التي جاءت في القرآن ، وجاءت في الحديث النبوي المتواتر الصحيح ، تناقض بين السيرة الإسلامية المتينة الراسخة ، بين طلب الآخرة والسعي لها ، وإيثارها على المنافع الدنيوية ، والجهد في سبيلها ، وبين انتهاز الفرص التي حدثت لوجود حكومات واسعة غنية ، ذات وسائل وإمكانيات متوفرة ، فقد انهزمت الإمبراطورية الرومية والامبراطورية الساسانية (الفارسية) امام الجيوش الإسلامية والغزو الإسلامي ، واستولى المسلمون على هاتين الامبراطوريتين ، وكانت

هنالك فرص سانحة ، فرص مُغرية كل الإغراء لانتهاز هذه الفرص . لتبوّء المناصب الرفيعة . وتملّك وسائل الرفاهية والشرف بالتزلّف إلى الحكام ومخالفة الضمير والمبدأ .

هذا ما أحدث تناقضا وتفطّن له الإمام الحسن البصري بما أوتي من فراسة إيمانية . وعلم واسع ونظر ثاقب . وبما كان من حظه إدراك عصر الصحابة ودراسة سيرتهم وأخلاقهم . فهو وهب نفسه لمعارضة هذا التناقض الذي حدث في المجتمع الإسلامي الإنساني الناشئ . المجتمع الإسلامي الغني في مواهب وفي طاقات . وفي ذكاء وإمكانيات . كان الواحد منهم يؤمن بالله كما هو بأسمائه وصفاته . ويؤمن بالرسل جميعاً . ويؤمن بالآخرة . ويؤمن بالتعاليم التي جاءت في القرآن . ولكن كان طموحه وما وُهبه من ذكاء . ومقدرة . يغريه بأن ينتهز هذه الفرصة . يذهب إلى الحاكم ويقول مالا يرضاه دينه . ويقول ما لا يتفق مع إيمانه وعقيدته . ولكنه أراد أن ينتهز هذه الفرصة وينال كرامة أو منصباً رفيعاً .

وهذا أحدث تناقضا في المجتمع الإسلامي . وكان نفاقاً خلقياً . وقد جاء في التاريخ أن هذا أحدث – لما قام سيدنا الإمام الحسن البصري لمحاربة هذا النفاق . و لاستئصال شأفته والتغلب عليه – تساؤلاً في نفوس كثير من الناس . قالوا : يا أبا سعيد هل اليوم نفاق ؟ لأنهم كانوا يعرفون أن النفاق قد مضى زمنه . وهذا بحث علمي قد جاء في كتاب « الفوز الكبير » للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المشهور بولي الله الدهلوي . هل النفاق داء مستمر . وهل يمكن أن يوجد بعد عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ وشئ آخر أكثر حساسية . هو أنه من الصعب بل من المحال تعيين المنافق . فقيل لسيدنا الحسن البصري رحمه الله هل اليوم نفـــاق ؟ قال : « لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها » هم في عدد لا يستهان به في المدن . ثم قيل له مرة ثانية . قال : لو خرجوا لمآ انتصفتم من عدوكم . يعني هم الذين يكوّنون

الجيش الإسلامي ، فإذا انسحبوا ولم يكن لهم وجود ، لما استطعتم أن تقاوموا وتحاربوا عدوكم ، لأن قوتكم هي المستمدّة من هؤلاء الذين يعيشون عيش تنعم ، وهؤلاء الذين يتّصفون بالنفاق .

نعارض الإمام الحسن البصري النفـاق ، و ركّز عليه عنايته وبلاغته التي - أكرمه الله بها - ومن المقررات التاريخية الأدبية ، و من المقررات في التاريخ الأدبي ، أن كان هنالك بليغان لا ثالث لهما ، أبلغ البلغاء الحسن البصري ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ولكن يكاد المؤرخون للأدب يُجمعون على أن الحسن البصري أبلغ من الحجاج ، فوهب نفسه ووهب طاقاته وكل إمكانياته وقوة بيانه ، وقدرة لسانه ، ووهب عنايته وإخلاصه لمحاربة هذا النفاق ولمحاربة هذا التناقض - الحادث في المجتمع الإسلامي بحكم الطبيعة واتساع المملكة وتضخم الثروة - من ذلك تعرفون أنه كانت هنالك ثغرة حتى في العهد القريب من البعثة النبوية ، والرسالة السماوية .

وهنالك مثال آخر وهو ما حدث في آخر القرن الثاني الهجري ، وهي فتنة عقيدة خلق القرآن ، وهي العقيدة التي تزعّمها المعتزلة الخاضعون للفلسفة الإغريقية في قليل أو كثير ، والتنّور السطحي العاجل أو (العقلانية Rationalism) و لهذه العقيدة لوازم فاسدة ونتائج معارضة لحقيقة إعجاز القرآن ، وكونه مُنزّلاً من الله لفظاً ومعنىً (١) .

وقد احتضن الخليفة العبّاسي الكبير المأمون بن الرشيد هذه العقيدة وحماها حماية الحكّام والملوك ، و أصدر سنة ٢١٨هـ رسالة يأمر فيها

---

(١) إن ما كان يقصد به الدعاة إلى هذه العقيدة ، ومعرفة مراميها وغوامضها صعب لضياع كثير من مصادر الاعتزال وكتب المعتزلة بعد خمود هذه الدعوة ، وانقراض عصر المعتزلة ، ولكن مما لا شك فيه أن هذه العقيدة كانت معارضة لعقيدة السواد الأعظم من المسلمين ، والصحابة والتابعين ، مُضعفة لعقيدة إعجاز القرآن ، وكونه منزلا من الله بكلماته ومعانيه ، فإن الله يقول : ﴿ إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ١) واللغة لا تتخيل ولا تُفهم إلا مركبةً من كلمات وألفاظ معينة .

بجمع القضاة وامتحانهم في عقيدة خلق القرآن ، وعزل من لا يقول بذلك منهم ، وإسقاط شهادة من لا يراها من الشهود ، وكانت محنة عقّدتها وضخمتها حماية المملكة وحماس القائم عليها .

ومنالك قام لمعارضتها وللوقوف في وجهها ، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) وخاطر بنفسه وحياته ، وتركزت فيه رئاسة المعارضة ، فحبس ومكث في السجن نحواً من ثلاثين شهراً ، وفي أيام المعتصم خليفة المأمون ضُرب بالسياط ، ضرب تسعة عشر سوطاً ، يقول السوّاط : لو ضرب فيلٌ سوطاً واحداً لصاح ، و هو يقول كلّ مرة : « إيتوني بشيء من كتاب الله وسُنّة نبيه حتى أقول به » وقد كان من ثبات ابن حنبل وصُموده وإخلاصه ان انطفأت عقيدة خلق القرآن حتى بقيت مدفونة في كتب الملل والنحل وعلم الكلام ، وانهزمت حكومة هي من أقوى الحكومات وأوسعها في عصرها ، حتى ذكر اسم الإمام أحمد ابن حنبل مقتدياً بالصديق في الثبات والصمود ، والقضاء على الخطر ، فقيل « أبو بكر يوم الردّة و أحمد بن حنبل يوم المحنة » .

ثم كان هنالك شخصية أخرى هي شخصية الإمام أبي الحسن الأشعري (٢٧٠-٣٢٤هـ) فقد قام بدور حاسم في مقاومة الاعتزال وسلطانه ، فقد كان هذا الاعتزال قد أثر تأثيراً عميقاً في عقلية الشباب الواعي ، فكانوا « يتطرّفون » بالانتساب إلى الفلسفة ومذهب المعتزلة ، وأصبحت الفلسفة كما يقول الدكتور أحمد أمين « موضة » (FASHION) يتظرف بها الشباب ويتنبلون بها ، ويقول بعضهم : أنا معتزلي إفعلوا ما شئتم أنا معتزليّ ، وأصبح الاعتزال رمزاً وإمارة للذكاء والتعمّق والعقلانية ، حتى في العقائد والمسائل الشرعية ، فكان هذا خطراً كبيراً على الفهم الديني الصحيح ، وعقيدة السلف المأثورة ، فوفق الله الإمام أبا الحسن الأشعري فاعتزل أياماً ثم خرج ، وهو مقتنع بصحة الشريعة الإسلامية عقيدة ، وشريعة ، وعقلاً وعملاً ، مؤمناً بها إيماناً واعياً ، ليس إيماناً عاطفياً فقط ، فصار يفحم المعتزلة ويُقنع الشباب

المتأثرين بعض التأثر أو كل التأثر بالفكر المعتزلي الفلسفي ، فكان يجيبهم كما يجيب معلم حاذق كبير أطفالاً صغاراً ، وتلاميذ أحداثاً . فكان يجتمع هناك عدد كبير من المتأثرين بالاعتزال ، ويقول : يا سيدي : أجب عن كذا ، يا مولانا ماذا تقول في هذا ؟ يا سيدي ما المسألة الفلانية ؟ فكان يسمع كل هذا ، وكان الناس يتعجبون كيف يحفظ الإمام أبو الحسن الأشعري هذه الآراء ، وبعد ذلك يبدأ يناقشهم ويردهم واحداً بعد واحد ، أما فلان فقد قال كذا وأقول هذا ليس بصحيح ، وأنه شئ مفروض ، وشئ غير عقلي ، وقال الثاني كذا ، وقال الثالث كذا ، والرابع كذا ، كان الناس يتصورون أنه رجل ملهم ، كيف استطاع أن يحفظ هذه الآراء الشاذة المنتشرة المبعثرة التي لا تناسب ولا التئام فيها ، كيف حفظ هذا ثم يردّ على كل كما يرد شاب أو رجل كهل مكتمل الشباب ، على أطفال صغار ، و هذا كان من تقدير الله تعالى ، وبدأ الاعتزال يفقد تأثيره وسلطته ونفوذه ، والنفوذ شئ خطر جداً ، إذا كان للفلسفة نفوذ ، وكان لها اجلال وأثر في أعماق النفس ، فهو خطر على الدين السماوي المنزّل من الله ، ويسير بالعقل الإسلامي والفكر الإسلامي إلى إتجاه غير سليم ، إلى إتجاه غير شرعي ، وغير نبوي .

هذا كان من تقدير الله تعالى ، فقد فقد الاعتزال وجاهته ، وأنا تحريّت هذه الكلمة بصفة خاصة ، فقد الاعتزال وجاهته العقلية ، والوزن العقلي ، فإذا لم يكن فيه وزن عقلي ، فما قيمته ؟ كل قيمته أنها عميقة ، وأنها مؤسسة على الدراسات ، وأنها تلائم العقل ، وترضى العقل وتُسليه ، فإذا فقدت هذه الفلسفة هذه القيمة فقدت كل شئ ، أصبحت مفلسة لا قيمة لها ولا جاذبية فيها .

وكذلك شأن حجة الإسلام الإمام الغزالي في عصره ، والعلامة ابن الجوزي في عصره ، والإمام عبد القادر الجيلي (الكيلاني) في عصره ، وشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية في عصره ، ومولانا جلال الدين الرومي

في عصره، أما المجددون للإسلام، والداعون إلى الله والدين الصحيح، والمقاومون للتحديات والأخطار على بقاء الإسلام في شبه القارة الهندية، والمانعون من تحوّلها إلى الوثنية البرهمية والحضارة الهندية الجاهلية، والناشرون للكتاب والسنة، والاشتغال بالحديث، فيمكنكم أن تقرأوا قصة كفاحهم وجهودهم، وغيرتهم على الدين الأصيل المحفوظ، و مدى نجاحهم في جهدهم و جهادهم في كتابنا: « رجال الفكر و الدعوة في الإسلام » الجزء الثالث، و الرابع، والخامس.

فالقضية يا إخواني هو ملؤ الفجوة الواقعة في الفكر الإسلامي، أو في المجتمع الإسلامي ومواجهة التحدّي، فملؤ الثغرة وملؤ الفجوة، ومواجهة الخطر التي حدث ويحدث بالوجود الإسلامي أو بالشريعة الإسلامية واجب ومحتم.

وأقول لكم: القضية ليست قضية دعوة جديدة، القضية: التركيز على جانب خاص وقضية الضغط على جانب خاص، والتضلّع بمسئولية خاصة، فليس هنالك تعارض أبداً، إن الدعوة هي الدعوة الإسلامية، الدعوة النبوية، الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، المقبولة عند الله تعالى، مهما تباعد الزمان ومهما تضخّمت المشاكل ومهما اتّسع المجتمع، ومهما تغيّرت مطالب الزمان، الدعوة هي الدعوة، ولكن الشئ الذي أريد أن ألفت إليه أنظاركم، هو التركيز على جانب خاص، والضغط عليه ووهب الطاقات، ووهب الإمكانيات، ووهب القوة الارادية التي يهبها الله كل إنسان لمواجهة هذا الخطر، و لملء هذا الفراغ، ولإزالة هذا التحدّي.

فما هو الجانب المحدّد؟ المعين الرئيسي في هذا الزمان؟ ما هو الواقع المحدد الآن في البلاد الإسلامية؟ هو موضوع حديثي اليوم.

إنها إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة بصلاحية الإسلام، ليست بصلاحية الإسلام فقط، بل بصلاحيته للقيادة وحل المشاكل، ولصياغة المجتمع صياغة سليمة عصرية، جديدة صحيحة، فالجانب الذي أريد أن

أركز عليه اهتمامكم الآن ، و اركـــــز عليه طاقتكم و إمكانياتكم ، وذكاءكم ، ومجهودكم في بلادكم ، إذا رجعتم بسلامة الله تعالى ، هو إعادة الثقة بصلاحية الإسلام في الطبقة المثقفة ، لأن هذه الطبقة المثقفة قد ضعفت الثقة بصلاحية الإسلام فيها أو فقدت تماماً ، لأن النظام الدعوي التربوي المصري الغربي هو نجح في ذلك نجاحاً ، تسمين في المائة تقريباً ، أو تسعا وتسعين في المائة ، فإن الطبقة المثقفة التي تخرجت من الكليات والجامعات ، أو رجعت من الغرب بعد الدراسة ، أو تخرجت من جامعاتها الكبيرة ، لا أقول : إنها ضعفت فيها الثقة ، بل هي فقدت ثقتها تماماً بصلاحية الإسلام ، فالآن القضية الرئيسية المركزية عندهم هو إزالة هذه الثقة عن نفوس الشعب ، والتحرر من ربقة الإسلام ومن قيوده الشرعية والخلقية والتشريعية ، والقانونية ، والمدنية .

هذه هي الحرب الحقيقية السافرة التي توجد الآن في البلاد الإسلامية ، ما هي الحرب ؟ أقول لكم بكل صراحة وعلى بصيرة وعن تجربة واختبار ، انه لا حرب في بلد إسلامي بين الإسلام والصهيونية ، لاحرب بين الإسلام والصليبية ، ولا حرب بين الإسلام والنفوذ الغربي ، لا حرب بين الإسلام وفساد الأخلاق ، هي حرب واحدة ، هي حرب بين الطبقة المثقفة الرئيسية التي تملك زمام الحكم وبين الزعماء ، وبين الجمهور والشعب لإزالة هذه الثقة بصلاحية الإسلام ، إنهم يقولون بلسان الحال ، نعم ، الإسلام كان ديناً ، مثّل دوراً ، دوراً محموداً جزاه الله خيراً ، جزى الله القائمين به ، إنه ردّ على الوثنية السافرة ، وإنه أزال وأد البنات ، وإنه أعطى النساء بعض الحقوق ، وإنه أزال بعض المنكرات وبعض العيوب الخلقية ، وبعض الذمائم من المجتمع العربي ، ولكن الإسلام قد مضى زمنه ، فقد وقف وتقدم الزمان ، إنما هي قضية القيادة وقضية الصياغة للحضارة والقانون ، وأن يتصرف ويتحكم في حياة الإنسان ، ويقول : هذا حرام وهذا حلال ، وهذا معروف وهذا منكر ، هذا دين وهذا لا دين ، – لا – هذا لا نسمح بذلك ، الإسلام قد قضى دوره ، الإسلام قد انتهى أجله ، إنه قام بدور محمود في التاريخ ،

إنه قام بعملية إصلاحية محدودة في جزيرة العرب وخارج الجزيرة ، ولكن الآن في هذا العصر المتمدّن الراقي الذي يطير الإنسان فيه في الهواء ، ويسير على الماء ، والذي وصل إلى القمر و ركّز الراية على القمر، إن الإسلام لا يستطيع أن يسايره ، ويقوده ، ويحل مشاكله .

فأنتم يا إخواني ! أقول لكم الآن بصراحة وبتركيز ، أنتم أمام القضية الرئيسية الكبرى التي تواجهونها ، بل هي تفرض عليكم فرضا رضيتم أم لم ترضوا ، هي قصة صلاحية الإسلام للبقاء ، وصلاحيته للقيادة البشرية ، وصلاحيته للسّيطرة على المجتمع ، هذه القضية ستواجهونها إذا رجعتم إلى بلادكم . ولا بد لمواجهة هذا التحدّي وهذا الخطر ، لا بد له من دراسات عميقة متنوعة تدرسونها في تاريخ الحضارة الغربية ، والفلسفة الغربية ، أو تاريخ إيران وروما ، وماذا خسرت الإنسانية بها ؟ وما هي رسالتها للإنسانية ؟ وما هي عطاياها ؟ فعليكم أن تطالعوا بعض الكتب التي قد عالجت هذا الموضوع ، وأقول لكم ومعذرة إليكم من ضميري ونفسي ، لا بد أن تطالعوا بعض الكتب التي وفق الله لتأليفها في هذه البيئة المحدودة الصغيرة هنا ، أنا أحمد الله تعالى ، بل هذا توفيق من الله تعالى فقط ، ولا يرجع الفضل إلى أحد أبداً .–حاشا وكلا– ولكن « ندوة العلماء » أقول لكم بصفة خاصة ، إنما قامت لذلك .

وانتهز هذه الفرصة للفت النظر إلى هذا ، إن البلاد كانت غنية زاخرة بالمدارس العربية الدينية ، ما كان هنالك فراغ أبداً ، لا أسمّي هذه المدارس احتراماً لها ، كانت البلاد زاخرة بالمدارس العربية الدينية ، كانت البلاد زاخرة بالمكتبات العظيمة الغنية ، كانت البلاد زاخرة بوجود العلماء ، وبوجود العلماء الكبار المدققين المتوسعين في الفقه وأصول الفقه وفي الحديث ، وفي التفسير ، وفي العلوم الدينية ، ولكن كان هنالك ثغرٌ ، ما هو هذا الثغر ؟ هو كيف تخاطب المتخرّج من الجامعة والكلية ، والمتعلم في بيئة غربية ، بأي لسان تخاطبهم ؟ وما هي الوسائل التي تستخدمها ، ما هو السلاح الذي يستطيع الداعية

أن يقاوم أو يحارب به ، ويدافع عن دينه ، وعن ضميره وعن شريعته ؟ لذلك قامت ندوة العلماء وأنا أعتذر إذا قلت انه كانت هنالك حاجة لظهورها مع وجود هذه المدارس والجامعات الكثيرة ، التي كانت حظيت بتقدير من الجماهير المسلمة هنا . و إذا كانت لندوة العلماء قيمة ، فإن هذه القيمة هي أن تنتج شبابا يستطيعون ، وأن يستردوا القيادة الفكرية من الطبقة المثقفة الناشئة في الجامعات المدنية الغربية ، أو في الكليات المدنية الغربية الواقعة في البيئة الغربية ، ورضعت بلبانها ونشأت في أحضانها ، تنتزع القيادة الفكرية من هؤلاء وتردها إلى الراسخين في العلم ، المطمئنين ، المتفهمين ، المنشرحة صدورهم ، والواعية عقولهم لفهم الدين الإسلامي ، يؤمنون هؤلاء بأبدية الإسلام وبصلاحية الإسلام للبقاء في كل عصر ومصر ، كقائد موجه وداع ، وبأن الشريعة الإسلامية متكفلة بالسعادات الدنيوية والأخروية صالحة لكل زمان ومكان ، وهي أفضل وأجدر بحل المشكلات العائلية والاجتماعية والتشريعية من كل قانون وتشريع إنساني علماني .

فأنتم يا إخواني ! لا بد أن تستعدوا لهذه المعركة ، هذه المعركة التي تنتظركم بصبر نافد ، لا أستطيع أن أقول إن آباءكم ينتظرون قدومكم بهذا الجزع أو بهذه الرغبة أم هذه المعركة تنتظركم ؟ وأنا أميل إلى أن هذه المعركة تنتظركم أكثر مما ينتظركم آباؤكم وإخوانكم الذين فارقوكم والذين ودّعوكم إلى هذه البلاد ، وحرموا لقاءكم والحديث معكم والأكل معكم هذه المدة الطويلة ، لا هذه هي المعركة الحامية الحاسمة ، هذه المعركة الإلحادية ، هذه المعركة العلمانية ، هذه المعركة المعادية للإسلام ، والمعادية لكل الأديان ، هذه المعركة تنتظركم .

فلا بد أن تستعدوا لها قبل أن تبتلوا بها وقبل أن تواجهوها وجها لوجه ، والاستعداد يمكن هنا ، فلا بد أن تقرأوا الكتب التي ألفت ، ومعذرتي إلى نفسي قبل معذرتي إلى غيري ، لا بد أن تقرأوا كتاب : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » وكتاب : « نحو التربية الإسلامية الحرّة » وكتاب : « إلى الإسلام من جديد » ولا بد أن

تقرأوا كتاب : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ومن غير مؤلفات علماء الندوة - بما أنا فيه - كتاب : « الإسلام على مفترق الطرق » و « الطريق إلى مكة » للأستاذ محمد أسد المهتدي (ليوبولدويس سابقاً) وكتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله . والأستاذ أبي الأعلى المودودي في نقد الحضارة الغربية . وبيان الحاجة إلى الإسلام . وقبل ذلك كتاب أستاذنا وأستاذ الجيل الإسلامي المعاصر العلامة السيد سليمان الندوي « الـــــرسالة المحمدية » و « السيرة النبوية » .

وكذلك تدرسون شعر إقبال . لا أقول أن تقرأوا محاضراته . لأني لا أوافق على بعض ما جاء في هذه المحاضرات مائة في المائة في صراحة . وأشرت إلى ذلك في مقدمة « روائع إقبال » ولكن لا بد أن تقرأوا شعره وأن تتذوقوه . وأقول لكم إن هذا يثير فيكم الذكاء والتذوّق . ويثير فيكم حماساً إسلامياً قوياً فتكونون بذلك على مستوى رفيع وعلى صعيد صاعد عال من الثقة بالإسلام ومن القدرة على إقناع المتعلمين الدارسين الجامعيين .

يا إخواني ويا أبنائي !

إن الزمان لا يتسامح والأعداء لا يتسامحون أبداً . إنهم قد شمّروا أذيالهم . وإنهم قد أعدّوا نفوسهم وهم واقفون بالمرصاد . يعدّون الساعات عدّا . بل يعدّون الدقائق عداً . لترجعوا إلى بلادكم . فيزاحموكم أو يصارعوكم ويبدوا لشعبهم أن هؤلاء رجال أميون . إنهم أبناء جيل ماضٍ . وإنهم أبناء جيل القرن التاسع عشر المسيحي . أو قبل هذا . فهم يغيرون عليكم عن طريق العلم وعن طريق الدراسة والصحافة و الإذاعة . و عن طريق الندوات العلمية و المحاضرات الجامعية . فعليكم أن تستعدوا لهذه المعركة منا . المعركة الحامية الدامية . وهي معركة بين من يعتقد أن الإسلام هو دين خالد وهو دين البشرية إلى يوم القيامة . وأنه الدين الكامل لسعادة البشرية حياة وموتاً . وعلقياً واجتماعياً . وتشريعياً وعبادةً . وحكماً وسيادةً . ومن

يعتقد ويؤمن ويعلن بأعلى صوته أن الإسلام قد مضى زمنه ، وأنه لا محل له الآن في هذا العصر الراقي ، في هذا المجتمع المتعقد المواجه لمشكلات تحدث كل يوم ، ولا بد أن تستعدوا هنا ، وأنتم متفاوتون في الفرصة ، بعضكم لهم فرصة قليلة وبعضكم لهم فرصة واسعة ، فعلى كل يجب عليكم أن تستعدوا للعودة إلى بلادكم قبل الخوض في هذه المعركة ، فلا تعودوا إلى بلادكم إلا وأنتم تتسلحون بالسلاح الإيماني العلمي العقلي العصري ، بسلاح أقوي لم يخلق أقوي منه ولا يمكن أن يخلق أقوي منه ، ولا بد من السلاح مهما كان الإنسان قوياً وغنياً ، لا بد من أن يتسلح بسلاح العلم لمواجهة الجيل المثقف .

ولا بد أن تحاربوا مركب النقص في هذه الطبقة المثقفة الثقافة الحديثة المصابة بمركب النقص فيما يتصل بالإسلام ، وبالشريعة الإسلامية .

هم مبتلون بمركب النقص في كل ما يسمعونه عن الإسلام ، أو يقرأونه عن الإسلام ، ويقولون هذه قصة الزمن الماضي ، هذه حكاية للزمن الماضي ، لا قيمة له في هذا العصر ، وهم عازمون على الإبادة المعنوية العقائدية للجمهور عن طريق التعليم والتأليف والصحف والمجلات والإذاعة والندوات .

هذا هو الواقع الذي ينتظركم يا إخواني !

وأسأل الله تعالى أن يوفقكم للقيام بهذا الواجب ، وللوفاء بحق الإسلام ، وللوفاء بحق العبودية ، وللوفاء بحق الضمير السليم المسلم ، وللوفاء بالنسبة إلى الإسلام ، وان الله تعالى قد أنعم عليكم بنعمة الإسلام ، فلا بد أن تقدروا هذه النعمة وأن تكافحوا كل ما يهاجم ، وكل ما يعارض ، و كل ما يتحدى الإسلام بكل قوة ، و بكل وضوح ، وبكل ذكاء ، وبكل استعداد ، وبكل تسلح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١١/محرم الحرام ١٤١٣هـ

من دلالات بابا نويل

دكتور/ محمد بن سعد الشويعر

يعتمــد أصحاب الديانات المختلفة ، والعقائد المتباينة أساليب متعددة . بكل ما تتفتق عنه عقولهم ، من أجل ترسيخ تلك المعتقدات في قلوب الناشئة أولاً ، لتكبر مع نمو أجسامهم عقيدة راسخة ، متغلغلة فــي سويداء القلوب ، ولتجري مع الدم في الشرايين والعروق ، وتتعمق في الأنسجة التي ينمو منها الجسم ، وفي الخلايا التي تمثل التكوين الجسماني لابن آدم .

وهذا المنهج هو من أساسيات التربية الخلقية التي تتأصل جذورها في أعماق تربة الإنسان ، لأن الله فطر الإنسان على حب الاستطلاع ، وأوجد فيه غريزة الولاء والتدين .. وشريعة الإسلام هي التي تسيطر بتعاليمها على هذا الاحساس ، وترعى توجيهه ، أخذاً من الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وتوجيه هذا الولاء ، وترسيخ ذلك التدين ، يختلف بين مؤثر ومؤثر ، ويتباين في تمكين جذوره منهج ومنهج .

فأصحاب الديانات المختلفة على وجه الأرض ، يهتم الداعون لكل واحدة منها بتبني مؤثر يتوقعونه فعالاً في جذب النّاس لما يعتقدون ، ويتفننون في الأساليب التي يخيل إليهم أنها تربط الآخرين بوشيجة إلى النحلة التي يتحمسون لها ، وكل منهم يحسب نفسه على الحق ، ويدافع عن باطله بما يتوقعه معيناً

في تحقيق ما يصبو إليه . ولفت النظر لما يعتقده .

فالنصارى مثلاً الذين طغى عليهم الجهل . كما جاء في حديث رواه مسلم في صحيحه . في تفسير سورة الفاتحة «بأن الضالين » هم النصارى يعبدون الله على جهل وضلال .. وفي حديث عدي بن زيد بعد ما أسلم وسمع رسول الله ﷺ الآية الكريمة : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» فقال يا رسول الله : إنا لا نعبدهم . قال : أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه . ويحلون ما حرم الله فتحلونه » ؟ قال : بلى، قال ﷺ : فتلك عبادتهم .

هذه الفئة وجد الأدعياء والكذابون مدخلاً إلى نفوسهم . باسم العاطفة الدينية لرقة قلوبهم . و اغتنم الفرصة كل دعي وصاحب هدف ليضل الصغار قبل الكبار . ولذا كثر في بيئاتهم ما يريدون به ربط قلوب الصغار بهذا المعتقد . باسم الخوارق . وفي مقدمة ذلك بابا نويل . كدمية يلعب بها الصغار وتهدي مع رأس السنة الميلادية . وشخصية وهمية يعدونهم بزيارته مع عيد الميلاد .

والصغار إذا وعدوا شيئاً تعلقوا به . ورسخ في قلوبهم ما يرتبط به .. وعند ما يحين ذلك الموعد يكون السعيد منهم من يرى هذا الموعود . الذي تمثل أوصافه شيخاً كبيراً . بلحيته الكثة البيضاء . التي ترمز للجو البارد لأنه يأتي مع السنة الجديدة في مطلع يناير من كل عام . وهذا الموعد يقترن بتاريخ ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في ٢٥/ديسمبر . وبداية السنة الجديدة ١/يناير . وهو شدة فصل الشتاء . وتكاثر الثلوج في بلادهم الباردة .

ولما كان كل شئ له قداسة في قلب الصغير يسمونه بابا . كالأب ورجل الكنيسة . والرجل المسن . وكبير أساقفة الكنيسة . فإن بابا نويل . الشخصية الأسطورية . يلتف الأطفال حوله . ليلاطفهم . ويقص عليهم حكايات خيالية عن المولد وما يقترن بعقيدة التثليث . الذي أبان الله جل وعلا في كتابه الكريم عن تكفيرهم لهذا القول . وبما قالوه على الله جلت أسماؤه وتقدست

صفاته ، من أمور شنيعة تعالى عما يقول الظالمون ، ولما كان الصليب يتربع على صدر بابا نويل المذكور كجزء من العقيدة التي يراد ترسيخها ، فإنه يروي للأطفال بعضاً من الحكايات منها ما ينسب إلى قسطنطين قيصر الملك بن هيلانه ، الذي كثر عدوه وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلكهم ، ويؤلف مفترقهم ، فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، وأوكد لجدهم في نصره ، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم ، خبراً عن رجل كان منهم ، وفيهم ، همّ أن ينسخ حكم التوراة ، وينفرد بالتأويل فيها فعمدوا إليه وهو في نفر ممن المطلوب فيهم ، فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه إلا تقدم إياه من حينئذ .. هذه الحكاية تفتق عنها حيلة من قسطنطين المذكور ، حيث عمد إلى من وجد في أمة عيسى وقد اختلفت دعاويها بعد المسيح بأربعين سنة ، والتفت إليهم غير محسوسين في الأرض ، لا يظفر بواحد منهم ، إلا قتل ومثل به ، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء وما رآه موافقاً لاختياره كالقول بالصلوبية ، ليتعبد قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه ، ثم اختلق رؤيا قال : إنها حدثت له في منامه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، فجمع أنصاره ورعاياه من الروم ، وذلك بعد المسيح بمائتين وثلاث وثلاثين سنة ، وعلى رأس سبع سنين من مدة ملكه ، فلما اجتمع إليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم أنه كان يرى في منامه آتياً أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليهم هيئة الصليب فأعظمت ذلك العامة ، وانقطعت لما سمعت منه .

ولكي يمكن رؤياه هذه ، فقد بعث إلى امرأة في عصره كاهنة ، وكانت ذات بأس وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى فقوي تصديق العامة

.. فأخرج الصليب من موقع كنيسة القمامة ، وجعله شعاراً من ذلك الوقت .

وفي كتب الحوار مع النصارى ، والرد عليهم نماذج من تلك القصص الخرافية . والحكايات الخيالية ، التي تتكرر بها أسطورة بابا نويل : تمثيلاً وحواراً .. في وسائل الإعلام المختلفة . وفي أماكن أخرى ، ثم على هيئة قصص تتناقلها الأمهات لأولادهن ، ويلتئم شمل الصغار في حلقات مع العجائز . لتقترن بهذا الاسم ، وفي هذا الموسم الديني الذي قصد منه إشعال الجذوة في النفوس كل سنة . يساعد على ذلك الجو البارد والإجازات . حيث يلتئم الجمع أمام الدافئ للتلقى وتزجية الوقت من أي مصدر كان : قصصاً تعاد قراءتها . و حكايات تسترجعها العجائز من الذاكرة . و وسيلة إعلامية تتحدث بلسان هذه الأسطورة الموسمية : بابا نويل .. الذي لا يأتي له ذكر إلا في هذا الموعد السنوي .

فيكون من ذلك ما يلبى رغبات النفوس الصغيرة . ويؤصل جذوراً يريدونها أن تبقى متحمسة لهذا المعتقد لربطه بأمور محبوبة للقلوب .. من هدايا و وعود طيبة ، وأمنيات مرغوبة ، وانتصارات في مواقف ومحبة بين الناس .. وهذه الأمور والحكايات كثيرة جداً ، وامتلأت بها بطون الكتب بين تأييد حسب المعتقد ، وإنكار في سبيل الرد عليها ، وتوضيح زيفها ..

وأذكر في هذا الموقف بعضاً من تلك الحكايات الخرافية ، والأمور التي ترسخ على أنها معجزات من رجال هذه النحلة العقدية على مر العصور ، حيث ذكر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي المتوفى عام ٥٨٢هـ الموافق لعام ١١٨٦م ، في حواره مع أحد قساوسة ، ضمن رسالة سماها : مقامع الصلبان ، وهو في الأندلس بعد ما تخلص من سجنهم ، وكان عمره ٢٢/عاماً ، فبعث بهذا الرد الذي يشمل محاورة ونقاشاً .

مع ذلك القس الذي أراد تحويله عن عقيدة الإسلام .. وأبان في ذلك الرد عن قصص منها قوله :

١- في ليلة النصف من شهر أغسطس يعظمون تلك الليلة تعظيماً شنيعاً

إلى اليوم . وسبب ذلك ما يصفه قساوستهم للناس في قصة أسطورية عن نزول مريم من السماء على دون أذفونش المطران بجامع طليطلة . وأنها كست رأسه بتحلية وجسمه بثياب (المقامع :ص/١٦٧) .

٢- وما يروونه من روايات يدعونها في زيتونة وادي آش . ويزعمون في توقف أرض شنت دمنقة وكنيسة مكتاسة . و وادي بسطه والنور الجديد في عيدهم . والنور الذي ينزل ببيت المقدس ليله رأس السنة إلى غير ذلك من الهذيانات والمخاريق . التي لا تجوز إلا عليهم . ولا يتعبد بها من جهال العالم غيرهم (المقامع : ١٦٨) .

٣- وأنهم يحدثون الناس بنماذج من القصص التي تعتمد على الحيلة بحجة أنها من المعجزات . فتنطلي على البسطاء حيث قال : وصف لي عن صليب في بعض مشاهدهم المعظمة عندهم . يمشي إليه الناس ليتعجبوا منه وهو واقف بين السماء والأرض . لأن الحديث عنه في الكنائس متواتر للسيطرة على العقول . فسأل أحد رؤسائهم عنه يهودياً كان كاتباً له . فقال : تؤمنني وأملك السر . قال : نعم . فقال : إنها حيلة . فاستكشفه إياها فقال : إن ذلك الصليب الذي يظنه الناس معلقاً . تمسكه أحجار القناطيس من جهاته الأربع . فأمر الرئيس أن يخلى له المكان يوماً ليتفرد بهذا المشهد . فدخله وحده . وأمر بحفر جانب واحد من الحائط فاستخرج منه حجراً من القناطيس موازياً للصليب فمال إلى جهة واحدة . واستخرج مثله من الجانب الثاني فاضطرب الصليب وفهم الرئيس الأمر وانصرف (المقامع : ١٧٤) .

٤- وذكر عن بعض مشاهد النصارى المعظمة عندهم حكاية تقول : إن يد الله تخرج لهم في يوم واحد من السنة من وراء ستر . يرونها عياناً . وكانت جزءً من المعتقد . فحكى أن رجلاً ممن أبغض النصرانية بعد أن عرف أساليب رجال الكنيسة . اعتنق ديناً آخر . وكان قد حظي عند بعض رؤساء النصارى بالأندلس لوصلة كانت بينهما يرعاها الرئيس . وفي مجيئه يوماً إليه . رغب إليه

الرئيس أن يعود للنصرانية لأنها دينه . وبدأ يوضح مزاياها وأسرارها من واقع القصص التي تأصلت في ذهنه ، وقال له : ألا ترى الأعجوبة : ظهور يد الله لنا في يوم معلوم من السنة . لا يكرم بها أحد غير النصارى ؟ فقال له الرجل : لقد رضيت في هذا الأمر بشهادتك ، وصدقتك عليه . فأبحث عنه . فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً . فسوف أعود إلى دينك . فخالط الرئيس الشك . فلما دنا ذلك اليوم الذي تظهر فيه اليد . سافر بنفسه نحو المشهد ، و قرب مالا يهديه هناك ، فبدر إليه الأساقفة وقربوه لتقبيل اليد . فلما ظهرت اليد له من وراء الستر . وضع يده فيها ، وأمسكهـــا بشدة . فصاحوا به يقولون : اتق الله الآن تخسف بك الأرض . الآن تقع عليك السماء . الآن ترسل عليك الصواعق . فقال : دعوا عنكم هذا كله . فإن هذه اليد لا أحل يدي عنها . حتى أعلم أحقاً تصنعون فيها أم باطلاً . فلما رأوا إلحاحه لم يبق منهم إلا إثنان وهرب الباقون . فأسرا إليه القول وقالا : ما تبغي في ذلك . أصبوت عن دين آبائك ؟ قال: لا . قالا : أتريد أن تحل ربطاً ربط منذ ألف سنة أو نحوها . قال : لا . معاذ الله ولكني أريد أن أقف على سر هذه اليد . قالا : هي يد أسقف دون الستر واقف . قال : أحب أن أراه . قالا : أنت وذلك . فكشفا الستر فرأي قساً مجرود الخدين . موقوفاً وراء الستر . فلما عاينه الرئيس أرسل يده وخرج إلى عسكره . فقال له الرجل : ماذا تأمرني به الآن في ديني بعد ما عاينت الأمر بنفسك . فقال : رأيك خرجت منه .. ففهم الرجل وسكت (المقامع : ١٧٣) .

وغير هذا من القصص التي من مهمة بابا نويل ترسيخها في الناشئة ، وتأصيل مكانة القساوسة الذي يمثلهم بابا نويل حتى لا يكذبهم أحد ولا يناقشهم . لأن تعاليمهم تقضى بالطاعة العمياء وبدون نقاش بل اسناد الأمر إليهم .. ودور المسلمين نبذ هذا التقليد وعدم السماح بالظهور في بيئاتهم حتى لا يرسخ في أذهان أطفالهم فيكبر معهم ليباعدهم عن دينهم الحق ، وعن مصادره الصادقة التي لا يتطرق إليها شك أو تأويل . لأنها من الله وما كان عن الله فهو الذي لامراء فيه

ولا جدال.

وسل الروم عند الناصر:

ذكر صاحب نفح الطيب أن عبد الرحمن الناصر أقوى خلفاء بني أمية في الأندلس ، وهو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من المسلمين ، رحل من قصر الزهراء إلى قرطبة وهي المدينة التي بناها وأقام بها قصراً بديعاً ، وأراد استقبال وفود الروم فيه ، وقعد لهم في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً ، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه وقعد عن يساره منذر بن سعيد ، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً ، و وقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي وغيرهم ، وقد بسط صحن الدار أجمع بعتاق البسط ، وكرائم الدرانك ، وظللت أبواب الدار وحناياها بغالي الديباج ، ورفيع الستور ، ليظهر لهم عظمة الإسلام وعلو قدره .

فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه ، من بهجة الملك ، وفخامة السلطان ، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى ، وهو في رقّ مصبوغ بلون سماوي ، مكتوب بالذهب ، بالخط الأغريقي وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً ، مكتوبة بفضة ، بخط أغريقي أيضاً ، فيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها ، وعلى الكتاب طابع ذهب ، وزنه أربعة مثاقيل ، على وجه منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة الملك ، وصورة ولده .

كان الكتاب بداخل درج فضة منقوش ، عليه غطاء ذهب ، فيه صورة الملك من الزجاج الملون البديع ، وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج .

ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال ، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء ، بين يديه ليذكروا جلالة ملكه ، وعظمة سلطانه ، ويصفوا ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته .

وتقدم إلى الأمير الحكم ، ابنه وولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم الفقيه محمد بن عبد البر الكيساني بالتأهب لذلك ، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة ، وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ، ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام

يحاول التكلم بما رأي ماله وبهره هول المقام ، و أبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشي عليه وسقط إلى الأرض .

فقيل لأبي علي القالي ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق ، وأمير الكلام ، وبحر اللغة ، قم فأرقع هذا الوهي ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم انقطع القول بالقالي ، فوقف ساكتاً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأي ذلك منذر بن سعيد قام ، فوصل الكلام بافتتاح أبي علي لأول خطبته ، بكلام عجيب ، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل مجيب ، يسحر سحاً كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي فقال : أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه ، وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقالاً ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإني قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فأصغوا إلى معشر الملأ بأسماعكم ، وألقوا إلي بأفئدتكم ، إن من الحق أن يقال للمحق صدقت ، وللمبطل كذبت ، وإن الجليل - تعالى في سمائه وتقدس بصفاته وأسمائه - أمر كليمه موسى أن يذكر قومه بأيام الله عز وجل عندهم ، وفيه وفي رسول الله أسوة حسنة ، وإني أذكركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين ، التي لمت شعثكم ، وأمنت سربكم ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم .

واستمر كذلك بكلام عجيب بهر القول جزالة ، وملأ الأسماع جلالة ، فخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه و ثبات جنانه ، و بلاغة لسانه ، وكان الناصر لدين الله أشدهم تعجباً منه ، فأقبل على ابنه الحكم ، فسأله عنه فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال : والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخرني الله لأرفعن من ذكره ، فضع يدك يا حكم عليه ، واستخلصه وذكرني بشأنه ، فما للصنيعة مذهب عنه ، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد بالزهراء .

(نفح الطيب : ١٧٢١) .

الطفل في الشريعة الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الصالح
عرض وتعليق : الأستاذ علي القاضي

الإنسان : في الإسلام سيد هذه الأرض وما فيها وهو عبد لله وحده الذي خلقه وكرمه وجعله خليفة . وكل قيمة من القيم المادية لا تطغى على قيمة الإنسان كما ترى الحضارة الغربية الحديثة وإن كان تحقيق الخلافة يحتاج إليها . والإنسان بما ركب في فطرته من استعدادات تجعله فذا بين الخلائق في هذا الكون ومن التكريم أن يكون قيما على نفسه متحملا تبعة اتجاهه وعمله .

والأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الصالح الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ألف كتاباً عن الطفل في الشريعة الإسلامية تحدث فيه عن إيجاد البيئة الصالحة لتربية الطفل وعن نشأته ورعايته وعن حياته وحقوقه التي كفلها الإسلام له حتى يمكن أن يخرج إلى الحياة مكتملا للنضج الجسمي والعقلي والنفسي والروحي وبذلك يمكنه أن يحقق وظيفته في هذه الحياة .

التربية العقلية : الإسلام فتح أمام العقول كتاب الكون على مصراعيه ودعاها إلى التدبر في ملكوت السماوات والأرض ولم يترك أمامها الباب مغلقاً . وقد نبه الله سبحانه وتعالى إلى أن المعارف الكونية واسعة الآفاق : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ (سورة لقمان ، الآية : ٢٧) وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يطلب المزيد من العلم : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (سورة طه ، الآية : ١١٤) ومن الأمثلة لميادين المعرفة التي فتحها الله تعالى أمام البشر وحفزهم إلى ولوجها :

١- وصف تكوين الإنسان العقلي والجسماني مما تناولته علوم الطب وعلوم النفس .

٢- وصف الأرض وما فيها من جبال وأنهار وصحارى وسهول كما تناولته علوم الجبال وطبقات الأرض : ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ..﴾ (سورة النبأ ، الآية : ٦-٧) .

٣- تكوين النبات مما تناولته علوم النبات : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقاً..﴾ (سورة عبس ، الآية : ٢٤-٣٢) .

٤- تكوين الحيوان مما تناوله علم الحيوان والطيور : ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ..﴾ (سورة الملك ، الآية : ١٩) .

٥- تكوين الأحجار مما تناولته علوم الطبيعة والكيمياء : ﴿ .. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ..﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٧٤) .

٦- وصف الأجرام السماوية مما تناوله علم الفلك : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ..﴾ (سورة يس ، الآية : ٣٧-٤٠) .

٧- الظواهر الطبيعية مما تناولته أبحاث الفضاء وغيرها : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً ..﴾ (سورة النور، الآية : ٤٣) .

٨- النظرة إلى المخلوقات بعامة : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ..﴾ (سورة الأعـــراف ، الآية : ١٨٥) .

وعلى المسلمين أن يطرقوا هذه الأبواب وأن يلجوا هذه الميادين وأن يستنيروا بنور الله الذي فتح لهم آفاقاً واسعةً ومجالات رحبة تكسبهم المزيد من الهدى والرشاد . وإذا لم يفعلوا حق عليهم أو يوصفوا بالتقصير في حق خالقهم الذي سخر لهم ما في الأرض جميعاً وفي حق أنفسهم بل وفي حق الإنسانية كلها .

ومصدر العلم هو الله سبحانه وتعالى منه يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما فتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه .

والعلم يفتح آفاقاً جديدة ويخرج الإنسان من ضيق الجهل وظلمته إلى نور العلم وسعته ويمنح الإنسان صفاء وشفافية تفتح البصيرة وتمنح القلب نعمة الرؤية

وتجعل صاحبها في حالة يمتاز بها عن الجهال .

وليس العلم هو المعلومات المفردة المتقطعة التي تزحم الذهن ولا ترتكز على أسس ثابتة ولا تؤدي إلى العلم النافع الذي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور . ولذلك فإن الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة والمشاهدات الظاهرة هم جامعو معلومات وليسوا بعلماء لأن العلم الحقيقي يمنح الإنسان نفاذاً في البصيرة وقوة في الإدراك وسلامة في التفكير وقدرة على القيام بالقسط والعدل إلى جانب أنه يقود أهله إلى الإيمان بالدين كله .

والله سبحانه وتعالى وهب الإنسان المعرفة منذ أن أسند إليه الخلافة في الأرض و وعده أن يريه آياته في الآفاق و وعده الحق . فكشف له يوماً بعد يوم وجيلا بعد جيل في خط يكاد يكون صاعداً أبداً عن بعض القوى والطاقات التي تلزم له في خلافة الأرض وسمو المنزلة : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١١) .

والإنسان الذي يريد أن يتعلم يمكنه أن يتعلم من العلماء ومن الزملاء ومن الأقارب بل ومن التلاميذ ويعطينا القرآن الكريم مثلا لواحد من أولي العزم من الرسل يأخذ العلم عمن هو دونه فموسى عليه السلام أخذ العلم عن الخضر بعد أن تحمل مشاق السفر ومتاعبه .

وقد رفع الإسلام من قيمة العلم ويتمثل هذا في نبي الله طالوت الذي اعترض عليه بنو إسرائيل لأنه لم يؤت سعة من المال فقال الله تعالى : ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٤٧) بل وجعل قيمة العلم فوق قيمة الملك فقد توجه داود وسليمان عليهما السلام إلى ربهما بالحمد لتفضلهما على كثير من عباده المؤمنين بنعمة العلم ولم يذكرا ما آتاهما الله تعالى من ملك على ما كان عليه من عظمة واتساع . فالعلماء في الحياة هداة للبشرية في طريقها إلى الله وهم حملة مشاعل الهدى والنور وحماة

الأخلاق والمثل العليا . فإذا فسد العلماء أصبحوا فتنة كبيرة وفسد بفسادهم خلق كبير . والشريعة الإسلامية تدعو إلى العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم كل ما يتصل بالحياة . وكل ما يعود بالمنفعة على المسلمين في الدنيا والآخرة .

المنهج العلمي في القرآن الكريم :

رسم القرآن الكريم المنهج العلمي السليم الذي يصل المتعلم من خلاله إلى العلم والمعرفة ويقوم على أمرين ثابتين :

الأول : أن نستفيد من تجارب غيرنا بالاعتبار مما جرى لهم والانتفاع بالحسن من تصرفاتهم: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (سورة الحج ، الآية : ٤٦) .

وذلك يتم بأن ينهض كل جيل بتعليم الجيل التالي ما وصل إليه من تجارب وما استفاده من معارف وعظات وعبر من سيرة الأمم السابقة وأن يقوم هذا الجيل من العالمين بإرشاد غيرهم .

الثاني : أن نستعمل عقولنا وتجاربنا في طلب الحقيقة لنهتدي إلى ما لم يهتد إليه غيرنا فقد وصف الله سبحانه وتعالى الذين يصمون آذانهم ويوصدون عقولهم بأنهم شر الدواب : ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٢٢) .

والعلم حق مشاع لجميع الناس وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين ليعلموا الناس ويرشدوهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة .

المذهب التجريبي : والمذهب التجريبي في أصله مذهب إسلامي يقول « جب » في كتاب «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» « أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوربا في العصور الوسطى » .

كما يقول بريفولت في كتابه :

(بناء الإنسانية على أصول الحضارة العربية) « لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة الإسلامية على العالم الحديث ولكنها كانت بطيئة ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك فلم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي نــراهــا في العالم الغربي ».

والعلم: منة كبرى هو منة الله تعالى على الإنسان في الأرض . المنة التي أنقذت البشرية من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة . وهي منة لا يدركها ويعرف قدرها إلا الذي عرف الإسلام وعرف الجاهلية.

والتعليم: حق من حقوق الطفل يقول المؤلف الفاضل : « التربية الإسلامية جهاز اجتماعي يعبر عن روح الفلسفة الإسلامية . وقد كان هناك جهاز تربوي متغلغل في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي ابتداء من الكتاتيب التي تعلم الصغار إلى المدارس والجامعة التي تعلم الكبار . وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية بسبب دقة النظام وانتشاره وكانت تلك التربية محققة لروح الإسلام . ولكن التربية القائمة اليوم في العالم الإسلامي لا تعبر – مع الأسف – عن روح الإسلام ومثله العليا في الغالب.

ما المطلوب ؟ ترى ما المطلوب منا لتربية شباب مسلم يؤمن بربه ودينه ويؤدي وظيفته التي خلقه الله تعالى من أجله ؟

إن ذلك يتم إذا قامت التربية على أسس الشريعة و قوانينها ومثلها العليا . وينبغي أن تولى العناية والاهتمام بالدرجة الأولى بالأطفال وذلك بإقامة ما يعرف بمدينة الأطفال التي تضم الحديقة وأنواع اللعب المختلفة والمكتبة المناسبة حتى يستطيع الطفل أن يقضي وقتاً فيها نافعاً له في تربيته الكاملة المتكاملة .

وإن ما يبعث الهمة والنشاط في نفس الطفل أن يجد عناية فائقة به واهتماما شديداً بتلبية رغباته المقبولة وإشباع غرائزه بالأمور النافعة التي تحمله على التأمل والتفكير والرغبة في الجد والانفتاح . والإشراف ينبغي أن يكون صادقاً نزيها والمشرفون مؤملون ومتخلقون بالأخلاق الإسلامية.

أما الذين تجاوزوا سن الطفولة فالعناية بهم تكون بالقراءة الحرة في الإجازات وإجراء اختبارات لها . ومنح مكافآت للمبرزين مع الاهتمام بحفظ القرآن و التجويد و الثقافة الإسلامية والسيرة النبوية.

بهذا نستطيع أن نربي الطفل والشاب التربية الإسلامية التي تؤهله بدوره في الحياة طبقا لمنهج الإسلام.

كتب الثقات

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي
أستاذ بكلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء

تمهيد إلى كتاب الثقات :

إن ما يعرف من الكتب المؤلفة في الثقات خاصة ، قليل جداً ، أقدمها ثقات العجلي (ت ٢٦١) ولا يوجد أصله بين أيدينا الآن ، وما وصل إلينا يدل على أن مادة الكتاب لم تكن موسعة ، وإن المؤلف كان يختار وصفاً محدداً بإيجاز شديد ، ويذكر عبارات اصطلاحية معروفة في التعديل ، وكان منهجه في التعديل منهج معظم العلماء المحدثين المتقدمين .

وألف بعده بحوالي قرن من الزمان أبو العرب القيرواني كتاباً في الثقات ولم يتداوله العلماء كما تداولوا كتاب ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) المتأخر عنه بسنين ، الذي حاز القبول بالرغم من انتقاد العلماء له ورد توثيقه في عدد من الرجال ، ولكنه هو الكتاب الوحيد الذي خدم واعتنى به العلماء من بين الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

وكتاب ابن حبان من أوسع ما ألف - مما بقي من عاديات الزمن - في الثقات ، فقد تناول سير الرجال وتراجمهم بإضافة ، وراعى في توثيقهم منهجه الخاص الذي يختلف فيه عن الجمهور متبعا أستاذه ابن خزيمة (ت ٣١١هـ) ولقد كانت قيمة الكتاب وأهميته ترجع إلى اجتهاد ابن حبان واستقرائه لأحوال الرجال ورواياتهم وتقديم الأحكام بشئ من البسط والتفصيل ، واختراع عبارات جديدة في التعديل والجرح لم تكن معروفة في مصطلحات الأقدمين ، وانتقد عليه هذا الاختراع من حيث إنه نشأ

عنه الخطأ في الحكم وفهم بعض النتائج التي توصل إليها في الكلام على الرجال لأنها جاءت في قوالب غير مألوفة تفرد بها ابن حبان وليست مصطلحة بين المحدثين .

أما كتاب ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ) في الثقات فمختصر ، ولم يأت بشئ جديد في الموضوع .

ومن ألف فيه من المتأخرين لم تحظ مؤلفاتهم بالاهتمام والعناية ، ولم يكن الموضوع يحتاج إلى إفراد المؤلفات فيه بعد الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء ، ولأن كثيراً من الثقات تكلم فيهم بعض المحدثين فنقل فيهم بعض الأقوال في الجرح مع أقوال التعديل ، فكانت الكتب الجامعة هي الأولى ، إلا أن في إفراد المؤلفات فيه تيسيراً على الباحثين .

وأذكر فيما يلي - أسماء المؤلفين حسب ترتيب سني الوفيات ، والمؤلفات التي ألفوها في الرجال الثقات ، وأقدم من يعرف من المؤلفين في هذا الموضوع .

١- العجلي (ت ٢٦١هـ) .

له : الثقات (١) : وأصل الكتاب مفقود ، وإنما وصل إلينا بترتيب الحافظ تقي الدين السبكي (٧٢٥-٨٠٧) ثم بترتيب الحافظ الهيثمي (ت ٧٥٧هـ) والكتاب مرتب على حروف المعجم ، ويتراوح طول التراجم بين السطر إلى العشرين سطراً ، يذكر الإسم واسم الأب والكنية والنسبة إلى المصر ويذكر عبارات التعديل ، مثل :

« ثقة ثقة » و « ثقة » و « لا بأس به» (٢) و «حسن الحديث » .

ويعين طبقة الراوي ، وربما يشير إلى المزايا العلمية ، كما يذكر عقائد المترجمين ، وقد

(١) مخطوط في مكتبة شهيد علي ٢٧٤٧/اف ٢٧٩٦ ويقع في ٦٧ ورقة .

(٢) موارد الخطيب : لأكرم ضياء العمري ، ٣١٢ .

أورد في الثقات شيوخا يرون القدر أو التشيع كما يذكر بعض الضعفاء، كبشر المريسي مع لعنه إياه و رميه بالفسق، وربما يذكر تولي بعضهم القضاء، وقلما يذكر شيوخ صاحب الترجمة أو تلاميذه وقد ذكر في بعض التراجم أحداثا وقعت لأصحابها كذكره بعض المناقشات مع الإمام أحمد في المحنة (١).

٢- أبو العرب محمد بن أحمد التميمي القيرواني (ت ٣٣٢هـ).

له: كتاب « الثقات ».

ذكره السخاوي في الإعلان (٢).

٣- ابن حبان: (ت ٣٥٤هـ).

له: « الثقات » (٣).

ذكر السخاوي انه أحفل كتب الثقات (٤) وقد رتبه ابن حبان على الطبقات:

فالطبقة الأولى: هم الصحابة، وتناولهم في المجلد الأول.

والطبقة الثانية: هم التابعون، وتناولهم في المجلد الثاني.

أما الطبقة الثالثة فهم اتباع التابعين و قد خصص لهم المجلد الثالث.

ورتب الأسماء على حروف المعجم ضمن الطبقة، وحافظ على ذكر اسماء النساء بعد الرجال في كل طبقة، وفي نهاية كل طبقة من الطبقات الثلاث خصص قسماً لذكر من يعرف بالكني من الرجال، ثم من اشتهرت بكنيتها من النساء.

و اقتصر على الثقات، وقال: « فكل شيخ ذكرته في هذا الكتاب فهو صدوق (٥) » ويرى ابن حبان أن الأصل في مشاهير الرواة العدالة حتى يتبين ما يوجب القدح، و قد ردّ عليه ابن حجر (٦-٧).

---

(١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة: لأكرم ضياء العمري، ص/٩٨-٩٩.

(٢) أيضاً: ص/١٠٩.

(٣) طبع في خمسة أجزاء في حيدر آباد الدكن.

(٤) الإعلان: للسخاوي، ص/٥٨٥.

(٥) الثقات: ابن حبان، ج/٢- ص/٣٢٤.

(٦) لسان الميزان: ابن حجر، ج/١- ص/١٤.

(٧) تاريخ السنة: ٩٩-١٠٠.

وابن حبان متوسع متساهل في التوثيق ، وقد رد عليه توثيقه لعدد من الرجال ، « وقد ذكر في كتابه خلقا كثيرا ثم أعاد ذكرهم في كتاب الضعفاء والمجروحين وبين ضعفهم ، وذلك من تناقضه وغفلته أو تغير اجتهاده (١) » .

أما تراجمه فهو يذكر في ترجمة الراوي اسمه واسم أبيه وكنيته ونسبه وربما ذكر أسماء الأمهات ، وفي تراجم ذكر عددهم في البلدان وأماكن شيوع زواياتهم ، بقوله ، «روى عنه البصريون » أو الكوفيون ، وأحياناً يذكر عنوان واحد من أحاديثهم عن النبي ﷺ ويشير إلى مشاركتهم في الغزوات والفتوح وفي بعض التراجم ذكر سني الوفيات ومواضعها (٢) .

مشاهير علماء الأمصار (٣) .

يقتصر فيه أيضاً على مشاهير الثقات فقط ، وقد رتبهم على الطبقات ثم على الأقاليم ، فذكر الحجاز والعراق والشام ومصر واليمن وخراسان ووصف مالها من مكانة وأنها معروفة بالعلماء ، وذكر من كان فيها من الصحابة والتابعين و أتباعهم مراعيا لطبقاتهم وبلدانهم ، والتراجم مختصرة يكتفي بذكر الاسم والنسب والكنية وقد يذكر بعض الأحداث باقتضاب .

٤- ابن شاهين : (ت ٣٨٥هـ) .

له كتاب « الثقات » وقد وصل إلينا هذا الكتاب بعنوان :

« تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم (٤) » .

والكتاب مرتب على حروف المعجم ، وقد اقتصر فيه على ذكر اسم الراوي و اسم أبيه و نقل

---

(١) الرسالة المستطرفة : الكتاني ، ص/١٤٦ .

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة : أكرم العمري ، ص/١٠١ .

(٣) طبع بعناية فلا يشهر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ، ١٩٥٩م .

(٤) مخطوط في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء -١٢ مصطلح ويقع في ٩٢ /ورقة (انظر عنه قائمة بالمخطوطات العربية المصورة بالمايكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية) .

أقوال أئمة الجرح والتعديل في توثيق أصحاب التراجم وأحياناً يسند رواياته عنهم ، وقد يذكر بعض شيوخ صاحب الترجمة وتلاميذه (١) .

٥- الدارقطني : (ت ٣٨٥هـ) .

له : « ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند البخاري (٢) » .

و « ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند مسلم (٣) »

٦- أبو نصر الكلاباذي : (ت ٣٩٨هـ) .

« الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (٤) » .

وهو في رجال البخاري الذين أخرجهم في الصحيح (٥) .

وتمضي فترة ثلاثة قرون لم يظهر فيها إلا كتاب واحد في الثقات ، ولعل خبايا المكتبات الخاصة في العالم والمكتبات العامة التي لم تحظ بفهرسة متقنة كاملة تكشف بعد ظهورها عن وجود كتب قيمة في هذا الموضوع .

والمتتبع لتاريخ التأليف في هذا العلم يرى أن موضوع الثقات لم يعتن به العلماء مثل اعتنائهم بكتب الضعفاء والكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء ، وقد كانت في

---

(١) موارد الخطيب : أكرم العمري ، ص/٣١٢ .

(٢) مخطوط في لاله لي ، ٢٠٨٩ (بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج/٣- ص/٢١٢ ، ومنه نسخة في كوبريلي ٤٠ تقع في ٢٩/ورقة) (سزكين : تاريخ التراث العربي ، ج/١- ص/٥١٢) .

(٣) مخطوط في كوبريلي ٤٠/٥ ويقع في ١٥/ورقة (سزكين : تاريخ التراث العربي ، ج/١- ص/٥١٢) .

(٤) مخطوط في دار الكتب المصرية ، نسختان : الأولى في مجلد يقع في ٢١٥/ورقة قياس ١٧ ×٥ر١٢ سم رقم (١٦) ، والثانية في مجلد في ٢٨١/ورقة قياس ٢١ ×٥ر١٥ سم رقم ٧٦ ، وانظر عن نسخه الخطية الأخرى (سزكين : تاريخ التراث العربي ، ج/١- ص/٥٢٢) .

(٥) تاريخ السنة : أكرم العمري ، ص/١٢٣ .

هذه الكتب كفاية ، فركد التأليف المفرد للثقات حقبة طويلة .

أما الكتب التي ألفت في رجال الكتب الصحيحة كصحيحي البخاري ومسلم فقد يمكن أن يعد بعضها من قبيل كتب الثقات ، إلا أن أكثرها مما تدخل في الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء .

و يطالعنا في القرن السابع كتاب واحد في موضوع الثقات و هو «الثقات» (١) لابن خلفون (٢) الأندلسي (٥٥٥-٦٢٦) .

ثم شهد القرن الثامن نهضة جديدة حيث انتعشت العلوم على أيدي عباقرة العلماء ونوابغ المحدثين ، فألفت كتب في « الثقات » كما ألفت كتب عظيمة القدر في أنواع العلوم والفنون .

فمن المؤلفين في الثقات :

٧- الشمس بن محمد بن أيبك السُرُوجي (٣) (ت ٧٤٤هـ) .

ألف كتاباً في « الثقات » ولم يكمله ولو تمّ لكان أكثر من عشرين مجلدا بخطه المتقن البديع وأسماء الأحمدين فقط منه في مجلد (٤) .

٨- الذهبي : (ت ٧٤٨هـ) .

له كتاب «من تكلم فيه وهو موثق» هكذا ذكر عنوانه الصفدي وذكر انه كتبه بخطه وقرأه على

---

(١) التبس منه ابن حجر في تهذيب التهذيب ، ج/١- ص/٤٦٧ ، ج/٢- ص/٤٥٠ ومواضع أخر .

(٢) هو محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان بن خلفون الأزدي (أبو بكر عبد الله) محدث حافظ ، عارف بالرجال من أهل أونبه ، ولد سنة ٥٥٥ و ولي القضاء ببعض النواحي ، له المنتقى في رجال الحديث في خمسة أسفار وغيره من الكتب (معجم المؤلفين ، ج/٩- ص/٦١) .

(٣) هو محمد بن علي بن أيبك السروجي أبو عبد الله الحافظ ولد سنة ٧١٤هـ سمع من الدبوسي وابن المصري ولازم ابن سيد الناس ، قال الصفدي ما رأيت بعد ابن سيد الناس مثله ، ما سألته عن شئ من تراجم الناس و وفياتهم و اعصارهم و تصانيفهم إلا وجدته فيه ، حفظه لا يغيب عنه شئ ، مات بحلب ٧٤٤ (طبقات الحفاظ ، ص/٥٢٢-٥٢٣) .

(٤) الإعلان : السخاوي ص/١٠٩ ، نشر دار الكتاب العربي ، ١٣٩٩هـ .

مؤلفه (١) وذكر السخاوي له كتاباً بعنوان « معرفة الرواة المتكلم فيهم بمــــا لا يوجب الرد » (٢-٣).

وقد ألفه الذهبي بعد تأليفه لكتابه ميزان الاعتدال كما ذكر هو في مقدمته ، وبين في هذه الرسالة الجرح المعتبر والجرح المردود ، وضرب لذلك أمثلة من الثقات المتكلم فيهم بما لا يجرحهم (٤).

٩- ابن حجر : (ت ٨٥٢هـ).

صنف في « الثقات » ممن ليس في التهذيب ، ولم يكمل (٥).

ومما يدل على قلة عناية العلماء بإفراد المؤلفات في الثقات أن الذهبي ، الذي ألف عشرات الكتب في الرجال ما خلف في الثقات إلا كتابين صغيرين ، وكذلك ابن حجر صنف كتاباً واحداً في الثقات ولم يكمله .

وأفرد فيه بعد ابن حجر الشيخ الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٩هـ) كتاباً بعنوان : « كتاب الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة » وهو كبير في أربع مجلدات (٦) ، ولم ينهض بعد ذلك أحد للكتابة في هذا الموضوع بهذه السعــــة والتفصيل (٧).

ولم أقف على غير ما ذكرت من المؤلفات في الثقات .

ويلي هذا الفصل فصل في كتب الضعفاء - بمشيئة الله تعالى .

---

(١) نكت الهميان . ص/٢٤٢ .

(٢) الإعلان ، السخاوي . ص/٥٨٧-٥٨٨ .

(٣) وفي سنة ١٩٠٦م نشره عبد المجيد زكريا باسم « رسالة في الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم » مع مجموعة رسائل أخرى .

(٤) الذهبي ومنهجه في كتابه : « تاريخ الإسلام » بشار عواد معروف . ص/١٩٢-١٩٣ .

(٥) الإعلان : السخاوي ، ص/١٠٩ .

(٦) الرسالة المستطرفة : الكتاني ، ص/١٤٧ .

(٧) وجاء ذكر كتاب في فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتب خانة الخديوية بسراى درب الجماميز بعنوان « مختصر الثقات من تهذيب الكمال في أسماء الرجال » ولم يذكر اسم المؤلف ، مخطوطة نمرة خصوصية ٢٢، ونمرة عمومية ٦٦٥٦، (انظر فهرست الكتب العربية ، ج/١- ص١٢٨ ، جمع وترتيب حسنين محمد) طبعة أولى بمصر١٣٠١ . كذلك ذكر هذا الكتاب بنفس العنوان في فهرست المخطوطات بمكتبة الأوقاف ببغداد . ص/٧٨، رقم المخطوط ، ٢٢م .

الأبواب والتراجم للبخاري ، ميزاتها وخصائصها

[الحلقة الثالثة]

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي
عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

والسبب الثاني لتعقد بعض ما أورده في هذا الكتاب من الأبواب والتراجم والتوائها على فهم كثير ممن الشراح والمدرسين ، حتى قال الكرماني (١) : « إن هذا قسم عجز عنه الفحول البوازل من الأعصار ، و العلماء الأفاضل من الأمصار فتركوها بأعذار » هو عدم اطلاع أكثرهم على ما كان يسود في عصره من آراء وأقوال يشتد حولها الخصام . ويكثر فيه القيل والقال . وما ذهب إليه بعض معاصريه ومن تقدمه بتقليل من مذاهب . فإنه يعقد باباً ويأتي بترجمة وما قصده من ذلك إلا نقض ما انتشر في الناس . وجرى عليه العامة أو نقل عن عالم وهو عنده مخالف للحديث وما ثبت من السنة . فهو يؤدي بذلك أو ينظر إليه من طرف خفي . ولا يستطلع ذلك ولا يفهم سر إيراده له. إلامن اتسع علمه وأحاط بأكثر

(١) هو العلامة المحدث الكبير محمد بن يوسف بن علي بن سعيد . شمس الدين الكرماني (٧١٧–٧٨٦هـ) أصله من كرمان . أخذ عن أبيه بهاء الدين وجماعة ببلدته ثم ارتحل إلى شيراز فأخذ عن القاضي عضد الدين ولازمه اثنتي عشرة سنة . قال ابن حجي : تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة . واقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه « الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » خمسة وعشرون جزءاً صغيراً . وله غير ذلك من التصانيف . سمع منه جماعة منهم القاضي محب الدين البغدادي وغيره مات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد ودفن فيه . الدرر الكامنة ج/٤ . ص/٣١٠ . الأعلام : ج/٨– ص/٣٧ .

ما كان يوجد في عصره من الأخلاق والعادات و الأقوال و الآراء . وكذلك اطلع على كتب معاصريه أو من سبقه بقليل كمصنف عبد الرزاق (١) ومصنف ابن (٢) أبي شيبة وغيرها وقد أشار إلى هذه النكتة الشيخ ولي الله الدهلوي في بعض مباحثه في كتابه المتقدم ذكره . إذ قال : « وأكثر ذلك تعقبات تبكتات على عبد الرزاق وابن أبي شيبة في تراجم مصنفيهما إذ شواهد الآثار تروى عن الصحابة والتابعين في مصنفيهما . ومثل هذا لا ينتفع به إلا من مارس الكتابين واطلع على ما فيهما (٣) » .

وسبب آخر لهذا الغموض والتعقد . وعجز العلماء والشراح عن حله ومعاناتهم في ذلك الشدة والمشقة حتى التجأ كثير منهم إلى تأويلات وتكلفات لا يسيغها الذوق السليم . حتى قال الباجي (٤) :

---

(١) هو العلامة المحدث الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري أبو بكر الصنعاني (١٢٦–٢١١هـ) من حفاظ الحديث الثقات . كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث . روى عن معمر وابن جريج والأوزاعي والثوري وروى عنه أحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما . قال الذهبي رحمه الله : « كان رحمه الله من أوعية العلم له كتب أشهرها مصنفه في الحديث جمع فيه الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة والتابعين . تهذيب التهذيب : ج/٦– ص/٢١٠ . وفيات : ج/١– ص/٣٠٣ . ميزان : ج/٢– ص/١٢٦ . شذرات : ج/٢– ص/٢٧ . تذكرة الحفاظ : ج/١– ص/٦٤ . الأعلام : ج/٣– ص/٣٥٣ .

(٢) هو الإمام أحد الأعلام أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩–٢٣٥هـ) صاحب التصانيف الكبار سمع من شريك وابن المبارك وغيرهما . كان ثقة عديم النظير . خرج له الشيخان . قال أبوزرعة : ما رأيت احفظ منه . وقال أبو عبيد : انتهى علم الحديث إلى أربعة منهم ابن أبي شيبة له مصنف في الحديث كمصنف عبد الرزاق . تذكرة الحفاظ : ج/٢– ص/٤٣٢ . شذرات : ج/٢– ص/٧٨٥ . الأعلام : ج/٤– ص/١١٧ .

(٣) رسالة شرح التراجم للإمام ولي الله الدهلوي : ص/٥ .

(٤) هو الحافظ العلامة سليمان بن خلف بن سعيد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي (٤٠٣–٤٧٤هـ) فقيه مالكي كبير من رجال الحديث أصله من بطايوس (Bootayoz) ومولده في باجة بالأندلس . رحل إلى الحجاز فمكث ثلاثة أعوام وسافر إلى بغداد والموصل ودمشق وحلب ثم ولي القضاء في بعض أنحاء الأندلس روى عنه الخطيب وابن عبد البر وخلق سواهما . له كتب أشهرها : المنتقى في شرح الموطأ وشرح المدونة . توفي بالمرية . تذكرة الحفاظ : ج/٣– ص/١١٧٨ . وفيات : ج/١– ص/٢١٥ . شذرات : ج/٣– ص/٣٤٤ الأعلام : ج/٣– ص/١٨٦ .

« وإنما أوردت هذا مهنا لما عني به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها وتكلفهم في ذلك من تعسف التأويل ما لا يسوغ » هو أن الكتاب لم يزل في دور التنفيخ والتهذيب والحذف والزيادة، شأن الكتب التي يعني بها أصحابها أشد عناية، ويصبون فيها علمهم ويعتبرونها عمدة بضاعتهم ورأس مالهم وزادهم في الآخرة، وشأن العلماء الذين لا يزال عقلهم في نبوغ وعلمهم في نمو فلا يزال عقلهم مشغولاً بهذا الكتاب ولا يزال قلمهم يتناوله بالتحسين والتحبير، وحياة الإمام البخاري لم يكن فيها هدوء واستقرار بل كان ينتقل من بلد إلى بلد ومن محنة إلى محنة ومن جفاء إلى جفاء حتى لقي ربه.

ويدل على ذلك ما نقله الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة كتابه في أسماء رجال البخاري، فقال: أخبرني الحافظ أبوذر عبد الرحيم (١) بن أحمد الهروي، قال حدثنا الحافظ أبو إسحاق (٢) إبراهيم بن أحمد المستملي قال انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد (٣) بن يوسف الفربري فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشيـــاء مبيضة، منها تراجم لم

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو ذر عبد الرحيم بن أحمد الأنصاري المالكي، ابن السماك شيخ الحرم الهروي (٣٥٥-٤٣٤هـ) سمع أبا إسحاق المستملي والدار قطني وأبا الهيثم الكشميهني، وروى عنه أبو الوليد الباجي والخطيب البغدادي وغيرهما. كان ثقة ضابطاً زاهداً ورعاً جاور ثم تزوج في الحجاز وسكن السروات فكان يحج كل عام له مصنفات. تذكرة الحفاظ: ج/٣- ص/١١٠٣.

(٢) هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم البلخي المعروف بالمستملي. محدث ثقة له معجم الشيوخ. توفي سنة ٣٧٦هـ. شذرات: ج/٣- ص/٨٦، الأعلام: ج/١ - ص/٢٢.

(٣) هو الحافظ محمد بن يوسف بن مَطر أبو عبد الله الفربري (٢٣١-٣٢٠هـ) أوثق من روى صحيح البخاري عن مصنفه واشهرهم. سمعه منه مرتين: الأولى: سنة ٢٤٨هـ، والثانية: سنة ٢٥٢هـ ورواه عنه كثيرون نسبته إلى فربر من بلاد بخارى. توفي في شوال. شذرات: ج/٢- ص/٢٨٦، الأعلام: ج/٧- ص/١٤٨.

يثبت بعدما شيئاً وفيها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك . قال الباجي : ومما يدل على صحة هذا القول . أن رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير مع أنهم انتسخوا من أصل واحد وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما . فأضافه إليه . ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث (١) .

وأيده العلامة الحافظ ابن حجر صاحب فتح الباري . فقال : « وهذه قاعدة حسنة يفزع إليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهي مواضع قليلة جداً (٢) » .

وعلى كل فهذه بعض أسباب لتعقد الأبواب والتراجم في هذا الكتاب الذي اعتنت به الأمة أشد اعتناء بعد كتاب الله . وصلت إليها دراسة قاصرة لمن لم يكن صاحب اختصاص في فن الحديث ، وقد يكون أكثر من ذلك . ولا آخر في عالم العلم والتأمل والبحث . وفوق كل ذي علم عليم .

ولم يزل الموضوع غضاً طرياً يطرقه كل باحث في علم الحديث ، وكل دارس ومدرس للجامع الصحيح .وكان الموضوع في حاجة - بعد ضياع كتب المتقدمين الأربعة التي تقدم ذكرها - إلى كتاب أكمل وأشمل وأجمع وأوعى . فجاء هذا الكتاب (٣) - والحمد لله - وافيابالغرض . مسعفا بالحاجة لصدق قول الأولين (كم ترك الأول للآخر) وكان المؤلف (٤) - بارك الله في

(١-٢) مقدمة فتح الباري : ص/٦ .

(٣) ألفه العلامة المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله . وسماه : « الأبواب والتراجم للبخاري » .

(٤) مازال مشتغلاً بالإفادة والعبادة حتى وافاه الأجل في ١/شعبان ١٤٠٢هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع .

حياته - قد ذكر في كتابه : « مقدمة كتاب لامع الدراري » بكل ماجاء من أصول الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي ، والقواعد الكلية للتطبيق بين الأبواب والتراجم ، وأبواب لا ترجمة لها ، وكذلك كل ماجاء في رسالة الشيخ العلامة محمود حسن (١) الديوبندي وكل ما وجد من فوائد في دروس الشيخ الكبير مولانا رشيد (٢) أحمد الكنكوهي وكذلك كل ما وجده من أصول وقواعد في كلام الحافظ (٣) ابن حجر و القسطلاني (٤) .

والحافظ العيني (٥) ، فاستوعبها وزاد عليها مما كان خاطره أباعذره ، ولم يسبق إليه حتى بلغ عدد هـــذه الأصول

---

(١) مضت ترجمته .

(٢) هو الشيخ المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد الأنصاري الحنفي الرامفوري ثم الكنكوهي (١٢٤٤-١٣٢٣هـ) ولد في كنكوه ونشأ بين خؤولته . قرأ المختصرات في بلده ثم سافر إلى دهلي وقرأ على الشيخ عبد الغني حتى فاق أقرانه في العلوم وتصدى للتدريس بكنكوه . سافر إلى الحجاز ثلاث مرات واستفاد من شيوخه الشيخ عبد الغني والشيخ إمداد الله .
كانت أوقاته موزعة مضبوطة يحافظ عليها واقتصر في آخر عمره على درس الصحاح الستة فلما كف بصره ترك التدريس وتوسع في الإرشاد والتحقيق . كان آية باهرة في التقوى واتباع السنة والعمل بالعزيمة والحرص على نشر السنة . لا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين مع التواضع واللين . وكانت له اليد الطولى في تزكية النفوس وقد رزقه الله من التلاميذ ما يندر وجود أمثالهم .
له مصنفات مختصرة قليلة . وقد جمع تلميذه النجيب الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي ما أفاد في درسه لجامع الترمذي وطبع باسم « الكوكب الدري » نزهة الخواطر : ج/٨- ص/١٤٨ .

(٣) مضت ترجمته .

(٤) هو الإمام العلامة الحجة المحدث الفقيه الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي (٨٥١-٩٢٣هـ) أخذ عن خالد الأزهري والجلال البكري وغيرهما . قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على الشاوي حج غير مرة . وله مصنفات أشهرها شرحه على صحيح البخاري سماه : « إرشاد الساري » يقول الحضرمي في النور السافر: وبالجملة فإنه كان حافظاً متقناً ، جليل القدر ، حسن التقرير والتحرير ، لطيف الإشارة بليغ العبارة ، حسن الجمع والتأليف ، لطيف الترتيب والترصيف ، توفي بالقاهرة . شذرات الذهب : ج/٨- ص/١٢١ .

(٥) هو الإمام العلامة المحدث الفقيه المؤرخ بدر الدين محمود بن شهاب الدين أحمد العينتابي المصري الحنفي المشهور بالعيني (٧٦٢-٨٥٥هـ) تفقه على والده ثم رحل إلى حلب وأخذ عن يوسف بن موسى الملطي الحنفي ثم قدم القدس الشريف فأخذ عن العلاء السيرامي وصحبه حتى سافر معه إلى القاهرة ولازمه حتى مات فأقام بمصر مكباً على الاشتغال والاشغال . و ولي حسبة القاهرة ثم ولي عدة تداريس و وظائف دينية واشتهر اسمه وبعد صيته . أفتى ودرس وصنف إلى أن ولي قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية . كان فصيحاً باللغتين العربية والتركية ، وكان أحد أوعية العلم ، أخذ عنه ما لا يحصى ، له مصنفات جليلة أشهرها ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري في عشرين مجلداً . شذرات الذهب : ج/٧- ص/٢٨٦ . الجواهر المضية : ج/٢- ص/١٦٥ . الفوائد البهية : ص/٨٧ . الضوء اللامع : ج/١٠- ص/١٣١ .

الكلية إلى سبعين أصلاً وقاعدة فاحتوى على علم غزير لم نجده في كتاب واحد -والغيب عند الله- فاقترحت على المؤلف كما اقترح كثير من تلاميذه تجريد هذا الجزء وطبعه ككتاب مستقل فتقبل هذا الاقتراح مشكوراً محسناً إلى المشتغلين بتدريس هذا الكتاب العظيم بصفة خاصة والخادمين لعلم الحديث بصفة عامة مستحقاً ثناءهم وتقديرهم ودعواتهم الصالحة وما عند الله أوفى وأبقى وأعظم وأجل. وكان قد تناول كل كتاب من كتب الجامع الصحيح وتكلم على أبوابها وتراجمها باباً باباً وترجمة ترجمة فجاء الكتاب سفراً ضخماً قد يقع في عدة أجزاء. وأصبح الكتاب موسوعة أو دائرة معارف بالتعبير الحديث في كل ما يتصل بالأبواب والتراجم في الجامع الصحيح للبخاري مغنياً عن غيره. وبذلك أغنى طلبة علم الحديث ومدرسيه عن تتبع هذا الموضوع في كل كتاب والتقاط الدرر من كل بحر و وفر عليهم وقتاً طويلاً وعناءاً كبيراً. ولا يعرف قيمة هذا الكتاب وما فتح الله به على مؤلفه الرأي السديد والقول الصواب وما أتى به فيه من لباب النقول وصفوة الأقوال ومحصول العقول والألباب. إلا من مارس هذه الصناعة واشتغل بتدريس الكتاب مدة طويلة ولقي الجهد والعناء في حل غوامضه وفك مشكلاته وقد قال القائل:

إنما يعرف ذا الفضل
من النـــــاس ذووه

وندعو الله أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم وأساتذة الحديث كسائر مؤلفاته ويعز به العلم والدين. والحمد لله أولاً وآخراً. والصلاة والسلام على نبيه المصطفى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

منهجية البحث العلمي

أهداف البحث العلمي وبدهياته

ملاحظات تمهيدية للمبتدئين على درب البحث الأكاديمي

بقلم : دكتور ظفر الإسلام خان

__هدف البحث :__ لعل أول سؤال ينبغي أن توجهه إلى نفسك وتعطيه إجابة صادقة هو : ما الهدف من وراء بحثك . وقد تتعدد الإجابات ولكن أظن أن هناك إجابتين صحيحتين لا غير لهذا السؤال . أولهما : هو أنك تريد الإسهام بشيء جديد وهام إلى المعرفة الإنسانية حول الموضوع الذي ستختاره أو الذي قد اخترته بسبب أهميته في نظرك . والإجابة الثانية : قد تكون أنك تريد أن تدرب نفسك لتكون باحثا مدرّبا في مجال تخصصك . وأن تفهم المشكلات التي تعتري الباحثين في ذلك المجال . وأن تقدر على تثمين وتقييم أعمال الآخرين وأن تتمكن في نهاية الأمر من الإشراف على آخرين يجرون أبحاثا في ذلك الفرع من العلم . أما لو كان الهدف هو مجرد الحصول على الشهادة للتسلق على السلم الوظيفي والاجتماعي فهو مضيعة للوقت ونيل من هذا المجال السامي .

__الموضوع :__ ينبغي أن يكون اختيار الموضوع من صميم عملك . صحيح أن بعض أساتذتك أو الباحثين الذين سبقوك يكونون قد أشاروا عليك بالبحث في قضية ما . ولكن هذا لا يكفي لاختيار موضوع ما. بل عليك أن تجري دراسة أولية حول

الموضوع إلى أن تقتنع بأنه حقاً جدير بأن تفني في سبيله عدة سنوات من عمرك الثمين . ولو لم تصل إلى هذه القناعة فسوف تضيع من وقتك ومن وقت الآخرين وقد لا تحصل في نهاية الجهد على الثمرة المطلوبة وهي الخبرة الفنية اللازمة لإجراء البحوث - في استقلال و بـــــدون إشراف آخرين - في مجال تخصصك أو حتى التخصصات القريبة من مجالك .

وبعد أن يكون رأيك قد استقر على موضوع ما وتكون قد قرأت بعض المراجع حوله ، ينبغي أن تضع على الورق بعض الأسئلة التي تريد الإجابة عليها في بحثك ، ونوعية الشهادات التي تريد جمعها والتي ترى أنها ستكون هامة وستؤدي إلى النتائج التي تريد إبرازها من خلال بحثك .. وهذا من أفضل الوسائل في أول رحلتك العلمية لتركيز أنظارك بصورة جيدة على ما تريده حقاً ، وإلا بقي الموضوع هلاميا لا تدري ما ترغب في تحقيقه . صحيح أن أفكارك وأسئلتك ستتغير وتتبدل كلما مضيت في البحث ، وهذه هي سنة البحث .. فقليل من الباحثين يحملون حول موضوعهم في نهاية الأمر نفس الأفكار التي حملوها في بداية البحث ، وذلك نتيجة الشهادات والمعلومات الجديدة التي يتوصلون إليها خلال البحث . ويجب أن تكون الشهادات والأدلة هي التي تفرض عليك مسار البحث وليس العكس وهو أن تفرض الخطة التي وضعتها بنفسك مسار بحثك وأنواع الأدلة التي تقتنيها دون غيرها التي لا توائم خطتك ، فهذا ليس من الأمانة العلمية .

وعليك قبل اختيار الموضوع أن تتأكد من أن أحدا لم يسبقك إليه ببحث أكاديمي . وهناك أساليب كثيرة للتحقق من هذا ، أهمها الرجوع إلى كتب دورية متخصصة تصدرها مختلف الجامعات والهيئات عن بحوث الدكتوراه التي اكتملت في جامعاتها أو جامعات بلدها ، وعلى سبيل المثال:

١- رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المصرية :

أ- إنشاء محمود عز الدين وعادل بشيلي بشاى . دليل رسائل الماجستير والدكتوراه المتعلقة بالشرق الأوسط التي أجيزت بالجامعات المصرية . مط. جامعة عين شمس (القاهرة ١٩٧٧م) ص/١٢٢ .

ب- مؤسسة الأهرام بمصر . الدليل البيليوجرافي للرسائل الجامعية في مصر ١٩٢٢-١٩٧٤م (القاهرة ١٩٧٦م) (المجلد الأول عن الإنسانيات ولعله الوحيد المنشور) .

٢- رسائل الدكتوراه بالجامعات الأمريكية والكندية :

Michael Sims,
United States Doctoral Dissertations in Third World Studies, 1869-1978. Los Angeles, Crossroads Press, 1981. 450 p.

يحتوي على قائمة بـ ٠٠٠ر١٩ رسالة دكتوراه قدمت حول شتى موضوعات العالم الثالث خلال فترة ١٩٦٩-١٩٧٨م ، ومنها موضوعات عن الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والعالم الإسلامي بصورة عامة .

George Dimitri Selim,
American Doctoral Dissertations on the Arab World 1883-1968.
Washington, D.C. Library of congress, 1970. xvii+103 p.

يحتوي على قائمة بـ ١٠٣٢ رسالة جامعية حول الشرق الأوسط والإسلام قبلت بالجامعات الأمريكية والكندية خلال فترة ١٩٨٣-١٩٦٨م .

وتابعة المؤلف بملحق حصر فيه الرسائل التي قبلت خلال سنوات ١٩٧٥-١٩٨١م :

American Doctoral Dissertations on the Arab World 1975-1981.
Washington, D.C. Library of congress, 1983. xii+200 p.

وقد أعد اتحاد مكتبات البحث الأمريكي Association of Research Libraries

دليلاً بعنوان :

Doctoral Dissertations accepted by American Universities

ويمكن الحصول على صور معظم هذه الرسائل عن طريق شركـــــــة :

University Microfilm Internationl
300 North Zeeb Road
Ann Arbor, MI 48106-1346 U.S.A.

وهي الأخرى قد أعدت عدة قوائم آخرها حسب علمي هـــي :

Arab World: A selected collection of Doctoral dissertations and Masters' Theses (1989).

وهي تحتوي على تفاصيل ٩٩٧/رسالة جامعية حول مختلف الموضوعات العربية والإسلامية للفترة الممتدة بين ١٩٧٨-١٩٨٧م.

٣- رسائل الدكتوراه في الجامعات الفرنسية :

Association Francaise des Arabisants, Paris,
Dix Ans de Recherche Universitaire Francaise Sur Le Monde arabe et Islamique de 1968-69 a 1979. Paris, Editions Recherche sur Les Civilisations, 1982. 438 p.

وهي تحتوي على فهرسة موضوعية عن ٨٠٧ه رسالة جامعية قدمت إلى الجامعات الفرنسية حول العالم العربي والإسلامي خلال سنوات ١٩٦٨-١٩٧٩م.

٤- رسائل الدكتوراه في الجامعات الألمـــانية والسويسرية و النمسوية :

Klaus Schwarz,
Verzeichnis Deutschsprachiger Hochschulscriften zum islamischen Orient (1885-1970) Deutschland-Osterreich-Schweiz. Freiburgim-Breisgau, N.P. 1971. 280 p.

تحيط هذه القائمة بالرسائل المقدمة في جامعات هذه الدول خلال سنوات ١٨٨٥-١٩٧٠ .

Detlev Finke, et. al.
Deutsche Hochschulshriften uber de Modernen islamischen Orient/ German Theses on the Islamic Middle East. Hamburg, Deutsches Orient Institut, Dokumentations-Leitstelle Moderner Orient, 1973. viii+177 p.

تحتوي على ذكر الرسائل الجامعية حول الشرق الأوسط الإسلامي بالجامعات الألمانية .

Klaus Schwarz,
Der Vordere Orient in den Hochschulschriften Deutschlands, Osterreichs und der Schweiz: eine Bibliographie von Dissertationen und Habilitationsschriften (1885-1978). Freiburg-im-Breisgau, Klaus Schwarz Verlag, 1980 xxiii+ 721 p.

تحتوي على قائمة بـ٥٠٥٠ رسالة جامعية قدمت إلى الجامعات الألمانية والسويسرية والنمسوية ، خلال الفترة الممتدة بين ١٨٨٥-١٩٧٨ .

٥ - رسائل الدكتوراه بالجامعات البريطانية والإيرلندية :

Peter Sluglett,
Theses on Islam, the Middle East and North-West Africa 1880-1978. London, Mansell, 1983. 200 p.

تحتوي على ذكر ٢٠٠٠ رسالة دكتوراه قدمت خلال فترة ١٨٨٠-١٩٧٨م .

وقد أعدت مؤسسة ASLIB البريطانية فهرسا برسائل الدكتوراه والماجستير المقدمة إلى الجامعات البريطانية والإيرلندية بعنوان :

Index to Theses accepted for higher degrees in the Universities of Great Britain and Ireland.

هذه بعض القوائم المتاحة ، وليس هدفنا هو أن نحصرها جميعا .. وهناك فهارس كثيرة متنوعة أخذت مختلف الهيئات والجامعات نشرها ، تتناول آسيا وإفريقيا وجنوب شرق آسيا وبعض البلاد على حدة ، وهي كلها تتناول قضايا عربية إسلامية داخل حدود تلك المناطق والبلاد ، ويمكن الرجوع إلى بعضها في :

C.L. Geddes,
Guide to Reference Books for Islamic Studies. Bibliographic Series No. 9 (Denver 1985).

ويمكنك الحصول من بعض الجامعات الغربية على القوائم بالبحوث الجارية بها لنيل درجات الدكتوراه ، أما تعاون الجامعات في البلاد العربية والإسلامية بهذا الشأن فالأسف أمر مشكوك فيه .. ومهما فعلت فقد تكتشف في نهاية الأمر (وخصوصاً لأن القوائم التي تطلع عليها ليست كاملة ولا هي تعطيك آخر المعلومات بل تتوقف عند سنة معينة) أن شخصا آخر يقوم ببحث مماثل ، وفي هذه الحالة لا بأس من مراسلة ذلك الشخص لمعرفة خطته

والمصادر التي يعتمد عليها ، وقد يمكنك بهذا الأسلوب أن تتجنب مساره في البحث وأن تمضي قدما في معالجة الموضوع بأسلوبك إلا لو اتضح أنه يعتمد على ذات المصادر الأولية التي تعتمد عليها وأنه قد قضى شوطا أطول منك في البحث.

وقد تدرك بعد قطع بعض الأشواط في موضوع ما أن باحثا آخر قد سبقك إليه - بالفعل - بتناوله بالتفصيل وأنك لن تضيف جديداً ، أو أن الموضوع لا يكفي لبحث أكاديمي ، أو أن المصادر والشواهد التي تريد استخدامها موجودة ولكن يستحيل عليك استخدامها لسبب ما كأن توجد في مكان ما لا سبيل لك للوصول إليه أو أن الذين في حوزتهم هذه المصادر كالمخطوطات والوثائق غير راضين بالسماح لك بالاطلاع عليها . أو أنها بلغة لا سبيل لك إلى فك رموزها .. إلخ .. وفي هذه الحالة لا ينبغي لك التمادي في الموضوع وإضاعة المزيد من وقتك ، بل عليك قبول الأمر الواقع والبحث بسرعة عن موضوع آخر يلائمك ، وهذا أفضل بكثير من أن تحاول بالقوة إعداد رسالة بتلفيق المتاح لديك من معلومات ناقصة وبالتالي تصنع لك قصرا وهميا لا وجود له على أرض الواقع.

اختيار الموضوع:

يجب عليك أن تقضي بعض الوقت - كثلاثة أشهر مثلا - في دراسات أولية حول الموضوع الذي تود بحثه . فتقرأ ما كتب عنه أو ما يتوفر عنه من معلومات من أي نوع ، وهذه العملية مجدية جدا فهي ستوضح لك معالم الموضوع الذي ستقضي في بحثه سنتين أو أكثر ، ولا تتخبط خلال هذه المرحلة فتضيع من وقتك في قراءات لا علاقة لها بموضوعك ، بل يجب

أن تكون قد توصلت إلى فكرة عامة (theme) على الأقل حول الموضوع وعليك أن تظل ممسكا بخيط هذه الفكرة على الدوام وألا تسمح لها بالانفلات من يديك ، مع استحضار أن هدفك هو في نهاية الأمر أن تتقدم ببحث شيق ، ومقروء بسهولة ، وسهل ، وهام في موضوعه .

وبعد أن تكون قد مررت بهذه المرحلة الأولية ، حاول بمساعدة أستاذك المشرف تحديد موضوع بحثك بشئ من الدقة ، وبإمكانك تغيير هذا الموضوع في مراحل تالية بموافقة مشرفك وطبقا للوائح في جامعتك ، والجامعات عموماً لا تمانع في تغيير موضوع الرسالة ما دام في نفس التخصص وكان الأستاذ المشرف موافقا على التغيير ، ومن المفيد في بداية تسجيلك للموضوع ألا تحدده كثيزاً بل أتركه عائماً إلى حد ما على أن تحدده بدقة فيما بعد حين تتضح لك معالمه بدقة فتشعر بأن في إمكانك تحديده .

ثم عليك أن تبحث في الاستعداد والأدوات اللذين تحتاج إليهما بعد أن يستقر رأيك على موضوع ما .. وقد تكتشف عند ما تتوغل في أعماق البحث أن معرفتك بخلفيته أو بعض القضايا الفرعية المتعلقة به ليست دقيقة، وهناك أسلوبان لمعالجة هذا الخلل .. أولهما : أن تتجاهل ضحالة معلوماتك وتمضى قدما تتجنب بحنكة وحذق (المطبات) بحيث لا يكتشف أحد العيوب الكامنة فيك .. والأسلوب الآخر هو أن تعود إلى قراءة مراجع ثانوية لتسد الثغرات في معرفتك وبالتالي تثرى بحثك .

الأسلوب الأول : - التجاهل - قد يوقعك في مشكلات حقيقية فيما بعد مع الأستاذ المشرف أو

المتمنين . بينما لن تزداد إلا قناعة بالأسلوب الثاني .. ونقول هذا مع التحذير من عدم الاستغراق في قراءة المصادر الثانوية لمدد طويلة وإلا أضعت الكثير من الوقت .. ولو مضيت مستغرقاً في المصادر الثانوية لمدة طويلة . فقد لا تستيقظ إلا بعد فوات الأوان .. ولذلك عليك أن تحدد موعدا تترك فيه المراجع الثانوية وتلتفت بعده إلى المصادر الأساسية وحدها . ولو اعترتك فكرة - وأنت تقرأ المصادر الثانوية - أنك لن تتمكن من وضع تصور واضح لما تريده فعليك الرجوع فوراً إلى المصادر الأولية . وأن تبدأ بعد قليل بكتابة ما توصلت إليه . فهذا سيعيد إليك وضوح الفكرة . والكتابة هي التي توضح الفكرة التي تبقى بصورة غير مركزة في المخ . وعند وضعها على الورق ستكتشف الثغرات والعيوب الموجودة في معلوماتك ورؤيتك .

ولا بأس من أن نلاحظ هنا أن الرسائل العلمية تطول عموماً لسنوات وسنوات . وهو عيب شائع في جامعات الشرق والغرب على حد سواء . وهو أحيانا ناجم عن إهمال بعض الأساتذة المشرفين لما يقدمه لهم طلبتهم من فصول . كما أن الطلبة هم الآخرون ينشغلون . بعد أن يصلوا إلى مرحلتي الماجستير والدكتوراه . عن دراساتهم بأشياء أخرى بدلا من التركيز على بحوثهم .. المهم ليس فقط أن تعد رسالتك بنجاح . بل المهم . كذلك . أن تنجزها في مدة زمنية معقولة . ولكي تتمكن من إنجاز هذا عليك أولا وضع جدول زمني معقول وعملي ثم عليك محاولة تطبيقه على حد الإمكان .

سمات البحث الأكاديمي :

هناك ثلاث سمات رئيسية لا يكتمل بدونها البحث

الأكاديمي : الدقة Accuracy والوضوح Clarity والثبات على الأسلوب الـذي تخـتـصـاره Consistency وأهم هذه السمات ، بدون شك ، هي الدقة ، وكنقطة البداية لابد أن يكون الموضوع النهائي الذي تستقر عليه واضحا ومحددا بكل الدقة الممكنة . فلا ينبغي أن تأخذ على عاتقك بحث موضوع هلامي أو قضية تتعلق بفترة زمنية غير محددة كما لا ينبغي لك أن تبحث في شخصيات معاصرة وأحداث لم تكتمل بعد بصورة نهائية .

ولا تتناول قضية طرقها آخرون بإسهاب ، فعلى سبيل المثال في حالة وجود كتاب موثق مثل Saeedullah, Life and Works of Nawab Siddique Hassan Khan of Bhopal (Lahore 1973). لم يكن مستساغا لباحثين آخرين أن يجعلاه موضع دراستهما للدكتوراه بجامعتي عليجراه الإسلامية وبهوفال .. اللهم إلا إذا كان الباحث الجديد سيضيف جديدا بالفعل أو سيتناول جانباً هاماً لم يتطرق إليه من سبقوه ، كأن يكون قد ظفر بمصادر جديدة لم تتح لمن سبقوه .

« يتبع »

أعلام الفقه الإسلامي :

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى

وكتابه : الحجة على أهل المدينة

[الحلقة الثالثة]

بقلم : الأستاذ محمد أكرم الندوي

هل كان مالك يرى العمل حجة لازمة :

اختلف المالكية في حجية العمل، ما المراد بها . وهل إنه يقدم على الخبر أم لا ؟ (١) . وأما مالك فإنه لم يصرح في ذلك بشيء . وغاية ما نقل عنه في موطأه أنه يروي الحديث ويقول : العمل ببلدنا كذا . أو ليس عليه العمل ببلدنا . بل قد ثبت عن مالك أنه لم يكن يرى العمل حجة لازمة . ولا سيما بعد ما كتب إليه الليث فإنه انتبه إلى أن إلزام العمل بما عليه أهل المدينة سيؤدي إلى إبطال كثير من السنن و الأقضية والفتاوى الثابتة عن رسول الله ﷺ في أمصار الإسلام . و قد تواتر عن مالك أنه :

قال له أبو جعفر المنصور : اجعل العلم علماً واحداً يا أبا عبد الله . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رأى (٢) يقول ابن القيم :

بل مالك نفسه منع الرشيد من ذلك و قد عزم عليه و قال له : تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في البلاد ، و صار عند كل طائفة منهم علم ليس عند غيرهم . وهذا يدل على أن عمل أهل المدينة ليس عنده حجة لازمة لجميع الأمة . وإنما هو اختيار منه لما رأى عليه العمل . ولم يقل قط في موطئه ولا في غيره : لا يجوز العمل بغيره . بل يخبر إخباراً مجرداً أن

هذا عمل أهل بلده (٣) .

ويقول إمام الحرمين :

والظن بمالك رحمه الله لعلو درجته أنه لا يقول بما نقل الناقلون عنه . نعم قد يتوقف في الأحاديث التي نقلها علماء المدينة ثم خالفوها . لاعتقاده فيهم أنهم أخبر من غيرهم بمواضع الأخبار وتواريخها (٤)

منهجه في هذا الكتاب :

إنه رتب الكتاب على الأبواب الفقهية . يبدأ كل باب بذكر قول أبي حنيفة . ويردفه بقول أهل المدينة . ويقول : قال أهل المدينة . ثم يحتج لأبي حنيفة . ويذكر أدلة أهل المدينة ومستنداتهم . ويرد عليها . وأحياناً يذكر قول مالك . وهو في كل ذلك احتج لأبي حنيفة أبلغ احتجاج . ولم يترك مذهبه إلى مذهب مالك أو أهل المدينة إلا في القليل النادر . وهذا يدل على أمانته وصدقه . واتباعه للأدلة وخضوعه للقرآن والسنة .

بداية الكتاب : بدأ كتابه بقوله : اختلاف أهل الكوفة وأهل المدينـــــة في الصلوات والمواقيت . ثم قال :

قال أبوحنيفة رضي الله عنه : ينبغي أن يسفر بالفجر . لما قد جاء في ذلك من الآثار . ولأن صلاة الفجر يكون الناس فيها في حال ثقل من النوم . فينبغي أن يسفر بها لأن يشهدها من كان نائماً ومن كان غير نائم .

وقال أهل المدينة ومالك ينبغي أن يغلس بها لما جاء فذلك من الأخبار .

وقال محمد بن الحسن : قد جاء في ذلك آثار مختلفة من التغليس والإسفار بالفجر . والإسفار بالفجر أحب إلينا . لأن القوم كانوا يغلسون فيطيلون القراءة . فينصرفون كما ينصرف أصحاب الإسفار . ويدرك النائم وغيره الصلاة . ثم ذكر الأخبار (٥) .

نقض أهل المدينة آثارهم برأيهم :

يقول في باب المسح على الخفين :

قال أبو حنيفة : لا بأس بالمسح على الخفين ، للمقيم يوماً وليلةً من الحدث إلى تلك الساعة من الغد . وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها . لا يمسح أكثر من ذلك .

وقال أهل المدينة : المسح على الخفين للمسافر أبداً. ليس في ذلك عندنا وقت يمسح على خفيه مادام مسافراً . ما لم يحدث ..

وأما المقيم فإن أهل المدينة اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : لا يمسح مقيم على الخفين . منهم مالك بن أنس ومن أخذ بقوله .

وقال غيره من أهل المدينة : المسافر والمقيم في ذلك سواء . يمسحان على الخفين أبداً . وليس في ذلك وقت . وممن قال هذا القول عبد العزيز بن أبي حازم سلمة ومن أخذ بقوله من أهل المدينة .

و قد كان مالك بن أنس يقول بهذا القول زماناً من عمره ، ثم رجع فقال : لا يمسح المقيم على الخفين .

فأي القولين السنة في هذا ؟ أقول : مالك الأول ؟ أو قوله الآخر ؟ فقد زعموا أنهم يقولون بالسنة وبما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

و قال محمد بن الحسن : الآثار في المسح للمقيم يوماً وليلةً و للمسافر ثلاثة أيام ولياليها كثيرة معروفة . و ما كنت أظن أن أحداً ممن نظر في الفقه يشكل عليه الآثار في هذا .

ثم ذكر محمد الآثار الواردة في ذلك ومنها ما رواه مالك وأهل المدينة . ويقول :

فهذه آثارهم التي رووها وحملوها ثم نقضوها برأيهم (٦).

مخالفة أهل المدينة للمشهور من الأخبار :

قال أبو حنيفة رحمه الله في المسح على الخفين : يمسح على ظهر الخفين . وليس على الذي يمسح أن يمسح باطنهما بشيء .

وقال أهل المدينة : يجعل كفا على ظاهرهما وكفا على أسفلهما . فيقبل بالكف التي على الظاهر إلى ساق القدم..

ويقبل بالتي على الأسفل من العقب إلى الأصابع فيمسح ظاهره وباطنه .

و قال محمد بن الحسن : وكيف قال هذا أهل المدينة ؟ فما نعلم أحداً يبصر شيئاً يتكلم بمثل هذا .

ثم ذكر أثر عمر بن الخطاب المشهور وغيره من الآثار ، ثم قال : قال أهل المدينة : فقد قال هذا ابن شهاب ، قيل لهم : أفيأثره عن غيره أم رأي رآه ؟ قالوا : لا نعلم أنه آثره عن أحد.

قيل لهم : قد أخبرنا فقيهكم مالك بن أنس عن هشام بن عروة أنه رأي أباه يمسح على الخفين . قال : وكان يمسح على ظاهرهما ، ولا يمسح على باطنهما . قال : فينزع العمامة فيمسح برأسه .

فهذا قول عروة بن الزبير وهو كان أفقه وأعلم بالرواية والسنة من ابن شهاب . فكيف ترك هذا مالك بن أنس وغيره وهم الذين رووه (٧) .

ترك أهل المدينة القياس الصحيح في ما لم يأت فيه أثـــــر :

قال أبو حنيفة رضي الله عنه في رجل غسل قدميه ، ثم لبس خفيه ، فلم يحدث حتى استأنف بقية الوضوء : إن ذلك يجزيه ، فإن أحدث بعد ذلك توضأ ومسح على الخفين ، لأنه حين غسل رجليه ثم لم يحدث حتى توضأ بقية الوضوء فقد صار طاهراً .

وقال أهل المدينة في رجل غسل قدميه ولبس خفيه ثم استأنف بقية الوضوء : لينزع خفيه ثم ليتوضأ ويغسل رجليه .

وقال محمد بن الحسن : كيف ينزع خفيه وهو لم يحدث حتى أتم وضوءه ؟ قالوا : لأنه بدأ بالرجلين قبل وجهه وذراعيه ، فكذلك كان هذا هكذا .

قيل لهم : فما تقولون في من توضأ وعليه خفاه فوجب عليه المسح فسها عنه حتى جف وضوءه ، أيمسح على خفيه أم يعيد الوضوء ؟ قالوا : بل

يمسح على خفيه ولا يعيد الوضوء .

قيل لهم : فهذا ترك لقولكم في من ترك عضواً أو بدأ بعضو قبل عضو . قالوا : لأن هذا فعل ابن عمر رضي الله عنهما حين بال بالسوق فتوضأ وأخر المسح على خفيه . ولما دعي ليصلي على الجنازة مسح على خفيه ثم صلى ولم يستأنف الوضوء .

قيل لهم : فهذا الحديث حجة عليكم ، وقيل لهم : المسح على الخفين أليس يجزئ عن غسل الرجلين ؟ قالوا : بلى . قيل لهم : أفليس قد صار كغسل الرجلين ؟ قالوا : بلى .

قيل لهم : فمهما غسل رجليه حتى يجف وضوءه استقبل الوضوء ، وإذا نسي أن يمسح على الخفين حتى يجف وضوءه لم يعد ، قالوا : لفعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

قيل لهم : فإنما يقاس ما لم يأت فيه أثر على ما جاءت فيه الآثار . فقد رويتم أثرين في مسح الرأس والمسح على الخفين ولم تقيسوا على واحد منهما . فلأي شيء اختلف هذا وغيره من مواضع الوضوء ؟

وقد زعمتم أنه لا أثر عندكم في غير هذا من الأعضاء . فينبغي لمن قاس على السنة والآثار أن يقيس على السنة ما لم يأت فيه أثر لما قد جاءت فيه الآثار ما يشبهه (٨) .

تقديم أهل المدينة خبر امرأة على آثار فقهاء الصحابة :

وهو الخلاف المشهور في انتقاض الوضوء بمس الذكر . يرى أهل المدينة انتقاض الوضوء لحديث بسرة بنت صفوان . أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا لمس أحدكم ذكره فليتوضأ .

يقول محمد بن الحسن : قيل لهم : فقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك ، فقال : هل هو إلا بضعة من جسدك . فلم ير فيه وضوءاً .

والذي لا اختلاف فيه عندنا أن علي بن أبي طالب ، وعبد

الله بن مسعود ، و عمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وعمران بن حصين رضي الله عنهم لم يروا في مس الذكر وضوءاً . فأين هؤلاء من بسرة بنت صفوان ؟

ويقول بعد أن سرد آثاراً كثيرة لفقهاء الصحابة :

فكيف نترك حديث هؤلاء كلهم واجتماعهم على هذا على حديث بسرة بنت صفوان . ليس معها رجل . والنساء إلى الضعف ماهن في الرواية (٩) .

عجب لمن زعم أن أهل المدينة يقولون بالآثار:

قال أبو حنيفة رحمه الله : من رعف أو قاء أو قلس ملء فيه أو أكثر أو سال من جرحه دم أو قيح أو صديد يكون سائلاً أو قاطراً فعليه الوضوء .

وقال أهل المدينة : لا يجب الوضوء إلا من حدث يخرج من ذكر أو دبر ، أو ينام مضطجعاً . فإن قلس طعاماً أو قاء فليس عليه وضوء ، وليتمضمض من ذلك وليغسل فاه .

وقال محمد بن الحسن : وكيف قلتم هذا؟ فقد رويتم فيه الوضوء .

ثم روى أحاديث المدنيين .

وقال : وقد روى هذه الأحاديث فقيهم مالك بن أنس . فكيف تركت هذه الآثار . ولم تترك إلى آثار مثلها ؟

ثم يقول : فعجباً لمن زعم أن أهل المدينة يقولون بالآثار ، وهم يروونها . ثم يتركونها عياناً إلى غير أثر (١٠) .

احتجاج محمد لأبي حنيفة ومتابعته لأهل المدينة :

قال أبو حنيفة رحمه الله في رجل مريض يصلي بالناس جالساً وهم قيام : إن ذلك يجزئ .

وقال أهل المدينة : ليس العمل عندنا أن يصلي الإمام بالناس جالساً .

ثم ذكر حديثاً رواه أهل المدينة أن رسول الله ﷺ صلى بالناس في مرضه وهو جالس . ولكنه اختار قول أهل المدينة . يقول :

قول أهل المدينة في هذا أحب إلي من قول أبي حنيفة . و إن كنت احتججت لأبي حنيفة بحجة

فابعة لم تر أهل المدينة بمخرج منها.

ثم ذكر سبب متابعته لأهل المدينة (١١).

رواية أهل المدينة حديثاً لسعيد بن المسيب عن رجل من خراسان:

يرى أبو حنيفة أن المسافر إذا نوى الإقامة بمصر خمسة عشر يوماً أو أكثر أتم الصلاة ، وإن أجمع على أقل من ذلك قصر . ويرى أهل المدينة إنه إذا نوى أربعة أيام أتم ، ويقصر في أقل من ذلك .

يقول محمد بن الحسن : كيف أخذتم بالأربع ؟

قالوا : بلغنا ذلك عن سعيد بن المسيب . قالوا : رواه مالك بن أنس عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب .

قيل لهم : فقد أخبرنا بذلك مالك . فقد أخذتم علكم هذا في هذه الأربع عن رجل من أهل خراسان . ولم يبلغ أحداً منكم بأثره عن سعيد بن المسيب . إن هذا لمن العجب . إنكم ترغبون في ما تزعمون عن رواية أهل الكوفة ، ولا تأخذون بها ، وترووون عمن يأخذ من أهل الكوفة . كيف لم تسمعوا بهذا الحديث ، وهو في ما تزعمون فقيهكم سعيد بن المسيب حتى ترووونه عن عطاء الخراساني .

أما إني لم أرد بذلك عيب عطاء الخراساني ، وإن كان عندنا لثقة ، ولكنا أردنا أن نبصركم عيب قولكم و قلة معرفتكم بقول فقيهكم ، و هذا مما لا ينبغي أن تجهلوه من قول أصحابكم . وهو مما يبتلى به الناس كثيراً في أسفارهم . وليس هذا من الغامض الذي تعذرون بجهله من قول أصحابكم ، مع أنكم قد خالفتم في ذلك علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن جبير وغيرهم ، ثم سرد الآثار عنهم وعن غيرهم (١٢) .

لا قياس مع أثر:

يرى أبو حنيفة أن القهقهة في الصلاة حدث ينقض الوضوء لما جاء في ذلك من الحديث والآثار .

بينما يرى أهل المدينة أنها بمنزلة

الكلام تنقض الصلاة ولا يعاد منها الوضوء.

يقول محمد بن الحسن: لو لا ما جاء من الآثار كان القياس على ما قال أهل المدينة. ولكن لا قياس مع أثر. وليس ينبغي إلا أن ينقاد للآثار.

ثم سرد الآثار (١٣).

إسراع أهل المدينة إلى حديث لعبد الله بن مسعود:

قال أبو حنيفة في من دخل المسجد فوجد الناس ركوعاً: أحب إلي أن لا يركع حتى يصل الصف وإن خاف الفوت.

وقال أهل المدينة: إذا ظن أنه سيصل الصف قبل أن يرفع الناس رؤوسهم من الركعة ركع دون الصف ثم دب حتى يصل الصف.

وقال محمد بن الحسن: القول كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه. وكذلك بلغنا عن النبي ﷺ. ثم ذكر حديثاً مرفوعاً ثم قال:

وقال أهل المدينة: وقد بلغنا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يدب راكعاً.

قيل لهم: ما أسرعكم إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه إذا كانت لكم منه حجة. وما أبطأكم عنه إذا خالفكم. إنا نحن أعلم بأمر عبد الله بن مسعود منكم. كيف دب حتى وصل الصف. إنه خرج من داره ومعه أصحابه فكبر وكبروا معه فصاروا صفا ثم دبوا حتى لحقوا الصفوف. ولم يخرج عبد الله من داره وحده. ولم يبلغنا أنه دب وحده.

ثم عد الأخبار والآثار (١٤).

استحسان أهل المدينة في مقابلة أحاديث رووها:

منع أبو حنيفة من المرور من بين يدي المصلي.

وقال أهل المدينة في الذي يمر بين يدي الناس وهم يصلون: نرى ذلك واسعاً إذا قامت الصلاة فاحتج عليهم محمد بأحاديث وآثار رووها هم ويقول:

فهذه أحاديث أهل المدينة يحتج عليهم بها وهم يأخذون بخلافها. وممن يأخذ بخلافها مالك بن أنس. وهو الذي رواها. فكيف يكونون أصحاب آثار وهم يدعون عيانا ما يروون. ولو أردنا أن نحتج عليهم بأحاديث كثيرة من الأحاديث في هذا أو نحوه لاحتججنا بها عليهم. لكن احتجاجنا بأحاديثهم أوجب في الحجة عليهم. وهذا مما يدل على غيره من أقوالهم أنما تركوا فيه الآثار وأخذوا فيه بما استحسنوا بما لم يأتوا فيه بأثر ولا سنة (١٥).

الفرق بين من قال: سمعته ومن قال: لم أسمع:

يرى أبو حنيفة أن سجدتي السهو

تابعة لم تر أهل المدينة بمخرج منها.

ثم ذكر سبب متابعته لأهل المدينة (١١).

رواية أهل المدينة حديثاً لسعيد بن المسيب عن رجل من خراسان:

يرى أبو حنيفة أن المسافر إذا نوى الإقامة بمصر خمسة عشر يوماً أو أكثر أتم الصلاة. وإن أجمع على أقل من ذلك قصر. ويرى أهل المدينة إنه إذا نوى أربعة أيام أتم. ويقصر في أقل من ذلك.

يقول محمد بن الحسن: كيف أخذتم بالأربع؟

قالوا: بلغنا ذلك عن سعيد بن المسيب. قالوا: رواه مالك بن أنس عن عطاء الخراساني عن سعيد بن المسيب.

قيل لهم: فقد أخبرنا بذلك مالك. فقد أخذتم عليكم هذا في هذه الأربع عن رجل من أهل خراسان. ولم يبلغ أحداً منكم بأثره عن سعيد بن المسيب. إن هذا لمن العجب. إنكم ترغبون في ما تزعمون عن رواية أهل الكوفة. ولا تأخذون بها. وتروون عمن يأخذ من أهل الكوفة. كيف لم تسمعوا بهذا الحديث. وهو في ما تزعمون فقيهكم سعيد بن المسيب حتى ترووه عن عطاء الخراساني.

أما إني لم أرد بذلك عيب عطاء الخراساني. وإن كان عندنا لثقة. ولكنا أردنا أن نبصركم عيب قولكم و قلة معرفتكم بقول فقيهكم. و هذا مما لا ينبغي أن تجهلوه من قول أصحابكم. وهو مما يبتلى به الناس كثيراً في أسفارهم. وليس هذا من الغامض الذي تعذرون بجهله من قول أصحابكم. مع أنكم قد خالفتم في ذلك علي بن أبي طالب. وعبد الله بن عمر. وسعيد بن جبير وغيرهم. ثم سرد الآثار عنهم وعن غيرهم (١٢).

لا قياس مع أثر:

يرى أبو حنيفة أن القهقهة في الصلاة حدث ينقض الوضوء لما جاء في ذلك من الحديث والآثار...

بينما يرى أهل المدينة أنها بمنزلة

الكلام تنقض الصلاة ولا يعاد منها الوضوء.

يقول محمد بن الحسن: لو لا ما جاء من الآثار كان القياس على ما قال أهل المدينة. ولكن لا قياس مع أثر. وليس ينبغي إلا أن ينقاد للآثار.

ثم سرد الآثار (١٣).

إسراع أهل المدينة إلى حديث لعبد الله بن مسعود:

قال أبو حنيفة في من دخل المسجد فوجد الناس ركوعاً: أحب إلى أن لا يركع حتى يصل الصف وإن خاف الفوت.

وقال أهل المدينة: إذا ظن أنه سيصل الصف قبل أن يرفع الناس رؤوسهم من الركعة ركع دون الصف ثم دب حتى يصل الصف.

وقال محمد بن الحسن: القول كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه. وكذلك بلغنا عن النبي ﷺ. ثم ذكر حديثاً مرفوعاً ثم قال:

وقال أهل المدينة: وقد بلغنا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يدب راكعاً.

قيل لهم: ما أسرعكم إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه إذا كانت لكم منه حجة. وما أبطأكم عنه إذا خالفكم. إنا نحن أعلم بأمر عبد الله بن مسعود منكم. كيف دب حتى وصل الصف. إنه خرج من داره ومعه أصحابه فكبر وكبروا معه فصاروا صفا ثم دبوا حتى لحقوا الصفوف. ولم يخرج عبد الله من داره وحده. ولم يبلغنا أنه دب وحده.

ثم عد الأخبار والآثار (١٤).

استحسان أهل المدينة في مقابلة أحاديث رووها:

منع أبو حنيفة من المرور من بين يدي المصلي.

وقال أهل المدينة في الذي يمر بين يدي الناس وهم يصلون: نرى ذلك واسعاً إذا قامت الصلاة فاحتج عليهم محمد بأحاديث وآثار رووها هم ويقول:

فهذه أحاديث أهل المدينة يحتج عليهم بها وهم يأخذون بخلافها. وممن يأخذ بخلافها مالك بن أنس. وهو الذي رواها. فكيف يكونون أصحاب آثار ومن يدعون عيانا ما يروون. ولو أردنا أن نحتج عليهم بأحاديث كثيرة من الأحاديث في هذا أو نحوه لاحتججنا بها عليهم. لكن احتجاجنا بأحاديثهم أوجب في الحجة عليهم. وهذا مما يدل على غيره من أقوالهم أنما تركوا فيه الآثار وأخذوا فيه بما استحسنوا بما لم يأتوا فيه بأثر ولا سنة (١٥).

الفرق بين من قال: سمعت ومن قال: لم أسمع:

يرى أبو حنيفة أن سجدتي السهو

بعد السلام.

وقال أهل المدينة : كل سهو يكون بنقصان من الصلاة فإنما يسجد له قبل السلام.

قال محمد بن الحسن : قيل لهم : لم يأت فيما قلتم من الأحاديث إلا حديث واحد حديث عبد الله بن بحينة عن النبي ﷺ أنه قام من الركعتين ولم يجلس . فسجد سجدتين وهو جالس قبل السلام . قالوا : نعم . هذا حديث عبد الله بن بحينة . وبه أخذنا .

قيل لهم : فهل رويتم عن عبد الله بن بحينة أو روى عنه فقيه قط حديثا غير هذا الحديث ؟ قالوا : لا نعلم أنه قد جاء عنه حديث غير هذا .

قيل لهم : أفنقبل هذا بترك السنة والآثار المعروفة بقول رجل لا يروي عنه غير حديث واحد ؟

وقد روينا حديث رسول الله ﷺ هذا بعينه عن إمام كان من أئمة المسلمين . يأمنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأمصار ويستعمله عليها . أعرف بالرواية وأعلم بها وأشهر بصحبة رسول الله ﷺ من عبد الله بن بحينة . وذلك المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . أنه صلى بأهل الكوفة فقام من ركعتين ولم يجلس . فلما تشهد سلم . ثم سجد سجدتين للسهو . ثم روى لهم أن رسول الله ﷺ فعل هذا بعينه.

فلو كان الرجلان كلاهما ثقة وكلاهما مأمون على ما رويا لكان الذي قال : سمعت رسول الله ﷺ فعله . فهو أحق أن يؤخذ بقوله من الذي قال : لم أسمعه يسلم حتى سجد سجدتين . لأن من قال : لم أسمعه يسلم حتى سجد سجدتين . ليست تقبل شهادة في الأشياء على مثل هذا . وإنما تقبل الشهادة إذا قال : سمعت ورأيت . فأما من قال : لم أسمع ولم أر فليس يؤخذ بقوله . و عندنا في ما قلنا بعينه آثار على خلاف ما روى عبد الله بن بحينة(١٦) .

---

(١) ترتيب المدارك . ج/١- ص/٦٧-٧٥ .
(٢) انتصار الفقير السالك . ٢٠٨ .
(٣) أعلام الموقعين . ٢/٢٦٤ .
(٤) البرهان . ١/٧٢٠ .
(٥) كتاب الحجة . ١/١-٦ .
(٦) كتاب الحجة . ١/٢٢-٣٤ .
(٧) كتاب الحجة . ١/٣٥-٤٢ .
(٨) كتاب الحجة . ١/٤٢-٤٥ .
(٩) كتاب الحجة . ١/٥٩-٦٤ .
(١٠) كتاب الحجة . ١/٦٦-٦٩ .
(١١) كتاب الحجة . ١/١٢٢-١٢٩ .
(١٢) كتاب الحجة . ١/١٦٨-١٧١ .
(١٣) كتاب الحجة . ١/٢٠٣-٢٠٧ .
(١٤) كتاب الحجة . ١/٢١٤-٢١٨ .
(١٥) كتاب الحجة . ١/٢١٨-٢٢٢ .
(١٦) كتاب الحجة . ١/٢٢٣-٢٢٧ .

الدعوة الإسلامية :

تأثير العبادات في إصلاح المجتمع

الأستاذ أيوب الندوي
محاضر في قسم اللغة العربية
الجامعة الملية الإسلامية - دلهي

الـــزكاة :

الزكاة فريضة محتمة على من ملك النصاب لمن فقده، فهي ليست إحساناً وفضلاً من المعطى، وليست شحاذة وحرصاً من الآخذ، ولقد فرض الله تعالى زكاة المال لئلا يطغى الغني في المجتمع ولا يشقى الفقير جوعاً فهذه حق الفقراء على الأغنياء لابد أن يؤدوه « تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم » وهذا ما أراده الشهيد سيد قطب .

« يكره الإسلام أن تكون الفوارق بين أفراد الأمة بحيث تعيش فيها جماعة في مستوى الترف وتعيش جماعة أخرى في مستوى الشظف . ثم أن يتجاوز الشظف إلى الحرمان والجوع والعرى ، فهذه أمة غير مسلمة والرسول يقول : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله » أو يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » يكره الإسلام هذه الفوارق لما وراءها من أحقاد وأضغان تحطم أركان المجتمع .. يكره الإسلام أن يكون المال دولة بين الأغنياء في الأمة وألا تجد الكثرة ما تنفق .. لهذه المعاني جميعاً شرع الزكاة وجعلها فريضة في المال وحقاً لمستحقيها ، لا تفضلا من مخرجيها (١) » .

ولأجل بقاء هذا النظام العادل الذي أعطى كل ذي حق حقه بقيت المجتمعات الإسلاميـــة لا يشقى

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص/١٤٨ .

فقيرها ولا يطغى غنيها ، وبقيت الأمة موحدة تداعي أفرادها بالسر والجهر لمن يشقى في المجتمع حتى يهيئوا له ما يحتاج إليه .

إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام نظام شامل واسع جدا ، والزكاة فرع من فروعه ، وليست الزكاة ثقلا محمولا على الأمة بل جعلها الإسلام ليسابق إلى أدائها وقد جعل الله تعالى أموال الزكاة متوسخاً لابد أن يرمي به ، فالذين آمنوا لا يحرصون على الأموال بل ينفقونها في سبيل الله ويقرضون الله قرضاً حسناً فيضاعف لهم ربهم أضعافاً كثيرة ، وهذا ما عناه به الأستاذ محمد قطب في قوله : « فكونها (الزكاة) عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله لم يجعل فريضة ثقيلة على النفس يتهرب منها دافعها بل جعلها أمرا يسابق الناس إلى أدائه ليرضى الله عنهم ويمنحهم البركة في أموالهم وأحوالهم وجعل في ضميرهم حساسية تجاهها بحيث يتحرج المسلم من أن يطعم طعاماً أو ينفق على نفسه وأهله مالاً لم يدفع زكاته (١) » .

لقد اختلف البشر بطبيعته .

فمن الناس من يبخل بماله ويحرص عليه ومنهم من ينفقه اسرافا وتبذيرا ولكن الإسلام دين فطري غايته أن تكون هذه الأمة وسطاً لتكون شهيدة على الناس وليتخلق المؤمنون بصفات الله ، فالرب جواد كريم سخي ينفق دائماً فيده سحاء بالليل والنهار لا ينقصها الانفاق والاعطاء ، وكذلك أراد الله تعالى أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعا مثالياً ، ومجتمعا متعاونا فيما بين الناس يعهد فيه الغني الفقير والقوي الضعيف ، فلأجل هذا الغرض الجليل فرض الله الزكاة على المؤمنين وقد ذكرها الإمام الدهلوي باحثاً في مصالح الزكاة الرئيسية وحكمة التشريع فيها .

---

(١) في النفس والمجتمع ، ص/ ١٤٠ .

« اعلم أن عمدة ما روعى في الزكاة مصلحتان - مصلحة ترجع إلى تهذيب النفس وهي أنها أحضرت الشح ، والشح أقبح الأخلاق ضار بها في المعاد ، ومن كان شحيحا فإنه إذا مات بقي قلبه معلقا بالمال ، وعذب بذلك ، ومن تمرن بالزكاة وأزال الشح من نفسه كان ذلك نافعاً له ، أنفع الأخلاق في المعاد بعد الاخبات لله تعالى هو سخاوة النفس .. ومصلحة ترجع إلى المدينة وهي أنها تجمع لا محالة الضعفاء وذوي الحاجة ، و تلك الحوادث تغدو على قوم و تروح على آخرين ، فلو لم تكن السنة بينهم مواساة الفقراء وأهل الحاجات لهلكوا وماتوا جوعاً (١) ».

الطبقات البشرية متفاوتة اجتماعيا و هـــذا أمر طبيعي ﴿ فطرة الله التي فطر النـــاس عليها ﴾ وليس هذا من سوء الفقراء وخير الأغنياء أو من شقاء المساكين وسعادة الأثرياء ، بل أوجد الرب تبارك وتعالى هذا التفاوت الاجتماعي بين الطبقات ليبــلوا الناس أيهم أحسن عملاً ، وكفانا أن نتذكر الآية الكريمة : ﴿ أ هم يقسمون رحمة ربك • نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات • ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٢٢) .

فإذا خلق الله الناس وأوجد فيهم التفاوت بين الفقراء والأغنياء في المجتمع فكذلك خلق لهذا الداء دواء وعلاجاً بتنزيل فريضة الزكاة وأشار إليه الشيخ أبو الحسن الندوي :

« وتلى هذه المصلحة الأساسية مصلحة الجماعة والمجتمع ، وهي كفالة المجتمع ، الكفالة اللازمة الضرورية وسد حاجات الفقراء الطبيعية البدائية ، وتهيئة كل عضو من أعضـــاء المجتمع أسباب الحياة الشريفة التي يستطيع بها

(١) حجة الله البالغة ، ج/٢- ٢٩ .

القيام بحقوق الله وحقوق النفس والوصول إلى الكمال المطلوب والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم (١)» .

لقد ذكر القرآن الكريم مصارف الزكاة في قوله : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل • فريضة من الله • و الله عليمٌ حكيمٌ ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٦٠) .

وهؤلاء أعضاء ضعيفة للمجتمع وهم صفر الأيدي أو لا يجدون من المال إلا قليلاً ، فالقرآن الكريم هيأ لهم مالاً ليتقوّوا به على معيشتهم ويصبحوا بعد التمويل والاكثار من المنفقين على الفقراء الآخرين وهكذا حتى يسعد المجتمع ولا يجد يداً سائلة كما قد وقع للمجتمع الإسلامي الأول .

فريضة الزكاة حق من حقوق العباد والصلاة حق من حقوق الله ، فمنزلة الزكاة في الدرجة الثانية ولأجل أهمية الزكاة وأهمية حقوقها وصلها الله تعالى بالصلاة التي هي حق الله في القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ و أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١١٠) وفي مكان آخر مدح المؤمنين و وصفهم بأنهم يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة فقال : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٣) .

قد لاحظت السنة النبوية هذا الترتيب و وضع الزكاة في الدرجة الثانية فحينما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل في العام العاشر الهجري ذكر أعمال الإسلام حسب الأهمية فقال له : « انك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا اله إلا الله واني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين

(١) الأركان الأربعة ، ص/١١٢-١١٣

الله حجاب (١) » .

فالإنسان إذا آمن وأقام الصلاة وآتي الزكاة اعتبر مسلماً ومنتمياً إلى المجتمع الإسلامي ، وأما إذا منع الزكاة وهي فريضة أساسية بعد الصلاة فلا يعتبر مؤمنا ويقاتله الخليفة كما قاتل الخليفة الأول أمير المؤمنين أبو بكر الصديق مانعى الزكاة ولم يلتفت إلى قول من قال انهم آمنوا بالله وشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولقد قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار(٢) » وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا اله إلا الله دخل الجنة (٣) » فأجاب الخليفة أبو بكر الصديق لعمر بقوله : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه (٤) » وإلى أهمية فريضة الزكاة أشار الدكتور يوسف القرضاوي بقوله : « وقد جعل القرآن الزكاة - مع التوبة من الشرك وإقامة الصلاة - عنوان الدخول في دين الإسلام واستحقاق أخوة المسلمين والانتماء إلى المجتمع الإسلامي : قال تعالى في شأن المشركين المحاربين : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ و قال سبحانه : ﴿ فان تابوا و أقاموا الصلاة وآتووا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (٥) .

فهذا هو نظام الزكاة الذي أنزل به القرآن الكريم من عند رب العالمين ، وهذا هو النظام الاجتماعي العادل الذي يعطى كل ذي حق حقه ، فهذا النظام الاجتماعي في الزكاة إذا طبق في المجتمعات البشرية لرأيت الناس أغنياء المال وما هم بأغنياء المال وإنما هم إذا أغنياء القلب ولا يتكففون الناس الحافاً وانهم سعداء في ذلك المجتمع .

(١) صحيح مسلم ، ج/١، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ص/٩٧ .
(٢) الصحيح لمسلم ، ج/١، باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار ، ص/٢٢٩ .
(٣) نفس المرجع ، باب من مات على التوحيد دخل الجنة ، ص/٢١٨ .
(٤) نفس المرجع ، ج/١، باب الكلام على توبة الزنديق ، ص/٢٠٧ . (٥) مشكلة الفقر ، ص/٦٩ .

الإمام ابن دقيق العيد ، حياته وآثاره

[الحلقة الرابعة]

دكتور جلال الدين أحمد النوري

١- شرح بعض مختصر ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في الفقه المالكي (١).

قال قطب الدين الحلبي : لم أر في كتب الفقه مثله (٢).

٢- شرح مختصر أبي شجاع في فقه الشافعية (٣) :

وأبو شجاع أحمد بن الحسين (الحسن) بن أحمد الأصفهاني الشافعي القاضي المتوفى سنة ٤٨٨هـ وقيل سنة ٥٠٠هـ ، ومختصره هو (التقريب) أو المسمى بـ (غاية الاختصار) (٤).

ولعل شرح ابن دقيق هو الذي ذكره بروكلمان (٥) والزركلي (٦) باسم : « تحفة اللبيب في شرح التقريب ».

وذكر الزركلي بأنه : مطبوع ،

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ . ج/٤- ص/١٤٨٣ . عن قطب الدين الحلبي ، وطبقات الشافعية : للسبكي . ج/٩- ص/٢١٢ ، وطبقات الشافعية للأسنوي . ج/٢- ص/٢٢٩ ، والبدر الطالع . ج/٢- ص٢٢٩ ، وشجرة النور الزكية . ص/١٨٩ ، ومعجم المؤلفين ، ج/١١- ص/٧٠ .

وفي المقفى للمقريزي (شرح كتاب ابن الحاجب في الفقه على مذهب مالك) ابن دقيق العيد . ص/١٠٢ ، والنجوم الزاهرة . ج/٦- ص/٢٦٠ ، ومفتاح السعادة . ج/١- ص/١٣٨.

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ . ج/٤- ص/١٤٨٣ .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للأسنوي . ج/٢- ص/٢٢٩ .

(٤) انظر : ترجمة أبي شجاع في : طبقات الشافعية للسبكي . ج/٦- ص/١٠ ، وكشف الظنون . ص/١١٨ و ١٦٢٥ ، وحاشية الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي على مختصر أبي شجاع . ج/١- ص/١٠ ، وحاشية البجيرمي على شرح الخطيب الشربيني المعروف بالاقناع في حل ألفاظ أبي شجاع . ج/١- ص/١ .

(٥) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الأصل . ص/٧٥ .

(٦) انظر : الأعلام . ج/٦- ص/٩٣ .

ولم أقف عليه .

٣- شرح على مختصر التبريزي في فقه الشافعية (١) .

ومختصر التبريزي في فروع الشافعية ، لأمين الدين مظفر بن أحمد التبريزي (ت ٦٠١هـ) لخصه من الوجيز (٢) .

٤- شرح عيون المسائل :

وعيون المسائل في نصوص الشافعي ، لأبي بكر أحمد بن حسين بن سهل الفارسي (ت ٣٠٥هـ) (٣) .

ولم أر أحداً من مترجمي ابن دقيق العيد المتقدمين قد ذكره .

٥- شرح كتاب ابن الحاجب في الأصول (٤) .

وذكر حاجي خليفة (٥) :

أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شرح بعض مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه (منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل) .

وقال اسماعيل باشا (٦) :

من تصانيفه : شرح منتهى السول والأمل . لابن الحاجب .

ولم أقف على هذا المؤلف إلا عند هؤلاء . وكلهم من المتأخرين .

٦- شرح مقدمة المطرزي أصول الفقه (٧) .

ولعله هو كتابه الذي ذكره بعضهم باسم :

شرح العنوان في أصول الفقه (٨) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية للسبكي . ج/٩- ص/١ .
و ورد في الطالع السعيد . ص/٥٧٦ (شرح على التبريزي في الفقه) .

(٢) انظر : كشف الظنون . ص/١٦٦ .

(٣) انظر : كشف الظنون . ص/١١٨٨ . وهدية العارفين . ج/٢ - ص/١٤٠ .

(٤) انظر : المقفى للمقريزي ابن دقيق العيد . ص/١٠٢ .

(٥) انظر : كشف الظنون . ص/٥٦ . (٦) انظر : هدية العارفين . ج/٢- ص/١٤٠ .

(٧) انظر الطالع السعيد . ص/٥٧٦ . وتذكرة الحفاظ . ج/٤- ص/٤٨٢ . عن قطب الدين الحلبي . والوافي بالوفيات . ج/٤- ص/١٩٤ . ومعجم المؤلفين . ج/١١- ص/٧٠ .

(٨) انظر : طبقات الشافعية للسبكي . ج/٩- ص/٢١٢ . وطبقات الشافعية للأسنوي . ج/٢- ص/٢٢٩ . وحسن المحاضرة . ج/١- ص/٣١٨ . والمزهر للسيوطي . ج/١- ص/٢٤ .

قال حاجي خليفة :

« عنوان الوصول في الأصول ، في أصول الفقه شرحه الشيخ تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد ... أوله :

« الحمد لله ذي العظمة والجلال .. إلــخ . قال : فهذه فصول مشتملة على تعريفات ومسائل . لا غنية عنها للفقهية في معرفة الأحكام ، أوردتها على سبيل الإيجاز ، مقتصراً على رؤوس المسائل ، مكتفياً بالأنموذج من نكت الدلائل ، جردتها للمبتدئين في الفن . وهو عشر ورقات (١) » .

٧- اقتناص السوانح :

أتى فيه بأشياء غريبة ، ومباحث عجيبة ، وفوائد كثيرة ، ومواد غزيرة (٢) .

٨- ديوان خطب ، مفرد معروف (٣) .

وخطبه بليغة مشهورة ، أنشأها لما كان خطيباً بقوص وله تعاليق كثيرة (٤) .

قال الأدفوي :

أخبرني قاضي القضاة نجم الدين أحمد القمولي : أنه أعطاه دراهم ، وأمره أن يشتري بها ورقاً ويجلده أبيض ، قال : فاشتريت خمسة وعشرين كراسا ، وجلدتها وأحضرتها إليه ، وصنف تصنيفا وقال : انه لا يظهر في حياته (٥) .

٩- كتاب الاقتراح :

وكان العلماء قد اهتموا به كثيراً لعلو منزلته بين كتب مصطلح الحديث ، ومنزلة مؤلفه بين العلماء وقد ذكرت للكتاب أسماء متعددة بينها على النحو الآتي :

الاقتراح في بيان الاصطلاح ، وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث

---

(١) انظر : كشف الظنون ، ص/١١٧٦ .

(٢) انظر : الطالع السعيد ، ص/٥٧٦ ، والأعلام ، ج/٦- ص/٢٨٣ .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ، ج/٩- ص/٢٣٠ .
الطالع السعيد ، ص/٥٧٦ ، وطبقات الشافعية للأسنوي ، ج/٢- ص/٢٣٠ .

(٤-٥) انظر : الطالع السعيد ، ص/٥٧٦ .

المدودة من الصحاح « وهذا الاسم هو المذكور في المخطوطة » .

وقد ورد هذا الاسم في الديباج المذهب (١)، وشجرة النور (٢) .

و ورد باسم (الاقتراح في بيان الاصطلاح) في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣) والأعلام (٤) .

و ورد باسم (الاقتراح في معرفة الاصطلاح) في الطالع السعيد (٥) .

و ورد باسم (الاقتراح في معني الاصطلاح) في المقفى للمقريزي (٦)

و ورد باسم (الاقتراح) في : ألفية العراقي (٧) والدرر الكامنة (٨) والضوء اللامع (٩) و طبقات الحفاظ للسيوطي (١٠) و حسن المحاضرة (١١) و كشف الظنون (١٢) و شذرات الذهب (١٣) و البدر الطالع (١٤) وهدية العارفين (١٥) ومعجم المؤلفين (١٦) وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١٧) أيضاً .

---

(١) انظر: الديباج المذهب . ج/٢. ص/٣١٩ . (٢) انظر: شجرة النور الزكية . ص/١٨٩ .

(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان_ الأصل . ج/٢- ص/٧٥ . وقال : مخطوطة في برلين ١٩٣٣م . (٤) انظر : الأعلام . ج/٦- ص/٢٨٣ وذكر أنه مخطوط .

(٥) انظر : الطالع السعيد . ص/٥٧٦ .

(٦) انظر : ابن دقيق العيد . ص/١٠٣ .

(٧) انظر : ألفية العراقي حيث قال : ولأبي الفتح في الاقتراح ان انفراد الحسن ذو اصطلاح .

انظر : شرح التبصرة والتذكرة . وفتح الباقي . ج/١- ص/١٠٩ . وفتح المغيث للسخاوي . ج/١- ص/٩١ . وقد ورد (الاقتراح) في هذه الشروح كثيراً .

(٨) انظر : الدرر الكامنة . ج/٥- ص/٣٤٨ .

(٩) انظر : الضوء اللامع للسخاوي . ج/١- ص/٣٤٣ . و ج/٤- ص/١٧٣ .

(١٠) انظر : طبقات الحفاظ للسيوطي . ص/٥١٣ .

(١١) انظر : حسن المحاضرة . ج/١- ص/٣١٨ . (١٢) انظر : كشف الظنون . ص/١٣٥ .

(١٣) انظر : شذرات الذهب . ج/٦- ص/٥ .

(١٤) انظر : البدر الطالع . ج/٢. ص/٥ .

(١٥) انظر : هدية العارفين . ج/٢. ص/١٤٠ .

(١٦) انظر : معجم المؤلفين . ج/١١- ص/٧٠ .

(١٧) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان- الذيل . ج/٢- ص/٦٦ .

لكن ورد في شذرات الذهب : (الاقتراح في أصول الدين وعلوم الحديث) وظاهر أن كلمة (أصول الدين) مقحمة هنا ، لأنها تعني العقائد ، والاقتراح هو في مصطلح (علوم) الحديث.

و ورد أن لابن دقيق العيد كتاباً في : علوم الحديث دون ذكر اسمه ، في : تذكرة الحفاظ (١) والوافي بالوفيات (٢) وفوات الوفيات (٣) كتاب الاقتراح ومضمونه : ذكر الأدفوي بأنه : كتاب مفيد في علوم الحديث (٤).

وقال حاجي خليفة : « وهو مختصر ذكره الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ) في ألفية ، و أنه نظمه (٥) » وقد سبق آنفاً بيت ألفية المشار إليه.

وذكر بروكلمان : ان منظومة العراقي للاقتراح في مكتبة « لاله لي » ٣٩٢ Weisw. 18) (٦) .

ويقع نظم عبد الرحيم العراقي للاقتراح في ٤٢٧/بيتاً (٧) .

وشرح هذا النظم ولده الولي أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت ٨٣٦هـ) قال السخاوي في الضوء اللامع : وقفت على أماكن منه (٨) .

وبين الإمام ابن دقيق العيد سبب تأليفه هذا الكتاب بقوله في آخره : (فهذا ما أردنا ذكره من بيان مصطلحات عند أهل الحديث على حسب ما اقترح ذلك ، مع ما أضفت إليه من ذكر أحاديث صحاح) .

ويبدو ان هذا هو السبب في تسمية الكتاب بالاقتراح .

<u>أسلوبه :</u> وقد قدم ابن دقيق كتابه: (الاقتراح) بقوله بعد الحمد:

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ . ج/٤- ص/١٤٨ .
(٢) انظر : الوافي بالوفيات . ج/٤- ص/١٩٣ .
(٣) انظر : فوات الوفيات . ج/٢- ص/٤٤٢ .
(٤) انظر : الطالع السعيد . ص/٥٧ .
(٥) انظر : كشف الظنون . ص/١٣٥ .
(٦) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان – الذيل . ص/٦٦ .
(٧) انظر : ترجمة الحافظ العراقي التي كتبها محمد بن الحسين العراقي الحسيني المدرس بكلية القرويين وأمين خزانتها . في مقدمة شرح « التبصرة والتذكرة » الذي قام بتحقيقه . ج/١- ص/١٨ .
(٨) انظر : الضوء اللامع . ج/١- ص/٣٤٣ .
وترجمة الولي العراقي في : الضوء اللامع للسخاوي . ج/١- ص/٣٣٦-٣٤٤ .

« هذه نبذ من فنون مهمة في علوم الحديث ، يستعان بها على فهم مصطلحات أهله ومراتبهم على سبيل الاختصار والإيجاز ، ليكون كالمدخل إلى التوسع في هذا الفن إن شاء الله تعالى » .

وقد تضمن تسعة أبواب في : شرح ألفاظ متداولة تتعلق بهذه الصناعة ، كالصحيح والحسن ونحو ذلك . والتمييز بين ألفاظ الأداء في المصطلح : حدثنا وأخبرنا .. وكيفية السماع وتحمل وضبط الرواية وآدابها ، وآداب المحدث ، وآداب كتابة الحديث ، ومعرفة العالي والنازل ، و بيان الفرق بين الغريب و العزيز ، و بيـــان المؤتلف والمختلف .. ومعرفة الثقات والضعفاء من الرواة ، وذكر طرفاً من الأسماء المختلفة .

وجعل خاتمة تلك الأبواب التسعة :

ذكر أحاديث صحيحة منقسمة إلى سبعة أنواع ، كل نوع يشتمل على أربعين حديثاً ، لها صفة معينة بينها عند إيراده إياها .

وقطعه بصحتها لا يتم إلا بعد الوقوف على رجال الحديث ، وهو يدل على تبصره في علم الرجال .

وأوضح في آخر الكتاب : أن لفظ الحديث هو لمن ذكره أولاً من المخرجين إذا تعددوا ، فقال : « وما قلت منها فيه أخرجه فلان وفلان ، فاللفظ للمذكور أولاً ، وذلك بحسب ما انتهى إلينا .

وأهمل تخريج بعض الأحاديث ، فرأيت بعد رجوعي إلى كتب الحديث أنه بلفظه في سنن أبي داود ، وأثبت ذلك في الهامش .

ويبدو في هذا الكتاب بشكل واضح تبحر ابن دقيق العيد في الفن ، فنراه يناقش كبار العلماء كالخطابي والترمذي في الكلام عن الحسن ، مثلاً وقد بينت ما عقب العلماء به على كلام ابن دقيق العيد في اعتراضاته وهو يورد بعض الألفاظ الدالة على اجتهاده فيقول مثلاً :

« وأقول : والأولى عندنا ، وليس هذا عندي بمتعين ، قلت : ويشترط أن يكون ، وأختار أنا في ذلك ، وهذا عندنا شديد ، وإنما كرهنا ذلك فيما إذا ، والأحسن عندي أن يقول : فهو عندي الذي أضر بالصنعة ، ونحن نرى أن أهمها ، ومن الخطأ ... ، بل أقول أنه أولى مطلقاً ، وهذا كلام يحتاج إلى تحقيق وبحث .. وغير ذلك .

واقع الاستعانة بوسائل التربية
في العالم اليوم

فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
عميد كلية اللغة العربية وآدابها - بجامعة ندوة العلماء

إذا ألقينا النظر على واقع الشعوب والأمم لوجدنا أن الشعوب المتقدمة الغربية قد استخدمت وسائل التربية استخداماً كاملاً ومبنياً على هدف معين . لقد درس كل واحد من الشعوب وضع جماهيره وبلاده ثم نظمت التربية تنظيماً عاقلاً متلائماً مع هذا الوضع موافقاً لهدفه الذي قرره للحياة .

ولما كانت الشعوب الغربية قد خلعت أنفسها من السيطرة الدينية واختارت طريق الحياة المادية الحرة ، وسارت على فكرة قومية وطنية ، فقد اتخذت من نظم التربية ما يتلاءم مع هذه الفكرة وطبقت هذه النظم بدقة وحكمة ، فاستطاعت أن تبني إنساناً وفياً لوطنه وشعبه متعاوناً بعضه مع بعض في بناء قومه وبلاده على آماله وأحلامه ، واستخدمت في ذلك كل الوسائل الحاصلة له ومنحت أبناءها على ذلك الحرية الكاملة والراحة المادية في حياتهم الفردية وسهّلت لهم سبل التقدم والرقي المادي .

إن واقع هذه الدول الغربية في أوربا موزع على أساس السلالات واللغات وقد اتخذتها أساس قومياتها ، ولكن النظرة إلى الحياة في جميع هذه الدول واحدة فهي تبني مدنيتها على هذه الفكرة الواحدة وتتعاون فيما بينها على أساسها ، مع أنها تتفرق في سلالاتها وتطلب الشرف والعزة على أساسها ، لقد نجحت هذه الشعوب الغربية في آمالها والوصول إلى هدفها ، بتنفيذ نظم التربية تنفيذاً كاملاً متلائماً

مع أمدافها حتى أصبحت دولاً قوية متقدمة غالبة على العالم مع مشاحنات ومفارقات سلالية ولغوية قد تسوق إلى عداوات سافرة فيما بينها ربما أوقعتها في حروب هائلة . ولكنها تتضامن في القضايا المشتركة من الحياة . لقد بلغ من قوة هذه الشعوب الغربية أنها حكمت الشعوب الشرقية حكماً مباشراً ولا تزال تحكمها الآن عقلياً ومدنياً . وليس كل ذلك إلا لأنها استغلت وسائل التربية كل الاستغلال بينما تهاونت فيها الشعوب الأخرى ولا تزال متهاونة . وإذا كان بعض هذه الشعوب المختلفة يستغل وسائل التربية استغلالاً فعلى غير الأساس المتلائم مع طبيعة الأمة وأمدافها وفكرتها في الحياة . لذلك لا تأتي هذه التربية إلا بخلاف ما تتوخاه آمال الأمة وأمدافها .

شدة اهتمام الشعوب المتقدمة بوسائل التربية :

لقد بلغت الاستفادة في الشعوب المتقدمة بوسائل التربية رقماً قياسياً في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان . فلقد بلغت الدولتان في التقدم مبلغاً عظيماً . لقد تكونت الولايات المتحدة من طائفة من سلالات أوربية فمن أجزاء شعبها الانكليز والفرنسيس والألمان والطليان والإسبان . وكل سلالة منها متعصبة لعنصريتها بحيث إن حروباً كبيرة قامت بينها في أوربا على أساسها . فما كان مستحيلاً أن يؤثر هذا التفرق العنصري على قضية توحيدها في وطنية واحدة في أمريكا . ولكن النظام التربوي الذي وضعته الدولة وطبقته نجح في صياغة هذه الوحدات السلالية في قومية واحدة وهي قومية الولايات المتحدة . هو العامل الأساسي في ذلك . فما يشعر الأمريكي من الولايات المتحدة اليوم إلا أنه جزء من وطن الولايات . وهو يفتخر بهذه الوطنية ويعمل للوطن متكاتفاً مع أمريكي آخر مهما كانت سلالته و جنسيته السابقة في بناء عزة شعبه الأمريكي وشرفه وسيادته . حتى في اللغة فإنه يتكلم باللهجة الأمريكية الخاصة تاركاً اللهجة الانكليزية البريطانية الأصيلة . ويشارك في الحصول على

المنجزات العلمية والميكانيكية التي أصبحت تمتاز بها الولايات المتحدة الأمريكية بين دول العالم .

أما شعب اليابان فقد كان شعباً مختلفاً عاجزاً في الماضي ولكنه بنى نظام تربيته على أتم وأقوى الأسس وأحدث طرق بالملاءمة مع حاجة الشعب والبلد في مجالات القوة والمدنية والرفاهية ، ثم طبق هذا النظام التربوي بحيث استطاع به تنشئة الرجل الياباني فرداً قوي الإرادة منصرفاً إلى الجد والاجتهاد مخلصاً للوطن طالباً لعزته وشرفه ، فهو لا يضيع وقته ولا يخون أمته ولا يتهاون في بناء الرفاهية والشرف لوطنه .

قلة الاهتمام عند الشعوب الشرقية بالتربية وشدة حاجتها إليها :

إن الوضع التربوي لشعوب الأمة الإسلامية في أقطارها المختلفة يتّسم بالفوضى وعدم التخطيط ، فإنه ليس هادئاً بل هو قلق مضطرب ، يمكن أن نضرب له مثلاً بالحشائش الشيطانية التي تنبت في الساحة فلا يكون فيها انسجام أو نظام على عكس العشب الذي ينال من الزارع العناية والتخطيط .

فالطفل في الشرق وفي شعوبه الإسلامية يرى أول ما يرى والديه ، فهو يجدهما ضعيفين في الالتزام بخطّة أو نظام معين للسلوك والسيرة منطبعين بأحوال منوعة بتأثير المؤثرات المادية والغزو الثقافي الغربي ، فهما يستقبلان المستجدّات الوافدة إليهما عن طريق الصحافة والإذاعة والزيارات لبيئات مختلفة أجنبية ، وهي تؤثر على دينهما وأصالتهما الثقافية فيرتسم على عقيلة الطفل البسيط أثر من كل ذلك بسبب المحاكاة التي ينطبع بها الطفل تأثراً بوالديه .

ثم يرى الطفل في منزله ويسمع الإذاعة المرئية والمسموعة فيلتقط ذهنه مفارقات خلقية وفكرية ، ويصطبغ بها اصطباغاً ، ويكون ذلك في مرحلة نشأته الأولى ، ومنها تتكون النواة الأولى لميوله وتصوّراته ، ثم

يترعرع ويزداد فهماً . فلا يرى حوله أيضاً إلا ما يشابه هذا الواقع من بيئة متأثرة بالمؤثرات الوافدة والمحلية المنحرفة عن جادة الأصالة . ثم يدخل في المدرسة فلا يجد فيها إلا حالاً شبيهاً بما وجده قبلها . فينشأ رجلاً مذبذباً بين القيم الإسلامية وعقائدها وبين القيم المخالفة لسلوكه الإسلامي .

وقد بلغ بنا الحال أننا أصبحنا لا نجد الرجل المسلم اليوم في بيئته المنزلية ولا محافله الوطنية ولا في مجالاته السياسية ولا في دوائره الحكومية إلا شخصية ممتزجة من مختلف الميول والاتجاهات . ولا تؤثر هذه الشخصية على الجيل الناشئ إلا تأثيراً مخالفاً للأصالة الناشئة عن قيمه وعقائده . بل تجعله ينشأ على المفارقات في الثقافة والإيمان والإتجاهات من الاعتراف بأثر الإسلام والمسلمين والإعجاب بالمستجدات الفكرية والثقافية الوافدة كذلك .

والسبب في كل ذلك راجع إلى إهمالنا في تخطيط العمل التربوي والعناية بالتربية السليمة الهادفة في أوساط المسلمين .

إن أول شئ في هذا المجال إذا أردنا تربية أفراد مجتمعنا تربيةً سليمة هادفة هو أن ننشئ فينا شعوراً صادقاً للواقع المرير للحالة التربوية للمجتمعات الإسلامية . ثم بضرورة بذل المستطاع لنتدارك ما فسد في هذا المجال . فإن كل فرد من أفراد المجتمع يستطيع أن يلعب دوره . وقد أعطانا الرسول الأعظم ﷺ نقطة الانطلاق في ذلك . بقوله التوجيهي العظيم : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... » إلخ .

ولو التزم كل فرد مسلم بمعنى هذا الحديث الشريف وجعله مبدأ لتنفيذه للعمل لجنى ثمراته بحصول الحالة الصالحة في بيئته وفي مجتمه . إنه يجب في الحياة المنزلية أن يشعر الوالدان أن ولدهما يراهما كأسوة للأخلاق والسلوك . فعليهما إذا أحبا أن ينشأ ولدهما على الأخلاق السليمة والسلوك المستقيم أن يتجرد حالهما عن مظاهر الأخلاق والسلوك المنحرفة وإن كان ذلك تكلفاً وتصنعاً . أليسا يبذلان

جهدهما ومالهما في سبيل تعليم ولدهما فلماذا لا يتكلفان لتعليمه في الطفولة ما يحسن له من الأخلاق لتسديد حياته . وعليهما أن يصدّا الغزو الفكري والثقافي المنصب عليه عن طريق الإذاعة و الصحافة . وعندما يصل طفلهما إلى عمر القراءة فعليهما أن يبدآ تعليمه ألفاظ القرآن الكريم ومعاني الدين البسيطة الأساسية حتى يصلح ويتأصل أساس عقليته وتصوراته نحو كيانه الاجتماعي والفكري والديني ، وبعد ذلك يسلمانه إلى المدرسة .

وعلى القائمين بشؤون المدرسة أن يعرفوا أن المدرسة مصنع للرجال ، فكما أن مصنع الحديد ، يمكن عن طريقه أن تصوغ ماعوناً للبيت يرتاح به مستعمله في حاجته ، أو تصوغ سكيناً ليقطع به ما يقطعه ، فكذلك تصنع المدرسة رجالاً لمختلف الحاجات وعلى مختلف الخصائص والاتجاهات .

وفي المجتمع العام تقع مسؤولية التربية الصحيحة على القائمين بالإدارات العامة والحكم ، فإنه يجب عليهم أن يخططوا تخطيطاً يتلاءم مع قيم الأمة الدينية والسلوكية والثقافية ، ففي المجال التعليمي تأتي قضية المناهج والمقررات واختيار المدرسين الأكفاء علمياً وفكرياً وخُلقياً ، وفي المجال الثقافي تخطط برامج الإذاعة ومواد الصحافة والثقافة لتكوين الحالة التي تتلاءم مع آمال الأمة وحاجاتها .

ويمكن في مجال التخطيط والتطوير الاستفادة من الأمم المتقدمة الراقية أيضاً فإن الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها .

أليس سهلاً أن نرى كيف يخطط الأمريكان لصوغ المواطن أمريكياً في عقليته وتصوراته ؟ وكيف يخطط الانكليز لصوغ مواطنيهم بريطانياً بل إنكليزياً ؟ ومكذا الفرنسيون والروس والصينيون واليابانيون كل منهم يصوغ مواطنه في قالبه الوطني والقومي للعقلية والتصورات والميول والاتجاهات ، فكيف نحن لا نستطيع ذلك ؟ إنما هو إهمال وتكاسل منا ، بل انحلال فكري مؤسف .

نحن نربي أبناءنا في قوالب مختلفة ، فينشؤون في صورة من العقلية والأخلاق والاتجاهات ليست شرقية ولا غربية لا هي إسلامية ولا إلحادية ، ولا هي إيمانية ولا هي مادية ، هي شيء من كل ذلك ، وليست كاملة في أي واحدة من ذلك ، وذلك لأن كل واحد منا يلقي المسؤولية على غيره ، ويرى نفسه منها بريئاً ، فلا يرى سيد العائلة أنه مسؤول عن عائلته ، فلا الوالد يرى عليه مسؤولية نحو تربية عياله ، ولا الأم ترى نفسها مسؤولة عن تربية أولادها ، ولا مسؤولو المدارس يرون أنفسهم مسؤولين عن بناء الجيل الناشئ بناءً صحيحاً هادفاً ، ولا مسئولو الإدارات ومؤسسات الإعلام يرون من مسئوليتهم بناء مجتمع ذي أصالة واستقامة وهدف ، فكيف تستقيم الأحوال وتصح مسارات الأمة ؟!

فإذا كانت الشعوب الغربية والشعب الياباني الشرقي قد أحرزت التقدم والقوة والرفاهية بتنظيم وسائل التربية وتجنيدها للهدف المطلوب فكيف لا تستطيع الشعوب الشرقية الإسلامية أن تصل إلى تنظيم حياتها وتنمية ملكات أبنائها وتربية عقولهم وصياغتها صياغة تليق بمكانتها التاريخية العظيمة وبماضيها القوي الإنساني الشريف .

المهم في كل ذلك هو أن يفهم الذين يملكون أزمة البلاد طبيعة هذه الشعوب الإسلامية وفكرتها وهدفها في الحياة ، وماضيها المجيد ، ثم يضعوا نظاماً تربوياً يتفق مع كل هذا ، ويبني الفرد والجماعة على أساسه ، ثم ينفذوا هذا النظام تنفيذاً شاملاً دقيقاً وبإخلاص وحكمة . فإنهم إن فعلوا ذلك فستكون شعوبهم بعد ردحة من الزمن لا راقية فحسب بل قائدة زعيمة هادية للعالم كما سبق لها في الماضي ، وليس ذلك على الله بعزيز . . .

الوضع الإسلامي في تركستان :

جمهوريات ما وراء النهر الاسلامية

دكتور مصطفى محمد طحان

خلال الفترة من ١٩٩٢/٤/٢٨م وحتى ١٩٩٢/٥/٨م قمت بزيارة إلى أوزبكستان وموسكو عن طريق استانبول ، كان الغرض من الرحلة استكشاف هذه المناطق ، والتعرف على طبائع الأمور فيها وما حولها ، ولقد كانت ولله الحمد رحلة ناجحة على أكثر من صعيد .. ونحتاج مستقبلاً إلى زيارة الجمهوريات الأخرى ، حتى تكون الصورة أوضح والتصور أشمل .. وبالإمكان تسجيل بعض الملاحظات العامة حول هذه الزيارة .. على شكل إطار يحيط بالصورة .. فتحديد الإطار يتقدم في الأهمية في بعض الأحيان على الصورة نفسها ..

فكما أعلنت المناطق السلافية الثلاث (روسيا وبلوروسيا و أوكرانيا) في ٢٠/كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٢م قيام دولة الاتحاد السوفياتي .. فقد وقّعت ذات الدول البلافية يوم ٧/كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م (وبعد سبعين سنة) اتفاقية (بلوكجسكايا) التي تنص على انهاء الاتحاد السوفياتي ، وإقامة رابطة الكومنولث مكانه ، وهذه الرابطة تضم جمهوريات الاتحاد السوفياتي (سابقاً) باستثناء دول البلطيق الثلاث (استونيا وليتونيا وليتوانيا) التي أعلنت استقلالها وجمهورية جورجيا التي اكتفت بوضع مراقب .

في ٢٠/كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م عقدت جمهوريات الرابطة الجديدة مؤتمراً للقمة في مدينة آلما آتا عاصمة كازاخستان ، حضره رؤساء الجمهوريات .. وأصدروا القرارات الهامة التالية :

القرار الأول : هو أن الجمهوريات الاحدى عشرة مشتركة على قدم المساواة في تأسيس رابطة الدول المستقلة (الكومنولث) .

القرار الثاني : الاعتراف باستقلال الجمهوريات المشاركة في إطار حدودها الحالية .

القرار الثالث : انشاء قيادة عسكرية مؤقتة للدول الأعضاء .

وهكذا وجدت الجمهوريات الإسلامية الست : أوزبكستان ، كازاخستان ، قيرغيزستان ، تركمانستان ، طاجيكستان ، آذربيجان .. التي تمتد على مساحات شاسعة من حدود الصين شرقاً إلى السواحل الغربية لبحر قزوين غربا .. وجدت نفسها فجأة دولا مستقلة .. مع كل ما تمثله هذه الكلمة من تحديات داخلية وخارجية .

أولاً : التحديات الداخلية :

فهذه الدول كانت تمثل في الاتحاد السوفياتي (سابقاً) الجناح الجنوبي لأمنه القومي ، مما دفعه إلى تركيز الكثير من الأسلحة الاستراتيجية في هذه الجمهوريات ، ففي كازاخستان وحدها ٥و٦٪ من الأسلحة الاجمالية للاتحاد السوفياتي ، كما يوجد فيها ٥و١٢٪ من مجموع الصواريخ الاستراتيجية عابرة القارات ، كما يوجد حوالي ٢٥٠٠٪ من الصواريخ التكتيكية عابرة القارات ذات الرؤوس النووية موزعة على هذه الجمهوريات الست ، ونقطة التسليح هذه بالذات تثير قلق موسكو .. وقلق الغرب أيضاً مخافة أن تتسرب هذه التكنولوجيا المتطورة إلى بلدان العالم الإسلامي الأخرى أو أن تستعملها هذه الدول المستقلة فيما لا يرغبون .

وهذه الدول التي يزيد عدد سكانها عن سبعين مليون مسلم ، وجدت نفسها فجأة وبدون مقدمات طويلة ، مستقلة ومع ذلك يتحكم في أدائها حوالي ١٠٪ من عدد سكانها من الروس .. فمنذ تدخل هذه الجمهوريات عبر مطاراتها .. أو عندما تزور مصانعها .. أو حين تدخل دوائرها الرسمية .. أو حتى فنادقها الراقية .. أو متاحفها العريقة .. أو في كل مجال هام من مجالاتها العلمية أو الصناعية أو التجارية أو السياحية فلا تكاد تجد غير الموظفين الروس ، فلقد كانوا وما زالوا أسياد الموقف .. وإذا

كانت شعوب هذه المنطقة تستقبل ذلك فيمّا مضى بشعور القهر والاحتلال .. فهي اليوم تنتابها مشاعر مختلفـة .. و ما الهجرة الطوعية (١) التي يقوم بها الروس من مختلف المناطق إلا مظهرا لهذا الخوف الكامن في نفوس هؤلاء ، خشية أن تأتي ساعة الانتقام .. خاصة وأن روسيا القيصرية .. وروسيا الشيوعية فيما بعد ، عززت مواقعها في آسيا الوسطى على أسنة الحراب .. وبعد تخريب المدن وإبادة الشعوب .. وترحيل السكان إلى مجاهل سيبيريا .. وخيانة المواثيق .. بل وتحويل هذه الشعوب لمجرد حقول تجارب ، وبلادهم إلى مجرد مزارع يستغلها الروسي لمزيد من رفاهيته .

هذه الدول التي وجدت نفسها مستقلة ، كانت مراكز متقدمة للحضارة الإنسانية ، والشيوعية بالنسبة لها لم تكن أكثر من كابوس حديدي أحاط بها بالقهر والعنف والاضطهاد .. كابوس متخلف في كل الجوانب الانسانية والدينية والتاريخية ، عندما يقف الأوزبكي أمام عظمة مدرسة مير عرب ، أو المسجد الجامع في مدينة سمرقند .. أو يقف أمام ضريح تيمور لنك الذي أعلن عاصمته سمرقند مركزا للحضارة العالمية فاستقدم لها العلماء والشعراء والفقهاء من أطراف الدنيا .. أو تزور مدرسة أولوغ بيك حفيد تيمور لنك وحاكم الدولة من بعده ، أو مرصده الذي رسم خريطة لمواقع النجوم والتي كانت أكثر دقة من الخرائط الأوربية التي وضعت بعد وفاته بمائة عام ، لقد حدد أولوغ بيك في عام ١٤٣٧م طول السنة النجمية بـ٣٦٥/يوماً و٦/ساعات و١٠/دقائق و٨/ثوان ، مخطئاً حسب مقاييس علم اليوم بـ ٥٨/ثانية ، وحدّد ميل دائرة البروج بـ ٢٣/درجة و ٣٠/دقيقة و ١٧/ثانية مخطئاً بحساب اليوم بـ ٣٢/ثانية فقط .

---

(١) يقال أنه لم يبق سوى ٥٠/ألف روسي في طاجيكستان .. والهجرة المماثلة تجري من كل الجمهوريات الأخرى .

المسلم في هذه الدول يشعر - ولم يغب عنه مثل هذا الشعور قط - أن ابن حضارة شامخة أثرت الحضارة الإنسانية في مختلف جوانب المعرفة .. ويزداد زهوة عندما يخبرك وأنت تمر على قبر أمير المؤمنين البخاري تسلم عليه .. أن كتابه في الحديث يعتبر الثاني منزلةً بعد كتاب الله المنزل ..! لقد أنجبت هذه البلاد على سبيل المثال لا الحصر الامام الترمذي والنسائي والإمام عبد الله بن مبارك المروزي والزمخشري والماتريدي السمرقندي والإمام الدارمي وكذلك حكيم الترمذي وإمام الكسائي وإمام السرخسي والإمام أبو البركات النسفي صاحب التفسير الشهير ، وغيرهم كثير وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا والمعلم الثاني الفارابي والعالم الكبير البيروني وموسى الخوارزمي والفرغاني وأولوغ بيك وغيرهم كثير .

مررنا بسمرقند على مدير أحد المراكز الإسلامية .. فأخبرنا أن عطاء هذه البلدان لم يتوقف .. وأنه شخصياً كان يلتقي بطلبة العلم بعد منتصف الليل إلى الفجر .. وكذلك كان يفعل جميع العلماء في بلاد ما وراء النهر التي حكمت بسيف الارهاب والقهر.. ومع ذلك فقد كانوا على موعد مع بزوغ الفجر..

هذه الدول التي وجدت نفسها فجأة مستقلة ، بالرغم من أنها تشكل حالياً ست جمهوريات مستقلة وعشرات المناطق ذات الحكم الذاتي داخل روسيا الاتحادية ، وتتكلم عشرات اللغات المختلفة ، وعشرات اللهجات ، حتى أن بلاداً مثل داغستان التي تضم شعباً واحداً .. لا يمكنهم أن يتفاهموا حالياً إلا باللغة الروسية ، هؤلاء يدركون أن بلادهم هذه جميعاً كانت دولة واحدة اسمها تركستان .. وأن الإسلام واللغة العربية كان يجمعهم ويوحدهم .. وأن الشيوعية هي التي مزقتهم وفرقتهم .. ولهذا كان الحنين إلى الأصالة ، إلى الإسلام ، وإلى اللغة العربية و إلـــى إزالة الحدود المصطنعة ، وإلى البعد عن كل ما يذكرهم بالمذابح ، وإلى البعد عن كل ما هو روسي .. وبعبارة أخرى فإن شعوب هذه المنطقة تطالب باستعادة

هويتها الحضارية ، وهذه الهوية هي ما يقلق الدولة الروسية بالدرجة الأولى ويقلق الغرب والدول الإسلامية العلمانية بالدرجة الثانية ، فروسيا كما يصرح زعيمها الجديد (يلتسين) ما زالت اليوم كما كانت بالأمس تخشى الأصولية القادمة من الجنوب .. وكلمة أصولية هي لفظة يختبئون خلفها ومقصدهم هو الإسلام ، أما الغرب الذي اعتبر نفسه رابحا في الحرب الباردة .. ومنتصرا بالضربة القاضية على خصمه الأكبر الاتحاد السوفياتي ، فمما يسوؤه أن تقوم جمهوريات إسلامية فتية تبحث عن هويتها بديلاً للاتحاد السوفياتي الذي هو أساساً جزء من الحضارة الغربية المسيحية ، وأن معظم تحركات وزير خارجية أمريكا جيمس بيكر وتحركات المسؤولين الغربيين و زياراتهم لهذه الجمهوريات إنما تقع في هذا الإطار .. ولا بد من الاعتراف بأنهم أفلحوا إلى حد كبير.. فلقد فرضت معظم الجمهوريات الإسلامية الحرف اللاتيني في كتابة لغاتهم .. على الرغم من اصرار الشعوب على استعادة الحرف العربي الذي كتب فيه معظم تراثهم .. كما أفلحوا في تقديم تركيا العلمانية لتلعب دوراً رائداً في هذه المناطق مستغلة رصيدها التاريخي واللغوي والديني المشترك .. والأمر بين مد وجزر قد يستمر لسنوات طويلة .. لتحديد شكل أو لون الهوية في هذه الأقطار.

هذه الدول التي وجدت نفسها مستقلة .. تتنازعها عدة تيارات فكرية .. لا يستبعد أن تكون سببا من أسباب الصراع بين الأقليات الاثنية من جهة .. وبين الجمهوريات بعضها والبعض الآخر من جهة أخرى .. بل ان القوى المعادية تراهن على مثل هذه الاحتمالات عند رسمها لخريطة المستقبل ..

فهناك التيار القومي .. الذي قوته وعمقته الماركسية من حيث ادعت محاربته .. فالماركسية نظريا هي ضد الفكر القومي .. ولكنها في الحقيقة قسمت الشعب الواحد إلى شعوب وأوجدت بدل اللغة الواحدة عشرات اللغات ، وأقامت كيانات متداخلة جغرافيا كما هو الحال بين آذربيجان وأرمينيا ، وحاجت العنصر

الدالة في ناماينشان .. وحركات أخرى في معظم أنحاء الجمهوريات الإسلامية.

.. التيار الإسلامي الآخر هو التيار الرسمي .. وهو مساد بصورة عامة للتيار الأصولي .. يتزعم هذا التيار المفتي محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الإسلامية لبلاد ما وراء النهر، وهو شخصية قوية غيورة وحريصة على الإسلام والمسلمين .. خلافه مع الحركات الأصولية - رغم الاتهامات المتبادلة - هو خلاف مواقع واختلاف وسائل أكثر مما هو خلاف مفاهيم أو أهداف، والإدارة الدينية شبكة واسعة تشمل جميع البلدان وتضم المفتين والأئمة وأساتذة المعاهد والمدارس الدينية، ومن المصلحة الإسلامية الكبيرة إيقاف التدهور القائم حالياً في العلاقات بين الفريقين .. فلن يستفيد في نهاية المطاف من هذا الخلاف غير أعداء الإسلام.

وهناك التيار الشيوعي .. الذي يضم القيادات السابقة للحزب الشيوعي، وبالرغم من أن معظم هذه القيادات سقطت في روسيا .. إلا أنها ما زالت موجودة في الجمهوريات الإسلامية، تضعها وتقويها السلطة في موسكو، وتشد أزرها تسارعت الأحداث العسكرية والسياسية في أفغانستان إلى درجة كبيرة.

فعلى الصعيد العسكري:

أعلن المجاهدون يوم ١٩٩٢/٤/١٤م استيلاءهم على مدينة تشاريكار مركز ولاية بروان، وعلى مديرية جبل السراج بالولاية نفسها، وعلى قاعدة بجرام الجوية الاستراتيجية وهي أكبر قاعدة جوية أفغانية، كما استولوا على قاعدة شندند الجوية بولاية فراة، واستولوا على ولايات قندوز وهرات وغزني وقندهار وبغلان، كما أعلن المجاهدون يوم ١٩٩٢/٤/١٩م استيلاءهم على مدينة جلال آباد عاصمة ولاية ننجرهار والتي تعتبر ثالث مدينة من حيث الأهمية، ومدينة فيض آباد عاصمة ولاية بدخشان في الشمال، ومدينة ميدان شهر الواقعة جنوب غربي كابول ومديرية سروبي الواقعة على الطريق بين كابول وجلال آباد.

وأفادت الأنباء أن قوات مسعود في شمال العاصمة وقوات حكمتيار

في جنوبها تستعدان للانطباق على العاصمة ، أما في داخل العاصمة فقد تمكنت قوات (المجلس العسكري) من إقصاء نجيب ، والسيطرة على الأوضاع ، وأبدوا استعدادهم لتسليم السلطة للمجاهدين .

أما على الصعيد السياسي:

فقد أعلن (عبد الوكيل) وزير خارجية نظام كابول يوم ١٩٩٢/٤/١٦م تجريد نجيب من كافة مناصبه واتهمه بالخيانة وأعلن أن محاولته الفرار من مطار كابول قد باءت بالفشل ، وفي نفس اليوم (١٩٩٢/٤/٢٦م) أعلن المسئولون عن المجلس العسكري أنهم وافقوا على تسليم السلطة إلى مجلس يتكون من أربعة جنرالات وان هؤلاء على استعداد للتفاهم مع القائد أحمد شاه مسعود وهؤلاء هم :

= الجنرال نبي عظيمي (نائب وزير الدفاع وقائد حامية كابول العسكرية) .

= الجنرال آصف دلاور (رئيس أركان الجيش الأفغاني) .

= الجنرال عبد المؤمن (قائد حامية حيرتان) .

= الجنرال بابه جان (قائد قاعدة بجرام الجوية) .

وفي يوم ١٩٩٢/٤/١٨م أعلن (عبد الوكيل) أنه عقد محادثات مع القائد أحمد شاه مسعود في مدينة تشاريكار من أجل تسليم السلطة للمجاهدين .

ويظهر أن تفاهم أحمد شاه مسعود مع هؤلاء الضباط لم يكن وليد الصدفة أو وليد ساعته ، بل امتد على مدى فترة طويلة سابقة .. وخاصة مع الجنرال عبد المؤمن الذي يذكر برهان الدين رباني في تصريح له أن اتصالاتهما بدأت منذ فترة طويلة ، ويعد الجنرال عبد المؤمن الشخصية الأولى التي دقت المسمار الأول انتصار الجهاد في أفغانستان .. فقبل دخول المجاهدين كابول أبدى الزعيم الطاجيكي أحمد شاه مسعود الذي كان يسيطر على مناطق الشمال ، اهتماما بالتعاون مع طاجيكستان بشكل من الأشكال ، وأدلى مسعود بتصريح حول توحيد أفغانستان الجديدة وآسيا الوسطى بعد تحررها .. فهل سيكون لدعوة مسعود بعد أن أصبح الرجل القوي في كابول صداها

لتحـ[illegible] الشباب المتعطش إلى كل شيء .

وبالمقابل فإن الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء النهر والمسلمين بصورة عامة يتسابقون إلى ردم الهوة الكبيرة التي أوجدتها الشيوعية .. وأبعدتهم عن دينهم .. عشرات بل مئات المساجد تفتتح كل يوم .. وعشرات المدارس التي حولت لمتاحف تستقبل طلابها وطالباتها .. الاحزاب الإسلامية تتحرك وتنشط وتؤيد وتعارض .. وباختصار فإن السـاحـــة تمتلأ بكل من يريد أن يتحرك ..

ويمكننا أن نلخص النشاط الإسلامي بما يلي :

١- حركة متسارعة في بناء المساجد .. والمدارس الإسلامية .

٢- إقبال شديد من الطلبة على تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في داخل البلاد ، وخروجهم في منح دراسية إلى الخارج .. ويقال أن تركيا تخطط لاستقبال الآلاف من هؤلاء كل سنة .. وكذلك تفعل إيران وباكستان .

٣- الإقبال الشديد على نشر الكتاب الإسلامي باللغات المحلية ، واللغة الروسية التي ما تزال أوسع اللغات في التفاهم بين المسلمين في المناطق المختلفة .

٤- الجهود المنظمة التي تبذلها المنظمات والحكومات لبث الأفكار الإسلامية المختلفة بين المسلمين في هذه البلدان .. مما قد يربك الساحة لسلامية في وقت قريب ..

فالصحف والتلفزيون في هذه البلدان بدأت تتكلم عن خطورة الوهابية وعن السلفية وعن الأشعرية .. وبدأت الإدارة الدينية ترد على هذه الدعوات .. وبدأت بالمقابل تجمعات الشباب التي تأثرت بالأفكار الجديدة تحارب الإدارة الدينية .. وهكذا نشأت في كل منطقة معركة .. تبلبل الأفكار وتفرق الصفوف وترضي الاعداء ولا يستفيد منها إلا مراكز القوى التي مازالت تراقب الساحة ..!

إن الأمر يتجدد في كل الساحات التي ينشط فيها العمل السلامي لسبب من الأسباب .. يحدث في ساحات إفريقيا .. وفي تركيا .. وفي أفغانستان .. وأحدث ساحاته هي بلدان ما وراء النهر .. بعض الزوار الذين يزورون هذه البلدان ، يحملون معهم بضعة آلاف من الدولارات ، يستقطبون بها بعض ضعاف النفوس يسخرونهم لحرب اخوانهم مع هذا الفريق أو ضد ذاك .

٥- إن الأسلوب الأمثل للدعوة في مثل هذه البلدان .. هو نشر الإسلام الصحيح .. وتغذية الجهات العقيدية والفكرية والسياسية .. وعدم التدخل بعد ذلك في خصوصيات وتنظيمات هؤلاء حتى لا نكون سببا مباشرا للفتنة !

إن الهجمة الشديدة التي تحاول فيها بعض البلدان أن تملأ الفراغ في جمهوريات ما وراء النهر.. باسم الإسلام والاخوة والمعونة .. كثيراً ما تحمل في طياتها أهدافاً أخرى قد لا تكون الدعوة الصادقة من ضمنها .

٦- أخطر الأمور في الدعوة هو التحكم في برنامج ترجمة الكتب الإسلامية . فقد لاحظت أثناء زيارتي لهذه البلدان .. وبتأثيرات خارجية متناقضة .. برامج للترجمة وضعت في أولوياتها كتبا تدعو للحزبية أو للتطرف أو للمذهبية وكلها ضار في هذه المرحلة من مراحل الدعوة .

٧- المال الذي تقدمه بعض الجهات .. قد يصلح الأمور وقد يفسدها .. وقد يتحول إلى أداة للخلاف بين المسلمين .. والأمر في غاية الأهمية والحساسية .. وضبطه في غاية الصعوبة .

٨- الاهتمام بالطلبة الذين يدرسون في الخارج ، من الخطط الجيدة في توجيه العمل الإسلامي في المستقبل نحو الاعتدال . واكتساب الخبرات دون تحيز أو تطرف ، وقد لاحظت عند لقائي ببعض شرائح هؤلاء الطلبة مدى الاستعداد الذي يحملونه لتقبل الرأي السديد .

٩- لابد من إعطاء الإدارة الدينية كل الثقة في عملها .. وهي بكل تأكيد الأقدر حالياً على نشر الدعوة في أوساط المسلمين .. وإن المعركة القائمة حالياً ضد هذه الإدارة والتي تغذيها بعض الجهات ليست في صالح الدعوة أو صالح المسلمين .

والمسلمون في جمهوريات ما وراء النهر ليسوا على درجة من الجهل بالإسلام التي قد يتصورها البعض .. فإن المدارس الدينية المنتشرة في أنحاء البلاد تخرج باستمرار طلابا يعرفون العربية والعلوم الإسلامية .

١٠- قد تكون دورات الأئمة تحت إشراف الإدارة الدينية .. وضمن برامج معقولة ، من الأمور المفيدة جداً في هذه المرحلة .. بشرط أن تضبط البرامج ويحسن اختيار المحاضرين .

والحمد لله رب العالمين

حياة باحث مسلم يعيش في الغرب

بقلم: الشيخ بدر الحسن القاسمي

الدكتور محمد حميد الله من نوابغ هذا العصر ومن الباحثين الإسلاميين المرموقين في عالمنا المعاصر، يعيش منذ أكثر من خمسين عاماً في أوربا وفي عاصمة فرنسا باريس بالذات لكن على عكس ما هو المعهود من كثير من ضعاف النفوس لم يتفرنج ولم ينبهر من بريق الحضارة الغربية فلم يبتعد قيد أنملة من خصائصه الشرقية ومقومات حياته ومبادئه الدينية ولم تزده الحياة الطويلة في قلب أوربا إلا ثقة بدينه والتزاما في سلوكه وشغفا بعقيدته واعتزازا بانتمائه وتفانيا وإخلاصاً في نشر مبادئه وإنقاذ الناس من أوحال الحياة المادية البحتة وإرشادهم إلى تعاليم الإسلام الحنيف .

ولم يأخذ من أهل الغرب إلا ما هو المفيد والنافع فإن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها .

ولد محمد حميد الله في مدينة حيدر آباد بالهند عام ١٩٠٨م وكانت أعلام الإمارة الآصفية المسلمة ترفرف على ربوعها والمدينة تضاهي دمشق والقاهرة وبغداد في عصور ازدهارها باحتضان أكبر عدد من العلماء وحمل راية العلم والثقافة بمدينة فيها « دائرة المعارف العثمانية » التي عرفت بدورها الرائد في إحياء التراث الإسلامي العربي الأصيل ونشر أمهات كتب السنة وعلوم الحديث كالسنن للإمام البيهقي والتاريخ الكبير للإمام البخاري وميزان الاعتدال للحافظ

ارتبط بمركز الدراسات العلمية الفرنسية الوطنية ، وظل يواصل عمله ما يقارب خمسة وعشرين عاماً ، وظل يزود المكتبة الإسلامية بروائع إنتاجه وبدائع مؤلفاته إلى جانب قيامه بجهد دائب في نشر الإسلام بين الفرنسيين .

وحول انتشار الدين الإسلامي في فرنسا يقول محمد حميد الله : انه رغم العداء التقليدي السائد لدى بعض الفئات تجاه الإسلام والمسلمين وذكريات مريرة للاستعمار الفرنسي في الجزائر اعتنق أكثر من مائة ألف فرنسي دين الإسلام خلال فترة ماضية وان معدل دخول الفرنسيين في الإسلام لا يقل عن ثمانية أو سبعة أشخاص يومياً .

مؤلفاته : أما مؤلفات وبحوث الدكتور محمد حميد الله فهي كثيرة ومتنوعة ويشهد ارشيفه الشخصي الذي أعده لنفسه بأن تسعمائة وواحد وعشرين مقالاً نشر له إلى بداية هذا العام ، وأن مؤلفاته تقارب مائة كتاب بين صغير وكبير ومن أشهر مؤلفاته :

= ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفرنسية ، وقد نفدت نسخ الطبعة التاسعة عشرة من الكتاب وهو يعيد النظر حالياً للطبعة الجديدة .

= مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .

= القوانين الدولية في الإسلام .

= الحياة السياسية للرسول ﷺ .

= ميادين الحرب في عصر الرسول ﷺ .

ومن الكتب التي حققها :

= صحيفة همام بن منبه ، وجد نسخة نادرة من الكتاب في مكتبة برلين فقام بتحقيق الكتاب ونشره وكتب له مقدمة ضافية تدل على طول باعه ورسوخ قدمه في مجال التحقيق .

= كتاب السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني وقد طبع باللغة التركية .

كما أعد الدكتور محمد حميد

الله فهرس تراجم معاني القرآن الكريم جمع فيه نماذج الترجمة من مائة وعشرين لغة.

وانتهى تقريباً من إعداد فهارس الإعلام والأماكن والمواضيع في صحيح الإمام البخاري بأسلوب مبتكر جديد ودقيق.

وحول اختياره لباريس مكاناً لنشاطه يقول محمد حميد الله: لأنها اغنى المدن في العالم في دنيا المكتبات وان عشرة ملايين كتاب توجد في فرنسا وان مكتبة الألسنة الشرقية وحدها تحتوي على ثلاثة ملايين كتاب وفيها الكثير من التراث الإسلامي والعربي لا يكاد يتوفر في مدينة أخرى في العالم.

يعيش هذا العالم الجليل والباحث الكبير في غرفة متواضعة غاصة بكتب حياة الزهاد ورهبان العلم. يرفض لأن يصوره أحد أو يظهر امام شاشة التلفزيون لأنه لا يرى التصوير مباحا إلا للضرورة القصوى ولا يملك جواز سفر أية دولة ما عدا وثيقة السفر الفرنسية ولم يكون لنفسه أسرة ولا بيتا ومن حقه أن يتمثل بقول الإمام الزمخشري:

سهري لتنقيح العلوم ألـــذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً بحل عويصة اشهى واحلى من مدامــة ساق

وكم نحن في حاجة إلى أمثال محمد حميد الله أمد الله في عمره وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين فهو قدوة لطلبة العلم وأسوة للباحثين المسلمين الغيورين على دينهم وحفظ تراثهم.

[illegible] به الصرب إلى الغرب الأوربي حتى لا يقف في وجهه ولكن وحشية الصرب جعلت الغربيين يضطرون للوقوف في وجههم.

استخدم الصرب في سبيل أهدافهم أحط أنواع الجرائم فلم يسلم منهم النساء والأطفال والمساجد والمستشفيات بل والقبور ، و كل يوم تطالعنا الصحف وسمعنا من رئيس المجلس الإسلامي في البوسنة أخبار المذابح الجماعية للقرى المسلمة ، وهذه لقطات من أخبار هذا الصراع بين الإسلام وأعدائه.

= يقول الضابط محمد حافظيتش : « في مدن مثل براتونستا سقط ثلاثة آلاف قتيل ، وقد قامت القوات الصربية بإطلاق المرضى النفسيين (المجانين) من مستشفى (الوكش) في مدينة درنبتا » الوسط ١/٦/٩٢م.

= قصفت مدينة ساراييفو بتاريخ ١٦/٦/٩٢م قصفاً كان الأبشع منذ بدء القتال . عشرات الأشخاص قتلوا أو جرحوا . عشرات الأبنية تخترق . وقصفت المستشفيات (الحياة ٨/٦/٩٢م).

= منذ بدء القتال قدر عدد الضحايا بـ ٦٠٠٠/قتيل و٢١ ألف جريح . كما نزح من السكان ٦٥٠٠٠٠ وقد تم تدمير أقدم مسجد في المدينة الذي يعود بناؤه إلى عام ١٤٦٢م (الحياة ٨/٦/٩٢م)

هذه الأخبار تؤكد لنا أن القضية هي قضية اقتلاع المسلمين من جذورهم ، لماذا لم يفعل الصرب بالكرواتيين كما يفعلون الآن بالمسلمين ؟ لماذا هبت دول الغرب (وخاصة ألمانيا) لمساعدة كرواتيا ، ثم هل ستنتهي القصة عند البوسنة - الهرسك ، أم أن إقليم كوسوفو الإسلامي وغالبية سكانه من الألبان ، هل سيكون المحطة الثانية عند الصرب ؟ إن ما نعلمه من شدة بأس مسلمي تلك الديار يجعلنا نقول لن يستطيع الصرب - بإذن الله - ولا من يؤيدهم سراً القضاء على المسلمين في تلك المناطق ولا على النهضة الإسلامية القادمة ، وإننا نشكر كل من ساعد ويساعد هؤلاء الذين يتعرضون للإبادة كما ندعو المسلمين إلى مزيد من التأييد لمسلمي البوسنة ، فإنهم في بلاء عظيم ، من حرب صليبية مكشوفة .

(مع الشكر لمجلة «البيان» اللندنية)

أخبار اجتماعية وثقافية :

١- إمام المسجد الأقصى السابق

فضيلة الشيخ محمد الصيام يزور ندوة العلماء في ٤/محرم ١٤١٢هـ الصادف ٦/يوليو ١٩٩٢م يوم الاثنين

قام فضيلة الشيخ محمد الصيام إمام المسجد الأقصى سابقاً بزيارة لندوة العلماء في طريقه إلى بعض دول جنوب شرق آسيا . استقبله سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء . والمسئولون في رحاب الندوة . ورحبوا به ترحيباً أخوياً حاراً . كما كان في استقباله فضيلة الأستاذ السيد سلمان الحسيني الندوي وكيل كلية الشريعة و أصول الدين بجامعة ندوة العلمـاء . و رئيس جمعية شباب الإسلام . وقد أقام الأستاذ سلمان على شرفه حفلة ترحيب برئاسة فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي في مقر الجمعية بعد صلاة العصر حيث رحب به الأستاذ سلمان بكلمة رقيقة مؤثرة . ورد عليهما الضيف المبجل بكلمة وجيهة أشاد فيها بالمجهودات الشبابية التي تبذل في العالم اليوم . وخاصة جمعية شباب الإسلام التي تعقد بها آمال جسام في مجال توجيه وتربية الشباب . وأثنى على البرامج التوجيهية التي تتولاها الجمعية والمخيمات التربوية التي تقام في مناسبات وأمكنة مختلفة . تجمع طلبة المدارس الإسلامية والكليات والجامعات العصرية .

وفي نهاية الحفل تفضل فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي فعلق على كلمة الضيف المبجل و شكر له هذه الزيارة الأخوية التي بعث بها السرور في قلوب كثير من اخوانه والمحبين به .

وفي المساء أقيم حفل كبير في جامع دار العلوم الواسع رأسها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . ألقى فيه فضيلة الشيخ محمد الصيام كلمة توجيهية قيمة . ذات تأثير بالغ . انتفع بها طلبة الدار بوجه خاص . وفي الأخير علق كاتب هذه السطور بكلمة متواضعة على كلمة فضيلة الشيخ محمد الصيام . وانتهى الحفل بدعاء سماحة العلامة الندوي .

٢- مجلة « المستقبل الإسلامي »

بعث إلينا فضيلة الدكتور محجوب ميلود من الجزائر كتاب « المستقبل الإسلامي » التي يصدره مركز دراسات المستقبل الإسلامي . برئاسة تحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :
نقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المـــــراسلات :
البعث الإسلامـــــي
مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند
ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box, 93, Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نواجه معاول الهدم
وبأي طريق نعالج القضايا الشائكة

إذا أردنا أن نكشف المؤامرات الخطيرة التي دبرت قديماً ولا تزال تدبر ضد الإسلام والمسلين في العالم الحديث ، لما تمكنا من ذلك . وإذا شئنا أن نحصى المخططات الدقيقة التي وضعت لإضعاف شأن الإسلام وإثبات أن المسلين أمة مهينة لا دور لها في بناء الحضارات ولا سهم لها في الإبداعات العلمية ، لما استطعنا ذلك أبداً . لقد قام الحقد الصليبي والعداوة اليهودية من فجر التاريخ إلى اليوم ، بتوفير كل نوع من عوامل الهدم والتخريب والافساد على أوسع نطاق ضد الدين الإسلامي الذي تعتبره النصرانية - حمقا وسفاهة - مناهضاً للمسيحية - إذا كان لها وجود واقعي - على أن الإسلام يعلن بكل صراحة وتأكيد بالإيمان بالكتب السماوية والرسل جميعاً وعدم التفريق بينهم فيقول الله تعالى وقد علّم نبيه الخاتم محمداً ﷺ هذا الإيمان فقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون ۚ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ۚ لا نفرّق بين أحد من رسله ﴾ .

ولكن المعارضين للإسلام والحاقدين عليه يرون في الإسلام عدواً يهدم تعاليم الديانات السابقة ، وينسخ أفكارها المحدودة ورسالتها القاصرة ، بل الواقع أنهم لا يعادون الإسلام من أجل أنه

ينسخ الديانات ويستبدل تحاليمها بتعاليمه الواضحة الدائمة الطبيعية ، إنما يرون في الإسلام عدواً لأنه ينظم حياة الإنسان أفراداً وجماعات ولا يتركه هملاً سائباً ، يطلق لنفسه عنان الشهوات كيفما شاء ومتى شاء ، ويترك الأهواء تهدم في السر والعلانية القيم والأعراف والمصالح الاجتماعية والدينية بغاية من القسوة ، إنه يضع الإنسان محلاً كريماً بإزاء الخلق كله ، ويجعله سيد هذا الكون ، بتسخيره له ما في السماوات والأرض ويرفع قيمته بإزاحة كل واسطة بينه وبين الرب تبارك وتعالى ، وتقريبه إلى ذاته العالية : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

لم يكن في أي ديانة سبقت الإسلام ما يحقق مطالب الطبيعة الإنسانية من جميع النواحي ويربطها بالله تعالى وبالكون برباط العقيدة والشريعة ، ولم يكن هناك ما يفجر طاقاتها في صالح الحياة وبناء معالم الحضارة الإنسانية ، وبتعبير آخر : بناء معالم الحضارة الإلهية التي يستظل بظلالها الوارفة كل ما في الكون ، وكل ما للحياة والإنسان ، ويتعاون بعضه مع بعض في إخراجهما من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن المفاهيم المحدودة إلى المعاني العالية اللامحدودة ، ولقد شهد التـــاريخ البشري اتساع الإنسان في الآفـــاق و شموله كل صغير و كبير و كل دقيق و جليل من القضايا و الشئون مهما كانت نوعيتها ، بعد ما أسبغ الله عليه نعمة الإسلام وألبسه لباس التقوى ، وخرطه بنظم الاخوة والحب والولاء ، وبعد ما أنقذه من شفا حفرة من نار العداوة وجحيم الشهوات والأنانية والصلف

والغرور ، وجعله عبداً خاشعاً لله ، وأخا ناصحاً للإنسان ، وسيداً مطاعاً للكون ، وقد أكرمه بمنصب الخلافة في الأرض الذي اغتبط به الملائكة المقربون وكانوا لا يرونه أهلاً لهذا المنصب العظيم فقالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء • ونحن نسبّح بحمدك ونقدّسُ لك • قال إنّي أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

وما جاء الإسلام إلا لتجديد هذا المنصب الجليل الذي كان الإنسان قد نسيه أو تناساه ، ولإعداده لحمل هذه المسئولية الدقيقة التي تحتاج إلى شئ كثير من الذكاء ودقة الفهم والتحلى بالفضائل والاتصال بمركز الانطلاق والقوة ، ولذلك فإن تعاليم الإسلام في بناء الفرد والمجتمع تستوعب جميع نواحي الحياة الإنسانية ومناحي العلم والفكر والإيمان والسلوك ، وتخطط للتربية منهجاً قويماً يتفق وطبيعة الإنسان ، وفطرة البشر ، سواء في مجال علاقته بالله تبارك وتعالى وحقوقه ، أو في مجال التعايش مع الناس وحقوقهم ، فيكون موقفه واضحاً من علاقاته كلها ، ومن الحياة الدنيا و وسائلها ، والآخرة وغاياتها ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى • وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا • إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم • إنّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴾ إننا إذا تعمقنا في معاني التعارف لأفادنا ذلك شمولاً لجميع معاني التعايش بالحب والإكرام ، والفضائل والأخلاق الكريمة ، ويتبين به موقف الإنسان من الدنيا وأهلها ، وموقفه من الله تعالى والآخرة .

إن الإنسان الذي بناه الإسلام وكرّمه ، قام بتمثيل الحياة الإسلامية بجميع ما تشمله من مفاهيم الحياة ، فأصبح العالم كله وطنا مألوفاً للنوع البشري ، وتنفس الناس فيه الصعداء وشهدوا حضارة تحلت بالعلم والإيمان وبالسلوك والعقيدة ، وبالسعي

والجهاد في مجال المصلحة العامة والخاصة ، فسادت فيها معاني العدل والرحمة والحب والثقة ، وتجلت فيها دوافع العمل البناء ، ومواقف الشجاعة تجاه إنكار المنكر والجرائم والآثام ، وتركزت فيها الهمم على توفير أسباب العمل الجاد في سبيل ترفيه الحياة وتوجيه الأمن والسلام والهدوء إلى جميع قطاعات البشر ، لكيلا يواجه المجتمع ظروفاً شاذة تشغله عن القيام بمسئوليته وتحول دون التوصل إلى الغاية المنشودة .

هذه الحضارة الخيرة التي أسسها الإسلام على معاني السعادة الحقة رفعت معنوية الإنسان وأوقفته من العلم والإيمان ، ومن الدنيا والآخرة موقفاً متزناً يجد فيه جميع جوانب الحياة والمجتمع حظها من السعادة والسلام ، ومن الأخلاق والفضائل ما يساعدهما على الانطلاق نحو الهدف والاستيحاء من معاني العبودية لله تعالى والاخوة مع الناس ، والعمل للدنيا والآخرة على السواء ، والمسلم هو الذي قاد هذه الحضارة وسهر على تعميق جذورها والتفاعل معها في كل نشاط وعمل ، وكل زمان ومكان ، وقد سجل التاريخ الإنساني مآثرها وخلد آثارها على المجتمعات الإنسانية ، يوم كتب لها الازدهار ، والانتشار ، وأذن لها بالتوجيه والبناء ، ونشر الخير والفضيلة على كل مستوى .

ومع ضعف قيادة المسلين وانحلال قبضتهم على هذه الحضارة بحكم الظروف التي واجهتهم في مختلف الفترات والأزمان ، ضعف وعيهم الحضاري ، وتسربت إليهم أدواء خلقية فساروا في موكب الحضارات المادية وتناسوا ما كان لديهم من منهج حضاري شامل وميزة إيمانية مكنتهم من القيادة العالمية والتوجيه الإنساني العام ، في فترة عاشت فيها الأمم والشعوب الغربية والشرقية كلها في ظلام مطبق ، ولم يكن فيها للغرب

نصيب من العلم . ولاحظ من الحضارة والأخلاق . وإنما التوجيه الديني والحضاري كله كان بيد المسلمين الذين فتحوا أوربا الشقية وأخرجوها من ذلك الظلام الدامس الذي استمر عليها إلى عدة قرون بعد ظهور الإسلام . وعادت الأمم الغربية إلى نور الحضارة الذي حمله القادة والدعاة المسلمون إليها . وهنالك عرفت معنى العلم والحضارة والأخلاق . ولكنها لم تعترف بهذا المعروف الذي أسداه إليها المسلمون . فزاغت عن القصد . وحادت عن الطريق . وعاشت أفكاراً مريضة هزيلة . لا تغني شيئاً عن توجيه معاني السعادة إلى الحياة والمجتمع .

ولكن المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تعكسها المواقف المحايدة التي تقفها من هذه الحضارة لا في الشئون العلمية والإبداعية فحسب بل في الجوانب التي تتعلق بالإيمان والعقائد . وذلك بالنظر إليها بعين الاعجاب الشديد في أساليب الحياة من الشعار والشارة . لا في المنجزات الصناعية وحدها . بل في الفكر الحضاري والمادي أيضاً . وكانت هذه الرؤية هي التي سببت لنا التخلف والانتكاس . وهي التي فرضت علينا الفكر التقليدي . وأجبرتنا أن نمشي على هامش الحياة .

هذه النكسة التي رضيناها عملياً لتكفي أن تتآمر علينا الأمم المادية العائشة في ظل الحضارات الصليبية . وتستهدف حياتنا وشعارنا وشريعتنا وعقائدنا بمعاول الهدم والتخريب . وتركز على إضعاف وسائلنا و طاقاتنا و إثبات أن المسلمين « أمة قد خلت • لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وطوى بساطها . وانتهى دورها في العلم والإبداع وبناء العالم الحديث .

من ثم تعود مسئولية الاطلاع على ما يجري في أوساط الحضارات المادية المعادية للإسلام والمسلمين من تخطيطات سلبية

القضاء على شريعة الإسلام ، ومنهجه السليم للحياة ، وإن المسلمين كأمة ذات رسالة خالدة ودعوة واضحة مسئولون عن إبراز شخصيتهم الإسلامية في خضم هذه المؤامرات التي تدبر ضدهم ، إنهم مسئولون عن إعلان مواقفهم الصريحة من كل ما يضاد شريعة الإسلام ، وعن إصرارهم على أن الطريق الطبيعي للنجاح والسعادة في جميع الظروف والأحوال إنما هو الدين ليس غير ، وإن الدين عند الله الإسلام ، الذي رضيه الله سبحانه وتعالى لسعادة النوع البشري كله ، وفي كل زمان وجيل .

لذلك فإن جميع أمم العالم وشعوبه وزعماء الحضارات ورجال الفلسفات المادية مدعوون إلى هذا الدين لكي يجربوه ويبحثوا فيه عن مطالب العلم والإبداع والحضارة والأمن والسلام ، عسى أن يجدوا فيه بغيتهم ، ويفرحوا بالفوز بضالتهم .

إننا كأمة الدعوة والمسئولية الجادة ، مطالبون بالقيام بهذا العمل العظيم ، وتمثيل النموذج الأمثل للحياة الإسلامية التي هي حاجة الإنسان اليوم وغداً ، وفي كل عصر ومصر ، وفي جميع الظروف والأحوال .

فليكن منا دعاة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .

ولتكن منا جماعة تربت تحت ظلال الدعوة الوارفة ، وتشربت العقيدة الصافية ، نقية الفكر ، واضحة الرؤي ، سامية الهدف ، جامعة للإيمان والعلم ، قوية الصلة بالله وبالناس ، حتى تقوم بالدعوة إلى الإسلام ، بالاقتناع الكامل ، وتؤكد للعالم الحديث أن الإسلام حاجة أكيدة لتحقيق السعادة والسلام والأمن ، وتقديم الحلول لجميع المشكلات والأزمات التي استعصت عليه اليوم .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

مساءلة الناس يوم القيامة

بقلم : معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف سابقاً . لدولة الكويت

١- قال الله تعالى في سورة الأعراف الآية : ٦ :
﴿ فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ .
والمعني : أن الله سبحانه وتعالى يسأل الخلق عن أعمالهم يوم القيامة وقت الحساب سؤال توبيخ وتقريع . ومثله ما ورد في سورة الحجر. الآية ٩٢-٩٣ : ﴿ فوربّك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ وفي سورة الأنبياء . الآية : ٢٣ . ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ وهو سؤال مثبت عام .

وفي آيات أخرى تنفي السؤال يوم القيامة مما يثير إشكالاً كقوله تعالى في سوره القصص . بعد أن تكلم الله سبحانه عن قارون واغتراره بما عنده من المال بعلم من عنده حسب ادعائه . وبيّن له الله أنه أهلك من كان قبله من كان أشد منه قوة وأكثر عدداً فقال : ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ (سورة القصص . الآية :٧٨) .

وفي سورة الرحمن الآية : ٣٩ : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌ ﴾ والإشكال ليزول في فهم الآيات إذا علم أن في الآيات السابقة الأعراف والحجر والأنبياء . أن الله يسألهم سؤال توبيخ وتقريع : ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ (سورة القصص الآية : ٦٥) ينادي الله الجميع ويسأل الجميع ولكل حظه ونصيبه على حسب حاله

وأعماله من رحمة ربه به . ولذلك جاء السؤال مثبتاً عاماً .

أما الآيات الأخرى في القصص والرحمن فهي خاصة بسؤال المجرمين عن الذنوب . وتعني الاستخبار والاستعلام . ولما كان الله سبحانه أعلم بأفعالهم منهم كما قال تعالى في الآية التالية في الأعراف الآية : ٧ . ﴿ فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنّا غائبين ﴾ .

وقال في سورة المجادلة الآية : ٦ : ﴿ أحصاه الله ونسوه ﴾ فهذا سؤال منفي خاص .

والمعني : لا يسأل عن ذنبه يوم القيامة إنسٌ ولا جانّ سؤال استخبار واستعلام . لأن الله أعلم بذنبه منه . لكنه يسأل سؤال توبيخ وتقريع ليقر ويعترف على نفسه . وتشهد عليه حواسه وأعضاؤه .

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (سورة النور. الآية : ٢٤) .

٢- الشفاعة . لغة الوسيلة والطلب . وعرفا . سؤال الخير للغير . أو السؤال في التجاوز عن المعاصي في الآثام . قال الله في سورة الزمر الآية : ٤٤ . ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾ .

والمعني : لا يملك الشفاعة أحد إلا بتمليكه . ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (سورة البقرة . الآية : ٢٥٥) وقال : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ (سورة الأنبياء . الآية : ٢٨) أي أنها تكون من الأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين . والنبي ﷺ هو أول من يفتح الباب حين يشفع في فصل القضاء بين الناس . وهي الشفاعة العظمى التي يغبطه عليها الأولون والآخرون . حيث يريح بها الناس من عناء طول الموقف وهوله . وله شفاعة ثانية لأهل الجنة في أن يدخلوها . وهناك شفاعة عامة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم . يشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها . وفيمن دخلها أن يخرج منها . ولذلك لزم أن يقول الإنسان إذا سمع الآذان : « أللهم آت محمداً

الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته » وذلك كي يحصل على شفاعته ﷺ. أللهم ارزقنا شفاعته وشفاعة من ترضاه يارب العالمين .

٣- والشفاعة في الدنيا عند بعض أصحاب الأديان والمذاهب المعاصرة الباطلة ، يتوجهون إلى زعيم الطائفة أو القبيلة أو غيره يقدمون له النذور والقرابين ، أو يتقرب منه بتعذيب نفسه بأنواع مختلفة من البكاء والحزن والجزع ، ومنهم من يصوغ تماثيل لتكون شفيعة لأصحابها في استجابة طلبهم ، والشفاعة لا تكون إلا لله لا لغيره من المخلوقين ، فلا يصح الطلب من أي كان في الحياة الدنيا حياً كان أو ميتاً أن يطلب منه قضاء حاجة أو تيسير أمر أو حل عقدة أو غير ذلك فالطلب لله عز وجل ، ويمكن أن يطلب ممن يحب من العلماء والصلحاء أن يدعوا له بتحقيق مطلبه ، لا أن يعتقد بأن ذلك الإنسان يستطيع أن يفعل له شيئاً ، ويمكن أن يطلب من الله بحق فلان وبفضل فلان ، ويمكن أن يتوسل بالأعمال الصالحة ، كما جاء في الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ، فتوسل أحدهم : ببر والديه ، والثاني : بعفته ، والثالث : بتنمية أجر الأجير ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٣٥) أي تتقربوا إليه بالأعمال الصالحة ، أو بأسمائه وصفاته .

فإذن هناك توسل مشروع ، وتوسل ممنوع ، فالتوسل المشروع قسمان :

القسم الأول : هو التوسل بالإيمان بالله وبرسوله ، وبالأعمال الصالحة .

القسم الثاني : التوسل بدعائه - ﷺ - يوم كان حياً ، بأن يأتي السائل فيسأل الرسول ﷺ ، أن يطلب له من الله عافية ، كما طلب الأعرابي من الرسول أن يستقي لهم ، ولكن هذا التوسل الذي هو بدعائه قد انقطع بموته - ﷺ - فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبر رسول الله ويسأله حاجته ، أو غفران ذنب ، أو كشف ضر .

والتوسل الممنوع هو التوسل بالصالحين ، أو الأنبياء والمرسلين ،

فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره ، فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها ، وأما التوسل فهو بدعة لا كفر ، أعاذنا الله وإياكم من الشرك والبدعة وجعلنا من عباده الموحدين المخلصين .

٤- الجنة : هي دار الثواب والنعيم المقيم التي أعدّها الله للمؤمنين ، وفيها من النعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأقل الناس فيها درجة ، له أمثال ما في الدنيا ، والناس فيها درجات على حسب أعمالهم ، وأعلى مراتبها الفردوس ، وهي دار الخلود لا موت فيها ، ومن صفاتها أن لها ثمانية أبواب عظيمة ، وأن فيها الحور العين ، والولدان المخلدين ، وأنهاراً من الماء العذب والعسل المصفى ، وأن تحية المسلمين فيها السلام ، ويزيد الله نعمته على عباده فيها فيرضى عنهم رضاء أبوياً ، وغير ذلك من الأوصاف التي ذكرتها الآيات .

قال الله تعالى في سورة الإنسان الآية : ١٢-٢٢ : ﴿ وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً • متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً • ودانيةً عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً • ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ وأكوابٍ كانت قواريراً • قوارير من فضةٍ قدّروها تقديراً • ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً • عيناً فيها تسمى سلسبيلاً • ويطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً • وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً • عاليهم ثياب سندس خضرٌ واستبرق وحلوا أساور من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً • إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً ﴾ .

شرح المفردات :

الأرائك : هي السرر والأريكة مقعد منجد ، سندس : وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، واستبرق : وهو ما غلظ من الديباج فيه بريق ولمعان وهو ما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس .

وقال الله تعالى في سورة الرحمن الآية ٤٦-٥٨ : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنّتان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • ذواتا أفنان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما عينان تجريان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهما من كل فاكهةٍ زوجان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنّتين دان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جانّ • فبأي آلاء ربكما تكذبان • كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ .

شرح المفردات :

ذواتا أفنان : أي أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة .

وقال الله في سورة الغاشية الآية : ٨-١٦ : ﴿ وجوه يومئذ ناعمة • لسعيها راضية • في جنة عالية • لا تسمع فيها لاغية • فيها عينٌ جارية • فيها سررٌ مرفوعة • وأكوابٌ موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابي مبثوثة ﴾ .

شرح المفردات :

النمارق : الوسائد . الزرابي : البسط . مبثوثة : أي ها هنا وها هنا لمن أردا الجلوس عليها .

وقال الله في سورة الصافات الآية : ٤٠-٤٩ : ﴿ إلا عباد الله المخلصين • أولئك لهم رزقٌ معلوم • فواكه وهم مكرمون • في جناتٍ نعيم • على سرر متقابلين • يطاف عليهم بكأسٍ من مّعين • بيضاءَ لذّة للشاربين • لا فيّها غولٌ ولا هم عنها ينزفون • وعندهم قاصرات الطّرف عين • كأنهنّ بيضٌ مكنون ﴾ .

شرح المفردات :

الكأس : الإناء بما فيه . والمعين : الماء الطاهر الجاري . والمراد به خمر الجنة وهي ليست كخمر الأرض جارية في أنهار ظاهرة . الغول : أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها . ويقال للوجع غول لأنه يؤدي إلى

الهلاك . ينزفون : أي لا تذهب عقولهم . يقال للسكران نزيف . عِيْن : واسعات العيون حسانها . كأنهن بيض مكنون : شبههن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار . فلونه أبيض في صفرة . والعرب تشبة المرأة الحسناء في بياضها وحسن لونها ببيضة النعامة . وهو أحسن ألوان النساء . وهو أن تكون المرأة بيضاء مشربة بصفرة .

هذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم الأرضي . وإن كان أرقى منه نوعاً وشكلاً وطعماً . وحقيقته فوق ما يتصوّره البشر . قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله جل وعلا : ﴿ وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ (سورة البقرة . الآية : ٢٥) ..

لا يشبه شئ مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء .

أعلى نعيم الجنة : وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل . ومناجاته . و الفوز برضاه . قال تعالى في سورة القيامة الآية ٢٢-٢٣ : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها ناظرة ﴾ وقال الله جل وعلا في سورة يونس الآية : ٢٦ : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ألئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ الحسنى : الجنة . الزيادة . النظر إلى وجه الله عز وجل .

وأما رؤية الله في الدنيا فلم تقع لأحد قط . وقد سأل موسى عليه السلام ربه ذلك فرد الله عليه بقوله جل وعلا : ﴿ إنك لن تراني ﴾ .

ورؤية الرسول ﷺ الواردة في سورة النجم فكانت لجبريل عليه السلام ولم تكن لله عز وجل .

مركز الأمة الإسلامية ورسالتها

سماحة الشيخ العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

إن الأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة ، وهذه الرسالة هي التي تسيطر - على جميع مواقفها ، وتصرفاتها ، مركزها مركز القيادة والتوجيه ، والحسبة على العالم ، والقرآن يعلن بقوة وصراحة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ° تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ° وتؤمنون بالله ﴾ ، فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة في مؤخر الركب وفي صف التلاميذ والحاشية ، وأن تعيش على هامش الأمم وترضى - من القيادة والتوجيه ، والأمر والنهي ، والخلق والإبداع - بالتقليد والتطبيق ، والخضوع والإطاعة ، فلا يكون موقفها الصحيح إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ، الذي يأخذ - إذا اضطر واحتاج - من حوله بإرادة واختيار مايلائمه ، وما لايرزؤه في شخصيته وتفوقه وامتيازه ، وثقته بنفسه ومركزه ، وينبذ ما لا يلائمه ويضعف شخصيته ومركزه ويفقده امتيازه ويدمجه في غيره ، ولذلك نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم في شعارهم وشاراتهم (١) .

---

(١) قال العلامة الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (م٧٤٢هـ) في كتابه «الكاشف عن حقائق السنن المحمدية » شرح مشكاة المصابيح » في شرح « من تشبه بقوم فهو منهم » الذي أخرجه أحمد وأبو داؤد « هذا عام في الخلق والخلق والشعار ، ولما كان الشعار أظهر في التشبه ذكر هذا الباب » قال العلامة نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بملا على القارئ (م ١٠١٤هـ) في المرقاة « قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير ، فإن الخلق الصوري لا يتصور فيه التشبه والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق » (ص/٤٣١ - ج/٤) .

وهي أمة ذات هدف معين في الحياة ، ورسالة كاملة في العالم ، وحضارتها وثقافتها ، وكفاحها ، وإنتاجها ، وكل ما يتصل بها من حركة ونشاط خاضع لعقيدتها وغاياتهاورسالتها ، فلا قيمة عندها لفلسفة تقـول : « العلم للعلم » و « القوة للقوة » و « الاكتشاف للاكتشاف » وكذلك ليس من مهمتها بسط السيطرة على الإنسان أو على الأكوان ، وتسخير الطاقات البشرية ، أو القوى الطبيعية والفلكية لإثبات قوتها أو تقرير فتوحها المادية والعلمية ، فإن ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع من الأنانية المتضخمة ، والقرآن يتلو عليها ويضبط اتجاهاتها و طموحها بقولـه : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يُريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً • والعاقبة للمتقين﴾ (سورة القصص ، الآية : ٨٣) .

المؤمن القوي العليم الصالح المصلح :

إنما يسمح لها الإسلام بالكفاح في سبيل الحياة والطبيعة والعلم - وقد يحث عليه - لصالح البشرية وللغايات الكريمة إلى حدّ الضرورة ، وقد ضرب الله لها مثلاً في القرآن بالإنسان القوي العليم الصالح المصلح الذي يسخّر القوى الكونية والمادية ، ويملك أعظم مقدار من الأسباب والوسائل ويوسع فتوحه ومغامراته ، وهو في كل ذلك ، و فـي أوج قوته و سلطته و سيادته ، و تسخيره للقوى والأسباب ، مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساعٍ لها ، مقر بضعفه ، رحيم بالإنسانية وبالأمم الضعيفة ، حامٍ للحق ، يستخدم كل قوتـه و جهوده و مواهبه ، و جميع وسائله و ذخـائره لخدمـة الإنسانية ، وتكوين المجتمع الصالح ، وإعلاء كلمة الله ، وإخراج النّاس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله ، سيرة مثّلها سليمان بن داؤد في عصره ، مثّلها ذو القرنين في

عصره ومثّلها الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون في عصورهم (١) .

الحياة كمرحلة عابرة و وسيلة للآخرة :

أما موقفها من هذه الحياة ، فهو موقف من لا يراها الغاية الأسمى والمثل الأعلى ، وسدرة المنتهى في السعادة والتقدم ، إنما ينظر إليها كمرحلة «عابرة» لابد من اجتيازها ، وكوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر ، والحياة الدائمة ، والعيشة الراضية ، إن القرآن يقرر - بكل وضوح وقوة - قصر هذه الحياة الدنيا ، وتفاهتها وتضاؤلها في جنب الآخرة ، فيقول مثلاً : ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ (سورة براءة ، الآية : ٣٨) ، ويقول : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب وإن الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤) ، ويقول : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم • وتكاثر في الأموال والأولاد • كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته • ثم يهيج فتراه مصفرّاً • ثم يكون حطاماً • وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان • وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾ (سورة الحديد ، الآية : ٢٠) .

ويقرر كذلك - في وضوح - أنها قنطرة إلى الآخرة ، وفرصة للعمل ، فيقول : ﴿ إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لّها لنبلُوَهم أيُّهم أحسن عملاً ﴾ (سورة الكهف ، الآية : ٧) ، ويقول : ﴿ الذي خلقَ الموتَ والحياة ليَبلوكم أيكم أحسن عملاً • و هو العزيز الغفور ﴾ (سورة الملك ، الآية : ٢) ويقرر أن الآخرة خير وأبقى ، فيقول : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهو وللدّار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٣٢) و يقول : ﴿ و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خيرٌ وأبقى أفلا تعقلون ﴾ (سورة

---

(١) تفسير سورة الكهف للمؤلف « المسلمون » المجلد السادس ، عدد- ٤ .

القصص ، الآية : ٣٢) ويذم ويشنع على من يؤثر الدنيا - هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة - على الآخرة الباقية الخالدة ، الواسعة الصافية من الأكدار ، الخالية من الأخطار ، فيقول : ﴿ إنّ الذين لا يرجون لقاءنــا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنّوا بها • و الذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون ﴾ (سورة يونس ، الآية : ٧-٨) .

ويقول : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون • أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار• وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون ﴾ (سورة هود ، الآية ١٦) ويقول : ﴿ وَ وَيل للكافرين من عذاب يوم شديد • الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة • ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عِوَجاً أولئك في ضلالٍ بعيدٍ ﴾ (سورة إبراهيم ، الآية : ٣) . ويقول : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا • وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (سورة الروم ، الآية :٧) ويقول : ﴿ فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا • ذلك مبلغهم من العلم • إنّ ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ (سورة النجم ، الآية : ٢٩-٣٠) ويقول : ﴿ إن هؤلآء يحبون العاجلة • ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ (سورة الإنسان ، الآية :٢٧) ويقول : ﴿ فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فإن الجحيم هي المأوى ﴾ (سورة النازعات ، الآية : ٣٧-٣٨-٣٩) .

ويمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيــا ، و معرفة قيمتها و فضلها و الحرص عليها، فيقول : ﴿ فمن الناس من يقول ربّنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق • ومنهم من يقول ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٠٠-٢٠١) و يقول على لسان

نبي الله موسى : ﴿ و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنّا هدنا إليك ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦) ، ويمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول : ﴿ و آتيناه في الدنيا حسنة و إنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٢) .

وخير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، ويحدده بدقة ومقدرة ليست فوقها دقة ومقدرة ، هو الجملة الحكيمة المأثورة عن رسول الله ﷺ : « إن الدنيا خلقت لكم وإنكم خلقتم للآخرة » (١) فالمسلم يجمع بين الانتفاع بمرافق الحياة وأسباب الدنيا واستخدامها كشئ خلق لأجله وسخرله ، وبين السعي للآخرة والكفاح لها كغاية خلق لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا وقواتها و وسائلها كمطية ومركب لا كراكب ومتصرف ، وكمملوك ورقيق لا كمالك وسيد ، ووسيلة لا كغاية ، وينظر إلى الآخرة كغاية ينتهي إليها ووطن يلجأ إليه ، فيجمع عليه همته ويرهق له قواه ويحث إليه مطيته ، وذلك مثل النبوة الذي مثله الرسول ﷺ إذ قال : « مالي وللدنيا وما أنا والدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » (٢) .

وقد تجلت هذه النفسية القرآنية ، والنظرة القرآنية إلى الحياة في حياة النبي ﷺ وتعاليمه وسلوكه ، وكلامه وعواطفه ، وأمانيه ودعائه وسره وعلنه وتجلت كذلك في حياة الصحابة الذين تربوا وتكونت سيرتهم وعقليتهم في حضانته وتحت إشرافه ، ومن كان على نهجهم وعلى غرارهم من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً لحياتهم، ومزاجاً لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية التي لا يمارى فيها .

وهنا تتعارض الأديان السماوية ، وتعاليم النبوة ، أو مدرسة

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط .
(٢) رواه أحمد والترمذي .

النبوة - إن صح التعبير - مع الفلسفات المادية ، والتفكير المادي الذي يلح على أن هذه الحياة الدنيا هي كل شئ ، وهي المنتهى ، ويبالغ تمجيدها وتقديسها والاحتفاء بها ، والحرص على ترفيهها وتزيينها .

حضارة ثائرة على القيم الدينية والروحية :

وقد كان من المصادفات الأليمة المحزنة ، والمآسي الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية ترعرعت في عصر قد ثار على الدين وأسسه من الإيمان بالغيب وغير ذلك ، وفي أمة قد ثارت على الذين تزعموا الدين واستغلوه لشهواتهم وأنانياتهم ، واشتد غضبها عليهم لسوء سيرتهم وهمجيتهم ووقوفهم في سبيل التقدم وحرية العقل والعلم ، فترافق نشوء الحضارة والصناعة والاتجاه المادي العنيف ، الاتجاه إلى تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، وقطع صلة المجتمع والبشرية عن فاطرها ومصرف هذا الكون ، وكل ذلك اقتضته سلسلة الأسباب وطبائع الأشياء و وضع أوربا الخاص ، فشبت هذه الحضارة واختمرت وهي المسيطرة على القوى والأسباب ، قد بلغت الغاية في التقدم والصناعة وعلوم الطبيعة حتى استطاعت أخيراً أن تعدم المساحات والأبعاد ، وتتجاوز الكرة الهوائية ، إلى غير ذلك من الفتوح في دائرة العلوم الطبيعية والفلكية (١) .

سيطرة المادية على قادة التجديد في الشرق الإسلامي :

وقد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد ، وبالأصح التغريب في الشرق الإسلامي وتواضعوا - من عهد « كمال » إلى عهد « جمال » على الافتتان بالتقدم المادي ، واتخذوا القوة والرفاهية إلها يقدس ويعبد ويكفر بغيره ، ويضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية والروحية ، وما ليست له قيمة مادية ، وحسب

---

(١) منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف المنشور في « المسلمون » المجلد السادس (١٣٧٧هـ) عدد : ١-٢-٣-٤ .

القارئ أن يقرأ خطب هؤلاء الزعماء القوميين والقادة السياسيين ، وما يكتبونه بين آونة وأخرى ، وما يدلون به من تصريحات ، وما يتخذونه من إجراءات رسمية وخطوات عملية ، وما يعاملون به الأحزاب التي تفكر غير هذا التفكير ، وتسير غير هذه السيرة ، وتنتقد هذه الاتجاهات ، وحسبه أن يقرأ مشاريع الحكومة والخطط المستهدفة ومجالات النشاط والحركة والحماسة في الدوائر الرسمية ، ويراها مقتصرة على ترفيه البلاد وتقويتها مادياً ، ورفع مستوى الحياة ، ولمجاراة الشعوب التي لا تعرف غير المادة والمحسوسات حقيقة ، ولا تعرف غير القوة إلهاً ، ولا تعرف غير التقدم المادي والرفاهية الدنيوية هدفاً وغرضاً ، ولا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم رابطة قومية أو معاهدة سياسية - مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام والاهتمام ، إن هذه هي النفسية التي جرت على العالم الشقاء والبلاء في كل زمان ، وهي العقلية الضيقة السقيمة التي حاربتها الأديان ، وجاء يمحوها الإسلام ، وإن احتضان قادة بلد إسلامي لهذه الفكرة والعقيدة المادية الضيقة نكسة عظيمة في التفكير لا تدل إلا على ضعف الإيمان وسوء التربية ، وسقوط الهمة ، وقصر النظر ، وشقاء هذه البلاد أولاً ، وشقاء العالم الإنساني ثانياً .

إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الأمة في العالم ، ومعرفة رسالتها والإيمان بقيمتها ، والضغط على قمية الآخرة وما بعد هذه الحياة - من سعادة وشقاء وجنة ونار - والتركيز على الجانب الخلقي والروحي من الحياة ، هو الخط الفاصل الذي يشكل الحد الفاصل الرسمي بين الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الإسلام ، ويتحمل مسئوليتها ، ويباركها ، وتتجلى فيها الشخصية والأصالة والاتباع ، وحضارة يتبرأ منها الإسلام ويخسر فيها المسلمون ، وتتجلى فيها العبودية والرضوخ والاستسلام ، والعبادة التي لا تعرف إلا تقليد الببغوات ، ومحاكاه القرود .

العلامة أبو الحسن الندوي
في مرآة كتاباته ومحاضراته

[تفضل الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أنور الجندي بكتابة هذا المقال خصيصاً لمجلة البعث الإسلامي . وقد تحدث فيه عن شخصية العلامة الكبير سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في ضوء كتاباته و محاضراته ، وأشاد بمكانته العالية في الأدب والدين و العلم و الفضل . و اعتبره من أبرز من خرجته ندوة العلماء بعد العلامة السيد سليمان الندوي .

ونحن إذ نتحف هذا المقال إلى قرائنا الكرام ، نرفع أصدق آيات الشكر و التقدير إلى مقام الكاتب الكبير . الأستاذ أنور الجندي . حفظه الله تعالى .
[التحرير]

من أبرز ما أخرجته ندوة العلماء : العلامة الأستاذ الحسني أبو الحسن الندوي الذي هو في أصله الأصيل من أبناء أسرة الإمام أحمد عرفان أول من أقام الدولة الإسلامية في الهند في العصر الحديث في مواجهة الاستعمار البريطاني بعد أن قاومه في ثورة عارمة ، استشهد فيها وترك أثره العميق في أجيال متعددة وهو واحد من أبرز نتاج ندوة العلماء (الندويون) الأعلام المتتابعين منذ نشأت دار العلوم في مدينة لكناؤ وكان على رأسها الشيخ شبلي النعماني الذي كان له في الأدب العربي والفكر الإسلامي آثار هامة ، فقد عارض ونقد ما كتبه جرجي زيدان عن التمدن الإسلامي و رد الأمور إلى الحق ، ثم برز بعد ذلك العلامة سليمان الندوي ومسعود الندوي ثم جاء أبو الحسن فكان قمة عالية في العلم والفضل .

وقد عمل هؤلاء جميعاً في مجال دحض الشبهات وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم الإسلامية من الشبهات والاخطاء والتحولات التي استهدفها الاستعمار والتبشير والتغريب والغزو الفكري ، تلك

كانت مهمة ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها منذ نشأت عام ١٣١١هـ مدرسة إسلامية كبرى في قلب آسيا لإحياء وتصحيح المفاهيم وقد امتلكت منذ اليوم الأول القدرة على مواجهة الدعاوي التي تحاول ان تسيطر على المسلمين في ظل الإرساليات ومناهجها التي تقدم الإسلام تقديماً منحرفاً وتحاول الغض من أبرز معالمه وهي الشريعة والجهاد .

يقول الأستاذ مسعود الندوي : قام بتأسيسها جماعة من مفاضل العلماء وأولى العلم والرأي ممن أحسوا بالخطر الداهم والشر المتفاقم نتيجة انتشار الثقافتين المتناقضتين وشعروا بالحاجة الماسة إلى منهاج معتدل في التعليم والثقافة ينشئ الشبية المسلمة على الأخلاق والآداب الإسلامية المرضية وتكوين حيل من الشباب متضلع في علوم الكتاب والسنة آخذاً بنصيب من العلوم العصرية واللغة الإنجليزية حتى يكون أهلا لتأدية الواجب الديني والعلمي على أحسن ما يرجي من الشباب المسلم في هذا العصر .

وقد دعت ندوة العلماء فيما دعت إلى الوئام والتقريب بين أبناء الطوائف الإسلامية المتمسكة بتوجيه الله ورسالة خاتم الأنبياء ومضاعفة جهودهم ومساعيهم لإصلاح ذات البين حتى يسهل عليهم الأمر في رد كيد الاعداء والدفاع عن حوزة الحنيفية السمحة التي ما زالت تتابع عليها الحملات بعد الثورة على النفوذ الأجنبي ، وزوال ملك المسلمين ، وكذلك اهابت بالقائمين على المدارس الدينية ، والمديرين لشئونها ان يعدلوا مناهج التعليم عندهم ، ويسلحوا الشباب بالمواد الجديدة النافعة في مقررات الدروس ، ويقللوا من خرافات اليونان التي أكل عليها الدهر وشرب .

ومن خصائص دار العلوم (ندوة العلماء) التي لا تنازعها فيها مدرسة ولا كلية ولا جامعة في الهند كلها ، أنها اهتمت بتدريس اللغة

العربية كلغة حية ، إنشاءً ونطقاً ، وندبت لذلك أساتذة من بلاد العرب في مختلف أدوارها ، كما عنيت بإرسال أذكياء من طلبتها وخريجيها إلى بلاد العرب ليرتووا من مناهج اللغة العربية ، ولترسخ فيهم ملكة الأدب العربي ، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت طائفة من العلماء قادرة على الاعراب عما في ضمائرهم بلغة الضاد نطقاً وكتابة ، وما تزال دار العلوم التابعة لندوة العلماء حاملة بيدها لواء لغة القرآن بأذلة الجهد المستطاع في نشر هذه اللغة الكريمة ، كذلك شاركت في سائر ميادين النشاط الفكري والأدبي ، وبفضل جهودها ومنهاج التربية والتعليم في دار علومها أنجبت طبقة مثقفة معتدلة بعيدة عن الجامدين والجاحدين .

وإذا كانت هذه هي غاية ندوة العلماء ورسالتها ، فإن العلامة أبو الحسن الندوي هو أعظم ثمارها في العصر الحديث ، فقد عمل منذ سنوات طويلة على تناول كل ما يتصل لقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته ، وكل ما يتصل بالشبهات المثارة حوله عارضاً ذلك باللغة العربية الفصحى متحدثاً بها من فوق منابر القاهرة ودمشق ومكة ولبنان ، وبغداد في خلال رحلات دعوة إلى الله (من نهر كابل إلى نهر يرموك) كما أطلق على كتابه المكمل لكتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) وهو الآن أمين عام ندوة العلماء (لكناو) بالهند ، وعضو المجلس التأسيسي للرابطة الإسلامية بمكة المكرمة ، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكتبه منشورة بين يدي شباب العرب والمسلمين في مختلف القضايا والتحديات ، لم يتوقف منذ برز اسمه لأول مرة في الثلاثينات ، وهو منذ درج وأينما حل ، وفي عاصمة كل بلد عربي وإسلامي يصدع بكلمة الحق (اسمعي يا مصر، اسمعي يا إيران ، اسمعي يا سورية ، اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت) ، اسمعوها مني صريحة أيها العرب) :

« إن عقيدتي وديني الذي اؤمن به وأدين يفرض على أن أكون صادقاً وصريحاً ، وصلتي بهذه الأمة - الدينية والثقافية - تلزمني بالصدق والصراحة والوفاء والأمانة ، ثم اقتناعي بأن العرب : الأمة المختارة لحمل رسالة الإسلام قد كتبت لهم الوصاية على العالم ما داموا يدينون بهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، وعلمي بأن هذه الوصايا لم تحول عنهم بعد ولم تبرز أمة على منصة العالم تخلف هذه الأمة وتضطلع بالأمانة ، ولكنني اعرف ان الزمان زمان تحول والساعة ساعة الانتقال ، كالساعة التي شهد فيها العالم أكبر تحول في التاريخ وفي جذور الأمم ، ساعة مرت في منتصف القرن السادس المسيحي تحولت فيها الامامة وتحول فيها منصب الهداية من بني إسرائيل (الأذكياء المثقفين أصحاب الحضارة والعلوم والقرائح والمواهب) إلى بني إسرائيل (أو العرب) الأمة التي تغلبت عليها الأمية والبساطة والفقر والاعتزال عن العالم - والله أعلم يجعل رسالته - فكان أكبر تحول شهده التاريخ الجديد وكان لهذا الحادث تأثير في مصير الأمم وأوضاع العالم واتجاه الإنسانية ، لم يكن لحادث سياسي وتحول اجتماعي أو ثورة أخرى » .

وهكذا نجد أن أكبر أعمال السيد أبو الحسن الندوي هو التوجه إلى العرب يدعوهم ويوقظهم ويحرضهم على اقتعاد مكانهم الحق الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له ودعاهم إليه القرآن ورسم لهم الإسلام لقيادة العالم .

يقول : والذي يطمعني في هذه الكلمة ويغريني بها هو حبي وحرصي على أن يستعيد العرب مكانتهم العالمية ويتسلموا هذه القيادة المباركة التي يقول الله تبارك وتعالى عن حماتها :

﴿ وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ وهو في هذا التوجه إلى العرب إنما يتوجه إليهم باعتباره

عربي الأصل ، وباعتباره من الأسرة العظيمة : أسرة الإسلام ، فهو لا يجاملهم (ويعتبر المجاملة هزيمة خلقية وخيانة عظيمة في حق هذه الأمة التي أدين لها في الدين والأخلاق والإنسانية والشرف ويدين لها العالم والإنسانية) : يقول : « إنني لا أقل عن أي عربي يعيش في العواصم العربية في عربيتي ونسبي الصريح المتصل ، وحبي للعرب وتضلعي في ثقافتهم وعلومهم وآدابهم ولغتهم وليس لأحد من إخواني العرب الأقحاح اولى بالاعتذار بالعربية منى وأوفر نصيباً فيها مني ولكن الإسلام أفضل من كل نسب وأقوي من كل عصبية » .

إن الأستاذ الندوي لم يهاجم شيئاً في عنف وقوة كما هاجم الاتجاه إلى القومية والفرقة والعصبية وذلك التيار العنيف الذي أراد أن يضرب الإسلام في العرب وفي المسلمين ضرباً قوياً ، ويتساءل :

« هل كان للعرب أن يمثلوا هذا الدور العظيم وأن يشغلوا سمع الزمان وبصره وأن يغيروا مجرى التاريخ لو لا هذه الرسالة السماوية التي تسمى الإسلام ولو لا هذا الكتاب العظيم الذي يعرف بالقرآن ولو لا تبنيهم لهذه الدعوة الجديدة وجهادهم في سبيلها ، وهل كان لهم إذا جرت الأمور مجراها الطبيعي أن تفرض زعامتهم وسيادتهم على الشعوب والأمم ، ذات المدنيات الباهرة العتيقة والثقافات الواسعة العميقة ، وان تنتشر لغتهم في مشارق الأرض ومغاربها فتداس لغات كثيرة وتنسى ، وتصبح اللغة العربية من ضفاف دجلة في العراق إلى الوادي الكبير في الأندلس هي لغة العلم والدين والعبادة والسياسة ينبغ فيها أساتذة عظماء كالجرجاني والزمخشري وأبي علي الفارسي والصنعاني والزبيدي إلى أي مساحة زمنية ، كان العرب يحتاجون في الوصول إلى هذه السيطرة السياسية والثقافية ولو بقوا على وضعهم القديم ، هل كان يمكن ذلك في ألف سنة ، فقد مضى على الأمة العربية آلاف السنين وهي تعيش على هامش

الأمم وفي عزلة عن العالم أم كان لشعرها البليغ وأدبها الرفيع ولغتها العظيمة ان تشق طريقها إلى الإمام وتبلغ بهذه الأمة إلى ذروة المجد واوج السيادة كما وصل بها الإسلام . فقد كانت المعلقات وكان شيء كثير مما يحتوي عليه ديوان الحماسة قبل أن يظهر الإسلام ويبعث محمد ﷺ فما أغنى عنها هذا الشعر البليغ وهذا الأدب الرفيع وهذه اللغة العظيمة . بل لم يستلفت هذا الشعر والأدب واللغة انتباه العالم المتمدن ولم تتوفر الهمم والدواعي على جمعها وتدوينها ونشرها وشرحها إلا بعد ظهور الإسلام وبعد ما أصبح العرب - بفضل الإسلام - أساتذة العالم وأصبحت لغتهم وآدابهم ثروة إسلامية يجب على كل من يدين بالإسلام دراستها والتوسع فيها وحفظها » .

ويمضي في هذا الاقناع حتى يقول : « من المؤسف المحزن المخجل أن تقوم في هذا الوقت رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة وإلى قطع الصلة عن أعظم (نبي) عرفه تاريخ الأديان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد . إنها جريمة قومية تبذ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة . إنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ » .

ولم يتوقف الندوي عن مقاومة هذا الاتجاه كاشفاً زيفه في كل مكان وكل خطاب مبرزا ذلك العقد الرباني الأبدي بين العرب والإسلام : « عقد الله بين العرب والإسلام للأبد وربط مصير أحدهما بالآخر . فلا عز للعرب إلا بالإسلام ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله » .

تلك هي القضية الأولى الكبرى التي شغل الأستاذ الندوي نفسه بها . وأولاها اهتماماً كبيراً وحارب من أجلها بالكلمة وذهب إلى

كل مكان في البلاد العربية ليقدم فهمه الواضح الإسلامي الأصيل إلى الناس و أنشأ من أجل ذلك دراسات متعددة منها : « العرب والإسلام ، الفتح للعرب والمسلمين . اغارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام ، كيف دخل العرب التاريخ » .

أما القضية الثانية التي أولاها الأستاذ الندوي اهتمامه الكامل فهي قضية فلسطين فعالجها في عشرات من الأبحاث والمحاضرات وتابعها متابعة واسعة وذهب في البحث عن جذورها وآثارها .

لقد بحث هذا الموضوع بكل وقوع المأساة في شكلها النهائي بعدة سنين وجرت على قلمه وعلى لسانه بعض الحقائق التي تأكدت فيما بعد ثم وقعت الواقعة فجعلها موضوع تفكيره وبحثه وكتاباته ، وقد التزم في مناقشة هذه القضية ما التزمه دائماً أن يكون ذلك في ضوء القرآن الكريم والنواميس الإلهية والسنن الربانية التي بينها القرآن وشهد بها تاريخ الأمم .

والأستاذ الندوي لا يتحدث عن الأحداث وإنما يبحث عن الدوافع فيرى أن هذه النكبة وكل نكبة حلت بالمسلمين ترجع إلى عوامل كثيرة أكثرها داخلية نفسية ظلت تتفاعل وتعمل عملها الطبيعي في حياة الأمة والمجتمع منذ زمن طويل . وإن الفاجعة إنما تقع نتيجة مسلسلة طويلة من الأمراض الخلقية والانحرافات الطائشة والتصرفات الاثيمة والمغالطات المتصلة والأوضاع غير الصالحة للبقاء في كل مكان وزمان . وفوق كل ذلك حياة لا يرضاها الله ورسوله ولا يوافق عليها الدين الصحيح والعقل السليم .

ويرى الأستاذ الندوي أن التخاذل في فلسطين قد مهدت له أسباب كثيرة من الأخلاق والتربية وان الاستعمار الغربي قد فتش عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين وقلوبهم . فوجد أن أكبر منابع القوة والحياة هو (الإيمان) فعادوه وسلطوا على المسلمين

عدوين مما أفتك بهم وأضر من المغول و التتار . الأول : هو الشك وضعف اليقين الذي لا شئ أدعى للضعف والجبن منه (والثاني) ما نعبر عنه بالذل النفسي وهو أن أصبح المسلمون يشعرون بالذل والهوان في داخل أنفسهم وفي أعماق قلوبهم ويزدرون كل ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق ويؤمنون بفضل الأوربيين في كل شئ ويعتقدون فيهم كل خير وقد ابتلى المسلمون بتأثير الحضارة الغربية والقلقة التربية بعبادة المادة وحب الدنيا والجرى وراء النفع العاجل وكان نتيجة لذلك أن ظهر جيل من المسلمين متنور الذهن ولكنه مظلم الروح أجوف القلب ضعيف اليقين . قليل الدين . قليل الصبر والجلد . ضعيف الإرادة والخلق . يبيع دينه بدنياه وآجله بعاجله ويبيع أمته وبلادة بمنافعة الشخصية .

ويرى الأستاذ الندوي ان هذه هي العوامل الأساسية في الهزيمة في فلسطين وفي غيرها فإن هذا مصدر كارثة العالم العربي . ثم يقول :

« إن قضية فلسطين سهلة هينة وانتصار العرب فيها مضمون إذا كانوا أحراراً في تصرفهم . مالكين لزمامهم . مدبرين لسياستهم . مغامرين بأرواحهم وجندهم محكمين لسيفهم وسنانهم . واثقين بنصر الله تبارك وتعالى معتمدين على سواعدهم فقط متمردين على المادة والشهوات » .

وأن سقوط الهمة يتمثل في عوامل ثلاثة :

١- الحضارة الغربية والثروة الهائلة التي تدفقت على العالم العربي وقد أثرت هذه الحضارة وهذه الثروة في أخلاق هذه الأمة الإسلامية العسكرية بالطبيعة والتاريخ والمتقشفة الزاهدة بحكم الرسالة والوراثة تأثيراً عميقاً قلبها رأساً على عقب فتفشت فيها روح التنعم والترف والرقة والاخلاد إلى الراحة وفقدت روح الفروسية والفتوة

العربية والنخوة واحتمال المصائب والثبات في معركة الحياة واستهانة الناس بأحكام الله (تبارك وتعالى) وفرائضه وتجرأوا على المحارم داخل العلماء بواحين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركوا الحسبة على الناس وكلمة حق عند سلطان جائر .

٢- ظهور نزعه القومية ، فقويت هذه العصبية على حساب العصبية الإسلامية وأصبحت ديانة وعقيدة يتغنى بها القوميون ويتحمسون لها كما يتحمس أهل الديانات والملل لدياناتهم وشرائعهم ويرون فيها عوضاً وخلفاً عن الدين الإسلامي الذي أكرمهم الله بالإيمان به والانتصار له والتفاني في سبيله .

وهكذا يصور الأستاذ الندوي الأمور ويكشف عن خفاياها ويضعها أمام ضوء القرآن .

والقضية الثالثة التي عني بها الأستاذ الندوي وشغل بها : هي قضية الحضارة الغربية والخطر الماحق الذي يحيط بالمسلمين والعرب نتيجة إيمانهم بها وتهالكهم عليها : يقول : « لقد تغلغل تقديس الحضارة الغربية بقيمها ومفاهيمها وتصوراتها ومظاهرها التي لا تقدم ولا تؤخر في مضمار القوة والحياة الكريمة في أحشائهم وامتزج بلحومهم ودمائهم حتى أصبح من المستحيل تحريدهم عنه وآمنوا بأن هذه الحضارة الغربية والفلسفة المادية قد بلغت القمة من العقل ورقى البشر وحال تعصبهم لهذه الحضارة والفلسفة الغربية عن أن يطلعوا على مواضع الضعف والاختناق فيها كما اطلع عليها رجال الغرب أنفسهم » .

هذه هي الصورة التي يجدها الأستاذ الندوي للمجتمع الإسلامي وينذر بخطورتها ويدعو إلى التحرر منها وفي سبيل ذلك يدعو إلى منهج في التربية الإسلامية يتحرر به المسلمون من المناهج الوافدة ويلتمسون فيه روحهم الأصيل : روح الإيمان بالله والفضيلة

والإيمان بالآخرة .

ومن أبرز القضايا التي أولاها اهتمامه الكبير (نصح المسلمين حيثما يصل إليهم) فهو حينما يذهب يتحدث إلى المسلمين كاشفاً عن الأخطار . فهو يصارح الجميع بكل الأخطار . فهو في أفغانستان يتحدث عن تغلغل الثقافة العصرية وأفكار المبشرين والمستشرقين . وفي إيران يتحدث عن التقارب بين السنة والشيعة . كذلك نجد العلامة الندوي يوجه سهام النقد مسددة في قوة إلى النحلة القاديانية إيماناً بأنها ثورة على النبوة والإسلام . فقد حمل حملات شديدة على هذه النحلة وهاجمها وكشف سترها وزيف دعواها وأعلن أن القاديانية منبع الفساد في جسم العالم الإسلامي .

وبعد . فذلك تاريخ طويل لمصلح إسلامي عملاق لا يمكن الاحاطة به في تقديم متواضع لم يترك قضية من قضايا العصر تتعلق بالمسلمين خلال أكثر من خمسين عاماً إلا تناولها ووضع لها الحلول واستقى علاجها من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه . وكانت السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ هي منطلقه منذ الكلمة الأولى إلى الكلمة الحاضرة . ومن هنا كان لا بد أن يقدم للمسلمين ولشباب العصر سيرة هذا النبي الخاتم الذي جاء برسالة التوحيد وقد كتبها بذوب القلب وعصارة الروح على مذهب أهل السنة والجماعة بعيداً عن الفلسفات وعلوم الكلام وأساليب الغرب . فجعلها نبوية إسلامية ربانية وهذه هي التي بين يديك الآن . أطال الله عمره وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .

ويمكرون ويمكر الله

بقلم : د/محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

يتعاون أعداء الإسلام مهما كانت نحلهم ومبادؤهم ، ليكونوا كتلة موجهة ضد الإسلام ، وقوة متماسكة في محاولة الإساءة إليه ، وإلى مبادئه ورجالاته ، وخلف هذا أسباب عديدة ، ووراءه أهداف خفية لا يدركها إلا من حباه خلقه قدرة على الفهم ، ومعرفة بخفايا الأمور ، وإحاطة بنماذج من المحاولات والدسائس التي تحاك في الخفاء ضد الإسلام وأهله ، وتطفح نتائجها على السطح ، كلما ضعف رجال الإسلام ، ووهنت قوامم في الدفاع عنه .

والخير والشر ضدان يتصارعان منذ خلق الله آدم ، وأمر جل وعلا ملائكته بالسجود له ، فعصى إبليس وتجبّر على أمر الله ، عناداً ومكابرة .

وهي حكمة أرادها الله ، حتى يهلك من هلك عن بينة ، وينجو من ينجو على علم ودراية .. فالله جل وعلا يبين أوجه الخير ، وسبل الرشاد لعباده ، فتوضحها الشرائع ، وتهدي إليها الرسل ، وينتهج طريقها الدعاة والعلماء ، توضيحاً وإبانة ، حتى تقوم الحجة ، وتتضح المحجة .

وتاريخ الإسلام الطويل مع الملل الكافرة ، والنحل المنحرفة ، حافل بالصراعات العديدة ، ومبين للخطط التي وضعت والشبهات التي طرحت .

بل إن رسول الله ﷺ قد أبان في قاعدة عامة سوف يبرز في الساحة الإسلامية من إدعاءات وخلافات ، يتقي المؤمن المخلص شرها ، ويعرف المسترشد مكامن الضعف فيها ، ليدرك المرتبة العالية التي يجب عليه أن يتبوأ ، والمكانة السامية التي يحلها الإسلام للمؤمن المخلص ، والمتبع الحريص علـــى ترسم الخطى السليمة ، و السير وفق المنهج

القويم ، فيقول ﷺ : « افترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعين في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، واثنتين وسبعين في النار » قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة ، تفرد به أبو داؤد عن وهب بإسناده إلى عوف بن مالك .

وقد اهتم علماء الإسلام رحمهم الله برصد تلك الفرق والنحل في مؤلفات عديدة ، وبالتتبع نجد أن شبهات الأمم السابقة تلبس ثوباً جديداً ، وتقدم في عرض جديد في المجتمع الإسلامي ، رغبة في البلبلة وإثارة الحقد على هذا الدين ، والتشكيك فيه وفي تعاليمه ، والتغرير بالسذج ومركبي النقص من أبناء المسلمين ليكونوا شعاراً للمآرب ومطية توصل إلى طعن الإسلام .

ذلك أن الكفر ملة واحدة ، والموقد لنار الفتنة يهمه أن يبتعد البشر عن الدرب الصحيح الذي ارتضاه الله للصفوة المختارة من خلقه كما قال تعالى : ﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾(سورة النساء ، الآية : ٨٩) .

ولئن كان الحقد والشر ، والعناد والمكابرة ، خلف ذلك الصراع ، فإن الدارس المتعمق يدرك أن جذور الخلاف والعصيان لأنبياء الله جميعهم ، والشبهات التي تطرح لإفساد مسالك الدرب الصحيح متقاربة ، وفي كل جيل ، و مع كل أمـــة تعرض بقالب يتلاءم مع الحالة التي قصدت ، نلمس مثل هـــذا من استقراء حوادث و سير أنبيـــاء الله مع أممهم ، حسبما قص علينا القرآن الكريم ، أو أخبرنا به رسول الله ﷺ .

وهذا ما يجب أن يتسلح له المؤمن ويدرك أبعاده ، ليكون على أهمية الدفاع عن دينه ، وسلامة عقيدته ، لأن أعداء دين الله يتحينون الفرصة ، كلما لاح لهم بارق ضعف في الصف الإسلامي ، وكلما آنسوا من المسلمين حرصاً على دينهم ، ومحافظة عليه ، فهم في الضعف يمعنون في التلبيس ووضع الشبهات والنفاذ مع مداخل الجهل والبعد ، وفي اليقظة

والحرص على التمسك يحركهم الحقد . وتحفزهم الضغينة كما أخبر الله عنهم في مواطن كثيرة من كتابه الكريم .

ما أشبه الليلة بالبارحة :

والمخططون لغزو الإسلام يستترون دائماً . لعدم قدرتهم على المواجهة . ولخوفهم من قوة الإسلام . ولذا نراهم يتحينون الثغرات لينفذوا منها . ويهتبلون الفرر ليطعنوا المسلمين في ظهورهم .

وإذا كان المنافقون في المدينة قد غلا الحقد في صدورهم عند ما هاجر الرسول ﷺ إليها من مكة . وكونوا طابوراً خامساً يرجفون في المجتمع المدني بأقاويلهم . ويتعاونون مع أعداء الدعوة في داخل المدينة وخارجها . فإن القرآن الكريم قد فضح أعمالهم . كما جاء في سورة التوبة وغيرها . بل أظهرت المواقف الحرجة مكنون نفوسهم . وتلفظت ألسنتهم بما يعبر عن بواطن القلوب . فكفروا بعد إيمانهم . وأقفل باب التوبة أمام نفوسهم الضعيفة . وظهر إدعاؤهم المهزوز للإيمان . فقال تعالى في حكاية حالهم : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم • ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم و أولئك هم الضالّون ﴾ (سورة آل عمران . الآية : ٩٠) .

ولكي يتقربوا لأعداء الله في التزلف إليهم . وعمل كل ما يرضيهم . فإن تلك الفئات من البشر في كل عصر ومصر. يمردون على النفاق . لحقدهم الدفين . وبغضهم لدين الله وأنصاره . وموالاتهم لأعداء الله ورسالاته ورغبتهم في إرضائهم بأعمال عدوانية . فقد وجد منهم أشخاص أبرزوا حقدهم على رسول الله ﷺ . وظهر استهزاؤهم بما جاء به . وآذوه وأصحابه بأمور عديدة . نأخذ منهم النماذج الآتية : عبد الله ابن أبي بن سلول . وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق .

= فعبد الله بن أبي بن سلول كان رأس المنافقين في المدينة وقد حاول خذل المسلمين بانسحابه بمن معه في وقعة أحد . وعند التهيؤ لغزوة تبوك . وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة فرح بها . وشمت بهم .

وكلما سمع بسيئة نشرها ، وآذى رسول الله ﷺ رغبة في المحافظة على اليهود ، والدفاع عنهم ، وتوعده الله بالعذاب العظيم في سورة التوبة لأنه تولى كبر بهتان عائشة وابتدأ قصة الإفك كما ذكره ابن كثير في تفسيره .

= أما كعب بن الأشرف ، فهو شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية ، وقد أكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه ، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم ، وأذية نساء المسلمين ، ولما اشتد أذاه ، قال ﷺ : من لي بابن الأشرف فقد آذى الله ورسوله ؟ فتبادر الصحابة دفاعاً عن دينهم ، وحمية لنبيهم ﷺ ، وانطلق إليه خمسة من الأوس ، فقتلوه في حصنه المنيع وأراحوا الإسلام من شره عام ٢/هـ .

= أما سلام بن أبي الحقيق فكان من يهود خيبر الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة ، لما تفاقم شرهم ، وقد حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ لكي يتوازنوا مع بني عمهم الأوس في فضل الدفاع عن الإسلام ، وملاحقة أعدائه ، وقتل هذا الطاغية ، الذي ما فتئ يحرض ويدفع المال في سبيل الإجهاز على رسول الله ﷺ ، فلما أذن لهم حرج منهم خمسة نفر فبيتوا أمرهم ، ودخلوا عليه في حصنه ، فتسابقوا في قتله حتى أراح الله المسلمين منه ، وبشروا رسول الله ﷺ بقتله في سنة ٥ /من الهجرة .

وغيرهم ممن تطفح أخبار أعمالهم السيئة بسيرهم ، وجهودهم المتدافعة في محاولة الإضرار بالإسلام ، والإساءة إلى أبنائه الملتزمين بشرائعه في أنفسهم أو أعراضهم .

فنرى نظائر لذلك في كثير من الأزمنة ، وفي مواضع من بقاع الأرض ، فالبهائية والقاديانية وغيرهما من الفرق التي كفرها المسلمون لمعتقداتهم الفاسدة ، ونواياهم السيئة نماذج لامتداد جذور الشر ، وتعاون بعض العناصر التي تدعى الإسلام ، مع أعداء دين الله ، ليضفوا على دعواتهم الصبغة الشرعية ، وليستغلوا ادعاءهم للإسلام ، وتسمّيهم

بأسماء إسلامية ، في تحقيق المهمة بطعن الإسلام بخنجر من أيدي المسلمين ، وإيجاد فرقة ونفرة بين أبناء الإسلام ، حتى يسهل عليهم إعانة من يتقمص الرداء الإسلامي ، وتتفرق الأمة الواحدة ، خلف مقاصد وغايات متباينة .

وما غلام أحمد مؤسس القاديانية المولود في الهند عام ١٨٣٥م ، إلا امتداداً لجذور الشر ، حيث ظهر في الآونة الأخيرة داعياً من دعاة الشر والفساد ، طفحت صفحات الأخبار ومقالات الاستنكار لما قاما به ، وتتابعت وسائل الإعلام في التنديد بجرأتهما على الاستخفاف بشرع الله والنيل من تعاليم هذا الدين ، وليس من المناسب ذكر اسميهما لأن هذا مما يشرفهما ، بل الأنسب الإشارة للعمل ولمن يتعاطف معه .

الاستنكار الشديد :

وفي الوقت الذي يرتاح كل مسلم للرأي الصائب الرصين ، فإنه يستنكر مع علماء المسلمين في مكة المكرمة في مؤتمرهم بالمجمع الفقهي ، ما تجرأ به هذان الأفاكان من نيل للإسلام ، واستخفاف بتعاليمه ، ذلك أن الأول منهما قد ادعي الرسالة ، وأنه خليفة لمحمد ﷺ – قاتله الله على هذا الزعم – وادعى لنفسه أموراً في النظرة العامة نحو هذا الدين ، فكأنه مشرع للأمة بحيث يضع في تعاليم هذا الدين ما يحلو له ، ويباعد عن الناس ما تعدّ له نفسه ، وتارة يطعن الصحابة رضوان الله عليهم بالتهاون في المحافظة على القرآن الكريم ، عند ما ادعى زيادة آيات في بعض السور اقترح حذفهـــا ، و كأنه لم يقرأ قول الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ إن من يقرأ ويسمع ما يصدر عن ذلك البهائي المتعمق في عدائه للإسلام ، رغم ادعائه الإمامة فيه ، فالإسلام ليس بالإدعاء ولا الانتماء ، ولكنه عمل واعتقاد ، وتحقيق ذلك بالالتزام والصدق ، ليدرك أن آراءه وأفكاره لا تصدر عن عاقل يلمس عقله ، ولا تكون ممن يتحرك ضميره خوفاً من عقاب الله ونقمته ، وهي أمور مضحكة مبكية ، والمثل يقول : وشر البلية ما يضحك

أما الثاني : فهو أشر من الأول . ذلك أنه ألف كتاباً وصم فيه أبا الأنبياء ، وخليل الرحمن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بصفات يقشعر من ذكرها البدن ، ويجف القلم خجلاً من تسطيرها ، كما وصف أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، ونساء الجيل الأول من هذه ، بأقذر من البهتان الذي جاء ذكره في سورة النور ، حيث توعد الله عليه بالعقاب الأليم ، واستهزأ بآيات الله ورسوله الكريم بعبارات هي أشد وقعاً مما قاله المنافقون ، ممن حكى الله خبرهم في سورة التوبة ، وقرعهم بعقاب زاجر عند ما قال سبحانه : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ .

وأي استنكار أشد من أن يساء إلى الإنسان في دينه ، وأن يأتي من يتطاول على من أكرمه الله ، وهل هذا إلا بدافع عدائي ، وبغض متأصل للإسلام وشرائعه ، ومن شخصية سافله ، لا تتحرك إلا على جرح المشاعر ، وتعمد الإساءة ، وعلى من سلك مثل هذا الدرب أن يتحمل التبعات ، ويتجرع مرارة الملاحقة كما يقول الشاعر :

و من دعا الناس إلى سبة

سبوه بالحق و بالباطل

ومثل هؤلاء ، ونظائرهم في هذا الزمان كثير ، ممن يبيعون آخرتهم بدنياهم ، ويشترون بالشهرة ومحاولة إرضاء الأسياد ، ما يدفعهم للإساءة إلى دين تسمّوا باسمه ، وعاشت أسرهم في أكنافه ، فكانوا تيساً مستعاراً تشتري ضمائرهم ، وتدفع إليهم الأموال أجرة في الإساءة للإسلام ، الذي أزعج أعداءه اليقظة الجديدة فيه ، والقرب من شبابه إلى معانيه فهماً ، ولشرائعه تطبيقاً ومحافظة .

ومهما كان فإنه يجب أن تكون تلك الأبواق سواء كانت صحافة أو أي وسيلة إعلامية ، أو كتباً تنشر ، أو مبادئ تعلن ، أو أي أمر يقصد به الإساءة للإسلام وأهله ، والتعريض بالمهتمين به والمحافظين عليه ، هذه الأمور وغيرها ، يجب أن تكون لقاماً يحصن أبناء المسلمين ضد

الشرور . ومصباحاً يضيء أمامهم المعالم . مثلما كان يروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . ذلك الصحابي الذي اتصف بأمانة سر رسول الله ﷺ . فقد كان يقول : كان الناس يتعلمون الخير . وكنت أتعلم الشر مخافة الوقوع فيه .

وإن معرفة آراء مثل هؤلاء . ليدعو لتتبع من وراء القناع . ومعرفة اليد الخفية التي تدير الأمور . والترصد للأهداف البعيدة المقصود بها أمة الإسلام . حتى يتوقى أبناء الإسلام أخطارها . ويعرف المنافذ نيرتق خللها . ليسهل حصرها في مكان لا يسمح لها بالانتشار والتكاثر .

إن المتتبع لأمثال تلك الأفكار يرى أنها من الضحالة . بحيث لا تصمد لعوادي الدهر . وأن البقاء دائماً للأصلح :

فالحق أبقى و إن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ودور المسلم ألا يكون في موقع المدافع الضعيف . بل عليه أن يكشف الزيف . ويوضح الحق بطرائقه . ومسئولية العلماء الإبانة . وتجلية الأمور . وهذا جزء من الدفاع عن شرع الله . والذود عن حمى الإسلام فمن ابتعد عن الفتن ومظانها فهو فارّ بدينه . حريص على عقيدته . كما قال ﷺ : أحب عباد الله إلى الله الغرباء .. قيل ومن الغرباء . قال الفرارون بدينهم . يجمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم .. وهذا الفرار يكون لمن لا يقدر الدفاع . أو رد الشبهات . أما من يدرك ذلك فإن دوره أمكن والواجب عليه الزم لأن الله يقول : ﴿ فإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

حب الشهرة : وشر الأمور أن يكون حملة تلك الأفكار « السيئة » وباسطو تلك الآراء الشاذة . ممن كانت قلوبهم . مريضة . ونفوسهم دنيئة . فيندفعون خلف مطمع مالي . أو لمركب نقص في شخصياتهم فيحبون البروز والشهرة . حتى يشير الناس إليهم بالبنان . وتتناقل الألسن أخبارهم . فلا يتورعون من إرضاء من دفعهم بأي أمر يريدونه .

وهم في الغالب لا يريدون إلا الغالي النفيس ، وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حسب أمرئ من الشر ، إلا من عصم الله ، أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم » وقد فسر الحسن البصري رحمه الله ذلك ، عند ما قيل له : فإنه يشار إليك بالأصابع يقوله : إنما المراد من يشار إليه دينه بالبدعة ، وفي دنيا بالفسق .

وأي بدعة أكثر من ادعاء الرسالة ، أو وصم القرآن الكريم بالنقص ، والصحابة رضوان الله عليهم بالتقصير في المحافظة على دين الله .

وأي فسق أكثر من طعن أنبياء الله في شرفهم ، ونساء المؤمنين في عفتهن ، وتعاليم الإسلام ، ومقدسات المسلمين بالإساءة والتنقيص .

إنها سهام مشرعة لعقيدة الإسلام ، وحبائل منصوبة لكل مؤمن صادق في عقيدته ، في محاولة لزعزعة إيمانه ، والإساءة إليه في أعز ما يملك في هذه الحياة ، وقد قال إبراهيم بن أدهم : ما صدق الله من أحب الشهرة ، لكن شر البلية إذا جاءت مثل هذه الإساءات التي تورد الإنسان المهالك ذلة في الدنيا ، وخسارة في الآخرة ، لمطمع دنيوي ، وربح مادي ، أو كان سموماً تنفثها الأعداء ولم تسعفهم الشجاعة بنشرها ، ووجدوا ضعاف نفوس ، أو أرباب قلوب مريضة يشمرون عن سواعدهم في إذاعتها في الملأ ، فإن دور المفكرين من المسلمين التنديد بفعلتهم الشنيعة ، ودحض أقاويلهم السيئة ، والإبانة عن خلفياتهم ومسببات عملهم ، حتى يحذرهم الناس ، ويدركوا خطرهم ، ويعرفوا المسارب التي تنفذ الشر منها فيسدوها ، والمقاصد التي رميت فيحصروها .

يروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : لا تبدأ لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم واصمت تسلم ، تسر الأبرار ، وتغيظ الفجار .. وهذه الصفات التي ذكرت لا تكون إلا مع حاجز إيماني ، وورع يكبح جماح النفس ، وخوف من الله وعقابه ، وتفضيل للآخرة على الدنيا ، وحطامها ومظاهرها .

الدعوة الإسلامية :

الإحسان وأثره في حياة المسلم

بقلم : الدكتور شفيق أحمد خان الندوي
الأستاذ المشارك في اللغة العربية وآدابها
بالجامعة الملية الإسلامية - دلهي

الإحسان فكرة مهمة في الشريعة الإسلامية ولها مكانة رفيعة في حياة المسلم وأثر إيجابي بنّاء على المجتمع البشري بشكل عام .

وهو لغة في المعاجم الشائعة : فعل ما هو حسن (١) وفي التنزيل العزيز : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ وكلمة الإحسان شاملة لعدة معان حسب استخداماتها اللغوية . أولها : استخدامها بدون صلة . مثلاً هو أحسن العمل أي أتقنه كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ و صوّاكم فأحسن صوركم ﴾ و ثانيها : باستخدام صلة « ب » ومعناه القيام بحسن السلوك و المعاملة الحسنة نحو قوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين ﴾ إلخ .. وثالثها : استخدامها بصلة « إلى » في مفهوم المن نحو قول الله عز وجل : ﴿ و أحسن كما أحسن الله إليك ﴾ .

قال سيدنا علي كرّم الله وجهه : « الناس أبناء ما يحسنون . أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه (٢) »وأمرنا الله عز وجل بالإحسان بقوله في القرآن : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي ﴾ نسمعه أسبوعياً في

---

(١) راجع : ١- إبراهيم أنيس وزملاؤه : المعجم الوسيط : دار إحياء التراث العربي . ط. ١٩٧٢/٢ . ج/١ . ص/١٧٤ .

٢- خليل الجر : معجم لاروس ١٩٧٣ . ص/٣٤ .

٣- حسين محمد مخلوف : كلمات القرآن . ص/١٨٩ .

(٢) راغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص/١١٧ .

خطب الجمعة كالمعتاد . وجعل الله القرآن تبياناً لكل شيء حيث قــال : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ ذلك إن دل على شيء فإنه يدل على أنه هو منارة هداية ومصدر سعادة ومفتاح كنوز الحسنات في الدنيا والآخرة . وقال ابن مسعود رضي الله عنه . طبقاً لما نقله الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأردية : إن الله عز وجل جمع كل بيان لكل خير وشر في هذه الآية . فما من عقيدة وخلق . ونية وعمل ومعاملة حسنة أو سيئة إلا وتضمنت فيها أمراً أو نهياً . ولعله من أجل ذلك التزم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بهذه الآية في نهاية كل خطبة للجمعة وخلف قدوة حسنة لنا وللأمة جمعاء . تأمرنا الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمقصود من العدل هو أن تتم سائر أعمال الإنسان وأخلاقه ومعاملاته متزنة على كفة الاعتدال و الإنصاف من غير إفراط و تفريط بموجب قوله تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ فالإحسان فوق العدل . على حد تعبير راغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن . وذاك ان العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له . والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له . والإحسان زائد على العدل فتحرى العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع . على هذا قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين فقال تعالى : ﴿ إن الله مع المحسنين ﴾ ثم قال : ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ (١) .

---

(١) ترجمة معاني القرآن بقلم شيخ الهند محمود الحسن مع تفسير الشيخ شبير أحمد العثماني باللغة الأردية : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م . ص/٣٦٦ في سورة النحل . الآية : ٨٩ : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...﴾ إلخ .

أما اصطلاحاً في باب العبادات فإنه (١) عبارة عن تادية العبادة أيا كان نوعها من صلاة أو صيام أو حج أو غيرها أداء صحيحاً، باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها، وهذا ما لا يتم للعبد إلا إذا كان حال أدائه للعبادة يستغرق في شعور قوي بمراقبة الله عز وجل حتى كأنه يراه تعالى ويشاهده أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع عليه و ناظــر إليه فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته، ويتقنها فيأتي بها على الوجه المطلوب والصور الكاملة لها، وهذا ما أرشد إليه الرسول ﷺ في قوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقد ورد في الصحيحين عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ذات مرة وصل سائل إلى رسول الله ﷺ بغاية من الطمأنينة وغرابة الهيئة واستفسر عن الإسلام أولاً : ثم عن الإيمان، ثانياً، وأخيراً : عن الإحسان فأجاب عليه الرسول عليه السلام بأن الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، ثم أجاب على السؤال، الثاني : عن الإيمان وهو العقيدة الباطنة التي تتوطن في القلب فكان جواب النبي ﷺ عنه : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » وذلك لأن الإسلام لن يحتل في العبد عملياً إلا على قدر رسوخ إيمانه واستحكام جذوره في القلب، أما بالنسبة إلى السؤال الثالث عن الإحسان، فقال عليه السلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فهكذا تقرر الإحسان مرحلة نهائية لإكمال الدين الحنيف، ولما استغرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في شأن هذا السائل وازداد عجبهم فأخبرهم الرسول عليه السلام : « بأنه كان جبريل أتاكم ليعلم دينكم » والمقصود من ذلك أن العقيدة عقيدة

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم، مكتبة الكليات الأزهرية، بالقاهرة ١٩٧٩م، ص/٤، ط/١.

محضة والمهم هو الإسلام الذي لن يكون عملياً ومكتملاً وقابلاً للاعتبار إلا بعد الرسوخ في الإيمان والتوصل إلى مقام الإحسان . وطبقاً لما شرحه الإمام النووي فإن هذا الحديث لخير مثال لجوامع كلمه وحكمة تبليغه عليه الصلاة والسلام . ولا يمكن أسلوب أحسن من ذلك في سبيل إيقاظ الوعي و الخشوع و الخضوع و الإخلاص و الإنابة إلى الله جل وعلا . ويراه القاضي عياض أساساً لسائر العبادات الظاهرة والباطنة ومصدراً للأعمال وعلوم الشريعة .

يقول العلامة الشيخ سيد سليمان الندوي . وفقاً للأستاذ الدكتور محمد أشرف خان في تأليفه المعروف بـ « سلوك سليماني » عن توجيهات الشيخ المغفور له التربوية . إن استحضار فكرة رب العالمين يؤدي إلى مقام الإحسان الذي هو رأس تسلية أولياء الله الصالحين ، والإحسان حال ترسخ جذوره برسوخ جذور فكرة الاستحضار الإلهي بصورة تلقائية . أما حقيقة الإحسان فإنها كما يراها الشيخ الندوي أن تتم تأدية الاعمال مثلما تتم تأديتها على أيدي الأجراء أمام رب العمل ، يسعد بها العارف فيشعر بالتقريب إلى الله ويشتغل في مناجاة معبوده اشتغالاً يزوده بنوع من السكرة الإلهية السرمدية الروحية ، ولما كان إدراك كنه ذات الإله مستحيلاً لكونه وراء الوراء فإنه من اللازم أن نعتقد بفكرة القرب الإلهي ومعيته بصورة إجمالية من غير التعمق في تفاصيلها وكنهها إذ أنها كيفية لا يعرفها إلا العلماء الراسخون في مقام الإحسان ولا تخص إلا بصفات الأسماء الحسنى والتي لا بد لنا من استحضارها في كل حين وآن.، واتخذ مصلحو هذه الأمة تدابير منوعة في سبيلهم إلى إيقاظ هذه الكيفية في نفوس مسترشديهم بما فيهم الشيخ نفسه فإنه كتب مرة إلى بعض طلابه ومريديه بهدف توصيله إلى مقام الإحسان كالآتي : ينبغي لك الآن أن تشرع في الجلوس لمدة معينة يومياً لذكر الله عز وجل ولترداد « الله معي » و ردّد ذلك مراراً وتكراراً وتدبر مفهومها معاً واذكر الآيات

القرآنية المماثلة الأخرى في نفس الوقت نحو ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ ﴿ و هو معكم أينما كنتم ﴾ ﴿ و هو عليمٌ بذات الصدور ﴾ ﴿ و لا تخفي عليه خافية ﴾ ﴿ و نحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ ﴿ و نحن أقرب إليه منكم و لكن لا تبصرون ﴾.﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾.

ولا يخفي على أحد أن الإسلام لا يفرق بين الدين والدنيا ولا يعتبر العبادة محصورة فيما بين جدران المساجد بل ويراها شاملة لجميع نواحي الحياة . إنه يحض المسلمين على تطبيق شريعة الله وتصبيغ دنيامم بصبغة الإله الواحد القادر الصمد الذي لم يزل ولا يزال وإدارتها طبقاً لأوامره بغية مرضاته في كل حين وآن . ولذلك وجب علينا أن نرى خالقنا وربنا في كل وقت ونجعله نصب أعيننا . هو الذي خلقنا وسوانا وأكرمنا بنعم لا تعدو لا تحصى وأدام نعمه علينا ظامرة وباطنة وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ويدرك خلجات قلوبنا و وساوس أنفسنا ويدبر أجهزة أنفسنا ويسدد أعصابنا ويدير أنظمة وعينا وإدراكنا بصورة كاملة . ولماذا لا نركز أنظارنا على ربنا المعبود الذي يمدنا بأرزاقنا من تحت بطون الأرض ويرتب نظام جريان قوتنا بدورة دموية فيما بين الأعصاب والشرايين ، وينظم أنظمنا الخاصة بالسمع والبصر والبصيرة وما إليها بصورة دائمة ومتواصلة . وكيف يمكن نسيان ذلك الذات الإلهي الذي يجدد أعمارنا مع كل أنفاسنا المتجددة كما قال شاعرنا « فإني » باللغة الأردية ما معناه :

(إن كل نفسة يتنفسها الإنسان هي بمثابة ميت لعمره المقضي . أما الحياة فإنها عملية تكرار وترداد الحياة عقب الممات) ولو سعدنا بقدرة البصيرة لرأينا وجود ربنا في أنفسنا بالذات بموجب قوله : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾.

فلم لا نراه إذن في عباداتنا وفي معاملاتنا كذلك ومن القصص

الطريقة في ذلك أن أحد الشيوخ كان يخص تلميذاً له بالرعاية والإقبال أكثر من غيره فسألوه في ذلك فقال : أبين لكم ، ودفع إلى كل واحد من تلاميذه طائراً وقال له : اذبحه بحيث لا يراك أحد . ودفع إلى هذا التلميذ طائراً مثلهم . فمضوا ورجع كل منهم وقد ذبح طائره ولكن هذا التلميذ جاء ولم يذبح طائره . فقال له الشيخ : ملا ذبحته . فقال : أمرتني بأن أذبحه بحيث لا يراني أحد ولم أجد موضعاً لا يراني فيه الله عز وجل . فقال الشيخ : لهذا خصصته بالرعاية والإقبال . وهذه الدرجة الخاصة بالإحسان لن تتأتي إلا بعد الإسلام والإيمان وهي التي تؤدي إلى محبة الله بناء على قوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ و يبشر أيضاً برحمة لأمثال هؤلاء المحسنين بقوله : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ إذ أنهم عباد مخلصون يسلمون لله وحده ولا يشركون به شيئاً في قدرته ويعدون وجود القدرة في غير الله شركاً خفياً بمعني أن لا يشهد الإنسان مع الله خالقاً سواه ولا قادراً غيره فكل ما سواه نجم آفل وظل زائل إيماناً بالآية الكريمة : ﴿ كل من عليها فانٍ • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وينادون بمثل ما يأتي :

الله قل و ذر الوجود و ما حوى
إن كنت مرتاداً لنيل كمال
فالكل دون الله إن حققتــه
عدم على التفصيل والإجمال (١)

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (سورة البقرة . الآية :

(١) عبد الحفيظ فرغلي القرني : التصوف ومقام الإحسان : مجلة الأزهر نوفمبر ١٩٧٩م، ص/٢٤٢٢ .

١١٢) وقال في موضع آخر : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور﴾ (سورة لقمان . الآية : ٢٢) وبداية هذا المقام عند أولياء الله هي التوبة وتعني الرجوع عن أمر مذموم في الشرع إلى كل أمر محمود فيه مع الندم على ما حدث من المخالفات . والتوبة مقام خطير من مقامات المحسنين وأولياء الله الصالحين يبدأ بالتوبة من المعاصي وينتهي بالتوبة من الخواطر حتى قال ذو النون المصري وقد سئل عن التوبة : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال سفيان الثوري : التوبة أن تتوب من كل شئ سوى الله عز وجل وشتان ما بين تائب يتوب من رؤية الحسنات وإذا تحقق المريد بالتوبة على هذه الصورة فقد وضع قدمه الصحيح على طريق الإحسان الذي يشاهد فيه حقائق الإنعام والإحسان ولن تتم هذه التوبة إلا بالمجاهدة الصادقة لدواعي النفس و كبحها بلجام التقوى : وقد ورد لفظ الإحسان في القرآن الكريم مقرونا بكلمة التقوى في مواضع كثيرة على سبيل المثال : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (سورة يوسف . الآية : ٩٠) وذلك يدل على أن المحسنين هم أهل التقوى والصبر كما قال : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (سورة النحل . الآية : ١٢٨) وقال : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ سورة يوسف . الآية : ٩٠) ولذلك فإن التقوى تعني مدلولاً خطيراً عند أولياء الله الصالحين ويفتح الباب إلى مقام الإحسان .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (صحيح مسلم) وأكد القرآن الكريم على الإحسان بصيغ مختلفة ٧٥/مرة . إنه أمر بالعدل وهدى إلى استكماله بالإحسان ولم يحصر ذلك في دائرة العبادات بل وأراد أن يرى

حيوية الإحسان في جميع نواحي(١) الحياة . إنه بشرنا بما يأتي : ﴿ إن المتقين في جناتٍ وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم • إنهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون • وبالأسحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (سورة الذاريات . الآية : ١٥-١٩) واعتبر القرآن الكريم الجهاد في سبيل الله صفة مميزة للمحسنين حيث قال : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • وإن الله لمع المحسنين ﴾ (سورة العنكبوت . الآية : ٦٩) كما أنه عدّ الصدق والتصديق بالرسالة سمة ممدوحة للمتقين والمحسنين ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون • لهم ما يشاءون عند ربهم • ذلك جزاء المحسنين ﴾ (سورة الزمر . الآية : ٣٣-٣٤) وعلّم الناس الإحسان كجزاء وحيد للإحسان : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (سورة الرحمن . الآية : ٦٠) ثم أكد لنا على القيام بالإحسان مع العباد كإحسان الله إلينا : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ ومن خصائص المحسنين المحبوبين عند الله العفو والصفح بموجب قوله : ﴿ فاعف عنهم واصفح . إن الله يحب المحسنين ﴾ (سورة المائدة . الآية : ١٣) أما الصبر فعليه الأجر والصابرون هم المحسنون : ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ هذا وأمرنا الله جل وعلا في كتابه الحكيم بالإحسان إلى الوالدين على وجه الخصوص بقوله : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ (سورة الإسراء . الآية : ٢٣-٢٤) كما أنه أكد فيما بعد على الإحسان ﴿ وبذي القربى و اليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن

---

(١) أحمد حسين كمكو : المواهب السنية في القطب النبوية : مكتبة التراث الإسلامي . حلب ١٩٨٤م . ص/٨٩ .

السبيل وما ملكت أيمانكم ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٣٦) سمة المحسنين المحبوبين لدى الله جل وعلا الإنفاق في السرّاء والضرّاء وكظم الغيظ والعفو عن الناس ، كما في قوله : ﴿ سارعوا إلىٰ مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين • الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس • والله يحب المحسنين ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ١٣٤) وفي هذه الآية إشارة لدى بعض المفسرين (١) إلى أن درجة المحسنين أفضل من درجات المنفقين والكاظمين والعافين إذ أنهم لا يكتفون بها ويتقدمون بمزيد من اختيارهم الإحسان . قيل إنه أغاظ أحد السلف غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه فقال الغلام : والكاظمين الغيظ . فقال الرجل : كظمت غيظي . فقال الغلام : والعافين عن الناس . فقال : عفوت عنك . فقال الغلام : والله يحب المحسنين . فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى . (٢)

هذه هي فكرة الإحسان فيما بين القرآن والسنة ، إنها ذروة الإسلام والإيمان وأساس تزكية النفس وإصلاح الباطن وروح الدين والشريعة الحنيفية البيضاء التي لا يتحلى بها المؤمن إلا ويسعد بنعمة الإخلاص والتقوى المؤدية إلى قدوة نزيهة وزكية للنجاح في الدنيا والآخرة .

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين ﴾

><><><><><•><><><><><

(١) عبد الماجد الدريابادي : تفسير القرآن الكريم : (المعروف بالتفسير الماجدي) باللغة الأردية ، تاج كمپني لاهور .

(٢) أبو بكر جابر الجزائري : المصدر السابق ، ص/١٨٦ .

الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى
وكتابه : الحجة على أهل المدينة

[الحلقة الأخيرة]

بقلم الأستاذ محمد أكرم الندوي

تحسين محمد بن الحسن لتفسير مالك :

قال مالك بن أنس في حديث عمر : أنه كان يصلي الجمعة ثم يرجع بعد الجمعة فيقيل قائلة الضحى . قال : يعني بالقائلة التي هجروا فيها إلى المسجد بالضحى يقيلون فيها حين يرجعون من الصلاة مكان القائلة التي فاتته .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه أيضاً في تفسير حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه : أنه يصلى يوم الجمعة . ثم ينصرف وما للجدر ظل . وقال مالك : قد زاغت الشمس . وإنما معنى قوله . ليس للجدر ظل ممدود .

وقال محمد بن الحسن : قد أحسن التفسير في هذا (١) .

تأويل محمد لأكثر من ركوع في كل ركعة من ركعتي الكسوف :

يرى أهل المدينة أن في كل ركعة من صلاة الكسوف ركوعين .

يقول محمد بن الحسن : قد جاءت في قول أبي حنيفة آثار على ما قال : وجاءت في قول أهل المدينة آثار على ما قالوا . وقال :

أما الركعتان في ركعة فهذا أمر لم يكن في شئ من الصلوات لا في صلاة عيد ولا في جمعة ولا في تطوع . ولا في فريضة . فكيف كان ذلك في صلاة الكسوف . وما نرى ذلك إلا أن النبي ﷺ أطال القيام.ثم أطال الركوع . فكان الرجل يرفع رأسه فيرى من قدامه ركوعاً فيعود فيركع فيرى ذلك من خلفه فيرى أن ذلك ركعتان . وإنما هي

ركعة واحدة . فعلى هذا نرى أن الأمر كان (٢) .

استعجابه من إنكار أهل المدينة الصفة المعلومة لغسل الميت :

سبحان الله العظيم . كيف لم يعرف أهل المدينة غسل الميت حتى قالوا فيه هذا القول . والآثار فيه كثيرة مبينة . وغسل الميت واضح في أيدي الفقهاء قال ذلك عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وغيرهم من الفقهاء . والأمر فيه أشهر من أن يذكر جملة كما ذكر أهل المدينة (٣) .

قول أهل المدينة بما هو أعظم وزراً :

قال أبو حنيفة في المحرم يدل الحلال على الصيد فيقتله قال : على الدال الجزاء .

وقال أهل المدينة : إذا دل المحرم الحلال على الصيد لا كفارة على الدال . ولا ينبغي له أن يفعل ذلك .

وقال محمد : هذا لا ينبغي لأحد من أهل الفقه أن يشك فيه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : على الدال الجزاء .

قال محمد : وا عجباً لأهل المدينة . إنهم يقولون في المحرم يدل على الصيد فيقتل أنه لا جزاء عليه . وإن أكل من لحم صيد صاده حلال من أجله وذبحه بغير أمره ولا علمه فعليه الجزاء . أي الرجلين يرون أعظم وزراً ؟ الذي يدل على الصيد حتى يقتل . أو الذي يأكل من لحم صيد صاده حلال وذبحه ؟

ما ينبغي أن يشكل على أحد من الفقهاء . هذا أعظم وزراً فيما صنع من الآثار الكثيرة التي جاءت فيه .

ثم ذكر الآثار . (٤) .

قول أهل المدينة أعجب إلي من قول أبي حنيفة :

قال أبو حنيفة في إمام الحج إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة أو يوم النحر أو بعض أيام التشريق : إنه لا جمعة في شيء من تلك الأيام

إلا بمنى إن كان صاحب الموسم الخليفة أو أمير الحجاز أو أمير مكة . فإنه إن كانت الجمعة بمنى جمع . كان يعد منى مصراً . وإن كانت الجمعة بعرفة فلا جمعة في ذلك .

وقال أهل المدينة : إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة أو يوم النحر أو بعض أيام التشريق فلا يجمع في شيء من تلك الأيام .

وقال محمد بن الحسن : قول أهل المدينة في هذا أعجب إلي من قول أبي حنيفة (٥)

زعم أهل المدينة أنهم أحسن الناس نظراً في البيوع :

قال أبو حنيفة : من استأجر عبداً بعينه أو تكارى راحلة بعينها إلى أجل . فقال : أتكارى مثل راحلتك هذا بكذا وكذا درهماً على أن تحملني إلى مكة في شهر كذا وكذا . بغير الشهر الذي هو فيه . أو قال : استأجر منك هذا العبد يخدمني الشهر الداخل كله بكذا وكذا . إن هذا جائز لا بأس به .

وقال أهل المدينة : لا يصلح هذا . وإن كان قد أوفاه الكراء . لأنه لم يقبض ما استكرى أو استأجر ولا هو سالفه في دين يكون مضموناً حتى يوفيه إياه .

وقال محمد : لا بأس بهذا . رجل أتاه رجل له منزل . فقال : إن الشهر قد مضى منه الأيام . فلست أكتري منك هذه الأيام . ولكن أكتري منك منزلك لسنة من أول الشهر الداخل بكذا. وكذا درهماً . وأوفاه الكراء . أي شيء يكره من هذا ؟ ولأي شيء كره ؟ قالوا : لأنه غيرمضمون . قيل لهم : وإن كان غيرمضمون فما بأس بذلك ؟ قالوا : لأنه لا يقبض ما اكتري ولم يجب له بعد وإنما يجب له إذا مضى الشهر . قيل لهم : لقد وضعتم الكرامة في غير موضعها . هل سمعتم في هذا أثراً عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه ؟ لو سمعتم ذلك لاحتججتم به . ما زال المسلمون على أنه لا بأس بالسلف في الكراء إلى مكة قبل الحج بأشهر . يعلمون ذلك ويستجيزونه في ما بينهم .

ثم يقول :

ما أعلم ما تقضون به في بيوعكم عامة إلا ادعاء تدعون به بلا بينة ولا برهان ولا أثر .

وقد زعمتم أنكم لستم في شيء من علمكم أحسن نظراً منكم في بيوعكم ، وأن الناس يشاركونكم في بعض النظر ، فإذا جاءت البيوع لم يكن لأحد معكم قول ولا نظر ، فهذه بيوعكم فعامتها ادعاء بلا حجة ولا برهان ، فإن كان هذا يجوز للناس فكل من قال قولاً بلا حجة ، وهو لا يشبه بعضه بعضاً فيفرق فيه بين مجتمع ويجمع فيه بين مفترق ، فهو فهمه ، يجوز قوله ، فإن كان هذا ومثله هكذا ، فما يصنع الناس بالقياس وضرب الأمثال في العلم حتى يشبهوا الشيء بنظيره (٦) .

أهل المدينة يبطلون الأشياء بالتهم :

قال أبو حنيفة : من راطل ذهباً بالذهب ، فكان بين الذهبين فضل مثقال فأعطى صاحبه قيمته من الورق أو العين أو غير ذلك فلا بأس ، يكون الذهب بمثله والمثقال بالذي أعطاه .

وقال أهل المدينة : لا ينبغي أن يأخذه فإن ذلك قبيح وذريعة إلى الربا .

قال محمد : وكيف كان ذلك ذريعة إلى الربا ؟ قالوا : لأن هذا لو جاز له أن يأخذ المثقال بقيمته حتى كأنه اشتراه على حدته جاز له أن يأخذ المثقال بقيمته مراراً .

قلنا لهم : وما بين أن يأخذ المثقال بقيمته مراراً أو يأخذه مرة فرق ؟ هذا كله جائز ، إنما نهى رسول الله ﷺ أن يأخذ ذهباً بذهب أكثر منها ، وإذا أعطى بالفضل الذي مع أحدهما شيئاً فما بأس بذلك ، إنما فر القوم من الحرام وأرادوا الدخول في الحلال .

فإن قلتم : نتهمهم على هذا .

قلنا : فليس ينبغي أن يبطل الأشياء بالتهم ، ولعمري ، إنه

لينبغي لكم أن تبطلوا الأشياء بالتهم لأنكم قد قلتم في القسامة بالتهم . والقتل أشد الأشياء . وكيف يبطل اليقين بموضع التهمة وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ (٧) .

إحلال أهل المدينة المكروه الواضح البين :

قال أبو حنيفة في من أسلف دراهم به نقص . فقضى دراهم وازنة بها فضل : إنه لا يصلح فضل الوزن الذي ازداد . لأنه قضى أكثر من حقه .

وقال أهل المدينة : لا بأس بذلك . وهو جائز . وقالوا : لا يشبه ذلك الشراء . لو اشترى دراهم وازنة بنقص لم يحل ذلك .

قال محمد : يمنعون من البيوع في الأشياء التي ينبغي أن يشدد فيها . ثم لا يبرح لهم الأمور حتى يحلوا المكروه الواضح البين (٨) .

تحكم أهل المدينة :

قال أبو حنيفة : لا بأس بالخبز قرص بقرصين يداً بيد . ولا بأس بعظيم بصغير يداً بيد وإن كان بعض ذلك أكبر من بعض . لأن ذلك قد خرج من الكيل وليس ما أصله الوزن .

وقال أهل المدينة : لا خير في الخبز قرصاً بقرصين ولا عظيم بصغير إذا كان بعض ذلك أكبر من بعض . فأما إذا كان يتحرى أن يكون مثلا بمثل فلا بأس به وإن لم يوزن .

قال محمد : إن كان الخبز لا يجوز إلا مثلا بمثل . ما يحل التحري فيه . لأن التحري يخطئ ويصيب ويزيد وينقص . ليس بالخبز بأس يداً بيد بزيادة ولا نقصان لأنه قد خرج من حال الكيل وليس مما يقع عليه الوزن .. فكيف جوزتم الخبز بالتحري وهو لا يجوز عندكم إلا مثلاً بمثل ؟ ليس ينبغي أن يكون بين هذه الأشياء افتراق إلا بسنة . من قال قولاً فينبغي له أن يحصل نظيره بمثله ، ولا يتحكم فيه فإن التحكم لا يقبل (٩) .

ذهاب أهل المدينة إلى ما لا ينبغي أن يشكل خطأه على أحد :

قال أبو حنيفة : لا خير في شراء الحنطة بالدقيق مثلا بمثل ولا بأكثر من ذلك ولا بأقل .

وقال أهل المدينة : لا بأس ببيع الحنطة بالدقيق مثلاً بمثل .

قال محمد : إن أهل المدينة يبطلون الذي لا بأس به . ويجيزون مثل هذا .

أو ما يعلمون أن الحنطة إذا طحنت خرج منها من الدقيق أكثر مما أعطى . فكيف يجوز هذا وقد صار دقيقاً بدقيق وفضل ؟

أرأيتم رجلاً اشترى سنبلاً فيه من الحنطة عشرة أقفزة بخمسة أقفزة . أ يجوز هذا ؟ فإن زعمتم أن هذا يجوز . فإن هذا مما لا ينبغي أن يشكل خطأه على أحد (١٠) .

جمع مالك اسم النبي ﷺ وكنيته :

قال محمد : أكره إذا سمي الرجل محمداً أن يكني بأبي القاسم للآثار المشهورة المعروفة عن رسول الله ﷺ أنه قال : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي .

وقال مالك بن أنس رحمه الله : لا بأس لمن سمي محمداً أن يكني بأبي القاسم . وقد سمي مالك ابناً له محمداً وكناه بأي القاسم (١١).

جمع أهل المدينة بين شيء ونقيضه :

قال محمد : ما أعجب قول أهل المدينة . يزعمون أنه لا يجوز نكاح الصغار إلا أن ينكح الآباء وينبغي للسلطان أن يفسخ ذلك . وهم يقولون : إن كبر الغلام فلم يجز ذلك كان فرقتهما طلاقاً . وكيف يكون طلاقاً إن ماتا لم يتوارثا ؟ فينبغي لمن قال هذا أن يزعم أن فرقتهما ليست بطلاق . لأنه يفارق غير امرأته . وكيف يقع الطلاق على غير زوجته ؟ وإنما جعل الله الطلاق على الزوجة . فأما أن يقول قائل : إنها ليست له بزوجة وفرقتهما طلاق . وهذا مما لا

ينبغي أن يسقط على أحد يبصر من العلم شيئاً وقد جاء في ذلك آثار كثيرة في إجازة نكاح الأولياء للصغار (١٢) .

كيف خفي هذا على من نظر في الفقه وجالس العلماء :

قال أبو حنيفة : الحرة والأمة تكونان تحت الحر أو تحت العبد إن القسم بينهما : للحرة ليلتان وللأمة يوم وليلة .

وقال أهل المدينة : القسم بينهما من نفسه سواء .

قال محمد: كيف خفي هذا على من نظر في الفقه وجالس العلماء ؟ والآثار في هذا كثيرة معروفة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنه قال : لا تنكح الأمة على الحرة ، وتنكح الحرة على الأمة ، ويقسم للحرة يومان وللأمة يوم ، وهذا مما لا اختلاف فيه عند أهل العلم (١٣) .

تفريق أهل المدينة بين مجتمعين :

قال محمد : زعم أهل المدينة أنه لا يحل لرجل مريض ولا لامرأة مريضة أن يتزوج واحد منهما ، وقالوا : إن تزوج واحد منهما فرقنا بينهما .

فكيف حرم نكاح المريض وبطل ؟ هل جاء في الكتاب أو في السنة أو نكاح الصحيح جائز ونكاح المريض فاسد ؟ إنما أحل الله النكاح جملة فهو حلال إلى يوم القيامة للمريض والصحيح ، فهل سمعتم في هذا أثراً عن النبي ﷺ أو عن أحد من أصحابه ؟ فلو كان هذا لاحتججتم به ولسمعناه من حديثكم ، ولكن الآثار في ذلك عندنا مشهورة معروفة ، وإن هذا من الأمور التي لا تحتاج فيها إلى الآثار ، ولكنها لا ندع أن نحتج بها عليكم (١٤) .

يلزم من قول أهل المدينة أن تكون الإماء عالما بالفقه :

قال أبو حنيفة في الأمة تكون تحت الحر ، فتعلم بالعتق ، فيمسها ، فتدعي أنها جهلت أن لها الخيار : إن لها خيار العتق .

وقال أهل المدينة : تتهم على ذلك ، ولا تصدق لما ادعت من

الجهالة ، ولا يكون لها الخيار بعد المسيس .

قال محمد : وكيف تتهم على هذا وهي لا تعلم به ؟ ينبغي في قولكم أن يكون الإماء المعتقات عالمات بالفقه كعلم الفقهاء ، وما تدري الأمة أن لها الخيار إذا أعتقت . لو اعترض أهل المجلس ذو الأحساب وغيرهم من ذوي الأموال ممن لم ينظروا في الفقه ما دروا أن الأمة لها خيار إذا أعتقت أم لا خيار لها ، فكيف تعلم ذلك الإماء والنساء في بيوتهن ؟ وكل أمر كان في هذا فالأمة عندنا لا تعلمه في الحكم حتى تعلم أنها قد علمته ، وإذا علمت ذلك ثم يمسها بعد فلا خيار لها (١٥) .

نهــايـــة الكتاب :

قال أبو حنيفة رضي الله عنه : لا قصاص على أحد كسر يداً أو رجلاً لأنه عظم ، ولا قود في عظم إلا السن .

قال أهل المدينة : من كسر يداً أو رجلاً أقيد منه ، ولا يعقل ، ولكنه لا يقاد حتى يبرأ جرح صاحبه .

وقال محمد بن الحسن : الآثار في أنه لا قود في عظم أكثر من ذلك ، وقال : وقد قال مالك بن أنس رضي الله عنه ذات يوم : كنا لا نقتص من الأصابع حتى اقتص منها عبد العزيز بن مطلب قاض عليهم فاقتصصنا منها .

فليس يعدل قول أهل المدينة في الأشياء بما عمل به عامل في بلادهم (١٦) .

---

(١) كتاب الحجة : ٢٨٦/١-٢٨٧ .
(٢) كتاب الحجة : ٣١٨/١-٣٢٠ .
(٣) كتاب الحجة : ٣٤٨/١-٣٥٠ .
(٤) كتاب الحجة : ١٧٥/٢-١٧٨ .
(٥) كتاب الحجة : ٤٢٩/٢-٤٣١ .
(٦) كتاب الحجة : ٥٦٦/٢-٥٧٠ .
(٧) كتاب الحجة : ٥٨٤/٢-٥٨٥ .
(٨) كتاب الحجة : ٦١١/٢-٦١٢ .
(٩) كتاب الحجة : ٦١٩/٢-٦٢٠ .
(١٠) كتاب الحجة : ٦٢٤/٢-٦٢٦ .
(١١) كتاب الحجة : ١/٣-٦ .
(١٢) كتاب الحجة : ١٤٠/٣- ١٤٩ .
(١٣) كتاب الحجة : ٢٥٤/٣-٢٦٣ .
(١٤) كتاب الحجة : ٤٩٥/٣-٥٠٤ .
(١٥) كتاب الحجة : ٣٦/٤-٣٨ .
(١٦) كتاب الحجة : ٤١٢/٤-٤١٧ .

الإمام ابن دقيق العيد ، حياته وآثاره

[الحلقة الخامسة الأخيرة]

دكتور جلال الدين أحمد النوري

نسخ الاقتراح :

١- نسخة وهي في مكتبة المتحف البريطاني برقم : ٨٧٦ .

وكتب عنوانها خطأ : « كتاب النبذ في علوم الحديث ، للشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين آخر المجتهدين تقي الدين محمد بن دقيق العيد – رضي الله عنه – .

وسبب ذلك فيما أظن عنوان الكتاب الأصلي « الاقتراح » قد سقط ، فأثبت الناسخ هذا العنوان اجتهاداً من مقدمة الكتاب « هذه نبذ من فنون مهمة في علوم الحديث .. » .

وذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي – الأصل ج/٢ ، ص/٧٥ ، باسم نبذة في علوم الحديث ، لكنه لم يبين أنه هو « الاقتراح » .

وكتب فوق عنوان الكتاب كتاب في « اصطلاحات الحديث » وفوق العنوان أيضاً .

أما في آخر النسخة فقد كتب ما يأتي :

« آخره والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وافق الفراغ من تعليقه على يد أضعف عباد الله ، وأحوجهم إلى غفرانه ، محمد بن أحمد بن علي الشافعي – عفا الله عنه – وغفر له ، وذلك يوم السبت أول يوم من جمادي الآخر سنة ست عشرة و سبعمائة بالمدرسة البادرائية (١) بدمشق حماها الله وسائر بلاد الإسلام وأهله .

---

(١) المدرسة البادرائية تقع داخل باب الفراديس و السلامة ، شمالي جيرون . >>>>

والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

من كتب فقير رحمة ربه المنان عثمان محمد بن عثمان .

ثم كتب حديثاً : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة يظلهم الله تحت ظله .. إلخ .

وإلى جانب هذه الصفحة الأخيرة من الكتاب كتب : هذه الأحاديث مائتين وثمانين حديثاً (كذا) وصوابه :

مائتان وثمانون حديثاً إلا حديثاً واحداً ، لأن القسم السادس نقص منه الحديث الأربعون .

٢- نسخة وهي في مكتبة برلين - بألمانيا الغربية : برقم ١٠٣ .

وعنوانها : كتاب « الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح » .

تأليف الشيخ الإمام ، العلامة الحافظ ، المحقق المدقق ، قاضي القضاة ، خطيب المسلمين ، شيخ شيوخ الطريقة ، كاشف أسرار الحقيقة ، تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد ، رحمة الله تعالى ولسائر المسلمين أجمعين .

وذكرها بروكلمان في كتابه : تاريخ الأدب العربي - الأصل : ج/٢ ، ص/٧٥ ، وهي في مائة وسبع عشرة صفحة ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، ومعدل كلمات السطر عشر كلمات ، خطها نسخي واضح ، ومشكول غالباً ، متعددة غير صحيحة وكتب في الصفحة الأخيرة من الكتاب :

« تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، في الشهر الأوسط من

>>>> وشرقي الناصرية الجوانية ، وفي المختصر : انها على باب الجامع الأموي الشرقي المؤدي إلى العمارة ، أنشأها الإمام العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن الشافعي البادرائي (من أعمال واسط بالعراق) البغدادي المتوفى سنة ٦٥٥هـ كان فقيهاً ديناً درس بالنظامية ، أنظر خطط الشام لمحمد كرد علي : ج/٦ ، ص/٧٦ .

شهر جمادي الآخرة سنة سبت عشر (وربما تكون : ست عشرين) وسبعمائة » .

رأيت أن غالب مادة مصطلح الحديث في كتاب « الاقتراح » قد نقلها العلماء الذين كتبوا في المصطلح بعد ابن دقيق العيد . كالإمام العراقي وابن حجر والأنصاري والسخاوي والسيوطي والقاري وغيرهم . فعقبوا عليها أو استشهدوا بها أو نقدوها .

ولما كان ابن دقيق العيد : وهو المحدث الجهبذ فلا بد من أن نعتمد رواية الحديث التي انتهت إليه للتأكيد من عبارة ابن دقيق رحمه الله . ودون شك أن العلماء قد اعتمدوه كتاباً أساسياً في هذا العلم . وأحلوا رأيه المكانة اللائقة به . ولا غرو فإن ابن دقيق العيد قد بلغ مرتبة الاجتهاد .

ابن دقيق العيد وأدبه وشعره :

بينت في الفصل السابق شخصية ابن دقيق العيد العلمية وكيف انه برز في الفنون العقلية والنقلية وتفوق في العلوم الدينية والشرعية وفي هذا الفصل أقول : إن ابن دقيق العيد ذو شخصية متميزة مستقلة لا في العلم والدين فقط . ولكن في الشعر والأدب أيضاً وشهد له بذلك معاصروه ومن ترجموا له من أهل العدالة والإنصاف .

قال الإدفوي : يصفه بالبلاغة والإجادة والإبداع والتفوق في الخطابة و الكتابة قال : « إذ خطب أسهب في البلاغة وأطنب في البراعة . أو كتب فوحى الكلام يتنزل على يراعه (١) » .

ثم وصفه في موضع آخر بالتفوق في نظم الشعر إذ يقول ما نصه : « فإن اقتصرت قلت : نابغة زمانة . وإن اختصرت قلت : حبيب (٢) » .

و هذا يعني أن الأدفوي قد عد ابن دقيق العيد في طبقة الشعراء المفلقين في الجاهلية وبعد الإسلام فهو في مرتبة النابغة الذبياني أو

(١-٢) أنظر : الطالع السعيد : ص/٢١٧ .

في منزلة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وكل منهما كان مقدماً على أترانه مشهوداً له بالإبداع الشعري في زمانه . ثم نقل الإدفوي عن ابن سيد الناس فتح الدين محمد اليعمري أنه قال في ترجمته لابن دقيق العيد ما نصه : (١)« وله مع ذلك في الأدب باع وساع وكرم طباع لم يخل في بعضها من حسن انطباع . ثم قال : حكى لي صاحبنا فتح الدين محمد بن كمال أحمد بن عيسى القليوبي قال : دخلت عليه مرة وفي يده ورقة ينظر فيها زماناً ثم ناولني الورقة وقال : اكتب من هذه نسخة فأخذتها فوجدت فيها بليقة أولها :

كيف أقدر أتوب ورأس إيري مثقوب

وقال لي شيخنا تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوي سمعته ينشد هذه البليقة :

جلد للعميرة بالزجاج و لا الزواج

ويقول بالزجاج يا فقيه » والطريف في هذا النص الذي نقلته عن الإدفوي وقد ذكر مضمونه كثير ممن ترجموا لابن دقيق العيد . الطريف في ذلك هو أنه يدل دلالة واضحة على أن ابن دقيق العيد التقى الورع العالم المبعوث على رأس السبعمائة ليجددللأمة أمر دينها كان ظريفاً خفيف الروح ينشد الاشعار الشعبية التي يتحدث عن الأمور الجنسية وأنه كان يستحسن ذلك ويحب سماعه وإنشاده . يدل على ذلك ما رواه الادفوي إذ قال : (٢) « وحكى لي صاحبنا الفاضل الأديب الثقة مجد الدين عمر بن اللمطي . قال كنت مرة بمصر في حاجة وطلعت إلى القاهرة فقالوا : الشيخ طلبك مرات فجئت إليه فقال أين كنت ؟ قلت بمصر في حاجة فقال طلبتك سمعت إنساناً ينشد خارج الكاملية :

بكيت قالوا عاشق سكت قالوا قد سلا
صليت قالوا ذاكر ما أكثر فضول الناس

(١-٢) أنظر : الطالع السعيد : ص/٣١٩ .

قال فأعجبني وليس في ذلك غرابة لأن ابن دقيق العيد كان مصرياً والمصريون بحكم طبيعة بلادهم ومناخها مرحون بهم دعابة وظرف لا يعشقون التزمت ، ولا يميلون بطبعهم إلى السكينة المملة والوقار الثقيل .

هذا وقد وصفه الأسنوي (١) بأنه أديب نظماً ونثراً وأنه ذو بلاغة تامة إذ قال ما نصه ، « صاحب النظم الرائق والنثر الفائق المجمع على كماله في العلم والدين والزهد والورع مع البلاغة التامة » ، ثم استشهد على قوله هذا بذكر شهادة الشهاب محمود الكاتب بتفوق ابن دقيق العيد في الميدان الأدبي فقال : « قال الشهاب محمود الكاتب ما رأيت أعرف منه بصناعة الأدب » و قال الاسنوي أيضاً ما نصه : « للشيخ رحمه الله خطباً بليغة مشهورة أنشأها لما كان خطيباً بقوص ، وله أيضاً شعر بليغ رقيق » هذا وقد وصفه الصفدي (٢) بأنه كان نحوياً أديباً ناظماً ناثراً عجيباً لا يباريه في كل فترته مبار ولا يجاريه في مضمارها مجار ولا تعلق له الريح إذ أم غاية بغبار ، وكان ناقداً جهبذاً يقترب في النقد الأدبي عند الصفدي من منزلة كبار الأدباء الناقدين فقد قال الصفدي في كتابه أعيان العصر ما نصه : « أخبرنا شيخنا العلامة أبو الثناء قال لي يوماً الشيخ تقي الدين قول أبي الطيب » .

لو كان صادف رأس عازر سيفه ... في يوم معركة لأعيا عيسى

في هذا شيء غير إساءة الأدب ففكرت ساعة ثم قلت : « نعم كون الموت ما يتفاوت أن كان بالسيف أو بغيره فالإحياء من الموت سبيل واحدة فقال لي أحسنت يا فقيه » وقد عقب على هذا النص الدال على توفر ملكة النقد الأدبي لدى ابن دقيق العيد الصفدي فقال : « و هذه المؤاخذة لا تصدر إلا من أديب كبير كالجاحظ أو غيره » وتلك شهادة الصفدي لابن دقيق العيد وهو أعني الصفدي من عرف بالتقدم في الأدب

---

(١) أنظر : الأسنوي / طبقات الشافعية من ورقة ١١٤ إلى ١١٦.

(٢) أنظر : الصفدي - أعيان العصر وأعوان النصر : ج/٦ ، ص/٨١ .

وروايته وبصحة أحكامه على ما يرويه من الأشعار بليغ الكلام .

وبعد أن جمعت شعره أو على الأصح جمعت كل ما استطعت العثور عليه من أشعاره أقول إنه :

زاول أولاً : الغزل أو النسيب . ثانياً : مديح الرسول ﷺ . ثالثاً : الحنين إلى الأماكن المقدسة . رابعاً : المديح التقليدي وهو الذي يقال في وصف العظماء من الأمراء والوزراء ومن إليهم . خامساً : الزهد والحكمة أو الوعظ والإرشاد . على قصائد ثلاث هامة . إحداها وهي أشهرها :

يــا سايراً نحو الحجاز مشمراً
اجهد فديتك في المسير و في السرا

ولم يذكر أحد ملابسات هذه القصيدة والظروف التي قالها فيها ولا نعرف أيضاً متى وأين أنشأها ؟ ولكن مطلع القصيدة نفسه يوحي بالسفر والترحال . ومعناها العام يجعلنا نزعم أنه قالها وهو متجه إلى الحجاز في طريقه إلى أداء فريضة الحج وزيارة النبي ﷺ إذ يقول فيها :

فالقصد حيث النور يشرق ساطعاً
والطرق حيث ترى الثرى متعطراً
قف بالمناهل والمنازل من لــــدن
وادي قباء إلى حمى أم القـرى

وهي في جملتها تفيض بالأحاسيس والشعور وتسود ألفاظها السهولة والعذوبة مع الرصانة والمتانة وجودة السبك وصدق التعبير . والثانية مطلعها :

شرف المصطفى رفيع عماده   ليس يحصى لكثرة تعداده

وهذه القصيدة تبدو فيها الصنعة ويتراءى في أكثر عباراتها التكلف بشكل ظاهر كما أنك لا تحس وأنت تقرؤها بحرارة العاطفة والشعور . الأمر الذي يحملنا على القول بأنه كان يقصد إظهار مقدرته

على نظم الشعر في القوافي الصعبة.

وهذا أوضح دليل وأقوى برهان على عظم توفر الشاعرية لدى ابن دقيق العيد وتفوقه في نظم القريض . وعلى ضوء ما تقدم وبعد تتبع أشعاره نستطيع القول بأن ابن دقيق العيد لم يكن ينتمي في أسلوبه وطريقة شعره إلى إحدى المدرستين اللتين كانتا سائدتين في أوائل العصر الأيوبي وهما مدرسة الكتاب التي كان يمثلها أو يتزعمها القاضي الفاضل . ومدرسة الرقة والسهولة وهي التي تزعمها إليها زهير . وإنما هو أعني ابن دقيق العيد مزاج بين المدرستين إذ ظهرت الرقة والسهولة في شعره إلى جانب وجود الصنعة والمحسنات البديعية التي كانت الطابع العالم لمدرسة الكتاب .

وأما خطابته فقد شهد له الجميع بالبراعة والإبداع ومدحه بالفصاحة والبلاغة وفرط الإجادة فيها أبو الحسن الجزار إذ قال فيه بعد أن سمعه يخطب بقوص مادحاً :

يا سيد العلماء والأدباء والـ	بلغاء و الخطباء و الحفاظ
شنفت أسماع الأنام بخطبة	كست المعاني رونق الألفاظ
أبكت عيون السامعين فصولها	فزكت على الخطباء والوعاظ
وعجبت منها كيف حازت رقة	مع أنها في غاية الإغلاظ
ستقول مصر إذ رأتك لغيرها	ما الدهر إلا قسمة وأحاظ
ويقول قوم إذ رأتك خطيبهم	أنسيتنا قساً بسوق عكاظ

على أن خطبه لم يصلنا منها شيء أللهم إلا تلك الخطب التي كان يكتبها بين يدي كتبه كمقدمة شرح « الإلمام » و إليك طرفاً منها قال (١) : « أما بعد حمد الله فإن الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها ولا تحتجب عن العقول طوالعها وأضواءها وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل الباحث عن معاني حديث نبيه المرسل إذ بذلك تثبت القواعد . ويستقر الأساس وعنه يقوم الإجماع ويصدر القياس وما تعين شرعاً

(١) أنظر : طبقات الشافعية الكبرى : ج/٦ . ص/١٢ .

تعين قديمة شروعاً وما يكون محمولاً على الرأس لا يحسن أن يجعل موضوعاً .. إلخ ».

وهذه الخطبة كما ترى تمس من المخاطبين العاطفة الدينية وتحرك في نفوسهم ، حب العلم والجد في طلبه ، وعباراتها كما ترى سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض ولا وحشية فيها ولا إبهام والسجع فيها جار على الطبع لا تكلف فيه ولا تصنع ، وبالجملة فهي نصيحة بليغة تؤثر على القارئين أو السامعين بالغ التأثير .

وأخيراً وفي ختام هذا الفصل أقول كما قلت في أوله : إن ابن دقيق العيد كان ممتازاً متفوقاً في أدبه نظماً ونثراً وخطابة يكاد لا يجاريه فيه أحد فهو وإن تشبهه أو ماثله أحد في الشعر على حدة . أو في النثر على حدة أيضاً فإننا لم نجد أحداً يشبهه أو يدانيه في الجمع بين هذه الفنون الثلاثة مع الإجادة والإتقان في إبداع رائع وبلاغة تكاد تكون منقطعة النظير .

وبالجملة فهو قد بز أقرانه وفاق معاصريه في فنون الأدب كما بزهم وتفوق عليهم في ميدان العلم والاجتهاد .

بحث في التقليد والتلفيق

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني
تعريب : محمد رحمة الله الندوي الكلفرفوري

التقليد في اللغة « قلده أي ألزمه إياه » (١) لذلك فإنه يطلق على علامة الذبح التي تجعل في عنق الهدى . يقول الفرزدق :

حلفت برب كعبة و المصلى

وأما التقليد في مصطلح الفقه فيعني أن يجعل المرء وأعناق الهدي مقلدات (٢) في عنقه قلادة رأي فقيه موثوق به ممن يستنبط رأيه من النصوص الشرعية . يقول العلامة الجرجاني : « كان هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه (٣) » .

وقد عرفه الفقهاء بتعبيرات شتى . فيقول القفال : « قبول قول القائل وأنت لا تعلم من أين قاله (٤) » وقد عبر عنه الشيخ أبو حامد والأستاذ أبو منصور بقولها : « قبول القول من غير حجة تظهر على قوله (٥) » وبعض من منكرى التقليد يعرفونه « هو قبول رأي من لا تقوم به الحجة بلا حجة (٦) » يقول العلامة الآمدي : « العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة (٧) » .

وقد عرفه السيد شريف الجرجاني والقاضي عبد النبي أحمد نغري وهما يصرحان عما يعتقده المقلد : « اتباع الإنسان غيره فيما يقول بقول أو فعل معتقداً للحقية فيه من غير نظر وتأمل في الدليل (٨) » .

---

(١) لسان العرب ٣٦٩/٤ . لابن منظور الافريقي .
(٢) نفس المصدر . طبع بالمطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر .
(٣) التعريفات للجرجاني . ص/٩٠ . (٤-٥) إرشاد الفحول : ص/٢٦٥ .
(٦) أصول الفقه الإسلامي : ١١٢/٢ . وكذلك بين العلامة الخضري « التقليد هو قبول قول بلا حجة » أصول الفقه : ص/٣٨٠ . إرشاد الفحول : ص/٢٦٥ . حصول المأمول : ص/١٠٧ .
(٧) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : ٢٢٧/٤ .
(٨) دستور العلماء : ٢٤١/١ . التعريفات للجرجاني : ص/٩٠ .

وأجمع تعريف وأصوبه عبر عنه العلامة ابن الهمام بقوله : « التقليد العمل بقول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة » .

وقد تبين من ذلك أن العمل بأقوال الرسول ﷺ أو بالإجماع لا يسمى بالتقليد ، لأنهما حجتان شرعيتان بالذات ، وكذلك لجوء الجماهير إلى المفتين والرجوع إليهم وعبرة القضاة بشهادة الشهداء كل ذلك لا يتضمنه معنى التقليد . وذلك لأن إجراء الحكم وتنفيذ القضاء من أجل الشهادة ومراجعة العامة من الناس ، أصحاب الفتيا أمر مسلم ثابت بالإجماع .

وهنا يمكن أن تثار شبهة . أن اتباع العلماء – الذين يلمون بالأحكام الشرعية وبراهينها – لأي مجتهد ، كيف يطلق عليه اسم التقليد ، مع أنه يقف على ما يستند إليه المجتهدون ويحتجون به . وقد رد على هذه الشبهة العلامة أمير بادشاه الخراساني بقوله : « فالجواب أن معرفة الدليل إنما تكون للمجتهد لا لغيره ، لتوقفها على سلامته من المعارض ، وهي متوقفة على استقراء الأدلة فلا تيسير إلا للمجتهد (١) »

فيتضح من جميع هذه التعريفات التي أسلفناها أن الرجل الذي لا يقدر على الاجتهاد بنفسه أو أنه لم يجتهد رغم قدرته عليه وقلد مجتهداً آخر وهو يحسن الظن أن ذلك المجتهد قد وصل إلى النتيجة الصحيحة من أجل علمه و ورعه ، وهو مصيب في رأيه ، هذا ما يسمى بالتقليد .

__حكم التقليد :__ والقائلون بالتقليد هم كذلك يسلمون أن التقليد لا يفيد علماً قطعياً بل يحصل منه الظن الغالب أو الظن فحسب . والذي يقلد إماماً في قضية فإنه يعتقد أن رأيه سديد بالظن الغالب مع تسليمه احتمال أن الرأي الذي ظن بصحته يكون خطأ وعكسه صحيحاً .

و قد كتب العلامة ابن الهمام حول موضوع التقليد في الأحكام

---

(١) تيسير التحرير : المجلد الرابع ص/٢٤٢ .طبع دار الفكر .

العقدية فقال : « ولا يحصل العلم به (بالتقليد) (١) .

وقال العلامة الخضري : « وليس من طرق العلم لا في الأصول ولا الفروع (٢) » .

التقليد في الأحكام الفروعية : ومن ثم ينشأ سؤال وهو أن نطاق التقليد محدد في الأحكام الجزئية المتفرعة العملية أم يتسع نطاقه إلى الأحكام العقدية والأصولية . وقد اختلفت فيه آراء العلماء .

يقول العلامة عبد النبي : « وذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء إلى صحة إيمان المقلد وترتب الأحكام عليه في الدنيا والآخرة ومنعه الشيخ أبو الحسن والمعتزلة وكثير من المتكلمين (٣) » .

« لا يستحق اسم المؤمن إلا بعد عرفان الأدلـــــة ، و هو مذهب الأشعري (٤) » .

وقد أباحه بعض العلماء في الأحكام الأصولية الاعتقادية كذلك ، يقول الآمدي : « فذهب عبيد الله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية إلى جوازه . وربما قال بعضهم انه الواجب على المكلف (٥)»

حرمت طائفة من أهل الحديث التأمل والنظر في القضايا العقدية البتة . وأوجبوا التقليد في هذا القسم . والعجب من الزركشي أنه نسبه إلى الأئمة الأربعة (٦) .

والرأي الوسط المتزن في هذا هو ما نقله العلامة ابن الهمام : أن الذين يؤمنون ويعتقدون بالتقليد وما حاولوا لأي تفكر وتأمل فيه فإنهم مؤمنون غير أنهم يأثمون من أجل اهمالهم في مجال البحث عن الحق المستقيم و التمكن من حصوله . و نص العلامة المذكور على ذلك

---

(١) تيسير التحرير : ٢٤١/٤-٢٤٢ . طبع دار الفكر .
(٢) أصول الفقه : ص/٣٨٠ .
(٣) دستور العلماء : المجلد الأول . ص/٢٤١ . طبع .
(٤) تيسير التحرير : ٢٤٧/٤ .
(٥) الإحكام في أصول الأحكام : ٢٠٠/٤ . دار الباز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة .
(٦) ونسبه الزركشي إلى الأئمة الأربعة ولم يحفظ عنهم . تيسير التحرير : ٢٤٣/٤ . طبع دار الفكر.

بقوله : « صححنا إيمان المقلد وإن أثمناه(١) » .

ونقاً لما رواه العلامة أمير بادشاه موما ذهب إليه الأئمة الأربعة والأوزاعي وسفيان الثوري ، والإمام الرازي ، والآمدي ، وابن الحاجب كلهم متفقون على البحث عن العقائد نفسها ، والنظر والتحقيق فيها (٢).

الواقع أن إلزام مثل هذا التدبر والبحث والتحقيق على العلماء صحيح لكن تكليف الجماهير وعامة الناس به يصبح من قبيل التكليف لما لا يطاق .

يقول العلامة أبو إسحاق : « وأن الاستدلال والنظر ليس هو المقصود في نفسه ، وإنما هو طريق إلى حصول العلم حتى يصير بحيث لا يتردد ، فمن حصل له هذا الاعتقاد الذي لا شك فيه من غير دلالة قاطعة فقد صار مؤمناً ، وزال عنه كلفة طلب الأدلة .. لاسيما العوام فإن كثيراً منهم تجده في صيانة اعتقاده أكثر ممن يشاهد ذلك (٣) » .

وقد أنكر القشيري والشيخ أبو أحمد الجويني وغيرهما من المحققين صحة هذه الرواية المتقدمة عن أبي الحسن الأشعري (٤) » .

وخاصة إيجاب التأمل في موضوع الإيمان والوصول إلى الحق عن الطريقة التي يستدل بها المتكلمون لا يطابق القياس ولا يستسيغه العقل قطعاً .

وقد أجاد البحث في هذا الموضوع العلامة ابن السمعاني : « إننا ننكر إيجاب التوصل إلى العقائد في الأصول بالطريق الذي اقتدوه وساموا به الخلق ، وزعموا أن من لم يعرف ذلك لم يعرف الله تعالى ، ثم أداهم ذلك إلى تكفير العوام أجمع وهذا هو الخطة الشنواء والداء العضال ، وإذا كان السواد الأعظم هو العوام وبهم قوام الدين ، وعليهم مدار رحي الإسلام ، ولعله لا يوجد في البلدة الواحدة التي تجمع المائة الألف من يقوم بالشرائط التي يعتبرونها إلا العدد الشاذ الشارد

---

(١) تيسير التحرير : ٤/٢٤٢ .

(٢) تيسير التحرير : ص/٢٤٣ .

(٣-٤) إرشاد الفحول : ص/٢٤٨ ، طبع المكتبة الأثرية سهطوره باكستان .

النادر، ولعله لا يبلغ عدد العشرة (١) ».

لكن أي إيمان تقليدي اعتبره الشرع. وما هو التقليد الذي لا مجال له في الإيمان وقد تناول هذا البحث الأستاذ عبد النبي أحمد نغري فيقول: « ثم اعلم أن التقليد على ضر بين صحيح وفاسد. فالصحيح أن يقول لا إله إلا الله أو أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله. فيقال له: ما قلت: فقال: إني وجدت المؤمنين يقولون هذه الكلمة فيكونون مسلمين عند الله تعالى، فقلتها أيضاً لا كون مسلماً فهو مؤمن. والفاسد هو أن يقول ذلك فقيل له ما قلت فقال: قلت: ما قالوا: ولا أدري ما هي فهو ليس بمؤمن لأنه لا يعرف الله تعالى فكيف يصدقه (٢) ».

التقليد ضرورة: والأحكام الفقهية تنقسم إلى أربعة أقسام من حيث براهينها وحججها:

١- ما هو قطعي الثبوت. وألفاظه كذلك دالة على فحواها الأصلي دون أي إبهام. كما جاء في قوله تعالى: ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ إن هذه الآية القرآنية – التي وصلت إلينا عن الطريق القطعي من غير ريب وشك – دالة على مرادها بكل صراحة و وضاحة أنه يحرم النكاح مع الأم. وهذا النوع من الأحكام يطلق عليه قطعي الثبوت والدلالة.

٢- ما يقطع ثبوته لكنه غير قطعي في المعنى المستفاد منه. مثلاً قد عبر القرآن الكريم عن العدة بقوله: ﴿ ثلاثة قروء ﴾ وكلمة « القرء » تتضمن معنى الحيض والطهر كليهما في لغة العرب. فإنها قطعية من حيث ثبوتها لكنها ظنية من حيث دلالتها على المعنى.

٣- ما لا يتيقن ثبوته ولا يشك فيه. لكنه أدل على مفهومه للغاية. مثلاً في قول الرسول ﷺ: « لا يمسه طاهر» فإن هذا ظني الثبوت من أجل كونه خبر الواحد. لكنه قطعي الدلالة من أجل اتضاحه في مفهومه.

٤- ما لا يقطع ثبوته. و فيـــه من الغموض و التعقيد للدلالة على

(١) نفس المصدر: ص/٢٦٧.
(٢) دستور العلماء: ٢٤١/١. طبع دائرة المعارف.

نحواه الأصيل . كما في الحديث « تحريمها التكبير» فإن طريق ثبوته ليست بقطعية ، لأنه من خبر الواحد ، وفي جانب آخر يمكن أن يراد بالتكبير « الله أكبر» أو عظمة الله وكبرياؤه على الإطلاق . سواء يستعمل لذلك كلمة « الله أكبر» أو كلمة أخرى . ومثل هذه الأحكام ظني الدلالة والثبوت في وقت واحد .

٥- إذا كان الدليلان يقطع ثبوتهما أو لا وهما صريحان في مفهومهما لكنهما يتعارضان فيما بينهما ، مثاله في قوله تعالى : ﴿ أنكحو الأيامى منكم ﴾ إن هذه الآية تنص على أن النساء ليس لهن أن ينكحن بأنفسهن . وأمر لأوليائهن أن ينكحو الأيامى .

وفي آية أخرى : ﴿ ولا تعضلومن أن ينكحن أزواجهن ﴾ فانتماء النكاح إلى النساء في الآية تشعر باستحقاقها إياه ، وفي مثل هذا النوع من القضايا تصير الأحكام ظنية من حيث ثبوتها لأجل التعارض الظاهري ولا تبقى قطعية .

ويبدو بعد التأمل أن الصورة الأولى من هؤلاء الخمس لا خلاف فيها من الفقهاء ، ولا هي تحتاج إلى أي اجتهاد ولا تقليد ، لكن الصور الأربع الباقية – ومعظم الأحكام العملية والفروع والجزئيات من هذا النوع – لا بد فيها من الاجتهاد واللجوء إلى الاستخراج والاستنباط .

<u>والمجتهد يكلف فيها بثلاثة أمور :</u>

الأول : أن الوسائل التي وصلت إلينا هذه الأحكام عن طريقها هل هي قطعية أم تحتمل الخطأ ،وذخيرة كتب الحديث الحافلة وفن أسماء الرجال لم يأت في حيز الوجود إلا لهذا الغرض .

الثاني : أن المفهوم الذي تلقيناه عن طريق تلك البراهين إلى أي حد يصح من حيث اللغة العربية و قواعدها و أصول الاستخراج والاستنباط ؟.

فكما أنه لا بد للمجتهد من الاطلاع على اللغة العربية والوقوف على قواعد العربية كذلك عليه أن يطلع على أصول الفقه الإسلامي اطلاعاً كاملاً .

الثالث : أن يبحث عن تقدم الدليلين المتعارضين وتأخرهما من حيث التاريخ . فإن لم يتمكن من ذلك عليه أن يطبق بينهما تطبيقاً أو يعين لهما موضعاً إلى أن ينتهي التعارض . وإلا فيرجع أحدهما بالنظر إلى أصول الفقه والحديث ويدع الآخر .

ومع هذه الثلاثة الأمر الرابع الذي لا بد منه للمجتهد هو أن يكون مطلعاً على روح الشريعة وطبيعتها . ودراسة القواعد الفقهية والنظر العميق عليها . أمر حتمي لا محيص عنه .

وصورته أن يجتهد بعض الناس في هذا النوع من المسائل ويبحثوا عن حلولها بالاستناد إلى قوتهم الاستدلالية . والآخرون الذين تنقصهم هذه المكانة العلمية وهم قاصرون عن الاجتهاد يعتمدون على تحقيقاتهم ظانين أنهم أدركوا الأحكام وفهموها بطريق صحيحة .

والصورة الثانية أن يكلف كل امرء بالاجتهاد بنفسه . وكل منصف عادل يشهد و يقول : انه تكليف الإنسان بما لا يطيقه . و لا يكاد يتحمله . وكذلك يسبب ذلك فتح باب الزيغ والضلال الذي لا يمكن سده أبداً . رغماً من أن الصورة الأولى فيها تيسير لعامة الجماهير . وتقليل لإمكانات الزيغ بل القضاء عليها . وهي التي تسمى بالتقليد . كما أسلفنا من قبل . ولذلك فإن العلماء قد ألزموا التقليد على الذين لا يتأهلون للاجتهاد بأنفسهم .

يقول العلامة الآمدي : « العامي ومن ليس له أهلية الاجتهاد . وإن كان محصلاً لبعض العلوم المعتبرة في الاجتهاد . يلزمه اتباع قول المجتهدين . والأخذ بفتواهم عند المحققين من الأصوليين (١) » .

ويقول العلامة ابن الهمام : « غير المجتهد المطلق يلزمه عند الجمهور التقليد (٢) » .

« يتبع »

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : ٢٢٤/٤ .
(٢) تيسير التحرير : المجلد الرابع . ص/٢٤٦ .

كيف يحيي الله الموتى

الأدلة العلمية الحديثة على المعاد الجسدي

عالم النبات يشهد بإحياء الموتى وكذلك علم الأجنة

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
رئيس الأكاديمية الفرقانية ، بنكلور (الهند)

التوحيد والبعث :

من أهم الأهداف الأساسية ومن التأكيدات التي وردت في القرآن الكريم بالنسبة للتأمل والتفكير في مظاهر الكون واستخراج النتائج منها والاعتبار بالدروس والبصائر المودعة فيها ، هي ترسيخ العقائد الإسلامية وإثباتها . وإن التوحيد والرسالة والمعد تحتل جانباً كبيراً في العقائد الإسلامية ، لأنها تعتبر من العقائد الأساسية ، وما زال الإنسان يتعرض للشكوك والشبهات عبر العصور حول هذه الثلاثة . وما زال الأنبياء والرسل يبعثون لإثباتها وتدعيم أركانها . وفي العصر الحاضر (عصر العلوم) عادت تلك العقائد لا يراها دعاة العلم والحضارة إلا ضرباً من البُرجوازية ورمز التخلف . كأن ذكر الله والحديث عن القيامة إجرام أو نوع من الجنون واختلال في العقل - والعياذ بالله - حتى اننا نرى بعض الفلاسفة المسلمين ينكرون المعاد الجسدي ويقولون ببقاء النفس وحدها . فيعتقدون أن العذاب والثواب والألم والراحة انما هي تتعلق بالروح دون الجسد . لما يظنون أن إعادة المعدوم مستحيلة لا سبيل إليها فظل الإنسان في جميع عصوره وأدواره يحسب (المعاد الجسدي) أي إعادة الجسد بكل عناصره وأطرافه مستحيلاً عقلياً . أما الكافرون والملحدون فكانوا ينظرون

إليها كأنه شئ عجاب . كما أوْرَدَ القرآن الكريم بنفسه شبهات المشركين في ذلك . فقد قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وقالوا أ إذا كنا عظاماً ورفاتاً ء أ إنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ (سورة الإسراء . الآية : ٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ يقولون أ إنا لمردودون في الحافرة ء أ إذا كنا عظاماً نخرةً ﴾ (سورة النازعات . الآية : ١٠-١١) .

ولما كان تنقية العقائد يحتل الأولوية للعمل بتعاليم الشريعة والدين . وكانت عقيدة التوحيد والرسالة والبعث من أهم الأركان العقيدية لم يدخر القرآن وسعاً في إثبات تلك العقائد الأساسية . ولم يأت بأدلة عقلية فحسب بل بدلائل نظام الكون والطبيعة كذلك . فإن الله سبحانه خلق هذا الكون من حيث تدل كل ذرة من ذراته على التوحيد والرسالة وقيام الساعة .

والحق أن دراسة هذا الكون والنظر العميق فيه يكشف لنا قوانين طبيعة منتظمة ومترابطة متحدة . فالموجودات المختلفة بنظمها المدهشة تشكل ماكينة هائلة . تكون برهاناً بيناً على وحدانية الخالق سبحانه . وفي تلك القوانين إشارة واضحة إلى غاية الحكمة وبلوغ النظر وقوة الإرادة الخارقة التي تكون دليلاً صريحاً على ربوبية الباري تعالى . فمن أي ناحية يتفكر الإنسان في مظاهر الكون في حالاتها وكيفياتها وقوانينها الطبيعية تظهر أمامه في الوهلة الأولى وبصورة حتمية شواهد بارزة بوجود الخالق و وحدانيته . فإن كل شئ في العالم يشهد بلسان حاله بأن الله واحد . كما قيل :

و في كل شئ له آيـــــــة

تدل على أنـــه واحـــــد

وهذه الدلائل والشواهد موافقة تماماً لتصريحات القرآن العزيز ونصوصه التي تثبت بدورها إعجاز الرسالة المحمدية وصدقها . بل وهذه المظاهر بما فيها تشهد بالحياة الآخرة والبعث بعد الموت بصورة

مدهشة . وان التطورات الحيوية للأشجار والنبات بوجه خاص تقدم دليلاً على وقوع الواقعة وتتجلى فيها ملامحها عياناً . وعلى ذلك دنيا النبات تحمل شهادة قوية بالتوحيد والرسالة والقيامة بكل صراحة ووضوح . فنتناول هنا هذا البحث بإيجاز ونقدم بعض الدروس والعبر والبصائر ليهتدي بها النوع البشري ويشاهد صدق كلام الله وحقانيته بأعمال النظر والفكر فيه وانه تنزيل من لدن حكيم خبير لهداية البشرية وإرشادها إلى ما فيه خيرها وصلاحها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أدلة الآفاق في القرآن الكريم:

يختار القرآن الكريم أساليب مختلفة في الدعوة إلى التدبر والتفكير في مظاهر الكون في مواضع شتّى ويحث الناس على دراسة أحوالها وكوائنها الطبيعية إلى جانب التوكيد على كشف نظمها المدهشة . فيقول في آية بعد لفت الانتباه إلى بعض المظاهر المهمة من الشجر والنبات : ﴿ إن في ذلكم لآياتٍ لّقومٍ يؤمنون ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩٩) .

وقال تعالى في آية أخرى ينبه إلى خصائص الأنبتة المختلفة وطعومها والتأمل فيها : ﴿ إن في ذلك لآيتٍ لّقومٍ يعقلون ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٤) .

وأمثالها آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو النوع البشري إلى التأمل والنظر في أشياء الكون وأخذ النتائج الصحيحة منها . والهدف منها إثبات التوحيد والآخرة بصورة خاصة . فقد ورد بعد هذه الآية السالفة آنفاً من سورة الرعد قولـــه تعالى : ﴿ و إن تعجب فعجبٌ قولهم أ إذا كنا تراباً أ إنا لفي خلقٍ جديدٍ ﴾ (سورة الرعد ، الآية : ٥) .

معنى ذلك أن إنكار الحياة الثانية والمعاد الجسدي بعد الدراسة العلمية لنظام الكون شئ عجيبٌ لا يستند إلى العلم في نظر القرآن

الكريم . ولذلك نورد هنا بعض الأدلة العلمية والبراهين القاطعة على إثبات الآخرة والإعادة الجسدية .

فالحقيقة الأولية الأساسية والقول الفصل في ذلك أن للأنبتة وظائف فطرية خاصة . نسميها بعلم الوظائف أو الفسيولوجيا . مثلما تكون كذلك للحيوانات . فإن هذه النشاطات الفسيولوجية للنبات تبدو عملاً أوتوماتيكياً لها - ظاهراً - إلا أن وجهة النظر المادية لا تستطيع هذا العمل النفسي الأوتوماتيكي . فإن الماديين يسمون هذه العمليات المنتظمة بجبلة الحيوان أو بطبيعة النبات بوصفها أزلية . ولكن السؤال يطرح نفسه أنى لهذه الأنواع المختلفة جبلاتها وطبائعها المتغايرة وكيف وجدت تلقائياً من غير موجد ؟ فيلجأ الماديون في شرحها إلى نظرية التطور والارتقاء . ولكن هذه النظرية بذاتها غير علمية . بل من الفروض التي يستحيل ثبوتها .

وعلى كل فإن سير الأنبتة والأشجار تحوي في طبائعها قضايا تستسلم عندها المادية وفلسفة التطور والارتقاء بحيث لا تجد الأسباب والعلل سبيلاً . فلا بد للاعتراف بذات مسبب الأسباب . وهذه هي المواضع التي يطلق عليها في مصطلح القرآن (بالآيات) أو يعبر عنهـــا « بأدلة الآفاق والأنفس »يعني شهادات نظام الطبيعة . وبذلك كان إيداع دلائل القيامة وشواهد الحياة الثانية في النشاطات الفسيولوجية للأنبتة و سيرها على طريقة بديعة و صورة مدهشة عجيبة . فلو أجرينا دراسة علمية منتظمة للنبات أمكننا أن نشاهد جلياً كيف يحيي الله الأجسام بعد موتتها الأولى . كأن الأنبتة والأشجار تقدم لنا أدلة قاطعة يقينيةً على الإحياء الثاني . ولكن الإنسان لا ينتبه بكل ذلك على هذه الظاهرة الباهتة الموجودة في مظاهر النبات ويعيش مغضوض الطرف عن هذا الجانب المهم . إن الدعاوي التي تقدم بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً واستدل عليها بسير النبات فقد جاءت هذه أمامنا بصورة الأدلة العلمية فلق

الصبح ، بفضل الرقي والتقدم في مجال العلوم البيولوجية ، فنقدم هنا بعض هذه الأدلة في ضوء التصريحات القرآنية عن طريق استعراض بعض المباحث التي تتعلق بعلم النبات خاصة .

أدلة إحيـــاء الموتى :

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام ، الآية : ٩٩ ، بعد ذكر بعض خصائص النبات : ﴿ إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه : « يصدقون ان الذي أخرجً هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى (١) » .

يعني أن الذي خلق هذا النبات والشجر لقادر على أن يحيي الموتى مرة أخرى ، والحق إن كلا من هذه الأنواع والضروب من الأشجار والأنبتة التي تبلغ مئات الألوف تبدو بنظمها المحيرة معجزة خلقية بديعة ، تدل على قدرة الله اللامتناهية ، لأن نظامها البديع وتماسكها الغريب لا يمكن تعليلها من ناحية الأسباب والعلل الظاهرة ، فكل شجرة أو نبتة تشكل معجزة تأخذ بالألباب ، فتوجد على الأرض مئات الألوف من أنواع النبات ، منها ما يتشابه بعضها ببعض في أشكالها ، وبعضها يختلف عن بعض ، إلا أن فاطرها قد التزم بالمحافظة على طبائع كل واحد منها على اختلافها وتباينها ، حتى إن عنصراً من عناصرها أو جوهراً من جواهرها لا يخالف مكانه ووظيفته ، فكل نبات لا يخرج إلا بخصائصها النوعية المقدرة ، ولا يسع له أن يفارق نظمها وقانونها الطبيعي المقدر ، ومن ثم فالله القادر المطلق الذي يستطيع أن يراقب كل نبتة وشجرة بكل عناصرها وخصائصها بهذه الدقة والرقابة وان بلغ عددها الملايين والبلايين ، أليس بقادر على أن يحيي الموتى ويخرجها إلى منصة الشهود بعد إكسابها عناصرها النوعية والأجزاء الشخصية المطلوبة ؟ كيف استحال هذا أن أمكن ذلك ؟؟

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي : ٩٦/٣ ، المكتب الإسلامي دمشق ، ١٣٨٥هـ

ولذلك قيل من أراد أن يشاهد خلاقية الله تعالى فليتدبر وجوه اختلاف الأشجار والأنبتة ومناحي تشابهها . كما صرح القرآن الكريم : ﴿ مشتبهاً وغيرَ مُتشابِهٍ ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ٩٩) حتى يمكن تقدير مدى قدرته وربوبيته الشاملة . وقد ذكر الإمام الرازي أن اختلاف طبائع الأثمار وتغيراتها ليست ناتجة عن آثار النجوم والأفلاك ، وإنما هي دلائل على وجود القادر المطلق ومدبر الكون (١) .

ووجه الاستدلال من هذه السير النباتية على إعادة الأجساد ان القادر المطلق الذي يراقب كل نوع من هذه الأنواع بأشكالها وألوانها وطبائعها ومميزاتها وجميع عناصرها وأجزائها بهذه الدقة والنظام ، بل ويعيدها كل سنة وفصل الربيع بالضبط بجميع خصائصها . فمعنى ذلك أن كل شجرة ونبتة تمثل منظراً من مناظر القيامة أو الحياة الثانية كل سنة مرة بمظاهرها الجديدة . فالباعث على التفكير ان اللّٰه العلي القدير ، الذي يرى الناس بعض مناظر القيامة من خلال مظاهر عالم النبات كل سنة أليس بقادر أن يخرج الناس ويعيد الحياة إليهم ويبعثهم مرةً ثانيةً بكل ما يتصفون به من الأشكال والصور والألوان والخصائص والعناصر ؟ وكيف يعز عليه هذا الأمر ؟؟

وهناك أنواع من النباتات : بعضها سنويّ مثل مزارع الغلال تنتهي بفصولها كل سنة ، و بعضها ذات سنتين ، و منها ما يمتد عمرها لسنوات . وهذا الأخير تتساقط أوراقها في كل خريف ويورق في الربيع من جديد . وقليل منها ما يكون دائم النضرة والازدهار ، وعلى كل معظمها يلبس حلّة قشيبة وزياً جديداً في كل ربيع طوال الأعوام . وبذلك يقدم منظراً جديداً بقيامة جديدة عبر السنوات .

عجائب الخلايا و دقائقها :

إن أجسام جميع الحيوانات والنباتات تتركّب من مجموعة خلايا

---

(١) راجع التفسير الكبير . للإمام الرازي : ١١١/١٣ . الطبع الحديد (ملخصاً) .

صغيرة جداً، لا يمكن إدراكها إلا عن واسطة المجهر (الميكرو سكوب).
وكل خلية مشحونة من مادة حية متحركة يطلق عليها العلم الجديد مادة
الحياة (البروتوبلازما) ، كما ان خلية تكون بمثابة وحدة
البروتوبلازما ، فأعضاء الحيوان بأجمعها تتركّب من هذه الخلايا ،
سواءً كانت هذه الأعضاء لحمية أو عظمية أو عرقية أو كان الشعر
والظفر أو الأسنان والأمعاء ، لا يختلف عن هذه الكلية ، كذلك النبات ،
فجميع أجزائه وأعضائه من الجذور والجذوع والفروع والقضبان
والأنوار والأزهار والأثمار كلها عبارة عن مجموعة من هذه الخلايا ،
وكل عضو يحتوي على الملايين والبلايين من الخلايا ، فكما تتركب
الأبنية بالآجر واللبنات كذلك الأجسام الحيوية تتركب بالخلايا ،
وكل خلية تشبه معملاً تجري فيه شتى أعمالها وردودها ، فإن العلم قد
اكتشف التغيرات الداخلية في الخلية لأول مرة عام ١٩٥٠م بمجهر
قوي النفوذ يكبر الشيء لمائة ألف مرة (١) .

ويوجد في داخل الخلية مواد أخرى ، مثل المادة الخضراء (يعني :
الكلوروفيل ، وهي مختصة بالنباتات) والرايبوسوم والمايتوكاندريا
وما إلى ذلك ، ويختلف عمل كل منها ، ولكن الأشد غرابة هو العمل
الذي في مركز الخلية الذي يشتمل على الكروموسوم (مادة الحياة
الوراثية) في صورة الأسلاك التي يسهم في تكوينها أكثر من عشرين
حامضاً أمينياً (Amino Acids) ويقال انها تحتوي على جميع أنواع
المميزات والخصائص الوراثية ، وكل خلية تعمل على تشكيل خلايا
جديدة كصور طبق الأصل ، ونقد بعض المتخصصين في علم الأحياء على
هذا التصور : بأن القول إن الكروموسات تقوم بضبط الأجسام ثم
التوجيه من هذه الوجهة لصعب جداً ، من أن يقال بأن الله هو الضابط
الحقيقي للأجسام بمثل هذه الدقة والنظام) .

---

(1) Steven Rose, The Chemistry of Life, P. 17, Penguin Books, 1977.

To say that the body form is controlled by the genes is hardly more illuminating scientifically than to say that it is controlled by God.(1).

ولو سلمنا أن نظرية الكروموسوم (وهو مجموعة جينات) صحيحة بحيث تنتقل الخصائص الوراثية بواسطتها من جيل إلى جيل آخر. لتحقق أن العلم بنفسه يقدم دليلاً علمياً ضد المادية على إمكانية حصول إعادة الأجساد. ولا أهمية عندئذ للبحث عن كيفية وجود الخصائص الكروموسومية ابتداءً في كل نوع من هو خالقها ؟ لأن السؤال عن ذلك كالسؤال عن الدجاجة والبيضة ما وجد منهما أولاً ؟ وهل وجدت الأشجار أولاً أم البذور ؟ وكذلك الذكر وجد أولا أم الأنثى ؟ فإن مثل هذه الأسئلة يعجز العلم عن حلها. ولن يستطيع الرد عليها أبداً. إلا أن العلم يعترف بالضرورة بأن هذه المميزات توجد في كل نوع، وهي سبب انتقال الخصائص النوعية بالاستمرار من جيل إلى آخر. وان كان سبب تأكيد علماء الطبيعة على هذه النظرية احترازهم عن الاقرار بوجود خالق، وهو الله سبحانه. ولكن على الرغم من ذلك لا تنحل المسائل بل تتعقد لمرات. ولو سلمنا جدلاً أن عمل التوارث أو الكروموسوم هو كما يشرحها العلماء البيولوجيون. لأمكننا كذلك أن نقول بأن الله سبحانه هو الذي جعل هذا القانون مثلما جعل القوانين الطبيعية الأخرى. وذلك أن الله سبحانه وتعالى إنما يدبر خلقه جميعاً تحت قوانين منتظمة. كما يقول تعالى: ﴿ و خلق كل شيء فقدّره تقديراً ﴾ (سورة الفرقان. الآية: ٦).

وقال تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيلٌ ﴾ (سورة الزمر. الآية: ٦٢).

ومع كل ذلك فإن نظريات التوارث والكروموسوم التي يقدمها العلماء لا تشرح مظاهر الطبيعة شرحاً وافياً. ولا تنقضي عجائب قدرة الله سبحانه. والحق أن عالم الكروموسومات والجينات بالغة الدقة

(1) Ronald Duncan (ed.). The Encyclopaedia of Ignorance. P. 252. Pergamon Press. Oxford, 1978.

وغاية التعقد ، خفي فهمها على عقول العلماء ، بحيث لم يتوصلوا إلى كنهها وماهيتها ، فالمادة التي يتكون بها التوارث تسمى : (D.N.A.) وهي أربعة أقسام أو زمر ، ولكن الكيفية الحقيقة لاجتماعها لا زالت مجهولة ، كما يعترف بذلك أحد المختصين في البيولوجية :

It was still not known, However, exactly how these four kinds of building units are joined to form DNA. (1).

ويضيف هذا الكاتب نفسه أن اشتراك السلسلتين من ذي. إن. إي. ليس من الاتفاقات المحضة :

The Association of two Chains is by no means haphazard. (2).

وهناك إخصائي آخر في البيولوجيا يعترف بعجز دنيا العلم عن الحصول على القدر الكافي من المعلومات عن العمل الداخلي للخلية ، وخاصة من أعمال (النقل) فيها :

Unfortunately, we know very little about the actual mechanism of active transport. (3).

والحقيقة أن معرفة الإنسان ، مهما تقدم العلم وتطور ونال حظاً وفيراً ، لم تتجاوز خطواتها البدائية وحدودها الضيقة ، فيقول هذا الكاتب نفسه في كتابه : إن هناك محيرات ولغزات من الفسيولوجية والكيميائية قائمة أمامنا مصطفة وتنتظر منا الحل المعقول :

.....that eventually we will be able to explain in chemical and physical terms many of the puzzling mysteries that still confront us. (4).

فالخلية الصغيرة الدقيقة التي لا تستطيع إدراكها عينٌ مجرّدة ، تحمل في طياتها عالماً من العجائب والأسرار ، وتدع الإنسان في ورطة الدهشة والانبهار .

« يتبع »

---

(1) Norman V. Rothwell, Human Genetics, P. 209, Prentice Hall of India, New Delhi, 1978.
(2) Ibid., P. 212.
(3) William D. McElory, Cell Physiology and Biochemistry, P. 12, Prentice Hall of India, New Delhi, 1978.
(4) Ibid., P. 2.

دراسة متأنية للملاحظات الموجهة إلى « التفسير العثماني »

بقلم : فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي
رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة ، ندوة العلماء (الهند)

[لقد قام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بطبع ترجمة العلامة الشيخ محمود حسن التي تحتوي على تفسير العلامة الشيخ شبير أحمد العثماني (رحمهما الله تعالى) باللغة الأردوية ، للناطقين بها في الهند و باكستان و بنغلاديش . و هي ترجمة مصدقة من قبل وزارة الشئون الدينية في باكستان وأشاد بها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . ورحب بنشرها وتوزيعها على أوسع نطاق . وفعلا تمت طباعة هذه الترجمة بشكل أنيق ، ووزعت على الناطقين باللغة الأردوية كهدية من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز المعظم . وبعدئذ بدأت دعاية ضد الترجمة من بعض الجهات المجهولة حول أن الترجمة تتضمن أخطاءً مصورية ، ومن بينها ما قد أرسل إلى معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، من مذكرة حول الترجمة ، وطولب بوضع الستر عليها .

وقد قام معالي الأمين العام بتوجيه هذه الملاحظات إلى جماعة من كبار العلماء ومن بينهم سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي أمر فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي بكتابة الرد عليها .
هذه دراسة متأنية لهذه الملاحظات في ضوء العلم و التحقيق . وافق عليها وبعث بها سماحة الشيخ الندوي مصحوبة برسالته الخاصة إلى معالي الأمين العام (حفظه الله) و هي تنشر الآن في المجلة نظراً إلى تعميم النفع] (التحرير)

وصل الخطاب المرفق به « مذكرة ملاحظات » – وجهت من بعض الجهات مجهولة الهوية – إلى « التفسير العثماني » . والحقيقة أنه بعد الاطلاع على هذه الملاحظات عظمت وازدادت ثقتنا بـ « التفسير العثماني » وكونه من أوثق التفاسير الأردية ، فإنه لم يستطع أكبر ناقد لهذا التفسير، أن يجد فيه إلا مثل هذه الملاحظات القليلة التافهة فقط . وانه يعتبر من البديهيات أنه لا يستبعد صدور الخطأ من أي إنسان – ولو كان من فحول العلماء الثقات – سوى الأنبياء والمرسلين . فوجود بعض الملاحظات في مثل هذا العمل العلمي الضخم الذي يغطي أكثر من ثمانمائة صفحة من القطع الكبير لا يتناقض مع « الفضل التام » بل يطابقه تماماً .

ولا يقلل ذلك من أهمية هذا العمل العظيم ولا يؤثر على نفعه . ولا ينبغي أن يكون مثل هذه الملاحظات الضعيفة - التي سنعالجها في السطور الآتية - سبباً لفرض الحظر على « التفسير » وإعادة طبعه ونشره مرة ثانية .

وسندرس الآن الملاحظات أو الاعتراضات الواردة من بعض الجهات على « التفسير العثماني » وأرسلتموها مرفقة بخطابكم . وذلك حسبما جاءت في المذكرة :

أولاً : حذر سماحة الرئيس العام من قراءة « التفسير العثماني » في (مجلة البحوث الإسلامية - العدد ١٥ ، عام ١٤٠٦هـ) .

إن كاتب هذه السطور لا يعرف هذا « التحذير » ولا أسبابه . ويبدو أنه كما أرسل إليكم رجل مجهول الهوية . الملاحظات .. أرسل رجل كذلك مثلها إلى سماحة الرئيس . فحكم بالحظر على « التفسير » بدون أن يتثبت ويفحص الاعتراضات والملاحظات كما كان حق ذلك .. وان أبلغتم سماحة الرئيس أجابتنا على الملاحظات والاعتراضات فلعله يرجع - هو الآخر - من رأيه .

ثانياً : إن منهج « التفسير العثماني » - في بيان أصول العقائد وتفسير آيات الصفات - منهج الأشاعرة والماتريدية . وهو منهج عامة العلماء الأحناف في شبه القارة الهندية . ومبلغ علمهم في العقائد لا يتجاوز كتاب « شرح العقائد النسفية » وهو العمدة في تدريس العقائد في مدارسهم كلها تقريباً .

يتضمن هذا النقد عدة أمور . الأول : أن منهج « التفسير العثماني » يطابق منهج الأشاعرة والماتريدية . والثاني : أن هذا هو منهج العلماء الأحناف بالهند والباكستان . والثالث : أن مبلغ علمهم لا يتجاوز كتاب « شرح العقائد النسفية » لأنه الكتاب الوحيد - في العقيدة - الذي يدرّس في مدارسهم .

إن هذه الأمور الثلاثة قابلة للنظر والمناقشة . لأن كون منهج الأشاعرة والماتريدية قابلاً للنظر ... ؟ ان هذا الأمر هو نفسه لحقيق بالنظر ... لأن هذا المنهج - منهج الأشاعرة والماتريدية - كما يعرف أهل العلم والخبر - هو منهج الشافعية والمالكية وعامة أهل السنة بالإضافة إلى كونه منهج الأحناف . ويكفينا القول - هنا - بأن هذا كان منهج جميع أهل السنة

تقريباً إلى القرن الثامن الهجري . فعليه كان معظم كبار المحدثين والفقهاء وأهل الكلام ((وليراجع للتفصيل كتاب « تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري » ص/١١٧ . للمحقق الشهير والمحدث الكبير والمورخ الجليل ابن العساكر (ت ٥٧١هـ)) فاعتبار منهج جمهور أهل الحق في القرون الأولى قابلاً للنقد والاعتراض .. يمثل – هو نفسه – أمراً قابلاً للنظر والاعتراض . ثم ان هذا النقد يوهم بأن المنهج المذكور للعلماء الأحناف – بشبه القارة الهندية – فقط . والحق – كما ذكر– أن هذا المنهج الذي ظل عليه جمهور أهل الحق منذ القرن الأول إلى يومنا هذا . ثم ان الخلاف في المذاهب الفقهية كالحنفي والشافعي لا يؤثر في مسائل العقيدة . فلم يزل « العقيدة الطحاوية » – الذي ألفه حنفي متصلب . وذكر فيه أقوالاً لأبي حنيفة تتعلق بالعقيدة – مرجعاً لجميع أهل الحق في جميع الأقطار والأمصار بما فيها المملكة العربية السعودية والمنتمون إلى السلف . وان الإمام أبا الحسن الأشعري كان يعتبر نفسه تابعاً وترجماناً للإمام أحمد بن حنبل – كما صرح بذلك في كتابه « الابانة » ص/٨ . نقلاً من كتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ج/١ . ص/١٥٢ . (دار القلم . كويت سنة ١٩٨٢م) لفضيلة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي (و « التبيين » ص/٦) ولكن – كما ذكر في البداية – أي أن إنسان ليس بمحفوظ – سوى الأنبياء – من الخطأ . وكما قال الإمام مالك رحمه الله : «كل يوخذ من قوله ويرد عليه سوى صاحب هذا القبر» يشير إلى سيدنا محمد ﷺ . ومن هنا يمكن أن يكون بعض أقوال الأشاعرة وصاحب « التفسير العثماني » قابلاً للنقد . وهل يوجد أحد من علماء الأمة – في الحاضر أو فيما مضى – لا يتعرض قوله أو أقواله للنقد والاعتراض يا ترى ؟؟ فعلى هذا الأساس هل يجوز أن يلام كل عالم أو فقيه أو محدث .. ويترك كتابه ويمنع نشره ؟؟ أو يعمل بالمبدأ الحكيم : « خذ ما صفا ودع ما كدر» وينبغي أن يعلم أن صاحب التفسير قد صرح بأنه اختار منهج السلف وهو يفسر آيات الصفات والعقيدة . كما يأتي ذكر ذلك في موضعه .

ثم إن القول بأن مبلغ العلم لعلماء الهند الأحناف لا يتجاوز « شرح العقائد النسفية » لا يمكن أن يصدر إلا عن رجل يجهل مدارس الهند ومناهجها الدراسية – في عصورها المختلفة – جهلاً مطلقاً . ولا يعرف مكانة

صاحب التفسير العلامة شبير أحمد العثماني العلمية . فالجميع يعلمون أن الشيخ العثماني ما اختير لمنصب « شيخ الإسلام » في أكبر دولة إسلامية – آنذاك – إلا لعظم شأنه وجلالة مكانته . وان عصر الشيخ العثماني ، والمدرسة التي درس فيها ، والأساتذة الذين تتلمذ عليهم .. كل أولئك كان تميزهم و اختصاصهم : التعمق في الفقه والحديث وغيرهما من العلوم النافعة بالإضافة إلى الرد على الفرق الضالّة . فكان – ما عدا شرح العقائد للنسفي – « العقيدة الطحاوية » و « الفقه الأكبر» و « العقائد العضدية » للقاضي عضد الدين وشرحها للمحقق محمد بن أسعد الشهير بالجلال الدواني و « المواقف » للعضد وشرحها للسيد شريف الجرجاني ، و « المسامرة » شرح «المسايرة » للمحقق ابن الهمام و «الفرق بين الفرق » للبغدادي ، و « الملل والنحل » (للشهرستاني وابن حزم) وغيرها من كتب العقيدة ضمن المناهج الدراسية المتبعة في بعض المدارس الكبيرة – أو يطالعها العلماء الكبار– في الهند آنذاك وخاصة تحت دراسة العلامة العثماني المفسر، وان كل مطلع على مؤلفات الشيخ العثماني يشهد بسعة دراسته وتنوعها . فكان يمر بعينية كل كتاب يمكن الحصول عليه آنذاك ، وكان يحب كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ويطالعها بشوق وامعان ويثني على صاحبها . وكان مستوعبا لكتاب « عبقات » – قراءة وفهماً – للعلامة الشيخ إسماعيل الشهيـــــد ، و ذكر أهم أجزاءه في شرحه القيم « فتح الملهم » لصحيح مسلم . والمدرسة التي درس فيها الشيخ العثماني لا يزال يدرس فيها – إلى اليوم – كتب عديدة تتعلق بالموضوع بالإضافة إلى « شرح العقائد النسفية » نحو « المسامرة » ويجب – هنا – التنبيه إلى أن ماتن « شرح العقائد » حنفي ، أما شارحه فهو شافعي .

ثالثاً : مذهب صاحب التفسير في الفروع الفقهية مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله كأن الناقد يعد الانتماء إلى المذهب الحنفي أمراً قابلاً للاعتراض ، وإن هذا النقد .. لعل السكوت فيه أفضل من القول .. لأن جميع أهل السنة قد أجمعوا على أن مذاهب الأئمة الأربعة حق مجموعاً . فالذي يعتبر اتباع أحد المذاهب قابلاً للاعتراض والنقد فكأنه يعلن – بنفسه – خروجه من أهل السنة لأن الأمة الإسلامية جمعاء قالت بجواز تقليد الأمة المجتهدين كما صرح بذلك كثير من العلماء الكبار . منهم الإمام أحمد بن عبد الرحيم في

كتابه : « حجة الله البالغة » (ص/١٢١ . ج/١) .

رابعاً : ذكرت في التفسير العثماني الروايات الواهية والإسرائيليات .

إنه نقد يصعب أن يبرأ منه أي تفسير موثوق به ، حتى تفسير المحدث الكبير والمفسر الجليل ابن كثير تلميذ الإمام ابن تيمية ، و « فتح القدير» للعلامة الشوكاني ، وتفاسير القرآن الكريم للأئمة الكبار مثل الطبري والبغوي والبيضاوي وغيرهم ، بل ولعل كل تفسير مبسوط لا يمكن أن يكون بريئاً من هذه الجناية (إذا كانت جناية) فهل يبرر هذا السبب الحظر على جميع التفاسير ونشرها ، وهل يعتبر إصدار الحكم على حظرها رأياً صحيحاً ؟! .

أضف إلى ذلك أن صاحب الملاحظات لم يستطع إلا تقديم مثالين فقط إثباتاً على دعواه .. أو قل إنه لم يجد إلا اثنين فحسب (وسنتحدث عن وجودهما في التفاسير الأخرى حينما نتعرض لمناقشتهما) .

وليعلم - أيضاً - أن النقد على ذكر « الأحاديث الضعيفة » ليس موضوعاً حديث العهد ، وإنما سبق أن تكلم فيه الكثير من العلماء بالتفصيل مما لا يخفى على أحد من ذوي العلم والاطلاع ، وكذلك اتهام « التفسير العثماني » بوجود الإسرائيليات فيه اتهام غير وجيه (بالإضافة إلى أنه لا يخلو منه - أيضاً - أي تفسير) ففي الحديث الصحيح : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » (رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داؤد في كتاب العلم) (باب الحديث عن بني إسرائيل)) ثم أرشدنا الرسول ﷺ بقولــــه إلى : « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (أيضاً . باب رواية أهل الكتاب) .

إن صاحب الملاحظات يعتبر الاستفادة من تفسير الشيخ الجليل عبد القادر ابن حكيم الإسلام ولي الله الدهلوي جناية .. وقد اعترف جميع ذوي البصيرة والعلم بأن ترجمته لمعاني القرآن الكريم أحسن التراجم الأردية التي تمت إلى عصر الشيخ ، فلا نملك إلا أن نقول لمن لا يعلم ذلك أن يوسع نظره . .

خامساً : قام صاحب الملاحظات بتقديم عدة ملاحظات تحت هذا الرقم .

١- فمنها ما سجلها على تفسير « إياك نعبد » - ولا وجود لأي نقد أو ملاحظة لو أمعنا النظر - وأنصفنا - في ترجمة « إياك نعبد » العربية

التي قام بها صاحب النقد الذي اكتفى بترجمة خلاصة المعنى تسترا على ما في نفسه . ولم يأت بملاحظة واضحة صريحة . و ينبغي أن يراد لفظ : « للإعانة » بعد : « غير مستقل » في الترجمة العربية . فيتجلى مراد المفسر أكثر وضوحاً وبياناً . فلا يبقي أي متسع لأي نقد أو ملاحظة .. ولعله – من أجل هذه المصلحة – لم يكتب صاحب النقد لفظ « الإعانة » .. وعله يريد – بدون أن يفصح ويظهر– أن يقول إن تفسير « إياك نعبد » هذا يوحي بجواز « التوسل » بغير الله . فإذا كان هو مراد الناقد فيأتي الكلام حـــول هذا الموضوع مفصلاً تحت قوله تعـــالى : ﴿ و كانوا من قبل يستفتحون ..﴾ وإذا كان المعنى أن أي نوع من « الاستعانة » بغير الله غير جائز . فلا يمكن اختيار مثل هذا القول مع وجود مئات من الأحاديث الشريفة والآيات الكريـمة الدالة على الاستعانة الغير المستقلة بغير الله . وإعانة غير الله كذلك . ولا نذكرها هنا تفادياً من الإطالة . فالنقد مثل هذا يؤدي إلى نقد صاحبه . حيث يدل النقد هذا إما على جهل صاحبه أو تجاهله أو عدم اهتمامه بالموضوع لأن الاستعانة بغير الله والإعانة منه فهما ما يليقان بشأن الخالق جل وعلا . أما الاستعانة بغير الله واعانته لأحد فهما ما تليقان بمكانة المخلوق . فالفرق واضح بين الأمرين وضوح الشمس . ولا يجمعهما شئ سوى المشاركة اللفظية .

والملاحظة الثانية – تحت رقم/٥ – أن صاحب التفسير العثماني ذكر قصة دخول الشيطان الجنة مع طاؤس وحية تحت قوله تعالى : ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ وهي قصة واهية . غير أنه نقد يصعب أن يبرأ منه مفسر . فقد ذكرت نفس القصة تحت الآية المذكورة في « فتح القدير» للشوكاني الذي يعتبر ثقة وعالماً جليلاً عند السلفيين . والطريف أن الشوكاني لم ينتقد القصة لا من حيث السند أو من أي جهة أخرى (فتح القدير . ج/١ . ص/٧٠ . طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) .

وقد وردت القصة المذكورة تحت تفسير « فأزلهما » في فتح القدير– أيضاً – أغرب وأعجب مما جاءت في التفسير العثماني . كما ذكرها ابن كثير في تفسيره إجمالاً تحت الآية المذكورة . وينبغي أن يلاحظ أن المفسر العثماني ذكر القصة بعد : « يقولون » ملقيا بذلك مسئوليتهما على قائليها .

والملاحظة الثالثة – تحت رقم/٥– أن صاحب التفسير العثماني جعل « آدم » خليفة الله في الأرض تحت قوله تعالى : ﴿ إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ وما انفرد صاحب التفسير باقتراف هذا الجرم – إذا كان ذلك جرماً – بل فسّر نفس التفسير الكثيرون من المفسرين . منهم مفسّر القرن السابع الهجري وشارح الحديث العلامة أبو الخير عبد الله بن عمر المعروف بالبيضاوي في تفسيره الشهير المعروف بـ « البيضاوي » الذي يقول : « المراد به آدم عليه السلام لأنه كان خليفة الله في أرضه ، وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الدنيا وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط . لذلك لم يستنبي « ملكاً » – وقد زال بهذا التفسير والتفصيل الاشكال الذي قد ينشأ من تعبير « خليفة الله » واتضح جلياً أن معنى« خليفة الله » غيرمعنى « خليفة مخلوق » ويوضح معنى لفظ : « الخليفة » كلام الراغب الأصفهاني (عالم اللغات القرآنية) بصفة أشمل وأدق . يقول في كتابه القيم « المفردات في غريب القرآن » تحت « خلف » : « والخلافة النيابة عن الغير أما لغيبة المنوب عنه .. وأما لتشريف المستخلف . وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض . قال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ و قـــال : ﴿ ويستخلف ربّي قوماً غيركم ﴾ والخلائف جمع « خليفة » »– يعلم بكلام الراغب أن النسبة إلى الله في « خليفة الله » مثل « ناقة الله » أو « روحي » أو « روح منه » . فلما لم يكن هناك حرج في تعبير« ناقة الله » و « روح الله » لماذا صار تعبير « خليفة الله » فيه حرج ؟ وخاصة بعد ما وردت في القرآن الكريم نسبة الاستخلاف إلى « ربي » صراحة « ويستخلف ربي » .

والملاحظة الرابعة – تحت رقم/٥– أن صاحب التفسير العثماني ذكر عادة اليهود – تحت قوله تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ أنهم يدعون قبل بعثة النبي ﷺ قائلين : « أللهم انصرنا بطفيل محمد ﷺ و الكتاب الذي ينــزل عليه » فيوحي ذلك إلى التوسل بذات النبي ﷺ .

ولكن ما ذهب صاحب التفسير في هذا الايحاء « بالتوسل » أو حتى

« التصريح به » ؟ لأن صاحب التفسير لا يبين عقيدته ، بل إنه يذكر عمل اليهود ، وقد ذكرت القصة في عدة تفاسير أخرى أيضاً .. فمن أراد فليراجع تفسير الآية في تفسير ابن كثير وفتح القدير .

وقد ثبت – آنفاً – جواز ذكر أحاديث اليهود بالحديث الصحيح (مر ذكره) وليلاحظ – أيضاً – أن ذلك بفعل « الأمر » : « حدثوا » ويمكن أن يكون مثل هذا التوسل جائزاً عند اليهود فإذا السجدة إلى غير الله جائزة في غير الشريعة المحمدية فأمر « التوسل » لا يدعو إلى الغرابة والعجب ، ثم إن التضرع إلى الله ودعاءه بواسطة العمل الصالح – لكي يكون ذلك أدعى إلى قبول الدعاء عند الله – ثابت بالأحاديث الصحيحة ، فقد وردت في صحيح البخاري (كتاب الأنبياء : ج/١ ، ص/٤٩٣– طبع الهند) قصة ثلاثة رجال من بني إسرائيل دخلوا الغار فتحطت صخرة عليهم باب الغار، فدعو الله بصالح أعمالهم فتقبل دعاؤهم ، وكما ورد توسل عمر – رضي الله عنه – بعباس – رضي الله عنه – للاستسقاء في الحديث الصحيح ، جاء في البخاري : « أللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا » و قد ذكر قبول دعاء عمر في نفس الحديث (أبواب الاستسقاء : ج/١ ، ص/١٣٧) و كما ورد بيت لعلي – رضي الله عنه – على نفس الصفحة شطره الأول : « وأبيض يستسقي الغمام بوجهه » ، وهل يعني ذلك سوى التوسل بذات النبي ﷺ ؟ وكما يوحي أسلوب الحديث إلى أن عبد الله بن عمر كان ينشد هذا البيت بعد وفاة النبي ﷺ أيضاً فلوصح هذا لثبت التوسل بذات النبي ﷺ بعد وفاته أيضاً بهذا الحديث نفسه .. ثم إن التوسل بالذات لا يعني إلا التوسل بأعمالها الصالحة ، (حيث أن أحداً لا يدعو متوسلاً بذات رجل فاجر فاسق) فيتساوي كون الأعمال الصالحة سبباً إلى القبول للدعاء في كلتا الحالتين ، الحياة والموت ، لأن أثر العمل الصالح يستوي حياة ومماتاً ، بل إن زيادته بعد الموت لا تدعو إلى العجب !

الملاحظة الخامسة والسادسة والسابعة – تحت رقم/٥ – تتمثل في أن المفسر كيف ساغ له أن يذكر المذهب الحنفي ؟ ولِمَ لَمْ يختر في تفسير الآيات قولاً يرد به المذهب الحنفي ؟!

لينظر فيما إذا كان ذلك جرماً .. ؟ فإذا كان كذلك فارتكبه علماء

جميع المذاهب . وإذا كان هذا السبب مبررا كافياً لفرض الحظر على إعادة طبع « التفسير العثماني » فلا يستحق أي تفسير ذكر فيه المفسر مسلكه الطبع والنشر ! أما كون المسائل الفقهية الحنفية المذكورة في التفسير مرجحة ومؤيدة بالدلائل فليس ذلك دأب صاحب التفسير ، لأنه ليس بتفسير ضخم مفصل ، وإنما هي مذكرات فمن هنا سمى : «الحواشي» - الهوامش - لا « التفسير» . ونظراً إلى هذا الإيجاز لم يتعرض المفسر لبيان مسالك الفقهاء الآخرين . وقد ذكرت أدلة المسلك الحنفي - مع بيان ترجيحه - وكذلك المسالك الفقهية الأخرى في العديد من التفاسير ، نحو تفسير الإمام جصاص الرازي المسمى بـ « أحكام القرآن » .

ثم إن الملفت للانتباه أن اللغة التي كتب بها هذا التفسير - وهي الأردية - ما هو مسلك الناطقين بتلك اللغة . وما هو عدد المسلمين الذين يقرؤن « التفسير الأردي » ؟ فإنه مما لا شك فيه أن عدد المسلمين القراء للتفسير الأردي - ما عدا الشيعة - تسعة وتسعون في المائة . فلو لم يراع الشيخ العثماني المسلك الحنفي فأي مسلك كان يرعاه ؟ و - أيضاً -كان نفسه حنفياً على وجه البصيرة والتحقيق .

الملاحظة الثامنة - تحت رقم/٥ - على تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ ولكن صاحب الملاحظة - ما راعي الأمانة والكرامة العلمية . فلم يقم بترجمة كامل الجزء العلمي القيم المتعلق بتفسر الآية . بل ترجم بعضه . وزد على ذلك أنه ما قام بنقد واضح . ولم يبين موضع اعتراضه وأعجب من ذلك وأدعى إلى اللوم أن المعترض قدم نكتة الشيخ الجليل عبد القادر - السابق ذكره - كأنها التفسير للآية عند صاحب التفسير العثماني وما ذكرها العثماني إلا كنكتة - لا تفسيراً - للآية .

نذكر فيما يلي الجزء المتعلق بتفسير الآية من « التفسير العثماني » لكي يتضح به مراد صاحب التفسير . وللقارئ المنصف حق الحكم فيما إذا كان هناك ما يدعو إلى الاعتراض أو الانحراف عن مسلك أهل الحق . ثم نحاول فهم مقصد المعترض ونستعرض فكره .

ترجمة الجزء المتعلق بتفسير الآية : « كانت قلوب أهل الكتاب مسخت نتيجة كفرهم وعنادهم وطغيانهم لدى بعثة النبي ﷺ . لحد أنهم كانوا لا يتورعون حتى من التطاول على حضرة النبي ﷺ وعلى ذات الله

عز وجل بالهراء والتبجح بالكلام القبيح اللامناسب الذي ترتعد لسماعه فرائص الإنسان . فكانوا يقولون : « إن الله فقير ونحن أغنياء » وأحياناً: « يد الله مغلولة » والمراد به إما ما كان مراداً بـ « إن الله فقير ونحن أغنياء » أي أن الله صار – والعياذ بالله – فقيراً معوزاً . أو « غل اليد » كناية عن البخل والإمساك . فأي مراد كان .. كان الغرض من «كلمة الكفر» أن الله حينما سلط على هؤلاء اللاعين الذل والهوان بطغيانهم وعنادهم صاروا يتطاولون على الله عز وجل بدلاً من أن ينتبهوا لمعاصيهم ويندموا على أفاعيلهم . إن هؤلاء الحمقاء لم يدركوا أن خزائن الله لا حدود لها ، فكيف يقوم نظام العالم لو لم يبق شيء من خزائنه . وإلى أي خزانة وأي أيد ذات العطاء والكرم يرجع فضل هذه النعم المتكاثرة التي تنهال على الرسول ﷺ وأصحابه الكرام والتي ترونها بأعينكم . فافهموا أن يد الله ما غلت . غير أن بجراءتكم ووقاحتكم وأفاعيلكم النكراء وقعت عليكم اللعنة المشؤومة التي ضيقت عليكم الأرض بما رحبت . وستكون أضيق . فتعبيركم عن فقركم وعوزكم بـ « فقر الله » يدل على غاية سفاهتكم وحماقتكم » .

وبعد ذلك كتب المفسر ما اعترض عليه الناقد وذكر « المعترض جزءاً آخراً ناقصاً من التفسير المتعلق بالموضوع . فبغضّ النظر عن أن المعترض لو قام بترجمة الجزء الكامل لما كان هناك اشكال ولا اعتراض :: لا يدعو الجزء المقدم الناقص – أيضاً – إلى اشكال . ففيه أن ليس لله جسم وأعضاء كالمخلوق . فهل هذا يصح أن يعترض عليه .. ؟ فإذا كان كذلك فالمعنى ان المعترض يعتقد أن جسم الله وأعضاءه كجسم المخلوق وأعضائه . وإن هذا المعنى يخرج المعترض من رحاب الإسلام أو – على الأقل – من قافلة أهل الحق . فلا تبقى أي أهمية لأي نقد منه . (وسيأتي المزيد من الكلام حول هذا الموضوع) .

قدم المعترض الملاحظة التاسعة –تحت رقم/٥ – بذكر ترجمة لجزء طويل من التفسير المتعلق بمسألة الصفات . الذي لا يمثل المراد الكامل لصاحب التفسير . إلا أنه يعطي مثالاً واضحاً لموهبة المفسر الإلهية . وعلمه الواسع ونظره الدقيق وقدرته الفائقة على تقديم المسائل الدقيقة الخطيرة بأسلوب سهل سلسال رشيق . لكل من له نظر على مباحث التفاسير وعلم الكلام ومن يتمتع بمزاج عادل منصف . ولكن العجب العجاب أن هذه

الصنعة وهذه المهارة صارت عيباً عند المعترض . وليس فيما ذكره المفسر شئ يخالف مسلك أهل السنة . ومعنى « السمع والبصر» الذي ذكره العثماني ذكره – كذلك – كثير من العلماء القدامى المحققين . منهم القاضي البيضاوي الذي كان عالم القرن السابع الهجري وشارح الحديث وصاحب المصنفات الكثيرة . يقول – وهو يتكلم حول الصفات الإلهية – تحت قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ « الرحمة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان . ومنه الرحم لا نعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي تكون انفعالات » .

كما يقتضي قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ أن عين الله ويده وسمعه ليس كعين المخلوق .. وهو مسلك جميع أهل السنة والجماعة . وليس من وضع المفسر وصنعه . وقد صرح بذلك المفسر أيضاً . (ونقله المعترض) وينطبق نفس الكلام – تقريباً – على آية ﴿ استوى على العرش ﴾ وآخر ما نقله المعترض من كلام المفسر : « لا يمكن أن يكون له أي شئ فيه شائبة من صفات المخلوقين أو شائبة من جهات أو حدوث » وهل يتردد المعترض في الاعتراف بهذه الحقيقة أو له اعتراض في ذلك ؟ إذا كان الأمر كذلك فمعنى ذلك أنه يعتبر « الله » – و العيـــاذ بالله – كالمخلوق . و لا يؤمن بـ « ليس كمثله شئ » مع أن هذه الآية محكمة إجماعاً . بينما عدّ الجمهور آيات « اليد » و « الوجه » و « الساق » من المتشابهات . وقد سجل المفسر كل ذلك – مما يوافق مسلك أهل السنة – لا للمعترض وحده . بل –أيضاً– لأولئك الذين يشاركونه فكراً وعقيدة . نقدم – فيما يلي – مقتبسات من الكتاب الذي لا ينكر كونه مصدراً هاماً من مصادر الموضوع حتى المعترض . وهو « العقيدة الطحاوية » يقول صاحبه وهو يتحدث عن الصفات الإلهية : « لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام» وقد أثارصاحب « التفسيرالعثماني » سؤالاً وهو يختم البحث الذي قدم بعض أجزائه المعترض . وترك الجزء الذي هو لبّ البحث . ثم أجاب – بنفسه – عنه قائلاً : « أي برتراز خيال وقياس وگمان و وهم ... » وهو عين ما عبر عنه صاحب العقيدة الطحاوية بقوله : «لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام» (العقيدة الطحاوية مع الشرح : ص/٦٥ . مكتبة المؤيد) . و أضاف قائلاً : « ولا يشبه الأنام » (أيضاً : ص/٦٦) وقال أيضاً : وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء »

(أيضاً : ص/٢٠٥) .

فهل يوجه المعترض سهام نقده إلى صاحب « العقيدة الطحاوية » أيضاً . وليعلم أن معنى « استواء » إذا عدى بعلى « استيلاء » . كما ذكر ذلك العلامة راغب الأصفهاني الذي يعترف الجميع ببراعته في فن اللغة : « متى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (مفردات : ص/٢٥٢) .

فالخلاصة أن صاحب التفسير العثماني قد أحسن وأجاد في بيان مباحث علم الكلام . ومثل مسلك أهل السنة في هذه السطور الوجيزة تمثيلاً يعد من الظلم إذا لم نشد به . فضلاً عن توجيه سهام النقد والاعتراض إليه . فإلى الله المشتكى . والحق أنه من العسير جداً أن نجد مثالاً لـ « البحر في قطرة » أروع من ذلك .

يقول العلامة الشوكاني تحت : « استوى على العرش » : « قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً . وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه » (فتح : ج/٢ . ص/٢١١) .

وقد قال مثله – تقريباً – الحافظ ابن كثير تحت الآية المذكورة بشيء من التفصيل :

يجب منا – ونحن بصدد الرد على نقد معنى « استوى » – أن نوضح أن المعترض حاول أن يعطي انطباعاً بأن صاحب « التفسير العثماني » ينكر حقيقة « استوى على العرش » وهو منه بريئ .. فهو يسلم بحقيقة : « استواء على العرش » تسليماً واضحاً لا غبار عليه إلا أنه ذكر في معناه كيفيته ما قاله آخرون من أهل الحق .

الملاحظة العاشرة – تحت رقم/٥ – أن صاحب التفسير العثماني ذكر تحت الآية : ﴿ إنا لنراك فينا ضعيفاً ﴾ قصة واهية لا أصل لها .

قبل الرد على هذه الملاحظة ينبغي أن يعاد قراءة ما كتب تحت الرقم الرابع . وخلاصته أنه ثبت جواز ذكر الأخبار عن بني إسرائيل بالحديث الصحيح . وتوجد مثل هذه القصص في كثير من كتب التفسير المعتبرة . فلا يصح النقد على صاحب « التفسير العثماني » وحده . وليعلم أيضاً أن الشيخ العثماني قد نبه – قبل أن يذكر القصة التي هي سبب الاعتراض – بقوله : « ذكر المفسرون بعض القصص » فكأن العثماني ألقى مسئولية ذلك

على المفسرين الذين ذكروا تلك القصص ، وقد ذكرت القصة -المتكلم فيها- في عدة تفاسير أيضاً منها « الدر المنثور» للعلامة السيوطي (ص/٤٧٠ ، ج/٤ ، طبع بيروت) .

ثم إن الشيخ العثماني قبل أن يذكر القصة كتب تحت عنوان « تنبيه » : « ينقل من بعض السلف أن معنى « ضعيف » : « ضرير البصر» (أعمى) فيمكن أن يكون قد كف البصر في وقت خاص ولسبب خاص كما كان حال يعقوب لفراق يوسف رضي الله عنهما » .

والملاحظة التالية بدون رقم – تحت رقم/٥ – أن صاحب التفسير العثماني ترجم « اليد » بـ « نوع » استناداً إلى المفسر الشيخ عبد القادر الدهلوي .

كأن المعترض يريد أن يقول انه لا بد من ترجمة « اليد » بـ « هاتهـ » (أي اليد الجارحة العضو الخاص) وقد مضى في الرد على الملاحظة التاسعة أنه : « تعالى عن .. الأركان والأعضاء » (العقيدة الطحاوية) وإذا كان الشيخ عبد القادر فسر « اليد » بـ « نوع » من قدرته تعالى فما الاشكال ؟ ألم يعبر في القرآن المجيد عن جميع الأعمال الإنسانية التي تحمل أنواعـــــاً مختلفة بـ « كسبت أيديكم » فلو سمى كل « نوع عمل » بـ « كسب يد » فما الحرج في ذلك ؟ مع أن المفسر قد بين هذا « أن مسلك السلف في صفات الباري ونعوته هو الأقوى والأحوط عندنا » (ولكن المعترض أعرض عن ذكره لمصلحة لا تخفى) .

وملاحظة – تحت رقم /٥ – تتمثل في نقد التعبير عن « الحفظ والرعاية » تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ وإن التعبير يصح لغة أيضاً . يقول امام اللغة الأصفهاني : « يقال .. للمراعي للشئ عين . وفلان بعيني أي أحفظه وأراعيه .. قال فإنك بأعيننا وقال تجري بأعيننا .. أي بحيث نرى ونحفظ . ولتصنع على عيني أي بكلاءتي وحفظي « وذكر الجوهري – اللغوي الماهر الشهير – في « الصحاح » هذا المعنى – من بين المعاني الكثيرة – : « أنت على عيني في الحفظ والإكرام جميعاً » (ص/٢١٧١) وهاكم الآن ما قاله العثماني : « أي كانت تجري سفينة نوح في ذلك الطوفان الهائل العظيم آمنة مطمئنة في حفظنا ورعايتنا » .

الملاحظة الأخيرة على معنى « الساق » وحاصل ذلك أن العثماني لماذا ما أراد من « الساق » المعنى الظاهري ، هذه الملاحظة – أيضاً – تتعلق بصفات الرب جل وعلا ، وقد مضى بيان ذلك تحت الرد على الملاحظة

جاسمة وقلنا – هناك – انه لا يصح – حسب عقيدة أهل السنة – إثبات الأعضاء والأركان لله تعالى ، ثم إن صاحب الملاحظة ما قدم ترجمة الجزء الكامل المتعلق بالتفسير بل أتى بالناقص ، فلو فعل ذلك لزال أو قل ما يدعو إلى النقد ، وإليكم كامل ما قاله العثماني بهذا الصدد :

« ورد تفصيل ذلك في حديث الصحيحين كالآتي : يظهر الله ساقه يوم القيامة ، والساق معناها « پندلي » في – الأردية – وإنها صفة أو حقيقة خاصة من الصفات و الحقائق و الخصائص الإلهية ، و عبر عنها بـ « الساق » كما ورد في القرآن الكريم لفظ « اليد » (هاته) و « الوجه » (چهره) ، إن هذه المفاهيم تسمى متشابهات ، يجب الإيمان بها كالإيمان بذات الله ووجوده وحياته وسمعه وبصره وصفاته الأخرى .

أنظروا أن الشوكاني – أيضاً – اعتبر « الإيمان بلا كيف » أولى بالصواب كما بين فيما مضى ، يقول الأصفهاني : « يوم يكشف عن ساق « إشارة إلى شدة » ثم يقول بعد ما ذكر أصل محل استعماله : « فجعل لكل أمر فظيع » .

وفي الختام يجب بيان حقيقة هامة ، وهي أن جماعة العلماء الموقرة التي ينتمي إليها المفسر الجليل العلامة شبير أحمد العثماني هي أبرز وأوثق جماعة من أهل الحق في شبه القارة الهندية ، التي تميزت بخدماتها الجبارة المستمرة – عبر أكثر من قرن كامل – المتمثلة في نشر العلم الصحيح والدعوة إلى العقيدة الصافية والعمل الصالح وإصلاح المجتمع ومواجهة الكفار والمشركين ومقاومة الفرق الضالّة والمبتدعة ، فمن هنا لم تزل هذه الجماعة هدفاً خاصاً لأهل البدع الذين يتهمونها بتلقيبها بـ « الوهابية »وبوجوه الاتهام والايلام الأخرى ، ويصل الأمر – أحياناً – منهم لحد الضرب وشن الحرب .

وإنها لحقيقة أيضاً أن « التفسير العثماني » لأحسن تفسير في التفاسير الأردية المختصرة ، الذي امتاز ببيان العقيدة الصحيحة والتربية الخلقية والحكم القرآنية في أسلوب بليغ سلس يصعب نظيره في التفاسير الأردية الأخرى ، فإن الحظر على طبع هذا التفسير وفرض العوائق في سبيل نشره يسر أهل البدع والضلال ، ويكون بمثابة اغلاق أحد الأبواب الصحيحة لفهم القرآن الكريم – أللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على نبيه الأكرم وعلى آله وصحبه أجمعين .

صور وأوضاع:

بالحكمة والموعظة الحسنة

واضح رشيد الندوي

وضع المسلمين في العالم وضع غريب ، وضع يبشر وينذر في وقت واحد ، فإذا صرفنا انتباهنا إلى قضاياهم ، ليس في منطقة واحدة ، بل في العالم كله ، وإلى ما يواجهونه من محن فالوضع ينذر بخطر عظيم ، إنه وضع يهدد مصير المسلمين كأمة ذات رسالة ومنهج ، ومسئولية وكأمة متميزة عن الأمم الأخرى المتكالبة ، والمتداعية على المال واللذة . ففي كل مكان معاناة للعمل الإسلامي الذي يتحمل مسئولية بث الوعي الإسلامي في المسلمين ، ويريد تربيتهم تربية دينية ، وإزالة ما علق بهم من تأثير التلوث الفكري في عهد الاستعمار الأوربي ، وفي عهد أعوان الاستعمار بعد جلاء الاستعمار العسكري .

وإذا وضع في عين الاعتبار وجود حركات ومؤسسات ومنظمات ومعاهد تتحمل مسئولية التربية الفكرية ، وتقوم بعرض الإسلام ، وكشف الأباطيل ، وازاحة اللثام عن المؤامرات والدسائس التي يحيكها اعداء الإسلام ، وتواجه نشاطات المنصرين ، والمتسترين في المسلمين من أعوان الاستعمار الأوربي ، ودعاة الإلحاد والاباحية ، وما يتحمله دعاة المسلمين ، وعلماؤهم من الأذى ، وما يقومون به من مجهود ، ويعانونه من شدائد وتضحيات ، إذا وضعنا بعين الاعتبار ، وجود هذا العنصر بالذات فهو يبعث على التفاؤل ، وهو ملاحظ وملموس أثره ، وطبعه في كل بلد من بلدان المسلمين ، وفي الدول ذات الأقليات الإسلامية ، وهو أكثر بروزاً و نشاطاً في أوربا ، فإن وجود هذا العنصر الإسلامي بالذات يشكل عنصر تفاؤل ، واستبشار ، وأمل .

إن الذين يضخمون المعاناة ، ويعظمون قوة أعداء الإسلام والمسلمين ، ويوسعون دائرته ، إنما يثبطون الهمم ، وقد جعلت بعض الصحف والمجلات الإسلامية شغلها الشاغل أن تلتقط أخبار معاناة المسلمين ،

وسائل القمع والكبت التي تستخدم في العالم ، لاضطهاد المسلمين ، وتخييب جهود العاملين للإسلام ، و تعطى انطباعا واحداً ، و هو أن الإسلام و المسلمين محاطون ومطوقون ، و ليس الأمر كذلك ، و يفوت هؤلاء المحللين والكتاب أن هذه الظروف ليست جديدة في تاريخ الإسلام .

والواقع أن معدن المسلمين يظهر في المعاناة ، فهم كالتبر يخلصه السبك ، والمسك مسك وإن فت في التراب .

إن المحن والشدائد تخلق أمة جديدة ، وتشحذ الأذهان ، وقد تكون بمثابة التلقيح أو العملية الجراحية . ولكن الذي يهمنا أكثر ما هو واقع المسلمين أنفسهم ، في آسيا و افريقيا بصفة خاصة ، و خلال معالجة هذه القضايا يفوت المحللين أمر المسلمين أنفسهم و وضعهم وأخلاقياتهم ، وموقفهم ازاء قضاياهم ، وازاء من يحيك لهم من المؤامرات .

إذا درسنا العمل الإسلامي في مثل هذه الظروف وجدنا أنه يقوم على ركنين ، أحدهما الوصول إلى الحكم أو تطبيق الشريعة من منصة الحكم ، وثانيهما التثقيف الذهني ، بعرض الإسلام ، ومواجهة الخصوم ، أما العمل في أوساط الناس ، والمجهود لإصلاح حياة المسلمين ، واعادتهم إلى القيم والتعاليم الإسلامية وبث الوعي الديني في أذهان عامة المسلمين والاختلاط بهم ، وحل مشاكلهم ، وإيجاد مناعة ذاتية فيهم ، وجعلهم نموذج خير وسعادة لغيرهم فإن هذا الجانب لا يزال مظلما ، وهذا المجال مهجوراً أو نطاقه محدود .

وعلى العكس نرى التنظيمات غير الإسلامية ، منبثة في المسلمين ، فقرائهم ، وأغنيائهم ، الأميين منهم والعلماء والمثقفين منهم ، علاوة على وسائل الاعلام التي تغزو كل بيت ، وكل أسرة وكل فرد في الإقامة والظعن ، وفي الجد ، والهزل ، وتهافت المسلمين عليها .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ، وسائل المبشرين الذين ينتهزون كل فرصة لشقاء المسلمين ، فيختلطون ويمتزجون بهم ، وخاصة إذا كانت

هذه المعاناة والشقاء مصدرها المسلمون أنفسهم . فيتيسر لهم استغلال الفرصة . وخير مثال لذلك أعمال التبشير في الصومال . والعراق وأفغانستان . وباكستان . وبنغلاديش . وآسيا الوسطى . حيث يجري النزاع بين المسلمين أنفسهم . ويشقى المسلمون بسوء معاملة اخوانهم ويتبرع للعمل في مثل هذه الأوساط المنكوبة مدربون مثقفون من المنصرين ويتركون أعمالهم . ويتحملون صعوبات في هذا السبيل ويعيشون في أماكن وعرة . وخطورة العيش في حالة النزاع المسلح .

ويكسبون ود المسلمين . باسعافهم وإغاثتهم . ويندس كثير من المنصرين في نشاطات وكالات الغوث الدولية . ويحققون أهدافهم التبشيرية . وفي مثل هذه الأحوال يلاحظ غياب الدعاة المسلمين والمصلحين الاجتماعيين .

إن خطورة وضع المسلمين خطورة مزدوجة . معاناتهم الجسدية ووقوعهم في فخ الأعداء باسم الرحمة والعطف . والغوث . والاسعاف .

ومن المؤسف أن رجال الدعوة في كثير من البلدان الإسلامية يساقون إلى المجابهة مع نظم الحكم في بلدانهم . وقد أفادت التقارير الأخيرة أن أكثر من أربعين ألف من الإسلاميين في السجون في عدد من الدول الإسلامية . وعدد أكبر منهم يواجه المطاردة . والمراقبة ويعني ذلك تعطيل هذه القوة المتدفقة ومعظمهم من الشباب والمتحمسين للإسلام أو تجميدها . وبهذا التطويق يحدث فراغ هائل في مجال الدعوة . وينال اعداء الإسلام الحرية المطلقة . لممارسة نشاطاتهم في البيئات الإسلامية .

فالوضع بهذا الاعتبار . وضع مربك . قوة متدفقة لم تتكون في عصر من العصور في التاريخ المعاصر . وعي ويقظة . ترهب العدو . لكنها مطوقة . ومقيدة . وفي الوقت نفسه تفتح على المسلمين أبواب الفتن والمحن . وتنتشر المعاناة . فتسرع إليهم أفواج الدعاة من غير المسلمين . لتحويل هذا الوضع إلى صالحهم .

إن الوضع يتطلب من المسلمين حكمة وتدبيراً لائقاً . لتحد

المجهودات التي تبذل لتطويقهم أو توريطهم . ليوفروا طاقاتهم التي تستنزف في المجابهة مع أعدائهم . ويستثمروا هذه الطاقات في الدعوة الإسلامية . وإصلاح أحوال المسلمين . واعادتهم إلى المنهج الإسلامي السليم . ولا يتحقق ذلك إلا إذا أمكن تجنب الصدام المباشر مع رجال الحكم الذين وضعهم الاستعمار ويقوم بدعمهم لخدمة مآربه .

إن هذه الفترة التي يعيشها المسلمون فترة حاسمة يتوقف عليها مصير المسلمين .

فإن القوة التي تجمعت للمسلمين . يجب أن تحفظ من التبدد والضياع . بالحكمة والموعظة الحسنة . والتسامح .

إن الذين نشأوا في البيئات الغريبة وتكونت أذهانهم بالدعايات الاستعمارية المسمومة . وارتبطت مصالحهم بقادة الغرب . وبقاؤهم ببقائهم مخلصين لهم . لا يتوقع منهم أي ليونة في مواقفهم ازاء العمل الإسلامي لأنهم موجهون ومسيرون ولا يشك في ذلك أحد ممن يتابع مواقف زعماء الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي . فإنهم يعتبرون الحركة الإسلامية العدو رقم واحد لهم . وقد أفادت تقارير الصحف أن الصحوة الإسلامية لا تزال تحت رقابة شديدة ودراسة من قبل الدول الأوربية . وأن بعض الدول الأوربية تشرف بنفسها على وسائل قمع الحركة الإسلامية . وضربها من الداخل . فيتطلب هذا الوضع موقعاً إيجابياً واحتراساً . من قبل الدعاة والعاملين للإسلام .

اجراء غير ديموقراطي :

من التهم الموجهة إلى المسلمين . وخاصة إذا طالبوا بتطبيق الشريعة أن الأقليات غير الإسلامية تواجه حرمانا . أو تمييزاً . وهذه التهمة في الواقع تهمة ملفقة . لا تقوم على أساس الدراسة . وإنما تقوم على أساس التخيل المعادي للإسلام الذي يرجع إلى عهد القرون الوسطى عندما كان المسلمون يسوسون العالم وأوربا كانت في ظلام حالك .

ويعرف الدارسون أن النصرانيين كانت لهم حقوق خاصة في مختلف فترات الحكم الإسلامي . وحتى في عهد الخلافة العثمانية ابرمت معاهدة

لرعاية حقوق غير المسلمين ، وكانت هذه المعاهدة بنفسها عذراً لتدخل بعض الدول الأوربية في الشئون الداخلية .

وفي العصر الحاضر ، الأقليات غير الإسلامية في معظم دول المسلمين أحسن حالاً من الأغلبية الإسلامية ، ولا يمارس أي تمييز في التعليم وفرص العمل ، والاقتصاد ، ويستولى غير المسلمين في عدد من الدول الإسلامية على التجارة والصناعة ، كما يسمح لهم بفتح المؤسسات التعليمية ، والمستشفيات التي تقوم بعمل الدعوة إلى العقائد والمناهج غير الإسلامية ، وتوجد جامعات عديدة يديرها غير المسلمين وتمولها الدول الأوربية وهي كثيرة في العالم الإسلامي .

وفي مقابل ذلك تعيش الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية في وضع حرمان من الحقوق الأساسية ، ففي كثير من الدول لا يسمح لهم بفتح مدارس خاصة لهم وإنشاء مساجد ، وفي عدد من الدول التي يعيش فيها المسلمون في أغلبية لا يسمح للمسلمين بأعمال الدعوة إلى الإسلام بينما يسمح للمنصرين بممارسة نشاطاتهم ، فليست الأقليات الإسلامية في بؤس وشقاء وإنما الأغلبيات الإسلامية أيضاً في شقاء في دولهم .

وأحدث مثال على هذا الفارق بين المسلمين وغير المسلمين ، ما تفيده الأخبار أن الحكومات التابعة لحزب بهارتي جانتا في الهند ، تخطط وضع قانون لسلب الاعتراف بمؤسسات الأقليات التعليمية ، وفرض قيود على مناهج التعليم .

لقد كان المسلمون يشكون سوء المعاملة ومخالفة الدستور في السياسة ، وكانوا يعانون من الاضطرابات الطائفية ، والآن سيواجهون مشكلة التعليم ، فلا يمكنهم إدارة مدارس ومعاهد تعليمية وإذا فتحوا لا تنال هذه المدارس الاعتراف الرسمي فلا يمكن لطلبتها الالتحاق بالمدارس الرسمية ، ثم يفرض عليهم أن يدرسوا مواد الدراسة الموجهة التي عليها طابع التصور الوثني ، وتمجيد تاريخ الهند العتيق ، وأمجادها .

إن هذا القانون إذا فرض سيكون مخالفة للدستور الديموقراطي الذي يمنح الأقليات حقوقاً خاصة ، ولكن الضعيف ، ومن ليس له من يحميه لا صوت له ، وعلى المسلمين أن يفكروا في هذا الأمر الذي له تأثير على مستقبل أجيالهم ، ويعدوا خطة حكيمه في ضوء الظروف المستحدثة .

ooooooo

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

مأساة البوسنة والهرسك الجديدة

يرجع تاريخها إلى ما قبل أكثر من قرن

وتقترن بمأساة إلغاء الخلافة العثمانية

كان إلغاء الخلافة العثمانية كارثة ذات جذور عميقة حلت بالمسلمين في أواخر العقد الثاني من هذا القرن ، وأفقدتهم الهيبة التي ملأت دول أوربا كلها وجعلتها ترتجف أمام شوكة الخلفاء العثمانيين ، الذين حكموا أوربا إلى مدة طويلة وعلوها آداب الحياة وأسلوب الحكم وطريقة تدبير البلاد ، ولكن الأوربيين لم يهنأ لهم العيش تحت مظلة الخلافة التي تنتمي إلى الإسلام ، وألقي في روعهم أن الشعوب الأوربية هي أجدر من كل أمة بالسيادة وإملاء الحكم والإرادة على العالم كله ، وأنها أمة مختارة من الله تعالى للقيام بمهام الحكم في الأرض ، فمنذ بداية القرن السابع عشر الميلادي (منتصف القرن الثاني عشر الهجري) كان لأوربا جولة وصولة في مضمار التقدم الحضاري ، بينما كانت الدولة العثمانية تعاني من أشد ظروف الفساد والانحطاط ، التي لم تعد خافية على أي مستوى ، وسرى الخوف في النفوس مما إذا لم يوفق رجال الدولة العثمانية إلى التفكير في واقعهم ، والتدبير لصيانة بلاد المسلمين التي هي تحت حكمهم ، لأنتج ذلك انقراض الخلافة التي كانت مبعث الهيبة والخوف في جميع أنحاء العالم ، وكانت

عمدة المسلمين وموضع اعتزازهم في كل مكان .

إن أوربا الداهية نفثت في نفوس الخلفاء العثمانيين أن الدولة العثمانية لن تستغني عن وسائل النهضة الصناعية التي أنتجتها أوربا وهي مرغمة على السير وفق النهج الغربي للتنظيمات الجديدة ، وقد تجمع منذ عهد السلطان أحمد الثالث ، حول الخلافة جماعة من المثقفين بالثقافة الغربية من الأتراك الذين أكدوا الفكرة الغربية في تنظيم الدولة الجديد ، وقالوا : إن السرّ في سلامة الخلافة يكمن في تقليد أوربا في أساليب الحكم ، ونتيجة لهذه الفكرة الغربية الوافدة التي اعتنقها المسئولون عن الخلافة حدث ما يعرفه العالم كله ، من سقوط الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني ، آخر سلاطين الدولة العثمانية بعد ما استمر في الحكم أكثر من ٣٢/عاماً وعمره نحو ٧٦/سنة ، ومع سقوطه الذي يقترن بوفاته كتب للخلافة العثمانية أن تنتهي ، ويحرم المسلمون ذلك الاحتواء العظيم الذي كتب لهم باسم الخلافة ، وقدر لهم أن ينضووا إلى ركن ضيق ويعيشوا تحت ضغوط عوامل المستعمرين الغربيين الذين كانوا يتربصون بالعثمانيين الدوائر ويخططون لإسقاط الخلافة العثمانية العظمى الذي امتدت رقعتها إلى ثلاث قارات عظيمة ، أوربا و آسيا و إفريقيا ، و عاصمتها القسطنطينية كانت أصلح عاصمة لدولة عالمية .

ومع امتداد رقعة الدولة العثمانية على أوربا وما جاوزها من البلدان ، ودخول دول كثيرة تحت الخلافة العثمانية كانت دول الجبل الأسود والبلغاريا والصرب والبوسنة والهرسك كلها ضمن الحكم العثماني ، ويتمتع أهلها بالأمن والرفاهية ، ومعظمهم

مسلمون ملتزمون . ولكن روسيا حرضت شعوب هذه المناطق ضد الدولة العثمانية والخروج على الخلافة فور ما آل الحكم إلى عبد الحميد في عام ١٨٧٦م . وفعلا قامت روسيا بشنّ حرب على الدولة العثمانية في عام ١٨٧٧-١٨٧٨م عرفت بالحرب الروسية العثمانية . وكنتيجة لها انفصلت منطقة الجبل الأسود والبوسنة والهرسك من الدولة العثمانية . وأصبحت من الجمهوريات اليوغوسلافية الاتحادية . حيث يواجه المسلمون اليوم حرب إبادة وتدمير كامل . ويعانون من الصرب الصليبيين أشد أنواع التعذيب والتصفية الجسدية .

ظلت هذه المناطق مستهدفة من قبل القوى الصليبية منذ تلك الحرب الروسية لمحو آثار الدولة العثمانية من البلقان وتحويلها إلى منطقة علمانية مجردة عن جميع السمات والعلامات التي تشير في شئ إلى الخلفاء العثمانيين . وعلى ذلك وجهت سهام القتل والتعذيب إلى السكان المسلمين في البوسنة والهرسك ذات الغالبية الساحقة للمسلمين بوجه خاص . وبدأت موجات التشريد إلى تركيا والبلدان المجاورة بايعاز من الغرب الحاقد . ففي التجمع الجماهيري الذي نظمه حزب الرفاه الوطني التركي في مدينة بورصة حول هذا التهجير الاجباري للمسلمين من بلغاريا تحدث الأستاذ نجم الدين أربكان فقال :

« إن سيل الهجرة لم ينقطع منذ أكثر من مائة عام . وها هم اليوم يرمون إخواننا وراء الحدود بعد أن سلبوهم كل شئ . صادروا أموالهم وحرياتهم . واستولوا على ممتلكاتهم وحاولوا الاستيلاء على عقولهم وعواطفهم . حرموهم أبسط حقوق الإنسان

. غيّروا أسماءهم بقوة السلاح . حرموهم من التحدث بلغتهم . منعوهم عن ارتداء أزيائهم . أغلقوا مساجدهم . عمروا مدارسهم . حطموا مدافنهم . صادروا صحفهم . وعند ما أرادوا مجرد الاحتجاج واجهتهم السلطة بالمدافع والنار .

منظر رهيب ومرعب .. الميادين تملؤها الجثث .. والمعتقلات تغص بالمعتقلين . وأخيراً رموا من بقي وراء الحدود .

أرجو ألا يعتقد أحد بأن الحرب التي يشنها النظام البلغاري إنما هي ضد الأتراك .. إنما هي ضد الإسلام .. وإن أي تركي يتنصر أو يتغير يضعونه فوق رؤوسهم .. إنما هي معركة إبادة ضد المسلمين .. ! » .

هذه نتائج المؤامرات الخطيرة التي دبرت ضد الأغلبية المسلمة في البوسنة والهرسك ودول البلقان التي كانت ذات أغلبية مسلمة ، من قبل روسيا ، منذ قرن وخمسة عشر عاماً . قبل كل شئ قطعوا هذه الجمهوريات عن جسم الدولة العثمانية . وأرادوا أن يذيبوها في بوتقة الصليبية الحاقدة ويجبروا المسلمين على الاندماج مع الصرب الكاثوليكيين وضم أصواتهم مع الصرب في إقامة دولة الصرب الكبرى على حساب الجمهوريات المسلمة . ولكن المسلمين في البوسنة والهرسك ، لم يخضعوا أمام المخطط الصربي وقاموا باجراء الاستفتاء الشعبي للاستقلال عن يوغوسلافيا ، وكانت النتيجة أن جمهورية البوسنة والهرسك استقلت وناشدت المجتمع الدولي أن يحميها عن كل اعتداء يقوم بها الصرب ، ولكن دون جدوي ، رغم أن المجتمع الدولي اعترف بها بعد إعلان الاستقلال . ولكنه لم يعترف بحقها في البقاء ولم يركن إلى حمايتها عن

حرب الإبادة الجماعية وحملة « التطهير العرقي » التي تشنها الميليشيات الصربية التي هي أقلية قليلة . ولكنها مساندة من قبل أوربا وأمريكا . والأمم المتحدة .

ومنذ ذلك اليوم فإن الأقلية الصربية النصرانية مستمرة في تصفية المسلمين من هذه الجمهورية التي تتعرض اليوم لأشد حالات الإبادة والدمار الشامل على مسمع من دول العالم الكبرى وبصرها . وإن الاتحاد الذي اقامته جمهورية الصرب والجبل الأسود باسم اتحاد يوغوسلافيا الجديد ليس معترفاً بشرعيته على مستوى المجتمع الدولي،ولكن الشئ الذي يثير الدهشة هو أن الاتحاد الذي لا يحمل شرعية قانونية ولم يعترف به المجتمع الدولي يقوم بغارات واسعة وبالأسلحة الثقيلة الممنوعة دولياً وقنابل النابالم وعمليات القصف والنسف بالقذائف والدفعيات بغاية من الوقاحة والجراءة على دولة شرعية تتمتع باعتراف المجتمع الدولي ، وإن الدول الغربية كلها قد اعطت الضوء الأخضر لهؤلاء الجزارين الصرب وأنصارهم أن يقوموا بتقتيل هذه الأغلبية المسلمة وتصفيتها نهائياً . ودول العالم النامية والأمم المتحدة تتفرج على هذه المسرحية الوحشية وترضى باراقة دماء المسلمين أنهاراً . وانتهاك أعراضهم وحرماتهم جهاراً . والفتك بأرواح الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال بكل قسوة . وتهديم البيوت والمساجد والمدارس والمقدسات الإسلامية ليلاً ونهاراً .

إن أساليب القمع والتصفية والقتل والتدمير تبلغ من البشاعة بحيث لا يمكن وصفها بأي لسان . فإن الدماء تسيل في الطرقات أنهاراً . وإن جثث القتلى تملأ الشوارع والطرق أكداساً وأكواماً .

وإن النساء لتبقر بطونهن وتشوى لحومهن ، ويتفننن في تعذيبهن بما لا يأتي في تصور البشر ، ومسرحية الظلم والهمجية مستمرة بفصولها ورواياتها التي تقشعر لهولها الجلود والقلوب ، ولكن العالم كله يسوده السكوت وإن الصرب المجرمين يسخرون من المسلمين في العالم كله ويصممون على الدمار النهائي لوجود المسلمين في هذه الجمهورية وتحويلها إلى دولة صربية كبرى ، ليس للمسلمين فيها دور ولا نصيب .

لعل هذا هو الحلم الذي يراود الدول الغربية كلها نحو الغالبية المسلمة الكبيرة في البوسنة والهرسك وهي تحاول إذابة المسلمين وصهرهم في بوتقة الصليبية والنصرانية . ولكن المسلمين لا يقاومون البربرية الصربية وحدها ، بل يدافعون عن دينهم ومعتقداتهم بسلاح الإيمان والعقيدة ، يواجهون الدول الغربية الحاقدة عليهم وعلى الإسلام بكل ما عندهم من قوة . مهما كلف ذلك الخسائر الفادحة التي يشهدها العالم كله ، و إن كان هو لا ينبس ببنت شفة ضد هذا العدوان السافر الوقح الذي لا يوجد له مثيل .

المسلمون في العالم كله شعوباً وحكومات مسئولون عن الاهتمام بإخوانهم المظلومين في البوسنة والهرسك ، وغيرها من بلدان العالم ، مسئولون عن أن يبذلوا بعض أوقاتهم واهتماماتهم في الدعاء لهم بالنصر على الظالمين المعتدين ، وذلك أقل واجب يعود عليهم جميعاً .

اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً (آمين)

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وبارك وسلم ...

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

في رحاب سورة النور

الدكتور محمد لقمان الأعظمي الندوي
رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية إعداد المعلمين
حائل - السعودية

قال تعالى : ﴿ سورةٌ أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيّناتٍ لعلّكم تذكّرون ﴾ (١) .

مطلع هذه السورة وسط ١١٤ سورة في القرآن الكريم مطلع فريد وبداية مثيرة تلفت الانتباه وتستوقف القارئ للتأمل والتمعن .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه من أوائل من أدرك أهداف هذه السورة التربوية . وكتب إلى أهل الكوفة : علّموا نساءكم سورة النور. وقالت عائشة رضي الله عنها : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (٢) .

وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم أن تعيش بين هذه السورة دراسة وتدبراً ، وتتشبع من معينها الفياض ، وتستنير بأنوارها المضيئة في دروب حياتها المختلفة وتتأدب بآدابها وتقرر دراستها في البيوت والمدارس وفي الجامعات وكليات البنات . فقد عادت الجاهلية الأولى بألوانها القاتمة وبظلامها الدامس . وعمت الفحشاء والبغضاء . وأصبح السفور معروفاً والحجاب شاذاً . والاحتكام إلى أنوار سورة النور يعبر بالعودة إلى ظلام القرون الوسطى .

أنوار سورة النور :

﴿ سورةٌ أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ ﴾ بنون العظمة . وهي تتكرر فتضفي عليها معاني جديدة تتجدد بتجدد الأيام والظروف . فتبدد الظلام وتعيد الحياة إلى ينابيعها الطبيعية من النور والصفاء والود والإخاء .

---

(١) سورة النور ، الآية : ١ .   (٢) القرطبي .

ومن أبرز معاني هذه السورة أن هذه الحدود والأحكام من العزيز الجبار المنتقم ، وليست من قبيل النوافل والسنن ، بل هي من قبيل الفرض والإلزام ، وللتطبيق والتنفيذ .

ويعني (فرضناها) فرضنا أحكامها التي فيها . وأصل الفرض القطع . أن جعلناها واجبة متطوعاً بها . والتشديد للمبالغة في الإيجــاب و توكيده ، أو لأن فيها فرائض شتّى (١) قال مجــاهد وقتادة : أي بينا الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود .

وهي آيات بينات لا تحتاج إلى التفسير والتأويل ومحكمة سهلة الادراك ، يسيرة الفهم ، ومع وضوحها فقد بينها الله تعالى بآيات محكمة ووضحها الرسول ﷺ بأقواله وأعماله وبخلقه ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ و فرضية الآداب و الأخلاق فيها ، كفرضية الحدود والعقوبات ، و هي كلها تدور حول أحكام العفاف و الستر ، وترفع المقاييس الأخلاقية للحياة ، حتى تشف وترف وتصفو وتتصل بنور الله ، ومن هنا سماها الله تعالى (سورة النور) نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض ، ذلك النور الذي بدد ظلام الفحشاء والمنكر ، ونظف القلوب والضمائر ، ونظم آداب الأسرة وآداب القيادة والجماعة .

فإن حفظ الحدود بتقوى الله يجعل لصاحبه نوراً كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ (٢) وضد النور الظلمة ، ولهذا عقب ذكر النور وأعمال المؤمنين فيها بأعمال الكفار وأهل البدع والضلال ، فقال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ﴾ (٣) وكذلك الظلم ظلمات يوم القيامة ، وظلم العبد نفسه من الظلم ، ووضع الشئ في غير

---

(١) الكشاف : ج/٣ ، ص/٢٠٨ .   (٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .
(٣) سورة النور ، الآية : ٣٩—٤٠ .

مظلم . قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ (١) .

وهذا النور الذي يكون للمؤمنين في الدنيا يظهر في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ (٢) فذكر النور هنا عقيب أمره بالتوبة . كما ذكره في سورة النور عقيب أمره بغض البصر وأمره بالتوبة في قوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (٣) .

وقفات ولقطات :

والسورة تضم بين جوانبها كثيراً من الوقفات التربوية واللمحات الخصبة . تثور فيها المشاعر وتتفاعل فيها العواطف حتى تصل إلى درجة الاهتزاز . وتبلغ إلى حد الانفعال . نقف عند البعض منها وقفة المتأني والباحث . نستجلي منها الدروس والعبر . تلبية للظروف والمتطلبات التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم .

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك • وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ (٤) .

وتبدأ السورة بحملة تطهيرية لمحاربة الزناة والجناة . وتشدد النكير على جريمة الزنا . وتطارد الملوثين بهذه الفحشاء والعابثين بالأعراض . والمتعودين الذين تركوا الحلال وانزلقوا نحو الحرام والفحشاء . وتظل السورة مهتمة بتنظيف هذه النسلة التي تقطع ما بين فاعلها وبين الأمة المسلمة من وشائج وارتباطات . فتبدد ظلمات الحرام وتنير الطريق السوي والصلة القوية التي تكون سكناً للنفس

---

(١) سورة إبراهيم . الآية : ١ .   (٢) سورة التحريم . الآية : ٨ .

(٣) التفسير الكبير : لابن تيمية : ج/٥ . ص/٢٢٧-٢٢٨، سورة النور، الآية : ٣١ .

(٤) سورة النور، الآية : ٢-٣ .

والعصب وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة والمعاش وأنساً للأزواج والعشائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء ﴿ لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

والجلد المذكور هنا هو حد البكر من الرجال والنساء ، وقد ثبت الرجم بالسنة وثبت الجلد بالقرآن . قال الإمام مالك : حدثني محمد بن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله ، فالرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال ومن النساء ، إذا قامت البينة أو الحمل أو الاعتراف (١) .

لطائف :

= تبين أن عقوبة البكر هي الجلد ، وعقوبة المحصن هي الرجم ، ذلك أن الذي سبق له الزواج في نكاح صحيح فعدوله عنه إلى الزنا يشير إلى فساد فطرته بخلاف البكر الذي قد يندفع تحت الإغراء والفاتن .

= قوله تعالى : ﴿ الزانية ﴾ مقدم على ﴿ الزاني ﴾ هنا . ﴿ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما نكالاً من الله ﴾ تقدم هنا ﴿ السارق ﴾ على ﴿السارقة﴾ ، وهي إشارة لطيفة تستحق الوقوف ، فجريمة الزنا غالباً ما تقع بسبب المرأة من إبداء الزينة ومفاتنها ، ومن حركات الإغراء ولين الكلام ، والخضوع في القول والتبرج وما إلى ذلك .. والسرقة غالباً ترتكب من قبل الرجل لأن العملية تتطلب قوة العضلات والجرأة ، والكرّ والفرّ وهي من صفات الرجل ، وهناك سبب

---

(١) تفسير ابن كثير : ج/٣ ، ص/٤١٨ .

آخر وجيه أن ﴿ الزانية ﴾ قدمت في هذه الآية حيث كان في ذلك الزمان زنا النساء فاشياً ، وكان لاماء العرب وبغايا الوقت رايات وكنّ مجاهرات (١) .

= ﴿ فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ﴾ قال المبرد : فيه معنى الجزاء ، إن زنى زان فافعلوا به ، و لهذا دخلت الفاء ، و هكذا ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ (٢) .

ولقد شدد الإسلام بعقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية لا يفرق بين أنثى وأنثى ومخاطر ومضار ، هذه النكسة تشمل قطع النسب وتشتيت الأسر وتلويث البيئة بنشر الأمراض والأوبئة ونقص الأغذية والأرزاق ، وقد حذرنا الصادق المصدوق ﷺ من هذه المخاطر ، والتي بدأت تنطبق هنا وهناك ، فقد ورد في الموطأ : « وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال : ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو » (٣) .

وهي صور مختلفة من البؤس والشقاء والتعاسة والخوف والرعب وقطع الرزق ، وكلها مرتبطة بعضها ببعض ولا سيما بفاحشة الزنا لأنها أم البلاء ومصدر الشقاء علاوة على ما اكتشف أخيراً أن هناك أمراضاً فتاكة علاقتها بالزنا فقط ، منها الزهري والسيلان والإيدز ، وهي تكشف الزاني أمام أسرته وبيئته فكيف يكون خزيه وعاره يوم القيامة أمام رب العالمين ، ومن هنا شدد الإسلام على محاربة هذه الجريمة لتكون علاجاً ناجعاً لكثير من المعاناة التي تعانيها دول العالم ومنها بعض الدول العربية والإسلامية التي تعيش بجوار الأراضي التي أشار إليها القرآن ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من

---

(١) القرطبي : ج/١٢ ، ص/١٦٠ . (٢) المصدر نفسه : ج/ ١٢ ، ص/١٦١ .
(٣) الموطأ : كتاب الجهاد رقم (٣٢) ص/٢٩٦ .

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ... ﴾ (١) ، وعند ما يوجه المخلصون النصح إلى كبار المسئولين فيها ويطلبون منهم شكر نعم الله المحيطة بهم ، وقفل مراكز الدعارة ، يكون الجواب أن الدولة تعتمد كثيراً في دخلها على السائحين ، فما كان إلا أن ينطبق عليها قول الله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (٢) ، هذه الجبال الخضراء والأراضي الخصبة الوارفة بالأشجار والهضبات المكسوة بفاكهة وأبا ، كانت تستحق أن يكون رزقها من هذه النعم الحلال ولكن صنعوا ما صنعوا فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، وانهارت عملاتها لدرجة أن تتناقلها وكالات الأنباء بدهشة واستغراب .

هذه الأحداث والوقائع تتطلب أن تدرس الأمة الإسلامية سورة النور دراسة شاملة تتبين معالمها وتتفهم أسرارها وتسير في نورها وتؤمن من جديد أن محاربة هذه الأمراض وإقامة الحدود التي أوجب الله في الزناة - ولا يكاد يطيقها المجتمع المعاصر اليوم - لا يكون إلا بالتهيؤ النفسي و الإعداد الفكري و بعد التربية الشاملة ، واتخاذ الأسباب الوقائية الموجودة في سورة النور الموضحة أبعادها، ولا يتأتي كل هذا إلا بإيجاد حكومة إسلامية ﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٣) .

بين عواقب الزنا الوخيمة وأهداف الماسونية الدنيئة :

روى عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال : « يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال ، ثلاثاً في الدنيا وثلاثاً في الآخرة ، فأما اللواتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١ .   (٢) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

العصر . وأما اللواتي في الأخرى فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في الآخرة » (١) .

والشعوب الإسلامية اليوم هبت من غفوتها وأدركت المخاطر المحدقة بها ، وعادت تدرس من جديد (سورة النور) وتتبين مفاهيم الأحاديث التي جاءت تبياناً لهذا (الذكر) . وهي تشاهد كل يوم ألواناً من الابتلاءات والمحن ، والقلاقل والفتن ، التي تعم العالم المنكوب بهذه الحضارة المناقضة لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية ، فتطالب بإصرار العودة إلى المنهج القويم والاعتصام بكتاب الله المبين .

ولكن القوى المعادية لهذا الدين تجد في نفسها ضيقاً شديداً وحرجاً كبيراً أن ترى هذه الأمة المتصفة بالخيرية والمكلفة بتحمل الأمانة أن تعيش في سعادة وأمن وأن تنشئ منهجاً كاملاً لشئون الحياة وفق شرع الله وكتابه .

وسرعان ما تتكاتف هذه القوى مع أعداء الدين من الصليبية والعلمانية والماسونية لتتكالب على الصحوة الإسلامية ، وتوجه ضربة تلو أخرى إلى الحركات الإسلامية الواعية والتي أثبتت جدارتها بالوسائل المشروعة والمعهودة لدى هذه القوى من ديمقراطية وانتخابات حرة وما إلى ذلك . وتتود هذه الحملة المسعورة الماسونية العالمية التي استقطبت ألفي رجل من كبار الساسة والمفكرين ، وأسست بهم المحفل الماسوني الرئيسي المسمى محفل الشرق الأوسط ، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين (٢) وأخيراً سلمت لأحدهم أعلى وسام لها وهي الماسونية الملوكية للدرجة الثالثة والثلاثين (٣٣) للقضاء على مكاسب الحركة الإسلامية . لأنهم على يقين أن الإسلام باستعلاء روحه على أعدائه هو الذي يقف في طريقهم في الجزائر ومن ثم يعلنونها حرباً على المسلمين .

---

(١) القرطبي : ج/١٢ . ص/١٦٧ .
(٢) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة .

ولأن الماسونية لا تعيش إلا في الظلمات ، فهي تخاف النور ، وكي نستبين ذلك فهذه بعض مبادئ وأهداف الماسونية :

١- إباحة الجنس ، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة .

٢- استعمال الرشوة بالمال والجنس مع الجميع وخاصة مع ذوى المناصب الحساسة لضمهم لخدمة الماسونية .

٣- دعوة الشباب والشابات إلى الانغماس في الرذيلة وتوفير أسبابها لهم وإباحة الاتصال بالمحارم .

٤- هدم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والإرهاب والانحلال والإلحاد (١) .

بينما من أبرز أهداف سورة النور محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد ولا تهدف إلى إقامة بيت وبناء عش كريم تلتقي فيه الذرية المرتقبة وتربى البراعم في جو مادئ سعيد ، والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة ، ومن هنا شدد على الجناة الزناة ، والحد الذي أوجب الله في الخمر والزنا والقذف وغير ذلك ينبغي أن يقام بين أيدي الحكام ولا يقيمه إلا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الامام لذلك ، وكذلك كان الصحابة تفعل كلما وقع لهم شئ من ذلك ، رضي الله عنهم (٢) .

﴿ وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين ﴾

وإقامة هذا الحد في مشهد علني ، وأمام فضلاء الناس من المسلمين والمؤمنين يكون أوجع وأوقع في نفوس الجناة ، ولو أقيم في السر قد لا ترتدع بعض النفوس الشريرة. والجلد بهذه الصورة له عقابان ، عقاب جسدي للألم وعقاب نفسي للتشهير به ، « فإن في ذلك تقريعاً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً » (٣) .

(يتبع)

---

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة .

(٢) القرطبي : ج/١٢، ص/١٦٢ .

(٣) ابن كثير : م/٢ ، ص/٤٢٠ .

نظرات في سنن أبي داؤد وشروحه

[الحلقة الأولى]

لسماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ! فيسعد كاتب هذه السطور أن يتقدم لكتاب « بذل المجهود في حل أبي داؤد » للعلامة المحدث الكبير والمربي الجليل مولانا خليل أحمد السهارنفوري - رحمة الله عليه - (١) وقد سعد الكاتب ووفق لتقديم عدة كتب قيمة ومؤلفات عظيمة لتلميذه الأبر الأكبر ، شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي

---

(١) هو العلامة المحدث خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري الحنفي السهارنفوري (١٢٦٩-١٣٤٦هـ) ولد في نانوته وقرأ على خاله الشيخ يعقوب والشيخ محمد مظهر النانوتوي وعلى غيرهما في ديوبند و (مظاهر العلوم) حتى برز في الحديث والفقه وتصدر للتدريس في (مظاهرالعلوم) ثم سافر إلى بعض بلاد الهند للدرس والإفادة حتى اختير أستـــاذاً في ديوبند ثم تولى رئاسة التدريس في مظاهر العلوم فانتقل إليها ، وبعد مدة تولى نظارتها ونالت به المدرسة القبول العظيم .

كان من أخص تلامذة العلامة رشيد أحمد الكنكوهي وحصلت له الإجازة عن المشايخ والمسندين الكبار كالشيخ عبد الغني المجددي والعارف الكبير الشيخ إمداد الله والشيخ أحمد دحلان والشيخ عبد القيوم البرهانوي وغيرهم .

عني بالحديث عناية عظيمة تدريساً وتأليفاً ومطالعةً وتصحيحاً . وكتابه « بذل المجهود » أتم مظهر لعلومه ومن أكبر مآثره العلمية وله مصنفات غيره وفي آخر عمره هاجر إلى الحرمين الشريفين وانقطع إلى جوار رسول الله ﷺ حتى أجاب داعي الله .

تخرج على يده كبار من المشايخ و العلماء كالداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي - منشئ جماعة التبليغ - والعلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ عاشق إلهي الميرتهي وغيرهم .

السهارنفوري (١) كـ « مقدمة أوجز المسالك » و « مقدمة لامع الدراري» و « جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ » والأبواب والتراجم للبخاري .

وكاتب هذه السطور يشهد الله على أن هذه الكتابات لم تخدعه عن نفسه وقد كان يتقدم إليها في كل مرة متهيباً خاشعاً أمام جلال الموضوع . ومكانة الكتاب العلمية . ومنزلة المؤلف الدينية وعلو كعبه واختصاصه في علم الحديث مؤمناً بضآلة قدر نفسه وقلة بضاعته وبأنه متطفل على مائدة هذا الفن الشريف . يعتبر – علم الله – أن إقدامه إلى هذا التقديم جسارة تكاد تكون وقاحة وإساءة أدب وقلة حياء . وبأن في القطر الهندي وحده . فضلاً عن شبه القارة الهندية . فضلاً عن العالم الإسلامي . من هو أجدر . وأقدر وأولى بهذه التقديمات والتعريف بالتأليف والمؤلف .

ولا يستطيع الكاتب أن يعلل هذا التكريم المتكرر إلا بحكمة إلهية خفية وأسلوب من أساليب التربية التي خص الله بها كبار المربين وحذاق المعلمين . وأن لهم في ذلك مرامي بعيدة ومقاصد دقيقة ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ ولعل ذلك لإثارة كوامن الشوق وتشحيذ العزم الفاتر . والهمة الكليلة في دراسة هذا الفن الشريف . وإعادة الخيط النوراني الذي يربط القلوب بهذا العلم . والذي ضعف وكاد ينقطع .

وعلى كل فالكاتب يعتقد كل ذلك من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه . التي لا يستوفي حق شكرها :

فلو أن لي في كل منبت شعره
لسانا لما استوفيت واجب حمده

---

(١) إنه توفي إلى رحمة الله في غرة شعبان سنة ١٤٠٢هـ وقد ترجم له العلامة الندوي في مقدمة كتابه « أوجز المسالك إلى موطأ مالك » وهو من ابدع مصنفاته ومن أحسن شروح الموطأ حتى قال بعض المحدثين المالكيين : إنه لم يصنف قبله مثل ذلك في شرح الموطأ .

وكتاب « بذل المجهود » هو واسطة العقد بين هذه الكتب التي أمرت بالتقديم لها . واهتمام شيخنا العلامة محمد زكريا بنشره في الحروف العربية ووصوله إلى أيدي علماء الحديث والمشتغلين بتدريسه وتحقيقه . وانتشاره في الأوساط العلمية والمدارس الدينية . وحلوله المحل اللائق به من بين شروح الحديث التي ألفت في العصور الأخيرة أعظم وأكثر. إذ هو ليس مجرد تأليف لشيخه - الذي أحبه واقترنت حياته العلمية بحياته وليست إلا ظلا ممدوداً لهذه الشجرة الطيبة المباركة - بل هو فلذة كبده وقطعة نفسه . وأحب أعماله إليه كما سيقرأ القارئ في السطور الآتية : فأصبح خروج هذا الكتاب في الثوب القشيب والمظهر الجديد أعز أمانيه وأكبر آماله يتلذذ بالحديث عنه ويتسلى بالتفكير فيه . وقد طابت له الحياة وهانت عليه المحن والخطوب في سبيل نشر هذا الأثر العلمي العظيم وتذكار شيخه الأثير الحبيب . وانتظار خروجه واكتماله . ومن دواعي الغبطة والسرور لكاتب هذه السطور أن يكون له نصيب في هذا العمل . وأن يكون عاملاً صغيراً في تحقيق هذه الأمنية العزيزة وإظهار هذه المأثرة الخالدة .

وكلمة وجيزة عن مكانة سنن أبي داؤد (١) ومنزلته من بين دواوين السنة ومجاميع الحديث وإن كان هذا الموضوع قد استوفي في

---

(١) هو الإمام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) سمع أحمد بن حنبل وأبا الوليد الطيالسي . وأحمد بن يونس وسليمان ابن حرب وخلقاً كثيراً بالحجاز والشام ومصر . والعراق . والجزيرة . والثغر . وخراسان . وحدث عنه الإمام الترمذي والإمام النسائي . وروى عنه شعبة . وأبو سعيد ابن الاعرابي . وأبو علي اللؤلؤي . وأبو بكر بن داسة . وأبو سالم محمد بن سعيد الجلودي . وأبو عمر أحمد بن علي . وكتب عنه شيخه أحمد بن حنبل حديثاً واستحسن كتابه . قال محمد بن إسحاق الصاغاني : « لين لأبي داؤد الحديث كما لين لداؤد الحديد» وقال الذهبي كان رأساً في الحديث رأساً في الفقه . ذا جلالة وحرمة وصلاح و ورع حتى إنه كان يشبه بالإمام أحمد بن حنبل الشيباني . له مصنفات أشهرها سننه في مجلدين ضخمين يحتوي على أربعة آلاف وثمان مائة حديث . انتخبه من خمس مائة ألف حديث . ومنها مراسيله (تذكرة الحفاظ : ج/٢ . ص/٥٩١) .

كتب أصول الحديث ومقدمات علم الحديث وتاريخ تدوين السنة ولم يترك الأول للآخر شيئاً ، ولا يجاوز عمل كاتب مثلي إعادة ما قيل وإجمال ما فصل ، ووقفة قصيرة عند شروح هذا الكتاب وتعليقاته ، ونظرة إجمالية في هذا الشرح ، ومكانته من بين الشروح والثغرة التي يسدها ولماذا احتاج المؤلف إلى وضعه ؟ ومدى ارتباط المؤلف بهذا الكتاب وتفانيه فيه وتعلقه به ومدى نجاحه ونبوغه ؟ فلكل ذلك قصة ممتعة مفيدة ، فيها عبرة لمن اعتبر ، ودروس مفيدة لتلاميذ المدارس النجباء ، ورواد العلم الأذكياء ، وأولى الهمم من المؤلفين والعلماء ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ .

مكانة سنن أبي داود بين دواوين السنة ومجاميع الحديث .

أما سنن أبي داود فهو من كتب الحديث التي تلقتها الأمة بالقبول وتلقاها علماء الصناعة وأئمة الفن بالاعتناء التام ، وعليه المعول والاعتماد قديماً وحديثاً وهو ثالث الأركان أو الرابع في قول بعض المحققين التي قام عليها بناء السنة (١) .

ونبدأ بكلام الإمام أبي داود نفسه في وصف كتابه وذكر خصائصه فهو الثقة الصدوق فيما يقول ولا يصف كتاباً ولا يعرف غوامضه مثل مؤلفه ، قال رحمه الله تعالى في رسالة أرسلها إلى أهل مكة في صفة كتابه .

« وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ باسناد صالح إلا وهو فيه إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث ولا يكاد يكون هذا ولا أعلم شيئاً بعد القرآن الزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً

---

(١) قال السيوطي في التدريب ، يقول الذهبي : انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وغيرهما ، ووضع النواوي سنن أبي داود بعد الصحيحين في التقريب ، وعلى هذا المنوال ذكره الإمام ولي الله الدهلوي وابنه المحدث عبد العزيز الدهلوي ، وكلام ابن سيد الناس في شأن أبي داود يشير إلى أنه يجعله في رتبة مسلم إذ قال : « فهذا الزم بما الزم به أبو داود » ومنهم من يعده رابع الكتب الستة ولكن أكثر العلماء يعده ثالث الستة المشهورة .

أن لا يكتب من ... ما يكتب هذا الكتاب شيئاً . وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه علم إذن مقداره (١) .

وقال أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي (٢) (وهو أحد كبـــار تلاميذ الإمام أبي داؤد و صاحب النسخة المشهورة للسنن) (٣) لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب (وأشار إلى نسخة السنن وهي بين يديه) لم يحتج معهما إلى شئ من العلم بتة (٤) .

وقال أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن (٥) واعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داؤد كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم فكل فيه ورد ومنه شرب ، وعليه

---

(١) مقتبس من رسالة أبي داؤ السجستاني في وصف تأويله لكتاب السنن : ص/٦-٧ ، رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه ، طبعت في مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري - رحمه الله - (ع) .

(٢) هو الإمام الحافظ المحدث الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصري الصوفي (٢٤٦-٣٤٠هـ) سمع عن الإمام أبي داؤد وطبقته وروى عنه ابن المقري وابن مندة وغيرهما . كان ثقة ثبتاً . عارفاً . عابداً . ربانياً . كبير القدر . بعيد الصيت . قد صحب الجنيد البغدادي وأبا أحمد القلانسي . من تصانيفه ، كتاب طبقات النساك . وصنف تاريخاً للبصرة كبيراً (تذكرة الحفاظ : ٨٥٢/٢) . (شذرات الذهب : ٣٥٤/٢) .

(٣) وهي أنقص النسخ الثلاثة حتى قيل إنه ليس فيه كتاب الفتن والملاحم والحروب وغيرها .

(٤) ذكره الخطابي في مقدمته سماعاً من ابن العربي (معالم السنن : ص/٨ (ع)).

(٥) هو الإمام المحدث الفقيه الأديب العلامة الرحال أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي البستي ولد سنة ٣٨٨هـ . سمع أبا سعيد ابن الأعرابي وأبا بكر بن داسة وطبقتهما وروى عنه الحاكم النيسابوري وغيره كثير من الناس .

كان ثقة متثبتاً من أوعية العلم قد أخذ اللغة عن أبي عمرو الزاهد والفقه عن أبي علي بن أبي هريرة والقفال . له التصانيف البديعة . أشهرها « معالم السنن » في شرح أبي داؤد، و « أعلام السنن » في شرح البخاري . و كتاب « إصلاح غلط المحدثين » توفي ببست . (تذكرة الحفاظ : ١٠١٨/٣) . (وفيات الأعيان : ٤٥٣/١) . (شذرات الذهب : ١٢٧/٣) .

معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من مدن اقطاع الأرض . فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل (١) ومسلم بن الحجاج (٢) ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد . إلا أن كتاب أبي داؤد أحسن رصفاً وأكثر فقها وكتاب أبي عيسى (٣) أيضاً كتاب حسن والله يغفر لجماعتهم ويحسن على جميل النية فيما سعوا له مثوبتهم برحمته . إلى أن قال : « وكان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داؤد الجوامع والمسانيد ونحوهما فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً . فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضيعها من

---

(١) أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله (١٩٤-٢٥٦هـ) قد سلف ذكره . في الأبواب والتراجم للبخاري ميزاتها وخصائصها (الحلقة الأولى) .

(٢) وهو الإمام الحافظ الحجة سيد المحدثين أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح . (٢٠٤-٢٦١هـ) سمع عن أحمد بن حنبل وطبقته وروى عنه الترمذي وابن خزيمة . وابن أبي حاتم وخلق سواهم . له مصنفات أشهرها في العالم صحيحه وهو من أحسن المصنفات في الحديث جودة وترتيباً . ورجحه المغاربة على البخاري . قال محمد بن الماسرجسي : سمعت مسلما يقول : صنفت هذا الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة . ويقول : ما وضعت شيئاً في كتابي هذا إلا بحجة وما أسقطت شيئاً منها إلا بحجة (تذكرة الحفاظ : ٢/٥٩٠) . (شذرات الذهب : ٧/٢٢١) .

(٣) هو الإمام الحافظ علم المحدثين أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي الضرير (٢٠٩-٢٧٩هـ) قام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وسمع قتيبة بن سعيد وسويد بن نصر وعلي بن حجر وغيرهم . وتفقه في الحديث بأبي عبد الله البخاري . حدث عنه مكحول . وأبو العباس المحبوبي والهيثم بن كليب الشاشي وخلق سواهم وقد سمع منه أبو عبد الله البخاري . قال ابن حبان : كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر . وقال أبو سعيد الأدريسي : كان يضرب به المثل في الحفظ . وقال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والزهد والورع . بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين . له مصنفات أشهرها جامعه في مجلدين ضخمين . يقول عنه الترمذي : من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم . وله كتاب العلل والشمائل وغيرهما (تذكرة الحفاظ : ٢/٦٣٣) .

أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داؤد ولذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب فضربت فيه اكباد الابل ودامت إليه الرحل (١) » .

وقال شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٢) شارح صحيح مسلم والمؤلفات الكثيرة الشهيرة ، في قطعة كتبها في شرح سنن أبي داؤد ، وينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بسنن أبي داؤد وبمعرفته التامة فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصنفه واعتنائه بتهذيبه (٣) .

وقال العلامة الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية (٤) صاحب زاد

---

(١) معالم السنن : ص/٦-٧ ، المطبعة العلمية بحلب (ع) .

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النواوي الحزامي الحوراني الشافعي (٦٣١-٦٧٦هـ) قدم دمشق وقرأ بعض الكتب على شيخه الكمال ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة وأخذ عن شيوخها ، فكان يقرأ كل يوم اثنى عشر درساً أخذ الحديث عن أبي إسحاق ابراهيم بن عيسى المرادي وطبقته ، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة .

كان أوحد زمانه في العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش إماماً بارعاً حافظاً للحديث وفنونه رأساً في معرفة المذهب ، صنف التصانيف الجمة ، أشهرها شرحه لصحيح مسلم ، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، والأربعين ، والتقريب ، والأذكار وغيرها (تذكرة الحفاظ : ١٤٧٠/٤) ، (شذرات الذهب : ٣٥٤/٥) .

(٣) العبارة منقولة من « الحطة في ذكر الصحاح الستة » للأمير العلامة صديق حسن خان القنوجي : ص/١٠٦ ، المطبعة النظامية ، كانفور ، طبع ١٢٨٣هـ (ع) .

(٤) هو الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) أحد كبار العلماء والدعاة في التاريخ الإسلامي ، مولده ووفاته في دمشق ، سمع من الشهاب النابلسي وغيره وتفقه في المذهب وبرع وأفتى ، وأخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ، وتفنن في علوم الإسلام وهو الذي هذب كتب ابن تيمية ، ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق وأهين وعذب ، يقول ابن رجب : كان عارفاً بالتفسير وبأصول الدين والحديث ومعانيه والفقه وأصوله والعربية والكلام ، لا يجارى في هذه العلوم وكان ذا عبادة وتأله ولهج بالذكر والانابة والافتقار إلى الله لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علما ، له تصانيف كثيرة وغزيرة ، منها ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، (شذرات الذهب : ١٦٨/٦) ، (الأعلام : ٢٨٠/٦) .

المعاد. والمؤلفات المقبولة في شرحه (١) لاختصار المنذري (٢) (لسنن أبي داود) « ولما كان كتاب السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث - رحمه الله - من الإسلام بالموضع الذي خصه به، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، و فصلاً في موارد النزاع و الخصـــام فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام مع انتقائها أحسن الانتقاء واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء ».

وفيما نقلناه بلاغ ومقنع للدلالة على مكانة الكتاب وأهميته، وكانت نتيجته الطبيعية ومقتضى إجلال العلماء له واحتياج الفقهاء والمحدثين إليه أن يكثر الاهتمام بشرحه وخدمته، والتعليق عليه، فتناوله بالشرح كبار علماء الأمة وأئمة علم الحديث في كل عصر ومصر. « يتبع »

(١) ذكر في شرحه أن الحافظ زكي المنذري قد أحسن في اختصاره تهذيبه نحو ما هذب به الأصل وزدت عليه من الكلام على علل سكت عنها.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد زكي الدين المنذري (٥٨١-٦٥٦هـ) أصله من الشام سمع الحديث بمكة ودمشق وحران والأسكندرية وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة وانقطع بها نحو عشرين سنة عاكفاً على التصنيف والدرس والإفادة وبه تخرج الدمياطي وابن دقيق العيد وغيرهما. كان عديم النظير في عصره في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه. قال الذهبي: « لم يكن في زمانه أحفظ منه » له تصانيف منها مختصر صحيح مسلم ومختصر سنن أبي داود، برواية اللؤلؤي سماه المجتبى. وألف السيوطي عليه كتاباً سماه: « زهر الربى على المجتبى » وللمنذري أيضاً عليه بعض التعليقات (البداية والنهاية: ٢١٢/١٣)، (طبقات الشافعية: ١٠٨/٥)، (شذرات الذهب: ٢٧٧/٥).

الغزو الفكري . وكيفية مواجهته

[الحلقة الأولى]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

مصطلح الغزو الفكري :

بداية نقف عند مصطلح « الغزو الفكري » الذي يتردد في هذا العصر كثيراً على ألسنة الباحثين . والكاتبين . والمتحدثين . وإن وقفة استقرائية . تكشف في وضوح : أن هذا المصطلح . لم يسمع به قبل القرن الرابع عشر الهجري « القرن العشرين الميلادي » ..

ولكن ليس معنى عدم وجود المصطلح . أو عدم استخدام المصطلح . قبل القرن الرابع عشر الهجـــــري . أن معنى الغزو الفكري . ومفهومه . وموضوعه . لم يكن موجوداً . لأن المستقرئ لأحوال الأمم والشعوب . يجد أن مفهوم « الغزو الفكري » . كان موجوداً في القديم . وفي الحديث ...

وكلمة : « الغزو » في اللغة العربية . تُعطي معنى : القصد . والطلب . والسير. إلى قتال الأعداء . في ديارهم . وانتهابهم . وقهرهم . والتغلب عليهم .

ومصطلح « الغزو الفكري » . قصد به : « إغارة الأعداء على أمة من الأمم . بأسلحة معينة . وأساليب مختلفة . لتدمير قواها الداخلية . وعزائمها ومقوماتها . وانتهاب كل ما تملك (١) » ..

والفرق بين « الغزو الفكري » . والغزو العسكري » : أن الغزو العسكري . يأتي للقهر . وتحقيق أهداف استعمارية . دون رغبة

---

(١) أنظر : الدكتور توفيق يوسف الواعي . الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية . ص/٦٨٠ ط.دار الوفاء . المنصورة . ١٤٠٨هـ . القاهرة :

الشعوب المستعمرة ، أما الغزو الفكري ، فهو لتصفية العقول ، والأفهام ، لتكون تابعة للغازي (١) ..

وقد يكون الغزو الفكري ، أشد وأقسى ، لأن الأمة المهزومة فكرياً ، تسير إلى غازيها ، عن طواعية ، وإلى جزارها عن رضا ، واقتناع ، وحب ، لا تحاول التمرد أو الخلاص .

وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة ، حيث إن كلمة الغزو ، استعملت في معناها ، وهي الإغارة على أمة من الأمم للاعتداء عليها ، وانتهابها ، ولكن عن طريق الفكر ، وتدمير القوى المفكرة فيها ، وهذا ما لفتت إليه كلمة : « الفكر» ، التي تطابق معناها في العربية ، معناها في المصطلح (٢) ..

ويمكن أن يقال : إن المصطلح استعمار كلمة « الغزو » للفكر ، لما بينها وبين الغزو ، في الحرب من علاقة ، في نهب الشعوب ، وتدميرها ، والسيطرة عليها ..

ويمكن أن يقال : إن مصطلح « الغزو » مجاز على التشبيه بالحرب الفعلية ، في التدمير ، والتخريب ، والانتهاب ، والسيطرة على الشعوب .. ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح ، وأضرابه من المصطلحات ، التي تدل على هذا المعنى ، وتسير في فلكه (٣) ..

ومما يسترعي الانتباه ، أن بعض العلماء والباحثين : ينكرون ، ويستنكرون ، وجود « الغزو الفكري » . معتبرين الحديث عنه مجرد « وهم » من الأوهام ..

وهؤلاء العلماء إنما ينطلقون ، من تصورهم لعالم اليوم ، باعتباره – رغم الحدود الدولية السياسية ، والحواجز الجغرافية – وبسبب من التقدم الهائل في ثمرات « ثورة الاتصال » ينطلقون

---

(١) المصدر السابق ، ص/٦٨٠ ، بتصرف .
(٢) أنظر : المصدر السابق ، ص/٦٨١ مع تصرف وإضافة .
(٣) أنظر : المصدر السابق ، ص/٦٨١ مع تصرف يسير .

من تصويرهم لعالم اليوم باعتباره « وطناً واحداً» لحضارة واحدة ، يسمونها : « حضارة العصر» أو « الحضارة العالمية » أو « الحضارة الإنسانية » ويتصورون الأمم ، والشعوب ، والقوميات ، مجرد درجات ومستويات في البناء الواحد ، لهذه الحضارة الواحدة ..

ومن ثم فليس في هذا التصور حدود - لها حرمة الحدود - تميز « أوطاناً » متعددة ، لحضارات متميزة .. ولهذا فإن عبور الفكر - كل الفكر - للحدود - كل الحدود - ليس فيه عندهم شبهة « غزو » ولا أثر « عدوان » (١) ..

وهذا التصور يروج له بشتى الأساليب ، فثمة دعوة إلى « فكر عالمي » وهناك دعوة إلى أن الحضارة الحديثة « حضارة عالمية » وهناك دعوة إلى « ثقافة عالمية » ..

وهناك حركة « البهائية » التي نشأت سنة ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي ، واليهودية العالمية ، والاستعمار الانجليــــزي ، تزعم أنها جاءت بدين عالمي جمع : البوذية ، والبرهمية ، و الزرادشتية ، و المانوية ، و المزدكية ، و الفرق الباطنية ، واليهودية ، والنصرانية ، و الدهرية ، و هذه الدعوة تجد رواجاً (٢) .

وهناك علماء ومفكرون ، ينكرون أن يكون عالم اليوم ، وطناً حضارياً واحداً ، لحضارة عالمية واحدة .. وهؤلاء العلماء يدعون إلي ضرورة احترام «الحدود الحضارية ».. لأن العالم في تصورهم : هو أقرب ما يكون إلى « منتدى عالمي لحضارات متميزة » تشترك أممها في عضوية هذا المنتدى ، ومن ثم فإن بينها ما هو « مشترك

---

(١) الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكري وهم أم حقيقة ، ص/٦. ط. الأمانة العامة للجنةالعليا للدعوة الإسلامية ، بالأزهر الشريف ، ١٩٨٨م .

(٢) أنظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص/٦٤ ، ط. الرياض ، ١٤٠٩هـ .

حضاري عام » .. و أيضاً ، فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً .. الأمر الذي ينفي الوحدة الحضارية ، و يستدعي الحفاظ على « الهويات » الحضارية المتميزة .. لا لمجرد الحفاظ عليها - رغم أهميته .. إنما لأسباب وطنية ، وقومية ، وعقدية ، تلعب دورها في إنهاض أمم كثيرة ، من كبوتها وتراجعها . لما لهذه الخصوصيات ، من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم ، بالكبرياء المشروع ، والطاقات المحركة ، في معركة الإبداع .. ولما للتعددية من دور ، في إثراء مصادر العطاء العالمي (١) .

وهؤلاء العلماء الذين ينكرون أن يكون عالم اليوم وطناً حضارياً واحداً ، لحضارة عالمية واحدة ، يذهبون : إلى أن التعددية الحضارية ، تكشف وتعري ، روح الهيمنة ، والعدوان ، والاستعلاء ، التي تخفيها الحضارة المتغلبة ، على عالمنا المعاصر .

وهي الحضارة الغربية ، تحت ستار : « وحدانيتها .. وعالميتها .. وإنسانيتها » .

كما أن هذه التعددية تقوم بدور فعال ، في إذكاء روح المقاومة ، عند المستضعفة حضارياً ، ضد السمات و القسمات التي مثلت و تمثل « مأزق الحضارة الغربية » الذي يمسك اليوم بخناق إنسانها ، وذلك حتى لا تعم مأساته كل بني الإنسان ؟ (٢) .

وهؤلاء العلماء يعترفون بوجود : « الغزو الفكري » ، وينبهون على مخاطره التي تعددت ، وتكاد تحيط بالمجتمعات الإسلامية ..

وهؤلاء العلماء : يرفضون دعوى « الوطن الحضاري الواحد لعالمنا المعاصر» ودعوى « الحضارة العالمية الواحدة » لهذا الوطن الواحد ، ويقدمون بديلاً لها : دعوى أن عالمنا هو أقرب ما يكون

---

(١) أنظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الثقافي وهم أم حقيقة ، ص/٧ بتصرف .
(٢) المصدر السابق : ص/٧ .

إلى « منتدى عالمي لحضارات متميزة » وأن الأمم المستضعفة حضارياً، لابد لها من النضال الحضاري ، ضد نزعة التفرد، والهيمنة ، التي تمارسها الحضارة الغربية المتغلبة – بالاستعمار القديم والجديد – على غيرها من الحضارات .. فالتعددية لا الواحدية ، هي الحقيقة المثلة للواقع الحضاري ، في الواقع الذي نعيش عليه ، ومن ثم فإن هناك حالات لتعدى « الحدود الحضارية » ، تمثل «غزواً فكرياً» لا شك فيه (١) .

وهذا التصور يؤيده واقع حياة الشعوب ، فالذين يعايشون حياة الشعوب ، والأمم ذات الحضارات الفنية ، والتاريخ القديم ، والتراث العريق ، .. أو يغوصون في تراث هذه الأمم وفلسفتها ، ومذاهبها ، وتقاليدها ، وأعرافها .. يدركون أن عالمنا به – حقاً – أمم متعددة ، تتميز كل منها بشخصيتها القومية و الحضارية المتميزة ..

وإننا إذا نظرنا في مذاهب هذه الأمم وأعرافها ، وفي معايير الحلال والحرام والمشروع والممنوع لدي أبنائها ، وفي موازين الأذواق ، والحاسة الجمالية ، وفي تصوراتها لمكان الإنسان من الكون ، وتصوراتها لمصيره بعد الموت ، وتصوراتها الفلسفية لهذا الكون ، وما وراء المادة التي تمايز بينها – جنباً إلى جنب – مع سمات تشترك فيها ، فتجمع بينها (٢) .

ولا يخفى أن الباحث الذي يسبر أغوار المواريث الفكرية لهذه الأمم ، ويتتبع خيوط هذا التمايز الحضاري ، يجد أنها تضرب بجذورها في أعمق أعماق التاريخ .. حيث كان البابليون ، والآشوريون ، والفينيقيون ، والمصريون ، وغيرهم ممن أسهموا في

---

(١) أنظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكري وهم أم حقيقة : ص/٨ .
(٢) المصدر السابق : ص/٨–٩ .

الفكر الإنساني ، وكان لهم تمايز حضاري (١) ..

ولعل نظرة فاحصة ، إلى أمم مثل : الصين .. والهند .. واليابان ، ستفضي بالباحث إلى الاجتماع على حقيقة تميز الشخصيات القومية ، و المواريث الحضارية ، و طرائق العيش ، والفلسفة ، والحياة ، و في النظرة للكون و تصوره ، لدى شعوب و أمم هذه الحضارات ..

وكذلك الحال إذا نحن تأملنا الحضارة الغربية ، منذ اليونان ، وحتى نهضتها الحديثة .. والحضارة الإسلامية منذ تبلورها كثمرة لاندماج المواريث القديمة للشعوب التي دخلت الإسلام – بعد الإحياء لهذه المواريث – كثمرة لاندماج هذه المواريث في الفكر الإسلامي ، الذي استصفاها وطورها وفقاً لمعاييره (٢) . حيث لم يكن المسلمون مجرد نقلة ، ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا ، وابتكروا ، لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية ، و بالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية (٣) ..

على أن الذي ينبغي أن نقف عنده : « أن التصور الذي يرى أن العالم وطن واحد لا غزو لفكر فيه ، تصور يقوم على انتصار الحضارة الغربية المتغلبة التي تعمل على مسخ الحضارات العريقة » ..

إذن : لابد من التصور الذي يقوم على أن الفكر إذا نظرنا إليه ، على المستوى العالمي الإنساني ، وجدنا في هذا الفكر : « ما هو

---

(١) راجع : الدكتور أحمد السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية ، ص/٧٨. ط. دار اللواء بالرياض ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

(٢) أنظر: الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكري وهم أم حقيقة ، ص/٩ ، بتصرف .

(٣) أنظر : الدكتور توفيق الطويل ، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية ، ص/١٥١. ط. مكتبة التراث الإسلامي مصر ١٩٩٠م .

مشترك إنساني عام » لا يختص بحضارة بذاتها . وفي هذا الفكر أيضاً ما يتميز بالخصوصية والاختصاص .

والتميز في الفكر بين ما هو مشترك إنساني . وبين ما هو خصوصية حضارية إنما تحكمه وتحدده معايير موضوعية .

فكل العلوم التي موضوعها الطبيعة وظواهرها . والمادة وخصائصها . هي من قبيل الفكر . الذي هو مشترك إنساني عام . وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمي . ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية . هي السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم . تلك الحقائق التي هي بنت الدليل . والتي لا تختلف باختلاف مذاهب . وعقائد . وأجناس . وفلسفات المكتشفين . ومن ثم فهي لا تتغاير بتغاير القوميات . والحضارات . بل هي واحدة على المستوى الإنساني . كما أن موضوعاتها - المادة وظواهرها - واحدة هي الأخرى . لا تختلف ولا تتغاير باختلاف . وتغاير الحضارات . فعلوم مثل الرياضيات بفروعها، ومثل الكيمياء . والطبيعة، والطب . والجيولوجيا . لم ولن تختلف مناهجها وحقائقها . وقوانينها باختلاف الحضارات .. قد تتمايز وظائف استخدام قوانينها ونظرياتها ومكتشفاتها . لكن حقائق علومها أي « فكرها العلمي » سيظل واحداً. مهما اختلفت المذاهب . والعقائد . والحضارات (١) .

والعقل البشري استطاع بما اكتسب من خبرة . ودربة . ومرانة . أن يصنف هذه العلوم . وأن يحكم ما بينها من وشائج . وأن يستفيد بما بينها من صلات . وروابط .

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض . ويعتمد بعضها على بعض . ولهذا كانت الحضارات الإنسانية ليست ملكاً لأمة بعينها . ولا هي وقف على جماعة من الناس . لأنها صرح هائل . قد أسهمت فيه كل

---

(١) أنظر : الدكتور محمد عمارة . الغزو الفكري وهم أم حقيقة . ص/١٦ .

أمة بنصيب (١) .

ويلحق بهذه المنظومة من حقائق العلوم الطبيعية الخاصة بدراسة المادة وظواهرها وأسرارها ، على نحو ما ، وإلى حد كبير العديد من ثمرات التجارب الإنسانية في الوسائل ، والنظم ، والمؤسسات ، والخبرات التي ترشد أداء الإنسان ، وهو يسعى إلى تحقيق المقاصد والغايات ..

فعلى الرغم من تمايز المقاصد والغايات والمثل ، فإن تجارب الإنسانية في الوسائل ، والنظم ، والمؤسسات ، قد تكون صالحة في أحيان كثيرة للاقتباس – مع التطويع – وللتمثل ، والاستلهام .

هذا عن العلوم الطبيعية ، والتجارب المادية ، التي تمثل حقائقها وخبراتها فكراً عالمياً ، هو من صميم « المشترك الإنساني » .

أما الشق الآخر من الفكر ، الذي يدخل في صميم الخصوصية الحضارية ، التي تتمايز بتمايز الحضارات ، فهو ذلك الذي ينطلق من العقائد ، والمذاهب ، والفلسفات .

فكما تميزت علوم « المادة » الثابتة بالعالمية ، فغدت حقائقها ، وقوانينها « مشتركاً إنسانياً عاماً » تميزت ، وتتميز علوم العقائد ، والمذاهب ، والفلسفات ، بالخصوصية الحضارية ، التي تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم ، ومعتقدات الشعوب ، وطرائقها في الحياة (٢).

الغزو الفكري

لقد وضح لنا : أن هناك « غزو فكري » مقصود ، يعمل لإذابة الشعوب ، وانسلاخها عن عقائدها ، ومذاهبها ، وحضاراتها ، لتصبح

---

(١) انظر : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح ، أضواء على الحضارة الإسلامية : ص/٩٢ .

(٢) انظر : الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكري وهم أم حقيقة ، ص/١٧–١٨ بتصرف .

ضعفاً خائفاً تابعاً . لغيره . يؤمر فيطيع .. ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية . وخداعها . والتمويه عليها . وقلب الحقائق . وتشويه الحقيقة . عن طريق تصنيع الكلمة . وزخرفة القول . والتقول إلى المخاطب . من نقطة الضعف . والاستغلال لإغرائه . والإقناع به . و الإيحاء إليه . بسلامة الفكرة . و صحة المفهوم المزيف . الذي تحمله كلمات الغزو .

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال . وتساقطت في هاوية الضلال والانحراف والفساد الخلقي . والعقدي . والاجتماعي بسبب تصورات « الغزو » المزخرفة الخداعة . التي يرقص السذج . والجهال على نغم إيقاعها . ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها .

ولكم عاني الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون « الغزو الفكري » ويصدرونه في موجات . تقتحم الديار والبيوت . لقد قيدت الإنسانية إلى هاوية الضلال . والانحراف . ولقد كان « للغزو الفكري » في كل جيل . وفي كل عصر . دوره التخريبي . في حياة الناس . إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه « للغزو الفكري » خبراء . ومتفلسفون . وأجهزة . ومؤسسات . كعصرنا الحاضر هذا . الذي اتخذ فيه « الغزو الفكري » صبغة الفلسفة . والنظرية . والمبدأ . الذي يعتنقه الأتباع . ويدافعون عنه . وينقادون له ..

وقضية الغزو الفكري . أصبحت اليوم . من أشد القضايا خطراً . وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمـــــر . في قلوب و عقول كثير من المثقفين . في هذا العصر واضحة بينة . والسلاح الذي يستعمله «الغزو الفكري » مدمر قتّال . يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع . و الصاروخ . و الطائرة . و قد ينزل إلى الميدان . و يحقق خطره . حين تخفق وسائل الحديد والنار. في تحقيق الهدف. والوصول إلى الغاية . والخطر الذي يحتجنه هذا الغزو أكثر بكثير

من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة. والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم، والخديعة في العرض (١).

ومما لا ينكر: أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات. فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات عنيدة من مخالفيه. فقد واجه المشركين في مكة، واليهود في المدينة، ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات الفارسية، واليونانية، والهندية، وغيرها. ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها. فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة. وما تحمله من شبهات، وهي في جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإلحاد والإباحية. غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن أخطر هذه التحديات هي تلك التي تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهي تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدي الذي يتمثل حالياً بالغزو الفكري الغربي (٢).

---

(١) راجع: إبراهيم النعمة، المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري: ص/٧، ط. شركة بمبل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، العراق ١٩٨٦م.

(٢) عز الدين الخطيب التميمي وآخرين، نظرات في الثقافة الإسلامية: ص/٣١، دار الفرقان، عمان ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، الأردن.

المحافظة على الحق

بقلم : د/محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

تنبعث كثير من الطقوس والعادات في الانتماءات الدينية والعقدية غالبية شعوب الأرض من منطلقات شخصية ، وتعلقات وجدانية ، اهتم بها أفراد منهم ، ثم حملهم عليها الموجهون لهم فكرياً وعقدياً لأن الجهل يطغى على الأكثرية ، أو من منطلق الاستمراء والتقليد ، كما أخبر الله جلت قدرته عن المتعصبين لمنهج الآباء والأجداد ، ومعتقدات السابقين من أبناء نحلتهم ، فقال تعالى على لسان هؤلآء في تبرير لما هم عليه من الضلالة ، ومعاندتهم من أجل البقاء عليها رغم مخالفتها للحق الذي جاء من عند الله : ﴿إنّا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (سورة الزخرف : الآية : ٢٣) ، فما تبرز عادة من العادات ، ولا تخرج نحلة من النحل ، إلا و وراءها من يحركها بجذور سابقة ، ودعوات مضللة،وتعصب ممقوت ، وذلك من أجل نشر تلك النحلة ، مع التحمس الشديد من أجل توسيع نطاقها ، وما ذلك إلا من نقصان معايير البشر ، في نظرتهم إلى تلك الأمور التي استوجبت التعلق بما ابتكروه من أمر ، لم يوضع له معايير يبرز منها ، ما إذا كان هذا الأمر صحيحاً أو غير صحيح ، وما إذا كان سليم المأخذ أو غير سليمه .

إلا أن المتمعن في ذلك الأمر يرى جوانب الفساد بارزة في منطلقه ، وما ذلك إلا أن القاعدة التي يرتكز عليها المعتقد الأساسي عند كثير من أمم الأرض غير صحيحة ، والقاعدة الأصولية تقول : ما بني علي باطل فهو باطل .

ونحن المسلمين - بحمد الله - ترتكز مآخذنا على أساس مفيد وسليم ، جاء من عند الله ، ولم يدخله تحوير أو تبديل ، وما كان من عند الله فهو حق لا مراء فيه ، يقول سبحانه : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٨٢) ، فمن رحمة الله بالمسلمين أن حمى مصدر التوجيه لديهم ، وهو القرآن الكريم عن التحريف ، وعن تسلط العابثين وأهل الأهواء ، ليبقى شرعاً ثابتاً ، ترجع إليه العقول النيرة ، وتحتمي به النفوس الحريصة على الهداية ، كلما برز أمر ذوبال ، أو تقوّل صاحب هدف مغرض ، وعند النقاش بالمصدر التشريعي في الإسلام ، لترسيخ قاعدته ، يقترن الدليل العقلي بالدليل النقلي ، لأن الذهن الصافي ، وصاحب الفطرة السليمة،يرعوى للدليل النقلي ، إذا خاطب العقل ، وقرّب ما هو محسوس للإنسان في سائر أمور حياته .

وهذه القاعدة لا تتحقق في المعتقدات الأخرى المنافية للإسلام ، بدليل كثرة الخلافات والتعديلات والتبديلات ، التي أجريت في أمور تعبدية وعقدية ، وكأنها بضاعة تخضع للأهواء ، ورغبات الزبائن ، بما يلبي مقترحاتهم بالتجديد في كل مستخرج سنوي « موديل » أخذاً من القول : لكل جديد لذة ، فالقرآن الكريم قد أبان لنا عن أهل الكتاب بأنهم بدّلوا في كتبهم وأنهم : ﴿ اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ٩)

والصراع الذي يتم بين السلطة القيادية ، وما يطلق عليه القيادة الروحية ، حيث يبرز ذلك جلياً عند النصارى الذين رصد لهم التاريخ صراعاً طويلاً مع اليهودية ، فنشأ عن ذلك خلافات وتحديات ، استلزمت صدور قرارات أفسدت الديانة النصرانية : عقيدة وعملاً ، نتيجه للجهل والهوى ، كما قال تعالى : ﴿ إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السّبيلا ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ٦٧)، وكما أخبر ﷺ لعدى : إنهم يحرمون ما أحل الله ، ويحللون ما

حرم الله . والناس لهم تبع . ومن ذلك ما حدث على مرّ العصور الذي نجتزئ منه :

= ما حدث عام ٣٢٥م عند ما أراد قسطنطين امبراطور الرومان . أن يوحد الخلاف بين الطوائف المختلفة في أمر عيسى عليه السلام . وما تضمنته الديانة التي جاء بها من ربه . فجمع في نيقية [٢٠٤٨] من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والأديان . ولما تناظروا عجب أشد العجب مما سمع ورأي . فقر رأيه على أن يختار منهم [٣١٨] أسقفاً . وضع لهم مجلساً خاصاً بهم . وجلس في وسطهم وتحت المناظرة . ولكنه انحاز لرأي بولس الذي يقضى بتأليه عيسى . وتقول روايات : إن هذا لم يكن بتصويت وإنما كان بفرض السلطة من قسطنطين ليتحقق له ما يريده لتثبيت قوته . رغم أنه تدخل في خروج ذلك الرأي وهو لم يتنصر بعد .

= ثم جاء المجمع القسطنطيني الأول عام ٣٨١م بعد أن فسدت العامة بآراء رجل اسمه : مقدونيوس . عند ما اجتمع في القسطنطينية [١٥٠] أسقفاً برغبة من الامبراطور الروماني التي تنصرت أمه هيلانة وتحمست لكنيسة القمامة فابتدع ابنها رؤياً بأن دولته لا تقوى إلا بدعوة الصليب وأيدت رأيه ساحرة . وقد خرج هؤلاء الأساقفة . برأي آخر أفسد عقيدة الوحدانية لله سبحانه في عقيدة النصارى . بما أدخل عليها من مشاركة لله جل وعلا عن ذلك . حيث زادوا في المعتقد الذي وضعه الـ [٣١٨] أسقفاً في الاجتماع السابق كما قال ديورانت في قصة الحضارة، ودفعهم هذا إلى التحمس لمخالفة اليهود . والخروج من تبعيتهم في المعتقد فابتكروا لأنفسهم ما يقرب من أربعين حالة أرادوا بها المخالفة لذات المخالفة : كتحريم الختان . وتحريم الطلاق ما لم يثبت الزنا . وإباحة لحوم الخنازير . وغير ذلك . فأفسدوا من حيث خيّل إليهم الإصلاح . وأدخلوا في شرع الله ما ليس له أصل .

= ثم جاء في عام ٤٣١م مجمع أفسس الأول . الذي اجتمع فيه نحو مائتي أسقف،وأرادوا مناقشة نسطور بطريرك القسطنطينية . الذي خالفهم في الاعتقاد بإلهية عيسى . وكانوا في اجتماعهم هذا الذي دعوا إليه مصرين على التبرؤ من نسطور ولعنه . إن أصرّ على رأيه . ولكنه عرف مقصدهم . فلم يحضر هذا الاجتماع هو . ولا بطريرك أنطاكية . فقرروا ما يريدون . وأصبحوا في غيهم يعمهون . وانتشر رأي النسطوريين في الشام والعراق ومصر . بعد أن حورب في بلاد الرومان . وبعد ظهور الإسلام كان النسطوريون أكثر استجابة للدخول فيه من غيرهم .

= وفي عام ٤٥١م تم الاجتماع الذي عقد في مدينة : خليكدونية . وذلك بسبب خلافات ومهاترات وقد حضره [٥٢٠] أسقفاً تحت إشراف زوج ملكة الرومان في شهر أكتوبر من هذه السنة . حيث حدث ضجيج وصخب ومنازعات بين الأساقفة في أثناء الاجتماع . مما جعل مندوبي حكومة الرومان يقولون لهم : إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ . وسب وقذف . وخير لكم بل يجب أن تكونوا قدوة للشعب في الهدوء . وتسيير الأمور . ولذا نرجوكم استعمال البرهان بدل المهاترة . والدليل عوضاً عن القول الهراء .

وقد انتهى هذا الاجتماع بانقسام الكنائس إلى يومنا هذا (عن محاضرة أبي زهرة في النصرانية) .

= وقد تبع ذلك اجتماعات عدة كلها تدور في حلقة ادخال الوثنية على التوحيد . كما أخبر الله عنهم في القرآن الكريم . وكلها تبدأ بالأمور الصغيرة . التي يتعصب لها أفراد جهلاء . لأن النصارى قد جاء عنهم بأنهم يعبدون الله على جهل وضلال . ثم يتسع النطاق لتصبح عقيدة راسخة تتناقض مع سلامة الوحدانية لله عز وجل . وقد أوضح ابن حزم في الملل والنحل . أن النصارى

فرق منهم أصحاب أريوس وكان قسيساً بالأسكندرية . ومن قوله : التوحيد المجرد . وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله التي خلق . وبولس الشمشاطي وكان بطريركاً بأنطاكية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليه السلام . خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر . وأنه إنسان لا إلهية فيه . لكنه لا يدري ما الكلمة ولا روح القدس ... فحاربهما الأساقفة على اتجاهما هذا .

= وقد نشأ عن ذلك في بدء النهضة الأوربية الحديثه ، صراع بين الامبراطوريين والبابوية . من أهمها صراع فريدريك بعد انتخابه امبراطوراً رومانياً . وسبب ذلك الصراع أن فريدريك كان هدفه أن يجعل إيطاليا وصقلية مملكة موحدة في إطار الامبراطورية . ولكن البابوية التي لها أملاك واسعة في إيطاليا كانت تعتقد أن ذلك قد يؤدي لجعله قوياً .. عندما بدأ الصراع من منطلق عقيدة البابا : بأن الله منحه سلطه تنصيب وخلع الملوك . أما الامبراطور فليست لديه مثل هذه السلطة .. لكن فريدريك أعلن كذبة مماثلة : بأنه استمد نفوذه الدنيوي من الله مباشرة . وبذلك نفي الواسطة التي هي سلاح في يد البابا . فاشتد الصراع والصدام . حتى مات فريدريك عام ١٢٥٠م ونجمه في صعود . فحرك ذلك الكنيسة فيما بعد لإدخال طقوس على الناس من أجل ترسيخ ما يدين بها القائمون عليها في قلوب العامة (عن موسوعة المعرفة) .

= وعند ما دخل الإسلام بلاد الشام كان من الشروط التي فرضت على النصارى حتى لا يؤثروا في المسلمين . وعرفت باسم الشروط العمرية . وقد خرجت في عدة كتب منها كتاب لابن القيم رحمه الله تحت عنوان شرح الشروط العمرية . قولهم : ألا نخرج باعوثاً ولا شعانين . ولا نرفع أصواتنا مع موتانا . ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين .. وقد فسر الإمام أحمد الباعوث بقوله :

يخرجون كما تخرج في الفطر والأضحى . وأما الشمانين فهي أعياد لهم . والفرق بينها وبين الباعوث . أنه اليوم والوقت الذي ينبعثون فيه على الاجتماع والاحتشاد . إذ كان من عادتهم إظهار النيران معهم إما بالشمع أو السرج أو المشاعل ونحوها .

فأما إيقاد النار في المنازل والكنائس . ولم يظهروها . فيقول ابن القيم رحمه الله : لا ينبغي أن يتعرض لهم فيها . ذلك أن الله سمى أعيادهم زوراً . والزور لا يجوز إظهاره (عن الشروط العمرية)

وما أكثر اليوم ما يرى من اهتمام بالشموع والاضاءات في أعياد رأس السنة والميلاد . الذي هو من أعيادهم في كثير من ديار المسلمين .

= وفي أيام الأندلس الأخيرة . عند ما أسقط فرديناند وزوجته ايزابلا دولة العرب وأخرج آخر ملوكهم محمد بن الأحمر إلى ديار المغرب . اجتهدا في طمس معالم الإسلام . حيث استعملت أساليب وأكد على القساوسة باشعار الملأ عما يجب عمله ضد المسلمين . فصدرت تشريعات باسم الدين لمحاربة المسلمين (الموركسيين) كما جاء في كتاب نهاية العرب في الأندلس تأليف محمد عبد الله عنان . موثقة بالنقل عن مؤرخيهم . وامتد الأمر إلى محاكم التفتيش . ثم طرد من رأوه مصراً على الإسلام خفية إلى شمال أفريقيا .

= ومنذ سنوات قليلة كتبت صحفية أمريكية تهاجم الكنيسة ورجالها . وأنهم أساؤا إلى المرأة ولم يعطوها حقوقاً في التشريع الديني . حيث لا يوجد لها ذكر في الأناجيل . بينما المرأة في الإسلام قد اهتم بها القرآن وحظيت بنصيب الأسد في السنة .. فما كان من القساوسة إلا أن اجتمعوا . وأصدروا أمراً بإعداد طبعة جديدة لأحد الأناجيل . ليكون فيه خطاب للمرأة في التشريع أسوة بالرجل .

فهذا فارق كبير بين أصالة الإسلام وعالمية تشريعاته الثابتة الراسخة ، وبين ضعف كل ديانة لم تنبع من أصل واسع ، وصدق الله : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية : ٧٦) ، ودور المسلم الحرص على الحق الذي منحه الله إياه ، وعدم التقليد لأيّ نحلة تخالف أمر الله ، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن مخالفة أهل الكتاب في كل أمر حتى لا نركن إليهم فتزل قدم بعد ثبوتها .

يقظة المنصور :

قال عتبة الأزدي : دخلت مع الجند على المنصور ، فارتابني ، فلما خرج الجند أدناني وقال لي : من أنت ؟ فقلت : رجل من الأزد،وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمرو بن حفص ، فقال : إني لأرى لك هيبة ، وفيك نجابة ، وإني أريدك لأمر ، وأنا به معني ، فإن كفيتنيه رفعتك ، فقلت : إني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيّ ، فقال : أخف نفسك ، واحضر في يوم كذا .

فغبت عنه إلى ذلك اليوم وحضرت ، فلم يترك عنده أحداً ، ثم قال لي : اعلم أن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم ، وألطاف بلادهم ، فخذ معك عيناً من عندي ، وألطافاً وكتباً ، واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن ، فاقدم عليه متخشعاً ، واذكر له أن الكتب على ألسنة أهل تلك القرية ، والألطاف من عندهم إليه ، فإذا رآك فإنه سيردّك ، ويقول : لا أعرف هؤلاء القوم ، فاصبر عليه وعاوده ، واكشف باطن أمره .

فأخذت كتبه والعين والألطاف ، وتوجهت إلى جهة الحجاز ، حتى قدمت على عبد الله بن الحسن ، فلقيته بالكتب ، فأنكرها ونهرني ، وقال : ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم أنصرف ، وعاودته القول ، وذكرت له اسم القرية ، وأسماء أولئك القوم ، وأن معي

الطاماً وعيناً .

فانس بي ، وأخذ الكتب ، وما كان معي ، فتركته ذلك اليوم ، ثم سألته الجواب ، فقال : أما كتاب فلا اكتب إلى أحد ، ولكن انت كتابي إليهم ، فاقرأهم السلام ، وأخبرهم أن ابنيّ : محمداً وإبراهيم خارجان لهذا الأمر ، وقت كذا وكذا .

فخرجت من عنده ، وسرت حتى قدمت على المنصور ، فأخبرته بذلك ، فقال لي : إني أريد الحج ، فإذا صرت بمكان كذا وكذا ، وتلقّاني بنو الحسن ، وفيهم عبد الله ، فإني أعظمه وأكرمه ، وأرفعه وأحضر الطعام ، فإذا فرغ من أكله ، ونظرت إليه ، فأمثل بين يديّ ، وقف قدّامه ، فإنه سيصرف وجهه عنك ، فدر حتى تقف من ورائه ، واغمز ظهره بإبهامك حتى يملأ عينيه منك ، ثم انصرف عنه ، وإياك أن يراك وهو يأكل .

ثم خرج المنصور يريد الحج ، حتى إذا قارب البلاد ، تلقّاه بنو الحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، فحادثه ثم طلب الطعام للغداء ، فأكلوا منه ، فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ، ثم أقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء ، ولا تكيد لي سلطاناً

قال ، فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين .

ثم لحظني المنصور بعينه ، فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله ابن الحسن ، فأعرض عني ، فدرت من خلفه ، وغمزت ظهره بإبهامي ، فرفع رأسه ، وملأ عينيه مني ، ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور ، وقال : أقلني يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، فقال المنصور : لا أقالني الله إن لم أقتلك ، وأمر بحبسه ، وجعل يتطلّب ولديه : محمداً وابراهيم ، ويستعلم أخبارهما (المستطرف : ٩٤/٢) .

للمناقشة العلمية :

بحث في التقليد والتلفيق

[الحلقة الثانية]

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله رحماني
تعريب : محمد رحمة الله الندوي المظفرفوري

ويستدل على ثبوت التقليد بتلك الأحاديث والآيات القرآنية التي أمر فيها بمراجعة العلماء وأولى الأمر من الأمة ، وكذلك يحتج على إثباته بالإجماع ، وذلك لأن التعامل كان جارياً بالاستفادة من العلماء والعمل بفتيا المفتين في القرون المشهود لها بالخير ، ولا ينكر عليهم في ذلك (١) .

لكني كما اعتقد أن هناك دليلا واضحاً مهماً لثبوت التقليد غير الدلائل التي تقدمت وهو « اضطرار العامة إليه » والحاجة ماسة إليه لكي لا يلزم التزام تكليف ما لا يطاق ولسد باب اتباع الهوى ، ومن الناس من انكروا التقليد و جعلوا أهله ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ والذين جحدوا بالتقليد وردوا عليه رداً قاسياً « العلامة ابن حزم » و « الإمام ابن القيم » وأنا أعتقد انهم لا ينكرون نفس التقليد ، لأن الإمام ابن القيم لو أنكر التقليد في جانب فإنه في جانب آخر سلم « الاتباع » (٢) والاتباع لا يعني إلا التقليد ، بل انهم انكروا التقليد الشخصي أو التقليد الجامد الذي ترد فيه النصوص الواضحة السريحة من أجل أقوال الفقهاء .

أما دلائل جاحدي التقليد فحسبنا للرد عليهم أنه لو منح مفتاح التحليل والتحريم في أيدي الفقهاء ويحلوا محل الشارع فلا نقاش في أنه يرادف منحهم درجة ﴿ أرباباً من دون الله ﴾ لكن الواقع لا يصدق ذلك كلياً ، لأننا ننزل المجتهدين منزلة الشراح والمفسرين ،

---

(١) أنظر للتفصيل الإحكام الآمدي : ٤/٢٢٥-٢٣٤ .
(٢) أنظر اعلام الموقعين للإمام ابن القيم رحمه الله .

ونعتمد على ما شرحوا من الكتاب والسنة ، ثم القول بأنهم يرادفون « الشارع » قول يبتني على التعسف المحض ويبعد عن الواقعية .

التقليد الشخصي :

وما أسلفنا حتى الآن كانت صلته بالتقليد المطلق الذي لا يلتزم فيه المقلد بتقليد فقيه واحد أو بمذهب فقهي خاص ، بل هو يقلد أشخاصاً عديدين ومذاهب مختلفة في مختلف الأحكام ، ونوع آخر من التقليد نعبر عنه بالتقليد الشخصي ، ويعني الالتزام بإمام واحد أو مذهب واحد ويقبل اجتهاداته وشرحه وبيانه ولا يحيد عنه قيد شعرة .

وقد نقل الإمام ابن الهمام عن الزركشي أن التقليد الشخصي ليس بواجب لدى الجمهور ، « ثم جمهور العلماء على أنه لا يلزم على المقلد التمذهب بمذهب والأخذ برخصه وعزائمه (١) » يقول الإمام الآمدي : « ان التزامه بمذهب معين غير ملزم له » (٢) .

وهذا ما رجحه ابن برهان والإمام النووي وغيرهما ، يقول الشوكاني : اختلف المجوزون للتقليد ، هل يجب على العامي التزام مذهب معين في كل واقعة فقال جماعة منهم : يلزمه ، وقال آخرون : لا يلزمه ورجحه ابن برهان والنووي (٣) .

ولذلك نرى الفقهاء أنهم يختارون للتقليد الشخصي تعبير الجواز دون الوجوب على وجه العموم .

يقول العلامة ابن نجيم : « يجوز تقليد من شاء من المجتهدين ، وان دونت المذاهب ، كاليوم ، وله الانتقال من مذهبه (٤) » .

لكن الواقع أن التقليد الشخصي كذلك أمر لا مناص منه في عصرنا هذا ، وقد احتج بعض العلماء على وجوبه بطراز عقلي

---

(١) تيسير التحرير : المجلد الرابع ، ص/٢٤٧ .
(٢) الإحكام الآمدي : ٤/٢٤٣ .
(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ، ص/٢٥٣ ، طبع المكتبة الأثرية شيخوفوره باكستان
(٤) البحر الرائق : ٦/٢٦٨ .

وحاولوا أن يثبتوه في عصر الصحابة والتابعين . لكن كل ذلك فيه ضعف ونظر بل تكلف محض . لأن تقليدهم كان لا يعني سوى أنهم كانوا يعتمدون على فهم واحد أكثر من غيره فحسب . ولم يكن مثل هذا التقليد الذي هو يروج اليوم . والذي يلتزم فيه اتباع إمام معين في جميع قضايا الحياة وأحكامها الشرعية .

فقد تبين أن إثبات التقليد الشخصي من الكتاب أو السنة أو وجوده في القرون المشهود لها بالخير أمر صعب لا يأتي في الإمكان . لأن التقليد الموجود في العصر الراهن لم يكن يتروج حتى القرن الرابع الهجري .

يقول الإمام ولي الله الدهلوي : « اعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخاص لمذهب واحد بعينه » (١) .

وكذلك دعوى الاجماع على التقليد الشخصي دعوى بغير دليل ، لأن الأئمة المجتهدين بأنفسهم لم يأمروا به قط بل إنهم نهوا عنه ، وقد وجد عدد كبير من العلماء في عصورهم أنكروه ، فلو لم نقل بوجوبه في العصر الحاضر- الذي يمتاز بالتباعد عن التعاليم الإسلامية وفقدان والورع والتقوى من الله عز شأنه وتفاقم الأهواء والشهوات النفسانية والطمع والأسقام الخلقية الأخرى وميل مدعى العلم إلى أصحاب الحكم والسلطة - سوف يقع الدين فريسة للفتن وتتطرق إليه دوافع اتباع الهوى والاستسلام الكامل أمامه .

وفيما يأتي نضرب بعض الأمثلة : لو شرب أحد الخمر التي لم تصنع بالعنب قدر ما لم تسكره فهي حلال لدى الفقهاء الحنفية ، وينسب إلى المالكية أنهم يجوزون الاستمتاع بالزوجة بطريق غير فطري (في غير موضعه) وكذلك « المتعة » . وجوز بعض علماء الحجاز سماع آلات اللهو ، وأباح بعض منهم الزيادة والنقصان في مبادلة الثمنين - الذهب والفضة - إذا كانت يداً بيد . وقال بعض منهم بالجمع بين الصلاتين دون أي عذر . وكذلك جوز بعض علماء العراق

(١) حجة الله البالغة : المجلد الأول . ص/٣٦٨ .

الأكل والشرب بعد طلوع الفجر الصادق حتى طلوع الشمس . واللعب بالشطرنج مباح لدى الإمام الشافعي . ويرى بعض العلماء أنّ النظر إلى المخطوبة جائز وهي عارية عن الثوب والستر . ويرى أصحاب الظواهر أن المبادلة الربوية جائزة في كل شئ غير الأشياء الستة التي ذكرها الحديث الشريف .

هذا ومثله كثير من التفردات المنقولة عن الفقهاء . فلو لم نقل بلزوم التقليد الشخصي ونوسع المجال للاستفادة من جميع المناهل والمذاهب الفقهية فالذين طاشت عقولهم وقويت شهواتهم واقتعد غاربهم الهوى سوف يتجاوزون حدود الشريعة الغراء . ويفسحون مجالهم في الإسلام من وراء حجاب « الاجتهاد » فلابد من إلزام تقليد شخصي على الجماهير في هذا العصر .

حصر التقليد الشخصي في الأئمة الأربعة : ومن مقادير الله تعالى أن معظم الفقهاء الذين تعرفنا عليهم وسمعت آذاننا أسماءهم من السلف الصالحين لا يوجد مذهبهم الفقهي في شكل مدون مرتب . بل انتشرت آراؤهم في مختلف الكتب الفقهية وأبواب الفقه . وكلها في قلة قليلة لا تسع الإرشاد إلى اتجاه سليم إسلامي في جميع شعب الحياة ومجالاتها . بل يتضيق نطاقها . وهي محدودة .

وهؤلاءهم الأئمة الأربعة – أبو حنيفة (٨٠–١٥٠هـ) الشافعي (١٥٠–٢٠٤هـ) ومالك ٩٣–١٩٧هـ) أحمد بن حنبل (١٦٤–٢٤١هـ) الذين دوّنت مذاهبهم ووصلت إلينا بكل جمع وترتيب .

فإن التقليد تنحصر دائرتها في مذاهب هؤلاء الأئمة الأربعة دون غيرهم . ولا محيص عن أن يلزم تقليد أحد منهم رحمهم الله تعالى .

يقول العلامة ابن الهمام : « وبنى على هذا الذي ذكر من إجماع المحققين وما ذكر بعض المتأخرين وهو ابن الصلاح منع تقليد غير الأئمة الأربعة ... لانضباط مذاهبهم وتقييد مسائلهم . ولم يدر مثله في غيرهم الآن » (١) .

---

(١) تيسير التحرير : ٢٥٦/٤ .

ولا يعزبن عن بال أحد أنه ليس هذا رأي ابن الهمام فحسب . بل هو رأي المحقق الجليل المحدث الجليل العالم الكبير متنور الفكر الإمام ولي الله الدهلوي . يقول : « منها أن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة أو من يعتد منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا . وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى . لا سيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جداً واشربت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه » (١) .

ومعلوم لدى كل عالم خبير أن الدكتور محمد إقبال في قائمة الذين تجرعوا كووساً من مراكز العلم الغربية في الماضي القريب وهم يلمون بالعلوم الإسلامية إلماماً غايراً عميقاً كذلك . والذين يدعون أنفسهم بـ ممثلى الفكر الحديث والطراز الجديد هم كذلك يعتبرون الدكتور محمد إقبال متنور الفكر وصاحب النظر والذهن الثاقب وهو يقول : إن الاقتناع باجتهاد الأسلاف خير من فتح باب الاجتهاد في هذا الزمن الذي أصيب بالانهيارات العلمية والذهنية والخلقية . وفي بعض أبياته هو يعتبر « التقليد » رمزاً لوحدة الأمة وتضامنها . و ينكر أشد الانكار على منح الجماهير حق شرح القرآن وبيان الشريعة . ويحذر من عواقبه الوخيمة .

فكما أن النظر إلى الجمود في التقليد وأدنى انحراف من المذهب الفقهي يعتبر انحيازاً عن الكتاب والسنة وعصياناً لله ورسوله ، ويضاد روح الشريعة الإسلامية وطبيعتها . كذلك لا يمكن أي منصف عارف بأحوال العصر وظروفه أن ينكر الحاجة إلى التقليد الشخصي وكونه ضرورة للجماهير .

التقليد الجزئي وقضية التجزئ في الاجتهاد :

والقضية التي تأتي في قائمة قضايا التقليد هي : هل يجوز لرجل أن يجتهد بنفسه في طائفة من المسائل واستخراج أحكامها باستخبار النصوص و المبادئ الأصولية الفقهية و الاجتهادية و يقلد

---

(١) حجة الله البالغة : ٢٧٦/١ .

مجتهداً ويتبعه في مسائل أخرى ، مثلاً إنه يجتهد بنفسه في الأحوال الشخصية وباب العبادات والمعاملات والأقضية وغيرها ويعتمد على رأي فقيه في مسائل شتى غير تلك المسائل ، وهذا هو ما عبر عنه الفقهاء « بالتجزئ في الاجتهاد » وهذا أمر مسلم لدى معظم العلماء والمحققين الذين يعتد بهم ، وهم يقولون بالاجتهاد في بعض شعب الحياة و التقليد في أخرى . وهذا ما اختاره أصحاب الظواهر والمالكية وبعض من الحنابلة .

يقول الأستاذ أبو زهرة : ولقد قال بعض المالكية وبعض الحنابلة ، كما قال الظاهرية : أن الاجتهاد يتجزأ (١) ، وبه يقول الإمام الغزالي والرافعي وابن دقيق العيد .

يقول الشوكاني : قال ابن دقيق العيد : وهو المختار ، لأنها قد تمكن العناية بباب من الأبواب الفقهية حتى تحصل المعرفة بمآخذ أحكامه (٢) .

وبه قال الآمدي (٣) : وقال العلامة ابن الهمام : « ... على القول بالتجزئ ، وهو الحق » (٤) .

والواقع أن رأي الإمام ابن الهمام هو متقارب إلى الصواب ويبتني على الصحة ، وذلك لأن معظم الأصوليين قد أمروا المقلدين في الأحكام الفروعية بالاجتهاد في الأحكام الأصولية والعقدية ، ومعلوم أنه نوع من « التجزئ » في الاجتهاد ، ولأن العلماء الذين كانوا حائزين على منصب الاجتهاد باتفاق من الأمة لم يكونوا اجتهدوا في بعض المسائل ، وحينما سئلوا عنها أظهروا عدم إدراكهم .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « و هذا مالك رضي الله عنه قد

---

(١) أصول الفقه للإمام أبي زهرة : ص/٣١٨ ، طبع دار الفكر العربي ، القاهرة .
(٢) كتاب إرشاد الفحول : ص/٢٥٥ .
(٣) الإحكام الآمدي : ١٧١/٤ .
(٤) تيسير التحرير : ٢٤٦/٤ .

استجاب في ست وثلاثين مسألة أو تزيد بقوله - لا أدري - وما قال إلا لفقده العلم بالدليل . وما زال بذلك وصف الإمامة عنه . بل إنه الإمام المجتهد . إمام دار الهجرة حقاً وصدقاً (١) » .

قال الزركشي : « وكلامهم يقتضي تخصيص الخلاف بما إذا عرف باباً دون باب . أما مسألة دون مسألة فلا يتجزأ قطعاً (٢) » .

فالذين يقولون بالتجزئ في الاجتهاد إنما يقررون ذلك صواباً فيما إذا كان هناك شخص يعتمد على الاجتهاد بالتجزئ ويكون مقلداً في الأحكام الأخرى .

يقول الإمام أمير بادشاه : « غير المجتهد المطلق يلزمه التقليد . وإن كان مجتهداً في بعض مسائل الفقه . على القول بالتجزئ للاجتهاد . ويلزمه التقليد مطلقاً فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه من الأحكام بناءاً على نفي القول بالتجزئ (٣) .

وفي اعتقادي أن الذين يقولون بالتجزئ في الاجتهاد قولهم مقارن للقياس ويستسيغه العقل السليم . وذلك لوجوه :

١- القائلون بالتقليد في القضايا العملية الفرعية أيضاً يلزمون الاجتهاد في باب المعتقدات . ويتبين من ذلك أن هؤلاء قائلون بالتجزئ في الاجتهاد كذلك .

٢- ما يحكى عن الإمام مالك أنه أجاب على شتى الأسئلة بقولـــه : « لا أدري » .

وهذا أقوى دليل لأولئك الذين لا يشترطون للمجتهد أن يكون قد اجتهد في سائر الأحكام وقضايا الحياة . سيما إذا سلم هذا الأمر في هذا العصر . ذاك أن البراعة الكاملة في سائر العلوم التي يتطلبها الاجتهاد لرجل مجتهد أمر صعب . وعن طريق هذا التجزئ يمكنه أن يبرع في قسم خاص من العلوم الإسلامية ويتخصص فيها حتى يتمكن من الاجتهاد فيه .

(يتبع)

---

(١) أصول الفقه لأبي زهرة : ص/٣١٩ .

(٢) إرشاد الفحول : ٢٢٣ .

(٣) تيسير التحرير : ٤/٢٤٦ .

كتب الضعفاء

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي
أستاذ بكلية الشريعة – بجامعة ندوة العلماء

تمهيد إلى كتب الضعفاء :

لقد أفردت مؤلفات كثيرة ضافية في الضعفاء والمجروحين ، ولم يزل التأليف فيها من القرن الثالث إلى القرون المتأخرة ، وكانت عناية المحدثين بهذا الموضوع أكثر بكثير من عنايتهم بموضوع الثقات .

وقد كانت الكتب التي ألفت في هذا الموضوع في الفترات الأولى من تاريخ هذا العلم تسوق أحاديث الراوي وتعتني بأمر اللقاء والأخذ وكيفيتهما ، حتى يكون بيان ضعف الراوي مصحوباً بأسبابه وأدلته .

وكان الإمام البخاري من أوائل من ألف في موضوع الضعفاء بتفصيل واسهاب ، ثم اختصره في كتابه الصغير للضعفاء ، واقتصر النسائي على كتاب صغير في الموضوع .

وقام ابن عدى لأول مرة بدراسة موسعة في الرجال الضعفاء والرجال الذين تكلم فيهم ولو أدنى كلام ، حتى يكون سجلا جامعاً يجمع كل من جرح في هذا العلم ، وكان عملا استقصائياً استغرق مجلدات كبيرة ، إلا أن كثيراً من الثقات دخلوا في المجروحين ، لأنه لا يسلم من الجرح أحد ، وما بقي امام إلا وقد تكلم فيه متكلم .

واستمر العمل على التأليف في الضعفاء بين مجلدات مطولة ومختصرة ، ولكن أصبح عمل ابن عدى فيما تلاه من الزمن رائداً ومرجعاً ، كما أن كتاب ابن حبان في المجروحين كان يحمل أهمية

كبيرة . وكان كتاب (الضعفاء) للعقيلي أيضاً من المراجع المهمة التي يرجع إليها المحدثون مع الانتقاد الشديد الذي تناوله به الذهبي .

وقد كان الذهبي مصب علوم الرجال . فألف عدة كتب في الضعفاء . كما ألف كتباً عديدة في الجمع بين الثقات والضعفاء . واستوفى الموضوع إلى حد كبير .

ثم قام المحقق الناقد الحافظ ابن حجر فاستدرك على الذهبي رجالاً كثيرين . وقصر عمله على الضعفاء الذين لم يذكروا في (تهذيب الكمال) . وإذا كان عمل الذهبي ميزاناً عادلاً . فإن عمل ابن حجر لسان هذا الميزان العادل .

واكتمل بهذه الكتب المتأخرة موضوع الضعفاء . ولم يبق من الضعفاء الذين كانوا يروون الأحاديث أحد إلا وقد سجل اسمه . وكشفت حاله . وحررت مرتبة في العلم والدين . وفي قبول كلامه أو رده إلا قليلاً نادراً .

﴿ إنّا نحنُ نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون ﴾ .

وفيما يلي أقدم الكتب المؤلفة في الضعفاء حسب الترتيب على سني وفيات المؤلفين .

أول من يعرف من المؤلفين في الضعفاء :

١- يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) له كتاب (الضعفاء) (١) .

٢- علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) له (الضعفاء) .

٣- محمد بن عبد الله البرقي المصري الحافظ (ت ٢٤٩هـ) له كتاب (الضعفاء) (٢) .

٤- عمرو بن علي الفلاس الصيرفي (ت ٢٤٩هـ) له كتاب (الضعفاء) وسماه ابن خير (تضعيف الرجال) وقال : انه في جزء صغير(٣)

---

(١) منه بضع ورقات مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث ٢٦٤-٦ . وانظرة سائب (سركين تاريخ التراث العربي ١/٢٩٢) .

(٢) الرسالة المستطرفة : ١٤٤ . (٣) فهرسة ابن خير : ٢١٢ .

وذكره السخاوي في الإعلان (١) .

٥- البخاري (ت ٢٥٦هـ) له (الضعفاء الكبير) (٢)

و (الضعفاء الصغير) (٣)

وهو برواية آدم بن موسى الخواري ، مرتب على حروف المعجم ولكنه لا يلتزم ذلك بدقة فقد ذكر (باذام) بعد ما ذكر (بشر وبزيع) أما تقديم بشر فإنه تكرر ، ولكن (بزيع) لم يتكرر فتقديمه على خلاف طريقته .

وطريقة البخاري أنه يقدم المكرر ، ويخالف بذلك الترتيب على الحروف ، والتراجم مختصرة جداً ، يذكر الاسم واسم الأب والكنية والنسبة إلى القبيلة أو البلد ثم يذكر الحكم على المترجم بعبارة وجيزة كأن يقول :

(كثير الوهم) (منكر الحديث) (ليس في دينه بذلك) (فيه نظر) وغير ذلك ، أو يذكر موقف غيره من الراوي كقوله :

تركه ابن المبارك ، أو (كان أبو نعيم يتكلم فيه) .

وباب (الظاء) خلو من التراجم ، ليس فيه شئ ، وانتهى من الأسماء عند (ياسين بن معاذ) ثم ذكر ثلاث كنى ، والكتاب في حجم صغير .

٦- أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت ٢٥٩هـ)

له كتاب (الضعفاء) (٤) .

وقد بقي منه ٢٤ ورقة باسم (الشجرة في أحوال الرجال) وهي

---

(١) ص ٥٨٦ .

(٢) مخطوط في باتنه : ٥٥٧/١ ، رقم/٢٩٢٢-٢٩٢٧ (أنظر بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٧/٣) .

(٣) طبع في دائرة المعارف بحيدرآباد - ومعه كتاب المنفردات والوحدان للإمام مسلم ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ، وطبع في باكستان مع كتاب التاريخ الصغير له ، والضعفاء والمتروكين للنسائي بتعليقات شمس الحق العظيم آبادي ومحي الدين الاله آبادي .

(٤) مخطوط في دار الكتب الظاهرية حديث ٢٤٩ ، ويقع في ٢٤ ورقة .

تمثل النصف الثاني من الكتاب ، ورقم الصفحة الأولى منه (٢٧) فالمقدار المفقود من الكتاب ٢٦ ورقة .

ويتناول الكتاب اسماء الرواة وعبارات في جرحهم فقط ، ويتشدد في جرحه على الكوفيين من أصحاب علي رضي الله عنه ، لأجل المذهب ، لذلك قال ابن حجر : لا عبرة بحطه على الكوفيين (١) .

٧- أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ)

له كتاب (الضعفاء والمتروكين) (٢) ويقتصر الكتاب على أسماء الرواة وبيان جرحهم ، وقد رواه سعيد بن عمرو البرذعي عنه .

وهناك مخطوط آخر باسم (الضعفاء والمتروكون من أصحاب الحديث) (٣) لأبي عثمان سعيد بن عمرو البرذعي (ت ٢٩٢هـ) والكتاب يجمع أقوال أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين في اجابة أسئلة سألها البرذعي فجمعها وألف بينها في هذا الكتاب ويظهر أنه نفس الكتاب السابق (٤) .

وذكر له كتاب في (تهذيب التهذيب) باسم (أسامي الضعفاء) وقد يكون هو الكتاب الذي تقدم ذكره .

٨- أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ)

له (الإجابات عن أسئلة أبي عثمان سعيد بن عمرو بن عمار حول الضعفاء والكذابين) (٥)

جمعها ابن أبي حاتم ، وهي تمثل جزءاً من الكتاب لأبي زرعة الذي جمعه سعيد بن عمرو السائل نفسه .

---

(١) تاريخ السنة المشرفة : ٩٣ .

(٢) مخطوط في كوبريلي تاريخ ٧١٩ ويقع في ٧٦ صفحة .

(٣) مخطوط في كوبريلي ٤٠ رف ، ٧٤٥ ، وعدد أوراقه ٤٠ ورقة ١٧+٢٦ سم ، (أنظر فؤاد السيد : فهرست المخطوطات المصورة التاريخ ٢/٩٥-٩٦ .

(٤) أنظر تاريخ السنة : ٩٣ .

(٥) أنظر تاريخ التراث العربي : ٣٩١/١ .

٩- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)
له (كتاب الضعفاء والمتروكين) (١)

وهو برواية أبي محمد الحسن بن رشيق . بدأ بإبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، وختمه بيمان بن المغيرة ، ثم ذكر بابا صغيرا جداً للكنى .

ورتبه على حروف المعجم معتبراً الحرف الأول من الاسم فقط .

ويكتفي في التراجم بذكر اسم الراوي واسم أبيه وجده أحياناً ، وقد يذكر النسبة ، ثم يذكر عبارات الجرح ولا ينقل الجرح عن الأئمة الآخرين ، وذكر بعض الأحيان بعد جرح الرجل أن فلانا يروي عنه ، كما قال في يحيى بن العلاء : (متروك يروي عنه عبد الرزاق) كأنه يشير بذلك إلى أن (متروك) ليس كلمة اجماع في حق هذا الراوي .

والكتاب مختصر جداً ، أوجز من الضعفاء الصغير للبخاري .

١٠- أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي البصري (ت ٣٠٧هـ)
له كتاب (الضعفاء) (٢)

وسماه ابن خير : (كتاب الضعفاء والمنسوبين إلى البدعة من المحدثين والعلل) فلعل هذه النسخة التي قرأها كان فيها كتاب (علل الحديث) للساجي أيضاً ، فإن المؤلفين في الرجال ذكروا له مصنفاً باسم (علل الحديث) (٣) .

---

(١) طبع في حيدرآباد مع كتاب الضعفاء الصغير للبخاري والمنفردات والوحدان لمسلم ، وطبع في باكستان مع كتابي البخاري (التاريخ الصغير) و (الضعفاء الصغير) بتعليقات شمس الحق العظيم آبادي ومحي الدين الاله آبادي وفي آخره رسالة للنسائي ذكر فيها من لم يروعنهم إلا واحد وذكر كبار الكذابين ثم أشار إلى الطبقات بإيجاز وختمها بطبقة عبدة بن سليمان (ت ١٨٨هـ) .

(٢) ابن خير : فهرسة ٢١٠ ، والسخاوي : الإعلان ٥٨٧ واقتبس منه ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٥١/١ .

(٣) أنظر موارد الخطيب : ٣٢٥ .

١١- أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧هـ)

له (الضعفاء) (١)

١٢- محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت ٣١٠هـ)

له كتاب (الضعفاء) (٢)

١٣- أبو جعفر محمد بن عمرو العُقيلي (ت ٣٢٢هـ)

له كتاب (الضعفاء) (٣)

وقد وصل إلينا هذا الكتاب ، وهو يترجم فيه للضعفاء سواء كان الضعف في عدالتهم أو ضبطهم ، فقد ذكر من نسب إلى الكذب ووضع الحديث ، ومن غلب على حديثه الوهم ، ومن يتهم في بعض حديثه ، ومن هو مجهول روى ما لا يتابع عليه ، وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وان كانت حاله في الحديث مستقيمة ، كما ذكر بابا في تليين أحوال من نقل عنه الحديث ممن لم ينقل على صحة ، والكتاب مرتب على حروف المعجم لكنه لا يراعي ذلك بدقة (٤) .

١٤- أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجاني الأُستراباذي (٥) (ت ٣٢٣هـ) له كتاب (الضعفاء) (٦)

وهو في عشرة أجزاء (٧) .

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢٠٥/١ . (٢) الرسالة المستطرفة : ١٤٤ .

(٣-٤) منه نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية ، حديث ٣٦٢ وهو ١٢ جزءاً في ٤٥٥ صفحة وهذه النسخة عليها إثبات ملكيات وسماعات في الصفحة الأولى والأخيرة . وذكر بروكلمان وجود نسخة أخرى في برلين ٩٩١٦ (تاريخ الأدب العربي ٢٢٢/٣) وأضاف سزكين أن منه نسخة في تشستربتي ٨٣ و ٣١ يقع في ١٠٨ ورقات (موارد الخطيب : ٣٢٦) .

(٥) أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى الاستراباذي - نسبة إلى استراباذ : بلدة كبيرة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان - كان أحد أئمة المسلمين ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتورع وضبط وتيقظ (تاريخ بغداد : ٤٢٨/١٠) وقال الذهبي : الحافظ الحجة الفقيه .. وله تصانيف في الفقه (التذكرة : ٨١٦/٢) .

(٦-٧) الرسالة المستطرفة : ١٤٤، وتذكرة الحفاظ : ٨١٦/٢-٨١٧ .

١٥- أبو العرب محمد بن أحمد التميمي القيرواني (ت ٣٣٣هـ)
له كتاب (الضعفاء) (١) .

١٦- أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣هـ)
له كتاب (الضعفاء) (٢) .

١٧- محمد بن أحمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ)
له (معرفة المجروحين من المحدثين) (٣) .

وقد كتب ابن حبان مقدمة طويلة نفيسة في بداية كتابه استغرقت ثلاثين ورقة تناول فيها أهمية معرفة الضعفاء وجواز الجرح ، وبين ضرورة التدقيق في أخذ الأحاديث ، واجتهاد الصحابة في حفظ السنن وسؤالهم عن الرجال وذكر بعد ذلك من سلك مسلك الصحابة من التابعين والاتباع ومن تلاهم من أئمة المحدثين ، وذكر دور ومكانة كل من الزهري ومالك وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني والبخاري وطبقته ، ثم ذكر أنواع المجروحين من الضعفاء فجعلهم عشرين نوعاً وهم الزنادقة ، الصالحون الوضاعون ، الوضاعون الكذابون ، الوضاعون استرضاء للملوك والأكابر والاغراض الخاصة ، أهل الغفلة ، المختلطون ، من حدث بحديث ليس من حديثه ، من كان يكذب ولا يعلم أنه يكذب ، من يحدث عن شيوخ لم يسمعهم بكتب صحيحة ، من يقلب الأخبار ويسوى الأسانيد ، من رأي شيخاً وسمعه لكنه حدث بعد موته بحديث لم يحفظه عنه من غير تدليس ، من ذهبت كتبه ولم يكن تام

(١) تهذيب التهذيب . (٢) الإعلان : السخاوي ١٠٩ .
(٣) طبع هذا الكتاب لأول مرة في دائرة المعارف - حيدرآباد - الهند سنة ١٣٩٠هـ في مجلدين عن النسخة القديمة من خزانة كتب أيا صوفيا - استانبول واعتني بتصحيحه ونشره والتعليق عليه حافظ عزيز بيك القادري .
ويشتمل المجلدان على ٦٩٩ صفحة . والكتاب برواية الإمام الدارقطني .

الحفظ . من كثر خطأه . من امتحن بوراقا أو ابن سوء يضع عليه الحديث . من لم يرجع عما ادخل عليه من الحديث مع علمه بذلك . من أخطأ ثم علم فلم يرجع عن خطأه . المعلن بالفسق والسفه . المدلسون . المبتدعة . والنوع العشرون هم القصاصون .

ثم عقد موضوعاً تحت عنوان (ذكر اجناس من أحاديث الثقات لا يجوز الاحتجاج بها) وذكر ستة أجناس .

وقد بين ابن حبان طريقته في تصنيف كتابه بقوله : « وإنما نملي أسامي من ضعف من المحدثين . وتكلم فيه الأئمة المرضيون . ونذكر ما يعرف من أنسابهم وأسمائهم . ونذكر عند كل شيخ منهم من حديثه ما يستدل به على وهي في روايته تلك وأقصد في ذكر اسماءهم المعجم . إذ هو أدعى للمتعلم إلى حفظه وأنشط للمبتدئ في وعيه وأسهل عند البغية لمن أراده .

ويقدم ابن حبان في الترجمة الأنساب . ويذكر بعض شيوخ صاحب الترجمة ومن روى عنه من تلاميذه ونموذجاً من مروياته الضعيفة لبيان علة جرحه . وينقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه بالأسانيد كما يبدى رأيه في معظم التراجم . ويذكر عداده في الأمصار . وربما ذكر عقيدة صاحب الترجمة .

من هذا العرض يتبين ان كتاب ابن حبان من الكتب الجليلة في هذا الموضوع . لكنه يتشدد في الجرح حتى انه ربما جرح بعض الثقات (١) (٢) .

١٨- أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)

له (الكامل في الضعفاء) (٣) : رتبه على حروف المعجم .

---

(١) الذهبي : ميزان الاعتدال : ١/٢٧٤ (ط. البجاوي) .
(٢) من تاريخ السنة المشرفة : ٩٤-٩٦ (بتصرف) .
(٣) مخطوط في تركيا طوبقبو (٣/ألف ٢٩٤٣) وهي نسخة كاملة بخط مقروء . وعدد أوراقه ٢٩٠٠ ورقة وتوجد نسخة ثانية منه في دارالكتب المصرية بالقاهرة ++++

وهو كتاب حافل كبير ما ألف مثله قبله . ذكر فيه كل تكلم فيه بجرح ولو كان من الثقات المأمونين والأئمة المتبعين . وهذا وان كان أخذ عليه ولكنه من حيث استيعاب الجرح . ومن جرح في تاريخ الرواة . يملك فائدة لا يستهان بقيمتها .

« وذكر في ترجمة كل واحد حديثا فأكثر . من غرائبه ومناكيره (١) . وهو في مقدار ستين جزءاً في ١٢/مجلداً . وهو أكمل كتب الجرح وعليه الاعتماد فيها . وإلى ما يقول رجع المتقدمون والمتأخرون (٢) » .

« وحظى الكتاب بتقدير كبار المحدثين والنقاد حتى ان حمزة السهمي لما سأل الدار قطني أن يصنف كتاباً في الضعفاء . أجابه : أليس عندك كتاب ابن عدي ؟ فقال : بلى . قال : فيه كفاية لا يزاد عليه » . يبدو من هذا أن الدارقطني امتنع من تأليف كتاب في الضعفاء . ولكن الواقع أن له كتاباً في هذا الموضوع . فلعل ذلك لتغير رأيه فيما بعد . وشعوره بالحاجة إلى التأليف فيه .

« وقال السخاوي : أكمل الكتب المصنفة قبله وأجلها (٣) » .

ويبدأ الكتاب بمقدمة نفيسة طويلة تزيد عن خمسين ورقة من القطع الكبير تكلم فيها عن تحفظ الصحابة في رواية الحديث ومن استجاز لنفسه الكلام في الرجال من الصحابة و التابعين ومن بعدهم (٤) .

« و يقتصر في التراجم على ذكر أسماء الرواة وأسماء آباءهم و نسبتهم إلى المصر أو القبيلة و يذكر بعض شيوخهم و تلاميذهم و نماذج من رواياتهم

++++ أول ٢٩/٢ ثاني ٢٤٣/١ . ويوجد قسم منه في الظاهرية حديث ٣٦٤ ويبدأ بالجزء الثالث إلى الجزء العشرين ويقع في ٢٨٩ ورقة ، ويوجد جزء منتخب من (الكامل) في الظاهرية أيضاً في اربعين ورقة (فهرست مخطوطات الظاهرية التاريخ : يوسف العش : ٢٢٨-٢٤١) وطبع منه بعض الأجزاء ولا تزال الأجزاء الباقية قيد الطبع .

(١-٢) جمع ابن طاهر أحاديثه ورتبها على حروف المعجم (الرسالة المستطرفة : ١٤٥) .

(٣-٤) موارد الخطيب : ٢٢٨ . .

الضعيفة وينقل أقوال أئمة الجرح والتعديل في بيان حالهم (١) ، ولا يذكر سنى الوفيات إلا قليلاً .

١٩- أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي (ت ٣٧٤هـ)

له مصنف كبير في (الضعفاء) : وهو قوي النفس في الجرح (٢)

٢٠- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)

له (كتاب الضعفاء والمتروكين) (٣)

وقد رتبهم على حروف المعجم . وهو من رواية أبي محمد الحسن ابن علي الجوهري عن الدارقطني .

٢١- أحمد بن علي السليماني (ت ٤٠٤هـ)

له (الضعفاء)

و لم يذكر الذهبي اسم كتاب من كتبه وإنما قال : له التصانيف الكبار، وقال : « وقفت له على تأليف في أسماء الرجال وعلقت منه (٤) » .

٢٢- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)

له (الضعفاء) (٥)

٢٣- حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني (ت ٤٢٨هـ)

له (سؤالات السهمي الدارقطني في الجرح) (٦) .

وهو في تضعيف بعض المحدثين وأقوال أهل الرجال في جرحهم ، مرتب على الحروف (٧) . و يعتبر هذا الكتاب من الكتب التي تجمع بين الثقات و الضعفاء . و ذكر يوسف العش أنه في الجرح فقط .

٢٤- أبو الفضل بن طاهر (ت ٥٠٧هـ)

له (تكملة الكامل) (٨) .

هو ذيل على (الكامل) لابن عدي . وكان ابن طاهر جمع أحاديث الكامل ورتبها على حروف المعجم (٩) .

---

(١) موارد الخطيب : ٣٢٩ . (٢) الرسالة المستطرفة : ١٤٤ .

(٣) مخطوط في الظاهرية مجموع ٢٤ (١١) أنظر فهرس مخطوطات الظاهرية التاريخ يوسف العش ٢٤١-٢٤٢ ، وفهرس مخطوطات الظاهرية حديث : الألباني ٢٧٤ . وذكر بروكلمان وجود نسخة في ايا صوفيا ٢٤٠٥ (تاريخ الأدب العربي : ٢/٢١١ . وهو نسخة كاملة في آخرها مكتوب (آخر الكتاب) .

(٤) تذكرة الحفاظ : ٣/١٠٣٦ . (٥) الذهبي ومنهجه : ص/١٩٧ .

(٦) مخطوط في الظاهرية مجموع ١١١ (ق ٢٠٥-٢١٥) فهرس المخطوطات : الألباني ٣٠٦ .

(٧) والمخطوط يتخلله أربعة أوراق خارجة عنه . وهو بخط ضياء الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ) (أنظر فهرس الظاهرية التاريخ : يوسف العش ٢٤٢) .

(٨) الإعلان : ص/١٠٩ . (٩) الرسالة المستطرفة : ١٤٥ .

كيف يحيي الله الموتى

الأدلة العلمية الحديثة على المعاد الجسدي

عالم النبات يشهد بإحياء الموتى وكذلك علم الأجنة

[الحلقة الثانية]

بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
رئيس الأكاديمية الفرقانية ، بنكلور (الهند)

كيف يكون البعث (ظهور الحياة الثانية) :

ما زلنا نشاهد في دنيا النبات أن الشجر دائماً يخرج من البذر . والشجر بدوره يثمر ويأتي بهذه البذور بعد فنائها تحت التراب على مثال سابق . وهي التي تستطيع أن تنبت أشجاراً جديدة من جنسها . وهذا العمل مستمر على الدوام بدون أي نوع من التغيير و التبديل أبـــداً . و لكن هل فكرت في حقيقة البذرة . شئ صغير لا حياة فيها ولا حراك . مرمي في ناحية . تكمن فيه صورة من شجرة وارفة عظيمة ؟ ولكنك لا تستطيع أن تعرف هذه الصورة بتحليل هذه البذرة . ولا تستطيع أن تقطع حتماً بأن هذه الأجزاء تنشأ عن هذه الأشياء . ثم كيف يمكن اجتماع الخلايا المختلفة لتشكيل عضو من الأعضاء على أسلوب أوتوماتيكي - بالظاهر- أمر يستوقف علماء الطبيعة أنفسهم غارقين في الحيرة والعجب . حتى قال بعض الاخصائيين في البيولوجيا (إف. إتش. إس. كرك) (F.H.S. CRICK) يعترف بقصور دنيا العلم في هذا الباب . فيقول : ليست منطقة عجزنا الواسعة

هي ماذا يجري داخل الخلية ، وإنما هي ماذا يجري فيما بين الخلية . فعلمنا في هذا الباب جزئي محض لأن علمنا ليست فيه كفاية لشرح مشاهداتنا المتراكمة .

But by far the Largest area of our ignorance is not that what happens inside a cell but what happens between the cells. Here our knowledge is fragmentary, since what we know is quite inadequate to explain what we see (1)

فالخلاصة أن هناك عالماً مستقلاً تضمره بذرة صغيرة بين حناياها، يكون في مراحله الأولية مجموعة من عدة خلايا فقط ، كل خلية تنمو وتنشأ في رطوبة الأرض ودفئها ، فتنقسم إلى خليتين ، يعني من واحدة إلى اثنتين ثم من اثنتين إلى أربعة ومن أربعة إلى ثمانية ، ومن ثمانية إلى ست عشرة ، وهكذا يستمر نموها وازديادها في ثواني وساعاتٍ معدودة ، إلى أن تبلغ اللايين والبلايين ، وكل جزء من شجرة أو عضو من جنين في بطن أمه ينمو وينشأ على هذا المثال ، وهذه الكتلة الهائلة من الخلايا تجتمع وتكوّن الأعضاء كلها على طريقة أوتوماتيكية -بالظاهر- لتكون شجرة كاملة أو هيكلاً إنسانياً مجسداً ، ثم يكبر ويضعف ويسترخي ويتلاشي بعد سنوات معدودة ، ولكن أولاد الإنسان أو أثمار الشجرة التي ولدتها خلال حياتها تخلفها لإنبات شجرات مثلها ، وهكذا يجري هذا العمل مستمراً بدون أي انقطاع ، ومن الآيات البينات على خلاقية الله سبحانه بهذه المناسبة أن البذور التي تخلفها الأشجار تكون ميتة لا حركة فيها ولا نشاط ، ولا أي عمل داخلي أو خارجي ، فلو تركت بذرة على حالها طوال سنوات لا يخرج منها شئ ولا يظهر منها رمق من الحياة ، ولكنك إذا دفنتها في أرض رطبة فإذا هي

(1) The Encyclopaedia of Ignorance, P. 302.

تيقظت ، كأنها أفاقت من سبات طويل ، ويعود هذا العمل مثيراً لمادة حياتها الداخلية والتفاعلية (البروتوبلازما) فتنهض للقيام بوظيفتها الطبيعية وأداء دورها الطويل ، وتتحول من مادة حياة خافتة إلى مادة حياة حركية نشيطة .

وتنطوي هذه الظاهرة المدهشة لخلاقية الله تعالى على دروس لنا وعبر، منها :

١- أن الباري تعالى يقدر على إخراج كائن مدهش من ذرّة حقيرة .

٢- يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي (يعني يخرج الحي من العناصر الميتة ، وكذلك يخرج الميت من الأجزاء الحية).

٣- إذا فني شئ بعد الكبر والرثاثة يمكن إعادته مرة ثانية إلى الحياة من ذرّة حقيرة .

وأمامنا أمثلة من الأشجار والنباتات على هذه الإعادة ، من حيث بنية خلاياها ومادتها الأساسية لا تختلف عن خلايا الإنسان وماكينته الداخلية ، فلما أمكن إعادة النباتات إلى الحياة لمرة ثانية فما الذي يمنع إعادة الإنسان مثلها وعلى حذوها ؟

إذاً ينبت الإنسان كما ينبت البقل :

ومن هنا ينبعث سؤال منهم فيقول قائل : إن العملية التخليقية أو ظاهرة الحياة الثانية في النبات الذي نشاهده تبتني أصلاً على البذور التي تلعب دوراً بارزاً في النشأة والنمو ، فبهذه البذور تظهر الأوراق والأثمار حتى تكون شجرة ضخمة قوية ، وعلى العكس من ذلك فلا نجد في الإنسان شيئاً من البذور

يمكن له أن ينَبت به كما تنبت الأشجار حتى يعود في صورة إنسان كامل حيّ متحرك .

والرد على ذلك أنه من وجهة نظر إسلامية أن عظام الإنسان تتضمن نوعاً خاصاً من العظم (كحبة خردل) مثل البذور في الأشجار ، يبقي في الأرض مصوناً محمياً من التحلل والتفسخ والذوبان ، ثم إذا جاء الوقت الموعود أي القيامة ، يرسل الله مطراً خاصاً ينمو به هذا العظم ويزداد على طريقة البذور بنفسها، ويكون هذا العظم يحتوي على جميع خصائص ومميزات الإنسان ، كنسخة مصورة ، كما تحتوي بذرة صغيرة على صورة شجرة كاملة ، فتكون أطراف الإنسان وعناصره وصورته وبنيته ، وبإيجاز كل ما يلزمه ، يأتي على الصورة والحالة الأولى ويخرج الناس كلهم من قبورهم كالنبات ، إلا أن الفارق بين خروج النبات من الأرض وانبعاث الناس من القبور للحياة الثانية أن يكون الثاني دفعة واحدة بدون استدراج مرحلي ، فقد ورد في بعض أحاديث الرسول ﷺ هـــذا البيان الأهم ، كما رواه البخاري – رحمه الله – :

قال رسول الله ﷺ ... ثم ينزل الله من السماء ماءً ، فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شئ إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة (١) .

وجاء في رواية أخرى في صحيح مسلم زيادة من التفصيل والإيضاح : قال رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم يأكله التراب إلا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة عمّ يتساءلون ، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً : ٧٩/٦ ، طبعة استانبول .

عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب (١) » .

وقد صرح الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن عجب الذنب يقال له (عجم) أيضاً ، وهو عجم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع (٢) .

وكما ذكر الحافظ شرحاً مزيداً لحقيقة هذا العجب للذنب ، إشارة إلى حديث آخر من رواية الحاكم وأبي يعلى : « قيل يا رسول الله : ما عجب الذنب ؟ قال : مثل حبة خردل (٣) » .

هذه حقيقة علمية عظيمة ، تحتل مساحة كبيرة من الأهمية في عصرنا المتقدم الزاهر، ومما يعلم بداهة أن الإنسان قبل أربعة عشر قرناً لم يكن يحتاج إلى أكثر من ذلك من العلم ، كما لم يكن يستطيع أن يتحمل تفصيلاً أكثر في هذا الجانب ، فإن قول رسول الله ﷺ هو في أصله كشف عن حقيقة غيبية ، نابعة من وحي الله تعالى ، وقد سهلت الدراسات العلمية الحديثة فهم هذا الإجمال والإبهام ، والأسف أن علماء الإسلام لم يتدبروا بعد هذه الأحاديث التي تحمل في حناياها حقائق علمية باهرة ، ولم يستعدوا لكشف جواهرها وحل ألغازها إلى الحين .

شهادة العلم الحديث :

« مثل حبة خردل » هذا تشبيه بليغ ، يشير إلى شئ صغير جداً كالذرة ، وهذا الشئ الصغير في ضوء البيولوجيا الحديثة لا يكون إلا الخلية التي هي ليست وحدة للحياة فحسب بل هـي

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ما جاء بين النفختين : ٤/٢٢٧١ ، طبعة الرياض .

(٢) فتح الباري : ٨/٥٥٢ ، طبعة الرياض .

(٣) نفس المرجع السابق .

مركز لنشاطات الحياة كلها ومحورها بصورة دقيقة سرية . كما اكتشفها العلم الحديث . فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن خلية واحدة يمكن أن تسبب وجود خلايا مثلها . أي بنفس الخصائص المتحدة التي توجد في الخلية الأولية . فمن الإمكان أن يتكون جسم جديد بأكمله كنتيجة حتمية عن ذلك . ونستشهد على ذلك بأمرين : الأول : جنس النبات الذي يخرج من بذرة صغيرة . والثاني : علم الجنين الذي يدل على ابتداء الإنسان من خليـــة واحدة . وهي مزيج مني الرجل وبويضة المرأة . ويعبر عنها القرآن الكريم بـ (نطفة أمشاج) وهي التي تسمى في علم الجنين باللاقحة (زيجوت) .

وبعد أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا نتأمل الحديث الثاني الوارد في صحيح مسلم و الذي جاءت كلماته بليغة جداً : « منه خلق وفيه يركب » فاستخدمت كلمة الخلق للوجود الأول والتركيب للإعادة . ذلك مثال لدقة العبارة وموافقتها التامة بالمعنى المراد . حيث تدل كلمة التركيب على عدم الخلق مرة ثانية . وإنما هو تركيب الأجزاء وتشكيل العناصر بترتيب ونظام وفق الصورة السابقة . كأن الصورة موجودة بدون خلق جديد . وإنما العمل عمل التلوين والتصبيغ .

وإذا ما قد عرفنا حياتنا الأولى معرفة يقينية . فيجب أن نستيقن كذلك ان حياتنا الثانية يمكن تشكيلها وفق الطريقة السالفة . ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون ﴾ (الواقعة : ٦٢) .

ففي ضوء علم الخلايا (CYTOLOGY) أو (CELL BIOLOGY) وعلم

الاجنة (EMBRYOLOGY) يتيسر علينا فهم حقيقة الحياة الثانية ومعرفة أصل القيامة بدون أي إشكال وصعوبة ، فإذا فكرنا قليلاً رأينا أن عمل المواد الوراثية (الجنينية والكروموسومية)، يجري داخل الخلايا ، وكل خلية تكون بمثابة معمل كامل ، كما علمت سابقاً ، فعلى سبيل المثال الأميبة (AMEOBA) حيي ذو خلية ، وهي أبسط أشكال الحياة ، فكل أميبة تشتمل على خلية واحدة فقط ، وكذلك البروتوزوا (الحيوان الوحيد للخلية) والأنواع الأخرى من الجراثيم تكون حييات ذات الخلية الواحدة ، وهذه الحييات الصغيرة تملأ الجو والبر والبحر (١) ، وكذلك البكتيري الموجودة في الأرض تكون وحيدة الخلية ، وهذه الحييات الوحيدة الخلية تبلغ من الكثرة على وجه الأرض حداً بالغاً ، يقدر وزنها الإجمالي بزيادة خمس وعشرين مرة بالنسبة لسائر الحيوانات الأخرى .

.... the total mass of microbal life on the planet is almost incalculably large - it has been estimated at twenty five times the total mass of all animal life, both aquatic and terrestrial. (2)

وهكذا اقتضت الحكمة الإلهية أن تبث الحييات الوحيدة الخلية في كل مكان ، ليعتبر بها الإنسان ويتبصر في الدروس والبصائر التي أودع فيها بارؤها ، ومنها ما يتحير فيه العقول ان بعض الأنواع من (الميكروبات) تنقسم إلى جزئين بذاتها في إحدى عشرة دقيقة فقط ، بينما معظم أقسامها تعمل هذا في عشرين إلى ثلاثين دقيقة ، وأبطأ أقسامها يأخذ ساعتين إلى ثلاث ساعات لاتمام هـذا العمل (٢) ، و خلايا الميكروبات هـــذه

---

(1) John Postagate, Microbes and Man, Pp. 11-12, Pelican Books, Middlesex, 1977.
(2) Ibid., P.13.
(3) Ibid.

ونظمها تشبه خلايا النبات والإنسان من عدة وجوه فمن هذه الوجهة توجد المماثلة بين جميع دنيا الحياة .

أما المسألة الهامة في هذا الصدد أن الخلية كيف تحيي مرة ثانية بعد ما كانت ميتةً إلى مدة ؟ فلا عجب فيه ، لأن الدراسات الحديثة اكتشفت ان بعض الجراثيم - وبعض البذور كذلك - تحيي مدة طويلة في أوضاع قاسية شديدة ، مثل قلة الرطوبة والغذاء وشدة الحرارة ، وهذه الجراثيم لا تزال حية ساكتة طويلة ، وتتكون مثل البذور في داخل خلاياها ويكتنفها غلاف وقائي ، ويسمى هذا النوع من الجراثيم البوغات أو الأسبورات (SPORES) ، ثم إذا واتت الأوضاع تعود إلى عملها الحيوي مرة ثانية ، كأنها كانت طيلة هذه الفترة في حالة السنة والنوم ، ويمكن بذلك لبعض البذور والأسبورات أن تحيي آلاف السنين :

There are seeds and spores that remain, so far as is known, perfectly dormant and totally without metabolic activity at low temperatures for hundreds, perhaps thousands of years. (1)

إن هذه الجملة الواردة في الصحيحين (البخاري ومسلم) « ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل » تتضمن معنى خاصاً بليغاً .

الأدلة على خالق الكون :

قد ثبت علمياً إن الحياة لا تظهر إلا بأشياء حية لا بعناصر ميتة ، كما أثبت ذلك عالم فرنساوي باسجر (PASTEUR) بالتجارب اليقينية لا مجال فيها للشك ، ثم بالنظرية الكروموسومية تستطيع الحياة المحافظة على خصائصها ، فلا بد

---

(1) Encyclopaedia Britannica, Vol. 10, P. 893, 1983.

من الإيمان بوجود ذات الخلاق العظيم لكشف أسرار الحياة وحل لغز بدايتها . ويحتم ذلك أن يكون خالق هذا الكون من أخرج الحي (مادة الحياة) من العناصر الميتة بصورة مبدئية فحسب ، بل لا يزال يكرر هذه الظاهرة مرة بعد أخرىَ . فينفخ الحياة في الميت ويخرج الميت (كالبذرة والبيضة) من العناصر الحية ، حتى يعود الإنسان الغافل إلى معجزته الخلقية التي عبر عنها القرآن الكريم بكلماته : ﴿ إن الله فالق الحب والنّوى • يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ • ذلكم الله فأنّى تؤفكون ﴾ (الأنعام : ٩٥) .

أليس إخراج شجرة بأكملها وبجميع خصائصها النوعية من بذرة حقيرة ، ثم إخراج هذه البذرة من هذه الشجرة على المثال ، وتكرير هذا العمل مستمراً بدون نقص وزيادة ، تظاهرا فريداً لا مثيل له ، يدل على عظمة قدرته وخلاقيته تعالى ؟ ﴿ أولم يروا كيف يبدي الله الخلقَ ثم يعيده • إن ذلك على الله يسير • قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشئُ النشأة الآخرة • إن الله على كلّ شيٍ قدير ﴾ (العنكبوت : ١٩-٢٠) .

ولا يخفى أن عمل التكرير والإعادة للخلق أيسر وأسهل من الخلق الأول ، ولو كانت هذه مشكلة لكانت عند الخلق الأول ، لأنها في مرحلة الإيجاد من العدم المحض بدون مثال سابق .فلما انعدمت الصعوبة عند المرة الأولى فأي صعوبة في تصوير الموجود وإعداد المزدوج (DUPLICATE) وفق الأصل ؟ فالصانع الذي يعد أولا بطراز معين وسبيكة خاصة لصناعته ، يستطيع أن يصيغ مصنوعات كثيرة على الطراز الأول،ومعلوم بالضرورة

ان الجهد الذي يبذله في إعداد طراز حديث لها لا يحتاج إليه في إخراج صور مثلها . فلا يعجزه هذا العمل في أي حال . فكيف يعجز الخالق القدير الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض ان يحيي الموتى ويرجعها على الخلق الأول ؟

النبات يشهد :

والخلاصة ان النبات بأنواعها يقدم لنا شهادة قطعية ودليلا علمياً على الحياة الثانية من كل جانب من جوانبها المختلفة .

ها هي ذا . أرض ميتة جدبة لا ترى فيها رمقاً من الحياة عديمة الخضرة والنضارة . تتيقظ أثر نزول المطر مليئة بالنشاط والحركة . كأنها كانت في حالة من الغفوة والنعاس . فيغمرها الرواء والبهاء والبهجة . ويحمى فيها وطيس الحياة والانتعاش . وتزين صدرها الألوان والأنواع من الأعشاب والخضار . فكأنما اهتزت مسرورة محبورة بحلل الربيع في أسعد أيام الحياة . و مـا أبدع قوله تعالى في بيان هذا المعنى : ﴿ وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ ﴾ (الحج : ٥) .

فبمجرد ملابسة المطر بالأرض عادت الحياة إلى تلك العناصر الخافتة الهامدة . وأفاقت الكائنات الساكتة الغافية . وقامت فيها الحركة والنشاط . الأرض اليابسة الموات قد تبخترت وترفرفت بوفور الحياة وأروع البسمات واحتفت بأنواع النبات والأشجار والأزهار والثمار . وازدانت بالمناظر الساحرة .

هذه هي الحقيقة العظمى والظاهرة المتحركة التي يقدمها القرآن دليلاً قطعياً على إثبات وقوع الواقعة ووجود الحياة

الثانية : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته • حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلدٍ ميتٍ فأنزلنا بـه المـاء فأخرجنا بـه من كل الثّمرات • كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكّرون ﴾ (الأعراف : ٥٧) .

هذا نوع من البيان العلمي الخالص ، فإن إخراج الألوان والضروب من النباتات والأشجار المتحلية بصنوف الخصائص والطعوم والأشكال ، من ماء بسيط مجرد في كل فصل من الفصول الجديدة ، بحيث لا يدخل في ذلك نوع من التغيير والتبديل ، لا شكلاً ولا لوناً ولا طرازاً ، بل مع الاتحاد الكامل بين عناصرها وأجزائها وأنواع المواد الغذائية فيها ، فالحق ان كل ذلك ليس إلا مظهراً عظيماً من مظاهر القدرة الإلهية ، تراها كأنها تخرج من سبائك متحدة كمصنوعات متحدة من مصنع واحد ، فهل يعجز الله الخالق القدير الذي يملك هذه القدرة العظيمة الخارقة ، عن خلق الإنسان عند القيامة مرة أخرى وفي صورته الأولى التي كان عليها في الدينا ؟؟

﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها • إنّ ذلك لمحيي الموتى • وهو على كلّ شئٍ قدير﴾ (الروم : ٥٠) .

وقال تعالى : ﴿ والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها • إن في ذلك لآية لقومٍ يسمعون ﴾ (النحل : ٦٥) .

(يتبع)

أهداف البحث العلمي وبدهياته

ملاحظات تمهيدية للمبتدئين على درب البحث الأكاديمي

[الحلقة الثانية]

بقلم : دكتور ظفر الإسلام خان

البحث العلمي ليس جمعاً ولا سرداً للمعلومات :

لا ينبغي أن يقتصر دورك على جمع معلومات أو آراء حول قضية ما بدون بحث وتمحيص ، الذي كان أسلوب كثيرين من الكتاب المسلمين القدامى ، ولا يزال يتمسك به إلى اليوم بعض الكتاب التقليديين ، فبدلاً من الجمع والسرد ، وحتى التوفيق والتلفيق ، عليك أن تحاول فهم خلفيات الأحداث ، متجاوزاً ظواهرها ، لكي تدرك الأسباب الكامنة وراء أحداث التاريخ .

ولا يكفي سرد الحقائق أو وضعها في قالب منظم ، بل لابد أن ترافقها دراسة حول الخلفية والعوامل المؤثرة من دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو بيئية ، وينبغي في الدراسات الأدبية أن تحاول تقييم الأعمال التي تتناولها في بحثك مع محاولة تتبع المؤثرات والاتجاهات الأدبية والفنية القديمة أو المعاصرة التي تأثر بها الأديب ، والمحاولات المماثلة التي سبقت العمل المدروس ، وينبغي البحث عما إذا كان العمل المدروس أصلاً ومبدعاً أم محاكاة وتقليداً لآخرين وكيف نظر إليه معاصروه من أدباء ونقاد ، وهل كتبه المؤلف بتأثير من عظيم أو حاكم في عصره ، وهل عمله المدروس يقدم صورة صادقة أم

لا لعصره وأذواق المجتمع الذي عاش فيه .

وعليك بدلاً من اللجوء إلى التوفيق والتلفيق في حالة وجود تناقض صريح أن تحاول الوصول إلى الحقيقة التي لا يمكن أن تكون عموماً إلا واحدة .

وينبغي في دراسة موضوعات عقلانية والفكر الديني كالقانون والفلسفة أن يدرس الباحث تطور اتجاه أو فكرة ما وتطور أفكار جماعة دينية أو فكرية ، وهل أفكارها أصيلة أم لا ، وهل هي مستعارة من حركات سبقتها أو معاصرة لها ، وما هو تأثير العوامل الأجنبية في تطورها ، وإسهام تلك المدرسة الفكرية في تطور الفكر الإسلامي أو الثقافة الإسلامية .

حدود البحث العلمي :

حين تتناول قضية أو حركة أو شخصية أو أي موضوع أدبي أو تاريخي فليس لك أن تبدأ من أيام سيدنا آدم عليه السلام .. فلا ينبغي أن تحاول العودة في رسالتك إلى جذور القضية وأصولها بل عليك أن تلتزم بدقة بحدود بحثك ، ويكفيك أن تشير في الهوامش إلى أهم المراجع التي تتناول الفترة التي سبقت فترة بحثك .. فلو كنت تبحث في القضية الفلسطينية من سنة ١٩١٨م أي منذ الاحتلال البريطاني إلى سنة ١٩٣٥م ، أي قبيل اندلاع ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ضد البرنامج البريطاني لتهويد البلاد ، فليس لك أن تتناول تاريخ فلسطين لما قبل ١٩١٨م إلا كتوطئة في صفحات محدودة ، ويمكنك أن تشير في الهوامش إلى المراجع ، يمكن لمن يرغب في المزيد من التفاصيل أن يرجع إليها ، لكن من الخطأ الكبير أن تبدأ - في هذه الحالة - بدراسة تاريخ فلسطين منذ القدم ابتداءاً من الكنعانيين وبني إسرائيل ، إلخ ...وقد وقعت في هذا الخطأ عندما سجّلت للماجستير بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وبدأت أبحث متخبطا في

مختلف جوانب التاريخ الفلسطيني فأضعت أكثر من سنتين نتيجة عدم توفر إشراف جيد ، إلى أن غيرت الكلية المشرف على رسالتي فنظر في منهج بحثي وشطب منه الكثير الذي لم يكن له من علاقة بموضوع بحثي .. وكانت نتيجة هذه الشطحة أن صدر لي كتابان مما اقتطعته من رسالتي (التلمود ، بيروت ١٩٧٢م) و (تاريخ فلسطين القديم ، بيروت ١٩٧٣م) ولكن ضاع من حياتي العلمية كذلك عدة سنوات بدون لزوم نتيجة هذا التخبط ، ومن أمثال هذا أن الزعيم الهندي محمد علي حين جلس يكتب سيرة حياته وهو مسجون خلال سنوات ١٩٢١-١٩٢٣م فبدأ من أوائل الإسلام وبينما هو يتناول أحداث أوائل حياته الشخصية والسياسية أفرج عنه في أغسطس سنة ١٩٢٣م ولم تمهله حياته الحافلة بالنشاط ليكملها إلى أن مات في ٤/يناير سنة ١٩٣١م وبالتالي حرمنا من مصدر هام لمعرفة حياته السياسية وخفايا عصره التي عاشها بمعنى الكلمة ، وقد نشرت هذه السيرة الذاتية بعنوان :
My Life : A Fragment (Lahore 1942).

فلا ينبغي الإطالة في ذكر خلفية موضوع أو قضية أو شخصية وأعمالها إلا حين تكون غامضة وغير مدروسة من قبل .

موضوعات تاريخية :

ينبغي في الموضوعات التاريخية أن تحاول فهم العصر الذي تتناوله من خلال دراسة التنظيمات السياسية والإدارية السائدة والحركات الاجتماعية و العوامل الدينية و المذهبية و العرقية التي أثرت في تكوينه .

ومصادر الأدب العربي والتاريخ الإسلامي تركز عموماً على الحكام والنخبة ولم تبدأ إلا مؤخراً محاولات بحث أحوال عامة الشعب في العصور السابقة ، ومن هذه المحاولات :

= بوزورث : العالم التحتي (أي عالم الرذيلة) الإسلامي في العصور الوسطى (C.E. Bosworth, The Mediaeval Islamic Under World) .

= حياة ناصر الحجي : أحوال العامة في حكم المماليك ٦٧٨-٨٧٤ ، ١٢٧٩-١٣٨٢م .

= ساباري : الحركات الشعبية في بغداد خلال العصر العباسي .
S. Sabari, Mouvements populaires a Bagdad a L'epoque abbasside, IXe - IXe siecles.

وللدكتور صلاح الدين المنجد في هذا الموضوع: الصعاليك والعيّارون وليوسف خليف أيضاً دراسة في هذا الموضوع .

وقد أسس ابن خلدون (م : ١٤٠٥/٨٠٨) مدرسة بكتابه المقدمة وهو الجزء الأول من تأليفه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤) وهو متوفر في طبعات عديدة وقد ترجم إلى أهم لغات العالم . ودافع محمد بن عبد الرحمن السخاوي (م : ١٤٩٧/٩٠٢) في كتابه: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ عن التاريخ، وبيّن الأخطار التي تصيب المؤرخين لو أهملوا قواعد التاريخ الأساسية .

وعلى الذين يدرسون التاريخ أن يقرأوا كتاب ر. ج. كولينغوود: فكرة التاريخ (R. G. Collingwood, The Idea of history) (ترجمه إلى العربية محمد بكر خليل) وكتاب ر. س. دينتون (تحقيق): فكرة التاريخ في العالم القديم .
R.C. Denton (ed.) The Idea of history in the ancient world.
وبه مقال بقلم : ج. أوبرمان (J. Obermann) حول التصور العربي للتاريخ والأساطير القبلية) وكتاب المرشد لطلبة البحوث العاملين حول موضوعات تاريخية G. Kitson Clark, Guide for research students working on historical subjects (Cambridge 1969).
وكتاب غاردينير : طبيعة التفسير التاريخي Patrick Gardiner, The Nature of historical explanation (Ox ford U.P., 1962).
وكتاب طوقان : (A. Z. V. Togan, Tarihde Usul) مفيد كذلك، وهي يحتوي على ثبت ببليوغرافي مفصل حول المصادر الإسلامية الأساسية والثانوية . وكذلك يمكن الرجوع إلى حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي (ط. ٢ - القاهرة ١٩٦٨م) وأسد رستم ، مصطلح التاريخ ، وفتحية النبراوي ، المنهج في كتابة التاريخ والسياسة ، وعبد العزيز

الدوري : نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، وعلي إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري (القاهرة) وفرانز روزنثال (F. Rosenthal) علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة صالح أحمد العلي (بغداد ١٩٦٣م) وهو ترجمة لكتابه A. History of Muslim– histriography (Leiden 1952)
وكتاب لويس و هولت . مؤرخو الشرق الأوسط Bernard Lewis and P. M. Holt, Historians of the Middle East (Oxford 1962) .
وهذه على سبيل المثال لا الحصر .

اتجاهات أدبية جديدة :

ينبغي أن تكون مطلعاً على الاتجاهات العربية والعالمية الجديدة في دراسة الآداب العربية عملاً بمبدأ « خذ ما صفا ودع ما كدر» .. ونشير بهذه المناسبة إلى ظهور مدرسة نقد جديدة تسمى (Structuralism) منذ نشر كلود ليفي شتراوس كتابه Les Structures elementaires de la parente سنة ١٩٤٩م . وهي تدرس سمات لغة ماكهيكل ونظام ويرى المؤمنون بها أنه يمكن تطبيقها على كل لغة في العالم (١) . وهي مدرسة شائعة في الغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا ، وقد تبناها بعض الناقدين العرب مثل كمال أبو ديب فطبقها على اللغة العربية .

استخدام اللغة السهلة :

عليك باستخدام اللغة السهلة البسيطة التي يفهمها القارئ العادي ، لقد ولي عصر التهلوه اللغوية والسجع والقافية حين كان التركيز على الكلمات البديعة الصعبة أكثر منه على المعاني والمفاهيم . وكان تفسير

(١) أنظر لبعض التفاصيل والمراجع : Alan Bullock and O. Stallybrass, The Fontana Dictionary of Modern Thought (London 1979) pp. 607-8 .

سواطع الإلهام لفيضي (م : ١٠٠٤/١٥٩٥) برهاناً على تبحره في اللغة العربية لخلوه من النقط . أما لو قام بيننا شخص الآن فأفنى سنوات من عمره في عملية عقيمة كهذه فلن يسعنا إلا أن نهزأ منه ونقول : إنه أضاع جزءاً من نعمة العمر التي أعطاه الله تعالى إياها في عمل لا طائل من ورائه .. وإليك معياراً تجريبياً حول بساطة اللغة . فلو شككت في صعوبة أسلوبك أعطِ ما كتبته لخريج من خريجي الثانوية العامة - فهذا هو مستوى القارئ العادي اليوم - فلو اشتكى من صعوبة فهم كتابتك أعِدْها المرة بعد الأخرى إلى أن يفهمها بدون صعوبة وبدون الرجوع إلى المعاجم والقواميس . ولا تستخدم الزوائد من جمل أو كلمات فيما تكتب . ولا يزال بيننا كتّاب يرددون فكرة واحدة بمختلف الأساليب فيستهلكون صفحة كاملة للتعبير عن فكرة كان يمكنهم الانتهاء منها في فقرة واحدة . صحيح أن الأبحاث الأكاديمية تستلزم في بعض الأحايين استخدام المصطلحات والرموز التي لا يفهمها القارئ العادي ولكن لا تكثر منها بدون لزوم وإلا خلت رسالتك وبحوثك من السلاسة والانسياب اللازمين لجذب القارئ لقراءتها إلى النهاية .

ومن المراجع التي ترشدك إلى استخدام اللغة السهلة المرجعان الآتيان . وهما حول استخدام اللغة الإنكليزية البسيطة السهلة المفهومة لعامة القراء وفائدتهما عمومية للكتّاب بأية لغة :

١ - Ernest Gowers, Plain Words (London, HMSO)

٢ - Arthur Quiller-Couch, On the art of writing (Cambridge, 1954)

نصيحة للمبتدئين على درب البحث :

وهناك نصيحة أخوية صغيرة أود أن أقدمها لك : .

لا تهاجم من سبقوك من كتّاب وباحثين تُحترم كتاباتهم .. إن مثل هذه الهجمات أمر محبوب لدى المبتدئين الذين يريدون إبراز أنفسهم

بينما هي مضيعة للوقت والجهد وبالتأكيد لا يستمتع بها آخرون .. وعليك أن تكون إيجابياً وبناءاً . لا سلبياً وهداماً .. فالسلبية والنزعة إلى الهدم لن تضرا أحداً إلا أنت . فبدلاً من أن تركز أنظارك على الأمور الإيجابية . وعلى التعلم ممن سبقوك ستبحث عيناك دوما عن أخطائهم و عوراتهم لا غير . و في نهاية الأمر ستكتسب الشهرة كناقد هدّام .

ونعود في النهاية فنقول : مهما استوعبت هذه الجوانب الفنية وأتقنتها فهي لن تغنيك عن شيئين :

١- إدراك أهمية النظام والسياق فيما تكتب وبالتالي وضع كل معلومة في مكانها الصحيح حيث تكتسب المعنوية في إطار سلس انسيابي .

٢- لغة واضحة سهلة . وقد تكتسب حبا للغة الصعبة بقراءة كتب فنية تخصصية . وقد تحاول التأثير في القارئ باستخدام كلمات صعبة .. ولكن كما قلنا آنفاً . هذا أمر مرفوض في هذا العصر الذي تتسم أدبياته باللغة السهلة السلسة وباستخدام أقل قدر من الكلمات . ولا يلقي كاتب ما قبولاً ورواجاً إلا لو كان يستخدم اللغة السهلة التي يفهمها الجميع . وهذا هو : « السهل الممتنع » في حقيقة الأمر .. وليس هناك من كتاب سيعلمك هذه الأشياء . بل هي راجعة إلى فطرتك السليمة المتقبلة للنقد بصدر رحب . وإلى الأستاذ المشرف أو الآخرين الذين ستعرض عليهم إنتاجك . فيجب عليهم في أول وهلة أن ينبّهوك إلى هذه المساوئ لو كانت موجودة في كتاباتك .

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي
وصلتي بــــــه

[الحلقة الأولى]

سعيد الأعظمي

في رمضان المنصرم عام ١٤١٢هـ ومع غروب شمس الرحمة ودخول عشرة المغفرة استجاب العلامة حبيب الرحمن الأعظمي نداء ربه مغموراً بالرحمة والمغفرة . باذن الله تعالى . وانطفأ ذلك السراج الوهاج الذي أضاءه العلامة المرحوم في مجال العلم والدين وسيما في أوساط أولى الفضل والبراعة من أهل الحديث والسنة وعلم الرجال . إلى مدة تقارب ٧٠/عاماً .

أفل ذلك النجم اللامع الذي تلألأ في سماء العلم والحكمة . ونور مشيخة علم الحديث في هذه البلاد وخارجها . وفقد المسلمون علماً من أعلام الدين والفقه والبصيرة . وفقد علماء السنة والمشتغلون بالحديث وعلومه سنداً قوياً . كانوا يلجأون إليه في قضايا العلم ويعتمدون عليه في المشكلات العلمية والدينية . ويرتوون من مناهله العذبة ويشفون غليلهم . وكلما عرضت لهم معضلة ولا يجدون لها حلا . و واجهتهم دقائق علمية لا يرجعون منها باقتناع . فكانوا يهرعون إليه و يدركون عنده بغيتهم بدون تأخير . و كانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية تترى عليه . وطلبة الحديث يزدحمون لديه . مما جعل حياته مناراً عالياً يشع بنور العلم والفضل ومدرسة عتيدة لطلبة علوم الكتاب والسنة .

ينتمي إلى أسرة علمية عريقة سكنت في بلدة « مئو » المنطقة الشرقية لولاية أترابراديش الهند . كان والده الشيخ محمد صابر ابن عناية الله من علماء البلدة وكبار المربين فيها . ومرجعاً دينياً

للجماهير المسلمة ، وهو الذي سهر على تربية نجله الكريم وتحليته بعلوم الكتاب والسنة فأرسله بعد ما انتهى من دراسة مبادئ الدين واللغة والخط وتجويد القرآن الكريم إلى كبير علماء مئو الشيخ عبد الغفار بن عبد الله المئوي - رحمه الله - أحد تلاميذ العلامة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رئيس هيئة التدريس في جامعة ديوبند . فلازمه كتلميذ نجيب وتعلم عليه العلوم الإسلامية والفنون الأدبية . واستفاد منه في جوانب العلم والدين . حتى قيض الله له أن يلتحق بجامعة دار العلوم ديوبند في عام ١٣٣٧هـ (المصادف ١٩١٨م) وهنالك سنحت له الفرص للاستفادة من كبار علمائها كالعلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري والمفتي عزيز الرحمن الديوبندي والشيخ الكبير شبير أحمد العثماني والشيخ الجليل أصغر حسين الديوبندي .

ولما رجع من دار العلوم ديوبند أكمل دراسته الباقية على فضيلة الشيخ كريم بخش السنبهلي الذي كان كبير المدرسين في دار العلوم مئو . وأخذ منه إجازة الفراغ . وقد قرأ على شيخه الكبير الشيخ عبد الغفار المئوي رسالة الأوائل في الحديث الذي ألفه الشيخ محمد سعيد سنبل (١) فمنحه الإجازة لروايته عنه . وكان سنده في الحديث ينتهي إلى مسند الهند الشيخ محمد إسحاق برواية الشيخ عبد الرحمن البوفالي عن الشيخ عبد القيوم الذي كان حفيد الشيخ محمد إسحاق .

ثم تولى تدريس العلوم الإسلامية والحديث الشريف في دار العلوم مئو نحو أربعة أعوام وفي عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) انتقل كرئيس المدرسين إلى جامعة مظهر العلوم في مدينة واراناسي

---

(١) هو المحدث الفقيه الشيخ محمد سعيد سنبل المكي من علماء القرن الثاني عشر. تحتوي هذه الرسالة على أول حديث من كل تأليف ألف في الحديث .

و قـــام بتدريس الحديث الشريف فيهـــا إلى مدة تناهز أربع سنوات ، تخرج خلال ذلك تلاميذ بارعون له في الفقه والحديث ، شغلوا مناصب علمية وجيهة في المراكز العلمية ، وقد راودته فكرة إنشاء مدرسة جامعة يركز فيها طاقاته العلمية ويجعلها موئلا لطلبة العلم وخاصة للذين يريدون الاختصاص في الحديث ، فأسس مدرسة باسم « مفتاح العـــلـــوم » في المسجد الجامع الكبير الذي يعرف بـ « شاهي مسجد » وهو من بناء « جهان آرا » بنت الملك المغولي شاهجهان ، وانتدب شيوخ العلم وأساتذة الفن البارعين للتدريس فيها ، وما هي إلا مدة يسيرة إذ تقدمت المدرسة وعمرت بطلبة العلم الذين أموها من أنحاء الهند البعيدة لمجرد الاستقاء من منابع علمه والاستفادة من علماء وشيوخ المدرسة الأفاضل ، وكان والدي فضيلة الشيخ محمد أيوب الأعظمي - رحمه الله - (١) قد تولى إدارة المدرسة والقيام على توجيه الطلاب مع تدريس بعض المواد العلمية ، ووضع جميع مؤهلاته في ترقية المدرسة وتوسعة نطاقها ، فلم يبال في سبيل ذلك برحلات شاقة قام بها في داخل البلاد وخارجها، وقد آثر كل تعب على كل راحة في هذا السبيل ، إلى أن عرفها الناس في جميع أنحاء الهند بحسن صيتها في مجال تدريس الحديث والعلوم الإسلامية وتوطدت صلتها بمدارس الهند الكبرى ومراكزها العلمية ورجالها البارعين من العلماء والشيوخ .

ومن ثم كان والدي الجليل - رحمه الله - عضداً مناصراً للعلامة الأعظمي المرحوم ، الذي كان تولى رئاسة المدرسة فساعده في جميع الشئون التعليمية مع الاشراف على الإدارة وعلى تنسيق أمـــور المدرسة ببراعة فائقة ، كـــا أن زميلهمـــا فضيلة الشيخ

---

(١) استأثرت به رحمة الله تعالى في ٦/شوال ١٤٠٤هـ (٦/يوليو ١٩٨٤م) .

عبد اللطيف النعماني – رحمه الله – (١) . الذي كان في رتبة المدرس الثاني بعد العلامة الأعظمي يتعاون معهما في تنظيم التعليم والمالية . مع اشتغاله بتدريس كتب الحديث والفقه والتفسير . كان ذا جرأة وصراحة في حياته فاستفادت المدرسة بتوجيهاته في شئون مختلفة .

هؤلاء الثلاثة كانوا يعتبرون يداً واحدة في ترقية هذه المدرسة وتوسعة نطاقها . وكانوا مضرب المثل في الانسجام والوحدة الفكرية والعمل الدؤب . وكان العلامة الأعظمي معروفاً ببراعته النادرة في فن الحديث وعلم الرجال والجرح والتعديل . والمدرسة اكتسبت به شهرة طيبة في تدريس الحديث . فاجتمع فيها نخبة من المدرسين الأكفاء المخلصين . كان من بينهم فضيلة الشيخ شمس الدين وفضيلة الشيخ عبد الباري – رحمهما الله – وفضيلة الشيخ عبد الجبار المئوي الذي لازم العلامة الأعظمي ملازمة كاملة حتى آخر عهده بالحياة . وكذلك فضيلة الشيخ محمد يحيى –رحمه الله– الذي كان من أنجب تلاميذ العلامة الأعظمي .

قطعت المدرسة الناشئة شوطاً كبيراً من الرقى والتقدم والاتساع في هذه المدة القليلة واكتسبت صيتاً طيباً في تدريس العلوم الإسلامية . في عهد العلامة المرحوم . فرغم قلة وسائلها وأدواتها كانت تستقبل أفواجاً من طلبة العلم القادمين إليها من جميع أنحاء الهند والبلدان المجاورة للإفادة من دروس العلم والدين ولدراسة الحديث على المحدث الأعظمي – رحمه الله – .

وكنت طالباً صغيراً في المدرسة عرفت الشيخ الأعظمي بأنه كبير شيوخ وأساتذة هذه المدرسة . وكل الناس يحبونه ويجلونه ويتهيبون أمامه أن يتكلموا من غير حاجة . لذلك كان الجو يسوده

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٦/يناير ١٩٧٣م (١٣٩٢هـ) .

هدوء ووقار مع علم الناس بمجيئه إلى غرفة الدرس . بل إلى حرم المدرسة . وكنت أشاهد هذا المنظر ويستسيغه عقلي الصغير . حيث إن هيبته دخلت في النفس وأصبحت كالطبيعة فيها .

ولما قدر لي بعد مدة أن أستفيد من العلامة المرحوم وأقرأ عليه بعض كتب الأدب واللغة العربية كانت الهيبة تملأ مشاعري . وكدت أتراجع إلى الوراء خوفاً منه . ولكن والدي - رحمه الله - شجعني وذهب بي إلى غرفة العلامة المرحوم وسلمني إليه . وهنالك طاوعتني نفسي وبدأت أحضر الدروس وأشعر بغبطة وسرور في نفسي . وتسنت لي الاستفادة من توجيهات الأستاذ الجليل - رحمه الله - وتعلمت من اللغة العربية ما صار لي أساساً لدراسة الأدب العربي فيما بعد . ولا أزال أذكر بعض إفاداته الخاصة خلال دروس اللغة العربية واعتمد عليها في حل مشكلاتي .

تدرجت إلى مراحل التعليم وقرأت عليه كتباً أخرى للأدب والحديث . فقد كان - رحمه الله -يتبوأ مكانة عالية في مجال الأدب العربي كذلك . وكان والدي - رحمه الله - حريصاً على أن يكون لي نصيب في هذه اللغة الكريمة كلاماً وخطابة وكتابة وحواراً . وذلك في عصر لم يكن الناس فيه يقيمون كبير وزن للغة العربية والتخرج في فنونها . وقد كتب إليه بعض علماء هذه الديار لما علم بحرصه على تعليمي اللغة العربية وآدابها : « إن هذا العصر يتطلب أن يكون المرء فيه أديباً للغة أردو . أما اللغة العربية فلا مستقبل لها في هذه البلاد » و لكن والدي الجليل - رحمه الله - كان يرى إلى مستقبل بعيد . ويؤمن بأن اللغة العربية هي في الواقع تتمتع بمستقبل لامع . وسيكون لها شأن أي شأن في هذه البلاد نفسها . وقد تحققت رؤيته البعيدة . ولعل العالم الكبير الذي كان كتب إليه .. لو كان على قيد الحياة لاعترف بمستقبل العربية في هذه البلاد وتنازل عن رأيه القديم .

أتذكر أن الوالد الجليل - رحمه الله - تبادل الرأي حول الموضوع مع العلامة المرحوم وطلب منه أن يأخذني تحت تربيته في تعلم العربية و يخصص لي وقتاً كذلك . فتقبله الأستاذ العلامة - رحمه الله - وأخبرني بذلك . وأعطاني كتاباً في الإنشاء والتعبير العربي لكاتب مصري فاضل . وأمرني بترجمة مقالاته إلى لغة أردو وبالعكس . وذلك في بداية عام ١٩٥١م (١٣٧٠هـ) وقرر لي وقتاً بين صلاتي الظهر والعصر في مكتبة منزله الخاصة . فواظبت على ذلك إلى مدة نحو ستة أشهر تيسرت لي خلالها استفادة في التعبير والعربية . من توجيهاته الغالية . ولعل ذلك كان طليعة لرحلة علمية قررها لي الوالد الجليل - رحمه الله - في سبيل تحقيق ذلك الحلم الذي راوده حول تعليمي اللغة العربية وآدابها وأساليبها الحديثة .

قام بالمراسلة في هذا الشأن مع المسئولين عن جامعة ندوة العلماء في لكناؤ (الهند) وبوجه خاص مع سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (معتمد التعليم يوم ذاك) واستعان في الموضوع بأستاذنا العلامة الأعظمي - رحمه الله - فوافقت إدارة دار العلوم لندوة العلماء على قبول الطلب وتسجيل اسمي كطالب في مرحلة الاختصاص في الأدب العربي . والتحقت إلى دار العلوم في شوال عام ١٣٧١هـ . وكانت نقطة تحول كبيرة في حياتي . فقد انتقلت من جو البيت المألوف إلى جو مدرسي ليس لي فيه متعة إلا السعي وراء تحقيق أمنية والدي - رحمه الله - ومع مرور اللحظات هدأت نفسي . وسكنت إلى الغاية التي توخيتها .

وفي هذه الأيام بالذات أتاح الله سبحانه وتعالى لأستاذنا الجليل العلامة الأعظمي أن ينتخب عضواً في مجلس الشيوخ لولاية اترابراديش . وتحتم عليه أن يقضي معظم أوقاته في لكناؤ . وكذا رضي بالإقامة في مدرسة دار المبلغين التي أسسها إمام أهل

السنة فضيلة الشيخ الكبير عبد الشكور الفاروقي (١) - رحمه الله - لتعليم العلوم الإسلامية وتدريب الطلبة على تبليغ الإسلام على الوجه الصحيح ، فكانت إقامة العلامة المرحوم في هذه المدرسة بمثابة سند قوي لطلبة العلم والمدرسين فيها الذين كانوا يراجعونه في المشكلات العلمية ويستفيدون من وجوده ولا سيما علماء أسرة إمام أهل السنة كالشيخ عبد الرحيم الفاروقي شقيقه الصغير والشيخ عبد السلام الفاروقي نجله الكبير - رحمهما الله تعالى - وغيرهما ، كانوا فرحين جداً ، بإقامة العلامة الأعظمي في هذه المدرسة ، وانتهزت أنا هذه الفرصة وتابعت زيارة الأستاذ الكبير والاستفادة منه ، فكنت أحضر كل يوم بعد صلاة العصر وأجلس لديه واستفيد منه ، واعتبرت ذلك نعمة من الله كبيرة عليّ .

وبدأت الأيام تنقضي على هذه الشاكلة ، وتوافرت لي - والحمد لله - فرص الاستفادة في دار العلوم ودراسة تاريخ ونصوص الأدب العربي والاطلاع على المناهج والمدارس الأدبية التي راجت وعرفت عبر التاريخ الإسلامي للأدب العربي ، كنت أدرس هذه المواد في دار العلوم باشراف أستاذنا الكبير العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي واستفيد مع ذلك شخصياً من توجيهات أستاذنا الكبير العلامة الأعظمي - رحمه الله - أيام وجوده في لكناؤ .

لقد كانت الأيام تمضي وأنا مكب على الدراسة والاستفادة إذ قيض الله سبحانه وتعالى أن تنتدب جامعة ندوة العلماء ، محدث الهند الكبير الشيخ الأعظمي - رحمه الله - منتهزة فرصة إقامته في لكناؤ ، ولكي يشغل مشيخة الحديث فيها ، التي شغرت بوفاة المحدث الكبير فضيلة الشيخ محمد حليم عطاء - رحمه الله - في

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في ذي القعدة ١٣٨١هـ .

شهر صفر ١٣٧٥هـ (شيخ الحديث في ندوة العلماء) فما استطاع المحدث الأعظمي أن يرفض طلب سماحة العلامة الندوي ، وأبدى استعداده لذلك خلال إقامته في لكناؤ ، مما بعث السرور في النفوس أساتذة وطلاباً . ولقد تولى فضيلة الشيخ محمد عمران الندوي (١) - رحمه الله - عميد دار العلوم يومئذٍ ، ترتيب دروسه وإقامته في دار العلوم ، وبدأ العلامة الأعظمي يدرس صحيح البخاري في السنة النهائية للاختصاص في الشريعة الإسلامية ، وغمر السرور قلوب الطلبة واعتزوا بذلك .

وظل العلامة الأعظمي يفيد الطلاب بعلمه العميق وبصيرته النافذة إلى أكثر من مدة سنة ونصف حتى اقترب موعد الانتخابات الجديدة التي جرت في بداية عام ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ) وأوشكت عضوية المجلس التشريعي للولاية على النهاية . ولم يعد له مبرر للإقامة المستقلة في لكناؤ ، فأراد أن يغادر إلى وطنه ويشرف على شئون مدرسته ، واعتذر عن الاستمرار في العمل التدريسي ، رغم أن جميع المسئولين الكبار لندوة العلماء ، قد أصروا على بقائه فيها كمرجع علمي كبير .

رجع إلى مئو حيث استمر على الاشراف على مفتاح العلوم وشئونها الإدارية والتعليمية ، وعادت النضارة إلى المدرسة ، والنشاط إلى الطلاب والمدرسين من جديد ، وتزايد الإقبال عليها من أنحاء البلاد وخاصة من أولياء طلبة العلم الذين كانوا يترقبون عودة العلامة الأعظمي إلى مقره القديم ، وخطت بذلك المدرسة إلى الامام بخطى حثيثة ، وكسبت تأييداً وعوناً من كل جانب ، وقد مرت فترات تسلم فيها زمام الإدارة بيده ، وأدخل فيها تحسينات وتطويرات إدارية عديدة .

و مهما كان اشتغاله بالمسئوليات التعليمية والإدارية إلا أن

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في صفر ١٤٠٧هـ (١٨/أكتوبر ١٩٨٦م) .

عمله الإكاديمي ومجهوداته التحقيقية لم تتوقف للحظة واحدة ، فقد كان ذلك غذاءه الذي كان يعتمد عليه في الابقاء على صحة الجسم و نشاط القلب ، فكلما زاره أحد وجده في مكتبته الخاصة مشغولاً بالمطالعة والتحقيق والإفادة ، أو الاملاء والكتابة ، محصوراً بين الكتب المطبوعة والنوادر الخطية ، من يمينه وشماله وفوقه وأمامه ، لذلك لم يكن الزائر - مهما كان - يطيل عنده الجلوس نظراً إلى حرج الموقف ، والذي كان يساعده في أعماله العلمية والتحقيقية نجله الكبير فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي ، مدير مدرسة مرقاة العلوم التي كان أسسها أخيراً والده الجليل - رحمه الله - وخاصة في مقابلة النسخ الخطية ، وتبييض المواد وترتيبها ، ولقد كان له مجلس عام بعد صلاة العصر يحضر فيه الناس من كل طبقة ويستفيدون منه .

كان له شبه كبير بشيخ الحديث العلامة محمد زكريا الكاندهلوي - رحمه الله - (المتوفى غرة شعبان ١٤٠٢هـ ودفين البقيع) في اشتغاله بالحديث والإفادات العلمية ووضع الكتب والمؤلفات التحقيقية في علوم الحديث . لذلك فإنه كان يحبه ويجله ويهتم بالدعاء له في أوقاته الخاصة .

وبدا لسماحة أستاذنا العلامة أبي الحسن عليّ الحسني الندوي أن يبعثني إلى بغداد لمزيد الاستفادة في اللغة والأدب في بداية عام ١٩٥٨م (١٣٧٨هـ) من أستاذه الجليل العلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي الذي شغل منصب تدريس اللغة والأدب والبلاغة في دار العلوم لندوة العلماء في الثلاثينات الميلادية وكان أستاذ دار المعلمين العليا بجامعة بغداد يومذاك .

وكان العلامة الأعظمي - رحمه الله - موجوداً في لكناؤ يوم كنت أسافر إلى بغداد فكان من لطفه الخاص بي وتشجيعه على هذه الرحلة أنه ودعني على محطة لكناؤ ، ودعا لي بالبركة

واليسر ، وكان يتابع اخبار نشاطي و قيامي بالواجب التعليمي طوال حياته ، فجزاه الله خيراً على هذه المنة واللطف .

أصبحت المراكز العلمية الإسلامية الكبرى في الهند تتطلع إلى العلامة الأعظمي اعترافاً بمكانته العلمية الرفيعة ونظرته العميقة في السنة ورجالها ، وهي جد حريصة على الاستفادة منه - مهما كلف ذلك من ثمن - فكاتب المسئولون عن هذه المراكز والجامعات الإسلامية ، العلامة المرحوم في هذا الشأن ، وسألوه عما إذا استجاب طلبهم ورضي باتساع نطاق الإفادة طلاباً وأساتذة ، حتى تنطلق أضواء علمه إلى آفاق بعيدة وتصبح شخصيته مركز إشعاع علمي عظيماً ، ولكنه آثر مصالح مدرسته التي أنشأها وسهر على ترقيتها وبنائها على كل شئ ، واعتذر عن قبول أي منصب علمي ومغادرة مقره إلى أي جامعة أو مدرسة كبيرة .

أذكر أن شيخ الإسلام حسين أحمد المدني (١) - رحمه الله - رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث في دار العلوم ديوبند ، وحكيم الإسلام الشيخ محمد طيب (٢) القاسمي - رحمه الله - مدير دار العلوم ديوبند ، حضرا في أواخر الستينات الهجرية إلى المحدث الأعظمي - رحمه الله - وطلبا منه قبول منصب رئاسة الإفتاء في دار العلوم ديوبند وإقامته هناك للإفادة ، ولكنه اعتذر إليهما نظراً إلى أهمية العمل الذي يتولاه في جامعة مفتاح العلوم ، والأعمال الموسوعية التي ينجزها بعيداً عن مسئوليات المناصب ، في ركن من مكتبته الخاصة ، ولكن بعد فترة يسيرة من ذلك ، عاود إليه الطلب ، وعرض عليه منصب شيخ الحديث في هذه الدار المعروفة بتدريس الحديث والاعتناء به ، فلم يسعه إلا الخضوع أمام

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٥/ديسمبر ١٩٥٧م (١٣٧٧هـ) .

(٢) انتقل إلى رحمة الله تعالى في شوال ١٤٠٣هـ (يوليو ١٩٨٣م) .

هذا الإلحاح الشديد ، وقبول هذا الطلب ، إلا أن أعضاء المجلس التنفيذي لجامعة مفتاح العلوم والجماهير المسلمة في « مئو » قاموا بالاحتجاج ضد هذا القبول ، وقالوا : إننا لن نترك شيخنا وقائدنا العلمي والديني ، لكي يغادرنا إلى مقر آخر ، وهنالك غيّر العلامة الأعظمي قراره وصمم على البقاء في مقره الأصيل ، فكان ذلك يوماً مشهوداً للجميع .

ومن مآثره العلمية والدينية الجليلة الكثيرة التي يزخر بها تاريخه ، إنشاء المعهد العالي للدراسات العليا ومدرسة مرقاة العلوم التابعة له في نحو عام ١٣٩٨هـ ، وبناء جامع كبير بجوارهما ، ذلك على مقربة من شاطئ نهر « تونس » وعلى هذا المعهد العالي ركز العلامة الأعظمي عنايته كلها في الفترة الأخيرة بعد ما فوض مسئوليات جامعة مفتاح العلوم إلى جماعة من تلاميذه الأكفاء ، فكان هذا المعهد موئل آماله ومنطلقاً لجميع نشاطاته العلمية والدينية ، حيث إنه كان يعكف على أعماله في مكتبته الخاصة ويشرف على المعهد ، ويتولى بنفسه تدريب الطلاب الأكفاء الذين يؤمونه للاستفادة والاختصاص في فن من فنون العلم كالحديث والفقه والتفسير ، بعد تخرجهم من جامعة إسلامية أو مركز تعليمي كبير، وقد رحبت الأوساط الدينية في الهند وخارجها بهذه الخطوة المباركة ، وكاد يلتف حول المحدث الأعظمي عدد جم من الحريصين على الاستفادة منه والاختصاص في العلم لديه ، لولا أنه أعلن عن قبول عدد محدود من أهل الكفاءات العلمية الخاصة ، وفعلاً كان يتولى تربية عدد محدود من أولي الذوق والذكاء والحرص ، ويشرف على تربيتهم وتخريجهم في العلوم الإسلامية .

كان وطيد الصلة بالأوساط العلمية والاكاديمية في داخل البلاد وخارجها ، ويحب علماء الحديث ويتناولهم بالثناء على مجهوداتهم العلمية والتربوية – رغم اختلاف وجهات الأنظار في المسائل

الفقهية - كالعالم الجليل الشيخ ثناء الله الأمرتسري (١) كبير علماء أهل الحديث . والعلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري (٢) صاحب « تحفة الأحوذي في شرح الترمذي » ومعاصره فضيلة الشيخ المحدث عبيد الله الرحماني - حفظه الله - صاحب « مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح » وغيرهما من العلماء والمحدثين ممن لهم خدمات علمية ودينية لا يستهان بها .

وقد ظل عضواً بارزاً للمجلس التأسيسي لجمعية علماء الهند التي كان يرأسها شيخ الإسلام حسين أحمد المدني -رحمه الله- منذ إبان نشاطه . فكانت له اسهامات عملية في ترقية هذه الجمعية وتوسعة نطاقها . حيث إن الجماهير المسلمة في بلدته وفي المدن المجاورة لها . وكذلك المعجبون به في كل مكان انضموا إلى هذه الجمعية وقبلوا عضويته الأساسية من أجله . وأصبحوا من أنصارها والمتحمسين لها في كل مناسبة . واستمر العلامة الأعظمي في ولائه الخالص لهذه الجمعية إلى آخر المدى . حتى إذا تبوأ منصب رئاسة هذه الجمعية فضيلة الشيخ أسعد المدني نجل شيخ الإسلام حسين أحمد المدني - رحمه الله - لم يتوان العلامة الأعظمي عن نصرته والتعاون معه في أيّ مرحلة .

وأخيراً وفي عام ١٤٠٧هـ اختير المحدث الأعظمي أميراً للهند ، والشيخ أسعد المدني نائب الأمير . وقام بجولات واسعة للبلاد إثر هذا الاختيار . والتقى مع جميع طبقات المسلمين ونال إعجابهم ورضاهم بهذا الاختيار الموفق . فكان مرجعاً دينياً واجتماعياً للمسلمين بعد أن كان مرجعاً علمياً لأولى العلم والفضل . الذين كانوا يقصدونه من أنحاء بعيدة . وحتى من خارج بلاد الهند من الدول

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٣٦٨هـ .
(٢) انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٣٠٠هـ .

العربية والآسيوية يفد إليه طلاب العلم ويقيمون عنده للاستفادة منه في علوم الحديث والسنة . وقد تخرج بعضهم على يده في علم الحديث وحصل منه على الإجازة في رواية الحديث عنه .

أما اتصاله برجالات العلم والدين وقادة الفكر والدعوة الكبار في داخل البلاد فقد كان على نطاق أوسع وأشمل . كانت علاقته مع العالم الرباني الكبير الشيخ أشرف علي (١) التهانوي علاقة تربوية وعلمية ، يجري معه مراسلات في أمور شرعية ودينية ، وكذلك علاقته مع أصحابه الكبار . وكان عضواً في كثير من المجامع والمراكز العلمية والدينية الكبرى . كان شديد الاهتمام بالتوعية الدينية ، في الجماهير المسلمة عن طريق التعليم والتربية ، والرحلات والاجتماعات الدعوية . يشيد بمواقف علماء الأمة من مواجهة التحديات وتحمل المشاق والمحن في سبيل الحق ، وإعلاء كلمة الله تعالى . ويحث على اتباعهم والسير على غرارهم .

منحه رئيس الجمهورية الهندية جائزة شرف اعترافاً بخدماته العلمية الكبيرة باللغة العربية . وإشادة بمكانته الفريدة في هذا المجال .

هذا مع إفادته الدينية بطريق المواعظ والمحاضرات والخطب التي كان يلقيها في المناسبات والاجتماعات الدينية ، ولقد كان لتوجيهاته الدينية في مجالس الوعظ والإرشاد تأثير بالغ في نفوس المستمعين ، ويتعدى نفعها إلى كل طبقة من الناس . فكان نظير السلف الصالح من اعلام الأمة في العلم والورع والتوجيه والإفادة . جزاه الله تعالى على هذه المآثر الجليلة كلها خير ما يجزي به عباده المؤمنين المخلصين العاملين .

وسنتحدث عن إنجازاته العلمية وأعماله التحقيقية وعن رحلاته التي قام بها في سبيل العلم والتحقيق إلى خارج الهند والدول العربية والإسلامية ، في الحلقة القادمة باذن الله تعالى . [يتبع]

(١) استأثرت به رحمة الله تعالى في ١٧/رجب عام ١٣٦٢هـ (١٩/يوليو ١٩٤٣م) بعد حياة حافلة بالتربية الروحية و المجهودات الدينية و الانجازات العلمية الضخمة .

صور وأوضاع :

الخطر الأكبر

واضح رشيد الندوي

بينما يواجه العالم المعاصر ازمات اقتصادية وكوارث طبعية وصراعات مسلحة من أجل نزعات اقليمية وطائفية ، وحركات انفصالية ، وتتعرض بلدان عديدة في العالم لموجات الارهاب لغلبة هذه النزعات ، وتتعرض حياة الإنسان والمدنية ، لخسائر جسيمة ، ويموت ملايين من الناس جوعاً وفقراً ، ويشقى ملايين ويعيشون حياة حرمان ، ومعاناة وتشرد ، بينما تواجه الإنسانية هذه المشاكل المستعصية ، أصبح الشغل الشاغل لكثير من قادة أوربا والمخططين للسياسة ، والمسئولين عن الأمن فيها ، أن يصرفوا اهتمام العالم من هذه المشاكل إلى خطر خيالي ، لاصلة له بواقع الحياة ، وليس له ذلك الحجم والسعة التي تتفاقم بها القضايا الأخرى التي تدفع الإنسانية المعاصرة إلى حافة الهلاك والدمار والتي تسبب فعلا خسائر في الأرواح والممتلكات ، وتبدد طاقات البشر ، وتستنزف القدرات الإنسانية .

إن الاعلام المعاصر ، وهو اعلام له شامة النمل ، وعيون الغراب ، يلتقط أدنى حادث ، كحادث اصطدام سيارة وحافلة ، أو انقلاب قطار ، في منطقة جبلية بعيدة ، أو اختطاف ، أو غارة على بنك من البنوك ، واختلاس الأموال ، يغض بصره عن معاناة مئات الألوف من أفراد البشر في منطقة تقع في أوربا ، وحرمان مئات الألوف من أدنى معيشة الحياة ، في آسيا وافريقيا ، لأن الذين يواجهون هذه المعاناة ، ويعيشون في هذه الشدائد ، وتضيق عليهم الحياة ، هم من جنس غير جنس رجال الاعلام ولونهم غير لونهم ، وعنصرهم غير عنصرهم ، ولغتهم غير لغتهم ، ودينهم غير دينهم .

إن أكبر مغالطة وقعت فيها الإنسانية المعاصرة ، هي أن أوربا

تخلت عن الدين ، و أنها علمانية ، و لعل هذه النظرية التي قبلتها أذهان العلماء والمثقفين بالثقافة الأوربية ومنهم المسلمون ، وخاصة في البلاد العربية ، كانت بمثابة سراب ، فقد اثبتت تجربة المسلمين ، مع الغرب ، أن الغرب ، لم يتنازل عن العصبة الدينية والنزعة الطائفية في أي عصر من العصور ، وأن جميع وكالاتها ، ومنها الوكالات الإنسانية ووكالات الغوث والنجدة ، ومؤسسات التعليم والتربية والثقافة ، حتى المؤسسات الفنية لا تخلو من تأثير الدين ووجهة النظر الدينية .

وأسوأ من ذلك هو أن التصور الديني لأوربا كان تصوراً سلبياً ، أي معاداة دين من الأديان ، ومعاداة أمة من الأمم ، فهي تهتم بافساد من لا يتفق معها في العقيدة الدينية والثقافة القومية ، أكثر مما تهتم بعرض دينها وثقافتها ، ولذلك أن معرفتها لدينها وثقافتها أقل وأضيق من معرفتها للأديان والثقافات الأخرى .

كانت بداية الغزو الفكري لأوربا على هذه الوتيرة ، فإنها قامت بدراسة الإسلام لتزوير التاريخ الإسلامي ، وتشويه عظماء الإسلام ، وعرض جوانب الضعف أو مسائل فرعية من الإسلام ، والمحاولة للنيل من حياة الرسول ﷺ ، واحداث مشاكل في حياة المسلمين ، وقد كان الطريق الإيجابي أن تقدم أوربا حياة المسيح والتعاليم المسيحية ، والثقافة الأوربية الراقية ، وتعرض روائع من الحضارة الغربية ، وهذا هو طريق التعليم والتثقيف الإيجابي ، لكن أوربا اختارت الطريق السلبي المعكوس ، فصرفت نفسها عن الواقع إلى الخيال ، وهكذا تفعل أوربا ومؤسساتها الاعلامية في الوقت الحاضر ، فإنها تعرض العالم الإسلامي كبؤرة فساد ، وكبركان قابل للانفجار ، وتصور أن العالم المتحضر واقف على هذا البركان فإذا انطلق هذا البركان فإن العالم كله سينفجر ، ويتهدم وتصبح المدنية المعاصرة رفاتا أو هشيماً تزوره الرياح .

إن الذي يقرأ ما يكتبه العقلاء في أوربا ، ويصدقهم المقلدون لهم في العالم الإسلامي لا يصادف إلا هذه العقلية المريضة عقلية الخوف والهلع

وعملية التحوير والاختلاق .

كان في الأساطير القديمة يقال أن جنيا وضع في قنينة والقيت القنينة في اليم وكان الذين القوها في اليم يخشون أن يخرج الجني من هذه القنينة ، هكذا يخشى الغربيون الذين يحسبون انهم وضعوا الإسلام في قنينة في عهد استعمارهم ، يخشون أن يخرج الإسلام بأدنى حركة ، فيهدد المدنية المعاصرة ، المدنية التي شادها الأوربيون ، ويتصرف هذا الجنى كما يشاء .

إن روسيا التي أكلتها الشيوعية ، وهي في آخر مبلغ من الفقر لا تخشى عودة الاشتراكية أو الشيوعية ، وإنما تخشى الإسلام ، تخشى أن تجتمع القوى الإسلامية في أراضيها ، وتقوم امبراطورية إسلامية ، وتتحد تركيا والعناصر الموالية لها ، أو تقوم صلات بين إيران وتركيا وباكستان ، فتترك أعمال بناء الوطن ، ومعالجة قضايا شعبها ، وتزويده بالخبز ، وتتحالف مع أمريكا ، التي فاقت جميع قوى العالم في الخوف من الإسلام والحركة الإسلامية ، وتعطى محاربة الإسلام الأولوية .

وقد بلغ هذا الخوف مبلغه فتعقد مؤتمرات لدراسة ظاهرة الاتجاه الإسلامي ، وتدرس الوسائل التي تساعد على قمع هذا الاتجاه ، وتتخذ طرق لتعبئة الرأي العام بالصور الكاريكاتورية ، والمقالات ، والدراسات ، والتقارير عن العالم الإسلامي ، لتخويف العالم بالإسلام ، وتشترك في هذه الحملة الصحف العالمية الكبرى كنيويورك تائمس وصنداي ميگزين ، وتيليگراف ، ولوموند ، كما يصدر زعماء العالم بيانات يعربون فيها عن مخاوفهم ، ويوجهون الحكام في الدول الإسلامية إلى ضرب الحركة الإسلامية .

وقد نشرت صحيفة أوربية بارزة على سبيل المثال صورة كاريكاتورية أبدت فيها منارة للمسجد علق بها السيف ، وامرأة متحجبة ، أو رجلاً في يده سوط ، يحمل شارة إسلامية ، وتزود الصحف الصادرة في البلاد الآسيوية بمثل هذه المقالات والصور .

كما تبدى بعض المجلات جماهير فقيرة ، حفاة عراة ، وتظهر

انتماءهم إلى الإسلام ، أو تعطى علامات ترمز إلى أنهم مسلمون .

وتقدم محطات الاذاعة برامج وحوارات لبحث قضايا العالم الإسلامي ، ومن خلال الدراسة تشير إلى أن هذه القضايا ترجع إلى ارتباط شعوب هذه الدول بالإسلام ، أو انها نتيجة للحكم الإسلامي القديم ، وتبرز المعاناة الخيالية للأقليات غير الإسلامية في الدول الإسلامية ، وتجهل المعاناة الحقيقية للأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية .

كانت هذه الدعاية المكثفة من أوربا قديماً وحديثاً ، والذعر المتزايد في القيادات السياسية في الدول الأوربية من عودة الإسلام ، التي هي نتيجة حتمية وطبعية لخيبة النظم القائمة في البلدان الإسلامية ، كانت هذه الدعاية وراء السياسة المتهورة التي تسلكها الحكومات في عدد من الدول الإسلامية بقمع الحركة الإسلامية ، لأنها موجهة من الغرب ، وقد ربطت الدول الأوربية المعونات الاقتصادية بضرب الحركة الإسلامية ، وربطت دعم هذه الحكومات بضرب الحركة الإسلامية وكما أن هذه السياسة نتيجة لنشأة الحكام في كثير من البلدان الإسلامية في أحضان المربين الغربيين الذين كونوا فيهم نفسية الخوف من الإسلام .

إن الكتاب في كثير من الصحف الكبرى في العالم الإسلامي ينقلون إلى قراءهم هذا الذعر الخيالي المصطنع من الغرب ، كأن هذا الخطر هو الخطر للعالم الإسلامي وليس الفقر ، والجهل ، والتخلف ، وقمع الحريات ، والنظم الاستبدادية ، والاستعمار الغربي ، والاستغلال ، والتسيب ، والإجرام ، وهي أحوال واقعية ، فإن كثيراً من الدول في العالم الإسلامي خاضعة للحكم الاستبدادي و الشعوب فيها مضطهدة ، و تقوم فيها جمهوريات مزيفة جمهوريات بدون انتخابات ، وجمهوريات بدون احزاب ، وتلغى فيها الانتخابات ، ويعيش الناس في السجون بدون محاكمة ، أعواماً، ويختطف الناس من الشوارع ، ويجرى التعذيب في السجون ، ولا يسمح للعقلاء بحرية التعبير ولا يشكل ذلك خطراً، وإنما الخطر هو العمل الإسلامي وحده ، أليس ذلك مؤامرة دولية ضد هذه الدول الإسلامية .

جمعية الشيخ محمد الثاني التعليمية تعقد مؤتمر الدعوة والفكر الإسلامي

في رائ بريلي - الهند - فيما بين ١٤-١٦ نوفمبر١٩٩٢م

قلم التحرير

كان من فضل الله على هذه الأمة وجود أولى بقية ، فيهم غيرة إنسانية ، وحياة الضمير ، والوعي الصحيح الديني ، و التألم و الاهتمام بمصير الإنسانية أو الاهتمام على الأقل بمصير المجتمع الذي يعيشون فيه ، وهؤلآء اولو بقية كانوا في كل فترة حالكة وما زالو يبرزون وجههم لاستنكار فساد المجتمع و السعي لإصلاحه ، يتحدون الفساد و يصرخون في وجهه ويخاطرون بمستقبلهم في سبيل الدعوة والإصلاح .

وحيث إن المجتمع الإنساني يعيش في أجواء مختلفة وظروف متعددة تختلف قضاياه ، واشكال مشاكله تتنوع ، ولاختلاف الطبائع ، طبائع المدعووين ، وطبائع الدعاة اختلفت المناهج ، وأساليب الدعوة ، وباختلاف القضايا وظروفها اختلفت مذاهب الدعاة ، كما اختلفت باختلاف المناطق والعصور ، فنشأت مدارس عديدة في تاريخ الدعوة و تكونت مناهج متعددة ، وجميع هذه التجارب رصيد الدعوة الإسلامية .

وقد كانت الحاجة ماسة لإعداد خطة عمل للدعوة إلى استعراض هذه المجهودات ، والمناهج ، وتسليط أضواء على منجزاتها ودراسة نجاحها أو فشلها للاعتبار والاستفادة من تجارب الماضي ، ولهذا الهدف النبيل قررت جمعية الشيخ محمد الثاني الحسني التذكارية التعليمية برائ بريلي الهند التي تقع على بعد ثمانين كيلو متراً من مدينة لكناؤ ، عقد مؤتمر الدعوة والفكر الإسلامي بعنوان « الدعوة الإسلامية ومنجزاتها » وتستفيد خطوط

العمل ومنهجه في ذلك من سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي حفظه الله ، والدراسة تكون مقسمة على مناطق مختلفة من العالم ، أجريت التجربة فيها وكان لها دور في مجال الدعوة ، ينقسم الموضوع تبعاً لذلك إلى المحاور الآتية :

١- الدعوة الإسلامية ومنهجها في شبه القارة الهندية .

٢- الدعوة الإسلامية ومنهجها في العالم العربي .

٣- الدعوة الإسلامية ومنهجها في القارة الافريقية .

٤- الدعوة الإسلامية ومنهجها في أوربا وأمريكا .

٥- الدعوة الإسلامية ومنهجها في جنوب شرق آسيا .

نرجو الدعاة الكرام دراسة أي موضوع من الموضوعات المذكورة أعلاه حول مدرسة من مدارس الدعوة والفكر الإسلامي ، وإرسال هذه البحوث إلى الجمعية قبل موعد المؤتمر بأسبوع ، وقد وجهت الدعوة إلى كبار الأساتذة والعاملين في مجال الدعوة ، لحضور المؤتمر المزمع عقده في ١٤/١٥/١٦/ من شهر نوفمبر ١٩٩٢م .

اجتماع المركز الإسلامي للدراسات الإسلامية في أوكسفورد

عقد المركز الإسلامي للدراسات الإسلامية ، بأوكسفورد اجتماعه السنوي في ١٠/ستمبر ١٩٩٢م برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وحضر الاجتماع الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، والبروفيسور خليق أحمد النظامي ، نائب رئيس جامعة عليكراه الإسلامية وسفيرالهند في سوريا سابقاً ، والأستاذ إحسان شفيق عن العراق ، والأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي من ندوة العلماء وممثل الدكتور يوسف القرضاوي من قطر وسعادة الشيخ خالد أحمد علي رضا زينل من المملكة السعودية ، وأساتذة ومندوبون من جامعة أوكسفورد .

والجدير بالذكر أن هذا المركز الذي أنشئ للدراسات الإسلامية في عام

١٩٨٥م كوقف ، يشتمل على أربعة عشر عضواً من بينهم الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي وسعادة الشيخ عبد العزيز علي المطوع ، وبرئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والدكتور عبد الله عمر نصيف ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، نائب الرئيس .

قدم في الاجتماع الدكتور فرحان النظامي مدير المركز ، استعراضاً لنشاطات المركز ، وتقرير زياراته لبلدان العالم الإسلامي المختلفة من أجل التعريف بالمركز ، كان منها بروناي ، مليزيا ، والمملكة العربية السعودية ، والهند ، ودول آسيا ، وأوربا المختلفة ، حيث توجد جامعات ومؤسسات تعليمية كبرى ، كما زار أوزبكستان وعقد معاهدة لإعادة مدرسة الإمام البخاري ، كجامعة إسلامية ، وتشييدها من جديد وبناء جامع معها ، وصرح أن افتتاح هذه الأعمال سيتم في أواخر هذا العام وسيزور وفد للمركز برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي أوزبكستان من أجل حضور الحفل الافتتاحي ، وقد وافقت الحكومة على هذا المشروع ، وأعلن الدكتور النظامي أن المركز عاكف على إعداد أطلس للتاريخ الإسلامي ، وتأليف كتاب في التاريخ الإسلامي الذي يتألف في عدة مجلدات ضخمة .

وصرح بأن عدداً من الباحثين يقومون بالدراسة وإعداد البحوث على منح من المركز الإسلامي ، ويقوم بتمويل هذه المنح عدة منظمات إسلامية .

وقد منحت حكومة أوزبكستان منحتين للدراسات المتصلة بالإمام البخاري ، والإمام الترمذي ، ومنحة مقدمة من باكستان ومنحتان من بعض الأثرياء العرب .

واستقبل الأعضاء بترحيب موافقة جامعة أوكسفورد ، ببيع قطعة أرض في الحي الجامعي لتشييد مبنى المركز الإسلامي عليها، وموقع هذه القطعة الأرضية موقع مناسب ، حيث مبنى كلية هامة من كليات الجامعة .

••••••••

كتبه هديثة

صديقنا الفاضل سعادة الدكتور عدنان علي رضا النحوي ، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، والكاتب والشاعر الإسلامي الشهير ، معروف

بكتاباته الإسلامية وملاحمه الشعرية وأدبه النابض بالحياة والحركة ، صدرت له مؤلفات كثيرة في الأدب والشعر والدعوة ، تعتبر هدية قيمة لأولى الذوق الديني والأدبي ، وزيادة طيبة في مكتبة الأدب والدعوة الإسلامية ، نهنئه على إنتاجاته الغالية في الأدب والدين ،ورؤيته الإسلامية المعتدلة في جميع القضايا الحيوية والمشكلات الإنسانية ، ونتمنى له مزيداً من التوفيق والازدهار .

تكرم بإرسال مؤلفاته الجديدة التي صدرت حديثاً ، وهي :

١- « نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » تحدث فيه عن ميادين العمل والنشاط الدعوي والتربوي وحصرها في ثلاثة ميادين أساسية . يتداخل بعضها في بعض بحيث لا يمكن فصل واحد منها عن الآخر ، وهي :

أولاً : الدعوة إلى الله ورسوله ، وإلى صفاء الإيمان وصدق التوحيد .

ثانياً : التربية والبناء ، والإعداد والتدريب .

ثالثاً : الممارسة الإيمانية في الواقع البشري في الحياة الدنيا مع امتداد الميادين وامتداد الزمن .

والكتاب يحتوي على ستة أبواب رئيسية وكل باب يشمل فصولاً عديدة :

الباب الأول : الطاقة البشرية في الميدان .

الباب الثاني : النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، أسسها وعناصرها .

الباب الثالث : الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد ، نهجها ومراحلها .

الباب الرابع : منهج التربية والبناء والاعداد .

الباب الخامس : بناء المؤسسات الإيمانية .

الباب السادس : الداعية بين التدبر والتفكير والابتلاء والتمحيص .

٢- « ملحمة الأقصى » وهي ملحمة شعرية ترسم مرحلة من مراحل قضية فلسطين وتربط واقع القضية اليوم بتاريخها الغابر ، وتربط الماضي والحاضر والمستقبل بدين وعقيدة ، دين الإسلام ومنهج التوحيد والإيمان ، بالكتاب والسنة ، وسيرة الرسول ﷺ ، وهي ملحمة ذات قيمة شعرية وعقدية عظيمة ، جديرة بكل ثناء وتقدير .

٣- « الشورى لا الديموقراطية » تحدث فيه عن الفرق بين الشورى والديموقراطية وأثبت أن الشورى نظام كامل ونهج متناسق يرتبط بمنهاج الله تعالى ارتباطاً متيناً ، والبحث يدور حول نقاط رئيسية ويمكن إيجازها كالآتي :

(ألف) الأمر الذي يمكن أن تدور حوله الشورى .

(ب) النهج والأسلوب ، والقواعد والأسس .

(ج) الأهداف والغايات .

٤- « فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع » إنه يبين في هذا الكتاب التصور الإيماني لقضية فلسطين التي تعتبر القضية الأولى في واقع المسلمين اليوم ، ومن خلال هذا التصور الإيماني يمكن أن ندرك أبعاد هذه القضية في عمق وتفصيل ، ونتمكن من التوصل إلى حلها الصحيح العادل .

إن المؤلف الكريم يؤكد ضرورة توحيد التصور الإيماني لهذه القضية ويشرح منزلة فلسطين في دين الله وفي تاريخ الإنسان ، ويشير إلى المؤامرة الكبرى التي دبرت لحصار العالم الإسلامي وسقوط الخلافة الإسلامية باسم قضية فلسطين .

« الموجز في أصول الفقه »

أهدى إلينا الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي هذا الكتاب القيم الذي ألفه في علم أصول الفقه ، وتناول فيه الموضوع بتسهيل وترتيب خاص ، أشار إلى ذلك العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حيث قال في مقدمته : « وجدته مختصراً نافعاً وميسراً جامعاً قد استخلص من كتب الأصول الحنفية لبابها وقرّبه إلى المستفيدين بأوجز عبارة وأوضحها مع التوثيق لكل نص والتحقيق لكل بحث ومسألة ، بما يفي بالمرام ويتسع له المقام » .

بهذه الشهادة العالية نستطيع أن نقدر مدى غناء هذا الكتاب ، وحاجة الطلبة والمدرسين إليه في أثناء دراسة الموضوع والاستفادة من أصول الفقه وتطبيقها على القضايا الحيوية .

س . الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المـــــراسلات :

البعث الإســلامـــــي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBASS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama

P. O. Box, 93. Lucknow (INDIA)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الدعوة والأدب صنوان متعاضدان

في العالم المتغير الحديث اليوم كثير من التناقضات الفكرية والتلوثات العقلية التي أوقفت الإنسان المعاصر على أبواب من القلق والحيرة والشقوة . وحملته على الانسحاب من معركة الحياة الجادة والانزواء إلى ركن ليس له فيه مجال للتفكير في بناء مستقبل هنئ وسلوكيات إنسانية رفيعة تتكفل له بالسعادة في دنياه والنجاح في آخرته التي لا مناص له منها .

الدعوة الإسلامية تمنع هذا الإنسان الكريم من التردي فيما لا يغني عنه من الأماني الحقيرة المعسولة ، ومن المطامع الدنيوية الدنيئة الموهومة التي تسد عليه الطريق نحو الهدوء النفسي والطمأنينة القلبية ، و تهوي بـــه في عاقبة الأمر إلى مهوى سحيق من الهلاكة والفناء .

ومعلوم أن الإنسان مهما تمادي للآمال والأحلام ومهما تطلع إلى آفاق بعيدة من السعادة الكاذبة المزورة . لكنه لا يستطيع أن يعيش حياة طبيعية مجردة عن الأهواء والشهوات الرخيصة التي لا تسمن ولا تغني من جوع . ذلك هو واقع الإنسان المعاصر اليوم ، من غير شك .

من هنالك كان للدعوة الإسلامية أهميتها الأساسية . فهي التي تمهد

للإنسان طريق العز والسعادة ، وللاتصال بملكوت السماوات والأرض ، وتحليه بنعمة الخلافة في الأرض ، إلا أن هذه الدعوة لفي أشد حاجة إلى لسان بليغ وفكر رفيع وأدب وحكمة ، وذلك هو العامل الأقوى والأكبر الذي يقوم بدور التبليغ والتوجيه والإرشاد ، وصرف الإنسان عن طريق الضلال إلى الصراط المستقيم ومن الغواية إلى الهداية ، ولذلك جمع الله سبحانه وتعالى بينهما بغاية من الإعجاز والإيجاز فقال : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن • إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله • و هو أعلم بالمهتدين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين • ولا تستوي الحسنة ولا السيئة • ادفع بالتي هي أحسن • فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

كلما كانت وسيلة الدعوة أقرب إلى الفهم وأوفق للظروف وأنفع للعقول تحققت غاية البلاغ بأحسن وأشمل وجه ، وكان ذلك سبباً للإقناع والثقة بكون الدعوة ذات ثمار يانعة جنيئة ، توجه الإنسان إلى مستقبل باسم سعيد .

ولذلك كان الأدب صنواً للدعوة في جميع مراحلها وعضواً متعاضداً لها في كل مرحلة ومع كل أمة وفي كل عصر وجيل .

فكما أن الدعوة لا تنفع من غير الأدب كذلك الأدب لا قيمة له بدون الدعوة ، ومن هنا يأتي مفهوم الأدب الإسلامي واضحاً جلياً .

فما أجدر الدعاة بأن يكونوا حملة لواء الأدب والحكمة حتى يكون التوفيق حليفهم والنجاح رائدهم .

﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

واجب الجالية الإسلامية في البلاد الغربية
و دورها البلاغي و النموذجي

سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[محاضرة ألقيت في المركز الإسلامي في لندن
(Islamic Centre Regent Park LONDON)
في ٢٠/من ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ- ١٨/من سبتمبر سنة ١٩٩٢م ، بعد المغرب ، ونقلت من الشريط مع تعديلات وزيادات يسيرة][التحرير]

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . أما بعد !

سادتي وإخواني ! يحلولي ويسعدني أن تكون كلمتي المتواضعة بالعربية ، في هذا الملتقى الجامع لجنسيات ولغات مختلفة ، وفيه العدد المرموق من إخواننا العرب .

سادتي ! إن دور المسلمين في بلاد أجنبية لا يسود فيها الإسلام ، وتسود فيها القيم الغربية والمثل الأجنبية ، والغاية الرئيسية التي تسود فيها هي الوصول إلى منافع ومتع شخصية ، أو جماعية ، أو سياسية ، أو أبيقورية (١) استمتاعية ، دور المسلمين في هذه البلاد - خصوصاً إذا كانوا في قلة - دور دقيق يستدعي إيماناً قوياً ، وشجاعة بارزة ، وحكمة بالغة ، وقوة ثقة بالرسالة التي شرفهم الله وأكرمهم بها .

---

(١) الفلسفة المؤمنة باللذة ، وأنها هي الهدف الرئيسي في الجهود والأعمال والأخلاق ، كانت مدرسة خلقية في يونان .

وكذلك ينبغي أن يكونوا على مستوى عال غير مصابين بمركب النقص (Inferiority Complex) لأنهم إذا لم يكونوا على مستوى عـال ، ينظرون إلى أنفسهم و أمتهم نظرة احتقار أو نظرة مقلدين مقتطفين من ثمار هذه الحضارة ، فإنه لا يكون دورهم دوراً رائعاً خلاباً ، لافتاً للنظر مسترعياً للانتباه .

أضرب لكم مثلاً يجسم لكم هذه المعاني ويمثل دور المسلم الواثق بكراهته ورسالته ، المستهين بالمظاهر الخلابة ، المترجم الرائي للمتمدين على المظاهر ، العائشين عيشة الجاهلية ، أقتبسه من التاريخ الإسلامي الأول ، فيه موعظة ، وعبرة وفيه درس لنا .

إن القـائـد العام للجيوش الفارسية الإيرانية الذي كان يسمى بـ « رستم » والذي كان يعتبر تلو الامبراطور الإيراني ويليه في نفخته وعظمته، ومكانته الاجتماعية ، ترجى من قائد قواد المسلمين ، سيدنا سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ، أن يرسل إليه رجلاً يستطيع أن يشرح له الغاية التي ساقت العرب البدو العائشين في صحراء العرب ، إلى هذه البلاد المتمدنة الراقية في الحضارة ، والقوة العسكرية .

تصوروا رجلاً جالساً على كرسي عال من الحكم والرئاسة ، كيف ينظر إلى العرب البدو العائشين في الخيام أو في بيوت من مدر أو وبر والذين كان قوتهم إما التمر وإما لحم الإبل ، كيف ينظر إلى هؤلآء نظرة احتقار ، وعدم مبالاة ، قال أرسل إلينا رجلاً منكم ، يشرح الغاية التي جاء لها العرب ، وكان من معجزات الإسلام أنه جعل هؤلآء العرب البدو على مستوى موحد عال من الفكر والعقيدة والإيمان بالله ، و الاعتزاز بالغاية التي جاء بها الإسلام ، فاختار سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - ربعي بن عامر (١) لا يعرفه أحد من علمـاء

---

(١) كان من أشراف العرب ، حضر غزوة نهاوند ، ولاه الأحنف على طخارستان . »

التاريخ والسير . ولم يكن له حديث قبل هذا . ولا أحكي لكم هذه القصة كحكاية طريفة فيها متعة ولذة . أو مادة للافتخار القومي أو الجنسي . إنما أحكي لكم هذه القصة لتقارنوا بين الإيمان القوى الذي دفع إلى هذا الحديث الجريئ الحر أمام القائد العام للجيوش الإيرانية . وموقف المؤمن بسمو رسالته . وحاجة البشرية إليها .وفقر هذه البلاد وحرمانها منها . وبين موقفنا هنا في هذه البلاد ونظرتنا إلى أنفسنا ورسالتنا وواجبنا . وإلى الحضارة الغربية التي تمثلها هذه البلاد وتقوم بالدور الرئيسي القيادي فيها .

جاء ربعي بن عامر في ثياب صفيقة . وسيف وترس وفرس قصيرة . ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط الذي كان قد بسط حول رستم . ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد . وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . نبهه بعض الناس وقال له دع سلاحك . فقال : « إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني . فإن تركتموني هكذا فذاك . وإلا رجعت » فقال رستم ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها .

ودخل على رستم فقال : ما الذي جاء بكم أيها العرب ؟ فقال بإيمان متغلغل في الأحشاء . وثقة بالغة تقوى الأعصاب وتملكها . لأن وراءها كتاباً سماوياً . ونبوة صادقة . وعقيدة جازمة . وهمة عالية . ونظرة هادفة . « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبادة إلى عبادة الله وحده . و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الإسلام (١) .

>> وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة « الإصابة في تمييز الصحابة » للعلامة ابن حجر العسقلاني (ج/١ . ص/٥٠٢) .

(١) « البداية والنهاية » لابن كثير : ج/٧ . ص/٣٩-٤٠ .

سادتي وإخواني ! إنني مع إيماني بما قال ربعي بن عامر عن غاية الإسلام ورسالته الأساسية ، والبدائية والنهائية ، من إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وما أشار إليه من جور الأديان ، ومع إجلالي وتقديري له فإن كل ذلك كان واقعاً ملموساً وحقائق راهنة ، ولكنني استغرب قوله : « من ضيق الدنيا إلى سعتها» فلو قال : « من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » لما ملكني استغراب فإن هذا كان من العقائد التي يؤمن بها كل مسلم ، فضلاً عن هذا المتحدث في العصر الإسلامي الأول ، ولكني أستغرب كل الاستغراب من قوله : « من ضيق الدنيا إلى سعتها » كأنه يقول لم تخرجنا من جزيرتنا الرحمة والرثاء لأنفسنا ، والطمع في خيرات هذه البلاد ، إنما أخرجتنا وساقتنا إلى هذه البلاد الرحمة بكم ، أردنا بأن ننقذكم من هذا السجن الضيق الصغير المظلم الذي تعيشون فيه ، «كبلبل غريد في قفص يوضع له فيه قوت وماء» لماذا ؟ لأنكم عبيد العادات ، عبيد الحاجات ، عبيد الشهـوات ، و عبيد الموضات (١) لا تستطيعون أن تمشوا وحدكم ، لا تستطيعون أن تتصرفوا في أموركم كما تشاءون ، تحتاجون إلى خدم ، تحتاجون إلى مساعدين ، تحتاجون إلى حراس ، تحتاجون إلى الطباخين والطهاة .

ويشهد التاريخ أن « يزدجر» ملك إيران لما خرج هارباً من عاصمته الإيرانية ، عطش ودخل في بيت رجل وطلب الماء ، فقدم له الماء في كأس متواضع عادي ، فقال : لا أستطيع أن أشرب الماء في هذه الكأس ، لأنه كان اعتاد أن يشرب الماء في كأس من ذهب أو فضة ، وكان الإيرانيون يعيرون من كان يلبس من صناديدهم منطقة أو تاجاً قيمتها

---

(١) أساليب الحياة ومظاهرها (FASHIONS).

دون مائة ألف درهم ، أو لا يكون له قصر شامخ وآبزن (١) وحمام وبساتين (٢) .

كأنه يريد أن يقول أنتم عبيد عبيدكم لأنكم تحتاجون إليهم أكثر مما يحتاجون إليكم ، فنريد أن نخلصكم من هذا السجن الضيق المظلم ، وما ساقتنا إليكم حاجتنا إنما ساقتنا إليكم حاجتكم ، وما ضقنا ذرعاً بالصحراء التي نعيش فيها فإنها مترامية الأطراف واسعة جداً ، إنما ضقنا ذرعاً بالوضع الذي تعيشون فيه ، الوضع المصطنع غير الفطري وغير الطبيعي الذي تعيشونه .

أما نحن فلسنا عبيداً لشهواتنا ، لسنا عبيداً لوجباتنا (٣) لسنا عبيداً لملابسنا التي نلبسها ، لسنا عبيداً للخدم والحشم ، نحن أحرار نتجول في الصحراء ونعيش كما نشاء ، ونأكل ما تيسر ، فالله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، أنتم تستهدفون لجور الأديان وهي التي تذلكم وتهينكم وتسومكم سوء العذاب .

أيها الإخوان ! أريد أن لا أطيل عليكم - فأنتم مشغولون وأمامكم واجبات ومسئوليات - وأقول لكم باختصار : إن موقفكم في هذه البلاد يجب أن يكون موقف الأحرار ، موقفاً مبدئياً دعوياً مثالياً، يلفت النظر ويسترعي الانتباه ، ويثير تساؤلات ومقارنات ، ورغبة في المعرفة والفحص والتحقيق ، أما إذا تنزلتم إلى المستوى المغربي والحياة الغربية السائدة مهما فقتم وتميزتم في هذا التشابه والتقليد ،

---

(١) مغتسلة .

(٢) ملتقط من كتاب « حجة الله البالغة » للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ) .

(٣) الوجبة : الأكلة الواحدة في اليوم ج وجبات .

فإن ذلك لا يثير تأملاً وتساؤلاً ، ولا إجلالاً واحتراماً ، فضلاً عن تأس وتقليد ، وإجلال وتمجيد ، أما إذا قدمتم إليهم مثالاً غير مألوف مثالاً يثير فيهما الدهشة ، نظروا إليكم وسألوكم ، ما هو المنبع الذي استقيتم منه هذا النمط من الحياة و هذه المثل و القيم السليمة الفاضلة ، ويرغبون في أن تقدموا إليهم كتباً تشرح الإسلام وتشرح لهم سيرة محمد - عليه الصلاة والسلام - تشرح لهم الطريق التي انتهت بالمسلمين إلى هذا المستوى العالي والمكان السامي ، ينظرون إليكم كأنهم ينظرون إلى قمة جبل .

فقدموا أيها الإخوان المسلمون العائشون في هذه البلاد - مؤقتاً ، أو تجنستم بالجنسية الغربية - نموذجاً طريفاً من الحياة يثير فيهم الطمع في دراسة الإسلام ومعرفة المسلك الذي وهبهم هذا الطراز من الحياة ، وهذا المنهج من التفكير ، فهذا هو الدور الفريد الذي يستطيع المسلمون أن يمثلوه في هذه البلاد ، أما إذا كان الأسلوب واحداً وكانت الحياة متشابهة مطردة في العالم الغربي ، أو في شبه القارة الهندية ، أو في أفريقية وفي أي بلد من بلاد الدنيا ، فإن ذلك لا يسترعي الانتباه أبداً وإن عاشوا هناك مائة سنة أو أكثر .

وأشكركم على حسن الاستماع ، واعتذر إليكم إذا كانت في كلمتي هذه صراحة زائدة ، فما دفعني إلى ذلك ولا حملني عليه إلا حب الجالية الإسلامية في هذه البلاد ومعرفة قيمتها وأهمية دورها البلاغي والنموذجي في هذه البلاد ومعرفة دور هذه البلاد القيادي والتوجيهي المادي في الماضي ، وما تستطيع أن تقوم به من دور قيادي بناء مفيد للإنسانية ، إذا أراد الله بها خيراً وشرفها بالهداية والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

=== == ===

أسباب الغزو الفكري

[الحلقة الثانية]

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وقطر

أولاً : العداء الصليبي للإسلام والمسلمين :

والباحثون يدركون أن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي ، في مرحلتين من مراحل تاريخها : فكانت مرحلة القرون الوسطى ، قبل وبعد « توماس الإكويني » (١) تريد اكتشاف هذا الفكر ، وترجمته .. ومن أجل ذلك إثراء ثقافتها ، بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات ، التي هدتها إلى حركة النهضة ، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية ، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى ، لا من أجل تعديل ثقافي ، بل من أجل تعديل سياسي ، لوضع خططها السياسية ، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى ، ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية (٢) .

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوربية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

الدافع الأول : دافع الدين ، والعصبية العمياء التي أثارها رجال

---

(١) توماس الإلكويني ولد سنة ١٢٢٦م وتوفي سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين في العصر الدرسي المسيحي ، توفي ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس .

(٢) مالك بن نبي ، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي ، ص/٨ ، ط. دار الإرشاد بيروت ١٩٦٩م .

الكنسية ، في شعوب أوربا ، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات ، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أي المسلمين - فكانت جمهرة المقاتلين ، من جيوش الصليبيين ، من هؤلآء الذين أخرجتهم العصبية الدينية ، من ديارهم عن حسن نية ، وقوة عقيدة ، إلى حيث يلاقون الموت ، والقتل ، والتشريد ، حملة بعد حملة ، وجيشاً بعد جيش .

والدافع الثاني : دافع سياسي استعماري ، فلقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة ، وثروات ، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، و ما في نفوسهم إلا الرغبة في الاستعمار و الفتح ، و شاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة (١) .

ويكاد يكون معروفاً أن أوربا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامي ، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادي عشر ، واستمرت حتى نهاية القرن الثالث عشر أي ما يقرب من مائتي وخمسة وعشرين عاماً في ثماني حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات ، ويصف كاهن مدينة (لوبوي ريموند واجيل)سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس ، فيقول : « جدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها ، فقطعت رؤوس بعضهم فكان أقل ما أصابهم وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ، وحرق بعضهم في النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، و كان لا يرى في شوارع القدس

---

(١) الدكتور مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص/١٨٧-١٨٨ ، ط. دار المكتب الإسلامي ، بيروت ودمشق ١٢٩٨هـ ١٩٧٨م .

وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب و أيديهم و أرجلهم . فـلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم . ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالـوه » (١) .

وروى الكاهن نفسه خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر-رضي الله عنه- ويقول في هذا : « لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان . فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك . وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها . فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها . وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة » (٢) .

ويذكر التاريخ أن الحملة الصليبية عند دخولها بين المقدس في ١٥ مايو عام ١٠٩٩م قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورها في الدماء . وفي انطاكية قتلوا أكثر من مائة ألف مسلم .

فالأمر خطير . إنه حقد الشر على الحق . والرذيلة على الفضيلة . وعداوة الشرك للتوحيد . وخصومة الضلال للهدى (٣) .

وقد صمدت الأمة الإسلامية في وجه هذه الحروب الوحشية التي سلبت . ونهبت . وقتلت . وفتكت .

---

(١) أنظر : د. غوستاف لوبون . حضارة العرب . ص/٢-٤ . ترجمة عادل زعيتر ط.الثانية ١٩٤٨م .

(٢) لوثروب ستودارد . حـاضر العالم الإسلامي . ج/١ . ص/٦٠ . ترجمة نويهض .

(٣) راجع نادية شريف العمري . أضواء على الثقافة الإسلامية . ص/١٦٤ ط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ بيروت .

وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية اشتد وطيسها بين كتائب الإيمان وبين جحافل الشر ، ارتدت الحروب الصليبية ، وقد باءت هذه الحملات بالاخفاق والهزيمة ، فالقديس « لويس التاسع » قائد الحملة الصليبية الثامنة ، وملك فرنسا ، وقع أسيراً في مدينة «المنصورة » في مصر، ثم خلص من الأسر بفدية ، ولما عاد إلى فرنسا ، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدي نفعاً من المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة ، تدفعهم إلى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس ، وبكل غال .

إذن : لابد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصياته : أن يهتم اتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر (١) ، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم ، لا يمكن أن يأتي عن طريق القوة المادية ، والغزو المسلح .

ولقد بدأت حركة « الغزو الفكري » من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية -كما وجههم «لويس التاسع »- والعمل على ترجمة القرآن ، والسنة ، وعلوم المسلمين ، للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها إلى إثارة الشبهات ، وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هـــو عدوهم الأول ، و أن أكبر غاية لهم هـــي ضرب و هدم قواعده » (٢) لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية .. لكن بقي « الغزو الفكري » ينفث سمومه ، ويثير الشكوك ، وبقيت النزعة

---

(١) إبراهيم النعمة ، الإسلام أما تحديات الغزو الفكري ، ص/١٢ .

(٢) أنور الجندي ، المد الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري ، ص/١٢٦ ط. دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٢م .

الصليبية تتوارى خلف ستار من الديبلوماسية . والرياء السياسي . تحرك ما تريد تحريكه . وتقف خلف الغزو الفكري . بكل ما لها من قوة . وعلم ..

ولا شك أن العداء الصليبي للإسلام . هو الدافع الأساسي والأصيل . للغزو الفكري الذي تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية . ونجد أن هذا العداء أخذ « شكل السعار الوبائي » لدى الأمم الغربية « الصليبية » فأخذوا مستميتين يوزعون السموم . ذات اليمين . وذات الشمال . ويفترون الأكاذيب . ويطمسون الحقائق . ويدبرون المكائد . ويتصيدون السقطات . ثم يدخلون في روع أنفسهم . وبني جلدتهم أنه أرقى عنصراً . وأفضل عقلاً . وأفلح ديناً . وأنهم أو صياء على البشرية . وسادة الإنسانية . وهداتها . ومرشدوها » (١)

وقال « وليم غيفورد بلغراف » الانجليزي المسمى بالحرباء : الكلمة المشهورة التي يلخص فيها عداء الغربيين للإسلام : « متى توارى القرآن . ومدينة مكة . عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي . يندرج في سبيل الحضارة . التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » (٢) .

و « جلادستون » رئيس وزراء بريطانيا يقول : « مادام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق . ولا أن تكون هي نفسها في أمان » (٣) .

ويرى غاردنر : « أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا » (٤) . [يتبع]

---

(١) الدكتور توفيق يوسف الواعي . الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية . ص/٧٠٤-٧٠٥ . (٢) أنظر : المصدر السابق .
(٣) نادية شريف العمري . أضواء على الثقافة الإسلامية : ص/١٦٧ .
(٤) عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني . أجنحة المكر الثلاثة : ص/١٢ ط. بيروت دارالقلم ١٩٧٧م .

الدعوة الإسلامية :

لماذا لا يكتب في التوحيد ؟!

بقلم : دكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

ما أن يطالع الإنسان صحيفة إسلامية ، أو زاوية دينية في أي صحيفة ، إلا ويجد فيها كلاماً كثيراً عن الفكر الإسلامي ، والتوجيه الواجب بثه لناشئة المسلمين ، حول الأفكار الوافدة على المجتمع الإسلامي ، وحول تخطيط أعداء دين الله ضد المسلمين ، ورغبتهم في مباعدتهم عن دينهم .. إلى غير هذا من أخبار مثيرة ، وواقع يتألم منها الإنسان ، ونماذج من تكالب أعداء الإسلام على بلاد الإسلام ، وأبناء الإسلام .. قوة مسلطة ، وفكراً مبثوثاً ، وثقافة مصدرة ، وإعلاماً موجهاً وهذا شئ مرغوب فيه .. لكن هذه الصحافة في نظري ، لا تصنع الأمور التي يجب أن يأخذها شباب الإسلام سلاماً يجابه به هذا الأسلوب الموجه ، أمامهم بخطوات عملية ، ولا تهتم بما يجب تركيزه في أساسيات بناء الشخصية الإسلامية ، وفق المنهج الذي وضعه رسول الله ﷺ في تهيئة النفس المؤمنة ، وقومتها عليه .

وما ذلك إلا أن أهم ركيزة يجب أن يتسلح بها الفرد المسلم أمام أي تيار مسلط عليه ، هو في حمايته ورعايته عقيدة .. وأعني بالعقيدة فهم التوحيد بأقسامه الثلاثة : فهماً دقيقاً ، والحرص عليه تطبيقاً عملياً ..

فمع كثرة الصحف والنشرات ، ومع تشعّب ما تنفثه المطابع من كتب في الفكر الإسلامي ، إلا أن القارئ لا يجد من ذلك الزخم الكثير موضوعات ولو قليلة في شرح التوحيد ، وإبانة دلالة لا إله إلا الله

محمد رسول الله .. التي هي كلمة التوحيد ، والتي هي المدخل الأول لمن يريد الولوج إلى الإسلام .. حيث يقول ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا متى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » (متفق عليه) .

فرسول الله ﷺ جلس في مكة ثلاثة عشر عاماً ، يرسخ دلالة هذه الكلمة ، لأنها القاعدة التي تؤسس عليها العقيدة ، ولا تسلم العقيدة إلا بفهم دلالة هذه الكلمة ، ثم تطبيقها عملاً .. فالجندي لا يدخل المعركة إلا بعد تدريبه مدة طويلة على القتال ، ونوعيات عديدة من الأسلحة استعمالاً واتقاء .. ومن يريد عراك الماء في اليم ، لا يلقي فيه ، إلا بعد تعليمه السباحة ، وتعويده على مغالبة الموج ، وإلا اعتبر هذا وذاك من المجازفة والمخاطرة بالحياة ، وقد نهى رب العزة والجلال عن إلقاء النفس في التهلكة ، كما نهي المسلم عن قتل نفسه فقال تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٩٥) وقال سبحانه : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٢٩) .

وتسليح النفس بفهم عقيدة التوحيد فهماً جيداً ، والصدور عن ذلك عملاً في كل شأن من شئون العبادة ، والحياة من أوليات ما يجب أن يدركه المسلم ، لأن العلم قبل العمل ، ولا عمل بدون علم ، والعلم الذي لا يقود صاحبه للعمل ، ويهديه إلى حسن المغفرة وبال على صاحبه .

ولما ثبّت رسول الله ﷺ مفهوم التوحيد مع الله ، في مدة كانت أكثر من نصف المدة التي مكثها في الدعوة إلى الله ، قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، كان من عمق الفهم لدى الصحابة رضوان الله عليهم أن ساروا في أداء الدعوة تبليغاً وانتشاراً ، على الوجه السليم ، فاتسعت دائرة الإسلام في الآفاق في فترة وجيزة ، بحيث شملت أنحاء كثيرة

من معمور الأرض براحة نفس ، وسرعة في الاستجابة ، وتوفيق في العمل .. فأصبحت شعوب الأرض ديناً انطلق من هذا المفهوم العقدي .

ولقد حصلت هفوات من بعض الناس في فهم دلالة مجريات بعض المواقف ، فإنما هي دروس تفيد الأمة في الحرص على تعلم وإدراك ما قد يخفى من اهتمام الإسلام بالتوحيد ، وحماية من تعلق به ، ونموذج ذلك قصة أسامة بن زيد - رضي الله عنه - عند ما قتل رجلاً قال : أشهد أن لا إله إلا الله .. بعد ما رفع عليه أسامة السيف .. فعاقبه رسول الله ﷺ عقاباً شديداً ، ولما قال أسامة مجاوباً رسول الله ﷺ : إنما قالها خوفاً من القتل .. قال الهادي البشير : « هل شققت صدره .. هل عرفت ما في نفسه ؟ كيف بك إذا جاءت لا إله إلا الله تحاجّك أمام الله » فقال أسامة فيما روي عنه : وددت أن أمي لم تلدني بعد .

وللتوحيد أهمية في حياة المسلم كأهمية الماء لحياة كل كائن حي على وجه الأرض ، لأنه المحور الذي تدور عليه الأعمال .. والنقاوة التي تتميز به جودة الأعمال وسلامتها .. ولذا كان له أثر كبير في القاعدة الأولى في مسيرة الأعمال .. فالصحابة ، الذين لازموا مدرسة النبوة ، وتشبعوا من توجيهات رسول الله ﷺ فهماً وعملاً ، كما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : كنا إذا حفظنا عشر آيات من كتاب الله ، لم نتجاوزهن حتى نفهم معانيهن والعمل بهن ، كان اهتمامهم الأول بعقيدة التوحيد ، وفهم دلالته في القول والعمل ، ولذا بان هذا الأثر جلياً بعد وفاة رسول الله ﷺ ، عند ما تأثر الناس وانفجعوا لهذا الخبر وذهبوا في ذلك أشتاتاً ومنازع ، وارتد من ارتد عن الدين ، ومنع الزكاة من منع .. ولم يثبت إلا الصفوة الأولى من المهاجرين والأنصار ، ومن فهم دلالة التوحيد بمثل فهمهم ، حيث جعل الله فيهم الخير والبركة لإعادة الناس إلى جادة الصواب ، وإزالة الغشاوة التي

رانت على بعض القلوب ..

ومن هنا يأتي أهمية التركيز على التوحيد ، وتجديد مفهومه للنفوس ، لكي تعرف مكانتها في مسيرة الحياة وتقرن الأعمال بمنهجه السليم في توجيه النفوس وقيادتها ، حتى يكون العمل صواباً. والإتجاه سليماً .. حيث إن فهم التوحيد تحصين للنفس البشرية عن الوقوع في الشرك الذي تبطل به الأعمال ، كما يتحصن البدن في الطب الوقائي عن كثير من الأمراض ، مخافة الإصابة بها . وكما يحرص مهندسو البناء للعمارات الكبيرة ، على تثبيت القواعد ، وتمكين الأسس ، تحسباً لأي خطر قد يحدق بالبناء ، ومن ثم يضر بالسكان .. وحتى أكون مساهماً في تبليغ ما أمر الله به ، وفي حدود ما يسمح به هذا الخير ، فساتحدث عن المفهوم الذي يجب أن يدركه كل مسلم عن كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، محمدٌ رسول الله ، لأن كثيراً من المحسوبين على الأمة الإسلامية يجهل ما تدل عليه هذه الكلمة ، ويباعد في عمله عما تحث عليه من تزكية للنفس ، وتحسين للعمل ، حيث ترتب على ذلك الوقوع فيما ينافيها ، والإتجاه لما ينقض المفهوم الحقيقي لها في القول والعمل ..

ولا يشك مسلم سليم الفطرة في أن هذه الكلمة هي أساس الدين ، ومرتكز العمل فيه ، إذ هي الركن الأول من أركان الإسلام ، كما جاء في الحديث الصحيح ، الذي رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً - رضي الله عنه - إلى ، قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى أن يشهدوا اللهن لا إله إلا الله ، وإني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم » الحديث .

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله : لا معبود حق إلا الله ، وهي تنفي

الإلهية بحق عن غير الله سبحانه ، وتثبتها لله وحده بالحق ، كما قال سبحانه : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق • وإنما يدعون من دونه الباطل ﴾ (سورة الحج ، الآية :) وأن محمداً رسول الله : طاعة فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بمشرع .. قال ﷺ في الحديث الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » .

وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ، ولا تخرجه من دائرة الشرك ، إلا إذا عرف معناها ، وعمل بمقتضاها : تصديقاً ومحبة ، وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار ، ولا نصير لهم لأنهم لم يؤمنوا بها ، ولم يعملوا بمقتضاها ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن شرطها ثمانية جمعت في بيتين هما :

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة و انقياد و القبول لها
وزيدتا منها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها

وتوضيح هذه الشروط ، كما أبانه أهل العلم - رحمهم الله - :

الأول : العلم بمعناها ، وهذا العلم ينافي الجهل ، إذ لابد أن يدرك المرء ويعلم يقيناً أنه لا معبود حق إلا الله ، فجميع الآلهة التي يعبدها البشر مهما كانت كلها باطلة ، وأن العبادة الصحيحة المقبولة هي عبادة الله وحده لا شريك له .

الثاني : اليقين في قرارة القلب ، وهذا اليقين ينافي الشك ، إذ لابد في حق قائلها من أن يكون على يقين بأن الله سبحانه هو المعبود بالحق ، وأن ما سواه باطل .

الثالث : الإخلاص ، وذلك بأن يكون العبد مخلصاً عمله لربه سبحانه ، في جميع العبادات ، فإن صرف منها شيئاً ولو صغيراً لغير الله من نبي أو ولي أو ملك أو صنم ، أو جني أو قبر أو غير ذلك فقد اشرك

بالله ، ونقض هذا الشرط ، وهو شرط الإخلاص .. لأن الله جلت قدرته ، هو أغنى الشركاء عن الشرك ، كما جاء في الحديث القدسي : « من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ..

الرابع : الصدق ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك ، يطابق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه ، لأن الصدق ينافي الكذب ، فإن قالها باللسان فقط ، وقلبه لم يؤمن بها ، ولا بما يدل عليه معناها فإنها لا تنفعه ، ويكون بذلك كافراً كسائر المنافقين ، واليهود والنصارى .. فإن المنافقين يقولها ولكنهم يبطون في قلوبهم ما هو ضدها من بقية الشروط ، واليهود والنصارى يقولونها ولكنهم لا يحققون معناها إذ عملهم ينافي مدلولها بالمكيدة للإسلام ويكذبون ما جاء عن الله ، وينكرون رسالة محمد ﷺ ، ويعبدون معه سبحانه غير فاليهود قالوا : عزير ابن الله ، و النصارى قالوا المسيح ابن الله .. ﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا ﴾ .

الخامس : المحبة ، ومقتضاها أن يحب الله عزوجل محبة لا يعد لها محبة ، فإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو لا يحب الله أولا يحب رسوله صار كافراً لم يدخل الإسلام كالمنافقين ، جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ (سورة البقرة ، الآية : ١٦٥) .

السادس : الانقياد لما دلت عليه من المفهوم ، ومعنى ذلك أن يعبد الإنسان الله وحده ، و ينقاد لشريعته ويؤمن بها ، ويعتقد أنها الحق ، فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته ، بل استكبر عن ذلك ، فإنه لا يكون مسلماً بل هو من طائفة إبليس و أتباعه ممن

استكبروا على الله وشرعه ، ولم ينقادوا لذلك .

السابع : القبول لما دلت عليه ، وذلك بقبوله وإخلاص العبادة لله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، وأن يلتزم بذلك ويرضى به بقلب مطمئن ، وطاعة في العمل .

الثامن : الكفر بكل ما يعبد من دون الله ، والتبرء من ذلك ، واعتقاد وبطلانه ، لأن كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ﴾ ..

ولذا كان لزاماً على علماء الإسلام وحملة الأقلام توعية الناس للتوحيد بأنواعه الثلاثة : الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .. لكن المزالق التي يقع فيها الجهلة من المحسوبين على الإسلام في النوعين الآخيرين .. أما الأول فقد أقربه الكفار .. وتوعية الناس من الواجبات التي سيسأل عنها حامل العلم .. فالواجب الكتابة فيه ، وإكثار المناقشة تبرأ الذمة من طالب العلم ، ويستبصر الجاهل ، ويتعلم الغافل .

البغي مرتعه وخيم : حكى مؤلف كتاب الفرج بعد الشدة ، أن شيخاً كان جاراً له بنصيبين قال : خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثة من أبي ، أقصد به العباس بن عمرو السلمي ، أمير ديار ربيعة ، وهو برأس العين لأهديه إليه ، واستجديه بذلك ، فصحبني في الطريق شيخ من الأعراب ، فسألني عن أمري ، فأنست به ، وحدثته الحديث ، وكنا قربنا من رأس العين ، ودخلناها وافترقنا ، وصار يجيئني ويراعيني ، ويظهر لي أنه يسلم علي ، وأنه يبرني بالقصد ، ويسألني عن حالي ، فأخبرته أن الأمير قبل هديتي ، وأجازني بألف درهم وثياب ، وأني أريد الخروج في يوم كذا وكذا .

فلما كان ذلك اليوم ، خرجت من البلد ، راكباً حماراً ، فلما دخلت في الصحراء ، إذا بالشيخ على دويبة له ضعيفه متقلداً سيفاً ، فلما رأيته استرتب به ، وأنكرته ، ورأيت الشر في عينيه ، فقلت : ما تصنع ها هنا ؟ فقال : لقد قضيت حوائجي ، وأريد الرجوع ، وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك ، فقلت : على اسم الله ، وما زلت متحرزاً منه ، وهو يجتهد أن أدنو منه ، وأوانسه فلا أفعل ، وكلما دنا مني بعدت عنه ، إلى أن سرنا شيئاً كثيراً ، وليس معنا ثالث ، فقصّر عني ، فحثثت الحمار لأفوته ، فما أحسست إلا بركضه ، فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه وقصدني ، فرميت بنفسي عن الحمار وعدوت ، فلما خاف أن أفوته صاح : يا أبا القاسم ، إنما مزحت معك فقف ..فلم التفت إليه ، وزاد في التحريك ، وظهر لي ناووس - وهو موضع ينقر في الصخر - فطلبته ، وقد كاد الأعرابي يلحق بي ، قد خلت الناووس ، و وقفت وراء بابه .

قال : ومن صفات تلك النواويس أنها مبنية بالحجارة ، وباب كل ناووس حجر واحد عظيم ، قد نقر وحفف وملّس ، فلا تتمكن اليد منه ، وله في وجهه حلقة ، وليس للباب من داخل شئ تتعلق به اليد ،وإنما يدفع من خارجه فيفتح ، فيدخل إليه ، وإذا خرج منه ، وجذبت الحلقة انغلق الباب ، وتمكن هذا من ورائه ، فلم يمكن فتحه من داخل أصلاً .

قال : فحين دخلت الناووس ، وقفت خلف بابه ، وجاء الأعرابي فشدّ الدابة في حلقة الباب ، ودخل يريدني مخترطاً سيفه ، والناووس مظلم فلم يرني ، ومشى إلى صدر الناووس ، فخرجت أنا في من خلف الباب وجذبته، ونفرت الدابة ، فجذبته معي ، حتى صار الباب مردوماً محكماً، وربطت الحلقة في زرّة الحائط ، وحللت الدابة وركبتها .. فجاء الأعرابي إلى باب الناووس ، فرأي الموت عياناً ، فقال : يا أبا القاسم ،

اتق الله في أمري فإني أتلف . فقلت : تتلف أنت . أهون علي من أن أتلف أنا .

قال : فأخرجني وأنا أعطيك أماناً . واستوثق مني بالايمان . أن لا أعرض لك بسوء أبداً . وأذكر الحرمة التي بيننا . فقلت : لم ترعها أنت . وأيمانك فاجرة . لا أثق بها في تلف نفسي .

فأخذ يكرر الكلام . فقلت له : لا تهذّ . دع عنك هذا الكلام وأقعد مكانك . هو ذا أنا أركب دابتك . وأجنب حماري . والوعد بعد أيام بيننا هنا . فلا تبرح عليّ حتى أجيئ . وإذا احتجت إلى طعام فعليك بجيف العلوج . فنعم الطعام لك . وأخذت ألهو به في مثل هذا القول وأخذ يبكي ويستغيث ويقول : قتلتني والله . فقلت : أذهبك الله . وركبت دابة وجنّبت حماري .

و جدت على دابته فرجاً فيه ثياب يسيرة . وجئت إلى نصيبين . فبعث الثياب . وكانت دابته شهباء . فصبغتها دهماء وبعتها . لئلا يعرف صاحبها فأطالب بالرجل . واتفق أنه اشتراها رجل من المجتازين . وكفيت أمره . وانكتمت القصة . فلما كان بعد أكثر من سنة . عرض لي الخروج إلى رأس العين . فخرجت في تلك الطريق . فلما لاح لي الناووس ذكرت الشيخ . فقلت أعدل إلى الناووس وأنظر ما صار إليه أمره . فجئت إليه . فإذا بابه كما تركته . ففتحته ودخلت . فإذا بالأعرابي قد صار رمة . فحمدت الله تعالى على السلامة . ثم حركته برجلي وقلت له على سبيل العبث : ما خبرك يا فلان ؟ فإذا بصوت شيئ يتخشخش . ففتشته فإذا هميان . فأخذته وأخذت سيفه وخرجت . وفتحت الهميان . فإذا فيه خمسمائة درهم . وبعت السيف بعد ذلك بجملة دراهم [٢: ٢٧٤-٢٧٧] .

=== == ===

أهمية الإيمان وضرورته للإنسان

بقلم : فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر بن مفرح
ابها (المملكة العربية السعودية)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم   أما بعد !

فإن قضية الإيمان بالله والاستقامة على منهج الله من أبرز قضايا الوجود الإنساني لأنها قضية السعادة الأبدية ، أو الشقاء الأبدي وقضية الوجود الإنساني المكرم أو الوجود الحيواني الهابط إنها قضية الجنة أو قضية النار ، وقضية بهذا الحجم جديرة بالاهتمام وأي اهتمام بغيرها بعد إهمالها يعد ضرباً من السفه والجنون ، لأن الإنسان بغير إيمان وبغير دين لا مضى له ولا قيمة.له إنه ذرة من ذرات هذا الكون إنه سعفة في مهب رياحها ، إنه حشرة من حشراتها وبهيمة من بهائمها لا وزن له ولا قيمة له ولا معنى لوجوده لأنه لا يدري من أين جاء و لا لماذا جاء و لا أين سيذهب بعد أن يؤدي دوره على مسرح الحياة ، إنه يعيش في تيه وفي ضلال بعيد .

كما قال شاعرهم :

جئت لا أعلم من أين و لكنني أتيت
و لقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف سرت كيف أبصرت طريقي
لست أدري ولماذا لست أدري لست أدري

لا يدري لماذا جاء ولا من أين جاء ، ولا إلى أين سيذهب به ، وقد سبب له هذا الجهل معضلات كثيرة ، فهرب من واقعه المرير إلى حياة البهائم والحيوانات ليقاسمها معيشتها منافساً على الرغيف مستغرقاً في شهوات البدن لاهم له إلا هموم البهائم فهو يعيش في أرذل درجات الحيوانية ، يقول تبارك وتعالى : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » (١) بل إنهم في درجة أحط وأحقر من درجة الحيوانات يقول عز وجل : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » (٢) .

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها • ولهم أعين لا يبصرون بها • ولهم آذان لا يسمعون بها • أولئك كالأنعام بل هم أضل • أولئك هم الغافلون » (٣) .

لقد زودهم الله بالإمكانات والقدرات التي يستطيعون بها التعرف على حكمة خلقهم وسر وجودهم ولكنهم عطلوا هذه القدرات وما انتفعو بهذه الإمكانات ، إذ ما قيمة قلوب لا تعرف الله ولا تفقه دين الله ، وما فائدة أعين لا تبصر طريق الله ولا منهج الله وما جدوى آذان لا تسمع كلام الله ولا تستجيب لداعي الله .

يقول عزو جل : « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ » (٤) ، إن القلوب التي لا تفقه عن الله لا فرق بينها وبين قلوب البهائم ، إن الحيوان يفقه كيف

---

(١) سورة محمد ، الآية : ١٢ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤٤ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ .
(٤) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٦ .

يأكل وكيف يشرب وكيف ينكح وكيف ينام والإنسان بغير إيمان ولا دين لا يفقه من هذه الحياة إلا ما يفقهه الحيوان . إذاً فما الفرق بين الإنسان وبين الحيوان . بل إن الحيوان في درجه أعلى ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل • أولئك هم الغافلون ﴾ (١) .

إن الإيمان ضروري للإنسان من النواحي التالية :

الضرورة الأولى :

إن الإيمان مهم جداً للإنسان ليرفعه عن درجة الحيوانية إلى درجة الإنسانية المكرمة . يقول عزوجل : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (٢) إن سر التكريم هو هذا الدين ليس التكريم بضخامة الجسد ولا بالقوة والشجاعة ولا بالعقل كما يتوهم بعض الناس لأن العقل شئ مشترك عند كل المخلوقات حتى أبلد الحيوانات (الحمار) لديه عقل يستطيع به أن يؤدي وظيفته التي خلقه الله لها وسخره من أجلها وهي حمل الأثقال والمتاع : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (٣) .

إن الحيوان يعرف ما ينفعه وما يضره وإذا وضعت أمامه كمية من الطعام التهمها و إذا حفرت أمامه حفرة و حاولت دفعه إليها ، امتنع عنها ورفضها . أما يدل ذلك على أن عنده عقلاً . بلى إن عنده عقلاً ، ولكن هل تنتظر من الحمار أن يخترع صاروخاً لا ليس هذا دوره ولا مهمته وإنما دوره أن تركب عليه وتقضي حاجتك من بلد إلى بلد ، فهو

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩ . (٢) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٨ .

يعقل هذه المهمة ويدرك الطرق التي يعبرها .

وإذا سلك طريقاً مرة واحدة عرفه ، ولا يمكن أن يضل عنه أو ينساه إذا أراد أن يسير فيه مرة أخرى . وقبل وسائل النقل الحديثة كانت وسائل النقل البدائية هي السائدة كالجمال والخيول والحمير . ويحدثنا كبار السن أنهم كانوا إذا ركبوا على هذه الدواب من مكان إلى مكان ثم أرادو العودة فإنها لا تخطئ الطريق بأي حال من الأحوال . ولقد حدثني رجل متقدم في السن بأنه انتقل في ليلة من الليالي إلى إحدى القرى ، و في الطريق هطلت الأمطار و دخل في أودية كثيرة الأشجار ، و اختلط عليه أمر الطريق ، و اعتقد أنه أخطأ في الطريق وجعل يحول الحمار عن الطريق الذي يسير فيه ويرده إلى جهة أخرى ظن أنها هي الطريق الموصلة إلى تلك القرية ولكن الحمار لم يطاوعه واستمر في طريقه ، و بعد ساعات وجد نفسه واقفاً أمام البيت الذي يريده ، يقول الرجل ولو أنه أطاعني لضللت الطريق .

ويحدثني أحد العلماء في اليمن بأنهم في تلك الديار يزرعون التبغ (الدخان) وأن الأمطار تتأخر عنهم ويحصل لديهم جفاف ولا يبقى في الآبار إلا القليل من الماء الذي يدخرونه لسقيا أشجار التبغ ، وأن الحيوانات تجوع و لا تجد ما تأكله من نبات الأرض و أنه يعرضون شجر الدخان الأخضر اليانع على الحمير فترفضه ولا تتناوله حتى ولو ماتت جوعاً فقلت سبحان الله .

إن الحمير تعقل أضرار الدخان وحرارته ولذعته وضرره فلا تتناوله رغم أنه أخضر اللون طازج النكهة ، ولكن بعض البشر يلغى عقله وينسى مصلحته ، ويقدم على تناول الدخان المعلب بعد شرائه بأمـــواله ليحرق صدره و يغضب ربه و يؤذى ملائكته ، فسبحان الله

كيف . تضل العقول عن الطريق الصحيح .

ان أضعف الحشرات تمتلك عقلاً كثيراً وإدراكاً عظيماً لنأخذ مثلاً : (البعوضة) تلك الحشرة الصغيرة التي خلقها الله وركب عظامها ومفاصلها وأجرى المخ في عظامها والدم في عروقها وزدوها بالعقل الهائل التي تتغلب بواسطته على الإنسان فتؤذيه وتسلب دمه وتقلق راحته . إذ أنها قبل أن تلسع الإنسان تعلن الحرب عليه علنا فتأتي إلى أذنه وترسل طنينها المزعج وكأنها تقول في معرض التحدى سوف أمص دمك فهل تقدر على الدفاع ويوم يسمع الإنسان هذا الطنين يذهب نومه وتنزعج نفسه ويقوم من فراشه لمطاردة هذا العدو . ولكنه لا تجده إذا علمت البعوضة بقيامك اختفت في السقف أو على الجدران حتى إذا عجز الإنسان عن المطاردة . جاءت إليه البعوضة ووقعت على مجارى الدم في عروقه لأنها تعرف مجارى الدماء و عندها خبرة جيلوجية في مسارات الدم . ثم تفرز من فمها مادة سائلة شبيهة بالبنج لتخدير الموضع . حتى لا يحسن بها الإنسان فيضر بها . ثم تمص الدماء اللازمة . وبعد طيرانها يبطل مفعول البنج فيحس الإنسان بألم اللسعة فينظر إلى الموقع فلا يرى شيئاً فيقوم بحك الموقع حتى يجرح نفسه .

يا من يرى من البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى تياط عروقها في نحرها
والمخ يجرى في العظام النحل

ويرى مجارى الدم في أوصالها
متنقلاً من مفصل في مفصل

ويرى ويسمع كل ما هو دونـه

فـــي قاع بحر مظلم متجلجل

امنن علي بتوبة أمحو بهـــا

ما كان مني في الـــزمان الأول

فهل يمكن أن تقوم هذه الحشرة الصغيرة بكل هذه الأعمال بدون عقل لا يمكن ذلك . إذاً فالعقل ليس سر التكريم لهذا الإنسان إن سر التكريم هو الإيمان والدين .

ويوم يتخلى عنه الإنسان يتخلى عن سبب عزته وسر كرامته ، ولزيادة الإيضاح سوف أذكر أمة من الأمم ذكرها الله في القرآن الكريم وقص خبرها مع سليمان عليه السلام . تلك هي أمة النحل حينما أراد سليمان أن يعبر الوادي التي كانت تسكنه تلك الأمة نادت إحدى النمل بأعلى صوتها محذرة لأخواتها ومعتذرة لسليمان وجنوده فقال عز وجل : ﴿ حتى إذا أتو على وادي النمل قالت نملةٌ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (١) .

وقد ذكر إبن القيم رحمه الله في كتابه « مفتاح دار السعادة » الجزء الأول صفحة ٢٤٢ قصة عجيبة عن النمل نقلها عن بعض العلماء قال : رأيت نملة جاءت إلى شق جرادة فأرادت حمله فلم تطق ذلك فذهبت غير بعيد ثم جاءت معها بجماعة من النمل ، قال : فرفعت ذلك الشق من الأرض ، فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئاً فرجعن فوضعته مكانه ثم جاءت فصادفته فزاولت حمله

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٨ .

فلم تطق رفعه فذهبت غير بعيد ثم جاءت بهن فرفعته فدُرْن حول مكانه فلم يجدن شيئاً فذهبن فوضعته ثانية فعادت وجاءت بهم فرفعته فلما لم يجدن شيئاً تحلقن حلقة ثم جعلن تلك النملة في الوسط ثم حملن عليها فقطعنها عضواً عضواً . وأنا أنظر ، بل من عجيب أمر النملة ، أنها تجمع طعام الشتاء في فصل الصيف وتقوم بتخزينه في مساكنها بعد تكسيره لئلا ينبث وإذا خافت إليه الفساد أخرجته إلى الشمس ثم تقوم باعادته مرة أخرى

مثال آخر طائر الهدهد الذي ذكر الله خبره في القرآن الكريم . عندما قام سليمان بتفقد أمة الطير فلم يجد الهدهد قال تعالى : ﴿ مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطانٍ مبينٍ ﴾ (١) .

ولما عاد الهدهد وقف أمام سليمان ﴿ وقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ لقد استغرب هذا الطائر ان تصرف العبادة لغير الله ، وأنكر هذا الظلم العظيم ، إن هذا الهدهد يسعى لنشر التوحيد و محاربة الشرك . فأين أبناء التوحيد من عقيدتهم ، و لماذا لا ينشرونها في أمم الأرض ، إن مما يؤسف له أن يخرج أبناء التوحيد من بلادهم الإسلامية إلى البلاد الكافرة للبحث عن الفساد ولممارسة الجرائم الأخلاقية متجاهلين الدور الذي ينبغي أن يقوموا به في هداية البشرية باعتبارهم ورثة رسالة وأصحاب مبدأ .

إن الهدهد يؤدي دوره في خدمة عقيدة التوحيد انطلاقاً من الفهم الذي يدركه والعقل الذي يملكه .

أجل ! سر التكريم للإنسان ليس العقل ، فما هو سر التكريم إذاً ، إنه الدين ، اسمعوا ماذا يقول الله عز وجل في سورة الحج : ﴿ ألم تر

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٢٠ .

أن الله يسجد له من في السماوات و من في الأرض و الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء ﴾ (١) . لقد سخر الله جميع المخلوقات وسلبها الارادة وكرّم الإنسان ومنحه القدرة على الاختيار ليختار الطريق الأفضل والبديل الأمثل فامتثل كثير من الناس للأمر واختاروا الطريق الصحيح وساروا مع هذا الكون في طريق الطاعة فسجدوا لله و خضعوا له و اتبعوا منهجه . و رفض كثيرون هذا التكريم وأهانوا أنفسهم باختيار الطريق الأسوأ الذي يوصلهم إلى العذاب . فالتكريم الذي فضل الله به هذا الإنسان على سائر المخلوقات هو الإيمان والدين ، ومن يهن الله فماله من مكرم ، من أهانه الله بالكفر والضلال والانحراف فمن يكرمه ، لقد عرض نفسه للهوان في هذه الحياة بالقلق والاضطراب والتخبط وعرضها للهوان عند الموت حين يغادر هذه الحياة قسراً وهو متوج بلعنة الله ، وعرضها للهوان في القبر الموحش وهو يجنى ما قدمت يداه ، وعرضها للهوان في عرصات القيامة وهو يقاد إلى دار الهوان . أما المؤمن فقد اعتلى درجات الكرامة فهو مكرم في الدنيا بالأمن والطمأنينة ، والرضا واليقين ، ومكرم عند الموت . والملائكة تخاطبه : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي ﴾ (٢) و مكرم في القبر يوم يثبته الله ويلهمه محبته ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة و يضل الله الظالمين • و يفعل الله ما يشاء ﴾ (١) ومكرم في عرصات القيامة يوم يقوم من قبره آمناً لا خف عليه ولا هو يحزن ويوم يمر على

---

(١) سورة الحج ، الآية ١٨ .   (٢) سورة الفجر، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .

الصراط كالبرق الخاطف و يوم يأخذ كتابه بيمينه و يقول للخلائق : ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه • إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه • فهو في عيشة راضية • في جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (١) . ومكرم يوم توزن أعماله فترجح لأن لعمله وزناً وثقلاً . ومكرم يوم يرد الحوض فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ثم يكرم حين ينادى و يقال له : ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ (٢) .

هذه هي الكرامة هذا هو الفوز الحقيقي .

ليس الفوز أن تحتل منصباً ؛ أو أن تمتلك أرصدة كبيرة أو أن تركب سيارة فارهة أو تنكح زوجة جميلة . إن هذه الأشياء مؤقتة تنتهي وتزول ولكن الفوز يوم أن تدخل الجنة يقول عز وجل : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (٣) .

إن الإيمان يرفع الإنسان عن درجة الحيوانية الهابطة التي تنحصر اهتماماتها في شهوات البطون والفروج والاستمتاع بمطالب الجسد ، أما الإنسان فإن له اهتمامات أعلى وأرفع من ذلك . لقد خلق الله الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأنزل عليه كتبه وأرسل إليه رسله . وأعد له الجنة ونعيمها . إن هو اطاعه . وتوعده بناره إن هو عصاه وخالف أمره . مما يؤكد ضرورة الإيمان للإنسان في هذه الحياة . بل انه أعظم من ضرورة الطعام والشراب واللباس .

---

(١) سورة الحاقة . الآية : ١٩-٢٤ .

(٢) سورة الزخرف . الآية : ٧٠-٧١ .

(٣) سورة آل عمران . الآية : ١٨٥ .

نظرات في سنن أبي داؤد وشروحه.

[الحلقة الثانية]

لسماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
عرض وتعليق : بلال عبد الحي الحسني الندوي

ومن أقدم شروحه وأشهرها وأغزرها مادة وأكثرها فوائد وأصولاً ونكتاً شرح معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (١) ولا يعزبن عن البال أن الخطابي - رحمه الله تعالى - لم يشرح جميع الأحاديث بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات ، فإذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً وكأنه بذلك شرح جميع الباب وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءي له وإلى ذلك الإشارة بقوله من باب كذا (٢) .

إلا أن الكتاب مجمع على فضله واحتوائه على فوائد كثيرة تنير السبيل للمستفيدين وتنشئ فيهم ملكة الاستنباط وفقه الحديث وقد جاءت في ثنايا الكتاب ثروة ذات قيمة من مقاصد الشريعة وأسرارها كما نوه بذلك شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله (٣)

---

(١) سلف ذكره وشرحه على سنن أبي داؤد برواية ابن داسة ولخص هذا الشرح الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي (م ٧٦٥هـ) وسماه « عجالة العالم من كتاب المعالم » .

(٢) مقتبس من مقدمة الشيخ الراغب الطباخ على معالم السنن للخطابي طبع حلب (ع) .

(٣) مضت ترجمته .

الدهلوي في مقدمة « حجة الله البالغة » (١).

وشرحه الشيخ قطب الدين أبو بكر بن أحمد بن دعين اليمني الشافعي (م سنة ٦٥٢هـ) (٢) في أربعة مجلدات كبار .

وقد تناوله بالشرح شيخ الإسلام محي الدين النواوي (٣) (م سنة ٦٧٦هـ) إلا أن هذا الشرح لم يتم ولو تم لكانت له مكانة مرموقة لاقتدار صاحبه على الشرح والإيضاح ورسوخه في علوم الحديث وسلامة ذهنه .

وشرحه الحافظ علاء الدين المغلطائي ابن القليج (٤) ولم يكمله ، وهو

---

(١) في مكتبة دار العلوم ديوبند مقدمة للشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني ، كتبها بطلب من جماعة للفقهاء حين إملائه لمعالم السنن في سنة ٥٤٦هـ للتعريف بصاحب السنن الإمام أبي داؤد وبشارحه أبي سليمان الخطابي يقول في هذه المقدمة . وقد أردت أن أقدم ههنا أيضاً فصلاً في التنبيه على جلالة أبي داؤد وما صنفه ، وفضل أبي سليمان وشرحه وقد جاءت هذه المقدمة في ٢٢ صفحة من القطع الكبير وهي خطية لم تطبع بعد (مخطوطات دار العلوم : ص/٩٥) (ع) .

(٢) لم نعثر على ترجمته .　　　　(٣) سلف ذكره .

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ المحدث علاء الدين أبو عبد الله ابن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي . ولد بعد التسعين وست مائة . كما هو المشهور . كان أبوه في صباه يرسله ليرمي بالنشاب فيخالفه ويذهب إلى دروس أهل العلم حتى صار له مشاركة جيدة في فنون من العلم ، سمع عن ابن دقيق العيد والعراقي والدمياطي وغيرهم وتخرج على ابن سيد الناس وبعد وفاته ولي بالتدريس بالظاهرية .

كان كثير المطالعة والدأب والكتابة ، له مصنفات كثيرة مفيدة تبلغ إلى مائة كتب تقريباً. مات في شعبان ٧٦٢هـ (ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن : ص/١٣٢) (وللسيوطي : ص/٣٦٥) (شذرات الذهب : ٢/١٩٧) .

كتاب عظيم كثير الفوائد .

وشرحه شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي (١) سماه « امتحاء السنن واقتفاء السنن » .

و شرحه الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي (٢) .

و شرحه الشيخ العلامة ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي (٣)

---

(١) هو الإمام المحدث الحافظ شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي (٧١٤-٧٦٥هـ) سمع من أصحاب ابن عبد الدائم وابن علاق والنجيب وطبقتهم . وعنى بهذا الشأن فجمع وضبط وبرع . رحل وأفاد . وصنف ودرس بعد العلائي بالتنكزية . سمع فيه جماعة من الفضلاء . يقول الذهبي عنه . هو الإمام المحدث طالب مفيد . سريع القراءة . رحل إلى القدس ومصر ودمشق وتوفي في بيت المقدس . (الدرر الكامنة : ٢٤٢/١) (ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الدمشقي : ص/١٤٨) .

(٢) هو العلامة المحدث الفقيه سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي المعروف بابن الملقن (٧٢٣-٨٠٤هـ) ولد في القاهرة ونشأ في كفالة زوج أمه وقد توفي أبوه . أخذ عن التقى السبكي وابن سيد الناس ومغلطائي وغيرهم وأجاز له جماعة كالمزى وغيره اشتغل في كل فن حتى قرأ في كل مذهب كتاباً . قال ابن حجر : كان موسعاً عليه في الدنيا مشهوراً بكثرة التصانيف حتى يقال انها بلغت ثلاث مائة تقريباً ما بين صغير وكبير منها شرحه على صحيح البخاري وشرح زوائد السنن . لأبي داؤد على الصحيحين في مجلدين . (البدر الطالع : ٥٠٨/١) (شذرات الذهب : ٤٤/٧) .

(٣) هو العلامة المحدث الفقيه الأصولي ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي (٧٦٢-٨٢٦هـ) قرأ على أساتذة بلده ثم رحل أبوه به إلى الشام فأحضر عند جمع من العلماء ثم رجع أبوه فطلب >>>>

قال السيوطي (١) هو شرح مبسوط جداً كتب فيه من أوله إلى سجود السهو في سبع مجلدات (٢) ولو كمل لجاء أكثر من أربعين مجلداً .

وشرحه الحافظ شهاب بن رسلان الرملي الشافعي في أحد عشر مجلداً (٣) وقد رأى الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري (٤)

>>>> العلم بنفسه وطاف على الشيوخ وكتب الطباق وفهم الفن . أخذ عن البلقيني وابن الملقن حتى برز في الحديث والفقه والعربية ولما مات أبوه تقرر في وظائفه فدرس ثم ولي القضاء الأكبر ثم صرف عنه . كان من خير أهل عصره بشاشة وصلابة في الحكم وقياماً في الحق وطلاقة وجه وحسن خلق . له مصنفات في الحديث والفقه . شرح سنن أبي داؤد برواية اللؤلؤي (شذرات الذهب : ١٧٢/٧) (الضوء اللامع : ٢٢٦/١) (ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي : ص/٢٧٥) .

(١) هو المحقق الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي (٨٤٩-٩١١هـ) أحضره والده في صباه مجلس الحافظ ابن حجر . أخذ عن الشمس المرزباني والعلم البلقيني واجيز بالافتاء والتدريس . ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد والعبادة . والانقطاع إلى الله سبحانه . وبدأ التأليف وترك الإفتاء والتدريس . وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات . مؤلفاته كثيرة نافعة تبلغ إلى خمس مائة مؤلف . كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه . وأخبر هو عن نفسه انه يحفظ مئتي ألف حديث . (شذرات الذهب : ٥١/٨) (الضوء اللامع : ٦٥/٢) .

(٢) وكتب مجلداً فيه الصيام والحج والجهاد .

(٣) شرح مسائل ينقل فيه عن شيخه العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - .

(٤) هو العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليماني (١٢٤٥-١٣٢٧هـ) ولد بالحديدة وتفقه على مذهب الشافعي وأخذ الحديث >>>

شرحه في بعض بلاد العرب وذكر أنه في ثمان مجلدات كبار كما جاء في غاية المقصود (١) .

وشرحه الشيخ شهاب الدين بن أحمد بن الحسين الرملي المقدسي الشافعي (٢) .

وشرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي (م سنة ٨٥٥هـ) (٣) ولم يكمل .

و شرحه العلامة جلال الدين السيوطي (م سنة ٩١١هـ) (٤) و سماه « مرقاة الصعود إلى سنن أبي داؤد » وعليه حاشية للعلامة السيد علي

>>> عن العلامة حسن بن عبد الهادي الأهدل ثم توجه إلى اليمن وأخذ عن العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل ، وأجازه الشيخ أحمد بن القاضي محمد بن علي الشوكاني والعلامة ناصر الدين الحازمي ، وولي القضاء ببلدة لحيه ثم تركها وقدم الهند ، ولبث في بهوفال سنتين ، ثم رجع إلى وطنه ثم عاد وتوطن ببلدة بهوفال . وقد طار صيته في الأقطار الهندية ، وخضع لعلمه كبار العلماء والمحدثين وأسندوا عنه ، لم يشتغل بالتأليف والتصنيف ولو أراد ذلك لكانت له مصنفات في الحديث ، له بعض الرسائل وبعض التعليقات على سنن أبي داؤد (نزهة الخواطر: ١١١/٨) .

(١) غاية المقصود : ص/٩ .

(٢) هو الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن أرسلان المقدسي الشافعي (٣ أو ٧٧٥-٨٤٤هـ) ولد برملة فلسطين ، حفظ القرآن في صباه وأخذ عن الشمس القلقشندي وابن الهائم والجلال البلقيني وطبقتهم وبرز في الحديث والفقه والأصول ، وتصدى للتدريس والإفتاء ثم تركهما بعد مدة وسلك طريق الزهد والعبادة وجد فيه حتى بلغ رتبة الكمال ، له تصانيف منها شرحه للبخاري وأبي داؤد وغيرها ، توفي بالقدس (شذرات الذهب : ٢٤٨/٧) (الضوء اللامع : ٢٨٢/١) (الأعلام : ١١٥/١) .

(٣-٤) سلف ذكرهما .

بن سليمان الدمنتي البجمعوي (١) وسماه « درجات مرقاة الصعود » وقد قال في مقدمته : « هذا اختصارنا لمرقاة الصعود إلى سنن أبي داؤد للعلامة السيوطي وهو تعليق على نسق أصله الذي لخص به معلم السنن (٢) للإمام أبي سليمان الخطابي وضم إليه الفوائد الزوائد والعرائد الشرائد (وهو في جزء واحد طبع في المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٨هـ) .

وقد شرحه العلامة الشيخ محمود محمد خطاب السبكي المصري (م سنة ١٣٥٢هـ) (٣) و سماه : « المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داؤد » وهو شرح حافل في عشرة أجزاء ولم يتم . وقد وصل المؤلف في شرحه إلى « باب التلبيد » .

وكان نصيب علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير

---

(١) هو العلامة أبو الحسن علي بن سليمان الدمنتي البجمعوي من أعلام المغاربة ولد في دمنات سنة ١٢٣٤هـ . له مصنفات منها « لسان المحدث » ومنظومة في اصطلاح الحديث وشرحها وغير ذلك . توفي سنة ١٣٠٦هـ . (الاعلام : ٥٠/١٠٤) .

(٢) لخصه شهاب الدين المقدسي وقد ذكرته آنفاً .

(٣) هو المصلح الكبير الداعي إلى الله الشيخ محمود الخطاب السبكي ، تعلم العلم كبيراً ، وتخرج في الأزهر وكانت دراسته بكاملها في نحو سنة كما حكى هو عن نفسه في كتابه « فتاوى أئمة المسلمين » ودرس في الأزهر وقام بدعوة دينية إصلاحية ، كان لها تأثير كبير في إزالة البدع والمنكرات واتباع السنة وطريقة السلف الصالح ، وأسس جمعية وسماها « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » لقيت ابنه وخليفته الشيخ أمين محمود خطاب في مصر سنة ١٣٨٠هـ وتعرفت بكثير من أعضائها ، راجع « مذكرات سائح في الشرق العربي لكاتب هذه السطور (ع) .

منقوص شأنهم في خدمة علم الحديث عامة ، وخدمة الصحاح الستة بصفة خاصة .

فأول من شرحه من علماء الهند العلامة أبو الحسن السندي ابن الهادي المدني (١) (و هو شرح لطيف) سماه « فتح الورود على سنن أبي داؤد » .

وتلاه علماء آخرون فعني به العلامة المحدث الكبير شمس الحق الذيانوي (٢) فبدأ بشرح عظيم محيط بمباحث الكتاب والمتون والأسانيد ، لو تم لكان عملاً جليلاً ، ومن شروح الحديث الكبيرة

---

(١) هو الشيخ العلامة أبو الحسن نور الدين محمد بن الهادي الحنفي السندي المحدث الكبير ، ولد ببلدة (تته) من السند ونشأ بها ثم سافر إلى تستر وأخذ عن جملة من الشيوخ ثم هاجر إلى المدينة المنورة وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي والشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني وعن غيرهما ودرس بالحرم النبوي الشريف واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح وألف مؤلفات نافعة أشهرها تعليقاته على الكتب الستة ومسند الإمام أحمد وشرحه على الأذكار للنواوي توفي سنة ١١٣٨هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع (نزهة الخواطر: ٦/٦) .

(٢) هو الشيخ العلامة شمس الحق بن أمير علي الذيانوي العظيم آبادي (١٢٧٣-١٣٢٩هـ) قرأ المختصرات في بلده ثم سافر إلى لكناؤ ولازم الشيخ فضل الله اللكنوي ثم ارتحل إلى مراد آباد ولازم العلامة بشير الدين العثماني القنوجي ثم سافر إلى دهلي ، وأسند الحديث عن الشيخ نذير حسين ورجع إلى بلدته ثم سافر مرة ثانية وقرأ عليه بعض الكتب وأسند عن العلامة حسين بن محسن الأنصاري ثم رجع إلى بلدته وعكف على التدريس والتصنيف والتذكير وبذل جهده في نصرة السنة ونشر كتب الحديث ، سافر إلى الحجاز فحج وزار وأدرك المشائخ فاستفاد منهم وأفاد ، له تصانيف كثيرة أشهرها غاية المقصود في شرح أبي داؤد (نزهة الخواطر: ٨/١٧٩) .

الشاملة . إلا أنه لسعة دائرته وضخامة عمله لم يتم وسماه « غاية المقصود » وقد احتوي على بحوث مفيدة وفوائد كثيرة . ولعل المؤلف قد شعر بأن هذا العمل لا يتم في حياته فضيق دائرة التأليف . وصغر اطار الكتاب وأخرج الكتاب في أربعة أجزاء وسماه « عون المعبود » ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف وهو من تأليفه حقيقة .

و ترجمه الشيخ وحيد الزمان اللكهنوي الحيدرآبادي الملقب بوقار نواز جنگ (١) وتناوله بالشرح والإيضاح وسماه « الهدى المحمود في ترجمة سنن أبي داؤد » .

وقد جمع أحد تلاميذ العلامة أنور شاه الكشميري (٢) وهو الشيخ

---

(١) هو الشيخ العالم الكبير وحيد الزمان بن مسيح الزمان العمري (١٢٦٧-١٣٣٨هـ) ولد بكانفور وقرأ على المفتي عناية أحمد الكاكوروي وعلى غيره من العلماء ثم لازم العلامة عبد الحي اللكنوي و أخذ عنه . سافر إلى الحجاز . وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد بن عيسى الحنبلي ثم رجع إلى الهند وسكن بحيدرآباد وخدم الدولة الآصفية حتى صار معتمداً للوزير ولقبه صاحب الدكن بـ « نواب وقار نواز جنگ بهادر» ثم اعتزل في بيته عاكفاً على المطالعة والتأليف . وبعد مدة هاجر إلى المدينة المنورة ولكنه اضطر إلى العودة .

كان من كبار مؤلفي عصره ترجمة وتصنيفاً . راسخ القدم في علم اللغة والحديث . له تصانيف كثيرة ومن أحسن مؤلفاته « وحيد اللغات في غريب الحديث و مفرداته » - في ثمانية و عشرين مجلداً - (نزهة الخواطر : ٨/٥١٢-٥١٥) .

(٢) هو الشيخ العلامة أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري (١٢٧٣-١٣٥٢هـ) قرأ المختصرات على والده ثم سافر إلى (هكلي) وقرأ على أساتذتها ثم ارتحل إلى ديوبند وأكمل دراسته على أساتذتها ولي التدريس بالمدرسة الأمينية بدهلي ثم سافر إلى الحجاز للحج و الزيارة و بعد >>>>

أبو العتيق عبد الهادي محمد صديق النجيب آبادي (١) إفاداته في درس « سنن أبي داؤد » وضم إليها فوائد اقتبسها من «بذل المجهود» للعلامة خليل أحمد السهارنپوري (٢) و زاد فوائد أخرى التقطها من درس العلامة محمود حسن الديوبندي (٣) المعروف بشيخ الهند ، لصحيح البخاري و درس العلامة شبير أحمد العثماني (٤) لكتاب

>>>> عودته أقام بديوبند للتدريس ثم ولي رئاسة التدريس بها ، وحينما حدثت الفتنة في ديوبند غادر إلى دابهيل على طلب بعض تلامذته وانتفعت به هذه البلاد حتى انهكته الأمراض فرجع إلى ديوبند .

كان نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع في الفقه والأصول والرسوخ في العلوم الدينية . دقيق النظر في طبقات الفقهاء والمحدثين ومراتب كتبهم . نفع الله بدرسه خلقاً كثيراً وتخرج على يده عدد كبير من الفضلاء (نزهة الخواطر: ج/٨) .

(١) لم نعثر على ترجمته

(٢-٣) سلف ذكرهما .

(٤) هو العلامة الشيخ شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني (ولد في سنة ١٣٠٥هـ) وقرأ في ديوبند . أخذ عن العلامة محمود حسن الديوبندي . وبرز في الحديث والتفسير والكلام ودرس في ديوبند ثم ارتحل إلى دابهيل مع العلامة أنور شاه الكشميري وبعد مدة عاد إليها وأقام سبع سنين عاكفاً على الدرس والافادة ثم تركها . سافر عدة مرات إلى حيدرآباد حتى ولاه النظام إدارة دار العلوم العربية ولكنه غادر إلى باكستان ولم تمكنه العودة إلى الهند . إنه رحل إلى الحجاز للحج والزيارة ١٩١١م وألقي محاضراته بالعربية تأثر بها العلماء الوافدون من أنحاء العالم الإسلامي .

له مصنفات عديدة أشهرها « فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » ولم يتم وأراد إكماله الشيخ محمد تقي العثماني . وله تفسير القرآن الكريم . وفضل الباري بشرح صحيح البخاري في الأردية . جمعه ورتبه الشيخ القاضي عبد الرحمن . وغيرها من المصنفات . توفي في باكستان سنة ١٣٦٩هـ .

صحيح مسلم (١) وألف من كل ذلك كتاباً أسماه « أنوار المحمود » في جزئين (٢) وتم الشرح فيهما .

وللشيخ فخر الحسن الكنكوهي (٣) تعليق على سنن أبي داؤد وسماه « التعليق المحمود » .

و للشيخ العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليماني (٤) تعليقات على سنن أبي داؤد ولتلميذه العلامة السيد عبد الحي الحسني (٥) مؤلف « نزهة الخواطر» تعليق على السنن كذلك لم يتم (٦) .

و كان الشيخ العلامة المحدث الكبير مولانا خليل أحمد السهارنپوري (٧) من كبار المعنيين بسنن أبي داؤد تدريساً وتحقيقاً وكان مما جرت به العادة ووقع عليه الاتفاق في مدرسة «مظاهر العلوم » التي كان مديرها ورئيس أساتذتها أن يباشر هو تدريس هذا الكتاب ، أو يتولاه الشيخ العلامة محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي (٨)

---

(١) مضت ترجمته .

(٢) طبع هذا الكتاب في تجلي پريس دهلي سنة ١٣٢٠هـ وعدد صفحات الجزء الأول ٦١٠ ، وعدد صفحات الجزء الثاني ٥٦٨ .

(٣) هو الشيخ العالم الكبير فخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي ، أخذ الحديث عن العلامة رشيد أحمد الكنكوهي ، وأخذ الصناعة الطبية عن الحكيم محمود بن صادق الشريفي الدهلوي ، واشتغل بمداواة الناس في آخر عمره لكانفور ، كان حلو اللفظ والمحاضرة ، موصوفاً بالصدق والصفاء صاحب حمية وشجاعة ، متصلباً في المذهب ، يشتغل كثيراً بالمناظرة من الهندوس والنصارى ، له تعليقات على بعض الكتب وتعليق بسيط على سنن أبي داؤد ، توفي سنة ١٣١٥هـ لكانفور ، (نزهة الخواطر: ٨/٣٥٤)

(٤-٥) سلف ذكرهما .

(٦) نسخته الخطية موجودة في مكتبة ندوة العلماء العامة (مكتبة العلامة شبلي النعماني) .

(٧) مضت ترجمته في الحلقة الأولى .

(٨) هو العالم الكبير الشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (١٢٨٨-١٣٣٤هـ) والد العلامة الجليل المحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي -رحمه الله - حفظ القرآن في صباه وقرأ على أبيه حتى برع في المعقول >>>

لا يتخطاهما إلا نادراً . وكانت فكرة شرح هذا الكتاب تراود الشيخ منذ أيام الطلب وعنفوان الشباب . وكان يتمنى على الله أن يوفق لهذا العمل الجليل وقد شرع في ذلك فعلاً وبدأ له أن يسميه « حل المعقود الملقب بالتعليق المحمود على سنن أبي داؤد » وأقبل على هذا العمل بعد أن عين مدرساً وقد شرع فيه ثلاث مرار . وكان الشروع فيه للمرة الثالثة سنة ١٣١١هـ إلا أنه لم يقدر له الاستمرار فيه . واكماله في ذلك الحين فصرفته عنه الأشغال العلمية . والدروس المرهقة . والأسفار المتتابعة . وقد كانت لله في ذلك حكمة خفية . فقد أراد الله أن يتم هذا العمل على يده . وقد بلغ درجة النبوغ والنضج العقلي . وتوسعت دراسته واتسع نطاق علمه . وظهرت كتب جديدة في شرح هذا الكتاب . فجاء الكتاب حصيلة دراسته وعصارة مطالعته .

وكان الباعث الأول على تأليف هذا الشرح هو شغفه بحديث رسول الله - ﷺ - الذي لا يعرف مداه وسره إلا من ذاق حلاوة الحب وشغف بمحبوبه وبكل ما يصدر عنه ويتصل به وينسب إليه . وحرصه على الاشتغال بالحديث لفظاً ومعناً ومنطوقاً ومفهوماً . وشرحاً وتحقيقاً وفحصاً وبحثاً . ولما كان الشرح ضامناً كافلاً بهذا الاشتغال والخوض في أعماق الحديث آثره الشيخ والتزمه فإن تم الشرح وتحققت الأمنية . فنعم وحبذا . وإلا فقد قضى هذه المدة في شغل عزيز لذيذ وفي سعادة وغبطة وسرور .

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
و إلا فقـــد عشنا بها زمناً رغداً

[يتبع]

>>> و المنقول . أخذ الحديث عن العلامة رشيد أحمد الكنكـوهي . درس في « مظاهر العلوم » على طلب من العلامة خليل أحمد السهارنفوري . كان له شغف خاص بتلاوة القرآن الكريم واعانة اليتامى والمساكين . توفي بسهارنفور ودفن بها.

كتاب في مقال

قالوا عن الإسلام (١) للدكتور عماد الدين خليل

بقلم : الأستاذ حيدر الغدير

١- جرت عادة فريق من الكتاب أن يستشهدوا في كتاباتهم - وهم يدافعون عن الإسلام أو يقدمون مناهجه ابتداء - بطائفة من الأقوال التي تعزى إلى عدد من المثقفين الغربيين ، من ساسة وأدباء وشعراء ومؤرخين وغيرهم ، تشيد بحقيقة من حقائق الإسلام ، حضارة وثقافة وفتوحاً وعقيدة وشريعة وما إلى ذلك ، وهذه العادة أمر مقرر ، وعميد حين تقع في سياقتها المنطقي وبالقدر المناسب لأنها تزيد من احتمالات اقتناع القارئ .

ومن أشهد هذه الأقوال تلك الشهادة الرائقة لغوستاف لوبون التي يقرر فيها أن التاريخ لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب ، وشهادته الأخرى التي يشيد فيها بالدور الحضاري للفتح الإسلامي ، وذلك حين أكد أن موسى بن نصير لو وفق في اجتياز أوربا لحقق للأمم المتحدنة وحدتها الدينية و لأنقذ أوربا من عصر القرون الوسطى (٢) الذي لم

---

(١) صدر الكتاب عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، وهو يقع في ٥٠٢ صفحة .

(٢) ترتبط العصور الوسطى في ذهن المثقف الغربي بالجهل والوحشية والتخلف ، أما نحن المسلين فقد كنا فيها في ذلك الوقت في حالة عافية دينية وحضارية على جميع المستويات .

نعرفه أسبانيا بفضل العرب . ومن هذه الأقوال الشهادة التي أدلى بها المؤرخ توماس أرنولد حين أشاد بدور الاخوة الإيمانية التي صبغت سلوك المسلمين في اجتذاب الآخرين نحو دينهم وذلك حيث يقول : لقد كان المثل الأعلى الذي يهدف إلى اخوة المؤمنين كافة في الإسلام من العوامل القوية التي جذبت الناس بقوة نحو هذه العقيدة . ومنها عبارة الأديب الألماني الشهير غوته التي يتساءل فيها في استفهام تقريري : إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون جميعاً مسلمين ؟ ومنها الإشارة الكبيرة التي جاءت في كتاب (الأبطال) لتوماس كارلايل بحق الرسول الكريم - ﷺ - و هي إشارة فيها الكثير من الإعجاب والإنصاف والثناء .

وإذا كانت هذه الشهادات تمثل مرحلة مضت . فإن من الشهادات القريبة الجديرة بأن يتوقف المرء عندها . شهادة الطبيب الفرنسي الشهير الدكتور موريس بوكاي التي قرر فيها في كتابه « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي لم يطرأ عليه أي تغيير خلافاً للكتب المقدسة الأخرى . وأشهر من شهادة بوكاي وأقرب . شهادة الدكتور مايكل هارت في كتابه «الخالدون مائة» وهي أن محمداً ﷺ أكبر الرجال أثراً في تاريخ البشرية على الإطلاق .

وتبقى هذه الشهادات . وهي كثيرة جداً . متناثرة في مراجع كثيرة جداً . متفاوتة المستويات . متعددة اللغات . بحاجة إلى أن يجمع منها قدر طيب ضمن خطة منهجية دقيقة لتكون جاهزة عند كل من يحتاجها حين الطلب فيجد فيها بغيته . ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب .

٢- فكرت الندوة في الأمر بهدوء و أعدت ورقة العمل التي تشرح الفكرة وتطلب تقويمها والعون فيها . وأرسلتها إلى عدد متنوع من الشخصيات . فجاءت الردود مشجعة جداً . مما يدل على أن فكرة الكتاب تنبهت إلى حاجة قائمة ينبغي أن تسد . وبعد تفكير وتأمل ومناقشة وقع الاختيار على الدكتور عماد الدين خليل . العالم الأديب المؤرخ الأكاديمي لينهض بها فوافق مشكوراً مأجوراً. ونهض بها نهوضاً جاداً. فقد خطط وتابع واستقصى ودقق . ومهد بمقدمة مركزة مهمة تحت عنوان « ملاحظات في المنهج » أوضح فيها منهجه في الإعداء . وهو منهج كشف عن دقته وقدرته وشمول نظرته . وأتبع ذلك بمدخل يتكون من خمس فقرات . ثم جاء الكتاب بفصوله السبعة وملحقاتها . وهي :

الفصل الأول : القرآن الكريم .

الفصل الثاني : محمد رسول الله ﷺ .

الفصل الثالث : الإسلام .

الفصل الرابع : انتشار الإسلام ومعاملة غير المسلمين .

الفصل الخامس : الحضارة الإسلامية .

الفصل السادس : المرأة والأسرة

الفصل السابع : الحاضر والمستقبل .

المراجع :

الشهود : (وقد بلغ عددهم مائة وثلاثين شاهداً) .

تخريج الأحاديث .

٣- والمقدمة التي وضعها الدكتور عماد الدين خليل وهي تغطي

الصفحات من ١١ إلى ٢٢ ، مقدمة مهمة ، ولابد للمرء أن يقرأها بعناية لأنها تكشف له منهج العمل من ناحية ، ولأنها تضع بين يديه الضوابط التي تجعله ينتفع من إيجابيات هذه الشهادات ويعي ما يحيط بها من قصور وسلبيات من ناحية أخرى ، وفيما يلي أهم النقاط التي أراد الدكتور عماد الدين خليل أن ينبه القارئ إليها :

= يقف العقل الغربي إزاء الإسلام متأرجحاً بين الإنصاف والموضوعية من ناحية ، وبين الاستعلاء والجهل والرغبة في الأذى من ناحية ثانية ، وما قدمه الغربيون عامة والمستشرقون منهم خاصة يتضمن الأبيض والأسود على مستوى المنهج وعلى مستوى الموضوع .

= بل إن الرجل الواحد نفسه ربما نلقاه منصفاً واعياً شجاعاً مرة ، ونلقاه في الطرف المناقض لذلك مرة ثانية .

= و تبقى الشهادة الإيجابية الصادرة عن هذا الشخص أو ذاك «اعترافاً حراً» بهذا الجانب من الإسلام أو ذاك حتى لو كانت لصاحبها شهادات أخرى سلبية . فجانب الحرية والاختيار والبعد عن كل ضغوط الجد والقسر ، أمر مقرر وبديهي ، فالمسلمون ليست لديهم قوة ضاغطة لأنهم في حالة ضعف مبين .

= وتظل الشهادة الإيجابية عملاً حراً ومشكوراً لصاحبها ، لكنها لا تتحول به إلى موقف حاسم ونهائي ينتقل به إلى إعلان إسلامه إلا في حالات قليلة ، حين نجد بعض الشهود يتخطون كل المعوقات ويبادرون إلى إعلامه إسلامهم الذي قد يجر عليهم المتاعب ، وأهم الشهود الذين أسلموا .. إبراهيم خليل أحمد من مصر ، وأتين دينية وموريس بوكاي وروجيه جارودي من فرنسا ، وعامر علي داؤد وبشير باتيل من الهند ،

وأحمد نسيم سوسة من العراق . ومحمد أسد من النمسا . وعبد الله كوليام من انجلترا (١) .

= الكتاب - أساساً - فكرة ومنهجاً وخطة يقوم على انتقاء الشهادات الإيجابية البناءة . ومن ثم يحمل تبريره العلمي الصريح في اطراح ما يتناقض مع ذلك . ومن هنا ليس لأحد أن يتهمه بفقدان الموضوعية في كثير أو قليل ..

= إن استقصاء كل الشهادات الإيجابية في موضوع معين أمر مستحيل أولاً . ولا حاجة له ثانياً لذلك أسقط الكتاب عدداً كبيراً من الشهادات رغم إيجابيتها لأنها تكرار نمطي متشابه يدفع إلى الطول والملل معاً .

= إن إيراد شهادة إيجابية لهذا الشخص أو ذاك لا يعني - بداهة - قبول كل طروحاته و مناهجه . و إذا كان الإنسان المسلم - كائناً من كان - يؤخذ من كلامه ويترك فما بالك بغير المسلم ؟

= يستعمل الغربيون أحياناً كلمات وعبارات مثل (عربي) و (فكر عربي) و (حضارة عربية) و (تاريخ عربي) لكن شهاداتهم تتجاوز مضامينها في معظم الأحيان نطاق التسمية باتجاه ما هو إسلامي .

= ثمة تداخل بين بعض الشهادات يجعلها قابلة أن توضع في هذا الفصل أو ذاك . لكن تصنيفها النهائي يعتمد على مركز الثقل فيها .

= رتب الشهود في كل فصل وفق التسلسل الهجائي لأسمائهم .

---

(١) للأستاذ عرفات كامل العشي كتاب باسم « رجال ونساء أسلموا » يقع في عشرة أجزاء روى فيه سير عدد من الشخصيات النابهة التي أسلمت .

- أعطيت كل شهادة رقماً خاصاً .

- وقع التعريف بكل شاهد لمرة واحدة فقط وذلك في أول فصل استدعي فيه لأداء شهادته . و قـد استقيت جل التعريفات من كتاب «المستشرقون » لنجيب العقيقي وهو يقع في ثلاثة أجزاء صدرت عن دار المعارف في القاهرة .

- يحقق الكتاب نوعاً من التسهيلات الأكاديمية للباحثين وذلك بوضع حشد من النصوص الموثقة عن رأي غير المسلمين في الإسلام

٤- بعد هذه المقدمة المنهجية ، الدقيقة والمستوعبة ، التي لابد لقارئ الكتاب أن يدرسها بدقة ليتاح له الانتفاع منه الانتفاع الأمثل يمضي بنا الدكتور عماد الدين خليل إلى « المدخل » الذي يغطي الصفحات من ٢٢ إلى ٤٦ ، ويتكون من خمس فقرات هي :

١- شهادة العقل الغربي الحواجز والقيمة .

٢- الإسلام هو الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية دعوة للاختبار .

٣- الخصائص الأساسية لهذا الدين .

٤- أزمة الإنسان والحضارة الغربية .

٥- الأخطاء المنهجية للفكر الغربي .

وهذا المدخل أشبه بمهاد عام لموضوع الكتاب ، وجدوى المحاولة . وهو يتراوح بين العرض والتقويم والاستشراف . كما أنه يتسق - في عمومه - مع مجمل أفكار الدكتور عماد الدين خليل المبثوثة في كتبه الكثيرة . في محورين من محاورها لا يخطئ أن يعرفهما كل متابع لجهد هذا الباحث الدؤوب وهما تقويم الحضارة الغربية ، التبشير بالإسلام ومستقبله .

هذه الشهادات تؤكد أن الدنيا ما خلت - ولن تخلو - من أحرار الفكر الذين يتجاوزون ظروفهم وضغوط بيئتهم ، ويصلون إلى الحق كاملاً أو إلى جانب منه ، وإذا كان هذا يشكل بالنسبة لنا مادة للفخر والاعتزاز والثقة ، فإنه يدعونا إلى أن ننهض بواجب البلاغ متوقعين أن نصيب مساحة من النجاح توازي حجم جهدنا المبذول ، فإذا كان الإسلام قد حظي بهذا القدر الضخم من الشهادات الإيجابية رغم أسوار الجهل والكراهية والتعصب والموروثات الخاطئة المتراكمة عبر قرون في العقل الغربي إزاء الإسلام وما يتصل به فضلاً عن أحوال المسلمين التي يصد الكثير منها عن الإسلام ، فلا ريب أن ظفرنا سيكون أكبر بكثير إذا أحسنا إيصال الإسلام إلى العقل الغربي ، بإعجازه ويسره وسماحته وتكامله ودوره الحضاري المشرف وقدرته على حل مشكلات البشرية المستعصية ، خاصة أن العصر الحديث بثورة اتصاله الهائلة يتيح لنا أن نفعل في يسر واختصار للوقت والمال والجهد ما كان يشق على أسلافنا أن يفعلوه ، فإذا فعلنا ذلك أحسنا إلى الغرب وإلى الشرق وإلى الإنسانية جمعاء ، وأحسنا قبل ذلك كله إلى أنفسنا .

٦- ويقودنا هذا إلى إعلاء قيمة الحوار مع الغرب ، فنحن أصحاب حق نريد إصاله للناس ، وليس عندنا ما نخجل منه ، بل العكس هو الصحيح ، إن عندنا ما نعتز به محل الاعتزاز ونستطيع أن نحشد له أدلة لا تنتهي تشهد له .

حقاً إن هناك من لا يرى في الحوار مع الغرب فائدة و لا نفعاً وله حججه التي يدافع بها عن وجهة نظره ، لكن هناك أمرين مهمين ، الأول : أن هناك صيحات متزايدة في الغرب تحذر من الإسلام وتصور

للغربيين أنه سيكون الخطـــــر الأكبر عليهم خاصة بعد سقــوط الشيوعية ، وآخر هذه الصيحات كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون « الفرصة السانحة » وهذا يدعونا إلى أن نقابل حرب الكلمة بمثلها ونحن - بإذن الله - أقدر على الحوار لثقتنا بالحق الذي نحن عليه . والثاني : أن الحوار إذا مثله من جانبنا رجال قادرون مخلصون فإن كلمة الحق لن تضيع وهم يعلنونها في المنابر الغربية المتنوعة ، ففي الغرب - رغم كل عيوبه - قدر من الحرية مشكور ، وقدر من الإنصاف والموضوعية لا ينكره عاقل . ثم إن هناك دائماً وأبداً عدداً من أصحاب الضمائر الحية والعقول المتحررة تستجيب للحق إذا تبين لها وما أمر جارودي وبوكاي ومحمد أسد ومايكل هارت ببعيد .

٧- وثمة أمنية تزيد من الانتفاع من عمل الدكتور عماد الدين خليل نرجو أن يسعف القدر بإنجازها ، وهي أن تصدر من الكتاب طبعات باللغات الحية في العالم وأهمها الانجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والإيطالية . وإذا قدر لهذا الأمر أن يتم فإن المنهج العلمي لا يجيز لنا أن نترجم الكتاب من العربية إلى هذه اللغة أو تلك ، وإنما تكون الترجمة من اللغة الأصلية التي جاءت فيها هذه الشهادات .

والمأمول أن يحقق الكتاب في ترجماته المأمولة مزيداً من الفائدة ، ذلك أن أي إنسان مثقف يحترم الحجة والدليل ، لابد أنه سيفاجأ بهذا الحشد الهائل من الشهادات الإيجابية التي تشهد للإسلام أو لجوانب منه . سيفاجأ من كثرتها ، وسيفاجأ من تنوعها ، وسيفاجأ من قائليها وهم شخصيات كبيرة ذات مستويات عالية محترمة . ومثل هذه المفاجأة ربما تكون الخيط الذي يقوده إلى الهداية .

٨- والتأمل في هذه الشهادات يجعلنا أقدر على فهم العقل الغربي وماذا يعجبه ، وبالتالي يكون بوسعنا أن نتعامل معه تعاملاً أكثر حكمة وجدوى ، ذلك أن النظر الهادئ فيها يجعلنا نعرف لماذا أنصف غوستاف لوبون حركة الفتح الإسلامي ، ولماذا جعل مايكل هارت رسولنا الكريم ﷺ أعظم إنسان أثر في التاريخ ، ولماذا أشاد به توماس كارلايل إشادة كبيرة ، ولماذا أثنى توماس أرنولد على حضارة المسلمين في الأندلس ، ولماذا قررت زيغريد هونكه أن للعرب فضلاً كبيراً على الغرب بل على الإنسانية كلها ، ولماذا أعجب ولز بالذكاء العربي وآثاره المشكورة حيث وصل الفاتحون ؟ بل إنه يجعلنا أكثر فهماً للأسباب التي قادت خطى هذا الشاهد أو ذاك إلى اعتناق الإسلام مثل محمد أسد وجارودي وبوكاي وأتين دينيه وعبد الله كوليام ، وما من ريب أن التقاط الخيوط النفسية والفكرية الكامنة وراء هذه الأسباب ، عون كبير لنا في تحسين أدائنا الدعوي بين الغربيين .

٩- وبعد ! فإن هذا الكتاب ، فكرة وتخطيطاً وتنفيذاً ، نموذج للعمل الهادئ الجاد والنافع أيضاً ، لقد وقع الانتباه إلى حاجة لم تسد ، وتلا ذلك إعداد ورقة العمل اللازمة إزاءها ، وتلا ذلك استشارة أهل الاختصاص والخبرة ، فلما جاءت الردود مشجعة تثني وتبارك وتؤيد وقع الاختيار على الدكتور عماد الدين خليل فنهض بعبء الكتاب نهوضاً منهجياً جاداً أكاديمياً نرجو أن يلقاه في ميزان حسناته .

• •• ••• •• •

كتب الضعفاء

(الحلقة الثانية)

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي
أستاذ بكلية الشريعة - بجامعة ندوة العلماء

٢٥- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

له « كتاب الضعفاء والمتروكين » (١) .

قال عنه الذهبي : إنه يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق ، وهذا من عيوب كتابه (٢) .

٢٦- أبو العباس النَّباتي ابن الرومية (٣) (٥٦١- ٦٢٧هـ)

له « الحافل » (٤) سفر ضخم .

---

(١) صورة من المخطوط ، في معهد المخطوطات العربية والموجود منه الجزء الثاني ناقص من آخره ، ويبدأ بمن اسمه عبيد الله بن إسحاق بن حماد بن موسى ، وينتهي بمن اسمه « أبو عبد السلام » من باب الكنى لمن لم يعرف اسمه ، مكتوب في القرن السابع بخط نسخ حسن في ٧٠ ورقة ومسطرته ٢٠ سطراً (فهرست المخطوطات المصورة : ج/٢ ، ق/٢ ، التاريخ ١٩٧) ونسخة أخرى بقلم واضح جلي بها نقص يسير بعد الورقة الأولى وقابلها بنسخة المؤلف أبو بكر بن محمد الحنبلي في ١٥٠ ورقة تقريباً في السعيدية بحيدرآباد ف ٢١٩٤ ، (فهرست المخطوطات المصورة : ج/٢ ، ق/٢ ، التاريخ ص/١٧) .

(٢) ميزان الاعتدال (١/١٦) .

(٣-٤) هو أحمد بن محمد بن مفرج الأموي أبو العباس النباتي العشاب ، >>>

وهو ذيل على « الكامل » لابن عدي في الضعفاء .

٢٧- الذهبي (ت ٧٤٨هـ)

له « ميزان الاعتدال » (١) .

وهو من أجمع كتب الضعفاء بعد كتاب «الكامل» لابن عدى . ويمتاز عنه التنقيح والتحقيق والنقد الصحيح . فقد بث في تضاعيف هذا الكتاب آراءه الناقدة الحصيفة كما نقد فيه بعض المؤلفين في الضعفاء كابن الجوزي حيث قال انه « يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق وهذا

>>> يعرف بابن الرومية . واحد عصره في علمين انفرد بهما : الحديث والاستكثار من الرواية . والنباتات والبحث عنها . وكلاهما كان يضطره إلى الرحلة والاسفار . وافتتح دكاناً يبيع بها الاعشاب . وجال في الأندلس ورحل إلى المشرق فزار مصر سنة ٦١٢هـ . وأقام فيها وفي الشام والعراق والحجاز نحو سنتين . يأخذ عن شيوخها الحديث وعن نباتها الاعشاب حتى برع في الأول حفظاً ونقداً وعلماً بتواريخ المحدثين وأنسابهم ووفياتهم وتعديلهم وتجريحهم . وبرع في الثاني مشاهدة وتحقيقاً وألف في كليهما كتباً .

(الاعلام : ٢١/١ . وله ترجمة في الاحاطة : ٨٨/١ . ونفح الطيب : ٦٣٤/١ . وتكملة الصلة : ١٤٨/١) (والتذكرة للذهبي : ص/١٤٢٥) .

(١) طبع غير مرة . كانت الطبعة الأولى في حيدرآباد الهند . ثم طبع في مطبعة عيسى البابي الحلبي بتحقيق على محمد البجاوي سنة ١٩٦٣م في أربع مجلدات . تشتمل على ما يقرب من ٢٦٥١ صفحة و ١١٠٥٢ ترجمة . وقد عثرت بعثة معهد احياء المخطوطات إلى المغرب سنة ١٩٧٥م على نسخة من الميزان بخط المؤلف في الخزانة العامة بالرباط برقم ١٢٩ ق . تقع في ٢٥٠ ورقة وفي آخر النسخة قراءتان على المؤلف الأولى سنة ٧٤٣هـ والثانية سنة ٧٤٥هـ وفي حواشي النسخة إضافات والحاقات كثيرة بخط المؤلف أيضاً .

من عيوب كتابه » (١) والأزدي الذي قال فيه : « وأبو الفتح يسرف في الجرح » (٢) .

وقد رتب الكتاب على حروف المعجم وقسمه في سبعة أقسام :

١- في التراجم للرجال والنساء . ٢- باب الكني .

٣- فصل الانساب . ٤- مجاهيل الاسم .

٥- النسوة المجهولات . ٦- الكنى للنسوة .

٧- فيمن لم تسم ويبدؤها بكلة (والدة) .

وكان ألف هذا الكتاب بعد كتابه « المغني » وزاد عليه من كتاب الحافل المذيل على الكامل .

وقدم الكتاب بمقدمة نافعة . استعرض أولا بعض كتب الجرح والتعديل ومن تكلم في الرجال . وذكر الرموز التي اختارها للإشارة إلى الكتب التي أخرجت حديث الراوي المترجم .

كما ذكر أنه أدخل فيه الثقات الذين تكلم فيهم وذلك لأن ابن عدي ادخلهم في كتابه « الكامل » فأراد أن يميز الأمر فيهم . ولكنه لم يذكر من الصحابة من كان ابن عدي تناولهم في كتابه .

كما لم يذكر الأئمة المتبوعين وقال : « ان ذكرت أحداً منهم أذكره على الانصاف » (٣) .

ثم تحدث عن أصناف الضعفاء أو من جرح منهم بدون حق من الذين تناولهم في الكتاب . وذكر أن البدعة صغرى وكبرى وحقق القول فيهما

---

(١) ميزان الاعتدال : ١/١٦ . طبعة عيسى البابي الحلبي .

(٢) المصدر السابق : ١/٥ .

(٣) مقدمة ميزان الاعتدال : ص/٢-٣ .

وذكر بعد ذلك ثلاثة من مراتب التعديل وخمسة من مراتب الجرح .

وذكر أن الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر رأس ثلاثمائة وأنه لا يورد من المتأخرين إلا من قد تبين ضعفه . « لأن العمدة في زماننا ليس على الرواة .. ولو فتحت على نفسي تليين هذا الباب لما سلم معي إلا القليل » (١) .

وابتدأ بأبان بن إسحاق وانتهى في المجلد الرابع على يونس الكذوب . وهو يتكلم أثناء التراجم على كثير من القضايا الحديثية . فيذكر بعض المذاهب من التشيع و الخارجية و غيرهما و يفصل في أمرها . كما قد يحاكم بين الأقوال ويرجح بعضها على بعض .

وبالجملة فإن هذا الكتاب من أهم الكتب في الضعفاء بل في النقد الحديثي البارع الذي يمتاز به الذهبي على كثير من المؤلفين في الجرح والتعديل .

وقد علق على « الميزان » تلميذ الذهبي شمس الدين الحسيني . قال ابن حجر في الدرر : « وله تعليق على الميزان بيّن فيه كثيراً من الأوهام واستدرك عليه أسماء وقفت على قدر يسير منه وقد احترقت أطرافه لما دخلت دمشق سنة ٨٢٦هـ (٢) .

= « كتاب الضعفاء والمتروكين » (٣) .

---

(١) مقدمة ميزان الاعتدال : ص/٤ .

(٢) الذهبي ومنهجه ١٩٩ . الدرر الكامنة : ٤/١٨٠ .

(٣) في الظاهرية . نسخة خرم أولها فابتدأت بعد عدة صفحات بمن اسمه إسماعيل بن إبراهيم أبو الاحوص ومقدار الخرم ١٠ ورقات وهو مبدأ الكتاب وفيه من الأحمدين . في مجموع من ورقة ١٤٥-٢٢٧ مكتوب بخط نسخي >>>

رتبه على الحروف ، وذكر الضعفاء والمتروكين وذكر عمن رووا ومن ضعفهم ، وله ذيل (١) على كتابه هذا ، وهو أيضاً مرتب على الحروف ولكنه بدأ بالأحمدين من حرف الألف وبالمحمدين من حرف الميم وفي آخره الكنى . قال فيه : هذا ذيل على كتابي ديوان الضعفاء التقطته من عدة تواليف وهذا شئ لا سبيل إلى استيعابه وإنما هو بحسب ما عرفت أو اطلعت عليه وان لم يكن للإنسان ذوق النقاد وبصر الحفاظ ، وإلا فإنه يضعف الحديث القوي ، ويصحح الحديث الواهي على أن أئمة هذا الشأن تختلف اجتهاداتهم وتتقارب معارفهم وأذواقهم لكن يقل ذلك فيهم ويندر والله الهادي (٢)

= « المغني » (٢) .

>>> نفيس ، حديث ٢٦٩ (١٤٥) فهرس الظاهرية التاريخ : يوسف العش : ٢٤٤، ومقدار الخرم في هذه النسخة موجود في الظاهرية نفسها ضمن مجموع برقم ٧٥٢٩ عام .

وذكر بشار عواد معروف أنه حصل على نسخة مصورة عن نسخة أحمد الثالث باستانبول رقم ١/٢٠٥٢ ، كتب عليها بخط متأخر أنها كتاب « المغني في الضعفاء » وهو وهم ، (الذهبي ومنهجه : ١٢٨) .

(١) مخطوط في الظاهرية (ق ٢٢٧-٢٢٩) خط نسخي نفيس علقه أحد تلاميذ المؤلف وقوبلت على الأصل (حديث ٢٦٩) (٢٢٧) (فهرس مخطوطات الظاهرية التاريخ يوسف العش ٢٤٤) .

وهناك نسخة ثانية لهذا الذيل في نهاية الأصل المحفوظ في (أحمد الثالث رقم ١/٢٠٥٢) (الذهبي ومنهجه ١٧١) .

(٢) مخطوط : ق/٢٢٧ .

(٢) طبع في مجلدين طباعة أنيقة بتحقيق وتعليق نور الدين عتر - دار المعارف بحلب سوريا ، ١٣٩١ ويشتمل على ٧٨٥٤ ترجمة .

وهذا الكتاب يمتاز بأنه جمع فيه ما تفرق ، من أمهات الكتب في الضعفاء قبله جمعاً عظيماً . جعل الكتاب ينفرد بكثير من التراجم لا نجدها في غيره من المطولات حتى « ميزان الاعتدال » للذهبي نفسه . و « لسان الميزان » للحافظ ابن حجر على الرغم من أنه ألفه قبل « ميزان الاعتدال » و صوب أشياء وقعت في الميزان على غير وجهها (١) .

وحاول أن يورد فيه كل من تكلم فيه ولو كان ثقة .

وسلك في هذا الكتاب طريق الإيجاز . وحرر أقوال الأئمة في الرجال فقدم بذلك زبدة أقوال أئمة الجرح والتعديل . وقد أبان رأيه في كثير من الرواة وترك كثيراً منهم بدون ذكر رأيه . وتعقب آراء من سبقه إذا دعت الحاجة .

وطريقته في الترجمة الموجزة أنه يذكر الاسم واسم الأب والكنية والنسبة إلى القبيلة أو البلد . وقد يذكر منصبه في القضاء أو غيره ويذكر بعض شيوخه ومن روى عنه . وقد يحدد طبقة المترجم بقوله : « كان من التابعين » أو « كان بعد الثلاثمائة » . ثم ينقل رأي أمام ناقد في تجريحه . أو يستخلص من الأقوال الواردة فيه حكماً يحكم به عليه مثل قوله : « كذاب » « كان منكر الحديث » . « تكلموا فيه من جهة سماعه » وغير ذلك .

وقد قال السيوطي عن هذا الكتاب : صغير الحجم نافع جداً من جهة انه يحكم على كل رجل بالأصحّ فيه بكلمة واحدة (٢) .

= « ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي » .

---

(١) مقدمة كتاب المغني : نور الدين عتر ٩/١ .

(٢) تدريب الراوي : ٥١٩ .

قال الذهبي في مقدمة الميزان : « وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً كبيراً في ذلك كنت اختصرته أولاً . ثم ذيلت عليه ذيلاً بعد ذيل » (١) .

و قال السخاوي بعد ذكر اختصار الذهبي لكتاب الضعفاء لابن الجوزي : « بل و ذيّل عليه في تصنيفين جمع معظمهما في ميزانه » (٢) .

وذيل على هذا الذيل (٣-٤) .

وله مختصر لكتاب الضعفاء لابن الجوزي أيضاً . كما مرّ آنفاً في كلام الذهبي نفسه .

٢٨- شمس الدين الحسيني (ت ٧٦٥هـ)

له « تعليق على الميزان » .

قال ابن حجر في الدرر : « له تعليق على الميزان بيّن فيه كثيراً من الأوهام واستدرك عليه أسماء وقعت على قدر يسير منه . وقد احترقت أطرافه لما دخلت دمشق سنة ٨٢٦هـ » (٥_٦) .

= و « الاكتفاء في الضعفاء » (٧) .

٢٩- برهان الدين الحلبي (ت ٨٠٠هـ)

له « الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث » (٨) .

يتحدث عن الوضع والوضاعين . وقد جعل ابن عرّاق هذا الكتاب مع تصرف فيه كمقدمة لكتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » (٩) .

---

(١) ميزان الاعتدال : ١/٢ .

(٢) الإعلان : ٥٨٧ .

(٣-٤) الذهبي ومنهجه : ١٧٢ .

(٥) الدرر الكامنة : ٤/١٨٠ .

(٦) الذهبي ومنهجه : ١٩٩ .

(٧) مخطوط في دار الكتب المصرية أنظر ذيل (تذكرة الحفاظ : ص/١) .

(٨-٩) ذيل (تذكرة الحفاظ حاشية : ٢١٤) .

٢٠- محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي المعروف بابن زريق (ت ٨٠٢هـ)

له « من تكلم فيه الدارقطني في كتاب السنن من الضعفاء والمتروكين والمجهولين » (١) .

وهو مرتب على الحروف للأسماء ثم الكنى دون العناية باسم الأب في الترتيب ، ذكر مع كل واحد من روى عنه ورووا عنه ، ثم أورد فيه قول الدارقطني الذي قاله في كتاب « السنن » .

أوله أحمد بن الحسن المقري ، وآخره أبو يحيى التيمي .

٢١- الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ)

له « ذيل على ميزان الاعتدال للذهبي » :

قال السخاوي : ذيل عليه الزين العراقي في مجلد (٢) .

وقال ابن فهد : و « ذيل على الميزان ثم لم يبيضه » (٣) .

وذكر ابن حجر أنه وقف عليه ، فرأى أن الكثير منهم من رجال « تهذيب الكمال » للمزى (٤-٥) .

---

(١) مخطوط في الظاهرية (ق ٤١-٦٢) نحو ٢٢ سطراً ، مع إضافات بين الأسطر ، على الهامش وعلى بعض السطور شطب بخط المؤلف ، مجموع ٢٣ (٤١) فهرست مخطوطات الظاهرية التاريخ : يوسف العش ٢٤٦ .

(٢) الإعلان : ٥٨٧ . (٣) لحظ الالحاظ : ٢٢١ .

(٤) كشف الظنون : ج/٢ عمود ١٩١٧-٤ ، الذهبي ومنهجه ١٩٩-٢٠٠ ، ١٩١٨ م .

(٥) طبع في حيدرآباد - الهند ثم صور عنها في بيروت وهو في سبعة مجلدات ، يشتمل على ٢٢٢٩ صفحة و ٥٩٩١ ترجمة بع المكرر . >>>>

٢٢- ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)

له « لسان الميزان » (١) .

جمع فيه الحافظ ابن حجر من ميزان الاعتدال تراجم الرواة الضعفاء الذين لم يذكروا في « تهذيب الكمال » وتحدث عن عمله في مقدمة الكتاب وأنه زاد على « الميزان » جملة كثيرة من الرواة . وأنه استفاد في عمله من ذيل حافظ الوقت أبي الفضل بن الحسين على «الميزان» ورمز له بـ (ذ) ويرمز للإضافات من عنده بـ (ز) وإذا ختم كلام الأصل قال : « انتهى » ثم يكون إلى آخر الترجمة كلام ابن حجر .

وساق ابن حجر خطبة الكتاب للذهبي وانتقده على أشياء كان ينبغي أن يذكرها في المقدمة مثل قوله في ترجمة أبان بن العطار : إذا قلت « صح » أول الاسم فهي إشارة إلى أن العمل على توثيق ذلك الرجل (٢) وغير ذلك من الكلام في بعض المؤلفين وتفصيل أمر البدع .

ثم عقد عشرة فصول تتعلق بعلم الحديث ومصطلحه لا سيما في من يقبل قوله ومن يرد ، وأنواع الضعفاء وألفاظ المحدثين الخاصة ومتى ترتفع الجهالة ، وإذا روى الجرح والتعديل في راو فأيهما يرجح ، ومن يقبل قوله في الجرح وما هي شروطه ، واختلاف أقوال المحدثين بين التجريح والتعديل وأي نوع من الخطأ والوهم يسبب رد الحديث ، وساق في الفصل الأخير كلام الإمام الشافعي - رحمه الله - فيمن تقبل

>>>> ولقاسم بن قطلوبغا تعليقات على لسان الميزان ، أولهما : تقويم اللسان والثاني : فضول اللسان ، ذكرهما العلامة الكوثري في حاشية : ص/٢٥ من ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (طبعة دار احياء التراث العربي) .

(١) لسان الميزان : ١/٢٢ .

(٢) كشف الظنون : ج/٢ عمود ١٩١٧- ١٩١٨م .

روايته ، وبدأ التراجم بآدم ثم أبان بن أرقم ، وكانت البداية في الميزان بأبان بن إسحاق و هو هنا محذوف لأنه ذكر في : « تهذيب الكمال » و انتهى على يونس الأسواري . أما المجلد السابع فهو في الكنى .

ويتعقب ابن حجر - أحياناً - كلام الذهبي في أثناء التراجم ، ويذكر التحقيق الذي وصل إليه بعد مراجعة المصادر المتوفرة لديه .

فقد قال بعد أن تقدم ذكر أبان بن سفيان وأبين بن سفيان ، ولم يفصل بينهما الذهبي : « والذي يتبين لي أن أبان بن سفيان غير أبين بن سفيان هذا » (١) ثم أحال إلى « تلخيص المتشابه » للخطيب و « الحافل » للنباتي .

وقد كان هذا الكتاب إضافة قيمة على كتاب الذهبي في المادة حيث وقف ابن حجر موقف المحقق الناقد من النصوص مع تذييله على النص بما يقف عليه في المصادر التاريخية في الرجال ، وما يرتأيه من آراء ، كما كان إضافة كبيرة من حيث عدد الرجال الذين زادهم على الميزان ، عدا ما يمتاز به ابن حجر من نقد فني دقيق للحديث والرجال ، فكان الكتاب مكملاً لجهود السابقين ومبصّراً للرجال الباحثين .

وقد جمع السيوطي (ت ٩١١هـ) « زوائد اللسان على الميزان » (٢).

= كتاب « تحرير الميزان » .

أشارت إليه بعض المراجع ولم تعرف به ، ولعله هو ما أشار إليه ابن حجر نفسه في « تعجيل المنفعة » من أنه أراد أن يجمع كل من ذكر من الرجال في الميزان ثم يزيد عليهم ليكون كتاباً جامعاً في الرجال ، ثم خشي من الطول وقصر الهمم فاقتصر على رجال الأئمة الأربعة (٣) .

---

(١) أنظر مقدمة تعجيل المنفعة .

المسلمون في الهند :

بينما يستأصل الإسلام في البوسنة في ضجيج

« مذبحة للإسلام في تونس في صمت »

الأستاذ مؤمن الشاهد

كثيرون في العالم الإسلامي استبشروا بقدوم العهد الجديد الذي خلف بورقيبة في تونس ..

لقد كان الحبيب بورقيبة واضحاً في حربه على الإسلام . وكان لا يتورع في معظم أحاديثه وخطبه أن يصف الإسلام بالتخلف والجمود ، وأن يسئ إلى الشعائر الإسلامية . ويحرض الناس على عدم الصيام حتى يتمكنوا من (العمل) . وحتى تتقدم (تونس) !!

= وفعلاً .. تقدمت تونس في عهد الحبيب كثيراً .. لكن إلى الخلف (!!!) لقد نجحت في صناعة أفخرأنواع (الزلابيا) وأشهى أنواع (الكسكسي) وأجمل أماكن الترويح السياحي الحلال .. وغير الحلال !!

وعند ما جاء العهد الجديد على أنقاض العهد البورقيبي ظن الناس أن موقفه من الإسلام قد يتغير . ولا سيما وأن العهد الجديد قد قدم بعض التنازلات التي يعلم أنها تهدهد المشاعر الإسلامية ..

فبينما كان المخطط البورقيبي الموجه مباشرة من حصون العلمنة الكنسية الفرنسية يتجه إلى تهميش جامعة الزيتونة وتحويلها إلى كلية هزيلة . ومراقبة كل أجهزتها مراقبة دقيقة لضمان عدم الحركة في الاتجاه الإسلامي الموضوعي الإيجابي .. جاء النظام الجديد يلعب على هذا الوتر. فيتظاهر بإعادة مجد الزيتونة ويسمح لها ببعض الانتعاش . ويأمر رجاله في الإعلام بالتركيز على هذه المنحة الكريمة !!

كما يسمح النظام بإذاعة الأذان في التلفزيون عند كل صلاة .. وإذاعة بعض الآيات القرآنية الكريمة !!

••••••

= ومضت شهور التحذير .. وبدأت الحقائق تتكشف ..

= إن النظام يمنح المسلين هدايا شكلية ، لكنه يمضي في مخطط هائل يعتمد على القوة والسرعة والذكاء والصمت للقضاء على كل المضامين الإسلامية الحقيقية ..

لقد أفرج عن المسلين المحكوم عليهم ، ليصادر كل حقوقهم في الحياة في ظلال دينهم .. لقد أعطاهم الدنيا ليعطوا الدين ، فلما تبين له أن الناس لا يقبلون هذه الصفقة الخاسرة ، صادر - فوراً - كل حقوقهم في الحركة والعمل والحوار ، مستخدماً شعارات كاذبة يرفضها أنصاف المثقفين ، فضلاً عن روح العصر الديمقراطية .. وقد باءت كل محاولات الإسلاميين للحوار مع النظام بالفشل ، لأن النظام كان يريد موقفاً واحداً محدداً ، وهو ترك الهوية الإسلامية ، وعدم الإلحاح على التعليم العربي أو التربية الإسلامية !!

= إن الصفقة التي كانت قد أبرمت مع العهد الجديد فيما يبدو كانت صارمة في هذا الجانب ، وهي لم تسمح بأية ثغرات ينفذ منها العمل الإسلامي ، ومن هنا روّج النظام لشعار (تجفيف المنابع الإسلامية) أي استئصال كل فكر يحقق الانتماء الإسلامي .. أو يحافظ على الهوية الإسلامية أو الشعور الإسلامي الحيّ الدافق !!

وفي مقاله بالأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/٨/٥م يتحدث الأستاذ « غالي شكري » عن مذبحة الكتاب العربي في معرض الكتاب بتونس (وغالي شكري - بالمناسبة - كاتب لا يمكن وصفه بالتحيّز للإسلام أو الدفاع عن قضاياه أو التطرف له) فيأسف « شكري » لأن

السلطات التونسية رفضت أن يعرض في معرض الكتاب العربي الذي عقد بتونس أي كتاب إسلامي سواء كان الكتاب للشهيد « سيد قطب » أو للشيخ « محمد الغزالي » أو للشيخ « محمد متولي القراوي » على اختلاف مستويات التعبير عند هؤلآء !!

بل إن هذه السلطات قد ارتكبت جريمة كبرى في حق العروبة والإسلام وحرية الفكر حين منعت الانتاج العلمي لمؤلفين إسلاميين وعرب بالجملة .. فليس الأمر مصادرة لفكر معين ، ولا لكتاب واحد ، بل هو مصادرة للفكر الإسلامي بالجملة !!

وما يقوله الأستاذ « غالي شكري » صحيح ، لكن الأستاذ « غالي شكري » لم يتطرف لتفسير ذلك ، واكتفى بالأسف من هذا الأسلوب المتخلف المناهض للفكرة القومية القائمة على تواصل الفكر ..

والحقيقة أن النظام التونسي الحاكم لا يؤمن بتواصل الفكر لا على أساس العروبة .. ولا على أساس الإسلام ، بل يؤمن به على أساس فكر آخر لا يمت للإسلام ولا للعروبة بصلة ، وهذا ما تؤكده مسيرة هذا النظام منذ ثبتت قواعده ، وعبر حواجز البورقيبية وضمن السيطرة على الأمور ..

ونزيد الأمر إيضاحاً في السطور التالية :

- لئن كان النظام قد اعطى الشعب التونسي المسلم بعض المظاهر الشكلية الإسلامية التي داعبت وجدانه وألهبت خياله بآمال عريضة ، بعد أن عاش أكثر من ثلاثة عقود تحت القهر البورقيبي العلماني - فإنه - في مجال الفعالية الحقيقية ، قد أعطى الشيوعيين والعلمانيين والمتفرنسين المواقع التربوية والإعلامية والحزبية ..

فالأستاذ محمد الشرفي (أحد كبار الماركسيين) عين كاتباً للدولة لشئون التربية (وزير التربية) وهو - منذ احتل موقعه الوزاري

يمشي بخطوات سريعة وقوية في سبيل علمنة المناهج وإزالة أية بصمات عربية أو إسلامية منها ، وقد جعل المادة الدينية هامشية للغاية وكيّفت المادة لتصبح معبرة عن الفكر اليساري التقدمي ، مثلما كانت المادة تكيف في البلاد الشيوعية أيام سيطرة الفكر الشيوعي .

كما شكل الوزير لجانا تعمل بتوجيهه المباشر لتنقية كتب الأدب والمطالعة والإنشاء والنحو والتاريخ والجغرافيا من التأثيرات الإسلامية !!

والأستاذ (محمد الشرفي) [وزير التربية] عرف بتطرفه الشيوعي منذ العهد البورقيبي ، وقد سجنه الرئيس بورقيبة لفترات طويلة ، ومن الغريب أنه في عهد الزوال العالمي للشيوعية يقع عليه الاختيار من قبل النظام التونسي ليصبح وزيراً لأخطر وزارة (وهي وزارة التربية) في بلد حاول نظامه أن يتظاهر بالإسلام.لعدد من الشهور !!

والملاحظ أن العهد الجديد (عهد الرئيس بن علي) يستعين بالشيوعيين في مواقع كثيرة ، على أساس أنهم الأنكي والأقدر على استئصال البصمات الإسلامية ، و أيضـــاً لكـي يثير الإسلاميين ويغيظهم ، فيندفع بعض الأحداث ممن لا يعرفون الخطة التي يهدف إليها النظام ، فيقعون في بعض الأخطاء ، فيعطون الحكم الفرصة الذهبية للاجهاز عليهم(!!) ومع ذلك فالنظام قد لا يحتاج كثيراً لهذه الأخطاء ، فقد تعلم من بعض النظم المتخصصة في حرب الإسلام وسائل تلفيق التهم ، والاعتماد على هذا التلفيق لضرب الجميع وتشويه الإسلام وتحريض الغوغاء ضد الجماعات الإسلامية المسكينة !!

••••••

= وبما أن النظام التونسي يتعرض لضغوط علمانية كثيرة ذات صلة قوية به ، فإنه لم يتحمل الصبر كثيراً على تمثيلية (إنقاذ الزيتونة)

وإعادة غابر مجدها حتى تصبح - كما كانت - صنو الأزهر أو قريبة منه .. ولهذا لم يلبث أن انقلب على الزيتونة فشلّ حركتها ، ولم يمنحها - من الناحية العملية - إلا الوعود المعسولة .. وفي ضوء هذا فإن مديري الزيتونة اللذين تعاورا عليها و هما : « الدكتور التهامي نجرة » و « الدكتور أبو لبابة حسين » لم يستطيعا أن يفعلا شيئاً يذكر ، بل أقيل الأخير إقالة غير كريمة ، مع أنه كان حريصاً على دفع عجلة الإصلاح بهدوء ورفق !!

وقد أصبحت الزيتونة الآن تحت التوجيه المباشر لرجل الدولة القوي الدكتور علي الشابي (كاتب الدولة للشئون الدينية) الذي يشبه - تماماً - وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد علي محجوب (إنه وزير التطرف وكفى) !!

وقد مكن الدكتور الشابي لابن أخته (أنس الشابي) الذي تخرج على يديه في فرع الشريعة بالزيتونة ، مع أنه يناوئ الشريعة ويصفها بنعوت لا تليق ، وهو يتحرك في الزيتونة على أساس صلته بخاله (علي الشابي) ، ويفعل ما يشاء !!

و لأنس الشابي جهود في الصحافة لم تحسب على الفكر الإسلامي - إطلاقاً - مع صلته الدراسية بالشريعة والزيتونة ، وصلته العائلية بكاتب الدولة للشئون الدينية وتعاونه معه !!

وقد صدر توجيه بتقليص عدد الطلاب الملتحقين بجامعة الزيتونة ، وفي العام ١٩٩١م لم يدخل الجامعة أكثر من (٢٢٠ طالباً) موزعين على الكليات الإسلامية الثلاث : الشريعة وأصول الدين واللغة العربية والعلوم الإنسانية !!

وقد عطل مسار الرسائل الجامعية للماجستير (دكتوراه الدرجة الثالثة) والدكتوراه (دكتوراه الدولة) فأرغم الطلاب الممتازون

والأساتذة الأكفاء في الزيتونة للبحث عن العلم في معاهد وكليات باريس . وكان هذا هو المقصود (!!) كما هاجر بعضهم للعمل في الجزائر والسعودية وغيرهما !!

وقد ضيق على الأساتذة الأكفاء المعتدلين وأقصوا عن المجالس العلمية (المنتخبة) ووضع بدلاً منهم (بالتعيين) الجبرى بعض تلامذتهم ومساعديهم من الرتب الإدارية السفلي !!

ولم يكن هذا كل ما أصاب الزيتونة في العهد الجديد الذي كان يعتبر اهتمامه بالزيتونة مفخرته التي يدل بها على الشعب التونسي المقهور . بل تمادى النظام في غيّه . فقد قام بإضعاف البرامج وتهميش الجوانب الأصيلة فيها وتمييع حقائقها الإسلامية لتواكب الفكر العلماني المهيمن وقد وكل إلى تلامذة الدكتور (علي الشابي) مسئولية وضع برامج من وجهة نظر أحادية . وكان له شخصياً الكلمة الأولى والأخيرة في هذه البرامج !!

وليضمن الدكتور الشابي (وهو كاتب الدولة للشئون الدينية ولا علاقة له عملياً بجامعة الزيتونة) تنفيذ سياسة الدولة التي فوض في فرضها على الزيتونة . فإنه وضع تلامذته وأصدقاءه على رأس الكليات الزيتونية الثلاث . فعلى رأس الشريعة : (حمودة السعفي) وعلى رأس أصول الدين (جلول الجريبي) وعلى رأس العلوم العربية والاجتماعية (محسن العابد) .. أما رئيس الجامعة بعد إقالة الدكتور أبو لبابة حسين (بطريقة غير كريمة) . فكانت من نصيب تلميذ الشابي (عبد المجيد بن حمدة) ..!!

وهكذا عادت الزيتونة سيرتها الأولى . في العهد البورقيبي لينشغل أساتذتها وطلابها المساكين بصراعات القوى المتطاحنة . وليخاف الجميع من الجميع . وتنكسر نفوس الجميع . وينكمش

الجميع منتظرين الفرج القريب !!

ومن الغرائب أن جامعة الزيتونة (الإسلامية) يفرض فيها الاختلاط ، ويروج للعرى الفاضح بين الطالبات والمؤظفات ، وتمنع فيها الصلوات الجماعية ، وأصبح مسجدها خالياً من المصلين .. وقد برمجت الدراسة في الزيتونة بطريقة غريبة تدل على المؤامرة الماكرة ، فالدراسة لا تزيد عن أربع ساعات فقط ، (بالضبط لا تزيد الدراسة عن مائتين وأربعين دقيقة ، من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية عشرة) وبعد ذلك ينصرف الجميع حتى لا يجتمعوا في الصلاة ، ولا يألفوا الصلاة جماعة ، ولا يظهروا الزيتونة بمظهر إسلامي التعليم ومدارسه في تونس المسكينة (الأندلس الجديدة) !!

نعم : هذه الجامعة الإسلامية العريقة لا يسمح بطلب العلم فيها إلا أربع ساعات فقط في اليوم (!!!) ثم تغلق أبوابها لتبقى إفريقيا شمالاً وشرقاً ووسطاً وجنوباً مهيأة لمدارس التنصير وكليات التنصير !!

والحذار : الحذار من أي معروف أو نهي عن منكر في الزيتونة فإن رجال البوليس السرّي مندسّون في كل مكان يحافظون على الفساد ، ويعتقلون كل من تسول له نفسه (التطرف) بمقاومة المنكر حتى ولو بالكلمة الهادئة الحكيمة (!!!) وحتى ولو في داخل واحدة من أقدم الجامعات الإسلامية الثلاث العريقة في العالم الإسلامي !!

والويل لمن يشتبه في تعاطفه مع الإسلام من الأساتذة في الزيتونة أو في أي جامعة تونسية .. إنه ينحى عن كل اللجان وعن الخطط والمسئوليات ، وعن التكليف بمهمات ، ويوضع تحت الرقابة المباشرة وغير المباشرة !!

•• •• ••

فإذا تركنا الزيتونة وحالها المبكى وانتقلنا إلى الحياة الاجتماعية

وجدنا فرض التفسخ والعرى . والزنا والسماح (الرسمي) بالمواخير التي تشرف عليها وزارات السياحة والصحّة .. وقد أصبح ممنوعاً السماح بتوظيف المحجبة . وقد وضع رجال الفكر الحرّ والتدينون تحت أجهزة الرصد والتنصت . وأصبحوا يعيشون في خوف من الملاحقة والتهديد بالطرد والإيقاف . وقد نجح الشيوعيون الذين قربهم النظام ليضرب بهم الصحوة الإسلامية - في الإيقاع بين النظام والشعب . فبعد أن كان النظام يحظى بعطف شديد بعد طرده لعدوّ الإسلام الحبيب بورقيبة - أصبح الآن بعيداً عن كل صور الحب والعطف . وأصبح الناس يعيشون معه مثلما يعيشون تحت قبضة أي نظام قمعي شمولي يكره الإسلام ويتذرع بكل الوسائل والمغالطات من أجل تشويهه ومنع الناس من الحياة في ظلاله !!

إن الشعب يقرأ الصحافة فلا يجد فيها أثراً للإيمان . بل جل من فيها هم من الشيوعيين واليساريين والعلمانيين من أمثال زياد كريشان ، ومحمد الطرودي ، وأنس الشابي ، ومنظر الرويتي (وزير الثقافة المعزول) وحمد النيفر صاحب مجلة (٢١/١٥) الأسبوعية اليسارية .

ولا توجد مجلة إسلامية في تونس إلا مجلة دار الإفتاء الدورية التي تقدم بحوثاً أكاديمية ميتة أو ردوداً على فتاوى حول الحيض والنفاس !! ولا علاقة لها لمأساة الشعب التونسي المسلم . ولا بالمؤامرة التي تمضي في صمت لاستئصال الإسلام والعروبة في تونس . ويساعد على نجاحها كتابة الدولة للشئون الدينية . وبعض رجال الزيتونة !!

أما كتابة الدولة للعدل فهي مستعدة للوقوف ضد كل بادرة إسلام . وضمان الحكم بأسوأ الأحكام . والمساعدة على تلفيق التهم وإحضار شهود الزور..

ويعتبر الأستاذ (عبد الرحيم الزواري) - كاتب الدولة للعدل - المشرف على كل هذه الأعمال . وتاريخه معروف . فقد كان مديراً للحزب الرسمي . ومن الجرائم التي نسبت إليه جريمة جودو (وهو رجل بلجيكي) ادّعى أنه صاحب مشاريع . وتعاون مع الزواري وضبطت له أشرطة فيديو سيئة . وشركات سياحية ذات سلوكيات وأهداف مشبوهة . ثم هرب « المستر جودو » - شريك الزواري - وهرب معه كثيراً من الأموال !!

وقد كان الزواري وزيراً للعدل في العهد البورقيبي . فاستعان به -لتاريخه الحافل - النظام الجديد !!

وبالإضافة إلى وزير العدل يتعاطف مع هذا المخطط ويؤازره من المسئولين كذلك (السماوي) وزير النقل . و (الدالي الجازي) وزير الصحة .. هذا عدا مئات من الحزبيين والقياديين الذين وضعهم النظام في مواقع التأثير التربوية الإعلامية والأكاديمية والحزبية !!

••••••

بقى أن نذكر أن مفهوم (التطرف) يختلف في تونس عن مفهومه في مصر أو الجزائر أو في أي بلد عربي أو إسلامي . ولا حتى أمريكي أو أوربي !!

إن مقاومة التطرف تعني عند هؤلآء جميعاً : الوقوف ضد الإسلام الحضاري والسياسي . وحصار الإسلام في نطاق العقيدة والعبادات من صلاة وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

= فلا مانع لدى أمريكا وأوربا من الصلاة والصيام والحج . وكذلك لدى كل النظم العلمانية الموجودة .. ويأتي (التطرف) عند ما يحاول المسلمون إصلاح الدنيا بالدين . أو الحكم على الدولة وقياس أعمالها بمبادئ الإسلام !!

= لكن التطرف في (تونس) مختلف تماماً عن (التطرف) عند كل هؤلاء .. إنه تطرف تقدم خطوة كبيرة فحصر الإسلام في دائرة العقيدة ، وضم العبادات إلى قائمة (التطرف) .. و على ضوء هذا فإن كل من يصلي ، ولا سيما إذا كان شاباً أو شابة أو مسئولاً أو مؤظفاً أو رجل شرطة أو جيش (متطرف) ويجب تنحيته .. وقد يتجوز مع صلاة الجمعة لصعوبة حصار الناس ومراقبتهم فيها ، أما في غيرها من الصلوات فإن أداءها في المساجد (وحتى لو اكتشفت في البيوت) يعتبر تطرفاً .. ولهذا لا تفتح المساجد إلا في أضيق الحدود !! وكذلك لا يسمح بدروس ، ولا يوجد مساجد في المؤسسات حتى مسجد دار الإفتاء تمّ إغلاقه !! ومن باب أولى لا توجد مساجد في الجامعات ولا الكليات .. وقد وقع الرجوع إلى قانون (١٠٨) الذي يمنع الفتيات من الحجاب في المدارس الإعدادية والثانوية والكليات .. لأن الحجاب - كذلك - مظهر من مظاهر التطرف !!

أما العرى والاختلاط والخمور التي تباع في أصفر الحوانيت ، وصور التبذّل الرسمي الحرام تحت بند السياحة والترويح ، فهي اعتدال وتقدمية ، ومصدر خير للبلاد والعباد !!

••••••

= أيها المسلمون .. في أنحاء الكرة الأرضية : في تونس القيروان .. في تونس عقبة وحمآن .. هناك بوسنة وهرسك أخرى ويذبح فيها الإسلام والمسلمين بطريقة صامتة ، وقد تولولون عليها يوماً وتبكون دماً وتحتجون بجهلكم وغفلتكم ... ألا هل بلغت .... اللهم فاشهد .

== == ==

محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي
ومكانته العلمية
(الحلقة الثانية)

سعيد الأعظمي

كذلك توطدت علاقته مع العلامة السيد سليمان الندوي أيام إقامته في مجمع دار المصنفين بأعظم كراه . فقد كان العلامة الندوي معجباً بسعة أفقه وتبحره في علم الحديث والرجال ، وكانت اللقاءات العلمية تتم بينهمـــا حيناً لآخر و يتبادلان خلال ذلك معلومات تاريخية وثقافية ، وطالما جرت بينهما مراسلات ، حول المسائل العلمية ، ولما شرف العلامة السيد سليمان الندوي بزيارته الأخيرة لندوة العلماء في عام ١٩٥٢م ، وكان العلامة الأعظمي موجوداً يوم ذاك في لكناؤ ، انتهز فرصة اللقاء وقضى معه وقتاً طيباً في جو علمي خالص .

وبجوار علاقته بندوة العلماء ورجلها الكبير العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كانت له اتصالات قوية مع العالم الكبير فضيلة الشيخ محمد منظور النعماني مؤسس مجلة «الفرقان» الشهرية ، فقد كان فضيلة الشيخ النعماني قضى مدة في بلدة العلامة الأعظمي أيام طلب العلم واستفاد منه في بعض نواحي العلم وتلمذ عليه . فكان يجله دائماً ويعترف بفضله وبمكانته العلمية وبعد نظره في علوم الكتاب والسنة . وقد طلب منه أن يقدم لكتابه الذي ألفه في الحديث الذي سماه « معارف الحديث » في مجلدات متعددة . فألف العلامة الأعظمي

مقدمة ضافية قيمة في موضوع علم الحديث ، رفعت قيمة الكتاب ودلت على بعد نظره وتبحره في العلم ، وميزته العلمية الكبرى .

كان علامة الشام المحدث الشهير عبد الفتاح أبو غدة من المعجبين به والمعترفين بفضله ودقة نظره في علم الحديث والرجال ، فقد زاره في بلدته ، وأقام ضيفاً عليه حرصاً على تبادل الآراء والمعلومات معه في هذا العلم الشريف ، وكان يذكره في مجالسه باكبار ويثنى على خدماته العلمية وتحقيقاته النادرة .

وأذكر أن علامة مصر محمد زاهد الكوثري ، كان يحبه ويعترف بفضله ، وقد عرف مكانته العلمية الرفيعة بما أرسل إليه العلامة الأعظمي من اكتشافه للنصف الثاني من استدراك الحافظ قاسم بن قطلوبغا ، على « الدارية في تخريج أحاديث الهداية » للحافظ بن حجر العسقلاني ، فقام العلامة الكوثري بطبعه ، وأعجب بغزارة علمه ودقة بحثه وتحقيقه وأثنى عليه ثناءاً بالغاً ، وخلع عليه صفة « العلامة النحرير والجهبذ الخبير» (١) .

ولما قام محدث مصر الكبير العلامة أحمد محمد شاكر بتأليف شرحه على مسند الإمام أحمد بن حنبل ، واطلع عليه العلامة الأعظمي فعثر فيه على بعض الملاحظات العلمية والتاريخية ، وكتب استدراكات حول ذلك وبعث بها إلى العلامة أحمد محمد شاكر فتلقاها بالشكر والقبول ، وألحقها بالمجلد الأخير ، وكتب إلى العلامة الأعظمي رسالة شكر وتقدير واعتراف ، جاء فيها :

---

(١) من ترجمة العلامة الأعظمي ، بقلم فضيلة الشيخ محمد إلياس على حياة الصحابة « للداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ محمد يوسف ابن الداعية العظيم فضيلة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي - رحمهما الله تعالى -

حضرة الأخ العلامة الكبير المحقق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد ! لقد جاءني كتابكم الأول النفيس .... أما استدراكاتكم فكلها نفيسة عالية ، ولا أقول هذا مجاملة ... وأشكركم خالص الشكر، على هذه العناية الجيدة ، و أرجو أن تزيدوني من إشاراتكم وإرشاداتكم ، خدمة للسنة النبوية المطهرة .

وأنتم - كما رأيت من عملكم - من أعظم العلماء بها ، في هذا العصر، فالحمد لله على توفيقكم ... ثم أكرر الرجاء أن لا تحرموني من آرائكم النيّرة وتحقيقاتكم النفيسة .

حفظكم الله وبارك فيكم كتبه المخلص

أحمد محمد شاكر

إنها شهادة من محدث كبير وعلامة جليل في هذا الفن الشريف ، على مدى ما بلغ إليه المحدث الأعظمي من المكانة التحقيقية الرفيعة في علم الحديث الشريف ، وعلى تمكنه من دقائقه العلمية والتاريخية التي قلما يهتدي إليها الناس في العصر الذي يتميز بالعلم والتحقيق والاكتشاف .

وعند ما ظهر في عام ١٩٦٢م « كتاب نسب قريش للزبير بن بكار» الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه ونشره البحاثة الكبير المحقق العلامة محمود محمد شاكر من مصر ، اطلع عليه العلامة الأعظمي ، وأثنى على المجهود العلمي الذي بذله العلامة المحقق في إخراج هذا الكتاب بشكل جميل ، وفي خلال مطالعته علق على تعليقات المحقق بما تتجلى به مكانته العلمية التحقيقية العالية ، وتبحره في العلوم ، ولنقرأ تعليقاته العشرة على هذا الكتاب لكي نستفيد منها ، يقول :

علق المحقق على قول الشاعر !

١- أنبئت خود بني اللكماء أنبأهـا

قدر جسيم و عـرض ليس يبتذل

لا أدري ما قوله « أنبأها » والمعنى يقتضى أن تكون الكلمة بمعنى خطبها (ص/٦٤) .

قلت : بل المعنى يقتضي أن تكون الكلمة بمعنى « أبطرها » أي جعلها تبطر القدر الجسيم . وقوله « أنبأها » يدل على هذا المعنى . ففي كتب اللغة « أنبأ فلاناً » دفعه عنه أخرجه من أرض إلى أرض . ونابأ القوم تباعد عنهم وترك جوارهم . فالمعنى أن الشاعر يتهكم بها ويقول : حملها على التباعد عنه . وترك جواره ما للخاطب من القدر الجسيم .

٢- قال الشاعر :

خطان في شبر قرطاس يطير به

منا جرى و نمضى قلت كلاكا

رسم المحقق كلمة نمضى بالنون في أولها . وشكله بضم النون (ص/٢٠٨) والصواب وتمضى بالتاء المفتوحة في أولها . يدل عليه قول الشاعر نفسه فيما سيأتي : فقال (مصعب) نرسل رسولاً ونكتب بحاجتك . وتمضى معنا (ص/٢٠٩) ويحتمل أن تكون بفتح النون . وصوبه المحقق في المستدرك (ص/٥٥٢) .

٣- علق المحقق على قول الكتاب : «أظنها صدقة على المخدومين بمكة» المخدومون هم المخدومون يكثر خدمهم وحشمهم (إلى قوله) يشبه أن يجعل معنى المخدمين . هم الخدم (ص/٢٢٤) .

أقول : هذا كله تعسف . وتكلف . والصواب أن تلك الكلمة أخطأ المحقق في قراءتها . ولا شك أن صواب العبارة « أظنها صدقة على المجذمين بمكة » يعني على المجذمين (المصابين بالجذام) .

٤- وقال في (ص/٢٢٩) « سهم جمع » مما أخلت به كتب اللغة فلم تذكره .

أقول : إن أراد بكتب اللغة ، الكتب التي وضعت لبيان المعاني الوضعية للكلمات المفردة ، فيمكن أن يكون له وجه ، وإلا فقد ذكرته كتب غريب الحديث ، ففي النهاية لابن الأثير له سهم جمع أي له سهم من الخير جمع فيه خطان ، والجيم مفتوحة ، وقيل أراد بالجمع الجيش أي كسهم الجيش من الغنيمة (١/١٠٦) .

٥- علق المحقق على قول الشاعر : فأبناكأنا عصبة لم تؤسر ، قوله عصبة لم تؤسر من الأسر ، وهو الحبس ، يقول : لم يحبسها عنه الجدب وانقطاع الزاد ، وكلال الرواحل .

أقول : هذا تعسف ، والمعنى المتبادر : فرجعنا كأنا لم نكن في أسر وحبس قط ، فإن الشاعر كان أسيراً محبوساً في السجن ، حتى رثت حاله ، فلما أطلق أتى محمد بن المنذر فوصله وأمر له بظهر وكسوة ورحال ونفقة ، كما في تلك الصفحة من الكتاب ، فإلى هذا يشير الشاعر ويشكر لمحمد ضيعه إليه بقوله : إنا رجعنا من عنده كأنا لم نكن أسرى قط .

٦- حكى الزبير في ترجمة عثمان بن عروة أنه قال : إن كان ليقول وأنا أغلف لحيتي بالغالية إني لأراها ستقطر ، (ص/٣٠٥) أثبته المحقق كما هو ، وظني أنه سقط من المتن فاعل «ليقول » وهو «أبي » فيما أرى ، أو كان في الأصل « إن كان ليقول أبي » فكتبه الناسخ « ليقول لي » .

٧- روى الزبير عن مالك أن عامر بن الزبير كان يواصل في شهر رمضان ثلاثاً قال : وكان يشرب السمن ، فعلق عليه المحقق « لا أدري ما معنى شرب السمن في هذا الخبر» (ص/٢٢٧) قلت : كان شرب السمن

نوعاً من العلاج عندهم إذا واصلوا الصوم أو طووا أياماً . فقد روى البخاري في تاريخه : كان عبد الله بن الزبير يواصل سبعة أيام ، فكان يتحسى السمن والصبر إذا أفطر(٤-١-١٨٩) .

٨- روى الزبير أنه جاء الإسلام والرفادة بيد حكيم بن حزام ، فعلق عليه المحقق : إنه موضع تحقيق ، وأخشى أن يكون أراد أنه كانت بيده دار الندوة (ص/٢٥٤) .

قلت : كلا ، لأن مصعباً الزبيري تابع محمد بن عبد الرحمن المرواني على هذا الخبر وزاد عليه فجمع بين الرفادة ودار الندوة ، فإن أمكن التأويل في خبر المرواني فكيف يمكن في خبر الزبيري ، قال الزبير في (ص/٢٦٣) : وأخبرني عمي أن الإسلام جاء والرفادة والندوة في يد حكيم بن حزام ، وقد حكى الحافظ في الإصابة والتهذيب عن الزبير كان الرفادة ودار الندوة كليهما بيد حكيم ولم ينكر شيئاً من ذلك .

٩- قال الزبير في ترجمة حكيم بن حزام : « وقف مائة وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقة الفضة ، قد نقش في رؤوسها » عتقاء الله عن حكيم بن حزام واعتقهم ، أعرب المحقق كلمة « مائة » بالرفع ، والصواب في اعرابه النصب ، فإنه سيأتي تحت رقم/٦٤٨ ، كان حكيم ابن حزام يقم عشية عرفة مائة بدنة ، و مائة رقبة ، فيعتق الرقاب عشية عرفة ، (ص/٢٧٢) فكلمة مائة هنا منصوبة بلا شك .

١٠- وقع في (ص/٢٧٢) حدثني أحمد بن سلمان قال : حدثني سعيد بن عياش العجيفي ابن أخت جويرية بن أسماء ، أثبت المحقق هذا النص كما وجد في الأصل ، ولم يتنبه أن في الأصل هنا تصحيفين ، فقال في التعليق : « سعيد بن عياش العجيفي لم أجد له ترجمة ، وهو في الحقيقة سعيد بن عامر الضبعي ، صحف ناسخ الأصل كلمتي « عامر والضبعي » فجعلهما « عياش والعجيفي » فإن سعيد بن عامر هو ابن

أخت جويرية بن أسماء ، كما في تهذيب التهذيب وغيره ، وهو الذي يروى عنه أحمد بن سلمان ، فقد سبق آنفاً في الصفحة نفسها ، حدثنا الزبير قال : « وحدثني أحمد بن سلمان قال : حدثني سعيد بن عامر قال : حدثنا جويرية بن أسماء » .

١١- قال المحقق في (ص/١٠٩) : إن القسم ، والفرض ، والفريضة ألفاظ ديوانية ينبغي أن تجمع حتى يتبين معناها إلخ .

قلت : إن الخلفاء كانوا يدافعون أحياناً جملة من المال أو العروض إلى بعض يثقون بهم ، ويأمرونهم أن يقسموها في أهل الاستحقاق عندهم ، فهذا هو القسم ، وهو المعنى في قولهم : « فلان كان الخليفة يوليه القسوم » ومعلوم أنه كان في ذلك العهد ديوان للعطاء ، وكان لكل قبيلة سجل يكتب فيه أسماء كل ما يستأهل لذلك ، وفي كل سنة تزيد الأسماء وتنقص ، فكان الخليفة ربما قال لبعض يثق به « هذه ألف فريضة تضعها حيث شئت » يعني أن لك أن تختار ألف رجل ممن تراه أهلا وتكتب أسماءهم في السجل ، وتحدد مقادير ما يستحقونه وتكتبها بإزاء أسمائهم ، فهذا هو الفرض .

وما كان يحدد لهم من الدنانير أو الدراهم يدفع إليهم سنوياً أو نصف سنوي ، وهو العطاء وربما نقل الداخل في بعض الأحيان ، فلا يمكن أن تخرج الأعطية عند تمام السنة فتخرج في عامين أو ثلاث ، وقد اتفق مرة في عهد هارون الرشيد أن أخرجت ثلاثة أعطية معاً ، (راجع نسب قريش للزبير: ص/١١٠-١٦٢-١٦٤) .

وجاء في الصحيحين أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة ، فقال الحافظ ابن حجر في الفتح : قوله « أن يفرضوا له » أي يقدروا لهم رزقاً في ديوان الجند ، وكانوا يفرقون بين المقاتلة وغيرهم في العطاء ، وهو الرزق الذي يجمع في

بيت المال ويفرق على مستحقيه (١٧٠/٥) .

وفي النهاية لابن الأثير : وفي حديث عدى ، أتيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل من طئ في ألفين ويعرض عني ، أي يقطع ويوجب لكل رجل منهم في العطاء ألفين من المال (٢١٠/٢) » .

ومن مأثرته العلمية التحقيقية الأولى التي صدرت في عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) بتحقيقه المميز و تعليقاته النادرة ، كتاب « الترغيب والترهيب » لابن حجر العسقلاني ، الذي يعتبر تحفة قيمة لأهل العلم والفضل .وهو في الأصل اختصار لكتاب الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الذي كان حاوياً لما في الكتب المتقدمة ، خالياً عن الأحاديث الموضوعة ، فاختصره الإمام الحافظ ابن حجر ، وسمي بانتقاء الترغيب والترهيب .

أما مسند الإمام أبي بكر بن عبد الله بن الزبير الحميدي ، الذي ظل مغموراً مطموراً بين مسانيد الحديث وما كان قد رأى النور، فقام بالبحث عن نسخه الخطية ، وأول ما عثر على نسخة خطية نادرة منه هي ما كانت موجودة في مكتبة دار العلوم ديوبند ، وكانت حافزاً له على بحث مزيد عن نسخ هذا المسند حتى حقق الله له النجاح ، في هذا المجال ، وعثر على ثلاث نسخ خطية فقام بعزم أكيد ونشاط جديد بمقابلة النسخ وتصحيحها والتعليق عليها وإخراجها في ثوب قشيب وتحقيق نادر ، تجملت بها المكتبة الإسلامية وازدانت بوجود هذا المسند العظيم الذي كان ينقصها ، وسد به ذلك العوز الذي كان يشعر به أهل العلم من زمن طويل .

ولنتركه يقص قصة هذا المسند بما قام به نحوه من تحقيق وتعليق وتصحيح يقول :

« إن المدونات في الحديث قد كثرت أنواعه فمنها المسند ومنها المعجم ومنها الجامع ومنها السنن . والنوع الذي يترجم بالمسند يراد به ما دونت فيه الأحاديث مرتبة على أسماء الصحابة فيدون مثلا مرويات أبي بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم وثم .

والمسانيد فيها كثرة . أعلاها مسند أحمد وهو المراد بالمسند عند الاطلاق (١) وأولها مسند أبي داؤد الطيالسي هو الجامع لصح هذا ولكن الجامع له بعض الحفاظ المتأخرين . وقال الحاكم : أول من صنف المسند على تراجم الرجال في الإسلام عبيد الله بن موسى العبسي المتوفى سنة ثلاث عشرة و مائتين و أبو داؤد الطيالسي . و قال ابن عدى : يقال أن يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين أول من صنف المسند بالكوفة وأول من صنف المسند بالبصرة مسدد . المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين . وأول من صنف المسند بمصر أسد السنة . المتوفى سنة اثنتى عشرة ومائتين (٢) .

قلت ومن قدماء مصنفي المسند أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المتوفى سنة تسع عشرة و مأتين و ظنى أنه أول من صنف المسند بمكة . وهو أقدم موتاً من الحماني . ومسدد فهو أولى وأحق بأن يعد من أوائل من صنف المسند . فهذه المسانيد مع مسند نعيم بن حماد ومسند إسحاق بن نصر هي التي توصف أو ينبغي أن توصف بأنها أول المسانيد تصنيفاً وأقدمها وجوداً . وقد كانت تلك المسانيد نسمع بأسمائها من أفواه العلماء ونقرؤها في الكتب ولم يكن الوقوف على أعيانها بالسهل الميسور لكل واحد من أهل العلم . حتى قيض الله

---

(١) الرسالة المستطرفة : ص/٤٦ .

(٢) الرسالة المستطرفة : ص/٤٢ .

أركان دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الهند) فقاموا بنشر مسند أبي داؤد الطيالسي في سنة ١٣٢١هـ لأول مرة .

وكنت أود منذ أعوام أن لو وفق الله أحداً من أهل العلم أن يفتش عما بقي من هذه المسانيد في خزائن الكتب فإن ظفر بشئ منها قام بتصحيحه ونشره لكان خدمة لا تنسى ومنة في رقاب أهل العلم وكان أيضاً دفاعاً مجيداً عما رمي به أعداء الحديث مصنفي الصحاح من أنهم وضعوا الأحاديث التي أودعوها كتبهم . كنت أود هذا وكانت هذه الأمنية دائماً نصب عيني ، حتى عثرت على نسخة من مسند الحميدي في مكتبة دار العلوم (بديوبند-الهند) فطرت فرحاً وشكرت الله تعالى.

وفي ديسمبر سنة ١٩٥٨م اتفق لي أن سافرت إلى حيدرآباد وتيسرت لي زيارة المكتبة السعيدية الزاخرة بنفائس المخطوطات ، فظفرت فيها بنسخة أخرى من مسند الحميدي ومن ذلك الحين قوي عزمي على أن أقوم بتصحيحه والتعليق عليه .

ومن حسن حظي أن بلغ هذا الخبر إلى مؤسس المجلس العلمي (بكراتشي وسملك) حضرة المفضال الحاج مولانا محمد بن موسى ميان فكتب إلى يشجعني ويبالغ في الحث على المضى في هذا العمل واتمامه ويستأذنني تكرماً أن يوضع نشر مسند الحميدي في قائمة أعمال المجلس العلمي .

فشمرت عن ساق الجد وسافرت إلى حيدرآباد ثانياً للمقابلة بين النسختين فمن الله على في هذه المرة بنسخة ثالثة ظفرت بها في مكتبة الجامعة العثمانية .

وبذلت غاية جهدي في مراجعة مظان كل حديث حرصاً على مزيد التصحيح ، واعتناء باتمام ما عسى أن يوجد فيه من نقص واهتماما بتخريج كل حديث وإحالته على كتاب آخر من كتب الحديث ، وغيت

بشرح ما بدا لي من غريب ألفاظه وإيضاح معنى الحديث حيث رأيت الضرورة داعية إليه .

لما كان هذا الكتاب موضوعاً على مسانيد الصحابة ولم يكن مبوباً على أبواب الفقه رأيت أن أجعل به فهرساً مرتباً على أبواب الفقه ، فإذا أراد الباحث أن يكشف عن حديث لا يحفظ اسم راوية من الصحابة استعان في الكشف عن مطلوبه بهذا الفهرس ولم يحتج إلى أن يقرأ الكتاب من أوله وآخره .

و وضعت له فهرساً آخر فهرس الأعلام التي وردت في الأسانيد أو في أثناء الأحاديث لا لمجرد ومحاكاة الأفرنج بل لظهور نفعه ، فقد دلت التجارب أنه يسهل الوصول إلى المطلوب ويصون كثيراً من الوقت عن الضياع » .

إن الإمام الفقيه الحافظ الحجة أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني ثم المكي ، وهو محدث كبير له تقدم في معرفة الحديث وحفظه وهو من شيوخ الإمام أحمد وأبي زرعة وأستاذ الإمام مسلم ، وكان كتابه « السنن » من أجل ما صنف في الأحكام ، أقدم من الصحيحين ، ومن السنن الأربعة ، ولكنه كان منطوياً مغموراً لا يوجد له عين ولا أثر ، وبطريق الصدفة عثر على المجلد الثالث منه المحقق الكبير الدكتور محمد حميد الله في مكتبة محمد باشا كوبريلي باستانبول فأحب أن يخرج الكتاب من زاوية الخمول إلى ساحة النور ، ويطلع عليه أصحاب الحديث وبغاته والمشتغلون به ، ووقع الاختيار على شيخنا العلامة الأعظمي لكي يقوم بتحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه وتصحيحه مع مقابلة مع النسخ الأخرى التي اكتشفها الدكتور محمد حميد الله في بعض المكتبات الأخرى في تركيا .

والكتاب في قسمين ، عني بنشره الشيخ إبراهيم بن محمد ميان من

دار الكتب العلمية ببيروت . وهو هدية علمية قيمة تتجمل بها مكتبة الحديث الشريف . وقد زادته قيمة ونفعاً تعليقات المحدث الأعظمي (رحمه الله) التي تدل على بصيرته النافذة في علم الحديث واستيعابه لهذا الفن الشريف فجزاه الله تعالى على هذه الخدمة الجليلة .

ومما حققه علق عليه وتناوله بالتصحيح كتاب « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ . وكان هذا الكتاب مخطوطة في بعض مكتبات تركيا بين مخطوطتين مسندة ومجردة من الأسانيد . فاطلع عليها العلامة المحدث الأعظمي واختار النسخة المجردة لكي يركز عليها بتحقيقاته وتعليقاته وبذل فيها مجهودات عظيمة حتى أتمها على خير ما يمكن من تحقيق وتعليق وتصحيح . وهي مأثرة علمية كبيرة للمحدث الأعظمي من غير شك . تعتبر زيادة قيمة في منته على أهل العلم والحديث . وترفع مكانته في العلوم والمعارف .

لقد قام العلامة الأعظمي بتعريف هذا الكتاب في مقدمته الضافية عليه . نتحف نبذة منها إلى القارئ الكريم فهي لا تخلو من إفادات بليغة ومعلومات كثيرة :

« موضوع الكتاب : لم تنقطع محاولات تجميع السنة على صعيد واحد في مصنفات مستوعبة بعد أن انتهت عهود الرواية والتدوين الأساسي في جوامع ومصنفات وسنن ومسانيد . ومن القديم في ذلك ما لصده الحميدي حين ألف كتابه « الجمع بين الصحيحين » وغيره كثير .. إلى أن صنف ابن الأثير كتاب « جامع الأصول » على آثار كتاب سابقه رزين العبدري وهو يمثل الحلقة الأولى في تجميع كتب لسنة على صورة تجريد الأسانيد ومقارنة الروايات . ولم يكن شيء ولى بالبدأ به من أحاديث الكتب الستة التي هي الصحيحان وسنن أبي

داؤد والترمذي والنسائي وابن ماجة (لكن جامع الأصول سدس بالمؤطأ) .

ثم تلاه الحافظ نور الدين الهيثمي بتصنيف كتابه « مجمع الزوائد » مبتغياً من تأليفه إضافة حلقة أوسع أحاطت بستة كتب أخرى هي معاجم الطبراني الثلاثة . ومسند أحمد ومسند أبي يعلي ومسند البزار. وهي - عدا المعجم الصغير للطبراني - تمثل أهم المسانيد .

واتجهت الأنظار بعدئذ إلى توسيع حلقة المسانيد باستيعاب أكبر عدد ممكن منها . ولا ريب أن اختيار المسانيد للتجميع والإحاطة كان أمراً مؤثقاً . لأن (المسند)يراد به جمع أحاديث كل الصحابة بالنسبة إلى مؤلفه . فإذا قرنت المسانيد ببعضها حصلت الإحاطة المبتغاة .

فالحافظ ابن حجر وضع كتابه لذلك الغرض . كما يعرف من مقدمته . حيث يقول : « فرأيت جمع جميع ما وقفت عليه من ذلك في كتاب واحد . ليسهل الكشف عنه على أولي الرغبات . ثم عدلت إلى جميع الأحاديث الزائدة على الكتب المشهورات في الكتب المسندات » فموضوع كتابه أنه استعرض أحاديث ثمانية مسانيد كاملة هي : مسانيد الطيالسي . والحميدي . وابن أبي عمر . ومسدد . وابن منيع . وابن أبي شيبة . وعبد بن حميد . وابن أبي أسامة . وأضاف إليها في مسند أبي يعلي (بروايته المطولة) ومسند إسحاق بن راهويه (من نصفه الذي وقف عليه) . فاستخرج الأحاديث الزوائد فيها على ما في الكتب الستة ومسند أحمد . ثم رتب تلك الأحاديث على ترتيب الأبواب الفقهية خلافاً لترتيب المسانيد المستمد منها .

كتاب شبيه للمطالب : لكتاب المطالب نظير له يماثله في الغرض ويضارعه في المنهج . وكتاب الحافظ شهاب الدين البوصيري (أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم . المتوفى سنة ٨٤٠هـ) وهو غير البوصيري الشاعر صاحب البردة . وقد سماه « إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة » ألفه مشتملاً على الأسانيد ثم جرده وسماه

« مختصر إتحاف ... » فرغ من الإتحاف أواخر سنة ٨٢٣هـ ، ثم أتم اختصاره في رجب سنة ٨٣٢هـ ، وجمع فيه زوائد الكتب نفسها التي التزمها ابن حجر ، فهو مماثل لكتاب المطالب في الاستمداد رغم اختلاف العد في التسمية (وقد تساهل السخاوي في الضوء ٢٥٢/١ في اعتباره مسند أحمد زائداً على شرطه) .

ويلحظ في الإتحاف الإكثار من بيان درجة الأحاديث أما ابن حجر فذلك عنده أقل ، فالكتابان تقريباً من مشكاة واحدة ، وكتبا في عصر واحد لأن البوصيري تلمذ على ابن حجر كما اشتركا في الأخذ عن الحافظ العراقي ، ويظن أن البوصيري اطلع على « المطالب » ونقل منه دون عزو كما سيعرف من التعليقات .

أهمية الكتاب : كتاب المطالب أغنى ما ألف من كتب السنة ثروة ، وأغزرها فائدة ، لاحتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماماً ، وعلى شئ كثير من زوائد مسندين آخرين ، ولجمعه في مكان واحد على الترتيب الفقهي ما كان مبدداً في ثمانية أمكنة بل عشرة من غير مراعاة لهذا الترتيب ، ولاشتماله في كثير من المواضيع ، على بيان درجة الحديث من صحة وضعف واتصال وانقطاع .

وقد ازدادت قيمته العلمية في عصرنا لأن أكثر الكتب الأصول التي انتقيت فيه زوائدها قد دخل في خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يد الحدثان ، فلما امتنعت الإفادة منها لعوزها أوجبت الظروف أن يشتد الحرص على الاحتفاظ بهذا السفر الجليل ، لأنه يسد مسد تلك الأصول فيما تنفرد به » .

هذه نبذ من كلمات العلامة الأعظمي ، تدل على مدى تعمقه في علم الحديث ومكانته العلمية الرفيعة ، وعلى نظرته الواسعة في الثقافة العربية ، وسنواصل الكتابة حول هذا الموضوع في الحلقة القادمة ، بمشيئة الله تعالى . [يتبع]

صور وأوضاع :

الغزو الجديد

واضح رشيد الندوي

كانت أوائل القرن العشرين عهد اضطراب فكري لغلبة الاستعمار الغربي من جهة . والحركة الشيوعية وقيام دولة إشتراكية ذات فلسفة فكرية وسياسية من جهة أخرى . فبينما كانت نشأة العلوم وتسخير العلم لاختراع أدوات وماكينات تحل عدة مشاكل الحياة واكتشافات قاهرة . تسحر الذهن وتحير العقل الإنساني وكان العلماء الذين نشأوا نشأة غير دينية أو نشأوا في جو الثورة على الدين . يتحدون الدين والأخلاق والقيم والعرف الإنساني . كانت الاشتراكية تحمل المطرقة التي استعملت على الدين والمعتقدات الإنسانية المألوفة . أكثر من أن تستعمل لصناعة ما تحتاج إليه الإنسانية.

واشترك تحدى العلم للدين . وتحدى الاشتراكية للدين في زحزحة الثقة بالدين . وأصيب جيل كامل نشأ في هذه الفترة بالشكوك والشبهات في سداد الدين لهذا العصر. وقامت الحكومات القائمة في تلك الفترة بمساندة هؤلاء المتشككين . و إيصالهم إلى أعلى مناصب الحكومة . ومواقع النفوذ الفكري . ونشأت خلال هذه الفترة مكتبة ضد المعتقدات الدينية . وكان العالم الإسلامي يقع بين المعسكرين اللذين رغم تعارضهما في المذهب السياسي . والاجتماعي . والفكري . كانا

يلتقيان في ضرب الدين . وتحديد نشاطه فتبل العالم الإسلامي لموقعه الجغرافي . واتصالة بالمسكرين الأفكار الناشئة المناهضة للفكرة الدينية . والمنهج الديني للحياة .

وتصعد الموقف المناهض للدين بعد قيام الثورات الاشتراكية في العالم التي كانت تعتبر العنصر الديني عدوها الأول . والدين العقبة الرئيسية في سبيلها لأن الثورة نقلت إلى الحكم من لم يكن كفؤاً له . ولم يكن يثق في البقاء في الحكم إلا إذا قام بتصفية كل عنصر لا يتفق معه . واستئصال جذور كل منهج لا يتطابق مع منهجه وسياسته . وساعد المستعمرون الغربيون هذه النظم وإن كانت سياستها تختلف عن سياستهم . لأنها كانت تحارب العنصر الديني . فواجه رجال الدين . وعلماء الشريعة . والمصلحون التشرد . والرقابة . والحظر على نشاطاتهم . وأوقفت المؤسسات التي كانت تقوم بنشر الوعي الديني . ونالت العناصر المناوئة للدين كل دعم ومساندة . لنشاطاتها . ونشر أفكارها .

كانت هذه الفترة فترة محنة كبيرة لرجال الدين الذين واجهوا الضرب المبرّح علناً . وتصدى في هذه الفترة وصمد من صمد في وجه هذا التيار . وواصل عمله . رغم الشدائد .

وقد انقضت هذه الفترة . فقد سقط النظام الاشتراكي الذي كان يحارب الدين حرباً علنية، ويسخر جميع وسائله لقمع النشاط الديني . وغسيل الدماغ من الوعي الديني . وظهر خواء هذه النظرية وفشلها . وبدأت تحارب في عقر دارها . وبسقوط هذا النظام ضعفت النظم التي كانت تستند إلى هذا النظام . فوجد انفتاح في أمر الدين . وممارسة

نشاطاته ، وأطلقت الحريات في البلدان التي كان الدين فيه الشجرة الممنوعة .

وفي الفترة نفسها انكشفت نوايا المعسكر الغربي ، و واجه العالم سلوكه المزدوج ، واكتشف التناقض في سياسته كما انكشفت مساوئ هذا العالم الذي كان يحارب الدين باسم العلم والحضارة ، والتقدم ، وظهرت نظريات العالمية ، والحب ، والحقوق الإنسانية ، والموضوعية العلمية ، دعاوي فارغة ، ففقد المؤمنون بحياد الغرب ، وحرية فكره ، ونزاهته ، ثقتهم بتجاربهم المريرة ، وانكشفت لهم مساوئ تلك الحضارة ، وساعد في زحزحة هذه الثقة الفلاسفة والعلماء والمثقفون الغربيون الذين ثاروا على الحضارة الغربية وانتقدوها وعادوا إلي مجرى الدين ، فكان نقدهم عاملاً كبيراً في هدم هذه القلعة أو إيجاد ثقوب فيها .

كان ذلك انتصاراً للدين ، وعاملاً للعودة إلى الدين ، فالعودة إلى الدين ، أمر حقيقي ، تشاهد آثارها في كل مكان ، وقد بدأت جميع الأديان نشاطها، وتستعيد تأثيرها على النفوس ، فيجري بناء المعابد، والمساجد والكنائس ومراكز التربية الدينية ، ويحق لنا أن نسمى هذا العصر بعصر الصحوة الدينية ، وهي تشاهد في الهند ، وبلاد إسلامية أخرى وفي إفريقيا ، وفي أوربا ، وللإسلام من بين الأديان نصيب أكبر للعودة ، لأنه آخر الأديان ، وأحدث ، وأشمل ، وأجدى للإنسانية ، فيجذب النفوس ويميل القلوب أكثر .

وإذا درست نسبة قبول الأديان ، أو العودة إلى الكنف الديني ، فإن نسبة العودة إلى الإسلام ، وعودة المسلمين إلى الوعي الديني ، وفيهم

المثقفون بالثقافة المعاصرة ، والعلماء . أعلى وأرفع ، لأن الإسلام هو أقرب إلى العقول ، وأيسر للعمل به ، وتعاليمه اشمل وأكمل لأمور الحياة ، ويجمع بين الدين والحياة .

إن الإقبال على الدين بوجه عام ، والإقبال على الإسلام بوجه خاص أمر مشاهد لا ينكره أحد ، وان هذا التفاوت في نسبة المعتنقين للإسلام والمعتنقين للأديان الأخرى ، وصلاحية الإسلام للتأثير هي التي تقض مضاجع أتباع الأديان الأخرى ، فتحملهم على أن يوجهوا اهتمامهم إلى وقف هذا الزحف ، فيخططون لقمع الحركة الإسلامية ، لأنها لا تتحدى الأديان الأخرى ، بل تتحدى الحضارة المعاصرة لأنها حضارة مادية معادية للدين ، والنظم المعاصرة لأنها عرفت بعدائها للدين .

اتخذت القوي غير الإسلامية وسائل متعددة لوقف الصحوة الإسلامية ، انها تعكف على تلويث الفكر الديني أولاً ، وتوريط رجاله في صراعات داخلية ، واغراءات ، واحياء النزعات اللغوية ، والثقافية ، والعنصرية، لشغل الناس عن الفكر الديني، وإشاعة الفحشاء والمجون ، بوسائل التسلية ، وتحويل الناس إلى اللهو ، وقتل الوقت لصرفهم عن المسئوليات الدينية ، وقد تصعدت النشاطات في جميع هذه المجالات ، وكان لها تأثير على النفوس .

لقد حققت الدعوة الإسلامية مكسباً كبيراً لأسباب متعددة وهي تتقدم إلى الأمام وتتاح لها الفرص لكن نجاحها ونجاح العاملين في سبيلها يتوقف إلى حد كبير على سلوك العاملين ، وصلاحيتهم لاستفادة من هذه الفرص وحكمتهم .

إلى رحمة الله :

فضيلة الشيخ الداعية الإسلامي

محمد محمود الصواف في ذمة الله

بقلم : سعيد الأعظمي

فجع العالم الإسلامي بوفاة الداعية الإسلامي الكبير والعالم البصير والخطيب المصقع فضيلة الشيخ العلامة محمد محمود الصواف في مقره بإستنبول ، وذلك في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٤١٢هـ . « فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

اطلعت أسرة مجلة « البعث الإسلامي » على هذا الحادث بطريق الاتصال الهاتفي الذي تكرم به أخونا الفاضل سعادة الدكتور صالح مهدي السامرائي ، رئيس كلية الأرصاد في جامعة الملك عبد العزيز بمدينة جدة المملكة العربية السعودية ، وكان صدمة عنيفة لنا جميعاً. وخاصة لسماحة أستاذنا الكبير العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كانت به صلات أخوية ودعوية من قديم ، وكان يحبه بمجهوداته الدعوية والفكرية وبإخلاصه القوي في تربية الشباب والدعاة .

كان فضيلة الشيخ الصواف من دعاة الإسلام الذين وقفوا ضد الحركات الهدامة في العالم الإسلامي وقاموا بالدعوة الإسلامية في ظروف قاسية حيناً ومحرجة حيناً آخر من غير اعتذار واحتشام ، وقد كان يتمتع بالجراءة الإيمانية و الشجاعة في إعلاء كلمة الله

لا يخاف لومة لائم ولا يلين لصاحب جاه ومنصب في الصدع بالحق والقول الصريح . كانت له مواقف محمودة كثيرة وقفها في مجال الدعوة وإعلاء الحق وتربية الجيل وتزويدهم بالفكر والبصيرة والاقتناع . ولم يبال بأن يترك موطنه ومولده ويرضى بترك ممتلكاته وأمواله وأقربائه في سبيل الحق والإيمان . وكان يتميز بصفة القيادة والتوجيه بين أبناء الأمة وشبابها ممن كانوا يلتفون حوله ويحبون به ويفدونه بمهجهم وأرواحهم . وقد شاهدت ذلك أيام إقامتي في بغداد عام ثمانية وخمسين وتسع مائة وألف ١٩٥٨م . حيث كان شباب الدعوة يتناوله بغاية من الاحترام والإجلال ويعتبره رائداً ومرشداً وموجهاً ومربياً .

ويوم سافرت إلى بغداد حملت معي رسالة لسماحة أستاذي الجليل ومربي الكبير العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي باسم الفقيد - رحمه الله - فتناولني بغاية من العطف والإكرام . وغمرني بحبه وعنايته . وأنزلني في مركزه الدعوي الكبير الذي كان يسمى (مركز جمعية إنقاذ فلسطين) في بغداد . وهيأ لي الإقامة فيه مدة وجودي في بغداد إلى نحو عام . حيث كنت تلميذاً على أستاذي الكبير العلامة النحير سعادة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله -، الذي كان أستاذاً في دار المعلمين العليا بجامعة بغداد . ولا أنسى ما قد تكرم به فضيلة الشيخ الصواف - رحمه الله - من بذل كل عطف ومساعدة لي . واعتباري عضواً من أعضاء شباب الدعوة الذين كانوا يتجمعون حوله للاستفادة من توجيهاته وتربيته وأفكاره وأساليبه الدعوية . ولا شك فقد سنحت لي فرصة للاستفادة منه مع هؤلاء

الشباب ، وكنت واحداً منهم بجوار استفادتي ودراستي لدى العلامة الهلالي - رحمه الله - .

رأيته في خلال هذه المدة التي قضيتها في مركز الجمعية عن كثب وأعجبت بشخصيته الفذة وبعمله الدؤوب وبفكره النير في مجال الدعوة والعلم ، كان يلقي محاضرات قوية في موضوعات إسلامية في مناسبات كثيرة ، ويرتجل الخطاب ببلاغته النادرة واقتداره على اللغة والبيان ، قد استمعت إلى كثير من محاضراته الدعوية ، وآخر ما حضرت محاضرة له في الكويت في حفلة خاصة عقدتها « جمعية الإصلاح الاجتماعي » كانت قوية ذات فوائد علمية جديدة .

وكانت تدور حول موضوع « الرجال في القرآن » وطالما حظيت بلقائه في أكرم بقعة وأجمل منظر في رحاب الحرم المكي الشريف بين صلاتي المغرب والعشاء ، وقد كان أيام إقامته في مكة المكرمة يواظب على الجلوس أمام المكبرية بين الركن اليماني وركن الحجر الأسود ، وكان يتناولني بمحبته المعروفة ويسأل عن أخبار سماحة شيخنا الندوي وندوة العلماء ومجلة « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » وقد كان مشتركاً فيهما ومعجباً بهما .

ولما أزمعت ندوة العلماء على إقامة « المهرجان التعليمي الكبير » في رحابها بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على تأسيسها في عام خمسة وسبعين وتسع مائة وألف وجه إليه الدعوة سماحة شيخنا الندوي للحضور في المهرجان ورئاسة إحدى جلساته ، وكان حريصاً على أن يشرف المهرجان ولكنه لم تسمح ظروفه بذلك ولم تتحقق الأمنية .

كان الفقيد من أبناء العراق من أسرة دينية من مدينة « الموصل »

كان والده من علماء المنطقة ، فبذل عناية كبيرة بتعليمه وتربيته ، وقرت عينه بتخرج نجله الكريم من الأزهر وإحراز قصب السبق في ميدان الخطابة والدعوة و العلوم الإسلامية ، فقد كان جهوري الصوت قوي العارضة يؤثر في نفوس المستمعين أيما تأثير ، ويسحرهم ببلاغته وبيانه ، وقد كان يلقي محاضرات مرتجلة في المحافل العامة والمجالس الخاصة ، ويشبع الموضوع استدلالاً وإيضاحاً ، ويفحم المعارضين .

ولم يكتف في مجال الدعوة بالخطابة والمحاضرة وإنما أسهم فيه بكتاباته الرائعة ومؤلفاته القيمة ، أما تفسيره لآيات كتاب الله فرائع، ذو قيمة علمية ودعوية ، كما أن كتابه القيم حول « تعليم الصلاة » و كتابه حول « الذكر والدعاء » من أحسن ما ألف في الموضوع على المستوى الجماهيري ، وبذلك يبدو اهتمامه بالصلوات المكتوبة وصلاة التطوع ، ويظهر اعتناؤه البالغ بالأدعية والأذكار التي هي مخ العبادة ، وقد جمع في هذا الكتاب الأخير من الأدعية المأثورة عن النبي - ﷺ - في جميع المناسبات ولدى الحاجات التي لا يستغنى عنها المسلم في أي حال من أحواله وفي الأخير آثر الإقامة في استنبول ، واستوطنها لنفسه وأسرته حيث وافاه الأجل .

وإنني إذ أعزي جميع أعضاء أسرته وتلاميذه والشباب المعجبين به الذين تربوا تحت توجيهاته ، وأخص بالتعزية نجله الكريم سعادة الدكتور مجاهد محمد الصواف - حفظه الله -، ابتهل إلى الله العلي القدير أن يغفر زلاته ويرفع درجاته ، ويدخله فسيح جناته ، مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان فإنه سميع مجيب قريب ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وأصحابه وبارك وسلم .

وزير الحكومة المركزية السابق ضياء الرحمن الأنصاري

أ. ع. ن.

فقد المسلمون في الهند زعيماً سياسياً بارزاً محنكاً وغيوراً متحمساً في الدين وأهله . وحرمت البلاد أحد كبار زعماء حزب المؤتمر الوطني الحاكم بوفاة وزير الغابات والبيئة المركزي السابق السيد ضياء الرحمن الأنصاري يوم ٧/ أكتوبر ٩٢م « فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

كانت الأواصر بين الأنصاري المرحوم وبين سماحة الشيخ الندوي والمسئولين الآخرين عن ندوة العلماء (الهند) وطيدة . فعقدت في اليوم التالي من الوفاة حفلة عزاء برئاسة سماحة الشيخ الندوي في جامع الندوة الجميل ،حضرها أساتذة وطلبة الندوة وموظفوها .

أكد سماحة الشيخ الندوي وهو يتحدث في الحفلة أن وفاة ضياء الرحمن الأنصاري حادثة ملية ، وقال : إن حميته المخلصة وغيرته الإسلامية وتمثيله الجرئ لشاعر المسلين قد شد عضد هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية في الهند في قضية حقوق المرأة المسلمة المطلقة . وأضاف إلى ذلك سماحته وهو يلقي ضوأ على أبرز ميزات المرحوم : انه بقي مرتبطاً بالحكومة المركزية مدة طويلة حيث تولى مهام مناصب جليلة وأدى مسئولياتها أحسن أداء ، ولكن تتميز شخصيته عن الوزراء المسلين الآخرين بصحة عقيدته وحميته الدينية وغيرته الإسلامية واحترامه للدين وعلمائه ومشائخه واستخدام نفوذه لصالح

الإسلام والمسلين مما يندر نظيره في هذا الزمان . قال سماحته : كان المرحوم مسلماً صالحاً محافظاً على الفرائض والواجبات ملتزماً بالأخلاق الفاضلة والتعاليم الإسلامية والمثل العليا ، جريئاً في الحق .

نوه سماحته بموقف المرحوم الأنصاري الحاسم من قضية شاه بانو قائلاً : دافع المرحوم في هذا الوقت العصيب عن الأحوال الشخصية الإسلامية دفاعاً مشكوراً .

جزاه الله تعالى أحسن الجزاء على خدماته وتقبل حسناته وعفا عن زلاته .

-- -- --

الطبيب عبد القوي الدريا آبادي

خالد فيصل الندوي

فقد مسلمو الهند شخصية عظيمة بوفاة الطبيب الحاذق والصحفي الإسلامي عبد القوي الدريا آبادي يوم الجمعة في ١٦/أكتوبر ٩٢م عن عمر يناهز ٧٨ سنة « فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

تلقت أسرة ندوة العلماء وعلى رأسهم سماحة الشيخ الندوي نبأ وفاته بغاية من الأسى والحزن ، فقد كان المرحوم زميلاً لسماحة الشيخ الندوي ومن محبيه ومن أعضاء المجلس الاستشاري لندوة العلماء .

قال سماحته متحدثاً في حفلة التأبين في مسجد دار العلوم : إن [المر]حوم ينحدر من أسرة دينية شهيرة أنجبت عظماء في مجالات العمل الديني والعلم والأدب والسياسة ، ولما ...

خدمة الدين والمجتمع والبلاد . وأضاف إلى ذلك سماحته قائلاً : كان يذكر الله دائماً ويتلو القرآن الكريم ويسهم في أعمال الخدمة الإنسانية والملية .

أبدى العلماء والأدباء والزعماء والقادة والصحفيون حزنهم الشديد على وفاته قائلين : إن وفاته خسارة عظيمة . بينما قال رئيس الوزراء السابق المستر وي. في. سنغ : حدث بوفاته فراغ كبير في مجال الصحافة والطب والأدب .

تعلم المرحوم على جهابذة العلم والفن . تلمذ على العلامة خليل عرب فكان زميلاً لسماحة الشيخ الندوي وعلى الطبيب الشهير شفاء الملك عبد الحسيب والطبيب البارع السيد عبد العلي الحسني - رحمهما الله تعالى - في فن الطب .

كان المرحوم كاتباً كبيراً له مؤلفات عديدة وكتيبات قيمة ومقالات أدبية وعلمية . صحفياً بارزاً . ساهم في إصدار صحيفة (تنوير) و (صدق جديد) الأرديتين وكتب في (سياست) و (قائد) و (حق) زمناً طويلاً . وكان من مساعدي الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي علمياً وأدبياً وصحافياً .

كانت له اليد الطولى في فن الطب . فداوى الناس إلى ستين عاماً وكان يداوي الفقراء والمساكين مجاناً . وكانت صلة المرحوم بالمؤسسات المختلفة عميقة فكان عضواً أساسياً للمجلس الديني وعضواً للمجلس الإداري لدار المصنفين وأكاديمية أردو .

غفر الله له . وأدخله فسيح جناته ومنح ذويه الصبر والسلوان .

-- -- --

أخبار اجتماعية وثقافية :

مؤتمر الفقه الإسلامي الخامس

[التحرير]

عقد مجمع الفقه الإسلامي لعموم الهند مؤتمره الخامس في جامعة الرشاد بأعظم جراه . فيما بين فترة ٤-١ من شهر أكتوبر وقد حضره العلماء والفقهاء من داخل البلاد وخارجها ، حيث تحاوروا فيما بينهم حول الموضوعات المختلفة من القضايا الحديثة ، لا سيما قضية « الزكاة » ومفهوم تعميم « في سبيل الله » واتخذ المؤتمر عدة قرارات حول قضايا الفقه الإسلامي .

مجلة « المآثر »

صدرت مجلة « المآثر » تذكاراً لمحدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي - رحمه الله - بإشراف فضيلة الشيخ عبد الجبار المئوي - حفظه الله - وبإدارة نجله الكريم فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي . والمجلة تستهدف نشر إفادات وتحقيقات العلامة الأعظمي التي لم تنشر في حياته . وهي بذلك مجلة علمية دينية هادفة . ستسد فراغاً في عالم الصحافة العلمية . وتكون تحفة طريفة لأوساط العلماء والمدرسين وأصحاب البحث والتحقيق . وهي مجلة فصلية ستصدر بإذن الله كل ثلاثة أشهر .

ونحن إذ نرحب بالزميلة العزيزة ونتمنى لها الانتشار والازدهار نهنئ القائمين عليها ، ولا سيما رئيس تحريرها فضيلة الشيخ رشيد أحمد الأعظمي الذي أثبت كفاءته العلمية والهمة العالية بهذه الخطوة الجريئة .

أما عنوان المجلة فكالآتي : مدرسة مرقاة العلوم - ص.ب -١- مئو نات بنجن (يو پي) الهند

العدد القادم

يبتدئ به المجلد الثامن والثلاثون - إن شاء الله تعالى - وسيصدر بعد فترة شهر-بمشيئة الله تعالى- وسيتضمن شهرى شعبان ورمضان ١٤١٢هـ الموافق شهري (فبراير، مارس ١٩٩٢م) [التحرير]

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتاز

ـــ عامها السابع و الثلاثين ،

ـلك بتوفيق الله تعالى وحده . ونحمد الله

لى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة

ث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة

ثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى

الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية

عرض لها المسلمون فى كل مكان . نحو دينهم

و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن

دخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها

يسر بها القارئ الكريم . و لا يخفى عليكم

ن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق

الطباعة و أجور العمال . فنرجو أن يتكرم

كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة

توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا

، أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة

الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية

ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع

دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)